فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب

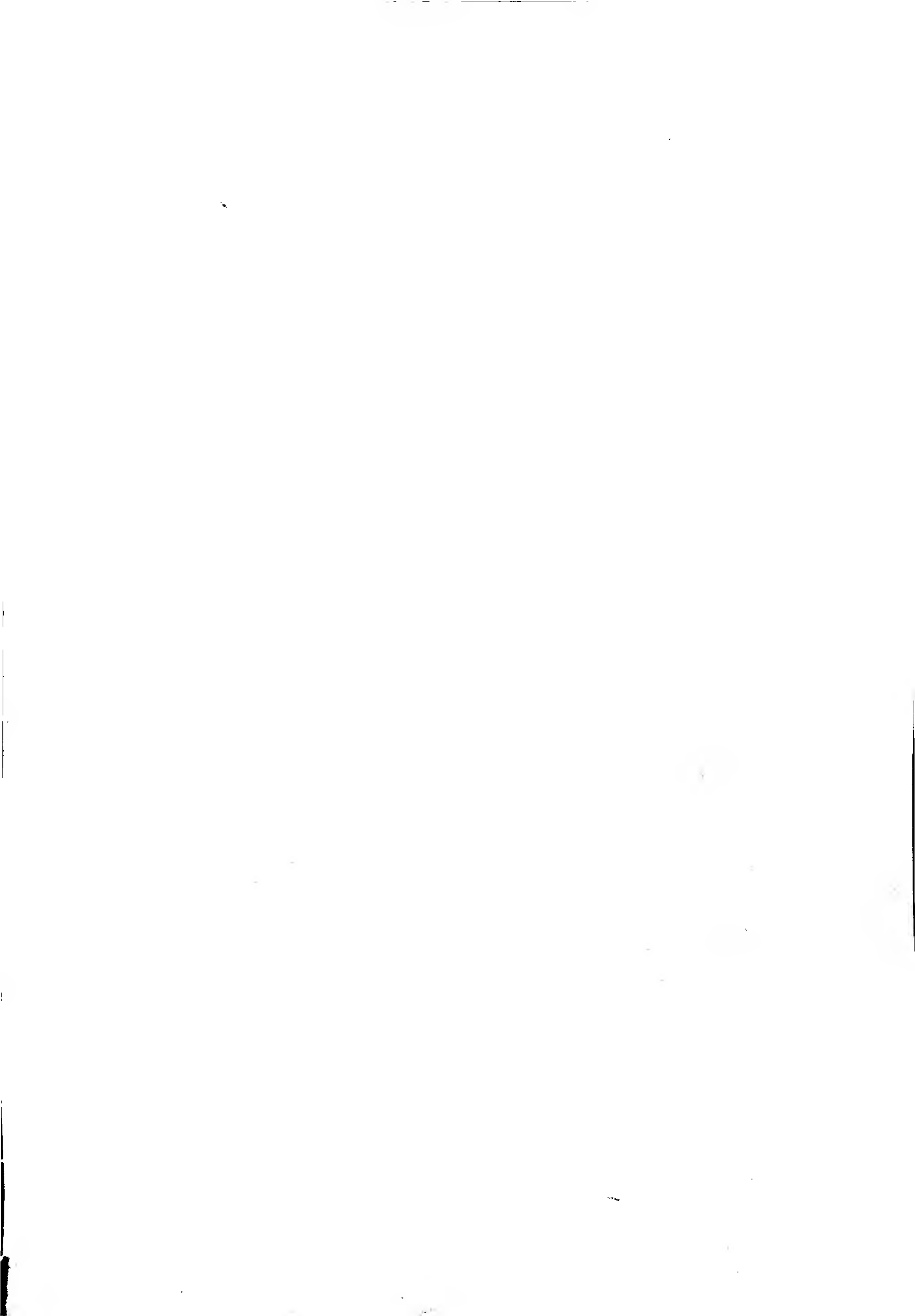
أمير المؤمنين

عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

شخصيته وعصره

د. علي محمد محمد الصلابي





الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

مكتبة الصحابة

الإمـارات - الشارقة .
ت: ٥٦٣٣٥٧٥ - فاكس: ٥٦٣٧٥٤٤

مكتبة التابعين

القاهرة - عين شمس .
ت: ٤٩٣٨١٤٤ - فاكس: ٤٩٣٤٣٢٥



الإهداء

إلى كل مسلم حريص على إعزاز دين الله ونصرته أهدي هذا الكتاب سائلاً المولى -عز وجل- بأسمائه الحُسنى وصفاته العُلا أن يكون خالصًا لوجهه الكريم .

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف:١١١] .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فهذا الكتاب (الفاروق عمر بن الخطاب شخصيته وعصره)

يرجع الفضل في كتابته إلى المولى -عز وجل- ثم إلى مجموعة خيرة من العلماء والشيوخ والدعاة الذين شجعوني على المضي في دراسة عصر الخلفاء الراشدين حتى إن أحدهم قال لي: لقد أصبحت هناك فجوة بين أبناء المسلمين وذلك العصر، وحدث خلط في ترتيب الأولويات؛ حيث صار الكثير من أبناء المسلمين يلمون بسيرة الدعاة والعلماء والمصلحين أكثر من إلمامهم بسيرة الخلفاء الراشدين، وإن ذلك العصر غني بالجوانب السياسية، والتربوية، والإعلامية، والأخلاقية، والاقتصادية، والفكرية، والجهادية والفقهية التي نحن في أشد الحاجة إليها، ونحتاج أن نتتبع مؤسسات الدولة الاسلامية، وكيف تطورت مع مسيرة الزمن، كالمؤسسة القضائية والمالية ونظام الخلافة والمؤسسة العسكرية، وتعيين الولاة وما حدث من اجتهادات في ذلك العصر عندما احتكت الأمة الإسلامية بالحضارة الفارسية، والرومانية، وطبيعة حركة الفتوحات الإسلامية.

كانت بداية هذا الكتاب فكرة أراد الله لها أن تصبح حقيقة، فأخذ الله بيدي وسهل لي الأمور وذلل الصعاب، وأعانني على الوصول للمراجع والمصادر، والفضل لله -تعالى- الذي أعانني على ذلك .

إن تاريخ عصر الخلفاء الراشدين مليء بالدروس والعبر، وهي متناثرة في بطون الكتب والمصادر والمراجع، سواء كانت تاريخية أو حديثية أو فقهية أو أدبية أو تفسيرية أو كتب التراجم والجرح والتعديل، فقمت بدراستها حسب وسعي وطاقتي، فوجدت فيها مادة تاريخية غزيرة يصعب الوقوف على حقيقتها في الكتب التاريخية المعروفة والمتداولة، فقمت بجمعها وترتيبها وتوثيقها وتحليلها، وقد طبع الكتاب الأول عن الصديق رضي الله عنه، وقد سميته: (أبو بكر الصديق شخصيته وعصره).

وبفضل الله انتشر هذا الكتاب في المكاتب العربية والمعارض الدولية، ووصل إلى كثير من القراء والدعاة والعلماء وطلاب العلم وعوام المسلمين، فشجعوني على الاستمرار في دراسة عصر الخلفاء الراشدين ومحاولة تبسيطه وتقديمه للأمة في أسلوب يلائم العصر .

إن تاريخ عصر الخلفاء الراشدين مليء بالدروس والعبر، فإذا أحسنا عرضه وابتعدنا عن الروايات الضعيفة والموضوعة وعن كتب المستشرقين وأذنابهم من العلمانيين والروافض وغيرهم، واعتمدنا منهج أهل السنة في الدراسة -نكون قد أسهمنا في صياغته بمنظور أهل السنة، وتعرفنا على حياة وعصر من قال الله فيهم: **﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾** (التوبة،آية: ١٠٠). وقال تعالى : **﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾** (الفتح،الآية: ٢٩) .

وقال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم**»[١] .

---

(١) مسلم (٤ / ١٩٦٣-١٩٦٤) .

وقال فيهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من كان مستنًا فليستن بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا -والله- أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم[(١)].

فالصحابة قاموا بتطبيق أحكام الإسلام ونشروه في مشارق الأرض ومغاربها، فعصرهم خير العصور؛ فهم الذين علموا الأمة القرآن الكريم ورووا السنن والآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتاريخهم هو الكنز الذي حفظ مدخرات الأمة في الفكر والثقافة والعلم والجهاد وحركة الفتوحات والتعامل مع الشعوب والأمم ، فتجد الأجيال في هذا التاريخ المجيد ما يعينها على مواصلة رحلتها في الحياة على منهج صحيح وهَدْي رشيد، وتعرف من خلاله حقيقة رسالتها ودورها في دنيا الناس ، وتستمد من ذلك العصر ما يغذي الأرواح، ويهذب النفوس، وينور العقول، ويشحذ الهمم، ويقدم الدروس، ويسهل العبر، وينضج الأفكار، ويجد الدعاة والعلماء والشيوخ وأبناء الأمة ما يعينهم على إعداد الجيل المسلم وتربيته على منهاج النبوة، ويتعرفون على معالم الخلافة الراشدة وصفات قادتها وجيلها، وخصائصها وأسباب زوالها.

فهذا الكتاب الثاني عن عصر الخلفاء الراشدين يتحدث عن الفاروق عمر بن الخطاب ويتناول شخصيته وعصره ، فهو الخليفة الثاني وأفضل الصحابة الكرام بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنهم جميعًا وقد حثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرنا باتباع سنتهم والاهتداء بهديهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»[(٢)] فعمر رضي الله عنه خير الصالحين بعد الأنبياء والمرسلين وأبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد قال فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اقتدوا باللذيْنِ من بعدي، أبي بكر وعمر»[(٣)].

---

(١) شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٤-٢١٥) .

(٢) سنن أبي داود (٤/ ٢٠١) ، الترمذي (٥/ ٤٤) حسن صحيح .

(٣) صحيح سنن الترمذي للألباني (٣/ ٢٠٠) .

وقد وردت الأحاديث الكثيرة والأخبار الشهيرة في فضائل الفاروق رضي الله عنه، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لقد كان فيمن قبلكم من الأمم مُحَدَّثُون، فإن يَكُ في أمتي أحد فإنه عمر»(١)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أريت في المنام أني أَنْزِعُ بدَلْوٍ بكرة على قَلِيبٍ (٢)، فجاء أبو بكر فنزع ذَنُوبًا أو ذنوبين نزعًا ضعيفًا والله يغفر له(٣) ، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربًا فلم أر عبقريًّا يَفْرِي فَرْيَه حتى رَوِيَ الناس وضربوا بعطن»(٤) وقد قال عمرو بن العاص رضي الله عنه : قلت يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، قلت: يا رسول الله، مِنَ الرجال؟ قال : أبوها، قلت: ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب . ثم عد رجالاً »(٥).

إن حياة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه صفحة مشرقة من التاريخ الإسلامي الذي بهر كلَّ تاريخ وَفَاقَهُ، والذي لم تحوِ تواريخ الأمم مجتمعة بعض ما حوى من الشرف والمجد والإخلاص والجهاد والدعوة في سبيل الله؛ ولذلك قمت بتتبع أخباره وحياته وعصره في المصادر والمراجع ، واستخرجتها من بطون الكتب ، وقمت بترتيبها وتنسيقها وتوثيقها وتحليلها ؛ لكي تصبح في متناول الدعاة والخطباء والعلماء والساسة ورجال الفكر وقادة الجيوش وحكام الأمة وطلاب العلم وعامة الناس؛ لعلهم يستفيدون منها في حياتهم ويقتدون بها في أعمالهم؛ فيكرمهم الله بالفوز في الدارين.

لقد تتبعت حياة الفاروق منذ ولادته حتى استشهاده: فتحدثت عن نسبه وأسرته وحياته في الجاهلية، وعن إسلامه وهجرته، وعن أثر القرآن الكريم وملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم في تربيته وصياغة شخصيته الإسلامية العظيمة، وتكلمت عن مواقفه في الغزوات وفي المجتمع المدني في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والصديق رضي الله عنه وبينت قصة استخلافه ووضحت قواعد نظام حكمه: كالشورى وإقامة العدل والمساواة بين الناس

---

(١) البخاري رقم ٣٦٨٩ ، مسلم ٢٣٩٨ .

(٢) القليب: البئر غير المطوية، أي: غير المبنية، أو غير المعروشة .

(٣) والله يغفر له : هذه عبارة ليس فيها تنقيص لأبي بكر وإنما هي كلمة كان المسلمون يدعمون بها كلامهم .

(٤) مسلم رقم (٢٣٩٣) .

(٥) الإحسان في صحيح ابن حبان (١٥/ ٣٠٩) .

واحترامه، للحريات وأشرت إلى أهم صفات الفاروق وحياته مع أسرته واحترامه لأهل البيت، وإلى حياته في المجتمع بعد ما أصبح خليفة المسلمين كاهتمامه ورعايته لنساء المجتمع، وحفظه لسوابق الخير، لرعيته وحرصه على قضاء حوائج الناس، وتربيته لبعض زعماء المجتمع، وإنكاره لبعض التصرفات المنحرفة، واهتمامه بصحة الرعية ونظام الحسبة وبالأسواق والتجارة، وحرصه على تحقيق مقاصد الشريعة في المجتمع كحماية جانب التوحيد، ومحاربة الزيغ والبدع، واهتمامه بأمر العبادات، وحماية أعراض المجاهدين .

وتحدثت عن اهتمام الفاروق بالعلم، وعن تتبعه للرعية بالتوجيه والتعليم في المدينة، وجعله المدينةَ دارًا للفتوى والفقه ومدرسة تخرج منها العلماء والدعاة والولاة والقضاة، وبينت الأثر العمري في مدارس الأمصار كالمدرسة المكية والمدنية والبصرية والكوفية والشامية والمصرية، فقد اهتم الفاروق بالكوادر العلمية المتخصصة وبعثها إلى الأمصار، وأرشد القادة والأمراء -مع توسع حركة الفتوحات- إلى إقامة المساجد في الأقاليم المفتوحة؛ لتكون مراكز للدعوة والتعليم والتربية ونشر الحضارة الإسلامية، فقد كانت المساجد هي المؤسسات العلمية الأولى في الإسلام، ومن خلالها تحرك علماء الصحابة لتعليم الشعوب الجديدة التي دخلت في الإسلام طواعية بدون ضغط أو إكراه، وقد وصلت المساجد التي تقام فيها الجمعة في دولة عمر رضي الله عنه إلى اثني عشر ألف مسجد، وقد كانت المؤسسات العلمية خلف مؤسسة الجيش التي قامت بفتح العراق وإيران والشام ومصر وبلاد المغرب، وقد قاد هذه المؤسسات كوادر علمية وفقهية ودعوية متميزة تربت على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة، وقد استفاد الفاروق من هذه الطاقات فأحسن توجيهها ووضعها في محلها، فأسست تلك الطاقات الكوادر للحركة العلمية والفقهية التي كانت مواكبة لحركة الفتح.

وتكلمت عن اهتمام الفاروق بالشعر والشعراء، فقد كان عمر رضي الله عنه أكثر الخلفاء الراشدين ميلاً لسماع الشعر وتقويمه كما كان أكثرهم تمثلاً به حتى قيل: كان عمر بن الخطاب لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيتًا من الشعر. وقد برع الفاروق في النقد

الأدبي وكانت له مقاييس يحتكم إليها في تفضيله أو إيثاره نصًّا على نص أو تقديمه شاعرًا على غيره، ومن هذه المقاييس: سلامة العربية، وأنس الألفاظ، والبعد عن المعاضلة والتعقيد، والوضوحُ والإبانةُ، وأن تكون الألفاظ بقدر المعاني، وجمال اللفظة في موقعها، وحسن التقسيم، وكان يمنع الشعراء من قول الهجاء أو ما يتعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية، واستخدم أساليب متعددة في تأديبهم، منها: أنه أشترى أعراض المسلمين من الحطيئة بثلاثة آلاف درهم حتى قال ذلك الشاعر:

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع شتمًا يضر ولا مديحًا ينفع

ومنعتني عِرْضَ البخيل فلم يَخَفْ شتمي فأصبح آمنًا لا يفزع

وتحدثت عن التطور العمراني وإدارة الأزمات في عهد عمر، فبينت اهتمام الفاروق بالطرق ووسائل النقل البري والبحري وإنشاء الثغور والأمصار كقواعد عسكرية ومراكز إشعاع حضاري، وتكلمت عن نشأة المدن الكبرى في عهد عمر كالبصرة والكوفة والفسطاط وسرت، وعن الاعتبارات العسكرية والاقتصادية التي وضعها الفاروق عند إنشاء المدن، وعن الأساليب التي اتخذها عمر في مواجهة عام الرمادة، وكيف جعل من نفسه للناس قدوة، وعن معسكرات اللاجئين في تلك السنة، وعن الاستعانة بأهل الأمصار، والاستعانة بالله وصلاة الاستسقاء، وعن بعض الاجتهادات الفقهية في عام الرمادة: كوقف إقامة حد السرقة، وتأخير دفع الزكاة في ذلك العام.

وأشرت إلى عام الطاعون وموقف الفاروق من هذا الوباء الذي كان سببًا في وفاة كبار قادة الجيش الإسلامي بالشام، وقد مات أكثر من عشرين ألفًا من المسلمين بسبب الطاعون، واختلت الموازين وضاعت المواريث، فذهب الفاروق إلى الشام وقسم الأرزاق، وسمى الشواتي والصوائف، وسد ثغور الشام ومسالحها، وولى الولاة، ورتب أمور الجند والقادة والناس، وورّث الأحياء من الأموات.

ووضحت دور الفاروق في تطوير المؤسسة المالية والقضائية، فتحدثت عن

المؤسسة المالية، وعن مصادر دخل الدولة في عهد عمر رضي الله عنه: كالزكاة، والجزية، والخراج، والعشور، والفيء والغنائم، وعن بيت مال المسلمين، وتدوين الدواوين، وعن مصارف الدولة في عهد عمر، وعن اجتهاد الفاروق في مسألة أرض الخراج، وعن إصدار النقود الإسلامية، وبينت دور الفاروق في تطوير المؤسسة القضائية، وتكلمت عن أهم رسائل عمر إلى القضاة، وعن تعيين القضاة، ومرتباتهم وصفاتهم وما يجب عليهم، وعن مصادر الأحكام القضائية، والأدلة التي يعتمد عليها القاضي، وعن اجتهادات الفاروق القضائية: كحكم تزوير الخاتم الرسمي للدولة، ورجل سرق من بيت المال بالكوفة، ومن جهل تحريم الزنى، وغيرها من الأحكام القضائية والفقهية، وعن فقه عمر في التعامل مع الولاة، فبينت أقاليم الدولة في عهد عمر وأسماء من تولى إمارة الأقاليم في عصره، وعن أهم قواعد عمر في تعيين الولاة وشروطه عليهم ، وعن صفات ولاة عمر، وعن حقوق الولاة وواجباتهم، وعن متابعة الفاروق للولاة ومحاسبتهم، وعن تعامل الفاروق مع شكاوى الرعية في الولاة، وعن أنواع العقوبات التي أنزلها الفاروق بالولاة، وعن قصة عزل خالد بن الوليد رضي الله عنه، وعن عزله في المرتين الأولى والثانية، ومجمل أسباب عزله، وعن موقف المجتمع الإسلامي من قرار العزل، وعن موقف خالد بن الوليد من ذلك القرار، وماذا قال عن الفاروق وهو على فراش الموت.

ووصفت فتوح العراق وإيران والشام ومصر وليبيا في عهد الفاروق ووقفت مع الدروس والعبر والفوائد والسنن في تلك الفتوح، وسلطت الأضواء على الرسائل التي كانت بين الفاروق وقادة جيوشه، واستخرجت منها مادة علمية تربوية في توجيه الشعوب وبناء الدول، وتربية المجتمعات وترشيد القادة ، وفنون القتال، واستنبطت من رسائل عمر إلى القادة حقوق الله: كمصابرة العدو، وأن يقصدوا بقتالهم نصرة دين الله ، وأداء الأمانة وعدم المحاباة في نصر دين الله، وحقوق القادة: كالتزام طاعتهم، وامتثال أوامرهم، وحقوق الجند: كاستعراضهم، وتفقد أحوالهم، والرفق بهم في السير، وتحريضهم على القتال. . .إلخ.

وتكلمت عن علاقة عمر مع الملوك، وعن نتائج الفتوحات العمرية، وعن الأيام الأخيرة في حياة الفاروق، وعن فهمه لفقه القدوم على الله الذي كان مهيمنًا على نفسه ومتغلغلاً في قلبه منذ إسلامه حتى استشهاده .

لقد حاولت في هذا الكتاب أن أُبين كيف فهم الفاروق الإسلام وعاش به في دنيا الناس، وكيف أثر في مجريات الأمور في عصره، وتحدثت عن جوانب شخصيته المتعددة: السياسية، والعسكرية، والإدارية والقضائية، وعن حياته في المجتمع لَمَّا كان أحد رعاياه وبعد أن تولى الخلافة بعد الصديق، وركّزت على دوره في تطوير المؤسسات المالية والقضائية والإدارية والعسكرية .

إن هذا الكتاب يبرهن على عظمة الفاروق ، ويثبت للقارئ أنه كان عظيمًا بإيمانه، عظيمًا بعلمه، عظيمًا بفكره عظيمًا ببيانه، عظيمًا بخلقه ، عظيمًا بآثاره ـ فقد جمع الفاروق العظمة من أطرافها، وكانت عظمته مستمدة من فهمه وتطبيقه للإسلام وصلته العظيمة بالله واتباعه لهدي الرسول الكريم ﷺ .

إن الفاروق من الأئمة الذين يرسمون للناس خط سيرهم ويتأسى بهم الناس بأقوالهم وأفعالهم في هذه الحياة، فسيرته من أقوى مصادر الإيمان والعاطفة الإسلامية الصحيحة والفهم السليم لهذا الدين، فما أحوج الأمة الإسلامية إلى الرجال الأَكْفَاء الذي يقتدون بالصحابة الكرام، ويجسّدون المعاني السامية فيحيونها بتضحيات يراها الناس ويحسُّون بها! إن تاريخ الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام، يظل مذكرًا للأمة عبر الأجيال، ويكون الانتفاع به بالتأسِّي بأولئك العظماء، وتطبيق تلك المواقف الكريمة من عظماء الرجال الذين يشاركون أفراد الأمة في ظروف الحياة المعاصرة؛ حتى لا يظن ظان أن هذه المواقف والدروس والعبر، إنما كانت في عصور ملائمة لوجودها، وأن تكرارها يتطلب ظروفًا حياتية مشابهة، والحقيقة تقول: إنه كلما قويَ المحرك الإيماني واتضح فقه القدوم على الله، وحرص المسلمون على العمل به- فإن الله يتكفل بنصر أوليائه وتسخير ظروف الحياة لصالحهم.

هذا، وقد اجتهدت في دراسة شخصية الفاروق وعصره حسب وسعي وطاقتي،

غيـر مدع عصـمة، ولا متـبرئٍ من زلة، ووجه الله العـظيم لا غيره قـصدت، وثوابه أردت، وهو المسئول في المعونة عليه والانتفاع به، إنه طيب الأسماء، سميع الدعاء.

هذا، وقد انتـهيت من هذا الكتـاب يوم الأربعاء السـاعة السـابعة وخـمس دقائق صباحًـا بتاريخ ١٣ رمضان ١٤٢٢هـ ـ الموافق ٢٨ نوفمـبر ٢٠٠١م، والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله -سـبحانه وتعالى- أن يتقبل هذا العمل، ويشـرح صدور العباد للانتفاع به ويبارك فيه بمـنه وكرمه وجوده ـ قال تعالى: ﴿ **مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ (فاطر، آية: ٢).

ولايسعـني في نهاية هذه المقـدمة إلا أن أقف بقلب خـاشع منيب بين يدى الله -عز وجل- معترفًا بفضله وكـرمه وجوده، فهو المتفضل وهو المكرم وهو المعين وهو الموفِّق؛ فله الحـمد على مـا منّ به عليَّ أولاً وآخرًا، وأسـأله -سبـحانه- بأسـمائه الحسنى وصفـاته العلا: أن يجعل عملي لوجهــه خالصًا، ولعباده نافعًـا، وأن يثيبني على كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بما يملكون كافةً من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، وأرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه، قال تعـالى: ﴿**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾ (النمل، آية: ١٩)

سبحانك الله وبحمدك، أشهـد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه:

علي محمد محمد الصلابي

١٣ رمضان ١٤٢٢هـ

* ■ *

■ الفصل الأول ■

عمر ﷺ بمكة

المبحث الأول

اسمه ونسبه وكنيته وصفته وأسرته وحياته في الجاهلية

أولاً- اسمه ونسبه وكنيته وألقابه:

هو عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العُزَّى بن رياح بن عبد الله بن قُرط بن رَزاح بن عدي بن كعب بن لؤي[١] بن غالب القرشي العدوي[٢]، يجتمع نسبه مع رسول الله ﷺ في كعب بن لؤي بن غالب[٣]، ويكنى أبا حفص[٤]، ولقب بالفاروق[٥]؛ لأنه أظهر الإسلام بمكة ففرّق الله به بين الكفر والإيمان[٦].

ثانيًا- مولده وصفته الخَلْقية:

ولد عمر ﷺ بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة[٧]، وأما صفته الخَلْقية، فكان ﷺ أبيض أمهق تعلوه حمرة، حسن الخدين والأنف والعينين، غليظ القدمين والكفين، مجدول اللحم، وكان طويلاً جسيمًا أصلع، قد فرع الناسَ، كأنه راكب على دابة، وكان قويًّا شديدًا، لا واهنًا ولا ضعيفًا[٨]، وكان يخضب بالحناء، وكان طويل السَّبَلة[٩] وكان إذا مشى أسرع، وإذا تكلم أسمع، وإذا ضرب أوجع[١٠].

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٦٥)، محض الصواب لابن عبد الهادي (١/ ١٣١) .

(٢) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١/ ١٣١).

(٣) المصدر نفسه (١/ ١٣١).

(٤) صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق عمر بن الخطاب ص١٥ .

(٥، ٦) المصدر نفسه ص١٥ .

(٧) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٣٣ .

(٨) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعاني ص١٥ .

(٩) السبلة: طرف الشارب، وكان إذا غضب أو حزنه أمر يمسك بها ويفتلها .

(١٠) تهذيب الأسماء (٢/ ١٤) للنووي، أوليات الفاروق للقرشي ص٢٤ .

ثالثًا- أسرته:

أما والده، فهـو الخطاب بن نفيل، وقد كان جـد عمر نفيل بن عـبد العزى ممن تتحاكم إلـيه قريش[(١)]. وأما والدته فهي حنتمـة بنت هاشم بن المغيرة، وقيل: بنت هاشم أخت أبي جهل[(٢)]، والذي عليه أكثر المؤرخين هو أنها بنت هاشم ابنة عم أبي جهل بن هشام[(٣)]. وأما زوجـاته وأبناؤه وبناته: فقد تزوج في الجـاهلية زينب بنت مظعـون أخت عثمـان بن مظعون، فـولدت له عبـد الله، وعبـد الرحمن الأكـبر، وحفـصة، وتزوج مليكة بنت جـرول، فولدت له عـبيـد الله، فطلقها فـي الهدنة، فَخَلَفَه عليها أبو الجهم بن حذيفة، وتزوج قُرَيْبة بنت أبي أمية المخزومي، ففارقها في الهدنة، فتـزوجها بعده عبد الرحـمن بن أبي بكر، وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام بعد زوجها عكرمة بن أبي جهل حين قتل في الشام[(٤)]، فولدت له فاطمة، ثم طلقها وقيل لم يطلقها[(٥)]، وتزوج جميلة بنت[(٦)] عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح من الأوس، وتزوج عاتكة بنت زيد بـن عمرو بن نُفيـل، وكانت قبله عند عـبد الله بن أبي بكر[(٧)]، ولما قتل عـمر تزوجهـا بعده الزبير بن العـوام ﵁، ويقال هي أم ابنه عياض، فالله أعلم.

وكان قد خطب أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق، وهي صغيرة وراسل فيها عائشة فقالت أمُّ كلثوم: لا حاجة لي فيه، فقالت عائشة: أترغبين عن أمير المؤمنين؟ قالت: نعم؛ إنه خشن العيش، فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص، فصدّه عنها ودلّه على أمّ كلثوم بنت علي بـن أبي طالب، من فاطمة بنت رسـول الله ﷺ، وقال: تعلق منهـا بسبب من رسـول الله ﷺ، فخطبها من عـلي، فزوجه إياها، فأصدقـها

(١) نسب قريش للزبيري ص٣٤٧ .
(٢) أوليات الفاروق السياسية ص٢٢ .
(٣) المصدر نفسه ص٢٢ .
(٤) البداية والنهاية (٧/ ١٤٤).
(٥) المصدر نفسه (٧/ ١٤٤).
(٦) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية خلافة عمر للسُلمي ص٧ .
(٧) المصدر نفسه ص٧ .

عمر ﵁ أربعين ألفًا، فولدت له زيدًا ورقية[١]، وتزوج لُهْيَة امرأة من اليمن فولدت له عبد الرحمن الأصغر، وقيل الأوسط. وقال الواقدي: هي أم ولد وليست بزوجة[٢]، قالوا: وكانت عنده فكيهة أم ولد، فولدت له زينب، قال الواقدي: وهي أصغر ولده[٣] فجملة أولاده ﵁ ثلاثة عشر ولدًا، وهم: زيد الأكبر، وزيد الأصغر، وعاصم، وعبد الله، وعبد الرحمن الأكبر، وعبد الرحمن الأوسط، وعبد الرحمن الأصغر، وعبيد الله، وعياض، وحفصة، ورقية، وزينب، وفاطمة ﵃، ومجموع نسائه اللاتي تزوجهن في الجاهلية والإسلام ممن طلقهن أو مات عنهن سبع[٤]، وكان ﵁ يتزوج من أجل الإنجاب والإكثار من الذرية، فقد قال ﵁: ما آتي النساء للشهوة، ولولا الولد ما باليت ألا أرى امرأة بعيني[٥]، وقال ﵁: إني لأكره نفسي على الجماع؛ رجاء أن يخرج الله مني نسمة تسبحه وتذكره[٦].

رابعًا- حياته في الجاهلية:

أمضى عمر في الجاهلية شطرًا من حياته، ونشأ كأمثاله من أبناء قريش، وامتاز عليهم بأنه كان ممن تعلموا القراءة وهؤلاء كانوا قليلين جدًّا[٧]، وقد حمل المسئولية صغيرًا، ونشأ نشأة غليظة شديدة، لم يعرف فيها ألوان الترف ولا مظاهر الثروة، ودفعه أبوه الخطاب في غلظة وقسوة إلى المراعي يرعى إبله، وتركت هذه المعاملة القاسية من أبيه أثرًا سيئًا في نفس عمر ﵁، فظل يذكرها طيلة حياته، فهذا عبد الرحمن بن حاطب يحدثنا عن ذلك فيقول: كنت مع عمر بن الخطاب بضجنان[٨]، فقال: كنت أرعى للخطاب بهذا المكان، فكان فظًّا غليظًا، فكنت أرعى أحيانًا وأحتطب

---

(١) الكامل في التاريخ (٢/ ٢١٢)

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري (٥/ ١٩١).

(٣) تاريخ الأمم والملوك (٥/ ١٩٢).

(٤) البداية والنهاية (٧/ ١٤٤).

(٥) الشيخان أبو بكر وعمر برواية البلاذري، تحقيق الدكتور إحسان صدقي ص٢٢٧ .

(٦) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، قاسم عاشور ص١١٢ .

(٧) الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب، فاروق مجدلاوي ص٩٠ .

(٨) ضجنان: جبل على مسيرة بَرِيدٍ من مكة، وقيل على مسافة ٢٥كم.

أحيانًا[١] ولأن هذه الفترة كانت قاسية في حياة عمر، فإنه كان يكثر من ذكرها فيحدثنا سعيد بن المسيب -رحمه الله- قائلاً: حجّ عمر، فلما كان بضجنان قال: لا إله إلا الله العلي العظيم، المعطي ما شاء، لمن شاء. كنت أرعى إبل الخطاب بهذا الوادي، في مدرعة صوف، وكان فظًّا، يتعبني إذا عملت، ويضربني إذا قصرت، وقد أمسيت ليس بيني وبين الله أحد، ثم تمثل:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويُردى المال والولد

لم تغن عن هُرمُزٍ يومًا خزائنه ... والخلد قد حاولت عادٌ فما خلدوا

ولا سليمان إذ تجري الرياح له ... والإنس والجن فيما بينها بردُ

أين الملوك التي كانت نواهلها ... من كل أوب إليها راكب يفد

حوضًا هنالك، مورود بلا كذب ... لا بد من وِرْدِه يومًا كما وردوا[١]

ولم يكن ابن الخطاب رضي الله عنه يرعى لأبيه وحده بل كان يرعى لخالات له من بني مخزوم، وذُكر لنا ذلك عن عمر رضي الله عنه نفسه حين حدثته نفسه يومًا وهو أمير المؤمنين، أنه أصبح أميرًا للمؤمنين فمن ذا أفضل منه... ولكي يُعرِّف نفسه قدرها - كما ظن- وقف يومًا بين المسلمين يعلن أنه لم يكن إلا راعي غنم، يرعى لخالات له من بني مخزوم، يقول محمد بن عمر المخزومي عن أبيه: نادى عمر بن الخطاب بالصلاة جامعة، فلما اجتمع الناس، وكبروا، صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال: أيها الناس، لقد رأيتني أرعى على خالات لي من بني مخزوم، فيقبضن لي قبضة من التمر أو الزبيب، فأظل يومي وأي يوم. ثم نزل، فقال له عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين، ما زدت على أن قمّأت نفسك - عبْتَ - فقال: ويحك يابن عوف! إني خلوت فحدثتني نفسي، قالت: أنت أمير المؤمنين، فمن ذا أفضل منك؟ فأردت أن أعرفها نفسها وفي رواية: إني وجدت في نفسي شيئًا، فأردت أن أطأطئ منها [٣].

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٥٢/٢٦٨)، طبقات ابن سعد (٣/٢٦٦) وقال الدكتور عاطف لماضة: صحيح الإسناد.
(٢) الفاروق مع النبي د. عاطف لماضة ص٥ ، نقله عن ابن عساكر (٥٢/٢٦٩).
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٢٩٣) وله شواهد تقويه.

ولا شك أن هذه الحرفة - الرعي - التي لازمت عـمر بن الخطاب في مكة قبل أن يدخل الإسلام، قد أكسبته صفات جـميلة: كقوة التحمل، والجلد وشدة البأس، ولم يكن رعي الغنم هو شغل ابن الخطاب في جـاهليته[١]، بل حذق من أول شبابه ألوانًا من رياضة البدن، فحذق المصارعة، وركـوب الخيل والفروسية، وتذوق الشعر ورواه»[٢]، وكان يهـتم بتاريخ قومـه وشئونـهم، وحرص على الحضـور في أسواق العرب الكـبرى، كـ «عكاظ» و« جنة » و «ذي المجاز» واسـتفـاد منها في التـجارة ومعرفة تاريخ العـرب وما حدث بين القبائل من وقائع ومفـاخرات ومنافرات، حيث تعـرض تلك الأحداث في إطار آثار أدبيـة يتناولهـا كبـار الأدباء بالنقد على مـرأى ومسـمع من ملأ القبـائل وأعيانهـا؛ مما جعل التاريخ العـربي عرضًا دائم الحـركة لا ينسدل عليه ستار النسيان، وربما تطاير شرر الحوادث فكانت الحرب وكانت عكاظ - بالذات- سببًا مباشرًا في حروب أربع سميت حروب الفجار»[٣] .

واشتغل عمر رضي الله عنه بالتجارة وربح منها ما جعله من أغنياء مكة، وكسب معارف متعـددة من البلاد التي زارها للتجارة، فـرحل إلى الشام صيفًا وإلى اليـمن شتاء[٤] واحتل مكـانةً بارزة في المجتمـع المكي الجاهلي، وأسـهم بشكل فعّـال في أحداثه، وساعده تاريخ أجداده المجيـد، فقد كان جده نفيل بن عبد العـزى تحتكم إليه قريش في خصوماتها[٥]، فضلاً عن أن جده الأعلى كعب بن لؤي كان عظيم القدر والشأن عند العرب، فقد أرّخوا بسنة وفاته إلى عام الفيل[٦]، وتوارث عمر عن أجداده هذه المكانة المهمة التي أكـسبته خبرة ودراية ومـعرفة بأحوال العرب وحيـاتهم، فضلاً عن فطنته وذكـائه، فلجئوا إليه فـي فض خصوماتهم، يقـول ابن سعد : «إن عمـر كان يقضي بين العرب في خصوماتهم قبل الإسلام» [٧].

(١) الفاروق مع النبي ص٦ .
(٢) التاريخ الإسلامي العام، علي حسن إبراهيم ص٢٢٦ ، الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب ص٩٠ .
(٣) عمر بن الخطاب، حياته، علمه، أدبه، د. علي أحمد الخطيب ص١٥٣ .
(٤) عمر بن الخطاب، د. محمد أحمد أبو النصر ص١٧ .
(٥) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، د. العاني ص١٦ .
(٦) تاريخ خليفة بن خياط ص(١/ ٧) نقلاً عن د. العاني ص١٦ .
(٧) الخليفة الفاروق د. العاني ص١٦ .

وكان رضي الله عنه، رجلاً حكيمًا، بليغًا، حصيفًا، قويًا، حليمًا، شريفًا، قوي الحجة، واضح البيان، مما أهله لأن يكون سفيرًا لقريش، ومفاخرًا ومنافرًا لها مع القبائل[١]، قال ابن الجوزي: كانت السفارة إلى عمر بن الخطاب، إن وقعت حرب بين قريش وغيرهم بعثوه سفيرًا، أو نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر، بعثوه منافرًا ومفاخرًا، ورضوا به رضي الله عنه[٢].

وكان يدافع عن كل ما ألفته قريش من عادات وعبادات ونظم وكانت له طبيعة مخلصة تجعله يتفانى في الدفاع عما يؤمن به، وبهذه الطبيعة التي جعلته يشتد في الدفاع عما يؤمن به، قاوم عمر الإسلام في أول الدعوة، وخشي عمر أن يهز هذا الدين الجديد النظام المكي الذي استقر، والذي يجعل لمكة بين العرب مكانًا خاصًّا؛ ففيها البيت الذي يُحَجّ إليه والذي جعل قريشًا ذات مكانة خاصة عند العرب، والذي صار لمكة بوجوده فيها ثروتها الروحية، وثروتها المادية؛ فهو سبب ازدهارها وغِنى سَرَاتها؛ ولهذا قاوم سراة مكة هذا الدين، وبطشوا بالمستضعفين من معتنقيه وكان عمر من أشد أهل مكة بطشًا بهؤلاء المستضعفين[٣].

ولقد ظل يضرب جارية أسلمت، حتى عيت يداه، ووقع السوط من يده، فتوقف إعياء، ومر أبو بكر فرآه يعذب الجارية، فاشتراها منه وأعتقها[٤].

لقد عاش عمر في الجاهلية وسبر أغوارها، وعرف حقيقتها وتقاليدها وأعرافها، ودافع عنها بكل ما يملك من قوة؛ ولذلك لما دخل في الإسلام عرف جماله وحقيقته وتيقن الفرق الهائل بين الهدى والضلال والكفر والإيمان والحق والباطل؛ ولذلك قال قولته المشهورة: إنما تنقض عُرا الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية[٥].

---

(١) الخليفة الفاروق د. العاني ص١٦ .

(٢) مناقب عمر ص١١ .

(٣، ٤) الفاروق عمر، عبد الرحمن الشرقاوي ص٨ .

(٥) الفتاوى (١٥/٣٦)، فرائد الكلام للخلفاء الكرام ص١٤٤ .

المبحث الثاني

إسلامه وهجرته

أولاً- إسلامه:

كانت أولى شعاعة من نور الإيمان لامست قلبه، يوم رأى نساء قريش يتركن بلدهن ويرحلن إلى بلد بعيد عن بلدهن بسبب ما لقين منه ومن أمثاله؛ فرق قلبه، وعاتبه ضميره؛ فرثى لهن، وأسمعهن الكلمة الطيبة التي لم يكنّ يطمعن أن يسمعن منه مثلها[١].

قالت أم عبد الله بنت حنتمة: لما كنا نرتحل مهاجرين إلى الحبشة، أقبل عمر حتى وقف عليّ، وكنا نلقى منه البلاء والأذى والغلظة علينا، فقال لي: إنه الانطلاق يا أم عبد الله؟ قلت: نعم، والله لنخرجنّ في أرض الله، آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا فرجًا. فقال عمر: صحبكم الله. ورأيت منه رقة لم أرها قط. فلما جاء عامر بن ربيعة وكان قد ذهب في بعض حاجته وذكرت له ذلك فقال: كأنك قد طمعت في إسلام عمر؟ قلت له: نعم، فقال: إنه لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب[٢].

لقد تأثر عمر من هذا الموقف وشعر أن صدره قد أصبح ضيقًا حرجًا؛ فأي بلاء يعانيه أتباع هذا الدين الجديد، وهم على الرغم من ذلك صامدون! ما سر تلك القوة الخارقة؟! وشعر بالحزن وعصر قلبه الألم[٣]، وبعد هذه الحادثة بقليل أسلم عمر ﷺ وبسبب دعوة رسول الله ﷺ، فقد كانت السبب الأساسي في إسلامه فقد دعا له بقوله: «اللهم أعزَّ الإسلام بأحب الرجلين إليك: بأبي جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب»، قال: وكان أحبهما إليه عمر[٤]. وقد ساق الله الأسباب لإسلام عمر ﷺ، فعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: ما سمعت عمر لشيء قط يقول: إني

---

(١) أخبار عمر، الطنطاويات ص١٢ .

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٢١٦)، فضائل الصحابة للإمام أحمد (١/ ٣٤١) إسناد حسن.

(٣) الفاروق عمر ص٩ .

(٤) الترمذي (٣٦٨٢) المناقب، وصححه الألباني، صحيح الترمذي ٢٩٠٧ .

لأظنه كذا، إلا كان كما يظن، بينما عمر جالس إذ مرّ به رجل جميل، فقال عمر: لقد أخطأ ظني، أو إن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم. عليّ بالرجل، فدُعي له، فقال له ذلك. فقال: ما رأيت كاليوم استُقبل به رجلٌ مسلم. قال: فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني.

قال: كنت كاهنهم في الجاهلية.

قال: فما أعجب ما جاءتك به جنّيتُك؟ قال: بينما أنا يومًا في السوق جاءتني أعرف فيها الفزع فقالت: ألم تر الجن وإبلاسها[١]، ويأسها من بعد إنكاسها[٢]، ولحوقها بالقلاص وأحلاسها[٣]

قال عمر: صدق، بينما أنا نائم عند آلهتهم، إذ جاء رجل بعجل فذبح، فصرخ به صارخ، لم أسمع صارخًا قط أشد صوتًا منه يقول: يا جليح[٤] أمر نجيح، رجل فصيح، يقول: لا إله إلا الله. فقمت، فما نشبنا[٥] أن قيل: هذا نبي[٦].

وقد ورد في سبب إسلام الفاروق رضي الله عنه الكثير من الروايات، ولكن بالنظر إلى أسانيدها من الناحية الحديثية فأكثرها لا يصح[٧]، ومن خلال الروايات التي ذكرت في كتب السيرة والتاريخ يمكن تقسيم إسلامه إلى عناوين منها:

١- عزمه على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم:

كانت قريش قد اجتمعت فتشاورت في أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: أي رجل يقتل محمدًا؟ فقال عمر بن الخطاب: أنا لها، فقالوا: أنت لها يا عمر، فخرج في الهاجرة، في يوم شديد الحر، متوشحًا سيفه يريد رسول الله ورهطًا من أصحابه، فيهم أبو بكر

---

(١) إبلاسها: المراد به اليأس ضد الرجاء.

(٢) الإنكاس: الانقلاب.

(٣) القلاص جمع قَلُوص، وهي الفتية من النياق، والأحلاس: جمع حلس، وهو ما يوضع على ظهور الإبل.

(٤) يا جليح: معناه الوقح المكافح بالعداوة.

(٥) فما نشبنا: أي لم نتعلق بشيء من الأشياء حتى سمعنا أن النبي قد خرج.

(٦) البخاري رقم ٣٨٦٦ .

(٧) صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق ص٢٣ وقد ذكر الروايات التي ذكر منها إسلام عمر، وخرجها وحكم على أسانيدها.

وعلي وحمزة رضي الله عنهم في رجال من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة، وقد ذكروا له أنهم اجتمعوا في دار الأرقم في أسفل الصفا. فلقيه نُعَيم بن عبد الله النّحّام. فقال: أين تريد ياعمر؟ قال: أريد هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش وسفّه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها، فأقتله. قال له نُعَيم: لبئس المشى مشيت يا عمر، ولقد والله غرّتك نفسك من نفسك، ففرّطت وأردت هلكة بني عديّ، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدًا؟ فتحاورا حتى علت أصواتهما، فقال عمر: إني لأظنك قد صبوت ولو أعلم ذلك لبدأت بك، فلما رأى النَّحَّام أنه غير مُنْتَه قال: فإني أخبرك أن أهلك وأهل ختَنك قد أسلموا وتركوك وما أنت عليه من ضلالتك، فلما سمع مقالته قال: وأيهم؟ قال: ختَنك وابن عمك وأختك(١).

٢- مداهمة عمر بيت أخته وثبات فاطمة بنت الخطاب أمام أخيها:

لما سمع عمر أن أخته وزوجها قد أسلما احتمله الغضب وذهب إليهما فلما قرع الباب قالوا: من هذا؟ قال: ابن الخطاب. وكانوا يقرءون كتابًا في أيديهم، فلما سمعوا حس عمر قاموا مبادرين فاختبئوا ونسوا الصحيفة على حالها، فلما دخل ورأته أخته عرفت الشر في وجهه، فخبأت الصحيفة تحت فخذها قال: ما هذه الهَيْنَمَة والصوت الخفي الذي سمعته عندكما؟ وكانوا يقرءون ﴿طه﴾ .

فقالا: ما عدا حديثًا تحدثناه بيننا. قال: فلعلكما قد صبوتما، فقال له ختنه: أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟ فوثب عمر على ختنه سعيد وبطش بلحيته فتواثبا، وكان عمر قويًا شديدًا، فضرب بسعيد الأرض ووطئه وطأ ثم جلس على صدره، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فنفحها نفحة بيده، فدمى وجهها، فقالت وهي غضبى: يا عدو الله، أتضربني على أن أوحّد الله؟ قال: نعم. قالت: ما كنت فاعلاً فافعل، أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لقد أسلمنا على

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٣) وفيه انقطاع، الطبقات لابن سعد (٣/ ٢٦٧) عن القاسم بن عثمان البصري عن أنس، والقاسم ضعيف، وقد حقق الروايات الدكتور وصي الله محمد عبّاس في تحقيقه لكتاب «فضائل الصحابة» للإمام أحمد بن حنبل (١/ ٣٤٢).

رغم أنفك، فلما سمعها عمر ندم وقام عن صدر زوجها، فقعد، ثم قال: أعطوني هذه الصحيفة التي عندكم فأقرأها، فقالت أخته: لا أفعل. قال: ويحك قد وقع في قلبي ما قلت، فأعطينيها أنظر إليها، وأعطيك من المواثيق ألا أخونك حتى تحرزيها حيث شئت. قالت: إنك رجس و﴿لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ فقم فاغتسل أو توضأ، فخرج عمر ليغتسل ورجع إلى أخته فدفعت إليه الصحيفة وكان فيها «طه» وسور أخرى فرأى فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، فلما مرّ بـ «الرحمن الرحيم» ذعر؛ فألقى الصحيفة من يده، ثم رجع إلى نفسه فأخذها فإذا فيها: ﴿طه (١) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ (٢) إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (٣) تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلا (٤) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ (٥) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ (٦) وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ١-٨].

فعظمت في صدره، فقال: من هذا فرّت قريش؟ ثم قرأ. فلمَّا بلغ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (١٥) فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [طه: ١٤-١٦].

قال: ينبغي لمن يقول هذا ألا يُعبد معه غيره، دلوني على محمد[١].

٣- ذهابه لرسول الله وإعلان إسلامه:

فلما سمع خبّاب رضي الله عنه ذلك خرج من البيت وكان مختفيًا وقال أبشر يا عمر؛ فإني أرجو أن تكون قد سبقت فيك دعوة رسول الله ﷺ يوم الاثنين: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب»[٢].

قال: دلوني على مكان رسول الله، فلما عرفوا منه الصدق قالوا: هو في أسفل

---

(١) فضائل الصحابة للإمام أحمد (١/ ٣٤٤).

(٢) سبق تخريجه، عمر بن الخطاب الطنطاويات ص١١٧.

الصفا. فأخذ عمر سيفه فتوشّحه ثم عمد إلى رسول الله وأصحابه، فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته وَجِلوا ولم يجترئ أحد منهم أن يفتح له؛ لما قد علموا من شدته على رسول الله ﷺ، فلما رأى حمزة رضي الله عنه وجَلَ القوم قال: ما لكم؟ قالوا: عمر بن الخطاب قال: عمر بن الخطاب؟ افتحوا له، فإن يرد الله به خيرًا يُسلم، وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينًا، ففتحوا، وأخذ حمزة ورجل آخر بعضديه حتى أدخلاه على رسول الله ﷺ، فقال أرسلوه[١]، ونهض إليه رسول الله ﷺ وأخذ بحجزته[٢]، وبجمع ردائه ثم جبذه جَبْذَة شديدة، وقال: ما جاء بك يابن الخطاب؟ والله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة، فقال له عمر: يا رسول الله، جئتك أؤمن بالله وبرسوله وبما جئت به من عند الله، قال: فكبّر رسول الله ﷺ فعرف أهل البيت من أصحاب رسول الله أن عمر قد أسلم، فتفرق أصحاب رسول الله من مكانهم وقد عزّوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة بن عبد المطلب، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله، وينتصفون بهما من عدوهم[٣].

حرص عمر على الصدع بالدعوة وتحمله الصعاب في سبيلها:

دخل عمر في الإسلام بإخلاص متناهٍ، وعمل على تأكيد الإسلام بكل ما أوتي من قوة، وقال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال ﷺ: بلى، والذي نفسي بيده إنكم على الحق، إن متّم وإن حييتم. قال: ففيمَ الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لَتَخرجنّ. وكان الرسول ﷺ -على ما يبدو- قد رأى أنه قد آن الأوان للإعلان، وأن الدعوة قد غدت قوية تستطيع أن تدفع عن نفسها، فأذن بالإعلان، وخرج ﷺ في صفّين: عمر في أحدهما، وحمزة في الآخر ولهم كديد ككديد الطحين[٤]، حتى دخل المسجد، فنظرت قريش إلى عمر وحمزة فأصابتهم كآبة لم تصبهم قط وسمّاه رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق[٥].

(١) أخبار عمر، الطنطاويات ص١٨ .
(٢) حجزة الإنسان: معقد السراويل والإزار، لسان العرب (٥/ ٣٣٢).
(٣) فضائل الصحابة للإمام أحمد (١/ ٣٤٤).
(٤) الكديد: التراب الناعم فإذا وطئ ثار غباره.
(٥) حلية الأولياء (١/ ٤٠)، صفة الصفوة (١/ ١٠٣-١٠٤).

لقد أعز الله الإسلام والمسلمين بإسلام عمر بن الخطاب ﷺ، فقد كان رجلاً ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره، وامتنع به أصحاب رسول الله ﷺ وبحمزة[١].

وتحدى عمر بن الخطاب ﷺ مشركي قريش: فقاتلهم حتى صلى عند الكعبة[٢] وصلى معه المسلمون، وحرص عمر ﷺ على أذية أعداء الدعوة بكل ما يملك، ونتركه يحدثنا عن ذلك بنفسه قال ﷺ: كنت لا أشاء أن أرى رجلاً من المسلمين، فذهبت إلى خالي أبي جهل - وكان شريفًا فيهم - فقرعت عليه الباب، فقال: من هذا؟ قلت ابن الخطاب. فخرج إليّ فقلت: أعلمت أني قد صبوت؟ قال: فعلت؟ قلت: نعم. قال: لا تفعل. قلت: بلى. قال: لا تفعل، ثم دخل وأجاف الباب (أي رده) دوني وتركني. قلت: ما هذا بشيء. فذهبت إلى رجل من أشراف قريش فقرعت عليه بابه، فقيل: من هذا؟ قلت: ابن الخطاب، فخرج إليّ، فقلت: أشعرت أني صبوت؟ قال: أفعلت؟ قلت: نعم. قال: لا تفعل، ودخل فأجاف الباب دوني، فقلت: ما هذا بشيء، فقال لي رجل: أتحب أن يُعلم إسلامك؟ قلت: نعم. قال: إذا جلس الناس في الحِجْر، جئتَ إلى ذلك الرجل (جميل بن معمر الجمحي) فجلست إلى جانبه وقلت: أعلمت أني صبوت؟ فلما جلس الناس في الحِجْر فعلت ذلك، فقام فنادى بأعلى صوته: إن ابن الخطاب قد صبأ. وثار إليّ الناس يضربونني وأضربهم[٣].

وفي رواية عبد الله بن عمر ﷺ قال: لما أسلم عمر لم تعلم قريش بإسلامه، فقال: أي أهل مكة أنقل للحديث؟ قيل له جميل بن معمر الجُمحي. فخرج إليه وأنا معه أتبع أثره، وأنظر ما يفعل، وأنا غلام أعقل كلّما رأيت وسمعت. فأتاه فقال: يا جميل إني قد أسلمت فوالله ما ردّ عليه كلمة حتى قام يجرّ رداءه، وتبعه عمر واتبعت أبي، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش: وهم في أنديتهم حول الكعبة ألا إنَّ عمر بن الخطاب قد صبأ. وعمر يقول من

---

(١) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب ص٢٦، ٢٧.

(٢) الرياض النضرة (١/ ٢٥٧) لمحب الطبري.

(٣) شرح المواهب (١/ ٣٢٠)، أخبار عمر، الطنطاويات ص١٩.

خلفه: كذب ولكنني أسلمت وشهدت ألا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله. فثاروا إليه، فوثب عمر على عتبة بن ربيعة، فبرك عليه وجعل يضربه، وأدخل إصبعيه في عينيه، فجعل عُتبة يصيح؛ فتنحى الناس عنه، فقام عمر فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ شريف من دنا منه، حتى أحجم الناس عنه، واتبع المجالس التي كان يجلسها بالكفر فأظهر فيها الإيمان[١]، وما زال يقاتلهم حتى ركدت الشمس على رءوسهم وفتر عمر وجلس، فقاموا على رأسه، فقال: افعلوا ما بدا لكم، فوالله لو كنا ثلاثمائة رجل لتركتموها لنا، أو تركناها لكم. فبينما هم كذلك إذ جاء رجل عليه حلة حرير وقميص مُوَشّى، قال: ما بالكم؟ قالوا: ابن الخطاب قد صبأ. قال: فمه؟ امرؤ اختار دينًا لنفسه، أتظنون أن بني عديّ يُسلمون إليكم صاحبهم، فكأنما كانوا ثوبًا انكشف عنه، فقلت له بالمدينة: يا أبت، من الرجل ردّ عنك القوم يومئذ؟ قال: يا بني، ذاك العاص بن وائل السهمي[٢].

٥- أثر إسلامه على الدعوة:

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نطوف بالبيت ونصلي، حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا، فصلينا وطفنا[٣] وقال أيضًا: كان إسلام عمر فتحًا، وكانت هجرته نصرًا، وكانت إمارته رحمة، لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي ونطوف بالبيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتلناهم حتى تركونا نصلي[٤] . وقال صهيب بن سنان:

لما أسلم عمر بن الخطاب، ظهر الإسلام، ودعي إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقًا، وطفنا بالبيت وانتصفنا ممن غلظ علينا ورددنا عليه[٥] .

ولقد صدق في عمر ﷺ قول القائل:

---

(١) الرياض النظرة ص٣١٩ .

(٢) فضائل الصحابة للإمام أحمد (١/ ٣٤٦) إسناده حسن.

(٣) فضائل الصحابة (١/ ٣٤٤) إسناده حسن.

(٤) الشيخان أبو بكر وعمر برواية البلاذري ص١٤١ .

(٥) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٦٩)، صفة الصفوة (١/ ٢٧٤).

أعني به الفـــاروق فرّق عنوةً بالسيـف بين الكفـــر والإيمـان
هو أظهر الإســلام بعد خفائه ومحا الظلام وباح بالكتمـان[١]

٦- تاريخ إسلامه وعدد المسلمين يوم أسلم:

أسلم عــمــر رضي الله عنه في ذي الحــجــة من السنة الســادســة من النبــوة، وهو ابن سبع وعــشرين سنة[٢]، وكان إسلامــه بعد إسلام حمــزة رضي الله عنه بثلاثة أيام[٣]، وكان المسلمون يومئــذ تسعة وثلاثين قال عمر رضي الله عنه: لقد رأيتني وما أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تسعة وثلاثون رجــلاً فكملتهم أربعين، فأظهر الــله دينه، وأعز الإسلام، وروي أنهم كانوا أربعين أو بضعة وأربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة، ولكن عمر لم يكن يعرفهم كلهم؛ لأن غــالــب من أسلــم كان يخفي إسلامه خــوفًا من المشركين؛ ولا سيما عمر فقد كان عليهم شديدًا فذكر أنه أكملهم أربعين ولـم يذكر النساء؛ لأنه لا إعزاز بهن لضعفهن[٤].

ثانيًا- هجرته:

لما أراد عمر الهجرة إلى المدينة أبى إلا أن تكون عــلانية، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: قــال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: مــا علمت أن أحــدًا من المهــاجــرين هاجــر إلا متخــفيًا، إلا عمــر بن الخطاب؛ فإنه لما همّ بالهجــرة، تقلد سيفه، وتنكّــب قوسه، وانتضى في يده أسهمًــا، واختصر عَنَزَته[٥]، ومضى قبل الكعــبة، والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت ســبعًا متمكنًا، ثم أتى المقام، فــصلى متمكنًا، ثم وقف على الحلق واحـــدة، واحــدة، فــقـــال لهم: شــاهت الوجــوه، لا يُــرغم الله إلا هذه المعاطس[٦]، من أراد أن تثكله أمه، ويوتم ولده، أو يرمــل زوجه فليلقني وراء هذا الوادي. قال عليٌّ رضي الله عنه: فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علمهم وأرشدهم، ومضى لوجهه[٧]

---

(١) نونية القحطاني ص٢٢ . (٢) تاريخ الخلفاء ص١٣٧ . (٣، ٤) أخبار عمر، الطنطاويات ص٢٢ .
(٥) عنزته: العنزة :عصا في قدر نصف الرمح، وهي أطول من العصا وأقوى من الرمح.
(٦) المعاطس: الأنوف. (٧) خبر لا بأس به، انظر صحيح التوثيق في سيرة الفاروق ص٣٠ .

وكان قدوم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المدينة قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم إليها، وكان معه من لحق به من أهله وقومه، وأخوه زيد بن الخطاب، وعمرو وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر، وخنيس بن حذافة السهمي زوج ابنته حفصة، وابن عمه سعيد بن زيد، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وواقد بن عبد الله التميمي، حليف لهم، وخولى بن أبي خولى، ومالك بن أبي خولى، حليفان لهم من بني عجل، وبنو البكير، وإياس وخالد، وعاقل، وعامر، وحلفاؤهم من بني سعد بن ليث، فنزلوا على رفاعة بن عبد المنذر في بني عمرو بن عوف بقباء[1] .

يقول البراء بن عازب رضي الله عنه : أول من قدم علينا مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، وكانوا يُقرئون الناس، فقدم بلال، وسعد، وعمار بن ياسر، ثم قدم عمر ابن الخطاب في عشرين نفرًا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قدم النبي صلى الله عليه وسلم ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم[2] .

وهكذا ظل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خدمة دينه وعقيدته بالأقوال والأفعال لا يخشى في الله لومة لائم، وكان رضي الله عنه سندًا ومعينًا لمن أراد الهجرة من مسلمي مكة حتى خرج، ومعه هذا الوفد الكبير من أقاربه وحلفائه، وساعد عمر رضي الله عنه غيره من أصحابه الذين يريدون الهجرة وخشي عليهم من الفتنة والابتلاء في أنفسهم[3]، ونتركه يحدثنا بنفسه عن ذلك حيث قال: اتعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل السهمي، التناضب[4]، من أضاءة[5] بني غفار، فوق سَرِف[6]، وقلنا: أينا لم يصبح عندها فقد حُبس فليمض صاحباه. قال: فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التَّناضب، وحُبس عنا

---

(١) فتح الباري (٧/ ٢٦١) نقلاً عن صحيح التوثيق ص٣١ .

(٢) البخاري رقم ٣٩٢٥ .

(٣) صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق عمر بن الخطاب ص٣١ .

(٤) التناضب: جمع تَنْضُب وهو شجر.

(٥) الأضاءة: على عشرة أميال من مكة.

(٦) سرف: وادي متوسط الطول من أودية مكة.

هشام، وفُتن فافتتن[١]، فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقباء، وخرج أبو جهل بن هشـام والحارث بن هشام إلى عيّاش بن أبي ربيـعة، وكان ابن عمـهما وأخاهما لأمهما، حتى قدما علينا المدينة، ورسول الله ﷺ بمكة، فكلّماه وقالا: إن أمك نذرت ألا يمسّ رأسها مُشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرقّ لها، فقلت له: عياش، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك، فاحذرهم، فوالله لو قد آذى أمك القـمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليهـا حر مكة لاستظللت. قال: أبرُّ قسم أمي، ولي هناك مال فآخذه. قال: فقلت: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالاً، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما. قال: فأبى عليَّ إلا أن يخرج معهمـا، فلما أبى إلا ذلك، قال: قلت له: أما إذ قد فعلت ما فـعلت، فخذ ناقتي هذه، فإنها ناقة نجيبة ذلول[٢]، فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب فانج عليها، فخرج عليها معهـما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل: يا أخي، والله لقد استغلظت بعيري هذا، أفلا تُعقبني[٣] على ناقتك هذه؟ قال: بلى. قال: فأناخ، وأناخ، ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عدوا عليه، فأوثقاه، ثم دخلا به مكة، وفتناه فافتتن[٤]، قال: فكنا نقول: ما الله بقابل ممن افتتن صرفًا ولا عدلاً ولا توبة، قـوم عرفـوا الله ثم رجعـوا إلى الكفر لبـلاء أصابهم، قـال: وكانوا يقـولون ذلك لأنفسـهم، فلما قـدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل الله -تعـالى- فيهـم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ**﴾ [الزمر: ٥٣-٥٥].

قال عـمر بن الخطاب: فكتبـتها بيـدي في صحيـفة، وبعثت بهـا إلى هشام بن

(١) الهجرة النبوية المباركة، عبد الرحمن عبد البر ص١٢٩ .
(٢) الذلول: أذلها العمل، فصارت سهلة الركوب والانقياد.
(٣) تُعقبني: تجعلني أعقبك عليها لركوبها.
(٤) السيرة النبوية الصحيحة (١/ ٢٠٥).

العاص قال: فقال هشام: فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى[١]، أصَعِّد بها فيه، وأصَوِّبُ، ولا أفهمها حتى قلت: اللهمّ فهِّمنيها، قال: فألقى الله في قلبي أنها إنما أنزلت فينا، وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا. قال: فرجعت إلى بعيري فجلست عليه، فلحقت برسول الله ﷺ وهو بالمدينة[٢].

هذه الحادثة تظهر لنا كيف أعد عمر رضي الله عنه خطة الهجرة له، ولصاحبيه عياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص بن وائل السهمي، وكان ثلاثتهم كل واحد من قبيلة، وكان مكان اللقاء الذي اتعدوا فيه بعيدًا عن مكة وخارج الحرم على طريق المدينة، ولقد تحدد الزمان والمكان بالضبط بحيث إنه إذا تخلف أحدهم فليمض صاحباه ولا ينتظرانه؛ لأنه قد حبس، وكما توقعوا، فقد حبس هشام بن العاص رضي الله عنه بينما مضى عمر وعياش بهجرتهما ونجحت الخطة كاملة ووصلا المدينة سالمين[٣] إلا أن قريشًا صممت على متابعة المهاجرين، ولذلك أعدت خطة محكمة قام بتنفيذها أبو جهل والحارث، وهما أخوا عياش من أمه، الأمر الذي جعل عياشًا يطمئن إليهما، وبخاصة إذا كان الأمر يتعلق بأمه، فاختلق أبو جهل هذه الحيلة لعلمه بمدى شفقة ورحمة عياش بأمه، والذي ظهر جليًّا عندما أظهر موافقته على العودة معهم، كما تظهر الحادثة الحس الأمني الرفيع الذي كان يتمتع به عمر رضي الله عنه، حيث صدقت فراسته في أمر الاختطاف[٤]، كما تظهر المستوى العظيم من الأخوة التي بناها الإسلام فعمر يضحي بنصف ماله حرصًا على سلامة أخيه، وخوفًا عليه من أن يفتنه المشركون بعد عودته ﷺ، ولكن غلبت عياش عاطفته نحو أمه وبره بها؛ ولذلك قرر أن يمضي لمكة فيبر قسم أمه ويأتي بماله الذي هناك، وتأبى عليه عفته أن يأخذ نصف مال أخيه عمر رضي الله عنه وماله قائم في مكه لم يمس، غير أن أفق عمر رضي الله عنه كان أبعد، فكأنه يرى رأي العين المصير المشئوم الذي سينزل بعياش لو عاد إلى مكة،

---

(١) ذو طوى: واد من أودية مكة.

(٢) الهجرة النبوية المباركة ص١٣١ .

(٣) التربية القيادية (٢/ ١٥٩).

(٤) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث للصلابي ص٥١٢ .

وحين عجز عن إقناعه أعطاه ناقته الذلول النجيبة، وحدث لعياش ما توقعه عمر من غدر المشركين[١].

وساد في الصف المسلم أن الله -تعالى- لا يقبل صرفًا ولا عدلاً من هؤلاء الذين فتنوا فافتتنوا وتعايشوا مع المجتمع الجاهلي؛ فنزل قول الله -تعالى-: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ وما أن نزلت هذه الآيات حتى سارع الفاروق رضي الله عنه فبعث بها إلى أخويه الحميمين عياش وهشام؛ ليجددا محاولاتهما في مغادرة معسكر الكفر. أيُّ سمو عظيم عند ابن الخطاب رضي الله عنه؟! لقد حاول مع أخيه عياش، أعطاه نصف ماله على ألا يغادر المدينة، وأعطاه ناقته ليفر عليها ومع هذا كله، فلم يشمت بأخيه، ولم يتشفَّ منه لأنه خالفه، ورفض نصيحته، وألقى برأيه خلف ظهره، إنما كان شعور الحب والوفاء لأخيه هو الذي يسيطر عليه، فما أن نزلت الآية حتى سارع ببعثها إلى أخويه من مكة وإلى كل المستضعفين هناك؛ ليقوموا بمحاولات جديدة للانضمام إلى المعسكر الإسلامي[٢].

هذا، وقد نزل عمر بالمدينة، وأصبح وزير صدق لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين عويم بن ساعدة[٣]، وقيل بينه وبين عتبان بن مالك[٤]، وقيل بينه وبين معاذ بن عفراء[٥] وقد علق ابن عبد الهادي على ذلك وقال: لا تناقض بين الأحاديث، ويكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آخى بينه وبين كل أولئك في أوقات متعددة؛ فإنه ليس بممتنع أن يؤاخي بينه وبين كل أولئك في أوقات متعددة[٦]. اهـ

* ■ *

(١) التربية القيادية (٢/ ١٦٠).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ١٦٠).
(٣) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي ٣١ .
(٤) الطبقات لابن سعد (٣/ ٢٧٢).
(٥) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي ٣١ .
(٦) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١/ ١٨٤).

■ الفصل الثاني ■

التربية القرآنية والنبوية لعمر بن الخطاب رضي الله عنه

المبحث الأول

حياة الفاروق مع القرآن الكريم

أولاً- تصوره عن الله والكون والحياة والجنة والنار والقضاء والقدر:

كان المنهج التربوي الذي تربى عليه عمر بن الخطاب وكل الصحابة الكرام هو القرآن الكريم، المنزل من عند رب العالمين، فهو المصدر الوحيد للتلقي، فقد حرص الحبيب المصطفى ﷺ على توحيد مصدر التلقي وتفرده وأن يكون القرآن الكريم وحده هو المنهج، والفكرة المركزية التي يتربى عليها الفرد المسلم والأسرة المسلمة والجماعة المسلمة، فكانت للآيات الكريمة التي سمعها عمر من رسول الله ﷺ مباشرة أثرها في صياغة شخصية الفاروق الإسلامية، فقد طهّرت قلبه، وزكت نفسه، وتفاعلت معها روحه، فتحول إلى إنسان جديد بقيمه ومشاعره وأهدافه وسلوكه وتطلعاته(١).

فقد عرف الفاروق من خلال القرآن الكريم من هو الإله الذي يجب أن يعبده، وكان النبي ﷺ يغرس في نفسه معاني تلك الآيات العظيمة، فقد حرص ﷺ أن يربي أصحابه على التصور الصحيح عن ربهم وعن حقه عليهم، مدركًا أن هذا التصور سيورث التصديق واليقين عندما تصفّى النفوس وتستقيم الفطرة، فأصبحت نظرة الفاروق إلى الله، والكون والحياة والجنة والنار، والقضاء والقدر، وحقيقة الإنسان، وصراعه مع الشيطان - مستمدة من القرآن الكريم وهدي النبي ﷺ.

فالله -سبحانه وتعالى- منزه عن النقائص موصوف بالكمالات التي لا تتناهى، فهو -سبحانه- واحد لا شريك له، ولم يتخذ صاحبة ولا ولدًا.

---

(١) السيرة النبوية للصلاّبي (١/ ١٤٥).

* وإنه سبحانه خالق كل شيء ومالكه ومدبره : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

* وإنه تعالى مصدر كل نعمة في هذا الوجود دقت أو عظمت ظهرت أو خفيت ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣]

* وإن علمه محيط بكل شيء؛ فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ولا ما يخفي الإنسان وما يعلن.

* وإنه سبحانه يقيد على الإنسان أعماله بواسطة ملائكته، في كتاب لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وسينشر ذلك في اللحظة المناسبة والوقت المناسب: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق: ١٨] .

* وإنه سبحانه يبتلي عباده بأمور تخالف ما يحبون وما يهوون؛ ليعرف الناس معادنهم، ومن منهم يرضى بقضاء الله وقدره، ويسلم له ظاهرًا وباطنا؛، فيكون جديرًا بالخلافة والإمامة والسيادة، ومن منهم يغضب ويسخط فلا يساوي شيئًا، ولا يسند إليه شيء: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [سورة الملك: ٢]

* وإنه سبحانه يوفق ويؤيد وينصر من لجأ إليه، ولاذ بحماه ونزل على حكمه في كل ما يأتي وما يذر ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦] .

* وإنه سبحانه وتعالى حقه على العباد أن يعبدوه ويوحدوه فلا يشركوا به شيئًا ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦] .

* وإنه سبحانه حدد مضمون هذه العبودية، وهذا التوحيد في القرآن الكريم(١).

وأما نظرته للكون فقد استمدها من قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن

(١) منهج الرسول في غرس الروح الجهادية ص١٠ إلى ١٦ .

فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝١١ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [فصلت: ٩-١٢] .

وأما هذه الحياة مهما طالت فهي إلى زوال، وإن متاعها مهما عظم فإنه قليل حقير قال تعالى: **﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾** [يونس: ٢٤] .

وأما نظرته إلى الجنة، فقد استمدها من خلال الآيات الكريمة التي وصفتها، فأصبح حاله ممن قال الله -تعالى- فيهم: **﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [السجدة: ١٦-١٧] .

وأما تصوره للنار فقد استمده من القرآن الكريم، فأصبح هذا التصور رادعًا له في حياته عن أي انحراف عن شريعة الله، فيرى المتتبع لسيرة الفاروق عمق استيعابه لفقه القدوم على الله -عز وجل- وشدة خوفه من عذاب الله وعقابه، فقد خرج رضي الله عنه ذات ليلة في خلافته يعسُّ بالمدينة، فمرّ بدار رجل من المسلمين، فوافقه قائمًا يصلي، فوقف يسمع قراءته، فقرأ: **﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾** [الطور: ١-٧] قال: قسمٌ وربِّ الكعبة حق. فنزل عن حماره، فاستند إلى حائط، فمكث مليًّا، ثم رجع إلى منزله، فمرض شهرًا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه[1] .

---

(١) الرقة والبكاء، عبد الله بن أحمد المقدسي ص١٦٦ .

وأما مفهوم القضاء والقدر فقد استمده من كتاب الله وتعليم رسول الله ﷺ له، فقد رسخ مفهوم القضاء والقدر في قلبه، واستوعب مراتبه من كتاب الله تعالى، فكان على يقين بأن علم الله محيط بكل شيء: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١] . وأن الله قد كتب كل شيء كائن : ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢] ، وأن مشيئة الله نافذة وقدرته تامة: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤] وأن الله خالق لكل شيء: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

وقد ترتب على الفهم الصحيح والاعتقاد الراسخ في قلبه لحقيقة القضاء والقدر، ثمار نافعة ومفيدة ظهرت في حياته، وسنراها بإذن الله -تعالى- في هذا الكتاب، وعرف من خلال القرآن الكريم حقيقة نفسه وبني الإنسان، وأن حقيقة الإنسان ترجع إلى أصلين: الأصل البعيد وهو الخلقة الأولى من طين، حين سواه ونفخ فيه الروح، والأصل القريب وهو خلقه من نطفة[1] فقال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٧-٩] ، وعرف أن هذا الإنسان خلقه الله بيده، وأكرمه بالصورة الحسنة والقامة المعتدلة، ومنحه العقل والنطق والتمييز، وسخر الله له ما في السماء والأرض، وفضله الله على كثير من خلقه، وكرمه بإرساله الرسل له، وأن من أروع مظاهر تكريم المولى -عز وجل سبحانه- للإنسان أن جعله أهلاً لحبه ورضاه ويكون ذلك باتباع النبي ﷺ الذي دعا الناس إلى الإسلام؛ لكي يحيوا حياة طيبة في الدنيا، ويظفروا بالنعيم المقيم في الآخرة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧] .

---

(١) أصول التربية للخلاوي ص٣١ .

وعرف عمر رضي الله عنه حقيقة الصراع بين الإنسان والشيطان، وأن هذا العدو يأتي للإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، يوسوس له بالمعصية ويستثير فيه كوامن الشهوات، فكان مستعيناً بالله على عدوه إبليس، وانتصر عليه في حياته- كما سترى من سيرته- وتعلم من قصة آدم مع الشيطان في القرآن الكريم أن آدم هو أصل البشر، وجوهر الإسلام الطاعة المطلقة لله، وأن الإنسان له قابلية للوقوع في الخطيئة، وتعلم من خطيئة آدم ضرورة توكل المسلم على ربه، وأهمية التوبة والاستغفار في حياة المؤمن، وضرورة الاحتراز من الحسد والكبر، وأهمية التخاطب بأحسن الكلام مع الصحابة ؛ لقول الله تعالى: ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا**﴾ [الإسراء: ٥٣] .

وسار على منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في تزكية أصحابه لأرواحهم، وتطهير قلوبهم بأنواع العبادات، وتربيتهم على التخلق بأخلاق القرآن الكريم.

لقد أكرم المولى -عز وجل- عمر بن الخطاب بالإسلام الذي قدم له عقيدة صحيحة صافية خلفت عقيدته الأولى، وقضت في نفسه عليها فانهارت أركان الوثنية؛ فلا زُلْفى لوثن، ولا بنات لله، ولا صهر بين الجن والله، ولا كهانة تحدد للمجتمع مساره، وتقذف به في تيه التشاؤم والطيرة، ولا عدم بعد الموت[١]، انتهى ذلك كله وخلفته عقيدة الإيمان بالله وحده مصفَّاة من الشرك والولد والكهانة والعدم بعد الحياة الدنيا، ليحل الإيمان بآخرةٍ ينتهي إليها عمل الإنسان في تقويم مجزي عليه، انتهى عبث الجاهلية في حياة بلا بعث ولا مسئولية أمام الديان وخلفتها عقيدة الإيمان باليوم الآخر ومسئولية الجزاء، وانصهر عمر بكليته في هذا الدين، وأصبح الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وعبد الله وحده في إحسان كأنما يراه[٢]، وتربى عمر على القرآن الكريم وتنقل به من تشريع إلى آداب، ومن تاريخ إلى حكمة، في عطاء مسترسل كريم، مع توفيق من الله -تعالى- له في العيش مع القرآن الكريم

---

(١) عمر بن الخطاب، علي الخطيب ص٥١ .

(٢) عمر بن الخطاب، حياته، علمه، أدبه ص٥١ .

الذي أثر في عقله وقلبه ونفسه وروحه وانعكست ثمار تلك المعايشة على جوارحه، وكان سبب ذلك - بعد توفيق الله له - تتلمذه على يدي رسول الله[١].

ثانيًا- موافقات عمر رضي الله عنه للقرآن الكريم، وإلمامه بأسباب النزول، وتفسيره لبعض الآيات.

أ- موافقات عمر للقرآن الكريم:

كان عمر من أكثر الصحابة شجاعة وجرأة، فكثيرًا ما كان يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن التصرفات التي لم يدرك حكمها، كما كان رضي الله عنه يبدي رأيه واجتهاده بكل صدق ووضوح، ومن شدة فهمه واستيعابه لمقاصد القرآن الكريم نزل القرآن الكريم موافقًا لرأيه رضي الله عنه في بعض المواقف، قال عمر رضي الله عنه: وافقت الله تعالى في ثلاث، أو وافقت ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله، لو اتخذت من مقام إبراهيم مُصلّى، فأنزل الله تعالى ذلك، وقلت: يا رسول الله، يدخل عليك البرُّ والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله تعالى آية الحجاب، قال: وبلغني معاتبة النبي صلى الله عليه وسلم بعض أزواجه، فدخلت عليهن، قلت: إن انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله خيرًا منكن، حتى أتيت إحدى نسائه، قالت: يا عمر، أما في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه، حتى تعظهن أنت[٢]؟ فأنزل الله ﴿**عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا**﴾ [التحريم: ٥].

ومن موافقته في ترك الصلاة على المنافقين:

قال عمر: لما توفي عبد الله بن أبي دُعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه، فقام إليه، فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت في صدره فقلت: يا رسول الله: أعلى عدوّ الله عبد الله بن أبيّ القائل يوم كذا: كذا وكذا، والقائل يوم كذا: كذا وكذا أعدد أيامه الخبيثة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبتسم، حتى إذا أكثرت عليه، قال: «أخر عني يا عمر، إني خيّرت فاخترت: قد قيل لي: ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ**

(١) المصدر نفسه ص٥٢.
(٢) البخاري، كتاب التفسير رقم ٤٢١٣.

﴿لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠] فلو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له زدت». ثم صلى عليه ومشى معه على قبره حتى فرغ منه، فعجبت لي ولجرأتي على رسول الله ﷺ، والله ورسوله أعلم، فوالله ما كان إلا يسيرًا حتى نزلت هاتان الآيتان: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤] فما صلى رسول الله ﷺ بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله -عز وجل-[١].

موافقته في أسرى بدر:

قال عمر رضي الله عنه: لما كان يوم بدر وهزم الله المشركين فَقُتِلَ منهم سبعون وأسر سبعون، استشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا، فقال لي: ما ترى يابن الخطاب؟ فقلت: أرى أن تمكنني من فلان - قريب لعمر - فأضرب عنقه، وتمكن عليًّا من عقيل[٢]، فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم، وقادتهم. فلم يهوَ رسول الله ﷺ ما قلت، فأخذ منهم الفداء. فلما كان من الغد غدوت إلى النبي ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر، وهما يبكيان، فقلت: يا رسول الله، ما يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، قال النبي ﷺ: للذي عَرَضَ عليَّ أصحابك من الفداء، لقد عُرِضَ عليَّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة» - لشجرة قريبة - فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨] فلما كان من العام المقبل قُتل منهم سبعون، وفر أصحاب رسول الله ﷺ وكُسِرَت رباعيته[٣]، وهشمت البيضة[٤] على رأسه، وسال الدم على وجهه، وأنزل الله تعالى: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾ بأخذكم الفداء ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥][٥].

---

(١) مسلم رقم ٢٤٠٠، أخبار عمر الطنطاويات ص٣٨٠، ٣٨١ .

(٢) عقيل بن أبي طالب الهاشمي أسلم يوم الفتح وتوفي في أول خلافة يزيد.

(٣) الرباعية: السِّنُّ التي بين الثَّنية والناب.

(٤) البيضة: الخُوذة سميت بذلك؛ لأنها على شكل بيضة النعام.

(٥) مسند أحمد (١/ ٢٥٠) رقم ٢٢١ وصححه أحمد شاكر، مسلم بنحوه رقم ١٧٦٣ .

موافقته في الاستئذان:

أرسل النبي ﷺ غلامًا من الأنصار إلى عمر بن الخطاب - وقت الظهيرة- ليدعوه، فدخل عليه وكان نائمًا وقد انكشف بعض جسده، فقال: اللهم حرّم الدخول علينا في وقت نومنا، وفي رواية قال: يا رسول الله، وددت لو أن الله أمرنا ونهانا في حال الاستئذان[١] فنزلت ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ**﴾ [النور: ٥٨][٢].

عمر ودعاؤه في تحريم الخمر:

لما نزل قول الله -تعالى- : ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ**﴾ [البقرة: ٢١٩] قال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت الآية التي في النساء ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى**﴾ [النساء: ٤٣] فكان منادي النبي ﷺ إذا أقام الصلاة نادى: ألا يقربن الصلاة سكران، فدعي عمر فقرئت عليه، ﴿**هَلْ أَنْتُم مُّنتَهُونَ**﴾ [المائدة: ٩١] قال عمر: انتهينا، انتهينا[٣]. وهكذا خضع تحريم الخمر لسنة التدريج وفي قوله: ﴿**هَلْ أَنْتُم مُّنتَهُونَ**﴾ [المائدة: ٩١] فهم عمر من الاستفهام الاستنكاري أن المراد به التحريم، لأن هذا الاستفهام أقوى وأقطع في التحريم من النهي العادي، ففي ألفاظ الآية وتركيبها وصياغتها تهديد رهيب واضح كالشمس في التحريم[٤].

٦- إلمامه بأسباب النزول:

حفظ عمر القرآن كله[٥]، في الفترة التي بدأت بإسلامه، وانتهت بوفاة الرسول ﷺ وقد حفظه مع أسباب التنزيل إلا ما سبق نزوله قبل إسلامه، فذلك مما جمعه جملة، ولا مبالغة إذا قلنا: إن عمر كان على علم بكثير من أسباب التنزيل،

---

(١) الرياض النضرة ص٣٣٢ سنده ضعيف، ذكره الواقدي بدون إسناد.
(٢) الفتاوى (٢٨/ ١٠)..
(٣) صححه أحمد شاكر في تخريجه لأحاديث المسند رقم (٣٧٨) .
(٤) شهيد المحراب للتلمساني ص (١٠١) .
(٥) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١ / ٧٢) .

وبخاصة في الفترة الإسلامية من حياته، ثم لشدة اتصاله بالتلقي عن رسول الله ﷺ ثم هو قد حفظ منه ما فاته، فإن يلم بأسباب النزول والقرآن بكر التنزيل، والحوادث لا تزال تترى فذلك أمر يسير(١).

وقد كان عمر سببًا في التنزيل لأكثر من آية، بعضها متفق على مكيته، وبعضها مدني، بل كان بعض الآيات يحظى من عمر بمعرفة زمانه ومكانه على وجه دقيق، قال عن الآية الكريمة ﴿... **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**...﴾ [المائدة: ٣]: والله، إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله والساعة التي نزلت فيها على رسول الله: عشية عرفة في يوم الجمعة(٢).
وقد كان عمر - وحده أو مع غيره - سببًا مباشرًا في تنزيل بعض الآيات، منها: قول الله تعالى: ﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ [التوبة: ١٩-٢٢].

وفي الصحيح: أن رجلاً قال: لا أبالي ألا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، فقال علي بن أبي طالب: الجهاد في سبيل الله أفضل من هذا كله. فقال عمر بن الخطاب: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ، ولكن إذا قضيت الصلاة سألته عن ذلك، فسأله، فأنزل الله هذه الآية، فبين لهم أن الإيمان والجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام والحج والعمرة والطواف ومن الإحسان إلى الحجاج بالسقاية؛ ولهذا قال أبو هريرة رضي الله عنه: لأن أرابط ليلة في سبيل الله، أحب إلي من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود(٣).

---

(١) عمر بن الخطاب د. علي الخطيب ص٩٠، ٩١، ٩٢.
(٢) إسناده صحيح على شرط الشيخين، الموسوعة الحديثية، مسند أحمد رقم ١٨٨.
(٣) الفتاوى (٢٨/ ١٠).

سؤاله لرسول الله ﷺ عن بعض الآيات:

كان عمر رضي الله عنه يسأل رسول الله ﷺ عن بعض الآيات وأحيانًا أخرى يسمع صحابيًّا يستفسر من رسول الله ﷺ عن بعض الآيات فيحفظها ويعلمها لمن أراد من طلاب العلم، فعن يَعْلى بن أمية، قال: سألت عمر بن الخطاب، قلت: ﴿**فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ [النساء: ١٠١]، وقد أمن الله الناس[١]؟ فقال لي عمر: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: صدقة تصدّق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته[٢]، وقد سئل عمر بن الخطاب عن هذه الآية: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ سُئل عنها، فقال رسول الله ﷺ: إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه، واستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: إن الله -عز وجل- إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عملٍ من أعمال أهل الجنة، فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار، فيدخله به النار[٣]. ولما نزل قول الله -تعالى-: ﴿**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**﴾ [القمر: ٤٥] قال عمر رضي الله عنه: أي جمع يهزم؟ أي جمع يغلب؟ قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثبت في الدرع وهو يقول: ﴿**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**﴾ فعرفت تأويلها يومئذ[٤].

جـ- تفسير عمر لبعض الآيات وبعض تعليقاته:

كان عمر يتحرّج من تفسير القرآن برأيه؛ ولذلك لما سئل عن قوله -تعالى-:

---

(١) وفي رواية: أمن الناس.

(٢) إسناده صحيح على شرط مسلم، مسند أحمد رقم ١٧٤ الموسوعة الحديثية.

(٣) صحيح لغيره مسند أحمد رقم ٣١١ الموسوعة الحديثية.

(٤) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٦٦).

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ قال: هي الرياح، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، قيل: ﴿فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا﴾ . قال: السحاب، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، قيل: ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾؟ قال: السفن، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، قيل: ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾؟ قال: هي الملائكة، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته[1].

وكان رضي الله عنه له منهج في تفسيره للآيات، فإنه رضي الله عنه إذا وجد لرسول الله تفسيرًا أخذ به، وكان هو الأفضل مثل ما مرّ معنا من تفسيره ، وإذا لم يجد طلبه في مظانه عند بعض الصحابة مثل: ابن عباس، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود ومعاذ وغيرهم رضي الله عنهم وهذا مثال على ذلك؛ فقد قال عمر رضي الله عنه يومًا لأصحاب النبي ﷺ : فيم ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة:٢٦٦]؟ قالوا: الله أعلم. فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين. قال عمر: يابن أخي قل ولا تحقر نفسك. قال ابن عباس: ضربت مثلاً لعمل، قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لرجل غني يعمل بطاعة الله -عز وجل- ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله[2]، وفي رواية قال ابن عباس: عُني بها العمل، ابن آدم أفقر ما يكون إلى جنته إذا كبر سنه وكثر عياله، وابن آدم أفقر ما يكون إلى عمله يوم يبعث، فقال عمر: صدقت يابن أخي[3].

وكانت له بعض التعليقات على بعض الآيات مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ

(١) أخبار عمر بن الخطاب الطنطاويات ص٣٠٨ نقلاً عن الرياض النضرة.
(٢) فتح الباري (٨/ ٤٩).
(٣) الخلافة الراشدة والدولة الأموية، د. يحيى اليحيى ص٣٠٥ .

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦، ١٥٧] فقال: نعم العدلان ونعم العلاوة[١]، ويقصد بالعدلين الصلاة والرحمة، والعلاوة : الاهتداء[٢].

وسمع القارئ يتلو قول الله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] فقال عمر: الجهل[٣] وفسر قول الله -تعالى-: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧] . بقوله: الفاجر مع الفاجر والطالح مع الطالح[٤].

وفسر قول الله -تعالى-: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨] ، بقوله: أن يتوب ثم لا يعود، فهذه التوبة الواجبة التامة[٥]، وذات يوم مر بدير راهب فناداه: يا راهب فأشرف الراهب، فجعل عمر ينظر إليه ويبكي ، فقيل له يا أمير المؤمنين: ما يبكيك من هذا؟ قال ذكرت قول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٣، ٤] فذاك الذي أبكاني[٦]. وفسر الجبت بالسحر، والطاغوت بالشيطان في قوله -تعالى-: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١][٧].

* ■ *

(١) المستدرك (٢/ ٢٧٠).
(٢) الخلافة الراشدة والدولة الأموية ص٣٠٥ .
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٥١٣).
(٤) الفتاوى (٧/ ٤٤).
(٥) الفتاوى (١١/ ٣٨٢).
(٦) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣٧).
(٧) تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٤).

المبحث الثاني

ملازمته لرسول الله ﷺ

كان عمر ﷺ واحدًا من المكيين الذين قرءوا وكتبوا في مجتمعهم الأمي، وهذا دليل على شغفه بالعلم منذ صغره، وسعيه ليكون واحدًا من القلة القليلة الذين محوا أميتهم، وهذبوا أنفسهم، وتبوءوا مكانة مرموقة في عصر الرسالة، لمجموعة مقومات، لعل منها: إلمامه بالقراءة والكتابة، وهو حدث له قيمته آنذاك، وقد تلقى عمر دروسه الأولى، وتعلم القراءة والكتابة على يدي حرب بن أمية والد أبي سفيان[1]، وقد أهلته هذه الميزة لأنْ يثقف نفسه بثقافة القوم آنذاك، وإن كنا نجزم أن الرافد القوي الذي أثر في شخصية عمر وصقل مواهبه، وفجر طاقاته، وهذب نفسه- هو مصاحبته لرسول الله ﷺ وتتلمذه على يديه في مدرسة النبوة، ذلك أن عمر لازم الرسول ﷺ في مكة بعد إسلامه، كما لازمه كذلك في المدينة المنورة - حيث سكن العوالي - وهي ضاحية من ضواحي المدينة، وإن كانت قد اتصلت بها الآن وأصبحت ملاصقة لمسجد الرسول ﷺ ، حيث امتد العمران، وتوسعت المدينة، وزحفت على الضواحي، في هذه الضاحية نظم عمر نفسه، وحرص على التلمذة في حلقات مدرسة النبوة في فروع شتى من المعارف والعلوم على يدي معلم البشرية وهاديها، والذي أدبه ربه فأحسن تأديبه، وقد كان لا يفوته علم من قرآن أو حديث أو أمر أو حدث أو توجيه، قال عمر: كنت أنا وجار لي من الأنصار من بني أمية بن زيد - وهي من عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يومًا وأنزل يومًا، فإذا نزلت جئت بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك[2].

وهذا الخبر يوقفنا على الينبوع المتدفق، الذي استمد منه عمر علمه وتربيته وثقافته، وهو كتاب الله الحكيم، الذي كان ينزل على رسول الله ﷺ منجمًا على حسب

---

(١) عمر بن الخطاب، د. محمد أحمد أبو النصر ص٨٧ .

(٢) المصدر نفسه ص٨٧ .

الوقائع والأحداث، وكان الرسول ﷺ يقرأه على أصحابه، الذين وقفوا على معانيه، وتعمقوا في فهمه، وتأثروا بمبادئه، وكان له عميق الأثر في نفوسهم وعقولهم وقلوبهم وأرواحهم، وكان عمر واحدًا من هؤلاء الذين تأثروا بالمنهج القرآني في التربية والتعليم، وعلى كل دارس لتاريخ عمر وحياته أن يقف وقفة متأملة أمام هذا الفيض الرباني الصافي، الذي غذّى المواهب وفجر العبقريات، ونمى ثقافة القوم، ونعني به القرآن الكريم، وقد حرص عمر منذ أسلم على حفظ القرآن وفهمه وتأمله، وظل ملازمًا للرسول ﷺ يتلقى عنه ما أنزل عليه، حتى تم له حفظ جميع آياته وسوره، وقد أقرأه الرسول ﷺ بعضه، وحرص على الرواية التي أقرأه بها الرسول[١]. وكان لعمر أحيانًا شرف السبق إلى سماع بعض آياته فور نزوله ،كما عني بمراجعة محفوظه منه[٢]، إذن فقد تربى عمر رضي الله عنه على المنهج القرآني وكان المربي له ﷺ وكانت نقطة البدء في تربية عمر هي لقاءه برسول الله ﷺ ، فحدث له تحول غريب واهتداء مفاجئ بمجرد اتصاله بالنبي ﷺ فخرج من دائرة الظلام إلى دائرة النور، واكتسب الإيمان، وطرح الكفر، وقوي على تحمل الشدائد والمصائب في سبيل دينه الجديد وعقيدته السمحة، كانت شخصية رسول الله ﷺ المحرك الأول للإسلام، وشخصيته ﷺ تملك قوى الجذب والتأثير على الآخرين، فقد صنعه الله على عينه، وجعله أكمل صورة لبشر في تاريخ الأرض، والعظمة دائمًا تحب، وتحاط من الناس بالإعجاب، ويلتف حولها المعجبون، ويلتصقون بها التصاقًا بدافع الإعجاب والحب، ولكن رسول الله ﷺ يضيف إلى عظمته تلك، أنه رسول الله، متلقي الوحي من الله، ومبلغه إلى الناس، وذلك بعد آخر له أثره في تكييف مشاعر ذلك المؤمن تجاهه، فهو لا يحبه لذاته فقط كما يُحب العظماء من الناس، ولكن -أيضًا- لتلك النفحة الربانية التي تشمله من عند الله، فهو معه في حضرة الوحي الإلهي المكرم، ومن ثم يلتقي في شخص الرسول ﷺ البشر العظيم والرسول العظيم، ثم يصبحان شيئًا واحدًا في النهاية، غير متميز البداية ولا النهاية، حب عميق شامل للرسول، البشر أو

(١، ٢) المصدر نفسه ص٨٨ .

للبشر الرسول ويرتبط حب الله بحب رسوله ويمتزجان في نفسه، فيصبحان في مشاعره هما نقطة ارتكاز المشاعر كلها، ومحور الحركة الشعورية والسلوكية كلها كذلك.

كان هذا الحب الذي حرك الرعيل الأول من الصحابة هو مفتاح التربية الإسلامية ونقطة ارتكازها ومنطلقها الذي تنطلق منه[1]، لقد حصل للصحابة ببركة صحبتهم لرسول الله ﷺ وتربيتهم على يديه أحوال إيمانية عالية، يقول سيد قطب عن تلك التزكية: إنها لتزكية، وإنه لتطهير ذلك الذي كان يأخذهم به الرسول ﷺ تطهير للضمير والشعور، وتطهير للعمل والسلوك، وتطهير للحياة الزوجية، وتطهير للحياة الاجتماعية، وتطهير ترتفع به النفوس من عقائد الشرك إلى عقيدة التوحيد، ومن التصورات الباطلة إلى الاعتقاد الصحيح، ومن الأساطير الغامضة إلى اليقين الواضح، وترتفع به من رجس الفوضى الأخلاقية إلى نظافة الخلق الإيماني، ومن دنس الربا والسحت إلى طهارة الكسب الحلال، إنها تزكية شاملة للفرد والجماعة، ولحياة السريرة، ولحياة الواقع، تزكية ترتفع بالإنسان وتصوراته عن الحياة كلها وعن نفسه ونشأته إلى آفاق النور التي يتصل فيها بربه، ويتعامل مع الملأ العلوي الكريم[2].

لقد تتلمذ عمر رضي الله عنه على يدي رسول الله ﷺ، فتعلم منه القرآن الكريم والسنة النبوية، وأحكام التلاوة وتزكية النفوس، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وحرص على التبحر في الهدي النبوي الكريم في غزواته وسلْمه، وأصبح لعمر رضي الله عنه علم واسع ومعرفة غزيرة بالسنة النبوية المطهرة، التي أثرت في شخصية عمر وفقهه، ولازم رسول الله ﷺ واستمع من رسول الله وتلقى عنه وكان إذا جلس في مجلس النبوة لم يترك المجلس حتى ينفض، كما كان حريصًا على أن يسأل الرسول ﷺ عن كل ما تجيش به نفسه، أو يشغل خاطره[3]، لقد استمد من

---

(١) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ص٣٤، ٣٥.

(٢) الظلال (٦/ ٣٥٦٥).

(٣) عمر بن الخطاب، د. محمد أبو النصر ص٩١.

رسول الله ﷺ علمًا وتربية، ومعرفة بمقاصد هذا الدين العظيم وخصه رسول الله ﷺ برعايته، وشمله بتسديده، ولقد شهد له رسول الله ﷺ بالعلم، فقد قال ﷺ : «بينما أنا نائم أتيت بقدح لبن، فشربت منه حتى إني لأرى الري يخرج من أظافري، ثم أعطيت فضلي يعني عمر.

قالوا: فما أوَّلته يا رسول الله؟ قال: العلم»[١].

قال ابن حجر: والمراد بالعلم هنا : العلم بسياسة الناس بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ [٢].

وهذه المعرفة لا يمكن تَأتِّيها إلا لمن كان راسخ القدم في التزود بما يعينه على فهم كتاب الله، وسنة نبيه، وسبيله في ذلك: التعمّق في فهم اللغة وآدابها، والتمرس في معرفة أساليبها، والتزود في كل ما يساعد على فهمها من معارف وخبرات، وكذلك كان عمر رضي الله عنه[٣]، ولقد جمع بين رسول الله ﷺ وبين عمر حب شديد، والحب عامل هام في تهيئة مناخ علمي ممتاز بين المعلم وبين تلميذه، يأتي بخير النتائج العلمية والثقافية؛ لما له من عطاء متجدد، وعمر قد أحب رسول الله ﷺ حبًّا جمًّا، وتعلق فؤاده به، وقدم نفسه فداء له، وتضحية في سبيل نشر دعوته؛ فقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»[٤]، فقال له عمر: والله يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل أحد إلا من نفسي، فقال: لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك » فقال: فأنت أحب إلي من نفسي، قال: الآن يا عمر»[٥].

واستأذن عمر يومًا إلى عمرة فقال له ﷺ :«لا تنسنا يا أخي في دعائك»[٦]، فقال عمر: ما أحب أن لي بها ما طلعت عليه الشمس؛ لقوله: يا أخي[٧].

---

(١) البخاري، رقم ٣٦٨١

(٢) فتح الباري (٧ / ٣٦).

(٣) عمر بن الخطاب، د. محمد أبو النصر ص٩٣ .

(٤) البخاري رقم ١٥ .

(٥) البخاري رقم ٦٦٣٢ .

(٦) أبو داود في الصلاة (١٤٩٨)، والترمذي في الدعوات (٣٥٦٢). وقال: (هذا حديث حسن صحيح) وابن ماجه في المناسك (٢٨٩٤) كلهم عن عمر وهناك من ضعفه.

(٧) المصدر السابق نفسه.

وهذا الحب السامي الشريف هو الذي جعل عمر يلازم الرسول ﷺ في جميع غزواته، وقد أمده ذلك بخبرة ودربة ودراية بشئون الحرب، ومعرفة بطبائع النفوس وغرائزها، كما أن ملازمته للرسول ﷺ وكثرة تحدثه معه، قد طبعه على البلاغة والبيان والفصاحة وطلاقة اللسان، والتفنن في أوجه القول[١] وفي النقاط القادمة سنبين -بإذن الله تعالى- مواقفه في الميادين الجهادية مع رسول الله ﷺ، وبعض الصور من حياته الاجتماعية بالمدينة في حياة النبي ﷺ .

أولاً- عمر رضي الله عنه في ميادين الجهاد مع رسول الله ﷺ :

اتفق العلماء على أن عمر رضي الله عنه شهد بدرًا، وأحدًا، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ولم يغب عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ [٢].

١- غزوة بدر:

شارك عمر رضي الله عنه في غزوة بدر، وعندما استشار رسول الله ﷺ أصحابه قبل المعركة، تكلم أبو بكر رضي الله عنه أول من تكلم، فأحسن الكلام، ودعا إلى قتال الكافرين، ثم الفاروق عمر رضي الله عنه فأحسن الكلام، ودعا إلى قتال الكافرين[٣]، وكان أول من استشهد من المسلمين يوم بدر مهجع[٤] مولى عمر رضي الله عنه[٥]، وقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه خاله العاص بن هشام[٦] ضاربًا بالقرابة عرض الحائط أمام رابطة العقيدة، بل كان يفخر بذلك تأكيدًا لهذه الفكرة، وبعد انتهاء المعركة أشار بقتل أسارى المشركين، وفي تلك الحادثة دروس وعبر عظيمة قد ذكرتها في كتابي السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، وعندما وقع العباس عمّ النبي في الأسر حرص عمر على هدايته وقال له: يا عباس، أسلم، فوالله لئن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب، وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله يعجبه إسلامك[٧]. وكان من بين الأسرى

(١) عمر بن الخطاب، د. محمد أبو النصر ص٩٤ .
(٢) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص٨٩ .
(٣) الفاروق مع النبي، د. عاطف لماضة ص٣٢ .
(٤) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٩١، ٣٩٢) ضعيف لانقطاعه.
(٥) السيرة النبوية (٢/ ٣٨٨) لابن هشام، صحيح التوثيق ص١٨٧ .
(٦) الخلافة والخلفاء الراشدين، للبهنساوي ص١٥٤ .
(٧) البداية والنهاية (٣/ ٢٩٨).

خطيب قريش سهيل بن عمرو، فقال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله، دعني أنتزع ثنيتي سهيل بن عمرو فيدلع لسانه؛ فلا يقوم عليك خطيبًا في موطن أبدًا، فقال رسول الله ﷺ : لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبيًّا، وإن عسى أن يقوم مقامًا لا تذمه[١]، وهذا ما حدث فعلاً بعد وفاة رسول الله ﷺ إذ هم عدد من أهل مكة بالرجوع عن الإسلام، حتى خافهم والي مكة عتاب بن أسيد فتوارى، فقام سهيل بن عمرو، فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة النبي ﷺ وقال: إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة، فمن رابنا ضربنا عنقه؛ فتراجع الناس عن رأيهم[٢] . وحدثنا عمر عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ عندما خاطب مشركي مكة الذين قتلوا ببدر، فعن أنس قال: كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتراءَيْنا الهلال، وكنتُ حديدَ البصر فرأيته، فجعلت أقول لعمر: أما تراه؟ قال: سأراه وأنا مُستلقٍ على فراشي، ثم أخذ يُحدثنا عن أهل بدر، قال: إن كان رسول الله ﷺ لَيُرينا مصارعهم بالأمس، يقول: هذا مصرع فلان غدًا، إن شاء الله، وهذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله، قال: فجعلوا يُصرعون عليها، قال: قلت: والذي بعثك بالحق، ما أخطئوا تيكَ، كانوا يُصرَعون عليها ثم أمر بهم فطُرِحُوا في بئر، فانطلق إليهم، فقال ﷺ : «يا فلان، يا فلان، هل وجدتم ما وَعَدكم الله حقًّا، فإني وجدت ما وعدني الله حقًّا» . قال عمر: يا رسول الله، أتكلم قومًا قد جَيَّفوا؟ قال: ما أنتم بأسمَعَ لما أقول منهم، ولكن لا يستطيعون أن يُجيبوا[٣]. وعندما جاء عمير بن وهب إلى المدينة قبل إسلامه في أعقاب بدر يريد قتل رسول الله ﷺ ، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم في عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ راحلته على باب المسجد متوشحًا سيفه، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب، ما جاء إلا لشر وهو الذي حرش بيننا، وحرزنا للقوم يوم بدر. ثم دخل على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحًا سيفه. قال: فأدخله عليّ، قال:

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ٣١١).
(٢) التاريخ الإسلامي للحميدي (٤/ ١٨١).
(٣) مسند أحمد رقم ١٨٢ الموسوعة الحديثية إسناده صحيح على شرط الشيخين.

فأقبل عـمر حتى أخذ بحـمالة(١) سيفه في عنـقه فلببه(٢)، بها وقال لمن كـان معه من الأنصـار: ادخلوا على رسـول الله ﷺ فـاجلسـوا عنده، واحـذروا عليـه من هذا الخبيث؛ فإنه غـير مأمون. ثم دخل به على رسول الله فلما رآه رسـول الله وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال: «أرسله يا عمر، ادن يا عمير. فدنا ثم قال: انعموا صباحًا – وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم، فقال رسول الله ﷺ: «أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة»(٣) فقال: «فما جاء بك يا عمير؟» قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه. قال: «فما بال السيف في عنقك؟» قال: قبحها الله من سيوف! وهل أغنت عنا شيئًا، قال: «اصدقني، ما الذي جئت له»، قال: ما جئت إلا لذلك. قال: بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحـاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين عليّ وعـيال عندي لخرجـت حتى أقتل محمدًا، فتحمل لك صـفوان بن أمية بدينك وعيالك، على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك». قال عمـير: أشهد أنك لرسـول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خـبر السـماء وما ينزل عليك من الـوحي، وهذا أمر لم يحـضره إلا أنا وصـفوان، فوالـله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فـالحمـد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق، فقال رسول الله ﷺ: فقهوا أخاكم في دينه، وعلموه القرآن، وأطلقوا أسيره ففعلوا»(٤).

ومن خلال هذه القصة يظهر الحس الأمني الـرفيع الذي تميز به عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقـد انتبه لمجيء عـمير بن وهب وحـذّر منه، وأعلن أنه شيطان مـا جاء إلا لشر، فقـد كان تاريخه معـروفًا لدى عمر، فقـد كان يؤذي المسلمين في مكة، وهو الذي حرّض على قتال المسلمين في بدر، وعـمل على جمع المعلومات عن عددهم؛ ولذلك شرع عمـر في أخذ الأسباب لحمايـة الرسول ﷺ فمن جهته فـقد أمسك

(١) حمالة السيف: ما يربط به السيف على الجسم.
(٢) لببه: قيده.
(٣) انظر: صحيح السيرة النبوية للعلي ص٢٥٩ .
(٤) صحيح السيرة النبوية ص٢٦٠ .

بحمالة سيف عمير الذي في عنقه بشده فعطله عن إمكانية استخدامه سيفه للاعتداء على الرسول ﷺ، وأمر نفرًا من الصحابة بحراسة النبي ﷺ [(١)].

٢ - غزوة أحد، وبني المصطلق والخندق:

من صفات الفاروق الجهادية: علو الهمة، وعدم الصغار، والترفع عن الذلة حتى ولو بدت الهزيمة تلوح أمامه، كما حدث في غزوة أحد، ثانية المعارك الكبرى التي خاضها رسول الله ﷺ، فعند ما وقف أبو سفيان في نهاية المعركة وقال: أفي القوم محمد؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا تجيبوه»، فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة، فقال «لا تجيبوه» فقال أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء القوم قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا. فلم يملك عمر رضي الله عنه نفسه فقال: كذبت يا عدو الله، أبقى الله عليك ما يخزيك. قال أبو سفيان: اعل هبل[(٢)]، فقال النبي ﷺ: أجيبوه. قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا الله أعلى وأجل. قال أبو سفيان: لنا العُزَّى ولا عزى لكم. فقال النبي ﷺ: أجيبوه قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم، قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، وتجدون مُثلة لم آمر بها ولم تَسُؤني[(٣)]، وفي رواية قال عمر: (لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار)[(٤)]. فجاءه، فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر، أقتلنا محمدًا؟ قال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن، قال: أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر، لقول ابن قمئة لهم: إني قد قتلت محمدًا[(٥)].

لقد كان في سؤال أبي سفيان عن رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر دلالة واضحة على اهتمام المشركين بهؤلاء دون غيرهم؛ لأنه في علمهم أنهم أهل الإسلام وبهم قام صرحه وأركان دولته وأعمدة نظامه، ففي موتهم يعتقد المشركون أنه لا يقوم الإسلام بعدهم، وكان السكوت عن إجابة أبي سفيان أولا تصغيرًا له، حتى إذا انتشى وملأه الكبر أخبروه بحقيقة الأمر وردوا عليه بشجاعة[(٦)].

---

(١) السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث للصّلابي ص٨٦٨.

(٢) اعل هبل: أظهر دينك.

(٣) البخاري، المغازي، رقم ٤٠٤٠، السيرة الصحيحة (٢/ ٣٩٢).

(٤) السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٣٩٢).

(٥) صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق ص ١٨٩.

(٦) السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٣٩٢).

وفي غزوة بني المصطلق كان للفاروق موقف متميز، ونترك شاهد عيان يحكي لنا ما شاهده، قال جابر بن عبد الله الأنصاري: كنا في غزاة، فكسع[١] رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار. وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: دعوها فإنها منتنة، فسمع بذلك عبد الله ابن أبي فقال: فعلوها؟ أما والله، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فسمع ذلك عمر فأتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «دعه لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه»[٢]، وفي رواية قال عمر بن الخطاب: مُرْ به عباد بن بشر فليقتله، فقال له رسول الله ﷺ: فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه؟ لا. ولكن أذن بالرحيل، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها، فارتحل الناس[٣].

ومن مثل هذه المواقف والتوجيهات النبوية استوعب عمر رضي الله عنه فقه المصالح والمفاسد، فهذا الفقه يظهر في قوله ﷺ: فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه[٤]، إنها المحافظة التامة على السمعة السياسية، ووحدة الصف الداخلية، والفرق كبير جدًا بين أن يتحدث الناس عن حب أصحاب محمد محمدًا، ويؤكدون على ذلك بلسان قائدهم الأكبر أبي سفيان: ما رأيت أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا[٥]، وبين أن يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه، ولا شك أن وراء ذلك محاولات ضخمة ستتم في محاولة الدخول إلى الصف الداخلي في المدينة من العدو بينما هم يائسون الآن من قدرتهم على شيء أمام ذلك الحب وتلك التضحيات[٦].

وفي غزوة الخندق يروي جابر فيقول: إن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس، فجعل يسُبُّ كفار قريش وقال: يا رسول الله، ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس تغرب، قال النبي ﷺ: «وأنا والله، ما صليتها،

---

(١) كسع: ضرب مؤخرته برجله.
(٢) السيرة النبوية الصحيحة (٢ / ٤٠٩).
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٣ / ٣١٩).
(٤) السيرة النبوية الصحيحة (٢ / ٤٠٩).
(٥) التربية القيادية (٣ / ٤٦٣).
(٦) المصدر نفسه (٣/٤٦٣).

فنزلنا مع النبي ﷺ بُطحان[١]، فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها، فصلى العصر بعدما غربت الشمس، ثم بعدها المغرب[٢].

٣- صلح الحديبية، وسرية إلى هوازن، وغزوة خيبر:

وفي الحديبية دعا رسول الله ﷺ عمر ليبعثه إلى مكة، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء به، فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشًا على نفسي، وليس بمكة من بني عديّ بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي لها وغلظتي عليها، ولكني أدلُّك على رجل أعزّ بها مني: عثمان بن عفان، فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وأنه إنما جاء زائرًا لهذا البيت ومعظمًا لحرمته[٣]، وبعد الاتفاق على معاهدة الصلح وقبل تسجيل وثائقها ظهرت بين المسلمين معارضة شديدة وقوية لهذه الاتفاقية، وخاصة في البندين اللذين يلتزم النبي ﷺ بموجبهما بردّ من جاء من المسلمين لاجئًا، ولا تلتزم قريش برد من جاءها من المسلمين مرتدًا، والبند الذي يقضي بأن يعود المسلمون من الحديبية إلى المدينة دون أن يدخلوا مكة ذلك العام، وقد كان أشد الناس معارضة لهذه الاتفاقية وانتقادًا لها: عمر بن الخطاب، وأسيد بن حضير سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج، وقد ذكر المؤرخون أن عمر بن الخطاب أتى رسول الله ﷺ معلنًا معارضته لهذه الاتفاقية وقال لرسول الله ﷺ: ألست برسول الله؟ قال: بلى، قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال إني رسول الله ولست أعصيه[٤]، وفي رواية: أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني[٥]، قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قلت: لا، قال فإنك آتيه ومطوف به قال عمر: فأتيت أبا بكر فقلت له: يا أبا بكر أليس برسول الله؟ قال: بلى، قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أو ليسوا

---

(١) بطحان: أحد أودية المدينة.
(٢) البخاري رقم ٥٧١ .
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٢٨)، وأخبار عمر ص٣٤ .
(٤) من معين السيرة للشامي ص٣٣٣ .
(٥) البخاري، رقم ٣٠١١ ، تاريخ الطبري (٢/ ٦٣٤).

بالمشركين؟ قال بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟! فقال أبو بكر ناصحًا الفاروق بأن يترك الاحتجاج والمعارضة: الزم غرزه؛ فإني أشهد أنه رسول الله، وأن الحق ما أمر به، ولن نخالف أمر الله ولن يضيعه الله[١]. وبعد حادثة أبي جندل المؤلمة المؤثرة عاد الصحابة إلى تجديد المعارضة للصلح، وذهبت مجموعة منهم إلى رسول الله ﷺ بينهم عمر بن الخطاب لمراجعته، وإعلان معارضتهم مجددًا للصلح إلا أن النبي ﷺ بما أعطاه الله من صبر وحكمة وحلم وقوة حجة استطاع أن يقنع المعارضين بوجاهة الصلح، وأنه في صالح المسلمين وأنه نصر لهم[٢]، وأن الله سيجعل للمستضعفين من أمثال أبي جندل فرجًا ومخرجًا، وقد تحقق ما أخبر به ﷺ، وقد تعلم عمر رضي الله عنه من رسول الله ﷺ احترام المعارضة النزيهة؛ ولذلك نراه في خلافته يشجع الصحابة على إبداء الآراء السليمة التي تخدم المصلحة العامة[٣]، فحرية الرأي مكفولة في المجتمع الإسلامي وإن للفرد في المجتمع المسلم الحرية في التعبير عن رأيه، ولو كان هذا الرأي نقدًا لموقف حاكم من الحكام أو خليفة من الخلفاء، فمن حق الفرد المسلم أن يبين وجهة نظره في جو من الأمن والأمان دون إرهاب أو تسلط يخنق حرية الكلمة والفكر، ونفهم من معارضة عمر لرسول الله ﷺ أن المعارضة لرئيس الدولة في رأي من الآراء وموقف من المواقف ليست جريمة تستوجب العقاب، ويغيب صاحبها في غياهب السجون[٤].

لم يكن ذلك الموقف من الفاروق شكًّا أو ريبة فيما آلت إليه الأمور، بل طلبًا لكشف ما خفي عليه، وحثًّا على إذلال الكفار؛ لما عرف من قوته في نصرة الإسلام[٥]، وبعد ما تبينت له الحكمة قال عن موقفه بالحديبية: ما زلت أتصدق، وأصوم، وأصلي، وأعتق من الذي صنعت يومئذ؛ مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيرًا.[٦]

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٣٤٦).
(٢) صلح الحديبية، محمد أحمد باشميل، ص٢٧٠ .
(٣) القيادة العسكرية في عهد رسول الله ﷺ ص٤٩٥ .
(٤) غزوة الحديبية لأبي فارس ص١٣٤، ١٣٥ .
(٥) صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق ص١٩١ .
(٦) مختصر منهاج القاصدين ص٢٩٣ ، فرائد الكلام للخلفاء ص١٣٩ .

وفي شعبان سنة ٧ من الهجرة بعث رسول الله عمر بن الخطاب إلى تربة في ثلاثين رجلاً إلى عُجزِ[١] هوازن بتربة وهي بناحية القبلاء[٢]، على أربع مراحل من مكة[٣]، فخرج، وخرج معه دليل من بني هلال[٤]، فكان يسير الليل ويكمن النهار، فأتى الخبر هوازن فهربوا، وجاء عمر ﷺ محالهم فلم يلق منهم أحدًا، فانصرف راجعًا إلى المدينة [٥]وفي رواية: قال له الدليل الهلالي: هل لك في جمع آخر تركته من خثعم سائرين قد أجدبت بلادهم؟ فقال عمر: لم يأمرني رسول الله بهم، إنما أمرني أن أعْمِدَ لقتال هوازن بتُربة[٦]. وهذه السرية تدلنا على ثلاث نتائج عسكرية:

الأولى: أن عمر أصبح مؤهلاً للقيادة؛ إذ لولا ذلك لما ولاه النبي الكريم ﷺ قيادة سرية من سرايا المسلمين تتجه إلى منطقة بالغة الخطورة، وإلى قبيلة من أقوى القبائل العربية وأشدها شكيمة.

والثانية: أن عمر الذي كان يكمن نهارًا ويسير ليلاً، مشبع بمبدأ المباغتة، أهم مبادئ الحرب على الإطلاق، مما جعله يباغت عدوه ويجبره على الفرار، وبذلك انتصر بقواته القليلة على قوات المشركين الكثيرة.

والثالثة: أن عمر ينفذ أوامر قائده الأعلى نصًّا وروحًا، ولا يحيد عنها، وهذا هو روح الضبط العسكري وروح الجندية في كل زمان ومكان[٧]

وفي غزوة خيبر عند ما نزل رسول الله ﷺ بحضرة أهل خيبر أعطى رسول الله اللواء[٨] عمر بن الخطاب ﷺ، فنهض معه من نهض من الناس، فلقوا أهل خيبر فانكشف عمر وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله: لأعطين اللواء غدًا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فلما كان غدًا تصدر[٩] لها

(١) العجز: مؤخَّر الشيء.
(٢) في الأصل (لفلا) وهو تحريف.
(٣) تربة: واد يقع شرق الحجاز يصب صوب عالية نجد.
(٤) هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.
(٥) الطبقات لابن سعد (٣/ ٢٧٢).
(٦) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٢٨) أخبار عمر ص٣٤ .
(٧) الفاروق القائد ص١١٧، ١١٨ شيت خطاب.
(٨) اللواء: العلم والراية، ولا يمسكها إلا صاحب الجيش.
(٩) تصدر: نصب صدره في الجلوس، وجلس في صدر المجلس.

أبو بكر، وعمر، فدعا عليًّا، وهو أرمد[١]، فتفل في عـينيه وأعطاه اللواء، ونهض معه من الناس من نهض فتلقى أهل خيبر فإذا مرحب يرجز ويقول:

شاك السـلاح بطلٌ مجرَّبْ ... إذا اللُّيـوثُ أقبلَـتْ تَلَهَّبْ

قد علمـتْ خيبرُ أني مَرْحَبْ ... أطعن أحيـانًا وحينًا أضرب

فاختلف هو وعلي رضي الله عنه فضربه علي على هامته حتى عضى السيف منه بيضة[٢] رأسه، وسمع أهل المعسكر صوت ضربته، فما تتام آخر الناس مع علي حتى فتح الله لهم وله.

وعند ما أقبل في خيبر نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: فلان شهيد، فقال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: كـلا، إني رأيتـه في النار في بردة غـلَّها، أو عبـاءة ثم قـال رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم: يابن الخطاب، اذهب فنـاد في الناس: أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون قال: فخرجت فناديت: ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون[٣].

٤ - فتح مكة وغزوة حنين وتبوك:

لما نقضت قـريش صلح الحديبـية بغـدرها، خشيت من الخطر القـادم من المدينة؛ فأرسلت أبا سفيان ليشد العقد ويزيد في المدة، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفـيان ولكن بدون جدوى، وخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمـه فلم يردّ عليه شـيئًا، ثـم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسـول الله، فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكلمه، فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله؟! والله، لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به[٤]. وعندما أكمل النبي صلى الله عليه وسلم استعداده للسير إلى فتح مكة، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابًا إلى أهل مكة يخبرهم فيه بنبأ تحرك النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، ولكن الله -سبحانه وتعالى- أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم عن طريق الوحي على هذه الرسالة، فقضى صلى الله عليه وسلم على هذه المحاولة في مهدها، فأرسل

---

(١) الرمد: وجع العين وانتفاخها. (٢) البيضة: الخوذة.

(٣) إسناده حسن رجاله رجال الشيخين، الموسوعة الذهبية مسند أحمد رقم (٢٠٣).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٦٥)، أخبار عمر ص ٣٧ .

النبي ﷺ عليًّا والمقداد فأمسكوا بالمرأة في روضة خاخ على بعد اثني عشر ميلاً من المدينة، وهددوها أن يفتشوها إن لم تخرج الكتاب؛ فسلمته لهم، ثم استدعي حاطب رضي الله عنه للتحقيق فقال: يا رسول الله، لا تعجل عليّ، إني كنت امرأ ملصقًا في قريش -يقول: كنت حليفا ولم أكن من أنفسها- وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدًا يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتدادًا عن ديني ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ : أما إنه قد صدقكم، فقال عمر: يا رسول الله، دعني اضرب عنق هذا المنافق، فقال ﷺ : إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرًا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم[١] ومن الحوار الذي تم بين الرسول ﷺ وعُمر بن الخطاب في شأن حاطب يمكن أن نستخرج بعض الدروس والعبر، منها:

- حكم الجاسوس القتل، فقد أخبر عمر بذلك ولم ينكر عليه الرسول ﷺ ولكن منع من إيقاع العقوبة بسبب كونه بدريًّا.

- شدة عمر في الدين: لقد ظهرت هذه الشدة في الدين حينما طالب بضرب عنق حاطب.

- الكبيرة لا تسلب الإيمان: إن ما ارتكبه حاطب كبيرة وهي التجسس ومع هذا ظل مؤمنا.

- لقد أطلق عمر على حاطب صفة النفاق بالمعنى اللغوي لا بالمعنى الاصطلاحي في عهده ﷺ ؛ إذ النفاق إبطان الكفر والتظاهر بالإسلام، وإنما الذي أراده عمر: إنه أبطن خلاف ما أظهر؛ إذ أرسل كتابه الذي يتنافى مع الإيمان الذي خرج يُجاهد من أجله ويبذل دمه في سبيله[٢].

- تأثر عمر من رد الرسول ﷺ فتحول في لحظات من رجل غاضب ينادي بإجراء العقوبة الكبيرة على حاطب إلى رجل يبكي من الخشية والتأثر ويقول: الله

---

(١) البخاري في المغازي رقم ٤٢٧٤ .

(٢) السيرة النبوية لأبي فارس ص ٤٠٤ .

ورسوله أعلم؛ ذلك لأن غضبه كان لله ورسوله، فلما تبين له أن الذي يرضي الله -تعالى- ورسوله ﷺ غير ما كان يراه غض النظر عن ذلك الخطأ وعاد إلى معاملة صاحبه بالحسنى تقديرًا لرصيده في الجهاد واستجاب[1].

وعند ما نزل رسول الله ﷺ بمر الظهران وخشي أبو سفيان على نفسه وعرض عليه العباس عمّ رسول الله ﷺ طلب الأمان من رسول الله ﷺ فوافق على ذلك يقول العباس بن عبد المطلب قلت: ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله ﷺ في الناس واصباح قريش والله، قال: فما الحيلة؟ فداك أبي وأمي، قال: قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله فأستأمنه لك، قال: فركب خلفي ورجع صاحباه، فجئت به، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا: عم رسول الله ﷺ على بغلته، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال: من هذا؟ وقام إليّ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال: أبو سفيان عدو الله، الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد، ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعني فلأضرب عنقه، قال قلت: يا رسول الله إني قد أجرته، فلما أكثر عمر من شأنه قلت: مهلاً يا عمر، فوالله أن لو كان من بني عدي ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف، فقال عمر: مهلاً يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم، فقال ﷺ: اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به[2]، فهذا موقف عمر رضي الله عنه وهو يرى عدو الله يمر بقوات المسلمين، محتميًا بظهر العباس عم النبي ﷺ وقد بدا ذليلاً خائفًا، فيود عمر رضي الله عنه أن يضرب عنق عدو الله قربى إلى الله -تعالى- وجهادًا في سبيله، ولكن الله -تعالى- قد أراد الخير بأبي سفيان فشرح صدره للإسلام، فحفظ دمه ونفسه[3].

---

(١) التاريخ الإسلامي (٧/ ١٧٦، ١٧٧).
(٢) السيرة النبوية ص ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠ .
(٣) الفاروق مع النبي د. عاطف لماضة ص٤٢ .

وفي غزوة حنين، باغت المشركون جيش المسلمين وانشمر الناس راجعين لا يلوي أحد على أحد، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ثم قال: أين أيها الناس؟ هلموا إليّ أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله، فلم يسمع أحد، وحملت الإبل بعضها على بعض، فانطلق الناس إلا أنه بقي مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته وكان فيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وابنه الفضل، وأبو سفيان بن الحارث، وابنه، وربيعة بن الحارث وغيرهم(١)، ويحكي أبو قتادة عن موقف عمر في هذه الغزوة فيقول: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين فلما التقينا كانت للمسلمين جولة، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين، فضربته من ورائه على عاتقه(٢) بسيف فقطعت الدرع، وأقبل عليّ فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت فأرسلني، فلحقت عمر بن الخطاب فقلت: ما بال الناس؟ فقال: أمر الله، ثم رجعوا(٣).

قال -تعالى- عن هذه الغزوة: **﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾** [التوبة: ٢٥]. فلما تاب الله -تعالى- على المؤمنين بعد أن كادت الهزيمة تلحق بهم نصر الله أولياءه، بعد أن أفاءوا إلى نبيهم واجتمعوا حوله، فأنزل الله سكينته ونصره على جنده وقال -تعالى- يقص علينا ذلك: **﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾** [التوبة: ٢٦].

وبعد معركة حنين عاد المسلمون إلى المدينة وبينما هم يمرون بالجعرانة(٤)، كان رسول الله ﷺ يقبض الفضة من ثوب بلال رضي الله عنه ويعطي الناس، فأتى رجل وقال لرسول الله ﷺ: يا محمد، اعدل، قال رسول الله: ويلك، ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعني يا رسول الله، فأقتل هذا المنافق، فقال: معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٨٩)، أخبار عمر ص ٤١.

(٢) العاتقُ: ما بين المنكب والعُنُق.

(٣) البخاري رقم ٤٠٦٦، ٤٠٦٧.

(٤) الجعرانة: تقع شمال مكة مع ميل إلى الشرق بتسع وتسعين ميلاً.

أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم[١]، يمرقون منه كما يمرق السهم[٢] من الرمية[٣]. ففي هذا الموقف منقبة عظيمة لعمر ﷺ، فهو لا يصبر إذا انتهكت أمامه المحارم، فقد اعتدي على مقام النبوة والرسالة، فما كان من الفاروق إلا أن أسرع قائلاً: دعني يا رسول الله، أقتل هذا المنافق. هذا هو رد الفاروق أمام من ينتهكون قدسية النبوة والرسالة[٤]، وفي الجعرانة لبّى عمر ﷺ رغبة يعلى بن أمية التميمي الصحابي المشهور في رؤية رسول الله ﷺ حين ينزل عليه الوحي، فعن صفوان بن يعلى، أن يعلى كان يقول: ليتني أرى رسول الله ﷺ حين ينزل[٥] عليه قال: فبينما النبي ﷺ بالجعرانة[٦]، وعليه ثوب قد أُظلَّ به، معه فيه ناس من أصحابه، إذ جاءه أعرابي عليه جُبَّة متضمِّخ[٧] بطيب، فقال: يا رسول الله، كيف ترى في رجل أحرم بعمرة في جبة بعد ما تضمخ بالطيب؟ فأشار عمر على يعلى بيده، أن تعالَ فجاء يعلى فإذا النبي ﷺ مُحمَرُّ الوجه، يغط[٨] كذلك ساعة، ثم سُرِّي عنه قال: أما الذي بك فاغسله ثلاث مرات، وأما الجبّةُ فانزعها، ثم ضع في عمرتك كما تضع في حجك[٩].

وأما في غزوة تبوك فقد تصدق بنصف ماله، وأشار على رسول الله بالدعاء للناس بالبركة عندما أصاب الناس مجاعة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: لما كان في غزوة تبوك[١٠]، أصاب الناس مجاعة، فقالوا: يا رسول الله لو أذنت فذبحنا نواضحنا[١١]، فأكلنا وادَّهنَّا، فقال لهم رسول الله ﷺ: افعلوا، فجاء عمر فقال:

---

(١) فيه تأويلات: أحدهما -معناه: لا تفقه قلوبهم، ولا ينتفعون بما تلوا منه، ولا لهم حظ سوى تلاوة الفم والحنجرة والثاني- لا يصعد لهم عمل ولا تلاوة.

(٢) يخرجون من الدين خروج السهم إذا أنفذ الصيد.

(٣) مسلم رقم ١٠٦٣، البخاري رقم ٣١٣٨.

(٤) صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق ص ٢٠٠.

(٥) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٢/٤٠٨).

(٦) موضع شمال مكة مع ميل إلى الشرق وتبعد عن مكة تسعةً وتسعين كيلاً.

(٧) الضَّمخ: لطخ الجسد بالطيب حتى كأنما يقطر.

(٨) الغط: هو الصوت الذي يخرج من نفس النائم.

(٩) البخاري، رقم ٤٧٠٠، مسلم رقم ١١٨٠.

(١٠) تبوك: موضع بين وادي القرى والشام.

(١١) النواضح من الإبل: التي يسقى عليها الماء.

يا رسول الله إنهم إن فعلوا قل الظّهر، ولكن ادعـهم فليأتوا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يجيء بكف الذرة، والآخر بكف التـمر، والآخر بالكسرة، حـتى اجتمع من ذلك على النطع شيء يسيـر، ثم دعا ﷺ بالبركـة، ثم قال: خذوا في أوعـيتكم فأخذوا في أوعيـتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملئوه وأكلوا حـتى شبعوا، وفضلت منه فـضلة، فقـال رسول الله: أشهـد ألا إله إلا الله، وأشهـد أني رسول الله، لا يلقى الله بها عبد غير شاك، فيحجب عن الجنة[١].

هذه بعض المواقف الـعـمريـة التي شـاهدها مع رسـول الله ﷺ ولا شك أن الفاروق قـد استـوعب الدروس والعبـر والفقـه الذي حدث في غـزوات رسول الله ﷺ وأصبحت له زادًا انطلق به في ترشيد وقيادة الناس بشرع الله تعالى.

ثانيًا- من مواقفه في المجتمع المدني:

كان عمـر شديد الحرص على ملازمة رسـول الله ﷺ وكان رضي الله عنه إذا جلس إلى رسول الله ﷺ لم يترك المجلس حتى ينفض، فـهو واحد من الجمع القليل الذي لم يترك رسـول الله ﷺ وهو يخطب حين قدمت عـير إلى المدينة[٢]، وكان يجلس في حلقات ودروس ومـواعظ رسول الله نشطًا يستـوضح، ويستفـهم، ويلقي الأسئلة بين يدي رسول اللـه في الشئون الخـاصة والعـامة[٣]، ولذلك فقـد روى عن النبي ﷺ خمسمائة حديث وتسعة وثلاثين حديثًا[٤]، وقيل: خمسمائة وسبعة وثلاثين حديثًا[٥]، اتفق الشيخان في صحيحيهمـا على ستة وعشرين منها، وانفرد البخاري بأربعة وثلاثين ومسلم بواحد وعشرين[٦]، والبقية في كتب الأحاديث الأخرى[٧]، وقد وفقه الله إلى رواية أحاديث لهـا قيمـتها الأولوية في حـقيقة الإيمان والإسـلام والإحسان والقـضاء والقـدر، وفي الـعلم والذكـر والدعـاء وفـي الطهـارة والصـلاة والجنـائز، والزكـاة

(١) مسلم، كتاب الإيمان رقم ٢٧ .
(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٥/ ٣٠٠) مسلم رقم ٨٦٣ .
(٣) انظر: عمر بن الخطاب، د. علي الخطيب ص ١٠٨ .
(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٣٣ .
(٥) انظر: عمر بن الخطاب، د. علي الخطيب ص ١٠٩ .
(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (١/ ٤٠).
(٧) عمر بن الخطاب د. علي الخطيب ص ١٠٩ .

والصدقات، والصيام، والحج، وفي النكاح والطلاق والنسب، والفرائض، والوصايا والاجتماع، وفي المعاملات والحدود، وفي اللباس والأطعمة والأشربة والذبائح، وفي الأخلاق والزهد والرقائق والمناقب والفتن والقيامة، وفي الخلافة والإمارة والقضاء، وقد أخذت هذه الأحاديث مكانها في مختلف العلوم الإسلامية، ولا تزال رافدًا يمد هذه العلوم[1]، وإليك بعض المواقف التعليمية والتربوية والاجتماعية من حياة الفاروق مع رسول الله ﷺ في المدينة.

١- رسول الله ﷺ يسأل عمر عن السائل:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: أخبرني عمر بن الخطاب أنهم بينما هم جلوس - أو قعود - عند النبي ﷺ، جاءه رجل يمشي، حسن الوجه، حسن الشعر، عليه ثياب بياض، فنظر القوم بعضهم إلى بعض: ما نعرف هذا، وما هذا بصاحب سفر. ثم قال: يا رسول الله، آتيك؟ قال: نعم. فجاء فوضع ركبتيه عند ركبتيه، ويديه على فخذيه، فقال: ما الإسلام؟ قال: شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت. قال: فما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته، والجنة والنّار، والبعث بعد الموت، والقدر كلِّه. قال: فما الإحسان؟ قال: أن تعمل لله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فمتى الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السَّائل. قال: فما أشراطها؟ قال: إذا العُراة الحفاة العالة رعاء الشاء تطاولوا في البنيان، وولَدت الإماء أربابهنّ[2] قال: ثم قال عليَّ الرّجُلَ، فطلبوه فلم يروا شيئًا، فمكث يومين أو ثلاثة، ثم قال: يابن الخطاب: أتدري من السائل عن كذا وكذا؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: ذاك جبريل جاءكم يعلمكم دينكم[3].

وهذا الحديث يبين أن الفاروق تعلم معاني الإسلام والإيمان والإحسان بطريقة السؤال والجواب من أفضل الملائكة وأفضل الرسل.

---

(١) عمر بن الخطاب د. علي الخطيب ص ١١٢ .

(٢) في طبعة الشيخ أحمد شاكر: رباتهن.

(٣) إسناده صحيح على شرط الشيخين، مسند أحمد رقم ١٨٤ .

٢- إصابة رأي رسول الله ﷺ :

عن أبي هريرة ﷺ قال: «كنا قعودًا حول رسول الله ﷺ ومعنا أبو بكر وعمر، في نفر. فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا، وخشينا أن يقتطع دوننا وفزعنا، فقمنا، فكنت أوّل من فزع فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطًا[١] للأنصار لبني النجار، فدرت به هل أجد له بابًا فلم أجد، فإذا ربيع[٢] يدخل في جوف حائط من بئر خارجة، فاحتفزت[٣] فدخلت على رسول الله ﷺ فقال: أبو هريرة؟ فقلت: نعم يا رسول الله، قال: ما شأنك؟ قلت: كنت بين أظهرنا، فقمت فأبطأت علينا، فخشينا أن تقطع دوننا، ففزعنا، وكنت أول من فزع، فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب، وهؤلاء الناس ورائي. فقال: يا أبا هريرة - وأعطاني نعليه - اذهب بنعلي هاتين فمن لقيته من وراء الحائط يشهد ألا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة. وكان أول من لقيت عمر، فقال: ما هذان النعلان يا أبا هريرة؟ فقلت: هذان نعلا رسول الله ﷺ بعثني بهما من لقيت يشهد ألا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه بشرته بالجنة. فضرب عمر بين ثديَيَّ بيده، فخررت لاستي، فقال: ارجع يا أبا هريرة، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأجهشت بالبكاء وركبني[٤] عمر. وإذا هو على أثري فقال رسول الله ﷺ : ما لك يا أبا هريرة؟ قلت: لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني[٥] به فضرب بين ثديَيَّ ضربة فخررت لاستي، فقال: ارجع، فقال رسول الله ﷺ : يا عمر ما حملك على ما فعلت؟ فقال: يا رسول الله، أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد ألا إله إلا الله مستيقنًا به قلبه بَشَّرَهُ بالجنة؟ قال: نعم. قال: فلا تفعل؛ فإني أخاف أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون. فقال رسول الله ﷺ : فخلِّهم»[٦].

٣- حرص رسول الله ﷺ على توحيد مصدر تلقي الصحابة:

عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ رأى بيد عمر بن الخطاب ورقة من التوراة

---

(١) الحائط: البستان.
(٢) الربيع: الساقية أو الجدول.
(٣) فاحتفزت: تضامت ليسعني المدخل.
(٤) ركبني عمر: تبعني وجاء على أثري.
(٥) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين (١ / ٢٥٨).
(٦) مسلم، ك الإيمان رقم ٣١ .

فقال: «أَمُتَهَوِّكُون[١] يابن الخطاب؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي»، وفي رواية: «أن لو كان موسى حيًّا ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم[٢].

٤- رسول الله ﷺ يتحدث عن بدء الخلق:

عن طارق بن شهاب قال سمعت عمر رضي الله عنه يقول: قام فينا النبي ﷺ مقامًا، فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه[٣]. وهذا الحديث يدخل ضمن فقه القدوم على الله الذي فهمه عمر من رسول الله ﷺ .

٥- نهي رسول الله ﷺ عن الحلف بالآباء وحثه على التوكل على الله:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله -عز وجل- ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم. قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ نهى عنها، ولا تكلمت بها ذاكرًا ولا آثرًا[٤]. وسمع عمر رضي الله عنه نبي الله ﷺ يقول: «لو أنكم تَوَكَّلُون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا»[٥] .

٦- رضيت بالله ربًّا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبيًّا ورسولاً:

عن أبي موسى قال: سئل النبي ﷺ عن أشياء كرهها، فلما أكثر عليه غضب، ثم قال للناس. سلوني عمّا شئتم، قال رجل: من أبي؟ قال: أبوك حذافة فقام آخر فقال: من أبي؟ قال: أبوك سالم مولى شيبة[٦]، فلما رأى عمر ما في وجهه، قال: يا رسول الله، إنا نتوب إلى الله -عز وجل-[٧]، وفي رواية: فبرك عمر على ركبتيه، فقال: رضينا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، فسكت[٨].

---

(١) أمتهوكون: التهوك كالتهور، وهو وقوع في الأمر بغير رَوِيَّة.

(٢) الفتاوى (١١ / ٢٣٢) ، مسند أحمد (٣/ ٣٨٧) عن جابر.

(٣) البخاري، كتاب بدء الخلق رقم ١٩٢ .

(٤) إسناده صحيح على شرط البخاري، مسند أحمد رقم ١٢٢ الموسوعة الحديثية.

(٥) إسناده قوي، مسند أحمد رقم ٢٠٥ الموسوعة الحديثية.

(٦) سعد بن سالم مولى شيبة بن ربيعة صحابي، محض الصواب (٢ / ٧٠٠).

(٧) البخاري، رقم ٩٢ ، مسلم رقم ٢٣٦٠ .

(٨) البخاري، رقم ٩٣ ، مسلم ٢٣٥٩ .

٧- لا ونعمةَ عين ، بل للناس عامة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: امرأة جاءت تبايعه فأدخلها الدولج [١] فأصبت منها ما دون الجماع؟ فقال: ويحك لعلها مُغيبة[٢] في سبيل الله؟ ونزل القرآن: ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ** ﴾ [هود: ١١٤]. فقال: يا رسول الله، علي خاصة أم للناس عامة، فضرب صدره - يعني عمر - بيده، وقال: لا، ولا نعمة عين، بل للناس عامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدق عمر [٣].

٨ - حكم العائد في صدقته:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: حملت على فرس في سبيل الله، فأضاعه صاحبه، فأردت أن أبتاعه وظننت أنه بائعه برخص، فقلت: حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لا تبتعه، وإن أعطاكه بدرهم؛ فإن الذي يعود في صدقته كالكلب يعود في قيئه[٤].

٩ - صدقاته ووقفه:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر تصدق بمال له على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقال له: ثمغ، وكان به نخل، فقال عمر: يا رسول الله، إنِّي استفدت مالاً، وهو عندي نفيس، فأردت أن أتصدق به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: تصدق بأصله، لا يباع ولا يوهب، ولا يورث، ولكن ينفق ثمره. فتصدق به عمر: فصدقته تلك في سبيل الله، وفي الرقاب، والمساكين، والضيف، وابن السبيل، ولذوي القربى، ولا جناح على من وليه أن يأكل بالمعروف، أو يؤكل صديقه غير متموِّل به[٥]، وفي رواية: أصاب عمر بخيبر أرضًا، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أصبت أرضًا لم أصب مالاً قط. أنفس منه، كيف تأمرني به؟ قال: إن شئت حَبَستَ أصلها وتصدقت بها، فتصدق عمر: أنه لا يباع

---

(١) الدولج: المخدع: وهو البيت الصغير داخل البيت الكبير.

(٢) المغيبة: التي غاب عنها زوجها.

(٣) مسند أحمد (٤/ ٤١) رقم ٢٢٠٦ ، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٤) إسناده صحيح على شرط الشيخين، مسند أحمد رقم ٢٨١ .

(٥) البخاري، ك الوصايا رقم ٢٧٧٢ رواية أخرى.

أصلها، ولا يوهب، ولا يورث، في الفقراء، وذوي القربى، والرقاب، وفي سبيل الله، والضيف، وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، أويطعم صديقًا غير متموِّل فيه [١]. فهذا الموقف العمري فيه فضيلة ظاهرة للفاروق رضي الله عنه ورغبته في المسارعة للخيرات، وإيثاره الحياة الآخرة على الحياة الفانية.

١٠ - هدية نبوية لعمر بن الخطاب وأخرى لابنه:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأى عمر على رجل حلة من إستبرق، فأتى بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، اشتر هذه فألبسها لوفد الناس إذا قدموا عليك. قال: إنما يلبس الحرير من لا خلاق له. فمضى من ذلك ما مضى، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إليه بحلة، فأتى بها النبي صلى الله عليه وسلم فقال: بعثت إلي بهذه، وقد قلت في مثلها - أو قال: في حُلة عطارد-[٢] ما قلت؟! قال: إنما بعثت إليك لتصيب بها مالاً [٤]: . . . فكساها عمر أخًا له بمكة قبل أن يسلم [٤]. وأما هدية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عمر، فعن عبد الله أن عمر قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فكنت على بكْرٍ صعب[٥] لعمر، فكان يغلبني فيتقدم أمام القوم، فيزجره عمر ويرده، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر: بعنيه. قال: هو لك يا رسول الله، فقال: بعنيه: فباعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هو لك يا عبد الله بن عمر تصنع به ما شئت [٦].

١١ - تشجيعه لابنه وبشرى لابن مسعود:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي مثل المسلم، حدِّثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنّها النخلة، قال عبد الله: فاستحييت، فقالوا: يا رسول الله، أخبرنا بها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هي النخلة. قال عبد الله: فحدثت أبي بما وقع في نفسي، فقال: لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا [٧].

---

(١) البخاري، ك الوصايا رقم ٢٧٧٣ رواية أخرى.
(٢) التميمي الدارمي.
(٣) مسلم، رقم ٢٠٦٨ .
(٤) البخاري، ك الأدب، رقم ٥٦٣٦ .
(٥) صعب: غير منقاد ولا ذلول.
(٦) البخاري، ك البيوع، رقم ٢٠٠٩ .
(٧) البخاري، ك العلم رقم ١٣١ .

وأما بشرى عمر لابن مسعود، فقد روى عمر ﷺ أنه سمر في بيت أبي بكر مع رسول الله في أمور المسلمين، فخرج رسول الله ﷺ، وخرجنا معه، فإذا رجل قائم يصلّي في المسجد، فقام رسول الله ﷺ يستمع قراءته، فما كدنا أن نعرفه، قال رسول الله ﷺ : من سره أن يقرأ القرآن رطبًا كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد. قال: ثم جلس الرجل يدعو، فجعل رسول الله ﷺ يقول له: سَلْ تُعْطَهْ، سَلْ تُعْطَهْ. قال عمر: قلت: والله، لأغدون إليه فلأبشرنه، قال: فغدوت إليه لأبشره فوجدت أبا بكر قد سبقني إليه فبشره، ولا والله ما سابقته إلى خير قط إلا سبقني إليه [1] .

١٢ - حذره من الابتداع:

عن المسور بن مخرمة[2]، وعبد الرحمن بن عبد القاريّ أنهما سمعا عمر بن الخطاب ﷺ يقول: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان، في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرؤُها على حروف كثيرة، لم يُقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أُساوره[3] في الصلاة، فانتظرته حتى سلم، فلببته[4]، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت له: كذبت، فوالله، إنَّ رسول الله ﷺ لهو أقرأني هذه السورة التي سمعتك فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ أقوده، فقلت له: يا رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ الفرقان على حروف لم تُقرئنيها، وإنك أقرأتني سورة الفرقان، قال: يا هشام، اقرأها. فقرأها القراءة التي سمعته، فقال رسول الله ﷺ : هكذا أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأنيها، فقال رسول الله ﷺ :هكذا أنزلت. ثم قال رسول الله ﷺ : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه[5] .

---

(١) إسناده صحيح، مسند أحمد رقم ١٧٥ الموسوعة الحديثية.

(٢) الزهري له ولأبيه صحبة توفي سنة ٦٤هـ .

(٣) ساوره مساورة وسواراً: واثبه.

(٤) لببه تلبيباً: جمع ثيابه عند نحره في الخصومة.

(٥) البخاري، كتاب فضائل القرآن، رقم ٤٧٥٤ ، مسلم رقم ٨١٨ .

١٣ - خذ ما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: قد كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول: أعطه من هو أفقر مني حتى أعطاني مرة مالاً. فقلت: أعطه من هو أفقر مني. فقال رسول الله ﷺ: خذه، وما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك(١).

١٤ - دعاء رسول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه:

رأى النبي ﷺ على عمر ثوبًا -وفي رواية قميصًا- أبيض فقال: أجديد ثوبك أم غسيل؟ فقال: بل غسيل، فقال: البس جديدًا، وعش حميدًا، ومُت شهيدًا (٢).

١٥ - لقد علمت حين مشى فيها رسول الله ﷺ ليباركن فيها:

عن جابر بن عبد الله: أن أباه تُوُفِّي وترك عليه ثلاثين وسقًا لرجل من اليهود، فاستنظره جابر فأبى أن ينظره، فكلم جابر رسول الله ﷺ ليشفع له إليه، فجاء رسول الله ﷺ فكلم اليهودي ليأخذ ثمر نخله بالذي له، فأبى، فدخل رسول الله ﷺ النخل فمشى فيها ثم قال لجابر: جُدَّ له، فأوف له الذي له، فجده بعد ما رجع رسول الله ﷺ فأوفاه ثلاثين وسقًا(٣)، وفضلت له سبعة عشر وسقًا، فجاء جابر رسول الله ﷺ ليخبره بالذي كان، فوجده يصلي العصر، فلما انصرف أخبره بالفضل، فقال: أخبر بذلك ابن الخطاب، فذهب جابر إلى عمر فأخبره فقال له عمر: لقد علمت حين مشى فيها رسول الله ﷺ ليباركن فيها (٤).

١٦ - زواج حفصة بنت عمر رضي الله عنهما من رسول الله ﷺ:

قال عمر رضي الله عنه: حين تأيمت (٥) حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي،

---

(١) مسلم، كتاب الزكاة رقم ١٠٤٥ .

(٢) حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٥٢ ، وهو في الصحيح الجامع ١٢٣٤ .

(٣) الوسق: ستون صاعاً.

(٤) البخاري، ك الاستقراض رقم ٢٢٦٦.

(٥) تأيمت: مات عنها زوجها.

وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفي في المدينة، فقال عمر: أتيت عثمان بن عفان، فعرضت عليه حفصة بنت عمر، قلت: إن شئت أنكحتك حفصة، فقال: سأنظر في أمري، فلبث لياليَ، ثم لقيني فقال: قد بدا لي ألا أتزوج، قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر رضي الله عنه فلم يرجع إليَّ شيئًا، فكنت عليه أوجد مني على عثمان بن عفان، فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئًا؟ قال عمر: نعم، قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت علي، إلا أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ولو تركها رسول الله ﷺ لقبلتها[1] .

ثالثًا- موقف عمر رضي الله عنه من خلاف رسول الله ﷺ مع أزواجه:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر رضي الله عنه عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله -تعالى-: ﴿ **إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** ﴾ [التحريم: ٤] حتى حجَّ عمر وحججت معه، فلما كنا ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالإداوة، فتبرز ثم أتاني، فسكبت على يديه فتوضأ، فقلت، يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى: ﴿ **إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** ﴾؟ فقال عمر: واعجبا لك يابن عباس- قال الزهري: كره، والله ما سأله عنه ولم يكتمه عنه - قال هي حفصة وعائشة. قال: ثم أخذ يسوق الحديث، قال: كنا معشر قريش قومًا نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قومًا تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم، قال: وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي، قال: فتغضبتُ[2] يومًا على امرأتي، فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تراجعني، فقالت: ما تنكر أن أراجعك، فوالله إن أزواج النبي ﷺ

---

(١) البخاري، كتاب النكاح، رقم ٥١٢٢، عمر بن الخطاب، محمد رشيد ص٢٣.

(٢) أي: فغضبت.

ليراجعنه، وتهجره إحداهنَّ اليوم إلى الليـل. قال: فانطلقت، فدخلت على حفصة، فقلت: أتراجعين رسول الله ﷺ؟ قالت: نـعم. قلت: وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟ قالت: نعم. قلت: قد خاب من فعل ذلك منكـنَّ وخسر، أفتأمن إحداكن أن يغضب عليها لغضب رسـول الله ﷺ فإذا هي قد هلكت؟! لا تراجعي رسول الله ﷺ لا تسأليه شـيئًا، وسليني ما بدا لك، ولا يغـرنك أن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك - يريد عائشة - قال: وكان لي جار من الأنصار، وكنّا نتناوب النّزول إلى رسـول الله ﷺ، فينزل يومًا، وأنزل يومـًا، فيأتيني بخـبر الوحي وغيـره، وآتيه بمثل ذلك، قال: وكنا نتحـدث أن غسّان تُنْعلُ الخيل لتـغزونا، فنزل صاحبـي يومًا، ثم أتاني عشاءً فضـرب بابي، ثم ناداني فخرجت إليـه، فقال: حدث أمر عظيم. فقلت: وماذا، أجاءت غسان؟ قال: لا بل أعظم من ذلك وأطول، طلق الرّسول نساءه. فـقلت: قد خابت حفصة وخسـرت، قد كنت أظن هذا كائنًا. حتى إذا صلـيت الصبح شددت عـلي ثيابي، ثم نزلت فـدخلت على حفـصة وهي تبكي، فقلت أطلقكن رسول الله؟ فقالت: لا أدري، هو هذا معتزل في هذه المشربة: فأتيت غلامًا له أسود، فقلت: استأذن لعـمر، فدخل الغلام ثم خرج إليَّ، فقال: قد ذكرتُك له فصَمتَ، فانطلقت حتى أتيت المنبر، فإذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم، فجلست قليلاً، ثم غلبني ما أجد، فأتيت الغلام فقلت: استأذن لعمر فدخل ثم خرج إليَّ، فقـال: قد ذكرتك لـه فصمت، فـوليت مدبرًا، فإذا الغـلام يدعوني، فـقال: ادخل، فقد أذن لك. فدخلت، فسلمت على رسول الله ﷺ، فإذا هو متكئ على رمل حصيـر قد أثر في جنبه، فقلت: أطلقت يا رسول الله نسـاءك؟ فرفع رأسه إلي وقال؟ لا. فقلت: الله أكبر، لو رأيتنا يا رسول الله، وكنا مـعشر قريش قومًا نغلب النساء، فلمـا قدمنا المدينة وجـدنا قومًا تغلبـهم نساؤهم، فطفق نساؤنـا يتعلمن من نسائهم، فتغضبت على امرأتي يومًا فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تراجعني فقالت: ما تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج رسول الله ﷺ ليُـراجعنه، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل. فقلت: قـد خاب من فعل ذلك منهن وخسر، أفـتأمن إحداهن أن

يغضب الله عليها لغضب رسوله، فإذا هي قد هلكت؟ فتبسم رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، فدخلت على حفصة، فقلت: لا يغرَّنك أن كانت جارتك هي أوسم وأحبَّ إلى رسول الله ﷺ منك، فتبسم أخرى، فقلت: أستأنس يا رسول الله؟ قال: نعم. فجلست، فرفعت رأسي في البيت، فوالله ما رأيت فيه شيئًا يردُّ البصرَ إلا أهبة [١] ثلاثة، فقلت: ادع يا رسول الله، أن يوسع على أمتك فقد وُسِّع على فارس والروم، وهم لا يعبدون الله. فاستوى جالسًا، ثم قال: أفي شك أنت يابن الخطاب؟ أولئك قوم عُجِّلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا، فقلت: استغفر لي يا رسول الله. وكان أقسم ألا يدخل عليهن شهرًا من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله -عز وجل- [٢].

هذا ما تيسر جمعه وترتيبه من حياة الفاروق في المجتمع المدني، ولقد نال عمر رضي الله عنه أوسمة رفيعة من رسول الله ﷺ بينت فضله ودينه وعلمه رضي الله عنه وسنتحدث عنها بإذن الله.

رابعًا- شيء من فضائله ومناقبه:

إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يلي أبا بكر الصديق في الفضل، فهو أفضل الناس على الإطلاق بعد الأنبياء والمرسلين وأبي بكر، وهذا ما يلزم المسلم اعتقاده في أفضليته رضي الله عنه وهو مُعْتَقَد الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة[٣]، وقد وردت الأحاديث الكثيرة والأخبار الشهيرة بفضائل الفاروق رضي الله عنه ومنها:

١ - إيمانه وعلمه ودينه:

فقد جاء في منزلة إيمانه رضي الله عنه ما رواه عبد الله بن هشام أنه قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر يا رسول الله، لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: لا والذي نفسي بيده، حتى أكون

---

(١) أهبة: الجلود قبل الدبغ.

(٢) إسناده صحيح على شرط الشيخين مسند أحمد رقم ٢٢٢ الموسوعة الحديثة.

(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، د. ناصر بن علي عائض حسن الشيخ (١/٢٤٣).

أحبّ إليك من نفسك. فقال له عـمر: فإنه الآن والله، لأنت أحبُّ إليّ من نفسي. فقال النبي ﷺ: الآن يا عمر [١].

وأما علمه فقد قال رسول الله ﷺ: بينما أنا نائم شربت - يعني اللبن - حتى أنظر إلى الرّي يجري في ظفري أو في أظفاري، ثم ناولت عمـر. فقالوا: فما أولته قال: العلم[٢]. وجه التـعبـير بذلك من جـهة اشتـراك اللبن والعلم في كثـرة النفع وكونهما سـببًا للصلاح، فاللبن للغذاء البـدني والعلم للغذاء المعنوي، وفي الحديث فضيلة ومنقـبة لعمر رضي الله عنه، وأن الرؤيا من شأنهـا ألا تحمل على ظاهرها وإن كانت رؤيا الأنبياء من الوحي، لكن منها ما يحتاج إلى تعبير ومنها ما يحمل على ظاهره. والمراد بالعلم - في الحـديث - سيـاسة النـاس بكتاب الله وسنة رسـول الله ﷺ واختص عـمر بذلك؛ لطول مـدته بالنسبـة إلى أبي بكر وباتفاق الناس على طاعـته بالنسبة إلى عـثمان: فإن مدة أبي بكر كانت قـصيرة فلم تكثر فيهـا الفتوح التي هي أعظم الأسبـاب في الاختلاف، ومع ذلك فـساس عمـر فيهـا مع طول مدته الناس بحيث لم يـخالفه أحـد، ثم ازدادت اتساعًـا في خلافة عـثمان فـانتشـرت الأقوال واختلفت الآراء، ولم يتـفق له ما اتفق لعـمر في طواعية الخـلق له؛ فنشأت من ثم الفتن إلى أن أفـضى الأمر إلى قتلـه، واستخلف علـيٌّ فما ازداد الأمـر إلا اختـلافًا والفتن إلا انتشارًا، وأما دينه، فقـد قال رسول الله ﷺ: بينما أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمص: فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض على عمر وعليه قميص اجتره. قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: الدين [٣].

٢ - هيبة عمر وخوف الشيطان منه:

عن سعـد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: استـأذن عمر بـن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمـنه ويستكثرنه عالية أصـواتهن على صوته، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر ورسول الله يضحك. فقال: أضـحك الله سنك يا رسول الله، فقال النبي ﷺ:

---

(١) الصحيح المسند في فضائل الصحابة ٦٦. (٢) فتح الباري (٧ / ٤٦). (٣) مسلم رقم ٢٣٩٠.

عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب. قال عمر: فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله، ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ فقلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: إيهًا يابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًّا[١] قط إلا سلك فجًّا آخر[٢]. هذا الحديث فيه بيان فضل عمر رضي الله عنه وأنه من كثرة التزامه الصواب لم يجد الشيطان عليه مدخلاً ينفذ إليه[٣].

قال ابن حجر: فيه فضيلة لعمر تقتضي أن الشيطان لا سبيل له عليه، لا أن ذلك يقتضي وجود العصمة؛ إذ ليس فيه إلا فرار الشيطان منه أن يشاركه في طريق يسلكها، ولا يمنع ذلك من وسوسته له بحسب ما تصل إليه قدرته، فإن قيل عدم تسليطه عليه بالوسوسة يؤخذ بطريق مفهوم الموافقة؛ لأنه إذا منع من السلوك في طريق فأولى ألا يلابسه بحيث يتمكن من وسوسته له- فيمكن أن يكون حفظ من الشيطان، ولا يلزم من ذلك ثبوت العصمة له؛ لأنها في حق النبي واجبة وفي حق غيره ممكنة، ووقع في حديث حفصة عند الطبراني في الأوسط بلفظ: إن الشيطان لا يلقى عمر منذ أسلم إلا فر لوجهه. وهذا دال على صلابته في الدين، واستمرار حاله على الجد الصرف والحق المحض، وقال النووي: هذا الحديث محمول على ظاهره وأن الشيطان يهرب إذا رآه، وقال عياض: يحتمل أن يكون ذاك على سبيل ضرب المثل وأن عمر فارق سبيل الشيطان وسلك طريق السداد فخالف كل ما يحبه الشيطان، قال ابن حجر: والأول أولى[٤].

٣ - ملهم هذه الأمة:

قال رسول الله ﷺ: «لقد كان فيمن قبلكم من الأمم محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر». [٥] هذا الحديث تضمن منقبة عظيمة للفاروق رضي الله عنه، وقد اختلف العلماء في المراد بالمحدَّث، فقيل: المراد بالمحدث: الملهم. وقيل: من يجري

---

(١) الفج: الطريق الواسع ويطلق على المكان المنخرق بين الجبلين.
(٢) البخاري رقم ٣٦٨٣، مسلم ٢٣٨٦.
(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة (١/٣٤٨).
(٤) فتح الباري (٧/٤٧-٤٨)، شرح النووي (١٥/١٦٥-١٦٧).
(٥) البخاري رقم ٣٦٨٩، مسلم رقم ٢٣٩٨.

الصواب على لسـانه من غير قصـد، وقيل: مكلَّم، أي: تكلمه الملائكة بغـير نبوة. بمعنى: أنها تكلمه في نفسه وإن لم ير مكلمًا في الحقـيقة فيرجع إلى الإلهام. وفسره بعضهم بالتفرس [(١)] .

قال ابن حجر: والسـبب في تخصيص عمر بالذكـر؛ لكثرة ما وقع له في زمن النبي ﷺ من الموافقات التي نزل القرآن مطابقًـا لها ووقع له بعد النبي ﷺ عدة إصابات[(٢)] . وكون عمر رضي الله عنه اختص بهذه المكرمـة العظيمة وانفرد بها دون من سواه من الصحابة لا يدل علـى أنه أفضل من الصديق رضي الله عنه[(٣)]، قال ابن القيم: ولا تظن أن تخصـيص عمر رضي الله عنه بهذا تـفضيل له على أبي بكر الصـديق، بل هذا من أقوى مناقب الصديق؛ فإنه لكمال مشربـه من حوض النبوة وتمام رضاعه من ثدي الرسالة استغنى بذلك عمـا تلقاه من تحديث أو غيره، فالذي يتلقـاه من مشكاة النبوة أتم من الذي يتلقاه عمر من التحديث، فتـأمل هذا الموضع وأعطه حقه من المعرفة وتأمل ما فيه من الحكمة البالغة الشاهدة لله بأنه الحكيم الخبير[(٤)] .

٤ - لم أر عبقريًّا يفري فريه:

قال رسول الله ﷺ : «رأيت في المنام أني أنزع بدلو بكْرةٍ على قليب[(٥)]، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبًا أو ذنوبين نزعًا ضعيفًا، والله يغفر له[(٦)]، ثمَّ جاء عمر بن الخطاب فاستـحالت غَرْبًا، فلم أر عـبـقريًّا يفري فريه حـتى روى الناس وضربوا بعطن»[(٧)]، وهذا الحديث فـيه فضيلة ظاهرة لعـمر رضي الله عنه تضمنهـا قوله ﷺ : فجاء عـمر بن الخطاب فاستحـالت غربًا. . . الحديث، ومعنى: (استحـالت): صارت وتحولت من الصغر إلى الكبر، وأمَّا (العبقري) فهو السيد، وقيل: الذي ليس فوقه شيء، ومعنى

(١) فتح الباري (٧/ ٥٠)، شرح النووي (١٥/ ١٦٦) .
(٢) فتح الباري (٧/ ٥١) .
(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة (١/ ٢٥١) .
(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٥٥) .
(٥) القليب: البئر غير المطوية.
(٦) والله يغفر له: هذه عبارة ليس فيها تنقيص لأبي بكر وإنما هي كلمة كان المسلمون يدعمون بها كلامهم.
(٧) مسلم رقم ٢٣٩٣ .

(ضـرب الناس بعطن) أي أرووا إبلهم ثم آووها إلى عطنهـا وهو الموضع الذي تسـاق إليـه بعد السـقي لتسـتريح. وهذا المنام الذي رآه النبي ﷺ مـثال واضح لمـا جرى للصديق وعـمر رضي الله عنهما في خلافتهـما وحسن سيـرتهما وظهور آثارهما وانـتفاع الناس بهمـا، فقد حـصل في خلافة الصـديق قتال أهل الردة وقطع دابرهم وأشـاع الإسلام رغم قصر مدة خلافته، فقد كانت سنتين وأشهرًا، فوضع الله فيها البركة وحصل فيها من النفع الكثير، ولما توفي الصديق خلفه الفـاروق، فاتسعت رقعة الإسلام في زمنه، وتقرر للناس من أحكامه ما لم يقع مثله؛ فكثر انتـفاع الناس في خلافة عمر لطولها؛ فقـد مصـر الأمصـار ودون الدواوين، وكثـرت الفتوحـات والغنائم.. ومعنـى قوله ﷺ: «فلم أر عبـقريًّا من الناس يفري فـريه»: أي لم أر سيدًا يعـمل عمله ويقطع قطعه، ومعنى قوله ﷺ: «حتى ضرب الناس بعطن»، قال القاضي عياض: ظاهره أنه عائد إلى خلافة عمر خاصة، وقيل: يعـود إلى خلافة أبي بكر وعمر جميعًا؛ لأن بنظرهما وتدبيرهمـا وقيامهما بمصـالح المسلمين تم هذا الأمر (وضرب الناس بعطن)؛ لأن أبا بكر قـمع أهل الردة، وجمع شـمل المسلمين وألفهـم، وابتدأ الفـتوح ومـهد الأمور، وتمت ثمرات ذلك وتكاملت في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما[(١)].

٥ - غيرة عمر رضي الله عنه وبشرى رسول الله ﷺ له بقصر في الجنة:

قال رسول الله ﷺ: «رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميـصاء امرأة أبي طليحة وسمعـت خشفة، فقلـت من هذا؟ فقالوا: هذا بلال، ورأيت قصـرًا بفنائه جارية، فقلت. لمن هذا؟ فقالوا: لعـمر، فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غـيرتك. فقال عمر: بأبي وأمي يا رسـول الله ﷺ عليك أغار؟!»[(٢)]، وفي رواية قال رسول الله ﷺ: بينما أنا نائم رأيتني في الجنة فـإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قـصر فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا لعمر فذكرت غيـرته فوليت مدبرًا. فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله ﷺ؟!»[(٣)].

---

(١) شرح النووي (١٥/ ١٦١ -١٦٢).

(٢) مسلم رقم ٢٣٩٤، صحيح التوثيق ص٥٤، البخاري برقم ٣٤٧٦ + ٦٦٢٠.

(٣) مسلم رقم ٢٣٩٥.

هذان الحديثان اشتملا على فضيلة ظاهرة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث أخبر النبي صلى الله عليه وسلم برؤيته قصرًا في الجنة للفاروق، وهذا يدل على منزلته عند الله تعالى [(١)].

٦ - أحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه بعد أبي بكر:

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله، أيُّ الناس أحبّ إليك؟ قال: عائشة، قلت: يا رسول الله، من الرجال؟ قال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب، ثم عدّ رجالاً [(٢)] .

٧ - بشرى لعمر بالجنة:

عن أبي موسى الأشعري قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح فقال النبي صلى الله عليه وسلم: افتح له وبشره بالجنة، ففتحت له، فإذا أبو بكر فبشرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبي صلى الله عليه وسلم: افتح له وبشره بالجنة، ففتحت له فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله، ثم استفتح رجل، فقال لي: افتح له وبشره بالجنة، على بلوى تصيبه فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله، ثم قال: الله المستعان [(٣)] .

خامسًا- موقف عمر في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفاته:

١ - في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قال عبد الله بن زمعة: لما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه بلال رضي الله عنه يدعوه إلى الصلاة، فقال صلى الله عليه وسلم: مروا من يصلي بالناس. قال: فخرجت فإذا عمر في الناس، وكان أبو بكر غائبًا، فقلت: قم يا عمر فصل بالناس، قال: فقام، فلما كبر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته، وكان عمر رجلاً مجهرًا، قال: فقال رسول الله

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة والصحابة (١/ ٢٤٥) .

(٢) الإحسان في صحيح ابن حبان (١٥/ ٢٠٩) . الحديث في مسلم برقم ٢٣٨٤ ، والبخاري باب غزوة ذات السلاسل برقم ٤١٠٠ .

(٣) البخاري، كتاب الصحابة رقم ٣٢٩٠.

ﷺ: فأين أبو بكر يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون. قال، فبعث إلى أبي بكر، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة، فصلى بالناس، قال: قال عبد الله بن زمعة: قال لي عمر: ويحك !! ماذا صنعت بي يابن زمعة؟ والله ما ظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله أمر بذلك، ولولا ذلك ما صليت بالناس، قال: قلت: والله ما أمرني رسول الله ﷺ بذلك، ولكني حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس (١) .

وقد روى ابن عباس بأنه: لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه قال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده. قال عمر رضي الله عنه: إن النبي ﷺ غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا! فاختلفوا وكثر اللّغط قال: قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع، فخرج ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه(٢) .
وقد تكلم العلماء على هذا الحديث بما يشفي العليل ويروي الغليل، وقد أطال النفس في الكلام عليه النووي في شرح مسلم فقال: اعلم أن النبي ﷺ معصوم من الكذب ومن تغيير شيء من الأحكام الشرعية في حال صحته وحال مرضه، ومعصوم من ترك بيان ما أمر ببيانه وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه، وليس معصومًا من الأمراض والأسقام العارضة للأجسام ونحوها مما لا نقص فيه لمنزلته، ولا فساد لما تمهد من شريعته، وقد سُحر ﷺ حتى صار يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله، ولم يصدر منه ﷺ في هذا الحال كلام في الأحكام مخالف لما سبق من الأحكام التي قررها، فإذا علمت ما ذكرناه فقد اختلف العلماء في الكتاب الذي هم النبي ﷺ به. فقيل: أراد أن ينص على الخلافة في إنسان معين؛ لئلا يقع فيه نزاع وفتن، وقيل: أراد كتابًا يبين فيه مهمات الأحكام ملخصة؛ ليرتفع النزاع فيها، ويحصل الاتفاق على المنصوص عليه، وكان النبي ﷺ هم بالكتاب حين ظهر له أنه مصلحة أو أوحي إليه بذلك ثم ظهر أن المصلحة تركه، أو أوحي إليه بذلك ونسخ ذلك الأمر الأول، وأما كلام عمر رضي الله عنه فقد اتفق العلماء المتكلمون في شرح

---

(١) حديث إسناده صحيح أخرجه أبو داود رقم ٤٦٦٠.
(٢) البخاري، كتاب العلم رقم ١١٤.

الحديث على أنه من دلائل فقه عمر وفضائله ودقيق نظره؛ لأنه خشي أن يكتب ﷺ أمورًا ربما عجزوا عنها، واستحقوا العقوبة عليها؛ لأنها منصوصة لا مجال للاجتهاد فيها. فقال عمر: حسبنا كتاب الله؛ لقوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] . وقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] . فعلم أن الله -تعالى- أكمل دينه، فأمن الضلال على الأمة وأراد الترفيه على رسول الله ﷺ ، فكان عمر أفقه من ابن عباس وموافقيه، قال الخطابي: ولا يجوز أن يحمل قول عمر على أنه توهم الغلط على رسول الله ﷺ ، أو ظن به غير ذلك مما لا يليق به بحال. لكنه لما رأى ما غلب على رسول الله ﷺ من الوجع وقرب الوفاة، مع ما اعتراه مع الكرب خاف أن يكون ذلك القول مما يقوله المريض مما لا عزيمة له فيه؛ فيجد المنافقون بذلك سبيلاً إلى الكلام في الدين. وقد كان أصحابه ﷺ يراجعونه في بعض الأمور قبل أن يجزم فيها بتحتيم، كما راجعوه يوم الحديبية في الخلاف، وفي كتاب الصلح بينه وبين قريش. فأما إذا أمر النبي ﷺ بالشيء أمر عزيمة فلا يراجعه فيه أحد منهم[1]. وقال القاضي: قوله: أهجر رسول الله ﷺ ، هكذا هو في صحيح مسلم وغيره: أهجر؟ على الاستفهام، وهو أصح من رواية من روى هجر يهجر؛ لأن هذا كله لا يصح منه ﷺ ؛ لأن معنى «هجر»: هذى. وإنما جاء هذا من قائله استفهامًا للإنكار على من قال: لا تكتبوا، أي: لا تتركوا أمر رسول الله ﷺ وتجعلوه كأمر من هجر في كلامه؛ لأنه ﷺ لا يهجر، وقول عمر رضي الله عنه: حسبنا كتاب الله، ردًا على من نازعه، لا على من أمر النبي ﷺ[2]، وعلق الشيخ علي الطنطاوي على ذلك فقال: والذي أراه أن عمر قد تعود خلال صحبته الطويلة للرسول ﷺ أن يبدي له رأيه؛ لما يعلم من إذنه له بذلك ولرضاه عنه، وقد مر من أخبار صحبته، مواقف كثيرة كان يقترح فيها على رسول الله ﷺ أمورًا، ويطلب منه أمورًا، ويسأله عن أمورٍ، فكان الرسول ﷺ يقره على ما فيه الصواب، ويرده عن الخطأ، فلما قال الرسول ﷺ : ائتوني أكتب

---

(١) صحيح السيرة النبوية ص٧٥٠ نقلاً عن شرح مسلم (١١/ ٩٠) .

(٢) شرح النووي (١١/ ٩٠)، فصل الخطاب في مواقف الأصحاب للغرسي ص٤١ .

لكم كتابًا، اقترح عليه عمر على عادته التي عوده الرسول، أن يكتفي بكتاب الله، فأقره الرسول ﷺ، ولو كان يريد الكتابة، لأسكت عمر، ولأمضى ما يريد[١] .

٢ - موقفه يوم قبض الرسول ﷺ :

لما بلغ الناس خبر وفاة رسول الله ﷺ حدثت ضجة كبيرة، فقد كان موت الرسول ﷺ صدمة لكثير من المسلمين خاصة ابن الخطاب، حدثنا عن ذلك الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه حيث قال: لما توفي رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب فقال: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي، وإن رسول الله ﷺ ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل: قد مات، والله، ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ قد مات[٢]، وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد - حين بلغه الخبر - وعمر يكلم الناس، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله في بيت عائشة رضي الله عنها ورسول الله ﷺ مسجًّى في ناحية البيت، عليه بردة حبرة، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله ﷺ ثم أقبل عليه فقبله، ثم قال: بأبي أنت وأمي، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدًا، قال: ثم رد البردة على وجه رسول الله ﷺ، ثم خرج وعمر يكلم الناس، فقال: على رسلك يا عمر، أنصت، فأبى إلا أن يتكلم، فلما رآه أبو بكر لا ينصت، أقبل على الناس، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنه من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله -تعالى- لا يموت. ثم تلا قول الله تعالى: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٤] .

---

(١) أخبار عمر ص٤٦ .

(٢) السيرة النبوية لابن أبي شهبة (٢/ ٥٩٤) .

قال أبو هريرة ﷺ: فـو الله فكأن الناس لم يعلموا أن هـذه الآية نزلت، حتى تلاها أبو بكر يومـئذ، قـال: وأخذها النـاس عن أبي بكر، فإنما هي في أفـواههم، قال: فقال أبو هريرة ﷺ: قال عمـر: فو الله، ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقـرت حتى وقعت إلى الأرض ما تحملني رجـلاي، وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات[1].

❊ ■ ❊

(١) البخاري، كتاب الجنائز، رقم ١٢٤٢.

المبحث الثالث
عمر رضي الله عنه في خلافة الصديق

أولاً- مقامه في سقيفة بني ساعدة ومبايعته للصديق:

عقب وفاة النبي ﷺ اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم، فذهب عمر يتكلم،، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله، ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلامًا قد أعجبني خشيت ألا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر، فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله ، لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا، ولكنا الأمراء، وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب دارًا، وأعربهم أحسابًا، فبايعوا عمر، أو أبا عبيدة. فقال عمر: بل نبايعك أنت، وأنت سيدنا وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس.[1] فرضي الله عن عمر وأرضاه، فإنه عندما ارتفعت الأصوات في السقيفة وكثر اللغط، وخشي عمر الاختلاف، ومن أخطر الأمور التي خشيها عمر أن يُبْدأ بالبيعة لأحد الأنصار فتحدث الفتنة العظيمة؛ لأنه ليس من اليسير أن يبايع أحد بعد البدء بالبيعة لأحد الأنصار، فأسرع عمر رضي الله عنه إخمادًا للفتنة[2]، وقال للأنصار: يا معشر الأنصار، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر أن يؤم الناس فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر [3]، ثم بادر رضي الله عنه وقال لأبي بكر: ابسط يدك، فبسط يده فبايعه، وبايعه المهاجرون، ثم الأنصار [4] .

وعندما كان يوم الثلاثاء جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلم قبل أبي

(١) مسند أحمد (١/ ٢١٣) وصحح إسناده أحمد شاكر.
(٢) الحكمة في الدعوة إلى الله، سعيد القحطاني ص٢٢٦ .
(٣) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١/ ٢٨٠) .
(٤) البخاري، كتاب فضائل الصحابة. رقم ٣٦٦٨ .

بكر، فحمد الله -تعالى- وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس، إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت، وما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهدًا عهده إليّ رسول الله ﷺ، ولكني قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيُدبّر أمرنا، يقول: يكون آخرنا، وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم الله مما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ، ثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوا فبايع الناس أبا بكر بيعته العامة بعد بيعة السقيفة(١)، فكان عمر ﷺ يذود ويقوي، ويشجع الناس على بيعة أبي بكر حتى جمعهم الله عليه، وأنقذهم الله من الاختلاف والفرقة والفتنة، فهذا الموقف الذي وقفه عمر مع الناس من أجل جمعهم على إمامة أبي بكر، موقف عظيم من أعظم مواقف الحكمة التي ينبغي أن تسجل بماء الذهب (٢) .

لقد خشي أن يتفرق أمر المسلمين وتشب نار الفتن فأخمدها بالمبادرة إلى مبايعة أبي بكر، وتشجيع الناس على المبايعة العامة؛ فكان عمله هذا سببًا لنجاة المسلمين من أكبر كارثة كانت تحل بهم لولا يمن نقيبته وصحة نظره بعد معونة الله تعالى (٣) .

ثانيًا - مراجعته لأبي بكر في محاربة مانعي الزكاة وإرسال جيش أسامة:

قال أبو هريرة ﷺ: لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر: يا أبا بكر، كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله». قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة؛ فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا (٤)، كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فو الله، ما هو إلا أن رأيت أن الله -عز وجل- قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق (٥).

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٥، ٣٠٦) إسناده صحيح.
(٢) الحكمة في الدعوة إلى الله، ص٢٢٧ .
(٣) الخلفاء الراشدون، عبد الوهاب النجار ص١٢٣ .
(٤) العناق: هي الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سنة.
(٥) البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين رقم ٦٥٢٦ .

وعندما اقـترح بعض الصحابة على أبي بكر بأن يبـقى جيش أسامة حـتى تهدأ الأمـور أرسل أسامـة من معـسكره من الجـرف عمـر بن الخطاب ﷺ إلى أبي بكر يسـتأذنه أن يرجع بالناس وقـال: إن معي وجـوه المسلمين وجلتـهم، ولا آمن على خليفة رسول الله، وحرم رسول الله، والمسلمين أن يتخطفهم المشركون[(١)]، ولكن أبا بكر خالف ذلك وأصرّ على أن تستـمر الحملة العسكرية في تحركها إلى الشـام مهما كانت الظروف والأحوال والنتائج، وطلبت الأنصار رجلاً أقدم سنًّا من أسامة يتولى أمر الجيش وأرسلوا عمر بن الخطاب ليحدث الصديق في ذلك، فقال عمر ﷺ: إن الأنصار تطلب رجـلاً أقدم سنًّا من أسامـة ﷺ فوثب أبو بكر ﷺ وكان جـالسًا وأخذ بلحية عمر ﷺ وقال: ثكلتك أمك يابن الخطاب! استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أعزله[(٢)]، فخرج عمر ﷺ إلى الناس فقالوا: ما صنعت؟ فقال: امضوا ثكلتكم أمهاتكم! ما لقيت في سببكم من خليفة رسول الله ﷺ ؟![(٣)]

ثالثًا- عـمر ورجوع مـعاذ من اليـمن، وفراسة صـادقة في أبي مـسلم الخولاني، ورأيه في تعيين أبان بن سعيد على البحرين:

١ - عمر ورجوع معاذ من اليمن:

مكث معاذ بن جبل باليمن في حيـاة رسول الله ﷺ وكان له جهاده الدعوي وكذلك ضد المرتدين، وبعد وفاة رسول الله ﷺ قدم إلى المدينة، فقال عمر ﷺ لأبي بكر ﷺ: أرسل إلى هذا الرجل فدع له مـا يعيشه وخذ سـائره منه. فقال أبو بكر: إنما بعثه النبي ﷺ ليجبره ولست بآخـذ منه شيئًا إلا أن يعطيني، ورأى عمر أن أبا بكر ﷺ لم يأخذ برأية، ولـكن عمر مقـتنع بصواب رأيه، فذهب إلى مـعاذ لعله يرضى، فقـال معاذ: إنما بعثـني رسول الله ﷺ ليجبـرني ولست بفاعل، إن عمـر لم يذهب إلى أبي بكر مسـتعـديًا، ولكنه كان يريد الخـير لمعاذ وللمـسلمين، وهاهو معاذ يرفض نصـيحة عمر، ويعلم عمر أنه ليس بصـاحب سلطان على معاذ فينصرف راضيًا؛ لأنه قام بواجبه من النصيـحة، ولكن معاذًا رأى بعد رفضه نصيحة

---
(١) الكامل لابن الأثير (٢/ ٢٢٦) . (٢) تاريخ الطبري (٤/ ٤٦) . (٣) نفس المصدر (٤/ ٤٦) .

عمر ما جعله يذهب إليه قائلاً: قد أطعتك، وإني فاعل ما أمرتني به؛ فإني رأيت في المنام أني في خوضة ماء قد خشيت الغرق فخلصتني منه يا عمر. ثم ذهب معاذ إلى أبي بكر رضي الله عنه فذكر ذلك كله له وحلفه أنه لا يكتمه شيئًا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا لا آخذ شيئًا قد وهبته لك. فقال عمر رضي الله عنه: هذا حين حل وطاب[1]، وقد جاء في رواية: أن أبا بكر قال لمعاذ: ارفع حسابك، فقال معاذ: أحسابان حساب الله وحساب منكم؟ والله لا ألي لكم عملاً أبدًا[2].

٢ - فراسة صادقة في أبي مسلم الخولاني:

كان عمر رضي الله عنه يتمتع بفراسة يندر وجودها في هذه الحياة؛ فقد روى الذهبي: أن الأسود العنسي تنبأ باليمن - ادعى النبوة - فبعث إلى أبي مسلم الخولاني: فأتاه بنار عظيمة، ثم إنه ألقى أبا مسلم فيها، فلم تضره.. فقيل للأسود: إن لم تنف هذا عنك أفسد عليك من اتبعك، فأمره بالرحيل، فقدم المدينة، فأناخ في راحلته، ودخل المسجد فبصر به فقام إليه، فقال: ممن الرجل؟ قال: من اليمن، قال: وما فعل الذي حرقه الكذاب بالنار؟ قال: ذاك عبد الله بن ثُوَب. قال نشدتك بالله، أنت هو؟ قال: اللهم نعم. فاعتنقه عمر، وبكى، ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين الصديق، فقال: الحمد لله الذي لم يُمتني حتى أراني في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من صُنِع به كما صُنِع بإبراهيم الخليل[3].

٣ - رأيه في تعيين أبان بن سعيد على البحرين:

انتهج أبو بكر رضي الله عنه خط الشورى في تعيين الأمراء، فقد ورد أنه شاور أصحابه فيمن يبعث إلى البحرين، فقال له عثمان: ابعث رجلاً قد بعثه رسول الله، فقدم عليه[4] بإسلامهم وطاعتهم، وقد عرفوه وعرفهم، وعرف بلادهم -يعني العلاء بن الحضرمي- فأبى ذلك عمر عليه، وقال: أكره أبان بن سعيد بن العاص؛ فإنه رجل

---

(١) شهيد المحراب ص٦٩ نقلاً عن الاستيعاب (٣/٣٣٨).

(٢) عيون الأخبار (١/ ١٢٥).

(٣)سير أعلام النبلاء (٤/ ٨٩)، أصحاب الرسول (١/ ١٣٧).

(٤) كنز العمال (٥/ ٦٢٠) رقم ١٤٠٩٣.

قد حالفهم، فأبى أبو بكر أن يكرهه وقال: لا أكره رجلاً يقول: لا أعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ وأجمع أبو بكر بعثة العلاء بن الحضرمي إلى البحرين(١) .

رابعًا- رأي عمر في عدم قبول دية قتلى المسلمين، واعتراضه على إقطاع الصديق للأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن:

١ - رأي عمر في عدم قبول دية قتلى المسلمين في حروب الردة:

جاء وفد بُزاخة من أسد وغطفان إلى أبي بكر يسألونه الصلح، فخيرهم بين الحرب المجلية والسلم المخزية، فقالوا: هذه المجلية قد عرفناها فما المخزية؟ قال تنزع منكم الحلقة والكراع، ونغنم ما أصبنا منكم وتردون علينا ما أصبتم منا، وتَدون قتلانا وتكون قتلاكم في النار، وتتركون أقوامًا يتبعون أذناب الإبل حتى يري الله خليفة رسوله ﷺ والمهاجرين أمرًا يعذرونكم به، فعرض أبو بكر ما قال على القوم، فقام عمر بن الخطاب، فقال: قد رأيت رأيًا سنشير عليك، أما ما ذكرت من الحرب المجلية والسلم المخزية فنعم ما ذكرت، وأما ما ذكرت أن نغنم ما أصبنا منكم وتردّون ما أصبتم منا فنعم ما ذكرت، وأما ما ذكرت تدون قتلانا وتكون قتلاكم في النار، فإن قتلانا قاتلت فقتلت على أمر الله، أجورها على الله ليس لها ديات. فتبايع القوم على ما قال عمر(٢) .

٢ - اعتراضه على إقطاع الصديق للأقرع بن حابس وعينيه بن حصن:

جاء عيينة بن حصن والأقرع بن حابس إلى أبي بكر ﷺ فقالا: يا خليفة رسول الله، إن عندنا أرضًا سبخة ليس فيها كلأ ولا منفعة، فإن رأيت أن تقطعنا لعلنا نحرثها أو نزرعها، لعل الله أن ينفع بها بعد اليوم، فقال أبو بكر لمن حوله: ما تقولون فيما قالا، إن كانت أرضًا سبخة لا ينتفع بها؟ قالوا: نرى أن تقطعهما إياها، لعل الله ينفع بها بعد اليوم. فأقطعهما إياها، وكتب لهما بذلك كتابًا، وأشهد عمر،

---

(١) القيود الواردة على سلطة الدولة ، عبد الله الكيلاني ص١٦٩ .

(٢) أخبار عمر ص٣٦٢ نقلاً عن الرياض النضرة، نيل الأوطار (٨/ ٢٢) .

وليس في القوم، فانطلقا إلى عمر يشـهدانه، فوجداه قائمًا يهنأ[١] بعيرًا له، فقالا: إن أبا بكر أشهـدك على ما في الكتـاب فنقرأ عليك أو تقـرأ؟ فقـال: أنا على الحال الذي تريان، فإن شئتمـا فاقرآ وإن شئتما فانتظرا حتى أفـرغ، فأقرأ عليكما قالا: بل نقرأ فقرآ فلما سـمع ما في الكتاب تناوله من أيديهما ثم تفل عليه فمـحاه، فتذمرا، وقالا مقالة سـيئة، فقال: إن رسول الله كان يتألفكمـا، والإسلام يومئذ ذليل، وإن الله قد أعز الإسـلام، فاذهبا فاجـهدا جهدكـما، لا رعى الله عليكما إن رعيـتما. فأقبلا إلى أبي بكر وهما يتذمران فقالا: والله ما ندري أنت الخليفة أم عمر؟ فقال: لا بل هو لو كـان شاء. فـجاء عـمر - وهو مـغضب - فـوقف على أبي بكر فـقال: أخبـرني عن هذه الأرض التي أقطعـتها هذين: أرض هي لـك خاصة أم للمـسلمين عامة؟! قال: بل للمسلمين عامة. قال: فما حملك أن تخص بها هذين دون جماعة المسلمين؟ قـال: استـشـرت هؤلاء الذين حولي فـأشـاروا علي بذلك. قال: فـإذا استشرت هؤلاء الذين حولك، فكل المسلمين أوسعتهم مشورة ورضًا؟! فقال أبو بكر ﷺ: قد كنت قلت لك إنك على هذا أقوى مني، ولكن غلبتني [٢] .

هذه الواقـعة دليل لا يقـبل الشك أن حكم الدولة الإسـلامـية في عـهد الخلفـاء الراشدين كان يقوم على الشورى، فهي تظهر لنا خليفة رسول الله ﷺ حريصًا على استشارة المسلمين في الصغير والكبيرة، وما كان ليبرم أمرًا دون مشورة إخوانه[٣] .

إن الخبر السالف الذكر يؤكد لنا أن خليفة رسول الله ﷺ كان يمضي الشورى في كل شأن من شـئون المسلمين، بل وكان ينـزل عن رأيه، وهو من هو ﷺ، إنها صورة للشـورى الحقيـقية المنضـبطة مع أوامر الله، مع الحلال والحـرام، لا الشورى المزيفة التي تجري تحت قباب مجـالس دستورية لم تجن من ورائها الشعوب إلا المرارة والاستبداد والظلم والضياع[٤] .

(١) هنأ: الإبل يهنؤها: طلاها بالهناء، أي القطران.
(٢) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١/ ٢٦٢) .
(٣) استخلاف أبي بكر الصديق، جمال عبد الهادي ص١٦٦، ١٦٧.
(٤) نفس المصدر ص١٦٧ .

خامسًا - جمع القرآن الكريم:

كان من ضمن شهداء المسلمين في حرب اليمامة كثير من حفظة القرآن وقد نتج عن ذلك أن قام أبو بكر ﷺ بمشورة عمر بن الخطاب ﷺ بجمع القرآن حيث جمع من الرقاع والعظام والسعف ومن صدور الرجال[١]، وأسند الصديق هذا العمل العظيم إلى الصحابي زيد بن ثابت الأنصاري، قال زيد بن ثابت ﷺ: بعث إليّ أبو بكر ﷺ لمقتل أهل اليمامة[٢]، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر ﷺ: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر [٣] يوم اليمامة بقراء القرآن الكريم، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن [٤] كلها فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: وإنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه[٥]. قال زيد: فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل عليّ مما كلفني به من جمع القرآن [٦] .

ونستخلص من واقعة جمع القرآن الكريم بعض النتائج منها:

١ - أن جمع القرآن الكريم جاء نتيجة الخوف على ضياعه؛ نظرًا لموت العديد من القراء في حروب الردة، وهذا يدل على أن القراء والعلماء كانوا وقتئذ أسرع الناس إلى العمل والجهاد لرفع شأن الإسلام والمسلمين بأفكارهم وسلوكهم وسيوفهم، فكانوا خير أمة أخرجت للناس ينبغي الاقتداء بهم لكل من جاء بعدهم.

---

(١) حروب الردة وبناء الدولة الإسلامية، أحمد سعيد ص١٤٥.

(٢) يعني: واقعة يوم اليمامة ضد مسيلمة الكذاب وإخوانه.

(٣) استحر: كثر واشتد.

(٤) أي في الأماكن التي يقع فيها القتال مع الكفار.

(٥) أي من الأشياء التي عندي وعند غيرك.

(٦) البخاري رقم ٤٩٨٦ .

٢ - أن جمع القـرآن تم بناء على المصلحة المرسلة، ولا أدل عـلى ذلك من قول عمر لأبي بكر -حين سأله: كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ-: إنه والله خير، وفي بعض الروايات أنه قال له: إنه والله خير ومصلحة للمسلمين، وهو نفسه ما أجاب به أبو بكر زيد بن ثابت حين سأل السـؤال نفسه وسواء صحت الرواية التي جاء فيها لفظ المصلحة أو لم تصح، فإن التعبير بكلمة «خير» يفيد المعنى نفسه، وهو مصلحة المسلمين في جمع القرآن، فـقد كان جمع القرآن مبنيًّا على المصلحة المرسلة أول الأمر، ثم انعـقد الإجماع على ذلك بـعد أن وافق الجميع بالإقـرار الصريح أو الضمني، وهذا يدل على أن المصلحـة المرسلة يصح أن تكون سندًا للإجماع بالنـسبة لمن يقول بحجيتها كما هو مقرر في كتب أصول الفقه.

٣ - وقد اتضح لنا من هذه الواقعة كذلك كيف كـان الصحابة يجتهدون في جو من الهـدوء يسوده الود والاحـترام، هدفهم الـوصول إلى ما يحـقق الصالـح العام لجمـاعة المسلمين، وأنهم كانوا ينقـادون إلى الرأي الصحيح وتنشـرح قلوبهم له بعد الإقناع والاقتناع، فإذا اقتنعوا بالرأي دافعوا عنه كما لو كان رأيهم منذ البداية، وبهذه الروح أمكن انعقاد إجماعهم حول العديد من الأحكام الاجتهادية[١] .

* ■ *

(١) الاجتهاد في الفقه الإسلامي، عبد السلام السليماني ص١٢٧ .

■ الفصل الثالث ■

استخلاف الصديق للفاروق

وقواعد نظام حكمه، وحياته في المجتمع

المبحث الأول

استخلاف الصديق للفاروق وقواعد نظام حكمه

أولاً- استخلاف الصديق للفاروق:

لما اشتد المرض بأبي بكر جمع الناس إليه فقال: إنه قد نزل بي ما قد ترون ولا أظنني إلا ميتًا لما بي، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحل عنكم عقدتي، ورد عليكم أمركم، فأمروا عليكم من أحببتم؛ فإنكم إن أمرتم في حياتي كان أجدر ألا تختلفوا بعدي[1] وتشاور الصحابة ﭭ، وكل يحاول أن يدفع الأمر عن نفسه ويطلبه لأخيه إذ يرى فيه الصلاح والأهلية؛ لذا رجعوا إليه، فقالوا: رأينا يا خليفة رسول الله رأيك، قال: فأمهلوني حتى أنظر لله ولدينه ولعباده، فدعا أبو بكر عبد الرحمن بن عوف فقال له: أخبرني عن عمر بن الخطاب، فقال له: ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني، فقال أبو بكر: وإن، فقال عبد الرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه، ثم ، على ذلك يا أبا عبد الله، فقال عثمان: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله. فقال أبو بكر: يرحمك الله، والله لو تركته ما عَدَوْتُك ثم دعا أسيد بن حضير فقال له: مثل ذلك، فقال أسيد: اللهم أعلمه الخيرة بعدك يرضى للرضا، ويسخط للسخط، والذي يسر خير من الذي يعلن، ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه، وكذلك استشار سعيد بن زيد وعددًا من الأنصار والمهاجرين، وكلهم تقريبًا كانوا برأي واحد في عمر إلا طلحة بن عبيد الله خاف من شدته ، فقال

(١) البداية والنهاية (٧/١٨)، تاريخ الطبري (٤/٢٣٨) .

لأبي بكر: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر: أجلسوني أبالله تخوفونني؟ خاب من تزود من أمركم بظلم، أقول اللهم استخلفت عليهم خير أهلك[١] . وبين لهم سبب غلظة عمر وشدته فقال: ذلك لأنه يراني رقيقًا ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما عليه[٢] ، ثم كتب عهداً مكتوبًا يقرأ على الناس في المدينة وفي الأنصار عن طريق أمراء الأجناد، فكان نص العهد: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجًا منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها، حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب، إني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب، والخير أردت ولا أعلم الغيب ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] .

إن عمر هو نصح أبي بكر الأخير للأمة، فقد أبصر الدنيا مقبلة تتهادى وفي قومه فاقة قديمة يعرفها، فإذا ما أطلوا لها استشرفوا شهواتها، فنكلت بهم واستبدت، وذاك ما حذرهم رسول الله ﷺ إياه[٣]، قال رسول الله ﷺ : فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»[٤]، لقد أبصر أبو بكر الداء فأتى لهم رضي الله عنه بدواء ناجع . . . جبل شاهق، إذا ما رأته الدنيا أيست وولت عنهم مدبرة، إنه الرجل الذي قال فيه النبي ﷺ : «إيها يابن الخطاب»، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك»[٥]. إن الأحداث الجسام التي مرت بالأمة، قد بدأت بقتل عمر، هذه القواصم خير شاهد على فراسة أبي بكر وصدق رؤيته في العهد لعمر، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أفرس الناس ثلاثة صاحبة موسى التي قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ

---

(١) الكامل لابن الأثير (٢/٧٩)، التاريخ الإسلامي محمود شاكر ص١٠١ .

(٢) الكامل لابن الأثير (٢/٧٩).

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلفاء ص٦٦-١١٧، أبو بكر رجل دولة ص٩٩ .

(٤) البخاري، كتاب الجزية والموادعة رقم ٣١٥٨ .

(٥) البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ قم ٣٦٨٣ .

اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦]، وصاحب يوسف حيث قال: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [يوسف: ٢١]، وأبو بكر حين استخلف عمر[١] . فقد كان عمر هو سد الأمة المنيع الذي حال بينها وبين أمواج الفتن[٢] .

هذا، وقد أخبر عمر بن الخطاب بخطواته القادمة، فقد دخل عليه عمر فعرفه أبو بكر بما عزم، فأبى أن يقبل، فتهدده أبو بكر بالسيف، فما كان أمام عمر إلا أن يقبل[٣]، وأرد الصديق أن يبلغ الناس بلسانه واعيًا مدركًا؛ حتى لا يحصل أي لبس، فأشرف أبو بكر على الناس وقال لهم: أترضون بمن أستخلف عليكم، فإني والله ما ألوت من جهد الرأي، ولا وليت ذا قرابة، وإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا. فقالوا: سمعنا وأطعنا[٤]. وتوجه الصديق ﷺ بالدعاء إلى الله يناجيه ويبثه كوامن نفسه، وهو يقول: اللهم وليته بغير أمر نبيك، ولم أرد بذلك إلا صلاحهم، وخفت عليهم الفتنة، واجتهدت لهم رأيي، فولَّيت عليهم خيرهم، وأحرصهم على ما أرشدهم، وقد حضرني من أمرك ما حضر، فاخلفني فيهم فهم عبادك[٥].

وكلف أبو بكر عثمان ﷺ: بأن يتولى قراءة العهد على الناس وأخذ البيعة لعمر قبل موت أبي بكر، بعد أن ختمه لمزيد من التوثيق والحرص على إمضاء الأمر، دون أي آثار سلبية، وقال عثمان للناس: أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟ فقالوا: نعم. فأقروا بذلك جميعًا ورضوا به[٦]، فبعد أن قرأ العهد على الناس ورضوا به أقبلوا عليه وبايعوه[٧]، واختلى الصديق بالفاروق وأوصاه بمجموعة من التوصيات لإخلاء ذمته من أي شيء؛ حتى يمضي إلى ربه خاليًا من أي تبعة بعد أن بذل قصارى جهده

(١) مجمع الزوائد (١٠/٢٦٨) صحيح الإسناد.
(٢) أبو بكر رجل الدولة ص ١٠٠ .
(٣) مآثر الأناقة (١/٤٩).
(٤) تاريخ الطبري (٤/٢٤٨).
(٥) طبقات بن سعد (٣/١٩٩)، تاريخ المدينة لابن شبهة (٢/ ٦٦٥-٦٦٩).
(٦) طبقات بن سعد (٣/ ٢٠٠).
(٧) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة للشجاع ص٢٧٢ .

واجتهاده[١]، وقد جاء في الوصية: اتق الله يا عمر، واعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلة حتى تُؤدى فريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق غدًا أن يكون ثقيلاً، وإنما خفّت موازين من خفَّت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل غداً أن يكون خفيفًا، وأن الله -تعالى - ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئه، فإذا ذكرتهم قلت: إني أخاف ألا ألحق بهم، وإن الله -تعالى- ذكر أهل النار، فذكرهم بأسوأ أعمالهم، وردّ عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم، قلت: إني لأرجو ألا أكون مع هؤلاء؛ ليكون العبد راغبًا راهبًا، لا يتمنى على الله ولا يقنط من رحمة الله، فإن أنت حفظت وصيتي فلا يك غائب أبغض إليك من الموت ولست تُعجزه[٢].

وباشر عمر بن الخطاب ﵁ أعماله بصفته خليفة للمسلمين فور وفاة أبي بكر ﵁[٣].

ويلحظ الباحث: أن ترشيح أبي بكر الصديق ﵁ لعمر بن الخطاب، لم يأخذ قوته الشرعية، ما لم يستند لرضا الغالبية بعمر وهذا ما تحقق حين طلب أبو بكر من الناس أن يبحثوا لأنفسهم عن خليفة من بعده، فوضعوا الأمر بين يديه، وقالوا له: رأينا إنما هو رأيك[٤]، ولم يقرر أبو بكر الترشيح إلا بعد أن استشار أعيان الصحابة فسأل كل واحد على انفراد، ولما ترجح لديه اتفاقهم أعلن ترشيحه لعمر، فكان ترشيح أبي بكر صادراً عن استقراء لآراء الأمة من خلال أعيانها، على أن هذا الترشيح لا يأخذ قوته الشرعية إلا بقبول الأمة به؛ ذلك أن اختيار الحاكم حق للأمة، والخليفة يتصرف بالوكالة عن الأمة. ولا بد من رضا الأصيل؛ ولهذا توجه أبو بكر إلى الأمة: أترضون بمن أستخلف عليكم؟ فإني والله ما ألوت من جهدي الرأي ولا وليت ذا قرابة، وإني قد استخلفت عمر بن الخطاب. فاسمعوا له وأطيعوا، فقالوا:

---

(١) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة للشجاع ص٢٧٢ .

(٢) صفة الصفوة (١ / ٢٦٤، ٢٦٥).

(٣) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص٢٧٢ .

(٤) القيود الواردة على سلطة الدولة في الإسلام ص١٧٢ .

سمعنا وأطعنا[١]، وفي قول أبي بكر: أترضون بمن أستخلف عليكم، إشعار بأن الأمر للأمة وأنها هي صاحبة العلاقة والاختصاص[٢].

إن عمر رضي الله عنه ولي الخلافة باتفاق أهل الحل والعقد وإرادتهم؛ فهم الذين فوضوا لأبي بكر انتخاب الخليفة، وجعلوه نائبًا عنهم في ذلك، فشاور ثم عين الخليفة، ثم عرض هذا التعيين على الناس فأقروه، وأمضوه ووافقوا عليه، وأصحاب الحل والعقد في الأمة هم النواب (الطبيعيون) عن هذه الأمة، وإذن فلم يكن استخلاف عمر رضي الله عنه إلا على أصح الأساليب الشورية وأعدلها[٣].

إن الخطوات التي سار عليها أبو بكر الصديق في اختيار خليفته من بعده لا تتجاوز الشورى بأي حال من الأحوال، وإن كانت الإجراءات المتبعة فيها غير الإجراءات المتبعة في تولية أبي بكر نفسه[٤]، وهكذا تم عقد الخلافة لعمر رضي الله عنه بالشورى والاتفاق، ولم يورد التاريخ أي خلاف وقع حول خلافته بعد ذلك، ولا أن أحدًا نهض طول عهده لينازعه الأمر، بل كان هناك إجماع على خلافته وعلى طاعته في أثناء حكمه، فكان الجميع وحدة واحدة[٥].

ثانيًا- النصوص الشرعية التي أشارت إلى أحقية خلافة الفاروق:

١- في نص القرآن الكريم دليل على صحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وعلى وجوب الطاعة لهم، وهو أن الله -تعالى- قال مخاطبًا نبيه صلى الله عليه وسلم في الأعراب: ﴿ **فَإِنْ رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا** ﴾ [التوبة: ٨٣]. وكان نزول «براءة» التي فيها هذا الحكم بعد غزوة تبوك بلا شك[٦] التي تخلف فيها الثلاثة الذين تاب الله عليهم في سورة براءة ولم يغز صلى الله عليه وسلم بعد غزوة تبوك إلى أن مات صلى الله عليه وسلم وقال -تعالى-

---

(١) تاريخ الطبري (٤ / ٢٤٨).

(٢) القيود الواردة على سلطة الدولة في الإسلام ص١٧٢ .

(٣) أبو بكر الصديق، علي طنطاوي ص٢٣٧ .

(٤، ٥) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص٢٧٢ .

(٦) الدر المنثور في التفسير المأثور (٤/ ١١٩، ١٢٢).

أيضًا: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ فبين أن العرب لا يغزون مع رسول الله ﷺ بعد تبوك لهذا، ثم عطف -سبحانه وتعالى- عليهم أثر منعه إياهم من الغزو مع رسول الله ﷺ فقال -تعالى-: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٦-١٧]. فأخبر- تعالى- أنه سيدعوهم غير النبي ﷺ إلى قوم يقاتلونهم أو يسلمون، ووعدهم على طاعة من دعاهم إلى ذلك بجزيل الأجر العظيم، وتوعدهم على عصيان الداعي لهم إلى ذلك العذاب الأليم[١].

قال أبو محمد بن حزم: وما دعا أولئك الأعراب أحد بعد رسول الله ﷺ إلى قوم يقاتلونهم أو يسلمون إلا أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم: فإن أبا بكر رضي الله عنه دعاهم إلى قتال مرتدي العرب بني حنيفة وأصحاب الأسود وسجاح وطليحة والروم والفرس وغيرهم، ودعاهم عمر إلى قتال الروم والفرس، وعثمان دعاهم إلى قتال الروم والفرس والترك[٢]. فوجب طاعة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بنص القرآن الذي لا يحتمل تأويلاً، وإذ قد وجبت طاعتهم فقد صحت إمامتهم وخلافتهم رضي الله عنهم[٣].

٢- قال رسول الله ﷺ: «أريت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قليب، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبًا أو ذنوبين نزعًا ضعيفًا والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربًا فلم أر عبقريًا يفري فريه حتى روي الناس وضربوا بعطن»[٤].

هذا الحديث تضمن الإشارة إلى خلافة الشيخين رضي الله عنهما، كما تضمن الإشارة إلى خلافة الفاروق رضي الله عنه، وإلى كثرة الفتوح وظهور الإسلام في زمنه، فهذا المنام النبوي

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٢ / ٦٣٤).

(٢) الاعتقاد للبيهقي ص١٧٣ .

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٠٩، ١١٠).

(٤) مسلم رقم ٢٣٩٣ .

مثال واضح لما حصل لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما في خلافتهما وحسن سيرتهما وظهور آثارهما وانتفاع الناس بهما، وكل ذلك مأخوذ عن المصطفى صلى الله عليه وسلم وآثار صحبته، فقد كان صلى الله عليه وسلم هو صاحب الأمر فقام به أكمل قيام، حيث قرر قواعد الدين ومهد أموره وأوضح أصوله وفروعه، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وأنزل الله -تعالى- عليه قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (المائدة، آية: ٣).

ولما التحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى خلفه أبو بكر رضي الله عنه على الأمة سنتين وأشهرًا وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم: «ذنوبًا أو ذنوبين» وهذا شك من الراوي، والمراد ذنوبان كما جاء التصريح بذلك في رواية أخرى[١]، وقد حصل في خلافته رضي الله عنه قتال المرتدين وقطع دابرهم، وأشاع رقعة الإسلام في زمنه أكثر، وتقرر لهم من أحكامه ما لم يقع مثله؛ لطول ولايته واتساع بلاد الإسلام وكثرة الأموال من الغنائم وغيرها، فالحديث اشتمل على أحقية خلافة عمر رضي الله عنه وصحتها وبيان صفتها وانتفاع المسلمين بها[٢].

٣- عن حذيفة رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم جلوسًا فقال: «إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي وأشار إلى أبي بكر وعمر ، وتمسكوا بهدي عمار، وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه»[٣]، يدل هذا الحديث دلالة صريحة على أحقية خلافة عمر رضي الله عنه؛ فقوله صلى الله عليه وسلم: «اقتدوا باللذين» بفتح الذال: أي الخليفتين اللذين يقومان من بعدي أبو بكر وعمر، فأمره صلى الله عليه وسلم بطاعتهما يتضمن الثناء عليهما؛ لكونهما أهلاً لأن يطاعا فيما يأمران به وينهيان عنه، ويؤذن بحسن سيرتهما، وصدق سريرتهما وإيماء لكونهما الخليفتين من بعده، وسبب الحث على الاقتداء بالسابقين الأولين ما فطروا عليه من الأخلاق المرضية والطبيعة القابلة للخير؛ ولذلك كانوا أفضل الناس بعد الأنبياء، وصار أفضل الخلق بعدهم من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين[٤].

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٢/ ٦٣٥).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٦٣٥).

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٣/ ٢٣٣،٢٣٦)، صحيح ابن حبان (١٥/ ٣٢٨) ومصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٤٣٣) وصححه الألباني في الصحيح (٣/ ٣٣٣-٣٣٦).

(٤) فيض القدير للمناوي (٢/ ٥٦).

٤- قال رسول الله ﷺ: « بينما أنا نائم إذ رأيت قدحًا أتيت به فيه لبن فشربت منه حتى إني لأرى الري يجري في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب » قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: «العلم»[(١)].

ففي هذا الحديث إشارة إلى أحقية خلافة عمر رضي الله عنه، والمراد بالعلم هنا: العلم بسياسة الناس بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ واختص عمر بذلك؛ لطول مدته بالنسبة إلى أبي بكر، وباتفاق الناس على طاعته بالنسبة إلى عثمان؛ فإن مدة أبي بكر كانت قصيرة فلم تكثر فيها الفتوح التي هي من أعظم الأسباب في الاختلاف، ومع ذلك فساس عمر فيها - مع طول مدته - الناس بحيث لم يخالفه أحد، ثم ازدادت اتساعًا في خلافة عثمان فانتشرت الأقوال واختلفت الآراء، ولم يتفق له ما اتفق لعمر من طواعية الخلق له؛ فنشأت من ثم الفتن إلى أن أفضى الأمر إلى قتله، واستخلف علي فما ازداد الأمر إلا اختلافًا، والفتن إلا انتشارًا[(٢)]، فالحديث فيه إشارة واضحة إلى أحقية خلافة الفاروق رضي الله عنه[(٣)].

٥- عن أبي بكر أن النبي ﷺ قال ذات يوم: من رأى منكم رؤيا؟ فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزانًا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر، ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان؛ فرأينا الكراهية في وجه رسول الله ﷺ[(٤)].

في هذا الحديث إشارة إلى ترتيب الثلاثة في الفضل، فأفضلهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان رضي الله عنهم أجمعين كما أن الحديث تضمن الإشارة إلى أحقية خلافة عمر رضي الله عنه وأنه يلي الخلافة بعد الصديق رضي الله عنه وقوله في الحديث: فرأينا الكراهية في وجه رسول الله ﷺ وذلك لما علم ﷺ من أن تأويل رفع الميزان انحطاط رتبة الأمور وظهور الفتن بعد خلافة عمر[(٥)].

---

(١) مسلم (٤/١٨٥٩، ١٨٦٠).
(٢) فتح الباري (٧/٤٦).
(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٢/ ٦٣٧).
(٤) سنن أبي داود (٢/٥١٢)، سنن الترمذي (٤/ ٥٤٠).
(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٣/٣٨٧).

٦- عن ابن عباس رضي الله عنهما كان يحدث أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظللة تنطف[١] السمن والعسل، فأرى الناس يتكففون[٢] منها: فالمستكثر والمستقل، وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ثم وصل. فقال أبو بكر: يا رسول الله، بأبي أنت والله لتدعني فأعبرها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اعبرها قال: أما الظلة فالإسلام، وأما الذي ينطف من العسل والسمن فالقرآن حلاوته تنطف فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه تأخذ به فيعليك ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به ثم يأخذ به رجل فينقطع به، ثم يوصل له فيعلو به، فأخبرني يا رسول الله، بأبي أنت، أصبت أم أخطأت؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أصبت بعضًا وأخطأت بعضًا. قال: فوالله يا رسول الله، لتحدثني بالذي أخطأت. قال: لا تقسم[٣]. تضمن هذا الحديث الإشارة إلى أحقية خلافة عمر رضي الله عنه ووجه ذلك أن قوله في الحديث: ثم أخذ به رجل آخر فعلا به. هو أبو بكر رضي الله عنه، وقوله ثانيًا: ثم أخذ به رجل آخر فانقطع، إشارة إلى خلافة الفاروق رضي الله عنه[٤].

٧- عن أنس رضي الله عنه قال: بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: سل لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من ندفع صدقاتنا بعدك، قال: فأتيته فسألته فقال: إلى أبي بكر. فأتيتهم فأخبرتهم فقالوا: ارجع إليه فسله فإن حدث بأبي بكر حدث فإلى من؟ فأتيته فسألته فقال: إلى عمر، فأتيتهم فأخبرتهم[٥].

اشتمل هذا الحديث على الإشارة إلى أحقية خلافة عمر رضي الله عنه وأنه يلي أمر المسلمين بعد وفاة الصديق رضي الله عنه[٦].

(١) تنطف: أي تقطر، النهاية في غريب الحديث (٥/ ٧٥).
(٢) يتكففون: يأخذون منها بأكفهم، النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٩٠).
(٣) مسلم (٤/ ١٧٧٧، ١٧٧٨).
(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة (٢/ ٦٣٨).
(٥) المستدرك (٣/ ٧٧) هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.
(٦) عقيدة أهل السنة والجماعة (٢/ ٦٣٩).

٨- ومما دل على أحقية خلافته ﷺ اجتماع الصحابة على أنهم لا يقدمون إلا أفضلهم وأخيرهم مع قول أبي بكر وعلي ﷺ فيه، فأما قول أبي بكر ﷺ فيه فهو قوله: اللهم أمرت عليهم خير أهلك[١]، وأما قول علي ﷺ فهو ما رواه البخاري عن محمد بن الحنفية -وهو ابن علي بن أبي طالب- قال: قلت لأبي أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول: عثمان؟ فقلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[٢].

فهذه الأحاديث التي ذكرتها فيها الدلالة الواضحة على أحقية عمر ﷺ[٣].

قال السفاريني -رحمه الله-: اعلم أن خلافة سيدنا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ﷺ مرتبة ولازمة لأحقية خلافة الصديق الأعظم أبي بكر ﷺ وقد قام الإجماع وإشارات الكتاب والسنة على أحقية خلافته؛ فما ثبت للأصل الذي هو الصديق من أحقية الخلافة يثبت لفرعه الذي هو عمر بن الخطاب فيها؛ فلا مطمع لأحد من فرق الضلال في الطعن والنزاع في أحقية الخلافة، وقد علم أهل العلم علمًا باتًّا ضروريًّا أن الصحابة الكرام أجمعوا على تولية الصديق الخلافة، ومن شذ لا يقدح في ذلك من غير مرية[٤].

ثالثاً- انعقاد الإجماع على خلافته ﷺ:

وقد نقل إجماع الصحابة ﷺ ومن بعدهم على خلافة عمر طائفة من أهل العلم الذي يعتمد عليهم في النقل منهم:

١- روى أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي بإسناده إلى عبد الله بن عباس ﷺ قال: دخلت على عمر حين طعن، فقلت: أبشر بالجنة يا أمير المؤمنين: أسلمت حين كفر الناس، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس، وقبض رسول الله ﷺ وهو عنك راض، ولم يختلف في خلافتك اثنان، وقتلت شهيدًا، فقال: أعد علي، فأعدت عليه، فقال: والله الذي لا إله غيره، لو أن لي ما على الأرض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع[٥].

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٧٤).
(٢) البخاري، ك الصحابة، رقم ٣٦٧١.
(٣) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (٢/ ٦٤٠).
(٤) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٢٦).
(٥) الاعتقاد للبيهقي ص١٨٨.

٢- وقال أبو نعيم الأصبهاني مبينًا الإجماع على خلافة الفاروق رضي الله عنه: لما علم الصديق رضي الله عنه من فضل عمر رضي الله عنه ونصيحته وقوته على ما يقلده، وما كان يعينه عليه من أيامه من المعونة التامة- لم يكن يسعه في ذات الله ونصيحته لعباد الله -تعالى- أن يعدل هذا الأمر عنه إلى غيره، ولما كان يعلم من أمر شأن الصحابة رضي الله عنهم أنهم يعرفون منه ما عرفه ولا يشكل عليهم شيء من أمره، فوض إليهم ذلك فرضي المسلمون ذلك وسلموه، ولو خالطهم في أمره ارتياب أو شبهة لأنكروه، ولم يتابعوه كاتباعهم أبا بكر رضي الله عنه فيما فرض الله عليه الاجتماع، وإن إمامته وخلافته ثبتت على الوجه الذي ثبت للصديق، وإنما كان الدليل لهم على الأفضل والأكمل فتبعوه على ذلك مستسلمين له راضين به[1].

٣- وقال أبو عثمان الصابوني بعد ذكره خلافة الصديق باختيار الصحابة وإجماعهم عليه، قال: ثم خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه باستخلاف أبي بكر رضي الله عنه إياه واتفاق الصحابة عليه بعده، وإنجاز الله -سبحانه- بمكانه في إعلاء الإسلام، وإعظام شأنه، وَعْدَهُ[2].

٤- وقال النووي في معرض ذكره لإجماع الصحابة على تنفيذ عهد الصديق بالخلافة لعمر ، قال: أجمعوا على اختيار أبي بكر وعلى تنفيذ عهده إلى عمر[3].

٥- وقال ابن تيمية: وأما عمر فإن أبا بكر عهد إليه وبايعه المسلمون بعد موت أبي بكر ؛ فصار إمامًا لما حصلت له القدرة والسلطان بمبايعتهم[4].

٦- وقال شارح الطحاوية: وتثبتت الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه وذلك بتفويض أبي بكر الخلافة إليه، واتفاق الأمة بعده عليه[5].

---

(١) كتاب الإمامة والرد على الرافضة ص٢٧٤ .

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنبرية (١/ ١٢٩).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ٢٠٦).

(٤) منهاج السنة (١/ ١٤٢).

(٥) شرح الطحاوية ص٥٣٩ .

ومن هذه النقول التي تقدم ذكرها تبين أن خلافة عمر ﷺ تمت بإجماع أصحاب رسول الله ﷺ حيث تلقوا عهد أبي بكر ﷺ بالخلافة لعمر بالقبول والتسليم، ولم يعارض في ذلك أحد، وكذا أجمعت الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة على ما أجمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ لم يخالفهم إلا من لا يعتد بخلافه ممن ابتلي ببعض أصحاب رسول الله ﷺ كالشيعة الرافضة ومن جرى في ركابهم ممن فتن بهم، فإن اعترض معترض على إجماع الصحابة المتقدم ذكره بما رواه ابن سعد وغيره من أن بعض الصحابة سمعوا بدخول عبد الرحمن بن عوف وعثمان على أبي بكر فقال له قائل منهم: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلاف عمر علينا وقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر: أجلسوني، أبالله تخوفني؟ خاب من تزود من أمركم بظلم، أقول: اللهم استخلفت عليهم خير أهلك، أبلغ عني ما قلت لك من وراءك[١]. والجواب عن هذا الإنكار الصادر -إن صح- من هذا القائل، ليس عن جهالة لتفضيل عمر بعد أبي بكر واستحقاقه للخلافة؛ وإنما كان خوفًا من خشونته وغلظته لا اتهامًا له في قوته وأمانته[٢].

رابعًا- خطبة الفاروق لما تولى الخلافة:

اختلف الرواة في أول خطبة خطبها الفاروق عمر، فقال بعضهم، إنه صعد المنبر فقال: اللهم إني شديد فليِّنِّي، وإني ضعيف فقوني، وإني بخيل فسخِّنِّي[٣]. وروي إن أول خطبة كانت قوله: إن الله ابتلاكم بي وابتلاني بكم بعد صاحبيّ، فوالله لا يحضرني شيء من أمركم فيليه أحد دوني، ولا يتغيب عني فآلو فيه عن أهل الجزء- يعني الكفاية - والأمانة، والله لئن أحسنوا لأحسنن إليهم، ولئن أساءوا لأنكلنّ بهم، فقال من شهد خطبته ورواها عنه: فوالله ما زاد على ذلك حتى فارق الدنيا[٤]. وروي أنه لما ولي الخلافة صعد المنبر وهمّ أن يجلس مكان أبي بكر فقال: ما كان الله ليراني أرى نفسي أهلاً لمجلس أبي بكر. فنزل مرقاة، فحمد الله وأثنى

---

(١) الطبقات لابن سعد (٣/ ١٩٩).
(٢) كتاب الإمامة والرد على الرافضة ص٢٧٦ .
(٣) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص١٧٠، ١٧١ .
(٤) الطبقات (٣/ ٢٧٥).

عليه ثم قال: اقـرءوا القرآن تعرفوا به، واعـملوا به تكونوا من أهله، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزيَّنوا للعرض الأكبر يوم تعرضون على الله لا تخفى منكم خافية، إنه لم يبلغ حق ذي حق أن يطاع في معصية الله، ألا وإني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة ولي اليتيم: إن استغنيت عففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف(١).

ويمكن الجمع بين هذه الروايات إذا افـترضنا أن عمر ألقى خطبتـه أمام جمع من الحاضرين فحفظ بعضهم منها جزءًا فرواه، وحفظ آخر جزءًا غيره فذكره، وليس من الغـريب أن يمزج الفاروق في أول خـطبة له بين البـيـان السيـاسي والإداري والعظة الدينية، فـذلك نهج هؤلاء الأئمة الأولين الذين لم يروا فارقًا بين تقـوى الله والأمر بها وسياسة البشر تبعًا لمنهجـه وشريعته، كما أنه ليس غريبًا على عمر أن يراعي حق سلفه العظيم أبي بكر؛ فلا يجلس في موضع كان يجلس فيه فيساويه بذلك في أعين الناس، فراجع عمر نفـسه رضي الله عنه ونزل درجة عن مكان الصديق رضي الله عنه(٢)، وفي رواية أخرى أنـه بعد يومين من استـخـلافه تحدث الـناس فيمـا كانوا يـخافون من شـدته وبطشه، وأدرك عـمر أنه لا بد من تجليه الأمر بـنفسه، فصـعد المنبر وخطبهم فـذكر بعض شأنهم مع النبي صلى الله عليه وسلم وخليفته، وكيف أنهما توفيا وهما عنه راضيان، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتـعدي، ولست أدع أحـدًا يظلم أحدًا أو يـتعدى علـيه حـتى أضع خدّه على الأرض، وأضع قـدمي على الخـد الآخر حـتى يذعن للحق. وإني بعـد شدتي تلك أضـع خدي لأهل العـفاف وأهل الكـفاف، ولكم عليّ أيهـا الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها: لكم علي ألا أجتبي شيئًا من خراجكم، ولا مما أفاء الله عليكم إلا في وجهه، ولكم عليّ إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقـه، ولكم عليّ أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم -إن شاء الله تعالى- وأسُـدّ ثغوركم، ولكم عليّ ألا ألقيكم في المهالك ولا أجمّركم(٣) في ثغوركم، وإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العـيال حتى ترجعـوا إليهم، فاتقـوا الله عباد الله، وأعـينوني على أنفسكم

(١) كنز العمال رقم ٤٤٢١٤ نقلاً عن الدولة الإسلامية د. حمدي شاهين ص١٢٠ .
(٢) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، د. حمدي شاهين ص١٢٠ .
(٣) أجمركم: أي لا أبقيكم على جبهات القتال بعيداً عن أهليكم مدة طويلة.

بكفها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم[١]. وجاء في رواية: إنما مثل العرب مثل أنف اتبع قائده، فلينظر قائده حيث يقوده، أما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق[٢].

وفي هذه الروايات لخطبة عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة يتضح منهجه في الحكم الذي لم يحد عنه، وأبرز ملامحه:

١- أنه ينظر إلى الخلافة على أنها ابتلاء ابتلي به سيحاسب على أداء حقه؛ فالحكم عند الراشدين تكليف وواجب وابتلاء، وليس جاهًا وشرفًا واستعلاء.

٢- وهذا الاستخلاف يتطلب منه أن يباشر حمل أعباء الدولة فيما حضره من أمرها، وأن يولي على الرعية التي غابت عنه أفضل الأمراء وأكفأهم، غير أن ذلك - فيما يرى عمر - ليس كافيًا لإبراء ذمته أمام الله تعالى؛ بل يرى أن مراقبة هؤلاء العمال والولاة فرض لا فكاك منه، فمن أحسن منهم زاده إحسانًا، ومن أساء عاقبه ونكّل به[٣]، وسيأتي بيان ذلك -بإذن الله- عند حديثنا عن مؤسسة الولاة، وفقه الفاروق في تطويرها.

٣- إن شدة عمر التي هابها الناس سيخلصها لهم ميزان العدالة، فمن ظلم وتعدى فلن يجد إلا التنكيل والهوان «ولست أدع أحدًا يظلم أحدًا ويتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض...» ، أما من آثر القصد والدين والعفاف فسيجد من الرحمة ما لا مزيد عليه: «أضع خدي لأهل العفاف»[٤]، وسيتّضح عدل عمر رضي الله عنه في رعيته من خلال المواقف واهتمامه بمؤسسة القضاء وتطويرها بحيث سيطر العدل على كل ولايات الدولة.

---

(١) الإدارة العسكرية في عهد الفاروق ص١٠٦ .
(٢) السياسة الشرعية. د. إسماعيل بدوي ص١٦٠ نقلاً عن الطبري.
(٣) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص١٢١ .
(٤) المصدر نفسه ص١٢١ ، محض الصواب (١/ ٣٨٥).

٤- وتكفل الخليفة بالدفاع عن الأمة ودينها وأن يسد الثغور ويدفع الخطر، غير أن ذلك لن يتم بظلم المقاتلين، فلن يحبسهم في الثغور إلى حد لا يطيقونه، وإن غابوا في الجيوش فسيرعى الخليفة وجهازه الإداري أبناءهم وأسرهم[١]، ولقد قام الفاروق بتطوير المؤسسة العسكرية وأصبحت قوة ضاربة لا مثيل لها على مستوى العالم في عصره.

٥- وتعهد الخليفة بأداء الحقوق المالية كاملة... من خراج وفيء، لا يحتجب منه شيئًا ولا يضعه في غير محله، بل سيزيد عطاياهم وأرزاقهم باستمرار الجهاد والغزو، والحض على العمل وضبط الأداء المالي للدولة[٢]، وقد قام بتطوير المؤسسة المالية، وضبط مصادر بيت المال وأوجه الإنفاق في الدولة.

٦- وفي مقابل ذلك يطالب الرعية بأداء واجبها من النصح لخليفتها والسمع والطاعة له والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ مما يشيع الرقابة الإسلامية في المجتمع.

٧- ونبه إلى أنه لا يعين على ذلك إلا بتقوى الله ومحاسبة النفس واستشعار المسئولية في الآخرة[٣].

٨- علق الشيخ عبد الوهاب النجار على قول عمر ﷺ: «إنما مثل العرب كمثل جمل أنف» بقوله: الجمل الأنف: هو الجمل الذلول المواتي الذي يأنف من الزجر والضرب ويعطي ما عنده من السير عفوًا سهلاً، وهذا تشخيص حسن للأمة الإسلامية لعهده؛ فإنها كانت سامعة مطواعة إذا أمرت ائتمرت، وإذا نهيت انتهت. ويتبع ذلك المسئولية الكبرى على قائدها؛ فإنه يجب عليه أن يرتاد لها ويصدر في شأنه بعقل، ويورد بتمييز حتى لا يورطها في خطر، ولا يقحمها في مهلكة، ولا يهمل شأنها إهمالاً يكون من ورائه البطر. وقد أراد بالطريق: الطريق الأقوم الذي لا عوج فيه. وقد برَّ بما أقسم به[٤].

٩- سنة الله في الفظاظة والغلظة والرفق: مضت سنة الله في أحوال الناس

---

(١) المصدر نفسه (١٢١).
(٢) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص١٢٢.
(٣) المصدر نفسه ص١٢٢.
(٤) الخلفاء الراشدون ص١٢٣.

واجتماعهم وفي إقبالهم على الشخص واجتماعهم عليه وقبولهم منه وسماعهم قوله وأنسهم به، أن ينفضوا عن الفظ الغليظ القلب حتى ولو كان ناصحًا مريدًا للخير لهم حريصًا على ما ينفعهم[1] ، وقد دل على هذا قول الله -تعالى-: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ** ... ﴾ (آل عمران، آية:١٥٩)؛ ولذلك كان دعاء الفاروق لما تولى الخلافة: اللهم إني شديدٌ فليني، وقد استجاب الله هذا الدعاء، وامتلأت نفس عمر بالعطف والرحمة واللين وأصبحت من صفاته بعد توليته الخلافة، فقد عرف الناس عمر في عهدي الرسول ﷺ وأبي بكر شديدًا حازمًا، وصوره لنا التاريخ على أنه الشخص الوحيد الذي مثل منذ دخل الإسلام حتى تولى الخلافة دور الشدة والقوة بجانب الرسول ﷺ وبجانب أبي بكر، حتى آلَ إليه الأمر انقلب رخاء ويسرًا ورحمة[2].

١٠- كانت البيعة العامة في سيرة الخلفاء الراشدين مقيدة بأهل المدينة دون غيرهم. وربما حضرها وعقدها الأعراب والقبائل التي كانت محيطة بالمدينة أو نازلة فيها، أما بقية الأمصار، فكانت تبعًا لما يتقرر في مدينة الرسول ﷺ ، وهذا لا يطعن بالبيعة، ولا يقلل من شرعيتها؛ لأن جمع المسلمين من كل الأقطار والأمصار كان أمرًا مستحيلاً، ولا بد للدولة من قائم بها، ولا يمكن أن تعطل مصالح الخلق، أضف إلى ذلك أن الأمصار الأخرى قد أيدت في بيعة أبي بكر وعمر وعثمان ما جرى في المدينة، تأييدًا صريحًا أو ضمنيًا، ولا شك أن الأساليب التي لجأ إليها الناس في صدر الإسلام كانت تجارب تصب في حقل تطوير الدولة ومؤسساتها[3] .

١١- المرأة والبيعة: لم أجد أثناء البحث إشارة إلى أن المرأة قد بايعت في زمن أبي بكر وعمر وفي عصر الخلفاء الراشدين، ولم تشر كتب السياسة الشرعية القديمة

---

(١) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، زيدان ص٢٨٢ .

(٢) الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب ص١٠٧ .

(٣) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي ص٢٦٠ .

إلى حق المرأة أو واجبها في البيعة - على حد علمي القاصر - والظاهر أن البيعة قد اقتصرت في معظم عصور التاريخ الإسلامي على الرجال دون النساء، فلا الرجال دعوها إليها، ولا هي طالبت بها، واعتبر تغيب المرأة عن البيعة أمرًا طبيعيًّا، إلى درجة أن علماء الحقوق الدستورية الإسلامية لم يشيروا إليها في قليل ولا كثير، غير أن هذا الواقع التاريخي والفقهي لا يغير من حقيقة الحكم الشرعي شيئًا؛ فليس في القرآن الكريم، ولا في السنة النبوية، وهما المصدران الرئيسيان للشريعة، ما يمنع المرأة من أن تشارك الرجل في البيعة[١].

١٢- رد سبايا العرب: كان أول قرار اتخذه عمر في دولته رد سبايا أهل الردة إلى عشائرهم، حيث قال: كرهت أن يكون السبي سنة في العرب[٢] . وهذه الخطوة الجريئة ساهمت في شعور العرب جميعًا أنهم أمام شريعة الله سواء، وأنه لا فضل لقبيلة على قبيلة إلا بحسن بلائها وما تقدمه من خدمات للإسلام والمسلمين، وتلت تلك الخطوة خطوة أخرى هي السماح لمن ظهرت توبتهم من أهل الردة بالاشتراك في الحروب ضد أعداء الإسلام، وقد أثبتوا شجاعة في الحرب وصبرًا عند اللقاء، ووفاءً للدولة لا يعدله وفاء[٣] .

١٣- تجذر منصب الخلافة في قلب الأمة وأصبح رمزًا للوحدة ولقوة المسلمين، ويرى الباحث القدرة الفائقة التي كان يتمتع به الصحابة الكرام، ومدى الأصالة في أعمالهم بحيث أن ما أقاموه في سويعات قليلة من نفس يوم وفاة الرسول ﷺ احتاج هدمه إلى ربع قرن في المخطط البريطاني، رغم أن البريطانيين أنفسهم كانوا يطلقون على الخلافة في تلك الفترة الرجل العجوز، فأي شموخ هذا لتلك الخلافة، وأي رسوخ لها حيث تحتاج لهدمها - وبعد أن أصبحت شكلاً لا موضوعًا - ربع قرن كامل، وبعد حياة استمرت قرونًا من الزمن[٤].

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٢٧٧).
(٢) الخلافة والخلفاء الراشدون ص١٦٠ .
(٣) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين د. محمد السيد الوكيل ص٨٩ .
(٤) الحضارة الإسلامية د. محمد عادل ص٣٠ .

١٤- الفرق بين الملك والخليفة: قال عمر ﷺ: والله، ما أدري أخليفة أم ملك، فإن كنت ملكًا فهذا أمر عظيم، فقال له قائل: إن بينهما فرقا، إن الخليفة لا يأخذ إلا حقًّا، ولا يضعه إلا في حق، وأنت بحمد الله كذلك، والملك يعسف الناس، فيأخذ من هذا أو يعطي هذا، فسكت عمر[١]، وفي رواية: أن عمر سأل سلمان الفارسي: أملك أنا أم خليفة؟ فقال سلمان: إن أنت جبيت من الأرض درهمًا أو أقل أو أكثر، ثم وضعته في غير موضعه فأنت ملك غير خليفة؛ فاستعبر عمر[٢].

خامسًا- الشورى:

إن من قواعد الدولة الإسلامية حتمية تشاور قادة الدولة وحكامها مع المسلمين والنزول على رضاهم ورأيهم، وإمضاء نظام الحكم بالشورى، قال تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ (آل عمران، آية:١٥٩).

وقال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ (الشورى:٢٨). لقد قرنت الآية الكريمة الشورى بين المسلمين بإقامة الصلاة؛ فدل ذلك على أن حكم الشورى كحكم الصلاة، وحكم الصلاة واجبة شرعًا؛ فكذلك الشورى واجبة شرعًا[٣]، وقد اعتمد عمر ﷺ مبدأ الشورى في دولته، فكان ﷺ لا يستأثر بالأمر دون المسلمين ولا يستبد عليهم في شأن من الشئون العامة، فإذا نزل به أمر لا يبرمه حتى يجمع المسلمين ويناقش الرأي معهم فيه ويستشيرهم.

ومن مأثور قوله: لا خير في أمر أبرم من غير شورى[٤]، وقوله: الرأي الفرد كالخيط السحيل، والرأيان كالخيطين المبرمين، والثلاثة مرار لا يكاد ينتقض[٥]، وقوله:

---

(١) الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب من رواية البلاذري ص٢٥٧ . (٢) المصدر نفسه ص٢٥٦ .
(٣) النظام السياسي في الإسلام لأبي فارس ص٩ . (٤) الخلفاء الراشدون للنجار ص٢٤٦ .
(٥) سراج الملوك للطرطوشي ص١٣٢ .

« شاور في أمرك من يخاف الله -عز وجل-»(١) ، وقوله: الرجال ثلاثة: رجل ترد عليه الأمور فيسددها برأيه، ورجل يشاور فيما أشكل عليه وينزل حيث يأمره أهل الرأي، ورجل حائر بائر، لا يأتمر رشدًا ولا يقطع مرشدًا(٢)، وقوله: يحق على المسلمين أن يكون أمرهم شورى بينهم وبين ذوي الرأي منهم، فالناس تبع لمن قام بهذا الأمر، ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعًا لهم، ومن قام بهذا الأمر تبع لأولى رأيهم ما رأوا لهم ورضوا به لهم من مكيدة في حرب كانوا فيه تبعًا لهم(٣)، وكان يحث قادة حربه على الشورى، فعند ما بعث أبا عبيد الثقفي لمحاربة الفرس بالعراق قال له: أسمع وأطع من أصحاب النبي ﷺ وأشركهم في الأمر وخاصة من كان منهم من أهل بدر(٤)، وكان يكتب إلى قادته بالعراق يأمرهم أن يشاوروا في أمورهم العسكرية عمرو بن معديكرب وطلحة الأسدي قائلاً: استشيروا واستعينوا في حربكم بطلحة الأسدي وعمرو بن معديكرب ولا تولهما من الأمر شيئًا فإن كل صانع أعلم ببضاعته(٥)، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص: وليكن عندك من العرب أول من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه؛ فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدقك في بعضه، والغاش عين عليك وليس عينًا لك(٦)، ومما قاله عمر رضي الله عنه لعتبة بن غزوان حين وجهه إلى البصرة: قد كتبت إلى العلاء بن الحضرمي(٧)، أن يمدك بعرفجة بن هرشمة(٨)، وهو ذو مجاهدة للعدو ومكايدة، فإذا قدم عليك فاستشره وقربه(٩). وكان مسلك الفاروق في الشورى جميلاً: فإنه كان يستشير العامة أول أمره فيسمع منهم، ثم يجمع مشايخ أصحاب رسول الله ﷺ أصحاب الرأي منهم، ثم يفضي إليهم بالأمر ويسألهم أن يخلصوا فيه إلى رأي محمود، فما استقر عليه رأيهم أمضاه: وعمله هذا يشبه الأنظمة الدستورية في كثير من الممالك النظامية؛ إذ يعرض الأمر على مجلس النواب مثلاً، ثم بعد أن يقرر

---

(١) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية، سليمان آل كمال (١/ ٢٧٣).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٢٧٣).
(٣) الطبري (٣/ ٤٨١)، نقلاً عن الإدارة العسكرية.
(٤) مروج الذهب (٢/ ٣١٥).
(٥) سير أعلام النبلاء (١/ ٣١٧).
(٦) نهاية الأرب (٦/ ١٦٩).
(٧) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (١/ ٢٧٤).
(٨) الإصابة (٢/ ٤٩١).
(٩) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (١/ ٢٧٥).

بالأغلبية يعرض على مجلس آخر يسمى في بعضها مجلس الشيوخ وفي بعضها مجلس اللوردات، فإذا انتهى المجلس من تقريره أمضاه الملك. والفرق بين عمل عمر وعمل هذه الممالك: أن هنا الأمر كان اجتهادًا منه وبغير نظام متبع أو قوانين مسنونة[(١)]، وكثيرًا ما كان عمر يجتهد في الشيء ويبدي رأيه فيه ثم يأتي أضعف الناس فيبين له وجه الصواب وقوة الدليل، فيقبله ويرجع عن خطأ ما رأى إلى صواب ما استبان له[(٢)].

وقد توسع نطاق الشورى في خلافة عمر رضي الله عنه لكثرة المستجدات والأحداث، وامتداد رقعة الإسلام إلى بلاد ذات حضارات وتقاليد ونظم متباينة؛ فولدت مشكلات جديدة احتاجت إلى الاجتهاد الواسع، مثل: معاملة الأرض المفتوحة، وتنظيم العطاء وفق قواعد جديدة لتنفق أموال الفتوح على الدولة، فكان عمر يجمع للشورى أكبر عدد من الصحابة الكبار[(٣)]، وكان لأشياخ بدر مكانتهم الخاصة في الشورى؛ لفضلهم وعلمهم وسابقتهم، إلا أن عمر رضي الله عنه أخذ يشوبهم بشباب؛ فإنهم على دربهم ماضون لأجلهم ورحمة ربهم ومغفرته، والدولة لا بد لها من تجديد رجالاتها، وكان عمر العبقري الفذ قد فطن إلى هذه الحقيقة؛ فأخذ يختار من شباب الأمة من علم منهم علمًا وورعًا وتقى، فكان عبد الله بن عباس من أولهم، وما زال عمر يجتهد متخيرًا من شباب الأمة مستشارين له متخذًا القرآن فيصلاً في التخير حتى قال عبد الله بن عباس: وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شبانًا[(٤)]، وقد قال الزهري لغلمان أحداث: لا تحتقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم؛ فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان فاستشارهم يبتغي حدة عقولهم[(٥)]. وقال محمد بن سيرين: إن كان عمر رضي الله عنه ليستشير في الأمر، حتى إن كان ليستشير المرأة فربما أبصر في قولها الشيء يستحسنه فيأخذه، وقد ثبت أنه استشار مرة أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها[(٦)]، وقد كان لعمر رضي الله عنه خاصة من علية الصحابة وذوي الرأي، منهم العباس بن

(١) الخلفاء الراشدون للنجار ص٢٤٦ .
(٢) المصدر نفسه ص٢٤٧ .
(٣) عصر الخلافة الراشدة ص٩٠ .
(٤) المصدر نفسه ص١٤٧ .
(٥) عصر الخلافة الراشدة ص٩٠ .
(٦) عصر الخلافة الراشدة ص٩٠ .

عبد المطلب وابنه عبد الله، وكان لا يكاد يفارقه في سفر ولا حضر، وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وعلي بن أبي طالب[١]، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب وزيد ابن ثابت[٢]، ونظراؤهم فكان يستشيرهم ويرجع إلى رأيهم[٣].

وكان المستشارون يبدون آراءهم بحرية تامة وصراحة كاملة، ولم يتهم عمر رضي الله عنه أحدًا منهم في عدالته وأمانته، وكان عمر رضي الله عنه يستشير في الأمور التي لا نص فيها من كتاب أو سنة، وهو يهدف إلى معرفة إن كان بعض الصحابة يحفظ فيها نصًّا من السنة، فقد كان بعض الصحابة يحفظ منها ما لا يحفظه الآخرون، وكذلك كان يستشير في فهم النصوص المحتملة لأكثر من معنى؛ لمعرفة المعاني والأوجه المختلفة، وفي هذين الأمرين قد يكتفي باستشارة الواحد أو العدد القليل، وأما في النوازل العامة فيجمع الصحابة، ويوسع النطاق ما استطاع كما فعل عند وقوع الطاعون بأرض الشام متوجهًا إليها[٤]، وبلغ عمر خبره فوافاه الأمراء بسرغ -موضع قرب الشام- وكان مع عمر المهاجرون والأنصار، فجمعهم مستشيرًا: أيمضي لوجهه، أم يرجع؟ فاختلفوا عليه: فمن قائل: خرجت لوجه الله فلا يصدنك عنه هذا. ومن قائل: إنه بلاء وفناء؛ فلا نرى أن تقدم عليه. ثم أحضر مهاجرة الفتح من قريش، فلم يختلفوا عليه، بل أشاروا بالعودة، فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر[٥]. فقال أبو عبيدة: أفرارًا من قدر الله؟. فقال: نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديًا له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ فسمع بهم عبد الرحمن بن عوف، فجاءهم، وقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه، وإذا وقع ببلد وأنتم فيه فلا تخرجوا فرارًا منه»[٦].

وكانت مجالات الشورى في عهد عمر متعددة، منها في المجال الإداري

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٩/ ٢٩) نقلاً عن عصر الخلافة الراشدة ص٩٠.
(٢) الخلفاء الراشدون للنجار ص٢٤٧.
(٣) عصر الخلافة الراشدة ص٩٠.
(٤) عصر الخلفاء الراشدون ص٩١.
(٥) الظهر: الدابة التي تحمل الأثقال ويركب عليها.
(٦) مسلم، كتاب السلام (٤/ ١٧٤٠) رقم ٢٢١٩.

والسياسي كاختيار العمال والأمراء، والأمور العسكرية، ومنها في المسائل الشرعية المحضة، كالكشف في الحكم الشرعي من حيث الحل والحرمة والمسائل القضائية[١]، وستتضح مجالات الشورى وتطبيقاتها وبحث عمر رضي الله عنه عن الدليل الأقوى من خلال هذا البحث كل في موضعه -بإذن الله تعالى- والذي نحب أن نؤكد عليه أن الخلافة الراشدة كانت قائمة على مبدأ الشورى المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولم تكن في عهد عمر فلتة استنبطها ولا بدعة أتى بها، ولكنها قاعدة من قواعد المنهج الرباني.

سادسًا- العدل والمساواة:

إن من أهداف الحكم الإسلامي الحرص على إقامة قواعد النظام الإسلامي التي تساهم في إقامة المجتمع المسلم، ومن أهم هذه القواعد: العدل والمساواة، ففي خطاب الفاروق للأمة أقر هذه المبادئ، فعدالته ومساواته تظهر في نص خطابه الذي ألقاه على الأمة يوم توليه منصب الخلافة؛ ولا شك أن العدل في فكر الفاروق هو عدل الإسلام الذي هو الدعامة الرئيسية في إقامة المجتمع الإسلامي؛ والحكم الإسلامي فلا وجود للإسلام في مجتمع يسوده الظلم ولا يعرف العدل.

إن إقامة العدل بين الناس أفرادًا وجماعات ودولاً ليست من الأمور التطوعية التي تترك لمزاج الحاكم أو الأمير وهواه، بل إن إقامة العدل بين الناس في الدين الإسلامي تعد من أقدس الواجبات وأهمها، وقد اجتمعت الأمة على وجوب العدل[٢]، قال الفخر الرازي: أجمعوا على أن من كان حاكما وجب عليه أن يحكم بالعدل[٣].

وهذا الحكم تؤيده النصوص القرآنية والسنة النبوية؛ فإنّ من أهداف دولة الإسلام إقامة المجتمع الإسلامي الذي تسود فيه قيم العدل والمساواة ورفع الظلم ومحاربته بأشكاله وأنواعه كافة، وعليها أن تفسح المجال وتيسر السبل أمام كل إنسان يطلب حقه أن يصل إليه بأيسر السبل وأسرعها، دون أن يكلفه ذلك جهدًا أو مالاً، وعليها

---

(١) القيود الواردة على سلطة الدولة في الإسلام ص١٦٧، ١٦٨.
(٢) فقه التمكين في القرآن الكريم للصلابي ص٤٥٥.
(٣) تفسير الرازي (١٠/ ١٤١).

أن تمنع أي وسيلة من الوسائل التي من شأنها أن تعيق صاحب الحق من الوصول إليه، وهذا ما فعله الفاروق في دولته؛ فقد فتح الأبواب على مصاريعها لوصول الرعية إلى حقوقها، وتفقد بنفسه أحوالها، فمنعها من الظلم المتوقع عليها، وأقام العدل بين الولاة والرعية، في أبهى صورة عرفها التاريخ، فقد كان يعدل بين المتخاصمين ويحكم بالحق، ولا يهمه أن يكون المحكوم عليهم من الأقرباء أو الأعداء، أو الأغنياء أو الفقراء، قال تعالى: ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ (المائدة، آية:٨).

لقد كان الفاروق قدوة في عدله أسر القلوب وبهر العقول، فالعدل في نظره دعوة عملية للإسلام به تفتح قلوب الناس للإيمان، وقد سار على ذات نهج الرسول ﷺ، فكانت سياسته تقوم على العدل الشامل بين الناس، وقد نجح في ذلك على صعيد الواقع والتطبيق نجاحًا منقطع النظير لا تكاد تصدقه العقول، حتى اقترن اسمه بالعدل، وبات من الصعب جدًّا على كل من عرف شيئًا يسيرًا من سيرته أن يفصل ما بين الاثنين، وقد ساعده على تحقيق ذلك النجاح الكبير عدة أسباب ومجموعة من العوامل منها:

١- أن مدة خلافته كانت أطول من مدة خلافة أبي بكر بحيث تجاوزت عشر سنوات، في حين اقتصرت خلافة أبي بكر على سنتين وعدة شهور فقط.

٢- إنه كان شديد التمسك بالحق حتى إنه كان على نفسه وأهله أشد منه على الناس، كما سنرى.

٣- أن فقه القدوم على الله كان قويًّا عنده لدرجة أنه كان في كل عمل يقوم به يتوخى مرضاة الله قبل مرضاة الناس، ويخشى الله ولا يخشى أحدًا من الناس.

٤- أن سلطان الشرع كان قويًّا في نفوس الصحابة والتابعين بحيث كانت أعمال عمر تلقى تأييدًا وتجاوبًا وتعاونًا من الجميع[1].

---

(١) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، حمد محمد عبد الصمد ص١٤٥.

٥- وهذه بعض مواقفه في إقامته للعدل والقسط بين الناس: فقد حكم بالحق لرجل يهودي على مسلم، ولم يحمله كفر اليهودي على ظلمه والحيف عليه، أخرج الإمام مالك[١] من طريق سعيد بن المسيب: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اختصم إليه مسلم ويهودي، فرأى عمر أن الحق لليهودي فقضى له، فقال له اليهودي: والله لقد قضيت بالحق[٢]. وكان رضي الله عنه يأمر عماله أن يوافوه بالمواسم، فإذا اجتمعوا قال: أيها الناس، إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم؛ إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم، وليقسموا فيئكم بينكم، فمن فعل به غير ذلك فليقم، فما قام أحد إلا رجل واحد قام فقال: يا أمير المؤمنين إن عاملك ضربني مائة سوط، قال: فيم ضربته؟ قم فاقتص منه، فقام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين، إنك إن فعلت هذا يكثر عليك ويكون سنة يأخذ بها من بعدك، فقال: أنا لا أقيد، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقاد من نفسه؟! قال: فدعنا فلنرضه، قال: دونكم فأرضوه، فافتدى منه بمائتي دينار كل سوط بدينارين[٣]، ولو لم يرضوه لأقاده[٤] رضي الله عنه.

وجاء رجل من أهل مصر يشكو ابن عمرو بن العاص واليه على مصر قائلاً: يا أمير المؤمنين، عائذ بك من الظلم، قال: عذت معاذا، قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين، فكتب عمر إلى عمرو رضي الله عنه يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه: فقدم عمرو، فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين؟ قال أنس: فضرب، فوالله، لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فما رفع عنه حتى تمنينا أن يرفع عنه، ثم قال عمر للمصري: اصنع على صلعة عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين، إنما ابنه الذي ضربني وقد اشتفيت منه، فقال عمر لعمرو: مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟! قال: يا أمير المؤمنين، لم أعلم ولم يأتني[٥].

---

(١) الوسطية في القرآن الكريم للصلابي ص٩٦.
(٢) الموطأ، كتاب الأقضية، بان الترغيب في القضاء بالحق رقم ٢.
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٢٩٣ - ٢٩٤).
(٤) أقاده: اقتص منه.
(٥) وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد باكريم ص ١٧٠.

لقد قامت دولة الخلفاء الراشدين على مبدأ العدل، وما أجمل ما قاله ابن تيمية: إن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة، . . . بالعدل تستصلح الرجال وتستغزر الأموال[١].

وأما مبدأ المساواة الذي اعتمده الفاروق في دولته، فيعد أحد المبادئ العامة التي أقرها الإسلام، قال تعالى: ﴿ **يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ (الحجرات، آية: ١٣).

إن الناس جميعًا في نظر الإسلام سواسية، الحاكم والمحكوم، الرجال والنساء، العرب والعجم، الأبيض والأسود، لقد ألغى الإسلام الفوارق بين الناس بسبب الجنس واللون أو النسب أو الطبقة، والحكام والمحكومون كلهم في نظر الشرع سواء[٢]، وجاءت ممارسة الفاروق لهذا المبدأ خير شاهد وهذه بعض المواقف التي جسدت مبدأ المساواة في دولته:

- أصاب الناس في إمارة عمر ﷺ سنة (جدب) بالمدينة وما حولها، فكانت تسفي إذا ريحت[٣] ترابًا كالرماد، فسمي ذلك العام عام الرمادة، فآلى (حلف) عمر ألا يذوق سمنًا ولا لبنًا ولا لحمًا حتى يحيى الناس من أول الحياء، فقدمت السوق عُكَّة من سمن، ووطب من لبن، فاشتراهما غلام لعمر بأربعين، ثم أتى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، قد أبر الله يمينك، وعظم أجرك، قدم السوق وطب من لبن، وعكة من سمن، فابتعناهما بأربعين، فقال عمر: أغليت بهما، فتصدق بهما، فإني أكره أن آكل إسرافًا، وقال عمر: كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسني ما مسهم[٤]. هذا موقف أمير المؤمنين عام القحط الذي سمي عام الرمادة، ولم يختلف موقفه عام الغلاء، فقد: أصاب الناس سنة غلاء، فغلا السمن، فكان عمر يأكل الزيت، فتقرقر بطنه، فيقول: قرقر ما شئت، فو الله لا تأكل السمن حتى يأكله الناس[٥].

---

(١) السياسة الشرعية ص١٠ . (٢، ٣) فقه التمكين في القرآن الكريم ص٥٠١ .
(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٩٨) نقلاً عن نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (١/ ٨٧).
(٥) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص١٠١.

ولم يقتصر مبدأ المساواة في التطبيق عند خلفاء الصدر الأول على المعاملة الواحدة للناس كافة، وإنما تعداه إلى شئون المجتمع الخاصة، ومنها ما يتعلق بالخادم والمخدوم، فعن ابن عباس أنه قال: قدم عمر بن الخطاب حاجًّا، فصنع له صفوان ابن أمية طعامًا، فجاءوا بجفنة يحملها أربعة، فوضعت بين يدي القوم يأكلون وقام الخُدّام، فقال عمر: أترغبونه عنهم؟ فقال سفيان بن عبد الله: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكنا نستأثر عليهم، فغضب عمر غضبًا شديدًا، ثم قال: ما لقوم يستأثرون على خدامهم، فعل الله بهم وفعل، ثم قال للخدام: اجلسوا فكلوا، فقعد الخدام يأكلون، ولم يأكل أمير المؤمنين[١]، وكذلك فإن عمر ﷺ لم يأكل من الطعام ما لا يتيسر لجميع المسلمين، فقد كان يصوم الدهر، فكان زمن الرمادة إذا أمسى أتى بخبز قد ثُرد بالزيت، إلى أن نحروا يومًا من الأيام جزورًا[٢]، فأطعمها الناس وغرفوا له طيبها فأتي به، فإذا قديد من سنام ومن كبد، فقال: أنى هذا؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين، من الجزور التي نحرناها اليوم. فقال: بخ بخ، بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها، وأطعمت الناس كرادسها، ارفع هذه الجفنة، هات غير هذا الطعام، فأتي بخبز وزيت، فجعل يكسر بيده ويثرد ذلك الخبز[٣] .

ولم يكن عمر ليطبق مبدأ المساواة في المدينة وحدها، من غير أن يعلمه لعماله في الأقاليم، حتى في مسائل الطعام والشراب[٤] ، فعند ما قدم عتبة بن فرقد أذربيجان أتى بالخبيص، فلما أكله وجد شيئًا حلوًا طيبًا، فقال: والله، لو صنعت لأمير المؤمنين من هذا، فجعل له سفطين عظيمين، ثم حملهما على بعير مع رجلين، فسرّح بهما إلى عمر .فلما قدما عليه فتحهما، فقال: أي شيء هذا؟ قالوا: خبيص، فذاقه، فإذا هو شيء حلو .فقال: أكل المسلمين يشبع من هذا في رحله؟ قال: لا .قال: أما لا فارددهما .ثم كتب إليه: أما بعد، فإنه ليس من كد أبيك ولا من كد أمك .أشبع المسلمين مما تشبع منه في رحلك[٥] .

---

(١) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص١٠١.
(٢) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (١/ ٨٧).
(٣، ٤) المصدر نفسه (١/ ١٨٨).
(٥) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص١٤٧ .

ومن صور تطبيق المساواة بين الناس ما قام به عمر عند ما جاءه مال فجعل يقسمه بين الناس، فازدحموا عليه، فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس، حتى خلص إليه، فعلاه بالدِّرة وقال: إنك أقبلت لا تهاب سلطان الله في الأرض، فأحببت أن أعلمك أن سلطان الله لن يهابك[١]. فإذا عرفنا أن سعداً كان أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأنه فاتح العراق، ومدائن كسرى، وأحد الستة الذين عينهم للشورى؛ لأن رسول الله ﷺ مات وهو راض عنهم، وأنه كان يقال له فارس الإسلام -عرفنا مبلغ التزام عمر بتطبيق المساواة[٢]، ويروي ابن الجوزي أن عمرو بن العاص، أقام حد الخمر على عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب، يوم كان عامله على مصر. ومن المألوف أن يقام الحد في الساحة العامة للمدينة؛ لتتحقق من ذلك العبرة للجمهور، غير أن عمرو بن العاص أقام الحد على ابن الخليفة في البيت، فلما بلغ الخبر عمر، كتب إلى عمرو بن العاص: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العاصي بن العاص: عجبت لك يابن العاص ولجرأتك عليّ، وخلاف عهدي .أما إني قد خالفت فيك أصحاب بدر ممن هو خير منك، واخترتك لجدالك عني، وإنفاذ عهدي، فأراك تلوثت بما قد تلوثت، فما أراني إلا عازلك فمسيء عزلك، تضرب عبد الرحمن في بيتك، وقد عرفت أن هذا يخالفني؟ إنما عبد الرحمن رجل من رعيتك، تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين .ولكن قلت: هو ولد أمير المؤمنين، وقد عرفت ألا هوادة لأحد من الناس عندي في حق يجب لله عليه، فإذا جاءك كتابي هذا فابعث به في عباءة على قتب حتى يعرف سوء ما صنع[٣]. وقد تم إحضاره إلى المدينة وضربه الحد جهراً، روى ذلك ابن سعد وأشار إليه ابن الزبير، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن ابن عمر مطولاً[٤]، وهكذا نرى المساواة أمام الشريعة في أسمى درجاتها، فالمتهم هو ابن أمير المؤمنين، ولم يعفه الوالي من العقاب، ولكن الفاروق وجد أن ابنه تمتع ببعض الرعاية؛ فآلمه ذلك أشد الألم، وعاقب واليه - وهو فاتح

---

(١) الخلفاء الراشدون ص٢٤٣ .

(٢) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (١/ ٨٨) .

(٣) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص٢٣٥ .

(٤) الخلافة الراشدة والدولة الأموية .يحيى اليحيى ص٣٤٥ .

مصـر - أشد العقاب وأقساه. وأنزل بالابن ما يستحق من العقاب؛ حرصًا على حدود الله، ورغبة في تأديب ابنه وتقويمه، وإذا كان هذا منهجه مع أقرب الناس عنده فما بالك بالآخرين؟[١].

ومن الأمثلة التاريخية الهامة التي يستدل بها المؤلفون على عدم الهوادة في تطبيق المساواة، ما صنعه عمر مع جبلة بن الأيهم وهذه هي القصة: كان جبلة آخر أمراء بني غسان من قبل هرقل، وكان الغساسنة يعيشون في الشام تحت إمرة دولة الروم، وكان الروم يحرضونهم دائمًا على غزو الجزيرة العربية، وخاصة بعد نزول الإسلام. ولما انتشرت الفتوحات الإسلامية، وتوالت انتصارات المسلمين على الروم، وأخذت القبائل العربية في الشام تعلن إسلامها - بدا للأمير الغساني أن يدخل الإسلام هو أيضًا، فأسلم وأسلم ذووه معه. وكتب إلى الفاروق يستأذنه في القدوم إلى المدينة؛ ففرح عمر بإسلامه وقدومه، فجاء إلى المدينة؛ وأقام بها زمنًا والفاروق يرعاه ويرحب به، ثم بدا له أن يخرج إلى الحج، وفي أثناء طوافه بالبيت الحرام وطئ إزاره رجل من بني فزارة فحله، وغضب الأمير الغساني لذلك - وهو حديث عهد بالإسلام - فلطم لطمة قاسية هشمت أنفه، وأسرع الفزاري إلى أمير المؤمنين يشكو إليه ما حل به، وأرسل الفاروق إلى جبلة يدعوه إليه، ثم سأله فأقر بما حدث فقال له عمر: ماذا دعاك يا جبلة لأن تطلم أخاك هذا فتهشم أنفه؟

فأجاب بأنه قد ترفق كثيرًا بهذا البدوي (وأنه لولا حرمة البيت الحرام لأخذت الذي فيه عيناه).

فقال له عمر: لقد أقررت، فإما أن ترضي الرجل وإما أن أقتص له منك.

وزادت دهشة جبلة بن الأيهم لكل هذا الذي يجري، وقال: وكيف ذلك وهو سوقة وأنا ملك؟!

فقال عمر: إن الإسلام قد سوى بينكما.

فقال الأمير الغساني: لقد ظننت يا أمير المؤمنين أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية.

---

(١) فن الحكم في الإسلام د. مصطفى أبو زيد ص٤٧٥، ٤٧٦.

فقال الفاروق: دع عنك هذا؛ فإنك إن لم ترضِ الرجل اقتصصت له منك.

فقال جبلة: إذن أتنصر.

فقال عمر: إن تنصرت ضربت عنقك؛ لأنك أسلمت فإن ارتددت قتلتك[١] .

وهنا أدرك جبلة أن الجدال لا فائدة منه، وأن المراوغة مع الفاروق لن تجدي، فطلب إلى الفاروق أن يمهله ليفكر في الأمر، فأذن له عمر بالانصراف، وفكر جبلة ابن الأيهم ووصل إلى قرار، وكان غير موفق في قراره، فقد آثر أن يغادر مكة هو وقومه في جنح الظلام وفر إلى القسطنطينية، فوصل إليها متنصرًا، وندم بعد ذلك على هذا القرار أشد الندم، وصاغ ذلك في شعر جميل ما زال التاريخ يردده ويرويه، وفي هذه القصة نرى حرص الفاروق على مبدأ المساواة أمام الشرع، فالإسلام قد سوى بين الملك والسوقة، ولا بد لهذه المساواة أن تكون واقعًا حيًّا وليس مجرد كلمات توضع على الورق أو شعار تردده الألسنة[٢] .

لقد طبق عمر رضي الله عنه مبدأ المساواة الذي جاءت به شريعة رب العالمين وجعله واقعًا حيًّا يعيش ويتحرك بين الناس؛ فلم يتراجع أمام عاطفة الأبوة، ولم ينثنِ أمام ألقاب النبالة، لم تضع المساواة أمام اختلاف الدين أو مجاملة الرجال الفاتحين، لقد كان ذلك المبدأ العظيم واقعًا حيًّا، شعر به كل حاكم ومحكوم، ووجده كل مقهور وكل مظلوم[٣] ، لقد كان لتطبيق مبدأ المساواة أثره في المجتمع الراشدي؛ فقد أثر الشعور بها على نفوس ذلك الجيل فنبذوا العصبية التقليدية، من الادعاء بالأولية والزعامة، والأحقية بالكرامة، وأزالت الفوارق الحسبية الجاهلية، ولم يطمع شريف في وضيع، ولم ييأس ضعيف من أخذ حقه، فالكل سواء في الحقوق والواجبات، لقد كان مبدأ المساواة في المجتمع الراشدي نورًا جديدًا أضاء به الإسلام جنبات المجتمع الإسلامي وكان لهذا المبدأ الأثر القوي في إنشائه[٤] .

(١) ابن خلدون (٢/ ٢٨١) نقلاً عن نظام الحكم للقاسمي (١/ ٩٠) .

(٢) فن الحكم في الإسلام ص٤٧٧، ٤٧٨ .

(٣) المصدر نفسه ص٤٧٨ .

(٤) المجتمع الإسلامي دعائمه وآدابه د. محمد أبو عجوة ص١٦٥ .

سابعًا- الحريات:

مبدأ الحرية من المبادئ الأساسية التي قام عليها الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، ويقضى هذا المبدأ بتأمين وكفالة الحريات العامة للناس كافة ضمن حدود الشريعة الإسلامية وبما لا يتناقض معها، فقد كانت دعوة الإسلام لحرية الناس- جميع الناس- دعوة واسعة وعريضة قلما تشتمل على مثلها دعوة في التاريخ، وكانت أول دعوة أطلقها في هذا المجال هي دعوته الناس في العديد من الآيات القرآنية لتوحيد الله والتوجه له بالعبادة وحده دون سائر الكائنات والمخلوقات، وفي دعوة التوحيد هذه كل معاني الحرية والاستقلال لبني الإنسان، أضف إلى ذلك أنّ الإسلام عرف الحرية بكل معانيها ومدلولاتها ومفاهيمها، فتارة تكون فعلاً إيجابيًّا كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتارة فعلاً سلبيًّا كالامتناع من إكراه أحد في الدخول في الدين، وفي أحيان كثيرة يختلط معناها بمعنى الرحمة، والعدل والشورى والمساواة؛ لأن كل مبدأ من هذه المبادئ التي نادى بها الإسلام لا يستقيم أمره، ولا يمكن تحقيقه إلا بوجود الحرية، وقد أسهم مبدأ الحرية مساهمة فعالة إبان حكم الخلفاء الراشدين خاصة بانتشار الدين الإسلامي، وبتسهيل فتوحات المسلمين واتساع رقعة دولتهم؛ لأن الإسلام كرم الإنسان وكفل حرياته على أوسع نطاق، ولأن النظم السياسية الأخرى السائدة آنذاك في دولة الروم والفرس كانت أنظمة استبدادية وتسلطية، وفئوية قاسى بسببها الرعايا، وبصورة خاصة المناوئون السياسيون والأقليات الدينية أشد درجات الكبت والاضطهاد والظلم، فعلى سبيل المثال: كانت دولة الروم تفرض على الآخذين بالمذهب اليعقوبي -ولا سيما في مصر والشام- أن يدينوا بالمذهب الملكاني (دينها الرسمي) وكم أُخذ المخالفون بالمشاعل توقد نيرانها ثم تسلط على أجسامهم حتى يحترقوا ويسيل الدهن من جوانبهم على الأرض، والجبابرة القساة يحملونهم حملاً على الإيمان بما أقره مجمع مقدونية أو يضعونهم في كيس مملوء بالرمال ثم يلقون بهم في أعماق البحار .وكذلك كانت دولة فارس في مختلف العصور تضطهد معتنقي الملل السماوية ولا سيما المسيحيين بعد ازدياد القتال

عنفًا بينها وبين دولة الروم، وأما في الإسلام في زمن رسول الله ﷺ، وعصر الخلفاء الراشدين، فقد كانت الحريات العامة المعروفة في أيامنا معلومة ومصانة تمامًا[1]، وإليك بعض التفصيل عن الحريات في زمن الفاروق رضي الله عنه:

١ - حرية العقيدة الدينية:

إن دين الإسلام لم يكره أحدًا من الناس على اعتناقه، بل دعا إلى التفكر والتأمل في كون الله ومخلوقاته وفي هذا الدين، وأمر أتباعه أن يجادلوا الناس بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ (البقرة،آية:٢٥٦) ، وقال تعالى: ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ**﴾ (الشورى،آية:٤٨)، وقال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ (النحل،آية:١٢٥) .

وقال تعالى: ﴿ **وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ (العنكبوت،آية:٤٦) . والآيات في ذلك كثيرة؛ ولذلك نجد الفاروق في دولته حرص على حماية الحرية الدينية، ونلاحظ أن عمر سار على هدي النبي والخليفة الراشد أبي بكر في هذا الباب فقد: أقـرّ أهل الكتاب على دينهم، وأخذ منهم الجزية وعقد معهم المعاهدات كما سيأتي تفصيله، وخططت معابدهم ولم تهدم وتركت على حالها؛ وذلك لقول الله تعالى: ﴿ **وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا**﴾ (الحج،آية: ٤٠) .

فحركة الفتوحات في عهد الفاروق التي قام بها الصحابة تشهد على احترام الإسلام للأديان الأخرى، وحرص القيادة العليا على عدم إكراه أحد في الدخول في الإسلام، حتى إن الفاروق نفسه جاءته ذات يوم امرأة نصرانية عجوز كانت لها حاجة عنده فقال لها: أسلمي تسلمي؛ إن الله بعث محمدًا بالحق، فقالت: أنا عجوز كبيرة، والموت إليّ أقرب، فقضى حاجتها، ولكنه خشي أن يكون في مسلكه هذا ما

---

(١) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، حمد عبد الصمد ص١٥٧،١٥٨ .

ينطوي على استغلال حاجتها لمحاولة إكراهها على الإسلام، فاستغفر الله مما فعل وقال: اللهم إني أرشدت ولم أكره[١]. وكان لعمر ﷺ عبد نصراني اسمه (أشق) حدّث فقال: كنت عبدًا نصرانيًا لعمر، فقال: أسلم حتى نستعين بك على بعض أمور المسلمين؛ لأنه لا ينبغي لنا أن نستعين على أمورهم بمن ليس منهم، فأبيت فقال: (لا إكراه في الدين) . فلما حضرته الوفاة أعتقني وقال: اذهب حيث شئت[٢]. وقد كان أهل الكتاب يمارسون شعائر دينهم وطقوس عبادتهم في معابدهم وبيوتهم، ولم يمنعهم أحد من ذلك؛ لأن الشريعة الإسلامية حفظت لهم حق الحرية في الاعتقاد، وقد أورد الطبري في العهد الذي كتبه عمر بن الخطاب ﷺ لأهل إيليا (القدس) ونص فيه على إعطاء الأمان لأهل إيلياء على أنفسهم وأموالهم وصلبانهم وكنائسهم[٣]، وكتب والي عمر بمصر عمرو بن العاص لأهل مصر عهدًا جاء فيه: بسْم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم ، وأكد ذلك العهد بقوله: على ماضي هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين[٤]. وقد اتفق الفقهاء[٥]، على أن لأهل الذمة ممارسة شعائرهم الدينية، وأنهم لا يمنعون من ذلك ما لم يظهروا، فإن أرادوا ممارسة شعائرهم إعلانًا وجهرًا كإخراجهم الصلبان فإنهم يرون منعهم من ذلك في أمصار المسلمين، وعدم منعهم في بلدانهم وقراهم[٦] .

يقول الشيخ الغزالي عن كفالة الإسلام لحرية المعتقد: إن الحرية الدينية التي كفلها الإسلام لأهل الأرض، لم يعرف لها نظير في القارات الخمس، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة، ومنح مخالفيه في الاعتقاد كل أسباب البقاء والازدهار، مثل ما صنع الإسلام[٧] .

---

(١) معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي إدوار غالي ص٤١ .
(٢) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (١/ ٥٨) .
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ١٥٨) . (٤) البداية والنهاية (٧/ ٩٨) .
(٥) السلطة التنفيذية د . محمد الدهلوي (٢/ ٧٢٥) .
(٦) المصدر نفسه (٢/ ٧٢٥) وقد فصل المسألة.
(٧) حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة ص١١١ .

لقد حرص الفاروق على تنفيذ قاعدة حرية الاعتقاد في المجتمع، ولخص سياسته حيال النصارى واليهود بقوله: وإنما أعطيناهم العهد على أن نخلي بينهم وبين كنائسهم يقولون فيها ما بدا لهم، وألا نحملهم ما لا يطيقون، وإن أرادهم عدوهم بسوء قاتلنا دونهم، وعلى أن نخلي بينهم وبين أحكامهم، إلا أن يأتوا راضين بأحكامنا فنحكم بينهم وإن غيبوا عنا لم نتعرض لهم[١] .

وقد ثبت عن عمر أنه كان شديد التسامح مع أهل الذمة، حيث كان يعفيهم من الجزية عند ما يعجزون عن تسديدها، فقد ذكر أبو عبيد في كتاب الأموال: أن عمر رضي الله عنه مر بباب قوم وعليه سائل يسأل : شيخ كبير ضرير البصر ، فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال يهودي، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله، فرضخ له بشيء من المنزل[٢]، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه فو الله، ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه[٣]، وقد كتب إلى عماله معممًا عليهم هذا الأمر[٤] . وهذه الأفعال تدل على عدالة الإسلام وحرص الفاروق أن تقوم دولته على العدالة والرفق برعاياها ولو كانوا من غير المسلمين، وقد بقيت الحرية الدينية معلمًا بارزًا في عصر الخلافة الراشدة، مكفولة من قبل الدولة، ومصانة بأحكام التشريع الرباني.

٢ - حرية التنقل أو حرية الغدو والرواح:

حرص الفاروق على هذه الحرية حرصًا شديدًا، ولكنه قيدها في بعض الحالات الاستثنائية التي استدعت ضرورة لذلك، أما الحالات الاستثنائية التي جرى فيها تقييد حرية التنقل أو حرية المأوى فهي قليلة جدًا، ويكفينا أن نشير إلى حالتين نظرًا لأهميتها:

---

(١) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص١١٧ .
(٢) رضخ له: أعطاه شيئاً ليس بالكثير.
(٣) الأموال لأبي عبيد ص٥٧، أحكام أهل الذمة لابن القيم (١/ ٣٨) .
(٤) نصب الراية للزيلعي (٧/ ٤٥٣) .

- أمسك عمر كبار الصحابة في المدينة، ومنعهم من الذهاب إلى الأقطار المفتوحة إلا بإذن منه، أو لمهمة رسمية كتعيين بعضهم ولاة أو قادة للجيوش؛ وذلك حتى يتمكن من أخذ مشورتهم والرجوع إليها فيما يصادفه من مشاكل في الحكم، ويحول في الوقت نفسه دون وقوع أية فتنة أو انقسام في صفوف المسلمين في حال خروجهم للأمصار واستقرارهم فيها[1]، فقد كان من حكمته السياسية ومعرفته الدقيقة لطبائع الناس ونفسياتهم، أنه حصر كبار الصحابة في المدينة، وقال: أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم في البلاد[2]، وكان يعتقد أنه إذا كان التساهل في هذا الشأن، نجمت الفتنة في البلاد المفتوحة، والتفَّ الناس حول الشخصيات المرموقة، وثارت حولها الشبهات، وكثرت القيادات والرايات، وكان من أسباب الفوضى[3]، لقد خشي عمر ﷺ: من تعدد مراكز القوى السياسية والدينية داخل الدولة الإسلامية، حيث يصبح لشخص هذا الصحابي الجليل أو ذاك هالة من الإجلال والاحترام على رأيه، ترقى به إلى مستوى القرار الصادر من السلطة العامة، وتجنبًا لتعدد مراكز القوى، وتشتت السلطة، فقد رأى عمر إبقاء كبار الصحابة، داخل المدينة يشاركونه في صناعة القرار، ويتجنبون فوضى الاجتهاد الفردي، ولولا هذا السند الشرعي لكان القرار الصادر عن عمر ﷺ غير مجد ولا ملزم؛ لافتقاده لسببه الشرعي الذي يسوغه؛ إذ التصرف على الرعية منوط بالمصلحة[4].

- وأما الحالة الثانية فقد حصلت عند ما أمر عمر بإجلاء نصارى نجران ويهود خيبر من قلب البلاد العربية إلى العراق والشام، وسبب ذلك أن يهود خيبر ونصارى نجران لم يلتزموا بالعهود والشروط التي أبرموها مع رسول الله ﷺ وجددوها مع الصديق، فقد كانت مقرات يهود خيبر ونصارى نجران أوكارًا للدسائس؛ والمكر فكان لا بد من إزالة تلك القلاع الشيطانية، وإضعاف قواتهم، أما بقية النصارى واليهود، كأفراد فقد عاشوا في المجتمع المدني يتمتعون بحقوقهم كافة، روى البيهقي في سننه

(١) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص١٦٠ .

(٢، ٣) المرتضي سيرة أمير المؤمنين لأبي الحسن الندوي ص١٠٩ .

(٤) القيود الواردة على سلطة الدولة ص١٥١ .

وعبد الرزاق بن همام الصنعاني في مصنفه عن ابن المسيب وابن شهاب: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب» . قال مالك: قال ابن شهاب: ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى أتاه الثلج واليقين عن رسول الله ﷺ أنه قال: لا يجتمع دينان في جزيرة العرب؛ فأجلى يهود خيبر . قال مالك: قد أجلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يهود نجران وفدك[١] .

لقد كانت نبوة النبي ﷺ بالنسبة للصحابة يقينًا؛ ولذلك لم يستطع اليهود ولا نصارى نجران أن يلتزموا بعهودهم مع المسلمين لشدة عداوتهم وبغضهم وحسدهم للإسلام والمسلمين، فاليهود في خيبر كان من أسباب إجلائهم، ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما فدع[٢] أهل خيبر عبد الله بن عمر قام عمر خطيبًا فقال: إن رسول الله ﷺ عامل يهود خيبر على أموالهم وقال: نقركم ما أقركم الله، وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك فعدي عليه من الليل، ففدعت يداه ورجلاه، وليس لنا هناك عدو غيره، هم عدونا وتهمتنا وقد رأيت إجلاءهم فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بني الحقيق فقال: يا أمير المؤمنين، أتخرجنا وقد أقرنا محمد ﷺ وعاملنا على الأموال وشرط ذلك لنا؟ فقال عمر: أظننت أني نسيت قول رسول الله ﷺ : «كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوصك[٣]، ليلة بعد ليلة؟» فقال: كان ذلك هزيلة من أبي القاسم فقال: كذبت يا عدو الله . فأجلاهم عمر، وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالاً وإبلاً وعروضًا من أقتاب وحبال وغير ذلك[٤]، لقد غدر اليهود ونقضوا عهودهم، فكان طبيعيًّا أن يخرجوا من جزيرة العرب تنفيذًا لوصية رسول الله ﷺ فأجلاهم عمر إلى تيماء وأريحا.

وأما نصارى نجران فلم يلتزموا بالشروط والعهود التي أبرموها مع رسول الله ﷺ ، وجددوها مع الصديق؛ فأخلوا ببعضها وأكلوا الربا وتعاملوا به، فأجلاهم الفاروق من نجران إلى العراق وكتب لهم: أما بعد، فمن وقع به من أمراء الشام أو

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٩/ ٢٠٨)، مصنف عبد الرزاق (٦/ ٥٣) . (٢) الفدع: عوج المفصل.
(٣) قلوصك: الناقة الصابرة على السير. (٤) البخاري، ك الشروط، رقم ٢٧٣٠ .

العراق فليوسعهم خريب الأرض[١]، وما اعتملوا من شيء فهو لهم لوجه الله وعقب من أرضهم ، فأتوا العراق فاتخذوا النجرانية وهي قرية بالكوفة[٢]، وذكر أبو يوسف أن الفاروق خاف من النصارى على المسلمين[٣]، وبذلك تتجلى سياسة الفاروق فيما فعل من إخراجهم بعد توفر أسباب أخرى إضافة إلى وصية رسول الله ﷺ ، ويتجلى فقه الفاروق في توجيه الضربات المركزة إلى مقرات اليهود في خيبر، والنصارى في نجران بعد أن وجد المبررات اللازمة لإخراجهم من جزيرة العرب بدون ظلم أو عسف أو جور، وهكذا منع أوكار الدسائس والمكر من أن تأخذ نفسًا طويلاً للتخطيط من أجل القضاء على دولة الإسلام الفتية.

٣ - حق الأمن، وحرمة المسكن، وحرية الملكية:

إن الإسلام أقر حق الأمن في العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، قال تعالى: ﴿**فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ (البقرة:١٩٣). وقال أيضًا: ﴿**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ**﴾ (البقرة:١٩٤) . وقد عرف الإسلام - أيضًا- حق الحياة الذي هو أوسع من حق الأمن؛ لأن هذا الأخير يتضمن فعلاً سلبيًا من جانب الدولة يعبر عنه بالامتناع من الاعتداء أو التهديد، في حين أن حق الحياة يتضمن علاوة على ذلك فعلاً إيجابيًا وهو حماية الإنسان ودمه من أي اعتداء أو تهديد، ويجعل هذه الحماية مسئولية عامة ملقاة على عاتق الناس كافة؛ لأن الاعتداء بدون حق على أحدهم هو بمثابة الاعتداء عليهم جميعًا[٤]، قال تعالى: ﴿**مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾ (المائدة:٣٢) . ومن المنطلق القرآني والممارسة النبوية تكفل الفاروق في عهده للأفراد بحق الأمن وحق الحياة، وسهر على تأمينهما وصيانتهما من أي عبث أو تطاول، وكان الفاروق رضي الله عنه يقول: إني لم أستعمل عليكم عمالي ليضربوا أبشاركم ويشتموا أعراضكم ويأخذوا أموالكم، ولكن استعملتهم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة

---

(١) أي: يقطعهم من الأرض التي لا زرع فيها ولا شجر.
(٢) الأموال لأبي عبيد ص٢٤٥
(٣) الخراج لأبي يوسف ص٧٩ .
(٤) نظام الحكم في عهد الراشدين ص١٦٣ .

نبيكم، فمن ظلمه عامله بمظلمة فليرفعها إليَّ حتى أقصها منه[١]. وجاء عن عمر- أيضًا- قوله: ليس الرجل بمأمون على نفسه إن أجعته أو أخفته أو حبسته أن يقر على نفسه[٢]. وقوله هذا يدل على عدم جواز الحصول على الإقرار والاعتراف من مشتبه به في جريمة تحت الضغط أو التهديد، سواء أكانت الوسيلة المستعملة بذلك مادية (كحرمانه من عطائه أو مصادرة أمواله) أو معنوية (كاللجوء إلى تهديده أو تخويفه بأي نوع من العقاب) وجاء في كتابه لأبي موسى الأشعري بصفته قاضيًا: واجعل للمدعي حقًّا غائبًا أو بينة أمدًا ينتهي إليه، فإن أحضر بينته أخذت له بحقه، وإلا وجهت عليه القضاء؛ فإن ذلك أنفى للشك)[٣] وهذا القول يدل على أن حق الدفاع كان محترمًا ومصانًا[٤].

وفيما يتعلق بحرمة المسكن، فإن الله -سبحانه- حرم دخول البيوت والمساكن بغير موافقة أهلها أو بغير الطريقة المألوفة لدخولها، فقال -سبحانه- في هذا الشأن: ﴿**لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ**﴾ (النور، آية: ٢٧-٢٨) . وقال أيضًا: ﴿**وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا**﴾ (البقرة: ١٨٩)، كما قال: ﴿**وَلاَ تَجَسَّسُوا**﴾ وقد كانت حرمة المسكن مكفولة ومصانة في عهد الفاروق وعصر الخلفاء الراشدين[٥].

وأما حرية الملكية فقد كانت مكفولة ومصانة في عصر الراشدين ضمن أبعد الحدود التي تقرها الشريعة الإسلامية في هذا المجال، فحين اضطر عمر رضي الله عنه لأسباب سياسية وحربية إلى إجلاء نصارى نجران ويهود خيبر من قلب شبه الجزيرة العربية، إلى العراق والشام أمر بإعطائهم أرضًا كأرضهم في الأماكن التي انتقلوا إليها؛ احترامًا منه وإقرارًا لحق الملكية الفردية الذي يكفله الإسلام لأهل الذمة مثلما يكفله للمسلمين[٦]، وعندما اضطر عمر إلى نزع ملكية بعض الدور من أجل العمل

---

(١) نظام الحكم في عهد الراشدين ص١٦٤ . (٢) المصدر نفسه ص١٦٥ .
(٣) القضاء ونظامه في الكتاب والسنة. د. عبد الرحمن الحميض ص (٤٨) .
(٤) نظام الحكم في عهد الراشدين ص ١٦٥ .(٥) المصدر نفسه ص ١٦٨ . (٦) المصدر نفسه ص ١٨٩ .

على توسيع المسجد الحرام في مكة، لم يكن دفعه للتعويض العادل إلا اعترافًا منه وإقرارًا بحق الملكية الفردية التي لا يجوز مصادرتها حتى في حالة الضرورة إلا بعد إنصاف أصحابها[١]، وحرية الملكية لم تكن في عهد الراشدين مطلقة، وإنما هي مقيدة بالحدود الشرعية وبمراعاة المصلحة العامة، فقد روي أن بلال بن الحارث المزني جاء إلى رسول الله ﷺ يطلب إليه أن يستقطعه أرضًا، فأقطعه أرضًا طويلة عريضة، فلما آلت الخلافة إلى عمر ؓ، قال له: يا بلال، إنك استقطعت رسول الله ﷺ أرضًا طويلة عريضة فقطعها لك، وإن رسول الله ﷺ لم يكن يمنع شيئًا يسأله، وأنت لا تطيق ما في يدك، فقال أجل، فقال عمر: فانظر ما قويت عليه منها فأمسكه، وما لم تطق وما لم تقو عليه فادفعه إلينا نقسمه بين المسلمين، فقال: لا أفعل والله، شيء أقطعنيه رسول الله ﷺ، فقال عمر: والله لتفعلن، فأخذ عمر ما عجز عن عمارته فقسمه بين المسلمين[٢] . وهذا يدل على أن الملكية الفردية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمصلحة الجماعة فإن أحسن المالك القيام بما يتطلبه معنى الاستخلاف في الرعاية والاستثمار فليس لأحد أن ينازعه ملكه، وإلا فإن لولي الأمر أن يتصرف بما يحول دون إهماله[٣] .

٤ - حرية الرأي:

كفل الإسلام للفرد حرية الرأي كفالة تامة، وقد كانت هذه الحرية مؤمنة ومصانة في عهد الخلفاء الراشدين، فكان عمر ؓ يترك الناس يبدون آراءهم السديدة، ولا يقيدهم ولا يمنعهم من الإفصاح عما تكنه صدورهم[٤]، ويترك لهم فرصة الاجتهاد في المسائل التي لا نص فيها، فعن عمر أنه لقي رجلاً فقال: ما صنعت؟ قال: قضى علي وزيد بكذا، قال: لو كنت أنا لقضيت بكذا، قال: فما منعك والأمر إليك؟ قال: لو كنت أردك إلى كتاب الله أو إلى سنة نبيه ﷺ لفعلت، ولكني أردك إلى

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ١٩٠ .

(٢) المغني (٥/ ٥٧٩)، نظام الأرض .محمد أبو يحيى ص ٢٠٧ .

(٣) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين .حمد الصمد ص ١٩٢ .

(٤) السلطة التنفيذية للدهلوي (٢/ ٧٣٥) .

رأي، والرأي مشترك ما قال علي وزيد[١]. وهكذا ترك الفاروق الحرية للصحابة يبدون آراءهم في المسائل الاجتهادية، ولم يمنعهم من الاجتهاد، ولم يحملهم على رأي معين[٢]. وكان النقد أو النصح للحاكم في عهد الفاروق والخلفاء الراشدين مفتوحًا على مصراعيه، فقد قام الفاروق ﷺ يخطب فقال: أيها الناس، من رأى منكم فيّ اعوجاجًا فليقومه، فقام له رجل وقال: والله، لو رأينا فيك اعوجاجًا لقومناه بسيوفنا، فقال عمر: الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من يقوم اعوجاج عمر بسيفه[٣]. وقد جاء في خطبة عمر لما تولى الخلافة: أعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحضاري النصيحة[٤]. واعتبر الفاروق ممارسة الحرية السياسية البناءة (النصيحة) تعد واجبًا على الرعية، ومن حق الحاكم أن يطالب بها: أيها الرعية، إن لنا عليكم حقًّا: النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير[٥]. وكان يرى أن من حق أي فرد في الأمة أن يراقبه ويقوم اعوجاجه ولو بحد السيف إن هو حاد عن الطريق، فقال: أيها الناس من رأى منكم فيّ اعوجاجًا فليقومه[٦]، وكان يقول: أحب الناس إليّ من رفع إليّ عيوبي[٧]، وقال أيضًا: إني أخاف أن أخطئ فلا يردني أحد منكم تهيبًا مني[٨]، وجاءه يومًا رجل فقال له على رءوس الأشهاد: اتق الله ياعمر؛ فغضب بعض الحاضرين من قوله، وأرادوا أن يسكتوه عن الكلام، فقال لهم عمر: لا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نسمعها[٩]، ووقف ذات يوم يخطب في الناس فما كاد يقول: (أيها الناس، اسمعوا وأطيعوا) حتى قاطعه أحدهم قائلاً: لا سمع ولا طاعة يا عمر، فقال عمر بهدوء: لم يا عبد الله؟ قال: لأن كلاً منا أصابه قميص واحد من القماش لستر عورته. فقال له عمر: مكانك، ثم نادى ولده عبد الله ابن عمر، فشرح عبد الله أنه قد أعطى أباه نصيبه من القماش ليكمل به ثوبه، فاقتنع الصحابة، وقال الرجل في احترام وخشوع: الآن السمع والطاعة يا أمير المؤمنين[١٠]

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ٦٥). (٢) السلطة التنفيذية للدهلوي (٢/ ٧٣٨).

(٣) أخبار عمر ص ٣٣١، ٣٣٢، نقلاً عن الرياض النضرة.

(٤:٦) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص ١٩٧.

(٧) المصدر نفسه ص ١٩٨ الشيخان أبو بكر وعمر من رواية البلاذري ص ٢٣١.

(٨) المصدر نفسه ص١٩٨. (٩) المصدر نفسه ص ٢٠٠.

(١٠) عيون الأخبار (١/ ٥٥) نقلاً عن محض الصواب (٢/ ٥٧٩).

وخطب ذات يوم، فقال: لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية، وإن كانت بنت ذي القصة -يعني يزيد بن الحصين- فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال، فقالت امرأة معترضة على ذلك: ما ذاك لك، قال: ولم؟ قالت: لأن الله -تعالى- قال: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (النساء، آية: ٢٠) . فقال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ[١]، وجاء في رواية: أنه قال: اللهم غفرًا، كل إنسان أفقه من عمر، ثم رجع فركب المنبر فقال: أيها الناس، إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب وطابت به نفسه فليفعل[٢] . وليست حرية الرأي مطلقة في نظر الشريعة؛ فليس للإنسان أن يفصح عن كل ما يشاء، بل هي مقيدة بعدم مضرة الآخرين بإبداء الرأي، سواء كان الضرر عامًّا أو خاصًّا، ومما منعه عمر رضي الله عنه وحظره وقيده:

أ- الآراء الضالة المضلة في الدين واتباع المتشابهات:

ومن ذلك قصة النبطي الذي أنكر القدر بالشام[٣] فقد اعترض على عمر رضي الله عنه وهو يخطب بالشام حينما قال عمر: ومن يضلل الله فلا هادي له، فاعترض النبطي منكرًا للقدر، قائلاً: إن الله لا يضل أحدًا! فهدده عمر بالقتل إن أظهر مقولته القدرية مرة أخرى[٤]، وعن السائب بن يزيد أنه قال: أتى رجل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا * فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ (الذاريات، آية: ٢١) فقال عمر رضي الله عنه أنت هو؟ فقام إليه وحسر[٥] عن ذراعيه، فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته، فقال: والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقًا لضربت رأسك، ألبسوه ثيابه، واحملوه على قتب[٦]، ثم اخرجوا حتى تقدموا به بلاده، ثم ليقم خطيب ثم ليقل: إن صبيغًا[٧] ابتغى العلم فأخطأه. فلم يزل وضيعًا في قومه حتى هلك[٨] .

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٣) عزاه للزبير بن بكار وفيه انقطاع، أخرجه أبو حاتم في مسنده والبيهقي في السنن وقال: مرسل جيد.

(٢) قال أبو يعلى: إسناده جيد، مجمع الزوائد (٤/ ٢٨٣) .

(٣) هو قسطنطين الجاثليق بطريق الشام.

(٤) الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها د. ناصر العقل ص٢٢٣ .

(٥) حسر عن ذراعيه: أي أخرجهما من كميه.

(٦) القتب: إكاف البعير.

(٧) هو صبيغ بن عسل الحنظلي، سأل عمر عن متشابه القرآن واتهمه عمر برأي الخوارج.

(٨) شرح أصول اعتقاد أهل السنة اللالكائي (٣٠/ ٦٣٤، ٦٣٥) .

ب) الوقوع في أعراض الناس بدعوى الحرية:

وقد حبس عمر رضي الله عنه الحطيئة[١] من أجل هجائه الزبرقان بن بدر[٢] بقوله:

دع المكـــارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي[٣]

لأنه شبهه بالنساء في أنهن يطعمن ويسقين ويكسين[٤]، وقد توعد عمر الحطيئة بقطع لسانه إذا تمادى في هجو المسلمين ونهش أعراضهم، وقد استعطفه الحطيئة وهو في سجنه بشعر منه قوله:

ماذا أقول لأفراخ بــذي مَـرَخٍ زُغْبِ الحواصل لا ماءٌ ولا شجـرُ

ألقيتَ كاسبَهــم في قَعْر مُظْلمـة فاغفـر عليك سلام الله يا عمـر

أنت الأمير الذي من بعد صاحبه أَلْقَى إليـك مقاليدَ النُّهى البشـرُ

فرق له قلب عـمر وخلى سبيله، وأخـذ عليه ألا يهجـو أحدًا من المسلمين[٥]، وقد ورد أن الفاروق اشترى أعراض المسلمين من الحطيئة بمبلغ ثلاثة آلاف درهم حتى قال ذلك الشاعر:

أخذت أطـراف الكلام فلم تدع شتمـا يضر ولا مديحًا ينفع

ومنعتني عرضَ البخيل فلم يخف شتمي وأصبح آمنا لا يفـزع[٦]

٥- رأي عمر في الزواج بالكتابيات:

لما علم عمـر رضي الله عنه أن حذيفة بن اليمان تزوج يـهودية كتب إليه: خل سـبيلها، فكتب إليه حـذيفة: أتزعم أنها حـرام فأخلي سبيـلها؟ فقال: لا أزعم أنهـا حرام، ولكني أخاف أن تعاطوا المومسات منهن، وفي رواية: إني أخشى أن تدعوا المسلمات وتنكحوا المومسات[٧] .

(١) الحطيئة: هو جرول بن مالك بن جرول، لقب بالحطيئة لقصره.

(٢) الزبرقان بن بدر التميمي: صحابي ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقات قومه.

(٣) السلطة التنفيذية (٢/ ٧٤٥) .

(٤) تفسير القرطبي (١٢/ ١٧٣، ١٧٤) .

(٥) الشعر والشعراء لابن قتيبة (١/ ٣٢٧)، عمر بن الخطاب د .أحمد أبو النصر ص ٢٢٣ .

(٦) أصحاب الرسول (١/ ١١٠) محمود المصري، محض الصواب (١/ ٣٧٦) .

(٧) إسناده صحيح، تفسير ابن كثير (١/ ٢٦٥) .

قال أبو زهرة: (يجب أن نقرر هنا أن الأولى للمسلم ألا يتزوج إلا مسلمة؛ لتمام الألفة من كل وجه ولقد كان عمر ﷺ ينهى عن الزواج بالكتابيات إلا لغرض سام كارتباط سياسي يقصد به جمع القلوب وتأليفها أو نحو ذلك . . .)[١] .

لقد بين المولى -عز وجل- في كتابه بأن الزواج بالمؤمنة ولو كانت أمة أولى من الزواج بالمشركة ولو كانت حرة، قال تعالى: ﴿**وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ (البقرة،آية:٢٢١)، ففي هذه الآيات الكريمة ينهى الحق -سبحانه وتعالى- عن الزواج بالمشركات حتى يؤمن بالله ويصدقن نبيه، وحكم بأفضلية الأمة المؤمنة بالله ورسوله -وإن كانت سوداء رقيقة الحال- على المشركة الحرة وإن كانت ذات جمال وحسب ومال، ويمنع في المقابل المؤمنات من الزواج بالمشركين ولو كان المشرك أحسن من المؤمن في جماله وماله وحسبه[٢]، وإذا كان الزواج بالمشركة حرامًا بنص هذه الآية فإن الزواج بالكتابية جائز بنص آخر وهو قوله تعالى: ﴿**وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ**﴾ (المائدة،آية:٥) وهو نص مُخصِّص للعموم في النص الأول، هذا هو رأي الجمهور[٣]، إلا أنهم قالوا: إن الزواج بالمسلمة أفضل، هذا فيما إذا لم تكن هنالك مفاسد تلحق الزوج أو الأبناء أو المجتمع المسلم، أما إن وجدت مفاسد فإن الحكم هو المنع، وهذا ما ذهب إليه بعض العلماء المعاصرين[٤]، وهو رأي سبق إليه عمر بن الخطاب؛ إذ هو أول من منع الزواج بالكتابيات مستندًا في ذلك إلى حجتين:

أ- لأنه يؤدي إلى كساد الفتيات المسلمات وتعنيسهن.

ب- لأن الكتابية تفسد أخلاق الأولاد المسلمين ودينهم.

---

(١) الأحوال الشخصية لأبي زهرة ص١٠٤ .

(٢) فقه الأولويات دراسة في الضوابط، محمد الوكيلي ص٧٧ .

(٣) الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الجزائري (٥/ ٧٦، ٧٧) .

(٤) فقه الأولويات، محمد الوكيلي ص٧٧ .

وهاتان حجتان كافيتان في هذا المنع، إلا أنه إذا نظرنا إلى عصرنا فإننا سنجد مفاسد أخرى كثيرة استجدت تجعل هذا المنع أشد[١]، وقد أورد الأستاذ جميل محمد مبارك مجموعة من هذه المفاسد منها:

ج- قد تكون للزوجة من أهل الكتاب مهمة التجسس على المسلمين.

د- دخول عادات الكفار إلى بلاد المسلمين.

هـ- تعرض المسلم للتجنس بجنسية الكفار.

و- جهل المسلمين المتزوجين بالكتابيات؛ مما يجعلهم عجينة سهلة التشكيل في يد الكتابيات.

ز- شعور المتزوجين بالكتابيات بالنقص، وهو أمر أدى إليه الجهل بدين الله[٢].

وهي مفاسد كافية للاستدلال على حرمة الزواج بالكتابية في عصرنا.

إن القيود التي وضعها عمر على الزواج بالكتابيات تنسجم مع المصالح الكبرى للدولة والأهداف العظمى للمجتمعات الإسلامية، فقد عرفت الأمم الواعية ما في زواج أبنائها بالأجنبيات من المضار، وما يجلبه هذا الزواج من أخطار تعيب الوطن عفوًا أو قصدًا؛ فوضعت لذلك قيودًا وبالذات للذين يمثلونها في المجالات العامة، وهو احتياط له مبرراته الوجيهة؛ فالزوجة تعرف الكثير من أسرار زوجها إن لم تكن تعرفها كلها، على قدر ما بينهم من مودة وانسجام، ولقد كان لهذه الناحية من اهتمام عمر رضي الله عنه مقام الأستاذية الحازمة الحاسبة لكل من جاء بعده كحاكم على مر الزمان، إن الزواج من الكتابيات فيه مفاسد عظيمة؛ فإنهن دخيلات علينا ويخالفننا في كل شيء، وأكثرهن يبقين على دينهن، فلا يتذوقن حلاوة الإسلام وما فيه من وفاء وتقدير للزوج، قدر عمر كل ذلك بفهمه لدينه، وبصائب تقديره لطبائع البشر، وبحسن معرفته لما ينفع المسلمين وما يضرهم، فأصدر فيه أوامره وعلى الفور وفي حسم[٣].

لقد كانت الحرية في العهد الراشدي مصونة ومكفولة ولها حدودها وقيودها؛ ولذلك ازدهر المجتمع وتقدم في مدار الرقي، فالحرية حق أساسي للفرد والمجتمع،

(١) فقه الأولويات، محمد الوكيلي ص٧٨.

(٢، ٣) شهيد المحراب، عمر التلمساني ص٢١٤.

يتمتع بها في تحقيق ذاته وإبراز قدراته، وسلْبُ الحرية من المجتمع سلب لأهم مقوماته فهو أشبه بالأموات.

إن الحرية في الإسلام إشعاع داخلي ملأ جنبات النفس الإنسانية بارتباطها بالله؛ فارتفع الإنسان بهذا الارتباط إلى درجة السمو والرفعة، فأصبحت النفس تواقة لفعل الصالحات والمسارعة في الخيرات ابتغاء رب الأرض والسموات، فالحرية في المجتمع الإسلامي دعامة من دعائمه تحققت في المجتمع الراشدي في أبهى صور انعكست أنوارها على صفحات الزمان[١] .

ثامنًا- نفقات الخليفة، والبدء بالتاريخ الهجري ولقب أمير المؤمنين:

١ - نفقات الخليفة:

لما كانت الخلافة دينا وقربة يتقرب بها إلى الله -تعالى- فإن من يتولاها ويحسن فيها فإنه يرجى له مثوبته، وجزاؤه عند الله -سبحانه وتعالى- فإنه يجازي المحسن، بإحسانه، والمسيء بإساءته[٢]، قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ**﴾ (الأنبياء،آية:٩٤) ذلك بالنسبة للجزاء الأخروي، وأما بالنسبة للجزاء الدنيوي فإن الخليفة الذي يحجز منافعه الصالحة للأمة، ويعمل على أداء الواجب نحوها يستحق عوضًا عن ذلك؛ إذ إن المنافع إذا حجزت قوبلت بعوضين[٣]، فالقاعدة الفقهية: أن كل محبوس لمنفعة غيره يلزمه نفقته، كمفت وقاض ووال[٤]، وأخذ العوض على تولي الأعمال مشروع بإعطاء النبي ﷺ العمالة[٥] لمن ولاه عملاً[٦]، ولما ولي عمر بن الخطاب أمر المسلمين بعد أبي بكر مكث زمانًا، لا يأكل من بيت المال شيئًا حتى دخلت عليه في ذلك خصاصة، لم يعد يكفيه ما يربحه من تجارته؛ لأنه اشتغل عنها بأمور الرعية، فأرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فاستشارهم في ذلك، فقال: قد شغلت نفسي في هذا الأمر فما يصلح لي فيه؟ فقال عثمان بن عفان: كل وأطعم، وقال ذلك سعيد بن زيد بن

---

(١) المجتمع الإسلامي د .محمد أبو عجوة ص٢٤٥ .
(٢) السلطة التنفيذية (١/ ٢١٥) .
(٣) المبسوط (١٥/ ١٤٧،١٦٦)، المغني (٥/ ٤٤٥) .
(٤) السلطة التنفيذية (١/ ٢١٥) .
(٥) العمالة: بالضم، رزق العامل.
(٦) السلطة التنفيذية (١/ ٢١٦) .

عمرو بن نفيل[١]، وقال عمر لعلي رضي الله عنه: ما تقول أنت في ذلك؟ قال: غداء وعشاء، فأخذ عمر بذلك، وقد بين عمر حظه من بيت المال فقال: إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة قيم اليتيم، إن استغنيت عنه تركت، وإن افتقرت إليه أكلت بالمعروف[٢]، وجاء في رواية أن عمر خرج على جماعة من الصحابة فسألهم: ما ترونه يحل لي من مال الله؟ أو قال: من هذا المال؟ فقالوا: أمير المؤمنين أعلم بذلك منا، قال: إن شئتم أخبرتكم ما أستحل منه، ما أحج وأعتمر عليه من الظهر، وحلتي في الشتاء وحلتي في الصيف، وقوت عيالي شبعهم، وسهمي في المسلمين؛ فإنما أنا رجل من المسلمين، قال معمر: وإنما كان الذي يحج عليه ويعتمر بعيرًا واحدًا[٣].

وقد ضرب الخليفة الراشد الفاروق للحكام أروع الأمثلة في أداء الأمانة فيما تحت أيديهم، فقد روى أبو داود عن مالك ابن أوس بن الحدثان قال: ذكر عمر بن الخطاب يومًا الفيء فقال: ما أنا بأحق بهذا الفيء منكم، وما أحد منا بأحق به من أحد، إلا أنا على منازلنا من كتاب الله -عز وجل- وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فالرجل وقدمُهُ، والرجل وبلاؤه، والرجل وعياله، والرجل وحاجته[٤]، وعن الربيع بن زياد الحارثي أنه وفد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأعجبته هيئته وبلاغته، فقال: يا أمير المؤمنين، إن أحق الناس بطعام لين، ومركب لين، وملبس لين لأنت -وكان أكل طعامًا غليظًا- فرفع عمر جريدة كانت معه فضرب بها رأسه، ثم قال: أما والله، ما أراك أردت بها الله، ما أردت بها إلا مقاربتي، وإن كنت: لأحسب أن فيك خيرًا، ويحك هل تدري مثلي ومثل هؤلاء؟ قال: وما مثلك ومثلهم؟ قال مثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم، فقالوا: أنفق علينا، فهل يحل له أن يستأثر منها بشيء؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، قال فذلك مثلي ومثلهم[٥]. وقد استنبط الفقهاء من خلال الهدى النبوي والعهد الراشدي مجموعة من الأحكام تتعلق بنفقات الخليفة، منها:

---

(١) سعيد بن زيد العدوي أحد العشرة المبشرين بالجنة.

(٢) سنده صحيح، الخلافة الراشدة د. يحيى اليحيى ص٢٧٠.

(٣) مصنف عبد الرزاق رقم ٢٠٠٤٦ نقلاً عن السلطة التنفيذية.

(٤) سنن أبي داود رقم ٢٩٥٠.

(٥) محض الصواب (١/ ٣٨٣)، الطبقات الكبرى (٣/ ٢٨٠، ٢٨١).

أ- أنه يجوز للخليفة أن يأخذ عوضًا عن عمله، وقد نص النووي[١]، وابن العربي[٢]، والبهوتي[٣]، وابن مفلح[٤] على جواز ذلك.

ب- وأن الخليفتين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد أخذا رزقًا على ذلك.

ج- وأن أخذ الرزق هو مقابل انشغالهما في أمور المسلمين كما قاله أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

د- وأن الخليفة له أن يأخذ ذلك سواء كان بحاجة إليه أو لا، ويرى ابن المنير[٥]، أن الأفضل له أن يأخذ؛ لأنه لو أخذ كان أعون في عمله مما لو ترك؛ لأنه بذلك يكون مستشعرًا بأن العمل واجب عليه[٦].

٢ - بدء التاريخ:

يعد التاريخ بالهجرة تطورًا له خطره في النواحي الحضارية، وكان أول من وضع التاريخ بالهجرة عمر، ويحكى في سبب ذلك عدة روايات، فقد جاء عن ميمون بن مهران أنه قال: دُفع إلى عمر رضي الله عنه صَكٌّ محله في شعبان، فقال عمر: شعبان هذا الذي مضى أو الذي هو آت أو الذي نحن فيه، ثم جمع أصحاب رسول الله ﷺ فقال لهم: ضعوا للناس شيئًا يعرفونه، فقال قائل: اكتبوا على تاريخ الروم، فقيل: إنه يطول وإنهم يكتبون من عند ذي القرنين، فقال قائل: اكتبوا تاريخ الفرس قالوا: كلما قام ملك طرح ما كان قبله، فاجتمع رأيهم على أن ينظروا كم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة فوجدوه أقام عشر سنين، فكتب أو كتبوا التاريخ على هجرة رسول الله ﷺ [٧]، وعن عثمان بن عبيد الله[٨]، قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: جمع عمر بن الخطاب المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم فقال: متى نكتب التاريخ؟ فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: منذ خرج النبي ﷺ من أرض الشرك، يعني من يوم هاجر، قال:

---

(١) روضة الطالبين (١١/ ١٣٧).
(٢) البداية والنهاية (١٢/ ٢٢٨، ٢٢٩).
(٣) الأعلام للزركلي (٨/ ٢٤٩).
(٤) السلطة التنفيذية (١/ ٢١٨).
(٥) المصدر نفسه (١/ ٢١٩).
(٦) شرح مسلم للنووي (٧/ ١٣٧).
(٧) محض الصواب (١/ ٣١٦)، ابن الجوزي ص٦٩.
(٨) ابن أبي رافع مولى النبي ﷺ يروي عن أبيه.

فكتب ذلك عـمر بن الخطاب رضي الله عنه[١]، وعن ابن المسـيب قال: أول من كتب الـتاريخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسنتين ونصف من خلافته، فكتب لست عشرة من المحرم بمشورة علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٢]، وقال أبو الزناد[٣]: استشار عمر في التاريخ فأجمعوا على الهجرة[٤]، وروى ابن حجر في سـبب جعلهم بداية التاريخ في شهـر محرم وليس في ربيع الأول الشهر الذي تمت فيه هجرة النبي صلى الله عليه وسلم أن الصحابة الذين أشاروا على عمر وجدوا أن الأمور الـتي يمكن أن يؤرخ بها أربعة، هي مولده ومـبعثه وهجـرته ووفاته، ووجدوا أن المولد والمبعث لا يخلوان من النزاع في تعيين سنة حـدوثهما، وأعرضوا عن التـأريخ بوفاته لما يثـيـره من الحزن والأسى عند المسلمـين؛ فلم يبق إلا الهجـرة، وإنما أخروه من ربـيع الأول إلى المحرم؛ لأن ابتـداء العزم على الهـجرة كـان من المحرم؛ إذ وقعت بيعة العقـبة الثانية في ذي الحجة، وهي مقدمـة الهجرة، فكان أول هلال استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة هو هـلال محرم؛ فناسب أن يُجعل مبتدأ. .ثم قال ابن حجر: وهذا أنسب ما وقعت عليه من مناسبة الابتداء بالمحرم[٥] .

وبهذا الحـدث الإداري المتميـز أسهم الفاروق فـي إحداث وحدة شـاملة بكل ما تحمله الكلمـة من معنى في شبـه الجزيرة، حيث ظهـرت وحدة العقيـدة بوجود دين واحد، ووحدة الأمة بإزالة الفوارق، ووحدة الاتجاه باتخاذ تاريخ واحد؛ فاستطاع أن يواجه عدوه وهو واثق من النصر[٦] .

٣ - لقب أمير المؤمنين:

لما مات أبو بكر رضي الله عنه وكـان يدعى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال المسلمون: من جاء بعـد عمر قيل له: خلـيفة خليفـة خليفة رسـول الله صلى الله عليه وسلم فيطول هذا، ولكن أجمـعوا على اسم تدعـون به الخليفة، يُدْعى به من بعـده من الخلفاء، فـقال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحـن المؤمنون وعمر أميرنا، فدعي عمـر أمير المؤمنين؛

---

(١) المستدرك (٣/ ١٤) وصححه ووافقه الذهبي.
(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ص١٦٣ .
(٣) عبد الله بن ذكوان القرشي، ثقة فقيه، التقريب ص٣٠٢ .
(٤) محض الصواب (١/ ٣١٧) .
(٥) فتح الباري (٧/ ٢٦٨)، الخلافة الراشدة، يحيى اليحيى ص٢٨٦ .
(٦) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، محمد الوكيل ص٩٠ .

فهو أول من سمي بذلك[١]، وعن ابن شهـــاب: أن عمر بن عبد العزيز ﷺ سأل أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة[٢]: لم كان أبو بكر ﷺ يكتب من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ؟ ثم كان عمر ﷺ يكتب بعـده: من عمر بن الخطاب خليفة أبي بكر، ومن أول من كتب أمير المؤمنين؟ فقـال: حدثتني جدتي الشفاء[٣]، وكانت من المهاجـرات الأول، وكان عـمر إذا دخل السوق دخل عـليها، قـال: كتب عـمر بن الخطاب إلى عامـل بالعراق[٤]: أن ابعث إلي برجلين جلدين نبـيلين، أسألهـما عن العراق وأهله، فبعث إليه صاحب العراقين بلبيـد بن ربيعة، وعدي بن حاتم، فقدما المدينة فأناخا راحلتـيهما بفناء المسجـد، ثم دخلا المسجد فوجدا عـمرو بن العاص، فقالا له: (يا عمرو، استأذن لنا على أمير المؤمنين، فدخل عمرو فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال له عمـر: ما بدا لك في هذا الاسم يا بن العاص؟ لتخرجن مما قلت، قال: نعم، قدم لبـيد بن ربيعة وعـدي بن حاتم فقالا: استـأذن لنا على أمير المؤمنين، فقلت: أنتما والله أصبتما اسـمه، إنه أمير ونحن المؤمنون، فجرى الكتاب من ذلك اليوم[٥]، وفي رواية: أن عمـر ﷺ قال: أنتم المؤمنون وأنا أميركم؛ فـهو سمى نفسه[٦]، وبذاك يكون عمر بن الخطاب ﷺ أول من سمي بأمير المؤمنين وأنه لم يسبق إليه، وإذا نظر الباحث في كلام أصحـاب النبي ﷺ رأى أن جميعهم قد اتفقوا على تسميته بهذا الاسم وسار له في جميع الأقطار في حال ولايته[٧].

❊ ■ ❊

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٢٨١)، محض الصواب (١/ ٣١١).

(٢) العدوي المدني، ثقة، عارف بالنسب من الثالثة، التقريب ص٦٠٧.

(٣) الشفاء بنت عبد الله العدوية، أسلمت قبل الهجرة.

(٤) محض الصواب (١/ ٣١٢).

(٥) المستدرك (٣/ ٨١، ٨٢) قال الذهبي: صحيح.

(٦) محض الصواب (١/ ٣١٢).

(٧ المصدر نفسه (١/ ٣١٣).

المبحث الثاني
صفات الفاروق، وحياته مع أسرته، واحترامه لأهل البيت

أولاً- أهم صفات الفاروق:

إن مفتاح شخصية الفاروق إيمانه بالله -تعالى- والاستعداد لليوم الآخر، وكان هذا الإيمان سببًا في التوازن المدهش والخلاّب في شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولذلك لم تطغ قوته على عدالته، وسلطانه على رحمته، ولا غناه على تواضعه، وأصبح مستحقًّا لتأييد الله وعونه، فقد حقق شروط كلمة التوحيد، من العلم واليقين، والقبول، والانقياد، والإخلاص والمحبة، وكان على فهم صحيح لحقيقة الإيمان وكلمة التوحيد؛ فظهرت آثار إيمانه العميق في حياته والتي من أهمها:

١ - شدة خوفه من الله -تعالى- بمحاسبته لنفسه:

كان رضي الله عنه يقول: أكثروا من ذكر النار، فإن حرّها شديد، وقعرها بعيد، ومقامها حديد[1]. وجاء ذات يوم أعرابي، فوقف عنده وقال:

يا عمر الخير جزيت الجنه ... جهِّز بُنَيَّاتي وأمهنَّه

أقسم بالله لتفعلنه

قال: فإن لم أفعل ماذا يكون يا أعرابي؟ قال:

أقسم إني سوف أمضينه

قال: فإن مضيت ماذا يكون يا أعرابي؟ قال:

والله عن حالي لتسألنه ... يوم تكون الأعطيات مِنَّه

والواقف المسئول بينهنه ... إما إلي نار وإما جنه

فبكى عمر حتى اخضلت لحيته بدموعه، ثم قال: يا غلام أعطه قميصي هذا لذلك

(١) فرائد الكلام للخلفاء الكرام ص١٥٥ .

اليوم، لا لشعره، والله ما أملك قميصًا غيره[١]. وهكذا بكى أمير المؤمنين عمر ﷺ بكاءً شديدًا تأثرًا بشعر ذلك الأعرابي الذي ذكّره بموقف الحساب يوم القيامة، مع أنه لا يذكر أنه ظلم أحدًا من الناس، ولكنه لعظيم خشيته وشدة خوفه من الله تعالى تنهمر دموعه أمام كل من يذكّره بيوم القيامة[٢].

وكان ﷺ من شدة خوفه من الله تعالى يحاسب نفسه حسابًا عسيرًا، فإذا خيل إليه أنه أخطأ في حق أحد طلبه، وأمره بأن يقتص منه، فكان يقبل على الناس يسألهم عن حاجاتهم، فإذا أفضوا إليه بها قضاها، ولكنه ينهاهم عن أن يشغلوه بالشكاوى الخاصة إذا تفرغ لأمر عام، فذات يوم كان مشغولاً ببعض الأمور العامة[٣]، فجاءه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، انطلق معي فأعني على فلان؛ فإنه ظلمني، فرفع عمر الدرة، فخفق بها رأس الرجل، وقال: تتركون عمر وهو مقبل عليكم، حتى إذا اشتغل بأمور المسلمين أتيتموه، فانصرف الرجل متذمرًا، فقال عمر عليَّ بالرجل: فلما أعادوه ألقى عمر بالدرة إليه، وقال، أمسك الدرة، واخفقني كما خفقتك قال الرجل: لا يا أمير المؤمنين، أدعها لله ولك، قال عمر: ليس كذلك: إما أن تدعها لله وإرادة ما عنده من الثواب، أو تردها عليّ فأعلم ذلك، فقال الرجل: أدعها لله يا أمير المؤمنين، وانصرف الرجل، أما عمر فقد مشى حتى دخل بيته[٤] ومعه بعض الناس منهم الأحنف بن قيس الذي حدثنا عمّا رأى: . . . فافتتح الصلاة فصلى ركعتين ثم جلس، فقال: يابن الخطاب كنت وضيعًا فرفعك الله، وكنت ضالاً فهداك الله، وكنت ذليلاً فأعزك الله، ثم حملك على رقاب المسلمين، فجاء رجل يستعديك، فضربته، ما تقول لربك غدًا إذا أتيته؟ فجعل يعاتب نفسه معاتبة ظننت أنه خير أهل الأرض[٥].

وعن إياس بن سلمة عن أبيه قال: مر عمر ﷺ وأنا في السوق، وهو مار في حاجة، ومعه الدرة، فقال: هكذا أمِطْ[٦] عن الطريق يا سلمة، قال: ثم خفقني بها خفقة فما أصاب إلا طرف ثوبي، فأمطت عن الطريق، فسكت عني حتى كان في العام

(١) تاريخ بغداد (٤/ ٣١٢).
(٢) التاريخ الإسلامي (١٩/ ٤٦).
(٣) الفاروق للشرقاوي ص٢٢٢.
(٤) المصدر نفسه ص٢٢٢.
(٥) محض الصواب (٢/ ٥٠٣).
(٦) ماطه وأماطه: نحّاه ودفعه.

المقبل، فلقيني في السوق، فقال: يا سلمة، أردت الحج العام؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فأخذ بيدي، فما فارقت يدي يده حتى دخل بيته، فأخرج كيسًا فيه ستمائة درهم فقال: يا سلمة، استعن بهذه واعلم أنها من الخفقة التي خفقتك عام أول، قلت: والله يا أمير المؤمنين، ما ذكرتها حتى ذكرتنيها، قال: والله ما نسيتها بعد[١]. وكان ﷺ يقول في محاسبة النفس ومراقبتها: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا، وتهيئوا للعرض الأكبر ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [٢].

وكان من شدة خشيته لله ومحاسبته لنفسه يقول: لو مات جدْي بطف[٣] الفرات لخشيت أن يحاسب الله به عمر[٤]، وعن علي ﷺ قال: رأيت عمر بن الخطاب ﷺ على قتب يعدو، فقلت: يا أمير المؤمنين، أين تذهب؟ قال: بعير ندَّ[٥] من إبل الصدقة أطلبه، فقلت: أذللت الخلفاء بعدك، فقال: يا أبا الحسن ،لا تلمني فوالذي بعث محمدًا بالنبوة لو أن عناقًا[٦] أخذت بشاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة[٧].

وعن أبي سلامة قال: انتهيت إلى عمر وهو يضرب رجالاً ونساء في الحرم على حوض يتوضئون منه، حتى فرق بينهم، ثم قال: يا فلان، قلت: لبيك، قال: لا لبيك ولا سعديك، ألم آمرك أن تتخذ حياضًا للرجال وحياضًا للنساء، قال: ثم اندفع فلقيه علي ﷺ فقال: أخاف أن أكون هلكت قال: وما أهلكك؟ قال ضربت رجالاً ونساءً في حرم الله -عز وجل- قال: يا أمير المؤمنين أنت راع من الرعاة، فإن كنت على نصح وإصلاح فلن يعاقبك الله، وإن كنت ضربتهم على غش فأنت الظالم[٨].

وعن الحسن البصري أنه قال: بينما عمر ﷺ يجول في سكك المدينة إذ عرضت له هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ فانطلق إلى أبي بن كعب، فدخل عليه بيته وهو جالس على وسادة، فانتزعها أبي من تحته وقال: دونكها يا أمير المؤمنين، قال: فنبذها برجله وجلس، فقرأ عليه هذه الآية وقال: أخشى أن أكون أنا صاحب

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٢٤٤) وإسناده ضعيف.
(٢) مختصر منهاج القاصدين ص٣٧٢، فرائد الكلام ص١٤٣ .
(٣) طف: الشاطئ.
(٤) مناقب عمر ص١٦٠، ١٦١ .
(٥) ندَّ: شرد وهرب.
(٦) العناق: الأنثى من المعز ما لم يتم له سنة.
(٧) مناقب عمر ص١٦١ .
(٨) مصنف عبد الرزاق (١/ ٧٥، ٧٦) وإسناده حسن، محض الصواب (٢/ ٦٢٢) .

الآية، أوذي المؤمنين، قال: لا تستطيع إلا أن تعاهد رعيتك، فتأمر وتنهى، فقال عمر: قد قلت والله أعلم[١]، وكان عمر رضي الله عنه ربما توقد النار ثم يدلي يده فيها، ثم يقول: ابن الخطاب هل لك على هذا صبر[٢].

وعندما بعث سعد بن أبي وقاص أيام القادسية إلى عمر رضي الله عنه بقباء كسرى، وسيفه ومنطقته، وسراويله، وقميصه، وتاجه، وخفيه، نظر عمر في وجوه القوم فكان أجسمهم وأمدهم قامة سراقة بن جعشم المدلجي، فقال: يا سراقة، قم فالبس فقام فلبس وطمع فيه، فقال له عمر: أدبر فأدبر، ثم قال: أقبل فأقبل، ثم قال: بخ بخ، أعرابي من بني مدلج عليه قباء كسرى، وسراويله، وسيفه، ومنطقته، وتاجه، وخفاه، رب يوم يا سراقة بن مالك لو كان عليك فيه من متاع كسرى كان شرفًا لك ولقومك، انزع، فنزع سراقة، فقال عمر: إنك منعت هذا رسولك ونبيك وكان أحب إليك مني وأكرم عليك مني، ومنعته أبا بكر وكان أحب إليك مني، وأكرم عليك مني، ثم أعطيتنيه؛ فأعوذ بك أن تكون أعطيتنيه لتمكر بي، ثم بكى حتى رحمه من عنده ثم قال لعبد الرحمن: أقسمت عليك لما بعته ثم قسمته قبل أن تمسي[٣]. ومواقفه في هذا الباب كثيرة جدًّا.

١ - زهده:

فهم عمر رضي الله عنه من خلال معايشته للقرآن الكريم، ومصاحبته للنبي الأمين صلى الله عليه وسلم ومن تفكره في هذه الحياة أن الدنيا دار اختبار وابتلاء؛ وعليه فإنها مزرعة للآخرة، ولذلك تحرّر من سيطرة الدنيا بزخارفها وزينتها وبريقها، وخضع وانقاد وأسلم نفسه لربه ظاهرًا وباطنًا، وكان وصل إلى حقائق استقرت في قلبه ساعدته على الزهد في هذه الدنيا، ومن هذه الحقائق:

أ- اليقين التام بأننا في هذه الدنيا أشبه بالغرباء، أو عابري سبيل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»[٤].

---

(١) مناقب عمر ص١٦٢، محض الصواب (٢/ ٦٢٣).

(٢) المصدر نفسه ص٦٢.

(٣) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٢/ ٦٢٥).

(٤) الترمذي، ك الزهد رقم ٢٣٣٣ وهو حديث صحيح.

ب- وأن هذه الدنيا لا وزن لها ولا قيمة عند رب العزة إلا ما كان منها طاعة لله -تبارك وتعالى- إذ يقول النبي ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء»(١)، ويقول: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، أو عالمًا، أو متعلمًا» (٢).

ج- وأن عمرها قد قارب على الانتهاء، إذ يقول ﷺ: «بعثتُ أنا والساعة كهاتين بالسبّابة والوسطى(٣).

د- وأن الآخرة هي الباقية، وهي دار القرار، كما قال مؤمن آل فرعون: ﴿ **يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ* مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ (غافر:٣٩، ٤٠) (٤). كانت الحقائق قد استقرت في قلب عمر؛ فترفع ﷺ عن الدنيا وحطامها وزهد فيها، وإليك شيئًا من مواقفه التي تدل على زهده في هذه الفانية، فعن أبي الأشهب(٥) قال: مرّ عمر ﷺ على مزبلة فاحتبس عندها، فكأن أصحابه تأذوا بها، فقال: هذه دنياكم التي تحرصون عليها، وتبكون عليها(٦).

وعن سالم بن عبد الله: أن عمر بن الخطاب كان يقول: والله، ما نعبأ بلذات العيش أن نأمر بصغار المعزى أن تسمط(٧) لنا، ونأمر بلباب(٨) الخبز فيخبز لنا، ونأمر بالزبيب فينبذ لنا في الأسعان(٩)، حتى إذا صار مثل عين اليعقوب(١٠)، أكلنا هذا وشربنا هذا، ولكنا نريد أن نستبقي طيباتنا؛ لأنا سمعنا الله يقول: ﴿ **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا**﴾ (الأحقاف،آية: ٢٠)، وعن أبي عمران الجوني قال: قال عمر

(١) الترمذي، ك الزهد رقم ٢٣٢٠ .
(٢) الترمذي، ك الزهد رقم ٢٣٢٢ حسن غريب قاله الترمذي.
(٣) مسلم، ك الفتن وأشراط الساعة رقم ١٣٢- ١٣٥ .
(٤) من أخلاق النصر في جيل الصحابة د .السيد محمد نوح ص٤٨،٤٩ .
(٥) جعفر بن حيان السعدي.
(٦) الزهد للإمام أحمد ص١١٨ .
(٧) السمط: سمط الجدي: نتف صوفه بالماء الحار.
(٨) اللباب: الخالص من كل شيء.
(٩) الأسعان: جمع سعن، والسعن: قربة تقطع من نصفها وينتبذ فيها.
(١٠) اليعقوب: الحجل.

ابن الخطاب: لنحن أعلم بلين الطعام من كثير من آكليه، ولكنا ندعه ليوم ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ (الحج،آية:٢)، وقد قال عمر ﵁: نظرت في هذا الأمر، فجعلت إن أردت الدنيا أضرّ بالآخرة، وإن أردت الآخرة أضر بالدنيا، فإذا كان الأمر هكذا، فأضر بالفانية[١]، وقد خطب ﵁ الناس، وهو خليفة، وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة[٢]، وطاف ببيت الله الحرام وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة، إحداهن بأدم أحمر[٣]، وأبطأ على الناس يوم الجمعة، ثم خرج فاعتذر إليهم في احتباسه، وقال: إنما حبسني غسل ثوبي هذا، كان يغسل، ولم يكن لي ثوب غيره[٤].

وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: خرجت مع عمر بن الخطاب ﵁ حاجًّا من المدينة إلى مكة، إلى أن رجعنا، فما ضرب له فسطاطًا[٥]، ولا خباء، كان يلقى الكساء[٦] والنطع[٧]. على الشجرة فيستظل تحته[٨].

هذا هو أمير المؤمنين الذي يسوس رعية من المشرق والمغرب يجلس على التراب وتحته رداءٌ كأنه أدنى الرعية، أو من عامّة الناس، ودخلت عليه مرة حفصة أم المؤمنين ﵂ وقد رأت ما هو فيه من شدة العيش والزهد الظاهر عليه فقالت: إن الله أكثر من الخير، وأوسع عليك من الرزق، فلو أكلت طعامًا أطيب من ذلك، ولبست ثيابًا ألين من ثوبك؟ قال: سأخصمك إلى نفسك[٩]، فذكر أمر رسول الله ﷺ وما كان يلقى من شدة العيش، فلم يزل يُذكرها ما كان فيه رسول الله ﷺ وكانت معه حتى أبكاها، ثم قال: إنه كان لي صاحبان سلكا طريقًا، فإن سلكت الشديد، لعلي أن أدرك معهما عيشهما الرخي[١٠].

---

(١) الحلية (١/ ٥٠) وهو ضعيف لانقطاعه، مناقب عمر لابن الجوزي ص١٣٧ .
(٢) الزهد للإمام أحمد ص١٢٤ له طرق تقويه.
(٣) الطبقات الكبرى (٣/ ٣٢٨) إسناده صحيح.
(٤) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٢/ ٥٦٦) .
(٥) الفسطاط: بيت من شعر.
(٦) في الطبقات والمناقب الكساء أو النطع.
(٧) النِّطع: بساط من الأديم.
(٨) الطبقات لابن سعد (٣/ ٢٧٩) وإسناده صحيح.
(٩) سأخصمك إلى نفسك: أي سأجعلك حكماً على نفسك.
(١٠) الزهد للإمام أحمد ص١٢٥، الطبقات (٣/ ٢٧٧) .

لقد بسطت الدنيا بين يدي عمر رضي الله عنه وتحت قدميه، وفتحت بلاد الدنيا في عهده، وأقبلت إليه الدنيا راغمة، فما طرف لها بعين، ولا اهتز لها قلبه، بل كان كل سعادته في إعزاز دين الله، وتخضيد شوكة المشركين، فكان الزهد صفة بارزة في شخصية الفاروق[١]، يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: والله، ما كان عمر بن الخطاب بأقدمنا هجرة، وقد عرفت بأي شيء فَضَلَنا، كان أزهدنا في الدنيا[٢] .

٢ - ورعه:

ومما يدل على ورعه رضي الله عنه ما أخرجه أبو زيد عمر بن شبة من خبر معدان بن أبي طلحة اليعمري أنه قدم على عمر رضي الله عنه بقطائف وطعام، فأمر به فقسم، ثم قال: اللهم، إنك تعلم أني لم أرزقهم ولن أستأثر عليهم إلا أن أضع يدي في طعامهم، وقد خفت أن تجعله نارًا في بطن عمر، قال معدان: ثم لم أبرح حتى رأيته اتخذ صحفة من خالص ماله فجعلها بينه وبين جفان العامة. فأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يرغب في أن يأكل مع عامة المسلمين؛ لما في ذلك من المصالح الاجتماعية، ولكنه يتحرج من أن يأكل من طعام صنع من مال المسلمين العام، فيأمر بإحضار طعام خاص له من خالص ماله، وهذا مثال رفيع في العفة والورع؛ إذ إن الأكل من مال المسلمين العام معهم ليس فيه شبهة تحريم؛ لأنه منهم ولكنه قد أعف نفسه عن ذلك ابتغاء مما عند الله -تعالى- ولشدة خوفه من الله -تعالى- خشي أن يكون ذلك من الشبهات فحمى نفسه منه[٣]، وعن عبد الرحمن بن نجيح قال: نزلت على عمر رضي الله عنه، فكانت له ناقة يحلبها، فانطلق غلامه ذات يوم فسقاه لبنا أنكره، فقال: ويحك من أين هذا اللبن لك؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن الناقة انفلت عليها ولدها فشربها، فحلبت لك ناقة من مال الله، فقال: ويحك، تسقيني نارًا؟! واستحل ذلك اللبن من بعض الناس، فقيل هو لك حلال يا أمير المؤمنين ولحمها[٤]. فهذا مثل من ورع أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، حيث خشي من عذاب الله -جل وعلا- لما شرب ذلك

---

(١) الفاروق أمير المؤمنين د. لماضة ص١١ .

(٢) إسناده جيد: أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ١٤٩) في مصنفه، وابن عساكر (٥٢/ ٢٤٤) .

(٣) التاريخ الإسلامي (١٩/ ٣٧) .

(٤) تاريخ المدينة المنورة ص٧٠٢ .

اللبن مع أنه لم يتعمد ذلك، ولم تطمئن نفسه إلا بعد أن استحل ذلك من بعض كبار الصحابة ﷺ الذين يمثلون المسلمين في ذلك الأمر، وهذا الخبر وأمثاله يدل على أن ذكر الآخرة بما فيها من حساب ونعيم أو شقاء أخذ بمجامع عمر وملأ عليه تفكيره، حتى أصبح ذلك موجهًا لسلوكه في هذه الحياة[١]، لقد كان عمر رضي الله عنه شديد الورع، وقد بلغ به الورع فيما يحق له ولا يحق، أنه مرض يومًا، فوصفوا له العسل دواء، وكان في بيت المال عسل جاء من بعض البلاد المفتوحة، فلم يتداو عمر بالعسل كما نصحة الأطباء، حتى جمع الناس، وصعد المنبر واستأذن الناس: إن أذنتم لي، وإلا فهو علي حرام؛ فبكى الناس إشفاقًا عليه وأذنوا له جميعًا، ومضى بعضهم يقول لبعض، لله درك يا عمر! لقد أتعبت الخلفاء بعدك[٢].

٣ - تواضعه:

عن عبد الله بن عباس قال: كان للعباس ميزاب على طريق عمر، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة وقد كان ذبح للعباس فرخان، فلما وافى الميزاب صُبّ ماء بدم الفرخين فأصاب عمر، فأمر عمر بقلعه، ثم رجع عمر فطرح ثيابه ولبس ثيابًا غير ثيابه، ثم جاء فصلى بالناس، فأتاه العباس فقال: والله، إنه للموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ فقال عمر للعباس: وأنا أعزم عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ، ففعل ذلك العباس[٣]. وعن الحسن البصري قال: خرج عمر رضي الله عنه في يوم حارّ واضعًا رداءه على رأسه، فمرَّ به غلام على حمار، فقال: يا غلام، احملني معك، فوثب الغلام عن الحمار، وقال: اركب يا أمير المؤمنين، قال: لا، اركب وأركب أنا خلفك، تريد تحملني على المكان الوطيء، وتركب أنت على الموضع الخشن، فركب خلف الغلام، فدخل المدينة، وهو خلفه والناس ينظرون إليه[٤]. وعن سنان بن سلمة الهذلي قال: خرجت مع

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٩/٢٨).

(٢) فرائد الكلام للخلفاء الكرام ص١١٣، الفاروق للشرقاوي ص٢٧٥.

(٣) صفة الصفوة (١/ ٢٨٥).

(٤) أصحاب الرسول ﷺ، محمود المصري (١/١٥٧).

الغلمان ونحن نلتقط البلح، فإذا عمر بن الخطاب ﷺ ومعه الدِّرَّة، فلما رآه الغلمان تفرقوا في النخل، قال: وقمت وفي إزاري شيء قد لقطته، فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا ما تلقي الريح، قال: فنظر إليه في إزاري فلم يضربني، فقلت: يا أمير المؤمنين، الغلمان الآن بين يديَّ، وسيأخذون ما معي، قال: كلا، امش، قال: فجاء معي إلى أهلي[١].

وقدم على عمر بن الخطاب وفد من العراق فيهم الأحنف بن قيس في يوم صائف شديد الحر، وعمر معتجر (معتم) بعباءة يهنأ بعيرًا من إبل الصدقة (أي يطليه بالقطران) فقال: يا أحنف ضع ثيابك، وهلم، فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فإنه إبل الصدقة، فيه حق اليتيم، والأرملة، والمسكين، فقال رجل من القوم: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين، فهلا تأمر عبدًا من عبيد الصدقة فيكفيك؟ فقال عمر: وأي عبد هو أعبد مني، ومن الأحنف؟ إنه من ولي أمر المسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيده في النصيحة، وأداء الأمانة[٢]. وعن عروة بن الزبير ﷺ قال: رأيت عمر بن الخطاب ﷺ على عاتقه قربة ماء، فقلت: يا أمير المؤمنين، لا ينبغي لك هذا، فقال: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين، دخلت نفسي نخوة؛ فأردت أن أكسرها[٣]. وعن أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت عمر بن الخطاب يومًا، وخرجت معه حتى دخل حائطًا، فسمعته يقول وبيني وبينه جدار، وهو في جوف الحائط: عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، بخ، والله بُنَيّ الخطاب، لتتقين الله، أو ليعذبنك[٤]. وعن جبير بن نفير: أن نفرًا قالوا لعمر بن الخطاب: ما رأينا رجلاً أقضى بالقسط، ولا أقول للحق ولا أشدَّ على المنافقين منك يا أمير المؤمنين، فأنت خير الناس بعد رسول الله ﷺ، فقال عوف بن مالك ﷺ[٥]: كذبتم - والله - لقد رأينا بعد رسول الله ﷺ، فقالوا: من هو؟ فقال: أبو بكر فقال عمر: صدق عوف،

---

(١) صلاح الأمة في علو الهمة، سيد العفاني (٥/ ٤٢٥).
(٢) أخبار عمر ص٣٤٣، أصحاب الرسول ﷺ، محمود المصري (١/ ١٥٦).
(٣) مدارج السالكين (٢/ ٣٣٠).
(٤) مالك في الموطأ (٢/ ٩٩٢) إسناده صحيح.
(٥) الأشجعي، صحابي مشهور، من مسلمة الفتح.

وكذبتم، والله لقد كان أبو بكر أطيب من ريح المسك، وأنا أضل من بعير أهلي - يعني قبل أن يسلم - لأن أبا بكر أسلم قبله بست سنين[١] .

وهذا يدل على تواضع عمر وتقديره للفضلاء ولا يقتصر على الأحياء منهم، ولكنه يعم منهم الموتى كذلك، فلا يرضى أن ينكر فضلهم أو يغفل ذكرهم، ويظل يذكرهم بالخير في كل موقف، ويحمل الناس على احترام هذا المعنى النبيل وعدم نسيان ما قدموه من جلائل الأعمال؛ فيبقى العمل النافع متواصل الحلقات يحمله رجال من رجال إلى رجال، فلا ينسى العمل الطيب بغياب صاحبه أو وفاته، وفي هذا وفاء وفيه إيمان[٢] .

إن عمر رضي الله عنه لا يقر إغفال فضل من سبقه في هذا المقام، ولا يرضى أن تذهب أفضال السابقين أدراج النسيان .إن الأمة التي تنسى أو تغفل ذكر من خدموها، أمة مقضي عليها بالتبار، أليس من الخير أن يربي الناس على هذه الخلال السامية؟ لقد تربى عمر على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فعلّماه ما تعجز عنه كتب التربية والأخلاق قديمها وحديثها، وما يزال كتاب الله بين أيدينا، وما تزال سنة رسول الله ﷺ محفوظة لدينا وفيها علم وتربية وأخلاق بما لا يقاس عليه[٣] .

٤ - حلمه:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس[٤]، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولا كانوا أو شبانا، فقال عيينة لابن أخيه: يابن أخي، هل لك، أو قال: لك وجه عند الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: إيه، أو هي يابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل[٥]، ولا تحكم فينا بالعدل؛ فغضب عمر حتى هم أن

(١) مناقب عمر لابن الجوزي ص١٤، محض الصواب (٢/ ٥٨٦) .

(٢) شهيد المحراب ص١٤٤ . (٣) المصدر نفسه ص١٤٤،١٤٥ .

(٤) الحر بن قيس الفزاري، صحابي أسلم مع وفد بني فزارة .

(٥) الجزل: الجزيل العظيم، وأجزلت له العطاء: أي أكثرت.

يوقع به، فقال له الحـر: يا أمير المؤمنين، إن الله -تعالى- قـال لنبيه: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف: ١٩٩) .وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافًا عند كتاب الله[١]. فعندما سمع ﷺ الآية الكريمة هدأت ثائرته، وأعـرض عن الرجل الذي أساء إليـه في خلقه عـندما اتهـمه بالبـخل، وفي دينه عندمـا اتهـمه بالجـور في القـسم، وتلك التي يهـتم لهـا عمـر وينصب، ومن منا يملك نفـسه عند الغـضب؟ وخاصـة إذا كان للغـضب ما يحـمل عليه، كثيـرون؟ لا أظن، ولا قليلون، متى نتجمل بهذه التعـاليم لنكون مثلاً قرآنيًا نتحرك وفق ما نقرأ في كتاب الله الكريم؟ متى يكون خلقنا القرآن[٢]؟ وعندما خطب عمر بالجابية في الشام تحدث عن الأموال وكيفية القسمة وعن أمور، ذكر منها . . . وإني أعتذر إليكم عن خـالد بن الوليد؛ فإني أمرته أن يحبس هذا المال على ضـعفة المهاجرين فأعطـى ذا البأس، وذا الشرف، وذا اللسان، فنزعته وأمـرت أبا عبيدة بن الجراح، فقام أبو عمرو بن حفص بن المغيرة[٣]، فقال: والله، ما اعتذرت يا عمر، ولقد نزعت عاملاً استعمله رسـول الله ﷺ وأغمدت سيفًا سله رسول الله ﷺ ووضعت أمرًا نصـبه رسول الله ﷺ، وقطعت رحمًا، وحسـدت ابن العم .فقال عمر ﷺ: إنك قريب القرابة، حديث السن، تغضب في ابن عمك[٤] .

هذه بعض صفاته التي كانت ثمارًا لتوحـيده وإيمانه بالله واستعداده للقدوم على الله -تعالى- وقد تحدث العلمـاء والباحثون عن صفاته الشخصـية والتي من أهمها: القـوة الدينية، والشـجاعـة، والإيمان القوي، والعـدل، والعلم، والخـبرة، وسـعة الاطلاع، والهيبـة وقوة الشخصـية، والفراسة والفطنة وبعـد النظر والكرم، والقدوة الحسنة، والرحمة، والشدة والحزم، والغلظـة، والتقوى والورع، وتكلموا عن سمات السلوك القيادي عند الخليفة عمر بن الخـطاب والتي من أهمها: سماع النقد، والقدرة على تفعيل الناس وإيجـاد العمل، والمشاركة في اتخاذ القـرارات بالشورى، والقدرة على إحداث التـغييـر والتقلب في المواقف الطارئة، وشدة مـراقبتـه للولاة والأمراء،

---

(١) البخاري، رقم ٦٨٥٦، ٤٣٦٦ .
(٢) شهيد المحراب ص١٨١ .
(٣) المخزومي .
(٤) محض الصواب (٢/ ٦٠٢) .

وفي ثنايا البحث سوف يلاحظ القارئ الكريم هذه الصفات وأكثر ولا أريد حصرها في هذا المبحث خوفًا من التكرار.

ثانيًا- حياته مع أسرته:

قال عمر رضي الله عنه: إن الناس ليؤدون إلى الإمام ما أدى الإمام إلى الله، وإن الإمام إذا رتع رتعت الرعية[١]؛ ولذلك كان رضي الله عنه شديدًا في محاسبة نفسه وأهله، فقد كان يعلم أن الأبصار مشرئبة نحوه وطامحة إليه، وأنه لا جدوى إن قسا على نفسه ورتع أهله فحوسب عنهم في الآخرة، ولم ترحمه ألسنة الخلائق في الدنيا؛ فكان عمر إذا نهى الناس عن شيء تقدم إلى أهله فقال: إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم فإن وقعتهم وقعوا، وإن هبتم هابوا، وإني والله لا أوتى برجل وقع فيما نهيت الناس عنه إلا أضعفت له العذاب؛ لمكانه مني، فمن شاء منكم أن يتقدم، ومن شاء منكم أن يتأخر[٢] وكان شديد المراقبة والمتابعة لتصرفات أولاده وأزواجه وأقاربه، وهذه بعض المواقف:

١ - المرافق العامة:

منع عمر رضي الله عنه أهله من الاستفادة من المرافق العامة التي رصدتها الدولة لفئة من الناس؛ خوفًا من أن يحابي أهله به، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: اشتريت إبلاً أنجعتُها الحمى فلما سمنت قدمت بها، قال: فدخل عمر السوق فرأى إبلاً سمانًا، فقال: لمن هذه الإبل؟ قيل: لعبد الله بن عمر، قال: ، فجعل يقول: يا عبد الله بن عمر، بخ بخ ... ابن أمير المؤمنين، قال: ما هذه الإبل؟ قال: قلت: إبل اشتريتها وبعثت بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون، قال: فقال: فيقولون: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين، يا عبد الله بن عمر، اغد إلى رأس مالك، واجعل باقيه في بيت مال المسلمين[٣] .

---

(١) موسوعة فقه عمر بن الخطاب د. محمد قلعجي ص ١٤٦ .

(٢) محض الصواب (٣/ ٨٩٣) .

(٣) مناقب عمر لابن الجوزي ص١٥٧، ١٥٨ .

٢ - محاسبته لابنه عبد الله لما اشترى فيء جلولاء:

قال عبد الله بن عمر: شهدت جلولاء - إحدى المعارك ببلاد فارس - فابتعت من المغنم بأربعين ألفًا، فلما قدمت على عمر قال: أرأيت لو عرضت على النار فقيل لك: افتده، أكنت مفتديًا به؟ قلت: والله، ما من شيء يؤذي بك إلا كنت مفتديًا بك منه، قال: كأني شاهد الناس حين تبايعوا فقالوا: عبد الله بن عمر صاحب رسول الله ﷺ، وابن أمير المؤمنين وأحب الناس إليه، وأنت كذلك؛ فكان أن يرخصوا عليك أحب إليهم من أن يغلوا عليك، وإني قاسم مسئول، وأنا معطيك أكثر ما ربح تاجر من قريش، لك ربح الدرهم درهم، قال: ثم دعا التجار فابتاعوه منه بأربعمائة ألف درهم، فدفع إلي ثمانين ألفًا، وبعث بالباقي إلى سعد بن أبي وقاص ليقسمه(١).

٣ - منع جرِّ المنافع بسبب صلة القربى به:

عن أسلم قال: خرج عبد الله وعبيد الله ابنا عمر في جيش إلى العراق، فلما قفلا مرا على أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وهو أمير البصرة، فرحب بهما وسهل وقال: لو أقدر لكما على أمر أنفعكما به لفعلت، ثم قال: بلى، هاهنا مال من مال الله أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين وأسلفكماه فتبيعان به متاع العراق ثم تبيعانه بالمدينة، فتؤديان رأس المال إلى أمير المؤمنين ويكون لكما الربح، ففعلا، وكتب إلى عمر أن يأخذ منهما المال. فلما قدما على عمر رضي الله عنه قال: أكل الجيش أسلف كما أسلفكما؟ فقالا: لا. فقال عمر رضي الله عنه: أديا المال وربحه، فأما عبد الله فسكت، وأما عبيد الله فقال: ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين، لو هلك المال أو نقص لضمنّاه. فقال: أديا المال. فسكت عبد الله وراجعه عبيد الله رضي الله عنهما. فقال رجل من جلساء عمر: يا أمير المؤمنين لو جعلته قراضًا «شركة»(٢). فأخذ عمر رأس المال ونصف ربحه وأخذ عبد الله وعبيد الله نصف ربح المال. قالوا: هو أول قراض في الإسلام.

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلفاء الراشدين ص٢٧٠، ٢٧١.

(٢) الخلفاء الراشدون للنجار ص٢٤٤.

٤ - تفضيل أسامة بن زيد على عبد الله بن عمر رضي الله عنهم في العطاء:

كان عمر رضي الله عنه يقسم المال ويفضل بين الناس على السابقة والنسب، ففرض لأسامة ابن زيد رضي الله عنه أربعة آلاف، وفرض لعبد اللـه بن عمر رضي الله عنه ثلاثة آلاف، فقال: يا أبت، فرضت لأُسامة بن زيد أربعة آلاف، وفرضت لي ثلاثة آلاف؟ فما كان لأبيه من الفضل ما لم يكن لك! وما كان له من الفضل ما لم يكن لي! فقال عمر: إن أباه كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك، وهو كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك[(١)]!!

٥ - أنفقت عليك شهراً:

قال عاصم بن عمر: أرسل إليّ عمر يرفا (مولاه) فأتيته - وهو جالسٌ في المسجد، فحمد الله -عز وجل- وأثنى عليه، ثم قـال: أما بعد، فإني لم أكن أرى شيئًا من هذا المال يحل لي قبل أن أليه إلا بحـقه، ثم ما كان أحرم علي منه حين وليتـه فعاد أمانتي، وإني كنت أنفقت عليك من مـال الله شهرًا، فلست بزائدك عليـه، وإني أعطيت ثمرك بالعالية منحة، فخذ ثمنه، ثم ائت رجلاً من تجار قومك فكن إلى جانبه، فإذا ابتاع شيئًا فاستشركه وأنفق عليك وعلى أهلك، قال: فذهبت ففعلت[(٢)].

٦ - خذه يا معيقيب فاجعله في بيت المال:

قال مـعيقيب: أرسل إليّ عـمر رضي الله عنه مع الظهيـرة، فإذا هو في بيت يطالب ابنه عاصمًا. فقال لي: أتدري ما صنع هذا؟ إنه انطلق إلى العراق فأخبرهم أنه ابن أمير المؤمنين، فانتـفقهم «سألهم النـفقة»، فأعطوه آنيـة وفضة ومتـاعًا، وسيفًـا محلى. فقـال: عاصم: ما فـعلتُ، إنما قدمت على ناس من قـومي، فأعطوني هذا. فـقال عمر: خذه يا معيقيب، فاجعله في بيت المال[(٣)].

فهذا مثل من التحري في المال الذي يكتسبه الإنسان عن طريق جاهه، ومنصبه، فحيث شـعر أمير المؤمنين عمر بأنّ ابنه عـاصمًا قد اكتـسب هذا المال لكونه ابن أمير

---

(١) فرائد الكلام للخلفاء الكرام ص١١٣.

(٢) الطبقات (٣/ ٢٧٧) إسناده صحيح، محض الصواب (٢/ ٤٩١).

(٣) عصر الخلافة الراشدة للعمري ص٢٣٦، الأثر حسن.

المؤمنين تحرج في إبقاء ذلك المال عنده؛ لكونه اكتسبه بغير جهده الخاص فدخل ذلك في مجال الشبهات[١] .

٧ - عاتكة زوجة عمر والمسك:

قدم على عمر رضي الله عنه مسك وعنبر من البحرين، فقال عمر: والله، لوددت أني وجدت امرأة حسنة الوزن تَزِنُ لي هذا الطيب حتى أقسمه بين المسلمين، فقالت له امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل: أنا جيدة الوزن فهلمّ أزن لك، قال: لا، قالت: لم؟ قال: إني أخشى أن تأخذيه فتجعليه هكذا -وأدخل أصابعه في صدغيه- وتمسحي به عنقك، فأصيب فضلاً على المسلمين[٢] . فهذا مثل من ورع أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه واحتياطه البالغ لأمر دينه، فقد أبى على امرأته أن تتولى قسمة ذلك الطيب؛ حتى لا تمسح عنقها منه فيكون قد أصاب شيئًا من مال المسلمين، وهذه الدقة المتناهية في ملاحظة الاحتمالات يهبها الله لأوليائه السابقين إلى الخيرات، وفرقان يفرقون به بين الحلال والحرام والحق والباطل، بينما تفوت هذه الملاحظات على الذين لم يشغلوا تفكيرهم بحماية أنفسهم من المخالفات[٣] .

٨ - رفضه هدية لزوجته:

قال ابن عمر: أهدى أبو موسى الأشعري لامرأة عمر عاتكة بنت زيد طنفسة، أراها تكون ذراعًا وشبرًا، فرآها عمر عندها، فقال: أنَّى لك هذه؟ فقالت: أهداها لي أبو موسى الأشعري، فأخذها عمر رضي الله عنه فضرب بها رأسها، حتى نفض رأسها[٤]، ثم قال: علي بأبي موسى وأتعبوه فأتى به وقد أتعب، وهو يقول: لا تعجل علي يا أمير المؤمنين، فقال عمر: ما يحملك على أن تهدي لنسائي؟ ثم أخذها عمر فضرب بها فوق رأسه وقال: خذها، فلا حاجة لنا فيها[٥]، وكان رضي الله عنه يمنع أزواجه من التدخل في شئون الدولة، فعندما كتب عمر رضي الله عنه إلى بعض عماله

(١) التاريخ الإسلامي (١٩/ ٤٠) .
(٢) الزهد للإمام أحمد ص١١، نقلاً عن التاريخ الإسلامي (١٩/ ٣٠) .
(٣) التاريخ الإسلامي (١٩/ ٣٠) .
(٤) نفض الرأس: حركه في ارتجاف.
(٥) الشيخان أبو بكر وعمر من رواية البلاذري ص٢٦٠ .

يعزله، فكلمته امرأته فيه فقالت: يا أمير المؤمنين، فيم وجدت عليه؟ قال: يا عدوة الله وفيم أنت وهذا؟ إنما أنت لعبة يلعب بك ثم تتركين، وفي رواية: فأقبلي على مغزلك ولا تعرضي فيما ليس من شأنك[١] .

٩ - هدية ملكة الروم لزوجته أم كلثوم:

ذكر الأستاذ الخضري في محاضراته، أنه لما ترك ملك الروم الغزو وكاتب عمر وقاربه وسير إليه عمر الرسل مع البريد، بعثت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب إلى ملكة الروم بطيب ومشارب وأحناش من أحناش النساء، ودسته إلى البريد فأبلغه لها فأخذته منه، وجاءت امرأة قيصر وجمعت نساءها وقالت: هذه هدية امرأة ملك العرب وبنت نبيهم، وكاتبتها وأهدت لها، وفيما أهدت لها عقد فاخر، فلما انتهى به البريد إليه أمر بإمساكه ودعا الصلاة جامعة، فاجتمعوا فصلى بهم ركعتين وقال: إنه لا خير في أمر أبرم عن غير شورى من أموري .قولوا في هدية أهدتها أم كلثوم لامرأة ملك الروم، فقال قائلون: هو لها بالذي لها، وليست امرأة الملك بذمية فتصانع به ولا تحت يديك فتبقيك. وقال آخرون: قد كنا نهدي الثياب لنستثيب ونبعث بها لتباع ولنصيب شيئًا، فقال: ولكن الرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم والمسلمون عظموها في صدرها؛ فأمر بردها إلى بيت المال، ورد عليها بقدر نفقتها[٢] .

١٠ - أم سليط أحق به:

عن ثعلبة بن أبي مالك أنه قال: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم مروطًا بين نساء أهل المدينة، فبقي منها مرطٌ جيد فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين، أعط هذا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي عندك - يريدون أم كلثوم بنت علي - فقال عمر: أم سليط أحق به، وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عمر رضي الله عنه : فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد[٣] .

---

(١) أخبار عمر ص٢٩٣، الشيخان رواية البلاذري ص١٨٨ .

(٢) الخلفاء الراشدون د .عبد الوهاب النجار ص٢٤٥ .

(٣) فتح الباري (٧/ ٤٢٤)، (٦/ ٩٣)، الخلافة الراشدة ص: ٢٧٣.

١١ - غششت أباك ونصحت أقرباءك :

جيء إلى عمر ﷺ بمال، فبلغ ذلك حفصة أم المؤمنين، فقالت: يا أمير المؤمنين، حق أقربائك من هذا المال، قد أوصى الله -عز وجل- بالأقربين من هذا المال، فقال: يا بنية، حق أقربائي في مالي، وأما هذا ففي سداد المسلمين، غششت أباك ونصحت أقرباءك . قومي[١] .

١٢ - أردت أن ألقى الله ملكًا خائنًا؟!

قدم صهرٌ لعمر عليه فطلب أن يعطيه عمر من بيت المال فانتهره عمر وقال: أردت أن ألقى الله ملكًا خائنًا! فلما كان بعد ذلك أعطاه من صُلب ماله عشرة آلاف درهم[٢] .

هذه بعض المواقف التي تدل على ترفع عمر عن الأموال العامة ومنع أقربائه وأهله من الاستفادة من سلطانه ومكانته، ولو أن عمر أرخى العنان لنفسه أو لأهل بيته لرتعوا ولرتع من بعدهم، وكان مال الله -تعالى- حبسًا على أولياء الأمور . ومن القواعد الطبيعية المؤيدة بالمشاهد أن الحاكم إذا امتدت يده إلى مال الدولة اتسع الفتق على الراتق، واختل بيت المال أو مالية الحكومة، وسرى الخلل إلى جميع فروع المصالح، وجهر المستسر بالخيانة وانحل النظام، ومن المعلوم أن الإنسان إذا كان ذا قناعة وعفة عن مال الناس زاهدًا في حقوقهم دعاهم ذلك إلى محبته والرغبة فيه، وإذا كان حاكما حدبوا عليه وأخلصوا في طاعته وكان أكرم عليهم من أنفسهم[٣] .

ومن خلال حياته مع أسرته وأقربائه يظهر لنا مَعْلمٌ من معالم الفاروق في ممارسة منصب الخلافة، وهي القدوة الحسنة في حياته الخاصة والعامة، حتى قال في حقه علي ابن أبي طالب: عففت فعفت رعيتك ولو رتعت لرتعوا. وكان لالتزامه بما يدعو إليه، ومحاسبته نفسه وأهل بيته أكثر مما يحاسب به ولاته وعماله - الأثر الكبير في زيادة هيبته في النفوس وتصديق الخاصة والعامة له[٤] .

---

(١) الزهد للإمام أحمد ص١٧، فرائد الكلام ص١٣٩ .
(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ص٢٧١ .
(٣) الخلفاء الراشدون للذهبي ص٢٧١ .
(٤) القيادة والتغيير ص ١٨٢ .

هذا هو عمر الخليفة الراشد الذي بلغ الذروة في القدوة رباه الإسلام، فملأ الإيمان بالله شغاف قلبه، إنه الإيمان العميق، الذي صنع منه قدوة للأجيال، ويبقى الإيمان بالله والتربية على تعاليم هذا الدين سببًا عظيمًا في جعل الحاكم قدوة في أروع ما تكون القدوة من هنا إلى يوم القيامة(١) .

ثالثًا- احترامه ومحبته لأهل البيت:

لا شك أن لأهل بيت النبي ﷺ منزلة رفيعة ودرجة عالية من الاحترام والتقدير عند أهل السنة والجماعة حيث يرعون حقوق آل البيت التي شرعها الله لهم، فيحبونهم ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ التي قالها يوم غدير خم: أذكركم الله في أهل بيتي(٢). فهم أسعد الناس بالأخذ بهذه الوصية، وتطبيقها، فيتبرءون من طريقة الروافض الذين غلوا في بعض أهل البيت، غلوا مفرطًا، وطريقة النواصب الذين يؤذونهم ويبغضونهم، فأهل السنة متفقون على وجوب محبة أهل البيت وتحريم إيذائهم أو الإساءة إليهم بقول أو فعل(٣)، وهذا الفاروق رضي الله عنه يوضح لنا معتقد أهل السنة في أهل البيت من خلال تصرفاته ومواقفه معهم.

١- معاملته لأزواج النبي ﷺ :

كان رضي الله عنه يتفقد أزواج النبي ﷺ ويجزل لهن العطاء، وكان لا يأكل طريفة ولا فاكهة إلا جعل منها لأزواج النبي ﷺ، وآخر من يبعث إليه حفصة، فإن كان نقصان كان في حقها(٤)، وكان يرسل العطاء لهن، فهذه القصة وقعت مع أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها : لما خرج العطاء أرسل عمر إلى أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنه بالذي لها، فلما دخل عليها قالت: غفر الله لعمر، غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني، فقالوا: هذا كله لك. قالت: سبحان الله! واستترت منه بثوب، قالت: صبوه، واطرحوا عليه ثوبًا، ثم قالت لبرزة بنت رافع: أدخلي

---

(١) فن الحكم ص٧٤ . (٢) مسلم، ك فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠٨ .
(٣) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ص٥ .
(٤) الزهد، ص ١٦٦ من طريق مالك وإسناده صحيح .

يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي بها إلى بني فلان، وبني فلان (من أهل رحمها وأيتامها) فقسمته حتى بقيت تحت الثوب. فقالت برزة: غفر الله لك يا أم المؤمنين، والله لقد كان لنا في هذا حق. قالت: فلكم ما تحت هذا الثوب. قالت: فكشفنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهمًا. ثم رفعت يديها إلى السماء فقالت: اللهم، لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا. فماتت ﵂، فكانت أول أزواج النبي ﷺ لحوقًا به[1]، ومن صور إكرامه لأزواج النبي ﷺ ما روته أم المؤمنين عائشة ﵂ تقول: كان عمر بن الخطاب يرسل إلينا بأحظائنا حتى من الرءوس والأركاع[2]

وعندما استأذن أزواج النبي ﷺ عمر في الحج، فأبى أن يأذن لهن حتى أكثرن عليه فقال: سآذن لكن بعد العام، وليس هذا من رأيي، فأرسل معهن عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وأمرهما أن يسير أحدهما بين أيديهن، والآخر خلفهن، ولا يسايرهن أحد، فإذا نزلن فأنزلوهن شعبًا، ثم كونا على باب الشعب لا يدخلن عليهن أحد، ثم أمرهما إذا طفن بالبيت: لا يطوف معهن أحد إلا النساء[3].

٣- علي بن أبي طالب ﵁ وأولاده:

كان عمر ﵁ شديد الإكرام لآل رسول الله ﷺ وإيثارهم على أبنائه، وأسرته، نذكر من ذلك بعض المواقف:

- جاء فيما رواه الحسين بن علي ﵁: أن عمر قال لي ذات يوم: أي بُنَيّ، لو جعلت تأتينا وتغشانا؟ فجئت يومًا وهو خالٍ بمعاوية، وابن عمر بالباب لم يؤذن له، فرجعت فلقيني بعد، فقال: يا بني، لم أرك أتيتنا؟ قلت: جئت وأنت خال بمعاوية، فرأيت ابن عمر رجع، فرجعت، فقال: أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر، إنما أنبت من رءوسنا ما ترى: الله ثم أنتم، ووضع يده على رأسه[4].

---

(١) خبر حسن: أخرجه ابن سعد (٨ / ١٠٩)، أخبار عمر ص ١٠٠ .
(٢) خبر صحيح، أخرجه ابن سعد (٣ / ٣٠٣) .
(٣) الإدارة في عهد بن الخطاب ص ١٢٦، والفتح (٤ / ٨٧) .
(٤) المرتضي للندوي ص ١١٨ نقلاً عن الإصابة (١ / ١٣٣) .

وروى ابن سعد عن جعفر بن محمد الباقر عن أبيه علي بن الحسين، قال: قدم على عمر حُلل من اليمن، فكسا الناس فراحوا في الحلل، وهو بين القبر والمنبر جالس، والناس يأتونه فيسلمون عليه ويدعون له، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة رضي الله عنها يتخطيان الناس، ليس عليهما من تلك الحلل شيء، وعمر قاطب صار بين عينيه، ثم قال: والله ما هنأ لي ما كسوتكم؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، كسوت رعيتك فأحسنت، قال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس وليس عليهما من شيء، كبرت عنهما وصغرا عنها، ثم كتب إلى اليمن: أن ابعث بحلتين لحسن وحسين، وعجل، فبعث إليه بحلتين فكساهما[١] وعن أبي جعفر أنه لما أراد أن يفرض للناس بعد ما فتح الله عليه، جمع ناسًا من أصحاب النبي ﷺ فقال عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: ابدأ بنفسك، فقال: لا والله، بالأقرب من رسول الله ﷺ، ومن بني هاشم رهط رسول الله ﷺ، وفرض للعباس، ثم لعلي، حتى والى بين خمس قبائل، حتى انتهى إلى بني عدي بن كعب، فكتب: من شهد بدرًا من بني هاشم، ثم من شهد بدرًا من بني أمية بن عبد شمس، ثم الأقرب فالأقرب، ففرض الأعطيات لهم، وفرض للحسن والحسين لمكانهما من رسول الله ﷺ[٢] يقول العلامة شبلي النعماني في كتاب «الفاروق» حول عنوان: «رعاية الحقوق والآداب بين الآل والأصحاب»: إن عمر رضي الله عنه لم يكن يبتُ برأي في مهمات الأمور قبل أن يستشير عليًّا رضي الله عنه، الذي كان يشير عليه بغاية من النصح ودافع من الإخلاص، ولما سافر إلى بيت المقدس استخلفه في جميع شئون الخلافة على المدينة، وقد تمثل مدى الانسجام والتضامن بينهما حينما زوجه علي رضي الله عنه من السيدة أم كلثوم التي كانت بنت فاطمة رضي الله عنها[٣]، وسمى أحد أولاده عمر، كما سمى أحدهم أبا بكر، وسمى الثالث عثمان[٤]، ولا يسمي الإنسان أبناءه إلا بأحب الأسماء، وبمن يرى فيهم القدوة المثالية [٥].

---

(١) المصدر نفسه ص ١١٨ نقلاً عن الإصابة (١ / ١٠٦).
(٢،٣) المرتضى للندوي ص ١١٩.
(٤) البداية والنهاية (٧ / ٣٣١-٣٣٢).
(٥) المرتضى للندوي ص ١١٩.

كان علي رضي الله عنه المستشار الأول لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وكان عمر يستشيره في الأمور الكبيرة منها والصغيرة، وقد استشاره حين فتح المسلمون بيت المقدس، وحين فتحت المدائن، وعندما أراد عمر التوجه إلى نهاوند وقتال الفرس، وحين أراد أن يخرج لقتال الروم، وفي موضوع التقويم الهجري وغير ذلك من الأمور[1] ، وكان علي رضي الله عنه طيلة حياة عمر مستشارًا ناصحًا لعمر خائفًا عليه، وكان عمر يحب عليًا وكانت بينهم مودة ومحبة وثقة متبادلة، ومع ذلك يأبي أناس إلا أن يزوروا التاريخ، ويقصوا بعض الروايات التي تناسب أمزجتهم ومشاربهم؛ ليصوروا لنا فترة الخلفاء الراشدين عبارة عن: أن كل واحد منهم كان يتربص بالآخر الدوائر لينقضَّ عليه، وكل أمورهم كانت تجري من وراء الكواليس [2].

يقول الدكتور البوطي: إن من أبرز ما يلاحظه المتأمل في خلافة عمر ذلك التعاون المتميز الصافي، بين عمر وعلي رضي الله عنهما، فقد كان علي المستشار الأول لعمر في سائر القضايا والمشكلات، وما اقترح علي على عمر رأيًا إلا واتجه إلى تنفيذه عن قناعة، وحسبك في ذلك قوله: لولا علي لهلك عمر، أما علي فقد كان يمحضه النصح في كل شئونه وأحواله، وقد رأيت أن عمر استشاره في أن يذهب بنفسه على رأس جيش لقتال الفرس، فنصحه نصيحة المحب له الغيور عليه والضنين به، ألا يذهب ، وأن يدير رحى الحرب بمن دونه من العرب وهو في مكانه، وحذره من أنه إذا ذهب، فلسوف ينشأ وراءه من الثغرات ما هو أخطر من العدو الذي سيواجهه، أرأيت لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلن أن الخلافة من بعده لعلي، أفكان لعلي أن يعرض عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا، وأن يؤيد المستلبين لحقه، بل لواجبه في الخلافة، بمثل هذا التعاون المخلص البناء؟ بل أفكان للصحابة رضي الله عنهم كلهم أن يضيعوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ بل أفكان من المتصور أن يجمعوا وفي مقدمتهم علي رضي الله عنه على ذلك؟ ثم يقول بعد ذلك بقليل: بوسعنا أن نعلم إذن، بكل بداهة، أن المسلمين إلى هذا العهد - نهاية عهد عمر رضي الله عنه - بل إلى نهاية عهد علي كانوا جماعة

---

(١) علي بن أبي طالب مستشار أمين الخلفاء الراشدين، محمد الحاجي ص (٩٩) .

(٢) المصدر نفسه السابق ص ١٣٨ .

واحدة، ولم يكن في ذهن أي من المسلمين أي إشكال بشأن الخلافة أو بشأن من هو أحق بها [١].

٣- الخلاف بين العباس وعلي رضي الله عنهما في فيء رسول الله ﷺ من بني النضير:

قال مالك بن أوس: بينما أنا جالس في أهلي حين متع[٢] النهار، إذا رسول عمر بن الخطاب يأتيني، فقال: أجب أمير المؤمنين، فانطلقت معه حتى أدخل على عمر، فإذا هو جالس على رمال[٣] سرير وليس بينه وبينه فراش، متكئ على وسادة من أدم، فسلمت عليه ثم جلست، فقال: يا مالك، إنه قدم علينا من قومك أهل أبيات، وقد أمرت لهم برضخ، فاقبضه، فاقسمه بينهم، قلت: يا أمير المؤمنين، لو أمرت له غيري، قال: فاقبضه أيها المرء، فبينما أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفأ، وقال: هل لك في عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، يستأذنون؟ قال: نعم، فأذن لهم فدخلوا، فسلموا وجلسوا، ثم يرفأ يسيرًا، ثم قال: لك في علي وعباس؟ قال: نعم، فأذن لهما، فدخلا فسلما فجلسا، فقال عباس: يا أمير المؤمنين، اقض بيني وبين هذا. وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله من مال بني النضير، فقال الرهط عثمان وأصحابه: يا أمير المؤمنين، اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر. فقال عمر: تيدكم[٤]، أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركنا صدقة». يريد رسول الله ﷺ نفسه؟ قال الرهط: قد قال ذلك؛ فأقبل عمر على علي، وعباس، فقال: أنشدكما بالله، هل تعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك؟ قالا: قد قال ذلك قال عمر: فإني أحدثكم عن هذا الأمر، إن الله قد خص رسوله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحدًا غيره، ثم قرأ ﴿**وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ**﴾ إلى قوله: ﴿**قَدِيرٌ**﴾ [الحشر: آية: ٦]، فكانت هذه خاصة لرسول الله ﷺ والله ما احتازها دونكم، ولا استأثر بها عليكم، فقد أعطاكموها، وبثها فيكم،

---

(١) فقه السيرة النبوية ص ٥٢٩ .

(٢) متع النهار: ارتفع قبل الزوال .

(٣) المراد: أن السرير كان قد نسج وجهه بالسعف .

(٤) التيد: الرفق ، يقال: تيدك هذا، أي اتئد .

حتى بقي منهــا هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقــة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مال الله، فعمل رسول الله ﷺ بذلك حياته، أنشدكم بالله هل تعلمــون ذلك؟ قالوا: نعــم، ثم قال لعلي، وعــباس: أنشــدكمــا بالله، هل تعلمان ذلك؟ قالا: نعم، قال عمر: ثم توفى الله نبيه ﷺ فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله ﷺ والله، فقبـضها أبو بكر، فعمل فيــها بما عمل رسول الله ﷺ والله يعلم إنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم توفى الله أبا بكر، فكنت أنا ولي أبي بكر فقبضــتها سنتين من إمارتي، أعمل فــيها بما عمل رسول الله ﷺ وما عمــل فيها أبو بكر، والله يعلم إني فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم جـئتماني تكلماني وكلمتكما واحدة، وأمركما واحد، جئتني يا عباس، تسألني نصيبك من ابن أخيك، وجاءني هذا «يريد عليًّا» يريد نصيب امرأته من أبيهــا، فقلت لكما: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركناه صدقة». فلما بدا لي أن أدفعه إليكما، قلت: إن شئتما دفعتها إليكما، على إن عليكما عــهد الله وميثاقــه: لتعملان فيــها بما عمل فيهــا رسول الله ﷺ وما عمل أبو بكر، وما عملت فيها منذ وليتها؟ فقلتما: ادفعها إلينا، فبذلك دفعتها إليكما، فأنشدكما بــالله هل دفعتها إليهما بذلك؟ قــال الرهط: نعم، ثم أقبل على علي وعباس فقال: أنشدكمــا بالله هل دفعتها إليكما بذلك؟ قالا: نعم، قال: فتلتــمسان مني قضاء غير ذلك، فإن عجزتما عنها فادفعاها إلي؛ فإني أكفيكماهما[١].

٤ - احترام عمر رضي الله عنه للعباس وابنه عبد الله رضي الله عنهما:

بين الفارق رضي الله عنه للأمة عامة فضل العــباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ ومدى احترامه وتواضعه ومعرفته لحــقه، وذلك عندما استسقى به في عام الرمادة كما سيأتي بإذن الله -تعالى- بل قد أقسم عمر رضي الله عنه للعباس كما تقدم: إن إسلامه أحب إليــه من إسلام أبيــه لو أسلم؛ لأن إسلام العــباس أحب إلى رســول الله ﷺ[٢]، ومن المحبة التي كان يكنها عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابن عم رسول الله ﷺ عبد الله

---

(١) مسلم رقم (١٧٥٧)، رواية أخرى في نهايتها: فرداها إليّ.

(٢) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ص (٢١٠).

ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يدخله في مجلس كبار الصحابة من مشيخة بدر رضي الله عنهم، وقد كان لهم أبناء في سنه ولم يحظ بهذا التكريم سواه، وفي هذا بيان لفضيلته ومكانته العلمية لدى الفاروق رضي الله عنهم أجمعين. فقد روى البخاري بإسناده إلى ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا، ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني فقال: ما تقولون في: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ١، ٢] حتى ختم السورة فقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئًا، فقال لي: يابن العباس، أكذلك تقول؟ قلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له إذا جاء نصر الله وفتح مكة، فذلك علامة أجلك، فسبح بحمد ربك واستغفره، إنه كان توابًا، قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم[(١)].

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: وأخرج البغوي[(٢)]، في معجم الصحابة من طريق زيد بن أسلم رضي الله عنه، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان عمر يدعو ابن عباس ويقربه ويقول: إني رأيت رسول الله ﷺ دعاك يومًا فمسح رأسك وقال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[(٣)]، ففعل عمر رضي الله عنه هذا؛ تقريرًا لجلالة قدر ابن عباس، وبيانًا لكبير منزلته في العلم والفهم، وقد ذكر الحافظ ابن كثير أن عمر رضي الله عنه كان يقول: نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس، وكان يقول إذا أقبل: جاء فتى الكهول، وذو اللسان السئول، والقلب العقول[(٤)]. لقد كان الحب والود متبادلاً بين عمر وبين أهل بيت رسول الله ﷺ.

❊ ■ ❊

---

(١) البخاري، رقم (٤٢٩٤).

(٢) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ص ٢١٠.

(٣) فتح الباري (١ / ١٧٠).

(٤) البداية والنهاية (٨ / ٣٠٣).

المبحث الثالث
حياة عمر في المجتمع واهتمامه بنظام الحسبة

أولاً- حياة عمر في المجتمع:

كانت حياة عمر رضي الله عنه في المجتمع تطبيقًا حيًّا لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن خلال مواقفه المتنوعة نرى الإسلام متجسدًا في سيرته، وإليك بعض هذه المواقف:

١- عمر رضي الله عنه ورعايته لنساء المجتمع:

كان عمر رضي الله عنه يهتم بنساء المسلمين وبناتهم، وعجائزهم ويعطي لهن حقوقهن، ويرفع عنهن ما يقع من الظلم عليهن، ويرعى شئون الأسر التي غاب عنها رجالها في الجهاد، ويحرص على إيصال حقوق الأرامل إليهن، حتى قال قولته المشهورة والله، لئن سلمني الله لا أدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى أحد بعدي أبدًا[1]. وهذه بعض المشاهد التي كتبت على صفحات الزمن بأحرف من نور:

- ثكلتك أمك! عثرات عمر تتبع؟!

خرج عمر رضي الله عنه في سواد الليل، فرآه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما، فذهب عمر فدخل بيتًا ثم دخل بيتًا آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال: لها ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى، فقال: طلحة: ثكلتك أمك !عثرات عمر تتبع؟![2].

إن الاهتمام بضعفاء المجتمع من عوامل النصر، ومن القرابات العظيمة التي يتقرب بها إلى المولى -عز وجل-، فينبغي لقادة الحركات الإسلامية، وحكام الشعوب الإسلامية، وأئمة المساجد وأبناء المسلمين أن يعتنوا بهذا الجانب الإنساني في مجتمعاتهم ويعطوه حقه.

---

(١) صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق عمر بن الخطاب ص٣٧٣.

(٢) أخبار عمر ص٣٤٤، محض الصواب (١/ ٣٥٦) فيه ضعف لإعضاله.

- هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات:

خرج عمر ﷺ من المسجد ومعه الجارود العبدي، فإذا امرأة برزت على ظهر الطريق، فسلم عليها عمر بن الخطاب فردت عليه السلام، وقالت: يا عمر، عهدتك وأنت تسمى عميرًا في سوق عكاظ تذعر الصبيان بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمرًا، ولم تذهب الأيام حتى سُمّيت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت، فقال الجارود: أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين، فقال:عمر: دعها أما تعرف هذه؟ هذه هي خولة بنت ثعلبة التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، فعمر أحق أن يسمع لها[1]، وجاء في رواية: فوالله، لو أنها وقفت إلى الليل لما فارقتها إلا إلى الصلاة ثم أرجع إليها[2]، وجاء في رواية: هذه خولة التي أنزل الله فيها: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ (المجادلة: ١) [3].

- مرحبًا بنسب قريب:

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب ﷺ إلى السوق، فلحقت عمر امرأة شابة فقالت: يا أمير المؤمنين، هلك زوجي وترك صبية صغارًا، والله ما ينضجون كراعًا ولا لهم زرع ولا ضرع وخشيت أن تأكلهم، وأنا بنت خفاف بن إيما الغفاري[4]، وقد شهد أبي الحديبية مع رسول الله ﷺ فوقف معها عمر ولم يمض، وقال: مرحبًا بنسب قريب، ثم انصرف إلى بعير ظهير[5]، كان مربوطًا في الدار، فحمل عليه غرارتين[6] مَلأَهما طعامًا، وجعل بينهما نفقة وثيابًا، ثم ناولها خطامًا فقال: اقتاديه فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير، فقال:رجل: يا أمير المؤمنين، أكثرت لها؟ فقال عمر :ثكلتك أمك! والله إني رأيت أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنًا زمانًا فافتتحناه[7] ، ثم أصبحنا نستفيء سُهمانهما فيه[8].

---

(١) محض الصواب (٣/ ٧٧٧)، ضعيف لانقطاعه بين قتادة وعمر بن الخطاب.

(٢) الدارمي الرد على الجهمية ص٤٥ .

(٣) العلو للعلي الغفار للذهبي ص٦٣.

(٤) إمام بني غفار وخطيبهم شهد الحديبية توفي في خلافة عمر.

(٥) بعير ظهير: أي قوي للظهر معد للحاجة.

(٦) الغرارة: الجوالق، واحدة الغرائر.

(٧) لفظ البخاري: فتحناه.

(٨) البخاري، كتاب المغازي رقم ٣٩٢٨.

وهذا دليل على وفاء الفاروق لكل من قدم للإسلام شيئًا، ولو كان صغيراً.. ويا له من وفاء نحن في أشد الحاجة إليه في هذا الزمان الذي يكاد ينعدم فيه الوفاء عند كثير من الناس![1].

- خطبته لأم كلثوم بنت الصديق:

تقدم عمر بن الخطاب ﷺ إلى عائشة أم المؤمنين ﷺ يخطب إليها أختها الصغرى أم كلثوم، وحدثت عائشة أختها فردت عليها: لا حاجة لي في ذلك، فقالت لها: أترغبين عن أمير المؤمنين؟ قالت: نعم، إنه خشن العيش شديد على النساء، فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فأخبرته، فقال: يا أم المؤمنين، لا تراعي، أنا أكفيك هذا الأمر، ثم مضى إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، بلغني خبر أعيذك بالله منه، قال: ما هو؟ قال: خطبت أم كلثوم بنت أبي بكر؟ قال: نعم، أفرغبت بي عنها، أم رغبت بها عني؟ قال: لا هذا ولا ذاك، ولكنها حَدَثَة نشأت في كنف أم المؤمنين، عائشة في لين ورفق، وفيك غلظة، ونحن نهابك، وما نقدر أن نردك عن خلق من أخلاقك، فكيف بها إن خالفتك في شيء فسطوت بها؟ كنت قد خلفت أبا بكر في ولده بغير ما يحق لك، قال عمر: فكيف بعائشة وقد كلمتها؟ قال: أنا أكفيك عائشة يا أمير المؤمنين[2]، وفي رواية: أن عمرو بن العاص ﷺ قال: يا أمير المؤمنين لو ضممت إليك امرأة؟ قال عمر: عسى أن يكون ذلك في أيامك هذه، قال عمرو: ومن ذكر أمير المؤمنين؟ قال عمر: أم كلثوم بنت أبي بكر، قال عمرو: ما لك وللجارية تنعي إليك أباها بكرة وعشيًا، قال عمر: أعائشة أمرتك بهذا؟ قال عمرو: نعم؛ فتركها وتزوجها طلحة بن عبيد الله[3].

من الأماني الحلوة التي تداعب خيال الفتيات، الزواج من عظيم قومها، وهنا يتقدم أمير المؤمنين خاطبًا غير آمر ولا مُكْرِه، وفي تمام الحرية والتصميم ترفض الفتاة أمير المؤمنين، ويبلغ أمير المؤمنين بالرفض فيعدل، ويقلع غير حانق ولا ضائق ولا

---

(١) أصحاب الرسول، محمود المصري (١/ ١٧٧).

(٢) الفاروق عمر للشرقاوي ص٢١٠، ٢١١.

(٣) شهيد المحراب ص٢٠٤.

مهـدد ولا متوعـد؛ لأنه يعلم أن الإسلام لا يرغم الفتـاة على الزواج بمن لا تريد، ولقد كان عمرو بارعًا في لباقة مدخله بتبـليغ الرفض، كما كان عمر لماحًا في معرفة مصدره رغم دقـة عمرو في التعـبير[١]، بل إن عمر ﷺ يقف بجـانب الفتيات في حقهن في الموافقة على من يتقدم إليـهن حيث يقول: لا تُكرهوا فتياتكم على الرجل القبيح؛ فإنهن يحببن ما تحبون[٢].

- رجل يكلم امرأة في الطريق:

بينمـا عمـر بن الخطاب ﷺ يمرّ في الطريق، فإذا هو برجل يـكلم امرأة، فـعلاه بالدرة فقـال: يا أميـر المؤمنين، إنما هي امرأتي، فـقال له: فلم تقف مـع زوجتك في الطريق تعرضان المسلمين لغيبتكما؟ فقال: يا أمير المؤمنين، الآن قد دخلنا المدينة ونحن نتشاور أين ننزل، فدفع إليه الدرة وقال: اقتـص مني يا عبد الله، فقال: هي لك يا أمير المؤمنين، فقال: خذ واقتصّ، فقال: بعد ثلاث: هي لله، قال: لله لك فيها[٣].

- امرأة تشتكي إلى عمر من زوجها:

جاءت امرأة إلى عمر ﷺ فقالت: يا أمير المؤمنين إن زوجي قد كثر شره، وقل خيره، قال لهـا عمر: ومن زوجك؟ قالت: أبو سلمة، قال: فعرفـه عمر ﷺ فإذا رجل له صحبة، فقال: لها عمر: ما نعلم من زوجك إلا خيرًا، ثم قال لرجل عنده: ما تقول أنت؟ فقال: يا أميـر المؤمنين، لا نعلم إلا ذلك، فأرسل إلى زوجها وأمرها فقعدت خلف ظهره، فلم يلبث أن جاء الرجل مع زوجـها، فقال له: عمر: أتعرف هذه؟ قال: ومن هذه يا أميـر المؤمنين؟ قال: هذه امرأتك، قال: وتقـول ماذا؟ قال: تزعم أنه كثر شرُّك وقل خيرك، قال: بئسما قالت يا أمير المؤمنين، والله، إنها لأكثر نسائها كسوة، وأكثرها رفاهية بيت، ولكن بعلها بكِيء[٤]، فقال: ما تقولين؟ قالت: صدق؛ فأخـذ الدرة فقام إليها فتناولهـا وهو يقول: يا عدوة نفسهـا، أفنيت شبابه،

---

(١) المصدر نفسه ص٢٠٥.
(٢) عيون الأخبار (٤/ ١١)، فرائد الكلام ص١٤١.
(٣) أخبار عمر ص١٩٠ نقلاً عن الرياض النضرة.
(٤) بكيء وبكيئة: الناقة والشاة إذا قل لبنها، وكأنه يعني أن زوجها لا يستطيع الجماع.

وأكلت ماله، ثم أنشأت تشنين عليه ما ليس فيه، فقالت: يا أمير المؤمنين، أقلني في هذه المرة، والله لا تراني في هذا المقعد أبدًا، فدعا بأثواب ثلاثة فقال لها: اتقي الله وأحسني صحبة هذا الشيخ، ثم أقبل عليه فقال: لا يمنعك ما رأيتني صنعت بها أن تحسن صحبتها، قال: أفعل يا أمير المؤمنين، قال الراوي: كأني أنظر إليها أخذت الأثواب منطلقة، ثم إني سمعت عمر ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خير أمتي القرن الذي أنا فيه، ثم الذين يلونه، ثم الذين يلونه، ثم يجيء قوم تسبق شهادتهم أيمانهم، يشهدون قبل أن يستشهدوا لهم في أسواقهم لغط»(١).

- لم تطلقها؟ قال لا أحبها:

قال عمر ﷺ لرجل همّ بطلاق امرأته: لم تطلقها؟ قال: لا أحبها، فقال عمر: أو كل البيوت بنيت على الحب؟ فأين الرعاية والتذمم(٢).

- رزق أولاد الخنساء:

عند ما استشهد أبناء الخنساء الأربعة في القادسية وبلغ عمر ﷺ الخبر قال: أعطوا الخنساء أرزاق أولادها الأربعة، وأجروا عليها ذلك حتى تُقبَض، فلم تزل تأخذ عن كل واحد منهم مائتي درهم في كل شهر حتى قبضت(٣).

- هند بنت عتبة تقترض من بيت المال وتتاجر:

كان زوجها قبل أبي سفيان حفص بن المغيرة عمّ خالد بن الوليد وكان ذلك في الجاهلية، وكانت هند من أحسن نساء قريش وأعقلهن، ثم إن أبا سفيان طلقها في آخر الأمر، فاستقرضت من عمر من بيت المال أربعة آلاف درهم، فخرجت إلى بلاد كلب فاشترت وباعت، وأتت ابنها معاوية وهو أمير على الشام لعمر، فقالت: أي بني، إنه عمر وإنما يعمل لله(٤).

---

(١) اللغط: الصوت والجلبة، مجمع الزوائد (١٠/ ٩١) رجاله ثقات.

(٢) البيان والتبيين (٢/ ١٠١)، فرائد الكلام ص١١٣.

(٣) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية، د. سليمان آل كمال (٢/ ٧٦٤).

(٤) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص٢٩٨، ٢٩٩.

إن المرأة في العصر الراشدي كانت لها مكانتها فقد رفع الإسلام مكانتها، فنراها شاركت في العصر الراشدي بخوض العديد من المجالات الفكرية والأدبية والتجارية: فالسيدة عائشة وأم سلمة وحبيبة بنت أم حبيبة، وأروى بنت كريز بن عبد شمس وأسماء بنت سلمة التميمية- برعن في الحديث والفقه والأدب والفتيا، وغيرهن أجدن قول الشعر كالخنساء وهند بنت عتبة[١]، وكان عمر رضي الله عنه يعرف للمرأة فضلها، وأنها مخلوق يحس ويشعر، وينظر ويفكر، وأنه كما كان يستشير الرجال فقد كان يستشير النساء، فقد كان يقدم الشفاء بنت عبد الله العدوية في الرأي، فماذا بقي بعد ذلك للمرأة حتى تبحث عنه في غير الإسلام إذا كان أمير المؤمنين يستشيرها في أعمال الدولة ويرضى رأيها[٢]، وكان رضي الله عنه يعتبر نفسه أبا العيال، فيمشي إلى المغيبات اللواتي غاب أزواجهن فيقف على أبوابهن ويقول: ألكنّ حاجة؟ وأيتكن تريد أن تشتري شيئًا؟ فإني أكره أن تخدعن في البيع والشراء، فيرسلن معه بجواريهن فيدخل السوق ووراءه من جواري النساء وغلمانهنّ ما لا يحصى، فيشتري لهن حوائجهن، ومن ليس عندها شيء اشترى لها من عنده، وإذا قدم الرسول صلى الله عليه وسلم من بعض الثغور يتبعهن بنفسه في منازلهن بكتب أزواجهنّ ويقول: أزواجكن في سبيل الله، وأنتن في بلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن كان عندكنّ من يقرأ، وإلا فاقربن من الأبواب حتى أقرأ لكن، ثم يقول: الرسول يخرج يوم كذا وكذا فاكتبي حتى نبعث بكتبكنّ، ثم يدور عليهن بالقراطيس والدواة: هذه دواة وقرطاس فادنين من الأبواب حتى أكتب لكنّ، ويمرّ إلى المغيبات فيأخذ كتبهن فيبعث بها إلى أزواجهن[٣].

٢- حفظ سوابق الخير للرعية:

كان رضي الله عنه يحفظ سوابق الخير للمسلمين، وكان لديه ميزان دقيق في تقييم الرجال، فقد قال رضي الله عنه: لا يعجبنكم طنطنة الرجل ولكن من أدّى الأمانة وكف عن أعراض الناس، فهو الرجل[٤]. وكان رضي الله عنه يقول: لا تنظروا إلى صلاة امرئ، ولا صيامه،

(١) تطور تاريخ العرب السياسي والحضاري، د. فاطمة الشامي ص١٧٥ . (٢) شهيد المحراب ص٢٠٥.
(٣) أخبار عمر ص٣٣٩، سراج الملوك ص١٠٩ .
(٤) فقه الائتلاف، محمود محمد الخزندار ص١٦٤.

ولكن انظروا إلى عقله وصدقه، ويقول: إني لا أخاف عليكم أحد رجلين: مؤمنًا قد تبين إيمانه، وكافرًا قد تبين كفره، ولكني أخاف عليكم منافقًا يتعوذ بالإيمان، ويعمل لغيره. وسأل عمر عن رجل شهد عنده بشهادة، وأراد أن يعرف هل له من يزكِّيه فقال له الرجل: إني أشهد له وأزكيه يا أمير المؤمنين، فقال عمر : أأنت جاره في مسكنه؟ قال: لا، قال: أعاشرته يومًا فعرفت حقيقة أمره؟ قال: لا، قال: أسافرت يومًا معه؛ فإن السفر والاغتراب محك للرجال؟ قال: لا، قال عمر: لعلك رأيته في المسجد قائمًا قاعدًا يصلي؟ قال: نعم، قال: اذهب فأنت لا تعرفه[1].

وقد حظي مجموعة من المسلمين بالثناء والتقدير من عمر رضي الله عنه بفضل توفيق الله لهم للأعمال المجيدة لخدمة الإسلام وهذه بعض المواقف الدالة على ذلك:

- آمنت إذ كفروا، وأقبلت إذ أدبروا ووفيت إذ غدروا:

عن عدي بن حاتم قال: أتيت عمر بن الخطاب في أناس من قومي، فجعل يفرض للرجل من طَيِّئ في ألفين ويعرض عني، قال: فاستقبلته فأعرض عني، ثم أتيته في حيال وجهه فأعرض عني، فقلت: يا أمير المؤمنين، أتعرفني؟ فضحك حتى استلقى على قفاه، ثم قال: نعم، والله إني لأعرفك، آمنت إذ كفروا، وأقبلت إذ أدبروا، ووفيت إذ غدروا، وإن أول صدقة بيضت وجه رسول الله ﷺ ووجوه أصحابه صدقة طَيِّئ، جئت بها إلى رسول الله ﷺ ثم أخذ يعتذر، ثم قال: إنما فرضت لقوم أجحفت بهم الفاقة، وهم سادة عشائرهم؛ لما ينوبهم من الحقوق[2].

وجاء في رواية: فقال: عدي: فلا أبالي إذن[3].

- حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدأ:

أسرت الروم الصحابي الجليل عبد الله بن حذافة السهمي، فجاءوا به إلى ملكهم فقال له: تنصر وأنا أشركك في ملكي وأزوجك ابنتي، فقال له: لو أعطيتني جميع

---

(١) عمر بن الخطاب، صالح بن عبد الرحمن بن عبد الله ص٦٦.

(٢) مسلم رقم ٢٥٢٣، مسند أحمد رقم ٣١٦.

(٣) الخلافة الراشدة د. يحيى اليحيى ص٢٩٧، فتح الباري (٧/ ٧٠٦).

ما تملك وجميع ما تملكه العرب علـى أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت، فقال: إذن أقتلك، فقال: أنت وذاك، فأمر به فصلب وأمر الرماة فرموه قريبًا من يديه ورجليه وهو يعـرض عليه دين النصرانيـة فيأبى، ثم أمر به فـأنزل، ثم أمر بقدر وفي رواية ببقرة من نحاس فأحميت، وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر فإذا هو عظام تلـوح، وعرض عليه فـأبى، فأمر به أن يلقى فـيها؛ فـرفع في البكرة ليلقى فيها، فبكى؛ فطمع فيه ودعاه، فقال: إني إنما بكيت؛ لأن نفسي إنما هي نفس واحدة تلقى في هذه القدر الساعة في الله؛ فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسـدي نفس تعذب هذا العذاب في الله، وفي بعض الروايـات أنه سجنه ومنع منه الطعام والشراب أيامًا ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير فلم يقربه، ثم استدعاه فقال: ما منعك أن تأكل؟ فقال: أما إنه قـد حل لي ولم أكن لأشمتك بي، فقال له الملك: فقبل رأسي وأنا أطلقك فقال: وتطلق معي جـميع أسارى المسلمين؟ قال: نعم، فقبل رأسه؛ فـأطلقه وأطلق معـه جميع أسـارى المسلمين عنده، فلما رجع قال عـمر بن الخطاب رضي الله عنه: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبـد الله بن حذافة وأنا أبدأ، فقام فقبل رأسه رضي الله عنه[1].

- أفيكم أويس بن عامر؟

كان عمـر بن الخطاب، إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سـألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس فقال: أنـت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مُراد ثم من قَرن؟ قـال: نعم، قال: فكان بك برص فبرئت منه إلا مـوضع درهم؟ قال: نعم، قال: ألك والـدة؟ قال: نعم، قال: سـمعت رسول اللـه ﷺ يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد اليمن من مـراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه، إلا موضع درهم، له والدة هو بها برٌّ، لو أقـسم على الله لأبرَّه؟، فإن استطعت أن يستغـفر لك فافعل»، فـاستغفـرْ لي، فاستغـفر له، فقال له عمـر: أين تريد؟ قال: الكوفة، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غُبَّرات[2] الناس أحب إلىَّ،

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٦١٠).

(٢) أراد أن يبقى مع البقية المتأخرين لا المتقدمين المشهورين.

قال: فلما كان من العام المقبل، رجع رجل من أشرافهم، فوافق عمر، فسأله عن أويس، فقال: «تركته رثَّ الهيئة[١]، قليل المتاع، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بَرّ، لو أقسم على الله لأبرَّه، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل»، فأتى أويسًا فقال: استغفِرْ لي، قال: أنت أحدثُ عهدًا بسفر صالح، فاستغفر لي، قال: استغفر لي، قال: لقيت عمر؟ قال: نعم، قال: فاستغفر له، قال: ففطن له الناس، فانطلق على وجهه[٢].

- **عمر رضي الله عنه ومجاهد بار بأمه:**

أقبل قوم غزاة من الشام يريدون اليمن، وكانت لعمر جفنات يضعها إذا صلى الغداة، فجاء رجل منهم فجلس يأكل، فجعل يتناول بشماله، فقال له: عمر، وكان يتعهد الناس عند طعامهم: كل بيمينك، فلم يجبه، فأعاد عليه، فقال: هي يا أمير المؤمنين مشغولة، فلما فرغ من طعامه دعا به فقال: ما شغل يدك اليمنى؟ فأخرجها، فإذا هي مقطوعة، فقال: ما هذا؟ فقال: أصيبت يدي يوم اليرموك، قال: فمن يوضئك؟ قال أتوضأ بشمالي، ويعين الله، قال فأين تريد؟ قال: اليمن، إلى أم لي لم أرها منذ كذا وكذا سنة، قال: أو برٌّ أيضًا، فأمر له بخادم وخمسة أباعر من إبل الصدقة وأوقرها له[٣].

- **رجل ضرب ضربة في سبيل الله حفرت في وجهه:**

بينما الناس يأخذون أعطياتهم بين يدي عمر رضي الله عنه إذ رفع رأسه فنظر إلى رجل في وجهه ضربة، فسأله فأخبره: أنه أصابته في غزاة كان فيها، فقال: عُدّوا له ألفًا، فأعطي ألف درهم، ثم قال: عدّوا له ألفًا، فأعطي الرجل ألفًا أخرى، قال له ذلك أربع مرات كل ذلك يعطيه ألف درهم؛ فاستحيا الرجل من كثرة ما يعطيه فخرج، فسأل عنه، فقيل له: رأينا أنه استحيا من كثرة ما أعطي فخرج، فقال: أما والله، لو

---

(١) لفظ مسلم: رث البيت. (٢) مسلم، ك فضائل الصحابة رقم ٢٥٤٢.

(٣) الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من رواية البلاذري ص١٧٤، ١٧٥.

أنه مكث مازلت أعطيه ما بقي منها درهم، رجل يضرب ضربة في سبيل الله حفرت في وجهه(١).

- **أمنية عمرية:**

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال لأصحابه: تمنّوا، فقال: بعضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهبًا فأنفقه في سبيل الله وأتصدق به، وقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة زبرجدًا وجواهرًا فأنفقه في سبيل الله، وأتصدق، ثم قال عمر: تمنوا، فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين، فقال: أتمنى لو أنها مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، وحذيفة بين اليمان(٢)، فأستعملهم في طاعة الله(٣). وهؤلاء من إخوانه في الله، وقد وصف عمر ﷺ إخوان الصدق بقوله: عليك بإخوان الصدق، تعش في أكنافهم؛ فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يرضيك منه، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من يخشى الله، ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك، واستشر في أمرك من يخشى الله تعالى(٤). وكان عمر ﷺ يذكر الأخ من إخوانه في الليل فيقول: يا طولها من ليلة، فإذا صلى الغداة غدا إليه، فإذا لقيه التزمه أو اعتنقه(٥)، وكان يقول: لولا أن أسير في سبيل الله، أو أضع جنبي في التراب لله، أو أجالس قومًا يلتقطون طيب القول كما تلتقط الثمرة، لأحببت أن أكون قد لحقت بالله(٦).

- **العمل عنده هو معيار التفاضل بين الناس:**

كان العمل عند الفاروق ﷺ هو معيار التفاضل بين البشر، فعند ما حضر إليه

---

(١) مناقب عمر لابن الجوزي ص٧٤ وإسناده ضعيف لانقطاعه، محض الصواب (١/ ٣٦٨).

(٢) الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٦٦) وصححه الذهبي، أصحاب الرسول ﷺ (١/ ١٧٤).

(٣) تهذيب الكمال للمزي (٥/ ٥٠٥)، حذيفة بن اليمان، إبراهيم محمد العلي ص٦٢.

(٤) مختصر منهاج القاصدين ص١٠٠، فرائد الكلام ص١٣٩.

(٥) أخبار عمر ص٣٢١.

(٦) الشيخان من رواية البلاذري ص٢٢٥.

جمع من سادات قريش على رأسهم سهيل بن عمرو بن الحارث، وأبو سفيان بن حرب، وبعض عبيد قريش السابقين: صهيب وبلال، أذن في لقائه للموالي الفقراء قبل أن يأذن للسادة من قريش وأشرافها؛ فغضب السادة لذلك، فقال: أبو سفيان لبعض أصحابه: لم أر كاليوم قط، يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه؟ فقال: سهيل: أيها القوم، إني والله أرى الذي في وجوهكم.. إن كنتم غضابًا فاغضبوا على أنفسكم، دعي القوم -إلى الإسلام- ودعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم؟![١]

- عمر رضي الله عنه يشهد للجنازة:

عن أبي الأسود، أنه قال: أتيت المدينة فوافيتها[٢]، وقد وقع فيها مرض فهم يموتون موتًا ذريعًا، فجلست إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فمرت به جنازة فأُثْنِيَ على صاحبها خيرًا، فقال: عمر: وجبت، ثم مُرّ بأخرى فأثني على صاحبها خيرًا، فقال: عمر: وجبت، ثم مُرّ بالثالثة فأثني عليها شرًّا، فقال عمر رضي الله عنه: وجبت، فقال: أبو الأسود: ما وجبت يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت كما قال رسول الله ﷺ: أيّما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة، قال: فقلنا: وثلاثة؟ قال: فقال: وثلاثة، قال: قلنا: واثنان؟ قال: واثنان، قال: ثم لم نسأله عن الواحد[٣].

- عمر رضي الله عنه وعطاء حكيم بن حزام رضي الله عنه:

عن عروة بن الزبير أن حكيم بن حزام قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال لي: «يا حكيم، إن هذا المال خَضِرَةٌ حُلوةٌ، فمن أخذه بسخاوة نفس بُورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى»، قال حكيم: فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق، لا أرزأ[٤] أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق

---

(١) مناقب عمر ص١٢٩، فن الحكم ص٣٦٧.
(٢) في رواية: فوافقتها.
(٣) البخاري رقم ٢٦٤٣، مسند أحمد رقم ١٣٩ الموسوعة الحديثية.
(٤) ما رزأ فلاناً شيئاً: أي ما أصاب من ماله شيئاً ولا نقص منه.

الدنيا. فكان أبو بكر يدعو حكيمًا؛ ليعطيه؛ فأبى أن يقبل منه شيئًا، ثم إن عمر دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله، فقال عمر رضي الله عنه: يا معشر المسلمين، إني أعرض عليه حقه الذي قسم الله له من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه. فلم يَرْزَأ حكيم أحدًا من الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم(١).

- عمر يقبل رأس علي رضي الله عنهما:

شكا رجل عليًّا إلى عمر رضي الله عنهما فلما جلس عمر لينظر في الدعوى قال عمر لعلي: ساو خصمك يا أبا الحسن؛ فتغير وجه علي، وقضى عمر في الدعوى، ثم قال لعلي: أغضبت يا أبا الحسن؛ لأني سويت بينك وبين خصمك؟ فقال:علي: بل لأنك لم تسو بيني وبين خصمي يا أمير المؤمنين، إذ كرمتني فناديتني: يا أبا الحسن، بكنيتي، ولم تناد خصمي بكنيته؛ فقبل عمر رأس عليّ، وقال: لا أبقاني الله بأرض ليس فيها أبو الحسن(٢).

- جرير البجلي ينصح عمر رضي الله عنه:

عن عاصم بن بهدلة عن رجل من أصحاب عمر، قال: كنا عند عمر بن الخطاب، فخرجت من رجل ريح، وحضرت الصلاة، فقال:عمر: عزمت على من كانت هذه الريح منه إلا قام فتوضأ، فقال:جرير بن عبد الله: يا أمير المؤمنين، اعزم علينا جميعًا أن نقوم فنتوضأ؛ فهو أستر، ففعل(٣).

- رجل من الموالي يخطب من قريش:

شجع عمر رضي الله عنه التزاوج بين القبائل، كوسيلة للتأليف بينها، حتى إن رجلاً من الموالي خطب إلى رجل من قريش أخته، فرفض القرشي، فتدخل عمر لديه قائلاً: ما يمنعك أن تزوجه؟ فإن له صلاحًا، وقد جاءك بخير الدنيا (المال) وخير الآخرة (التقوى)، زوج الرجل إن رضيت أختك، فزوجه إياها(٤).

---

(١) البخاري رقم ٢٩٧٤، مسلم رقم ١٠٣٥.
(٢) عمر بن الخطاب، صالح عبد الرحمن ص٧٩.
(٣) الشيخان من رواية البلاذري ص٢١٩.
(٤) المرتضى للندوي ص١٠٦.

٣- مهابته في وسط المجتمع وحرصه على قضاء حوائج الناس:

- مهابته في وسط المجتمع:

كان لعمر ﷺ هيمنة على النفوس والقلوب، ومهابة تكبح من جماح النفوس وتضبط من نزواتها، وأصح دليل على ذلك: عزله لخالد بن الوليد ﷺ وهو في أوج شهرته، وقد اقترنت به تجارب الانتصار في كل حرب، وأحاطت به هالات الإكبار والإعجاب، وقد أنفذ أمر عزله يوم كان الناس في أشد حاجة إليه، ووصل أمر العزل والناس مصافُّون جيوش الروم يوم اليرموك، وأمّر على الجيوش أبا عبيدة، فقال: خالد: سمعًا وطاعة لأمير المؤمنين، ولما نبَّه أحد الجنود على وقوع الفتنة بهذا التغيير، قال خالد: لا مجال لفتنة ما دام عمر[١]. وهذا إن دل على خضوع خالد - وهو القائد المنصور المُحَبَّب- لأمر الخليفة وتنازله عن القيادة في تواضع وإيثار قلّما يوجد له نظير في تاريخ القيادات العسكرية والإمارات الحربية، فهو يدل كذلك على سطوة سيدنا عمر وامتلاكه لزمام الأمور[٢]، فقد كانت له مهابة عظيمة في قلوب الناس، فعن الحسن البصري -رحمه الله- قال: بلغ عمر بن الخطاب ﷺ أن امرأة يتحدث عنها الرجال فأرسل إليها، قال: وكان عمر رجلاً مهيبًا، فلما جاءها الرسول، قالت: يا ويلها، ما لها ولعمر، فخرجت فضربها المخاض فمرت بنسوة فعرفن الذي بها، فقدمت بغلام فصاح صيحة ثم طفا[٣]، فبلغ ذلك عمر ﷺ فجمع المهاجرين والأنصار واستشارهم، وفي آخر القوم رجل، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنما كنت مؤدبًا وإنما أنت راعٍ، قال: ما تقول يا فلان؟ قال: أقول إن كان القوم تابعوك على هواك فوالله ما نصحوا لك، وإن يك اجتهادهم أراهم والله لقد أخطأ رأيهم يا أمير المؤمنين، قال: فعزمت عليك لما قمت فقسمتها على قومك[٤]، فقيل للحسن: من الرجل؟ قال: علي بن أبي طالب[٥]. واجتمع علي وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد ﷺ وكان أجرأهم على عمر عبد الرحمن بن

(١، ٢) المرتضى للندوي ص١٠٧ . (٣) طفا فلان: مات. (٤) بقصد الدية: والله أعلم.

(٥) مناقب عمر ص١٣٥، مراسيل الحسن، محض الصواب (١/ ٢٧٣).

عوف، فقالوا: يا عبد الرحمن، لو كلمت أمير المؤمنين للناس؛ فإنه يأتي طالب الحاجة، فتمنعه هيبته أن يكلمه حتى يرجع ولم يقض حاجته، فدخل عليه فكلمه في ذلك، فقال: يا عبد الرحمن، أنشدك الله، أعلي وعثمان وطلحة والزبير وسعد، أو بعضهم أمرك بهذا؟ قال: اللهم نعم، فقال: يا عبد الرحمن، والله، لقد لنت للناس حتى خشيت الله في اللين، ثم اشتددت عليهم حتى خفت الله في الشدة، فأين المخرج؟ فقام عبد الرحمن يبكي ويجر إزاره ويقول بيده: أف لهم بعدك، أفٍّ لهم بعدك[(١)]. وعن عمر بن مرة[(٢)]، قال: لقي رجل من قريش عمر فقال: لِنْ لنا فقد ملأت قلوبنا مهابة، فقال: أفي ذلك ظلم؟ قال: لا، قال: فزادني الله في صدوركم مهابة[(٣)]. وحدّث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال: مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر رضي الله عنه عن آية، فلا أستطيع أن أسأله هيبة[(٤)]. وعن عكرمة مولى ابن عباس: أن حجامًا كان يقص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان رجلاً مهيبًا، فتنحنح عمر؛ فأحدث الحجام، فأمر له عمر بأربعين درهمًا[(٥)]. وكان عند ما يرى شدة هيبته في نفوس الناس يقول: اللهم، تعلم أني منك أشد فرقًا منهم مني[(٦)].

- حرصه على قضاء حوائج الناس:

قال ابن عباس: كان عمر رضي الله عنه كلما صلى صلاة جلس للناس، فمن كانت له حاجة نظر فيها، فصلى صلوات لم يجلس بعدها، فأتيت الباب، فقلت: يا يرفأ، أبأمير المؤمنين علة من شكو[(٧)]؟ قال: لا، فبينما أنا كذلك إذ جاء عثمان، فدخل يرفأ، ثم خرج علينا فقال: قم يابن عفان، قم يابن عباس، فدخلنا على عمر وبين يديه صُبَر[(٨)] من مال، فقال: إني نظرت فلم أجد بالمدينة أكثر عشيرة منكما، فخذا هذا المال فاقسماه بين الناس، وإن فضل فضل فرداه، قال: فجثوت لركبتي فقلت:

---

(١) الشيخان من رواية البلاذري ص٢٢٠ .

(٢) الشني: بصري، مقبول، من الرابعة ، التقريب ص٤١٧ .

(٣) مناقب عمر لابن الجوزي ص١٣٥، محض الصواب (١/ ٢٧٣).

(٤) مسلم، ك الطلاق رقم ١٤٧٩ .

(٥) الطبقات لابن سعد (٣/ ٢٨٧) منقطع، مناقب عمر ص١٣٤ .

(٦) مناقب عمر ابن الجوزي ص١٣٤، منقطع.

(٧) شكا شكواً وشكوة وشكاية.

(٨) صُبر المال: أكوام المال.

وإن كان نقصان رددت علينا؟ فقال: شنشنة أعرفها من أخزم[١]، أين كان هذا ومحمد ﷺ وأصحابه يأكلون القدّ؟ قلت: لو فتح الله لصنع غير الذي تصنع، قال: وما كان يصنع؟ قلت: إذن لأكل، وأطعمنا، قال: فَنَشِجَ حتى اختلفت أضلاعه وقال: لوددت أني خرجت من الأمر كفافًا لا عليّ ولا لي[٢]. وعن سعيد ابن المسيب، قال: أصيب بعير من الفيء، فنحره عمر ؓ، وأرسل منه إلى أزواج النبي ﷺ، وصنع ما بقي، فدعا إليه جماعة من المسلمين، وفيهم العباس بن عبد المطلب، فقال: العباس: يا أمير المؤمنين، لو صنعت لنا كل يوم مثل هذا فأكلنا عندك وتحدثنا، فقال عمر: لا أعود لمثلها، إنه مضى صاحباي وقد عملا عملاً، وسلكا طريقًا، وإني إن عملت بغير عملهما سُلك بي غير طريقهما[٣].

وعن أسلم مولى عمر: استعمل عمر مولى له على الحِمَى فقال: يا هُنَيُّ، اضمم جناحك عن المسلمين واتق دعوة المظلوم؛ فإنها مستجابة، وأدخل ربَّ الصُّرَيمة والغنيمة، وإياي ونَعم ابن عوف ونعم ابن عفان؛ فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعان إلى زرع ونخل، وإن ربّ الصُّرَيْمة والغُنيمة إن تهلك ماشيتهما يأتيني ببنيه فيقول: يا أمير المؤمنين، أفتاركهم أنا لا أبا لك، فالماء والكلأ أيسر عليّ من الذهب والفضة، وايم الله، إنهم ليرون أني ظلمتهم، إنها لبلادهم قاتلوا عليها في الجاهلية وأسلموا عليها في الإسلام، والذي نفسي بيده، لولا المال الذي أحمل عليه في سبيل الله ما حميت عليهم بلادهم شبراً[٤]. وعن موسى بن أنس بن مالك: أن سيرين -والد محمد بن سيرين- سأل أنسًا المكاتبة، وكان كثير المال فأبى، فانطلق إلى عمر، فقال: كاتِبْهُ، فأبى؛ فضربه بالدرة وهو يتلو: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ (النور:٣٣)، فكاتبه[٥]. وفي القصة الأخيرة نرى عبدًا يطلب حريته، وسيدًا يأبى، وحاكمًا ينصف، وينفذ رأي العبد، ويترك رأي السيد، أين تجد هذا في التاريخ على طوله وعرضه؟![٦].

(١، ٢) الشيخان في رواية البلاذري ص٢٢١.

(٣) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٨٨)، الشيخان من البلاذري ص٢٢٢.

(٤) تاريخ الذهبي عهد الخلفاء الراشدين، ص٢٧٢.

(٥) محض الصواب (٣/ ٩٧٥).

(٦) شهيد المحراب ص٢٢٢.

٤- تربيته لبعض زعماء المجتمع:

لم يسمح عمر رضي الله عنه في خلافته للأعيان أن يتسلطوا على أبناء المجتمع أو يتطاولوا عليهم أو يشعروا بنوع من الرفعة على الناس، وإليك بعض هذه المواقف:

- أبو سفيان رضي الله عنه وداره بمكة:

قدم عمر مكة فأقبل أهل مكة يسعون، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن أبا سفيان ابتنى دارًا، فحبس عنا مسيل الماء ليهدم منازلنا، فأقبل عمر ومعه الدّرة، فإذا أبو سفيان قد نصب أحجارًا فقال: ارفع هذا، فرفعه، ثم قال: وهذا وهذا... حتى رفع أحجارًا كثيرة خمسة أو ستة، ثم استقبل عمر الكعبة، فقال: الحمد لله الذي جعل عمر يأمر أبا سفيان ببطن مكة فيطيعه(١).

- عيينة بن حصن ومالك بن أبي زفر:

زار عيينة بن حصن عمر رضي الله عنه وعنده مالك بن أبي زفر من فقراء المسلمين، فتطاول عليه قائلاً: أصبح الضعيف قويًا، والدَّنِيُّ مرتفعًا، فقال: مالك: أيفخر علينا هذا بأعظُمٍ حائلة، وأرواح في النار؛ فغضب عمر لما اعترض عيينة على هذا القصاص، وقال له: كن ذليلاً في الإسلام، فوالله لا أرضى عنك حتى يشفع لك مالك، ولم يجد عيينة بدًّا من أن يستشفع بمالك لدى عمر(٢).

- الجارود، وأبي بن كعب رضي الله عنهما:

أقبل الجارود على عمر رضي الله عنهما، فقال: رجل: هذا سيد ربيعة؛ فاعتلاه عمر بالدرة، وقال: خشيت أن يخالط قلبك منها شيء. وفعل عمر ذات الصنيع مع أبيّ بن كعب، لما رأى الناس قد اجتمعت عليه تسأله بعد خروجه من المسجد، وقال: إن هذا الذي تصنع فتنة للمتبوع، مذلة للتابع(٣).

---

(١) أخبار عمر ص٣٢١، مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص١٢٨.
(٢) تاريخ المدينة المنورة لابن شبة (٢/ ٦٩٠)، الدور السياسي للصفوة ص١٩١.
(٣) المصدر نفسه (٢/ ٦٩٠)، الدور السياسي للصفوة ص١٩١.

٥- إنكاره لبعض التصرفات في المجتمع:

كانت حياة الفاروق رضي الله عنه على وفق شرع الله -تعالى- الحكيم ولذلك كان لا يرضى عن أي سلوك منحرف، أو تصرف يتولد عنه مفاسد للمجتمع الإسلامي، وهذه بعض المواقف التي وجّه فيها الفاروق بعض المخطئين إلى الصواب:

- مجزرة الزبير بن العوام رضي الله عنه:

كان عمر رضي الله عنه يأتي إلى مجزرة الزبير بن العوام، وكانت الوحيدة بالمدينة، ومعه الدرة، فإذا رأى رجلاً اشترى لحمًا يومين متتابعين ضربه بالدرة، وقال له: ألا طويت بطنك لجارك وابن عمك[١].

- الآن سل ما بدا لك:

رأى عمر رضي الله عنه سائلاً يسأل، وعلى ظهره جراب مملوء طعامًا، فأخذ الطعام ونثره لإبل الصدقة، ثم قال له: الآن سل ما بدا لك[٢].

- دع هذه المشية:

أقبل رجل مرخيًا يديه طارحًا رجليه، يتبختر، فقال له: عمر رضي الله عنه: دع هذه المشية، فقال: ما أطيق، فجلده ثم تبختر، فجلده فترك التبختر فقال عمر: إذا لم أجلد في مثل هذا ففيم أجلد؟! فجاءه الرجل بعد ذلك فقال: جزاك الله خيرًا، إن كان إلا شيطانًا أذهبه الله بك[٣].

- لا تمت علينا ديننا:

نظر عمر رضي الله عنه إلى رجل مظهر للنسك متماوت، فخفقه بالدرة، وقال، لا تُمت علينا ديننا، أماتك الله[٤]. وعن الشفاء بنت عبد الله وقد رأت فتيانًا يقصدون في المشي، ويتكلمون رويدًا، فقالت: ما هؤلاء؟ قالوا: نُسّاك، فقالت: كان والله

---

(١) الدور السياسي للصفوة ص٢٣١ نقلاً عن مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي.
(٢) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص١٠١.
(٣) أخبار عمر ص١٧٥.
(٤) المصدر نفسه ص١٩٠.

عمـر بن الخطاب إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسـرع، وإذا ضرب أوجع، وهو والله الناسك حقًّا[١].

- اهتمامه بصحة الرعية:

اهتم الخليـفة عـمر رضي الله عنه بصـحـة الرعيـة، فكان يحذرهـم من مغـبة السـمنة ومخـاطرها، ويدعوهم إلى تخفيف أوزانهـم؛ لما فيه من القوة على العـمل والقدرة على أداء الواجـبات، فكان يقـول: أيهـا الناس، إياكم والبطنة عن الطعـام؛ فإنهـا مكسلة عن الصلاة، مـفسدة للجـسم، مورثة للسقم، وإن الله -عـز وجل- يبغض الحبـر السمين، ولكن عليكم بالقصـد في قوتكم؛ فإنه أدنى من الصـلاح وأبعد من السرف، وأقوى على عبادة الله -عز وجل- ولن يهلك عبد، حتى يؤثر شهوته على دينه[٢]. ويذكر ابـن الجوزي: أن عمـر رضي الله عنه، رأى رجلاً عظيم الـبطن، فقـال: ما هذه؟ قال: بركة من الله، فقال: بل عذاب من الله[٣].

وأما اهتمامه بالصحة العامة للمواطنين، فإنه كان ينهى من به مرض معد منهم أن يختلط بهم؛ لمنع انتشار المرض، وكان ينصح المريض بالبقـاء في بيته حتى يتماثل إلى الشفاء، فيروى أنه رضي الله عنه مر بامرأة مجذومة وهي تطوف بالبيت فقال:لها: يا أمة الله، لو قعدت في بيتك لا تؤذين الناس، فقعدت، فمر بها رجل بعد ذلك فقال: إن الذي نهاك قد مات فاخرجي، فـقالت: والله، ما كنت لأطيعه حيًّا وأعصيه ميتًا[٤]. كما كان يؤكـد على الرياضة والفـروسيـة وركوب الخـيل، وكان يقول: عـلِّموا أولادكم العوم، والرماية، ومروهم فليثبوا على الخيل وثبًا، ورووهم ما جمل من الشعر[٥].

- نصيحة عمرية لمن وقع في شرب الخمر:

تفقـد عمر رضي الله عنه رجـلاً ذا بأس شديد من أهل الشـام، فقيل له: إنـه تتابع في الشرب، فـقال لكاتبـه: اكتب من عـمر بن الخطاب إلى فلان، سـلام عليك، وأنا

---

(١) الشيخان من رواية البلاذري ص٢٢٦ .
(٢) الخليفة الفاروق د.عبد الرحمن العاني ص١٢٤ .
(٣) مناقب عمر أمير المؤمنين ص٢٠٠ .
(٤) الخليفة الفاروق ص١٢٤ نقلاً عن الرياض النضرة.
(٥) المصدر نفسه ١٢٥ .

أحـمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، بـسم الله الرحمن الرحـيم: ﴿ حمٓ ① تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ② غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (غافر: ١-٣) ثم ختم الكتاب وقال لرسوله: لا تدفعه إليه حتى تجده صاحيًا، ثم أمر من معه بالدعاء له بالتوبة، فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول: قد وعدني ربي أن يغـفر لي، وحذرني عقـابه، فلم يزل يرددها حتى بكى، ثم نزع فأحسن النزع، وحـسنت توبته، فلما بلغ عمر أمره قـال: هكذا فاصنعوا، إذا رأيتم أحدكم زل فسددوه وادعوا له، ولا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه[١].

وفي هذا الموقف تظهر عـبقرية عمـر في تربية النفوس ومعـرفته بطبائع الـبشر، ووسائل التـقويم، فمـا ينفع شخصًـا قد يضر غيـره، فهذا درس من دروس التـربية الناجـحة، وأسلوب رقيق فـي التوجيـه، أميـر المؤمنين -على ضخـامة مـسئولـياته ومشاغـله- يغيب عن مجلسه واحـد من رواده فلا يفوته هذا الغيـاب، ولكن يسأل ليعالج فيصلح، واليوم يغيب الأخ عن أخيـه، فلا يشعر أحدهما بغياب الآخر، وإن شعر فلا يسـأل عن سبب الغياب وتحرى السؤال، فـلا يسعى وراء علاج إن كان في الأمر ما يستدعي العلاج، إن هذا التفلت مـعول من معاول هدم الأخوة الإسلامية، وما هذا بحال مسلمين يعرفون أنهم إخوة، فهل من التفاتة؟! لعل وعسى[٢].

- رأي عمر في المجالس الخاصة:

كان عمر ﷺ يميل إلى أن تكون مجتمعات الناس عامة يهوي إليها جميع الناس على اختلاف طبقاتهم، وكان يكره اختصاص الناس بمجالس؛ لأن ذلك يدعوهم إلى أن تكون لهم آراء متفرقة متبـاينة تنتهي بأحزاب متعادية[٣]، روى ابن عباس أن عمر قال لناس من قريش: بلغني أنكم تتخذون مجالس، لا يجلس اثنان معًا حتى يقال: من صحـابة فلان، من جلسـاء فلان، حـتى تحوميت المجـالس، وايم الله، إن هذا لسريع في دينكم سـريع في شرفكم سريع في ذات بينكـم، ولكأني بمن يأتي بعدكم

(١) تفسير القرطبي (١٥/٢٥٦).
(٢) شهيد المحراب ص٢٠٨.
(٣) الخلفاء الراشدون حسن أيوب ص١١٥.

يقول: هذا رأي فلان قد قسموا الإسلام أقسامًا، أفيضوا مجالسكم بينكم، وتجالسوا معًا؛ فإنه أدوم لأُلفتكم، وأهيب لكم في الناس[١]. وفي الحق: إن ابتعاد الخاصة عن عامة الناس، واختصاصهم بأفراد يجلسون إليهم- مضيع كثيرًا لما ينتظر من تربية الخاصة للعامة، واجتماعهم مفيد فائدة كبرى وهي نقل أقوالهم غير محرفة ولا مشوبة بما يطمس حقيقتها، ثم إن كثرة المجالس تدعو بدون ريب إلى كثرة الاختلاف في المسائل التي تعرض لهم فتكثر الأقوال المتباينة في الدين، وهذا هو الذي خافه عمر ﷺ على الناس وعلى من يأتي[٢].

ثانيًا- اهتمامه بالحسبة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر):

أخبر المولى -عز وجل- عن أصحاب نبيه الكريم ﷺ الذين أخرجوا من ديارهم أنهم عند تمكين الله لهم في الأرض سيقومون بأربعة أمور: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ**[٣] **وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۞ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ**﴾ (الحج: ٤٠-٤١).

يقول الإمام أبو بكر الجصاص في تفسيره: وهذه صفة المهاجرين؛ لأنهم هم الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق، فأخبر -تعالى- أنه إن مكنهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وهي صفة الخلفاء الراشدين الذين مكنهم الله في الأرض، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ[٤].

وقد شهد التاريخ وثبت بالتواتر أن الفاروق ﷺ قام بتلك الأمور خير قيام[٥]، واهتم ﷺ بحماية وتطوير مؤسسات الدولة كالمالية، والقضائية، والعسكرية،

---

(١) فرائد الكلام ص١١٦، تاريخ الطبري (٣/ ٢٨١).
(٢) الخلفاء الراشدون، حسن أيوب ص١١٥.
(٣) الصوامع للرهبان، والصلوات: كنائس اليهود.
(٤) أحكام القرآن (٣/ ٢٤٦).
(٥) الحسبة في العصر الراشدي د. فضل إلهي ص١٥.

والمتعلـقة بالولاة، واجتـهد ﷺ في حـمل الناس على امتـثال أوامر اللـه -تعالى- وأوامر نبـيه محـمد ﷺ وعمل علـى حمل الناس على اجتناب مـا نهى الله عنه ونهى عنه نبـيه ﷺ من خلال منصـبه كخليـفة للمسلـمين، ومن خلال الولايات الإسلامـية والمنتشـرة في الدولة الإسلامـية قال ابن تيـمية -رحـمه الله-: وجـميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(١).

وقد قام الفاروق ﷺ، بحماية جانب التوحـيد ومحاربة الزيغ، وإقامة العبادات في المجتمع الإسلامي، وحارب المنكر، وشجع على المعروف:

١- حماية جانب التوحيد ومحاربة الزيغ والبدع:

لما كان من مقاصـد قيام الدولة الإسلامية حراسـة الدين، فإن من أهم ما قام به الفـاروق القيـام بهذا المقـصـد وهو حفظ أصل الدين بحـمل الناس على العـقيـدة الصحيـحة الصافية التي تركـهم عليها رسول الله ﷺ، وحارب شـبهات الزائغين ورد كيد أعداء الدين الذين يروجون للعقائد المنحرفة والخرافات المنكرة التي زينها لهم الشيطان، فظنوا أنهم يحسنون صنعًـا ، وإليك بعض المواقف التي تشهد للفاروق في حمايته لجانب التوحيد ومحاربته للزيغ:

- عروس النيل:

أرسل عمرو بن العـاص إلى الفاروق ﷺ يخبره عن عـادة أهل مصر في رمي فتـاة في النيل كل عام، وقـالوا له: أيها الأمـير، لنيلنا هذا سنة لا يجـري إلا بها، قال: ومـا ذاك؟ قالوا: إذا كانت اثنتي عشـرة ليلة خلت من هذا الشهر عـمدنا إلى جارية بكر من أبويهـا، فأرضينا أبويهـا وجعلنا عليهـا من الحلي والثياب أفـضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل، فقال لهم عمرو: إن هذا مما لا يكون في الإسلام، إن الإسلام يهدم ما قبلـه، فأقاموا فترة والنيل لا يجري قليلاً ولا كـثيرًا، حتى هموا بالجـلاء؛ فكتب عمـرو إلى عمـر بن الخطاب بذلك، فكتب إليـه: إنك قد أصـبت بالذي فعلت، وإني قد بعـثت إليك بطاقة داخل كتابي، فألقهـا في النيل، فلما قدم

---

(١) الحسبة في الإسلام ص٦، السلطة التنفيذية (١/ ٣٠٩).

كتابه أخذ عمرو البطاقة فإذا فيها: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر، أما بعد، فإن كنت إنما تجري من قبلك ومن أمرك فلا تجر فلا حاجة لنا فيك، وإن كنت إنما تجري بأمر الله الواحد القهار، وهو الذي يجريك فنسأل الله -تعالى- أن يجريك، قال: فألقى البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعًا في ليلة واحدة، وقطع الله هذه السنة السيئة عن أهل مصر إلى اليوم[١].

فقد بين الفاروق معاني التوحيد في البطاقة وأن النيل إنما يجري بمشيئة الله وقدرته -سبحانه وتعالى- وكشف للناس زيف معتقدهم الفاسد الذي تغلغل في النفوس، وكان بتصرفه الحكيم قد نسف هذا المعتقد من نفوس المصريين[٢].

- **إنك حجر لا تنفع ولا تضر:**

عن عابس بن ربيعة عن عمر ﷺ أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبّله فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك[٣]. إنه الاتباع في أحسن صوره، وأجمل معانيه[٤]، قال ابن حجر: قال الطبري: إنما قال ذلك عمر؛ لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام فخشي أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار، كما كانت العرب تفعل في الجاهلية، فأراد عمر أن يعلم أن استلامه اتباع لفعل النبي ﷺ.

ثم قال ابن حجر -رحمه الله-: وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين، وحسن الاتباع، فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي ﷺ فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه[٥].

وهذا الخلق- وهو اتباع السنة والحرص عليها - من أخلاق النصر في جيل الصحابة ﷺ، فقد علموا بأنه لا بد من اتباع السُّنة؛ كي يَحْبُوهم الله بالنصر والتأييد[٦].

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٠٢-١٠٣) قال على طنطاوي: نشرناها لشهرتها لا لصحتها.
(٢) فن الحكم، ص٣٤٧.
(٣) البخاري رقم ١٥٩٧.
(٤) أصحاب الرسول (١/ ١٦١).
(٥) فتح الباري (٣/ ٥٩٠، ٥٩١).
(٦) من أخلاق النصر في جيل الصحابة ص٢٣.

- **قطع شجرة الرضوان:**

أخرج ابن سعد بإسناد صحيح عن نافع: أن عمر بلغه أن قومًا يأتون الشجرة -شجرة الرضوان- فيصلون عندها فتوعدهم، ثم أمر بقطعها فقطعت[١].

فهذا موقف لأمير المؤمنين عمر ﷺ في حماية التوحيد، والقضاء على موارد الفتن، حيث قام أولئك التابعون بعمل لم يعمله الصحابة ﷺ؛ فهو أمر مبتدع، وقد يؤدي بعد ذلك إلى عبادة، وأمر بها فقطعت[٢].

- **قبر دانيال:**

لما ظهر قبر دانيال بتُسْتَر كتب فيه أبو موسى إلى عمر بن الخطاب ﷺ فكتب إليه عمر: إذا كان بالنهار فاحفر ثلاثة عشر قبرًا، ثم ادفنه بالليل في واحد منها، وعفِّر قبره؛ لئلا يفتتن به الناس[٣].

- **أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد؟**

ثبت بالإسناد الصحيح عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه كان في السفر فرأى قومًا يتنابون مكانًا يصلون، فقال: ما هذا؟ قالوا: مكان صلى فيه رسول الله ﷺ، فقال: إنما هلك من كان قبلكم بهذا، إنهم اتخذوا آثار أنبيائهم مساجد، من أدركته الصلاة فليصل وإلا فليمض[٤].

- **فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع:**

إن عزل خالد بن الوليد من قيادة الجيش في الشام لم يكن له أي سبب غير المصلحة العامة للأمة؛ فقد خشي الفاروق من تعلق الناس بخالد، فيعتقدون أن النصر معلق ببركة خالد وحنكته الحربية، فيتكلون على ذلك، فأراد أن يعلمهم أن الله هو الناصر وأنه الفعال لما يريد، فأصدر قراره بعزله، وأكد ذلك في كتابه المفسر للقرار الذي عمّمه على الولايات؛ حرصًا منه على جانب التوحيد حيث جاء فيه:

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٩، ٢٠ / ٢٦٠)، طبقات ابن سعد (٢/ ١٠٠). (٢) المصدر نفسه (١٩، ٢٠ / ٢٦٠).
(٣) الفتاوى (١٥/ ٩٠). (٤) الفتاوى (١٠/ ٢٣٥).

إني لم أعزل خالدًا عن سخطة ولا خيانة، ولكنّ الناس فتنوا به؛ فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع[١].

- إنما المتوكل من يُلقي حبَّة في الأرض:

عن معاوية بن قـرَّة، أن عمر بن الخطاب ﷺ لقي ناسًا من أهل اليـمن فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتـوكلون، قال: بل أنتم المُتَّكلون؛ إنما المتوكل من يلقـي حبة في الأرض ويتوكل على الله -عز وجل-[٢].

- ألا وإنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع:

قال عـمر بـن الخطاب ﷺ على المنبر: ألا إن أصـحاب الرأي أعـداء السنن، أعيتـهم الأحاديث أن يحفظوها فـأفتوا برأيهم؛ فضلوا وأضلوا، ألا وإنا نـقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ما نضل مـا تمسكنا بالأثر. وعن عمرو بن ميمون عن أبيه قال: أتى عمر بن الخطاب رجل فقال: يا أمير المؤمنين إنا لما فتحنا المدائن أصبنا كتابًا فيـه كلام معـجب، قال: أمن كتـاب الله؟ قال: لا فدعـا بالدّرة فجعل يضـربه بها وجعل يقرأ: ﴿**الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾ (يوسف: ١-٣) ثم قـال: إنما هلك من كـان قـبلكم أنهم أقـبلوا على كـتب علمائهم وأساقفتهـم، وتركوا التوراة والإنجيل، حتى درسا[٣]، وذهب ما فيهما من العلم[٤]، وعن أسلم قـال: سمعـت عمر بن الخطـاب ﷺ يقول: فيـم الرّملان[٥] الآن؟! ومع ذلك لا ندع شيئًا كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ[٦]. وعن الحسن البصري: أن عمران بن حصين ﷺ، أحرم من البـصرة فقدم على عمر؛ فأغلظ له

(١) البداية والنهاية (٧/ ٨٢).
(٢) أصحاب الرسول، إسناده صحيح (١/ ١٦٤).
(٣) درس الشيء: عفا.
(٤) فيه ضعف لانقطاعه، مناقب عمر لابن الجوزي ص٢٣ وله طرق تقويه.
(٥) الرملان والرّمل: أن يهزّ منكبيه ويسرع في المشي.
(٦) محض الصواب (٢/ ٥٣٢).

ونهاه عن ذلك، وقال: يتحدث الناس أن رجلاً من أصحاب محمد ﷺ أحرم من مصر من الأمصار[١]. وعن أبي وائل[٢]، قال: كنت جالسًا على كرسي شيبة بن عثمان[٣] في الكعبة، فقال: لقد جلس هذا المجلس عمر، فقال: لقد هممت ألا أدع فيه صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها، فقلت: ما كنت لتفعل، قال: ولم؟ قلت: إن صاحبيك لم يفعلا، قال: هما المرآن أقتدي بهما[٤].

هذه بعض مواقف الفاروق التي ترشدنا إلى حمايته لجانب التوحيد، ومحاربته للبدع، فقد فهم التوحيد الذي أرشد إليه الإسلام، وعرفه وعمل به وحرص على محو كل أثر من آثار الوثنية في النفوس والقلوب، وأقام صرح التوحيد في أعماق الكينونة البشرية[٥]، لقد عمل الفاروق على تعميق حقيقة الإيمان في المجتمع الإسلامي بكل معانيه وبأركانه كافة، ومحاربة الشرك بكل أشكاله وأنواعه وخفاياه، ومحاربة البدع والاقتداء برسول الله في أقواله وأفعاله ﷺ فهذه الأصول تدخل ضمن فقه التمكين الذي فهمه الفاروق وعاش به في دنيا الناس.

٢- اهتمامه بأمر العبادات:

فهم الفاروق رضي الله عنه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ: أن الدين كله داخل في العبادة، والدين منهاج الله جاء ليسع الحياة كلها، وينظم جميع أمورها من أدب الأكل والشرب، وقضاء الحاجة، إلى بناء الدولة، وسياسة الحكم، وسياسة المال، وشئون المعاملات والعقوبات، وأصول العلاقات الدولية في السلم والحرب، وأن الشعائر التعبدية من صلاة وصوم، وزكاة، وحج، لها أهميتها ومكانتها ولكنها ليست العبادة كلها، بل هي جزء من العبادة التي يريدها الله -تعالى-[٦]، وتطبيق هذا الفهم للعبادة في دنيا الناس من شروط التمكين في الأرض، كما أن العبادة لها

---

(١) محض الصواب (٢/ ٥٣٢).
(٢) هو شقيق بن سلمة.
(٣) شيبة بن عثمان بن أبي طلحة القرشي العبدري حاجب الكعبة.
(٤) محض الصواب (٢/ ٥٣٧) إسناده صحيح.
(٥) أشهر مشاهير الإسلام رفيق العظم (٢/ ٢٥٦، ٢٥٧).
(٦) فقه التمكين في القرآن الكريم للصلّابي ص١٨١.

أهميـة في حياة الإنسان في تـثبيت الاعتـقاد، وتثبـيت القيم الأخلاقيـة، وإصلاح الجانب الاجتمـاعي، وإليك بعض اهتمامات الفاروق بشعـائر الصلاة والزكاة والحج والصوم والذكر وحرصه على تحقيق معاني العبادة في نفسه وفي المجتمع الإسلامي.

- الصلاة:

كان النبي ﷺ يأمر المسلمين بالصـلاة ويبالغ في الإنكار على من يتخلف عن الجمـاعة ويشـتد نكيره عـلى تاركها وسـار الصديق على هديه، ولما تـولى الفاروق الخلافة اهتم بأمر الصلاة وحمل الناس عليهـا وتعقب تاركها، وكتب إلى عماله: إن أهم أمركم عندي الصلاة، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع[١]. وكان رضي الله عنه شديد الحرص على الخشـوع في الصلاة، فعن عبد الله ابن عمـر رضي الله عنهما قال: صليت خلف عمر فـسمعت حنينه من وراء ثلاثة صـفوف[٢]، وجـاء في رواية: أنه قـرأ في صـلاة الفـجـر: ﴿إِنَّمَـا أَشْكُو بَثِّي وَحُـزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ (يوسف:٨٦) وبكى حتى سمع نشيـجه من آخر الصفوف[٣]. وقد قال رضي الله عنه لمن يعبث في صلاته: لو خشع قلب هذا لخـشعت جوارحه[٤]. وكان رضي الله عنه إذا أبطأ عليه خبر الجيوش قنت[٥]، وكان يدعو للمجاهدين في صلاته ويقنت لذلك، فعندما قاتل أهل الكتـاب قنت عليهـم في الصلاة المكتـوبة[٦]، وكـان رضي الله عنه يربي الناس ونفسـه على الاهتمام بأمر الصلاة فرائضهـا وسننها، ويرشد الناس إلى السنة وينهاهم عن البدع، فعندما تأخر رضي الله عنه في صلاة المغرب حتى طلع نجمان بسبب شغله ببعض الأمور أعتق رقبتين بعد الصلاة[٧]، وكان يرى الجمع بين صلاتين من غير عذر من الكبائر، وكان ينهى من يصلي بعد العصر[٨]، وكان يؤنب من تأخر عن التقدم لصلاة الجمعة، فعن سالم بن عبـد الله، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن عمـر بن الخطاب بينما هو قائم

---

(١) الفتاوى (١٠/ ٢٤٩)، الموطأ مع شرحه أوجز المسالك (١/ ١٥٤).
(٢) حلية الأولياء (١/ ٥٢).
(٣) الفتاوى (١٠/ ٣٧٤).
(٤) الفتاوى (١٨/ ١٥٤).
(٥) الفتاوى (٢٣/ ٦٢).
(٦) الفتاوى (٢١/ ٩١).
(٧) التاريخ الإسلامي الحميدي (١٩، ٢٠ / ٤٢) نقلاً عن تاريخ دمشق.
(٨) الفتاوى (٢١/٩٨)، (٢٢ / ٢٣).

في الخطبة يوم الجمعة إذ دخل رجل من المهاجرين الأولين من أصحاب النبي ﷺ فناداه عمر: أية ساعة هذه؟ قال: إني شغلت فلم أنقلب إلى أهلي حتى سمعت التأذين فلم أزد أن توضأت ، فقال: والوضوء أيضًا؟ وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل[١]. وكان رضي الله عنه يمنع رفع الأصوات في المسجد، فعن السائب بن يزيد قال: كنت قائمًا في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما، قال: من أنتما -أو من أين أنتما- قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ[٢]. وكان رضي الله عنه يعظم توجيهات رسول الله ﷺ ، فعن **عبد الله** ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا استأذنت أحدكم امرأته أن تأتي المسجد فلا يمنعها»، قال: وكانت امرأة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تصلي في المسجد فقال لها: إنك لتعلمين ما أحب، فقالت: والله لا أنتهي حتى تنهاني، قال: فطعن عمر وإنها لفي المسجد[٣]، فهذا الخبر يدل على تعظيم أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لأمور الشريعة، ووقوفه عند كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حيث قدّم تنفيذ ذلك على ما تحبه نفسه[٤].

وكان رضي الله عنه يحب الصلاة في كبد الليل -يعني وسط الليل- وكان يصلي ما شاء الله حتى إذا كان من آخر الليل، أيقظ أهله، ويقول: الصلاة الصلاة، ويتلو هذه الآية **﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾** (طه:١٣٢) [٥]، وقد قام ذات ليلة فغشيه همّ عظيم من تفكيره في أمور الناس، فما استطاع أن يصلي، وما استطاع أن يرقد، فقد قال: فوالله، ما أستطيع أن أصلي ولا أستطيع أن أرقد، وإني لأفتتح السورة فما أدري أفي أولها أنا أم في آخرها، فلما سئل: ولم يا أمير المؤمنين؟ قال: من همّي بالناس[٦]. وكان يعوّض ما فاته من قيام بالليل بالنهار، فقد قال رضي الله عنه : من فاته شيء من ورده- أو قال: من

---

(١) الفتح (٢/ ٤١٥، ٤٣٠)، الخلافة الراشدة ص٢٩٤ د. يحيى اليحيى.
(٢) الفتح (١/ ٦٦٨).
(٣) البخاري، رقم ٨٦٥.
(٤) التاريخ الإسلامي (١٩، ٢٠ / ٤٠).
(٥) محض الصواب (٢/ ٦٣٥) إسناده ضعيف.
(٦) الفاروق عمر للشرقاوي ص٢١٤.

حزبه -من الليل فقرأه ما بين صلاة الفجر إلى الظهر، فكأنما قرأه من ليلته[١]، وكان ﵁ يتمنى أن يكون مؤذنًا فقد قال: لو كنت أطيق الأذان مع الخلافة لأذّنت[٢].
وكان كثير الدعاء والتضرع لله -عز وجل- ومن أدعيته وأقواله في شأن الدعاء: اللهم اجعل عملي كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا[٣]، ومن دعائه أيضًا: اللهم إن كنت كتبتني شقيًّا فامحني واكتبني سعيدًا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت[٤]، وكان يقول: إني لا أحمل هم الإجابة، وإنما أحمل هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه[٥]، وكان يحث الناس على الاقتراب من المطيعين ويقول: اقتربوا من أفواه المطيعين، واسمعوا منهم ما يقولون؛ فإنهم تتجلى لهم أمور صادقة[٦]. وكان عمر ﵁ يحب التذكير بالله، فقد كان يقول لأبي موسى الأشعري ﵁: يا أبا موسى، ذكرنا ربنا، فيقرأ ويستمع عمر ومن معه فيبكون[٧].

وكان يحب الجلوس مع أهل الذكر، فعن أبي سعيد مولى أبي أسيد قال: كان عمر يعس في المسجد بعد العشاء، فلا يرى فيه أحدًا إلا أخرجه، إلا رجلاً قائمًا يصلي، فمر بنفر من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم أبي بن كعب، فقال: من هؤلاء؟ قال: نفر من أهلك يا أمير المؤمنين، قال: ما خلفكم بعد الصلاة؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، فجلس معهم، ثم قال لأدناهم: خذ في الدعاء فدعا، فاستقرأهم رجلاً رجلاً حتى انتهى إليّ، وأنا بجانبه، فقال: هات، فحُصرت وأخذني أفكل[٨]، فقال: قل، ولو أن تقول: اللهم اغفر لنا، اللهم ارحمنا، قال: ثم أخذ عمر في الدعاء، فما كان أحد أكثر دمعة ولا أشد بكاء منه، ثم قال: تفرقوا الآن[٩].

- التراويح:

أول من جمع الناس على صلاة التراويح هو عمر بن الخطاب ﵁، وكتب

---

(١) مسلم رقم ٧٤٧.
(٢) الشيخان من رواية البلاذري ص٢٢٥.
(٣) الفتاوى (١/ ٢٣٢).
(٤) الفتاوى (١٤/ ٢٧٥).
(٥) الفتاوى (٨/ ١١٨).
(٦) الفتاوى (١٥/ ٦٠).
(٧) الفتاوى (١٠/ ٥١).
(٨) الأفكل: الرعدة، وأفكل تعني رعدة.
(٩) الشيخان من رواية البلاذري ص٢٣٦.

بذلك إلى البلدان، وسبب ذلك: أن الفاروق خرج في ليلة من ليالي رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع[١] متفرقون يصلي الرجل لنفسه، ويصلى الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال: عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، قال الراوي: عبد الرحمن بن عبد القاري: ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون -يريد آخر الليل- وكان الناس يقومون أوّله[٢]. ولا يتوهم متوهم أن التراويح من وضع عمر، ولا أنه أول من وضعها، بل كانت موضوعة من زمن النبي ﷺ ولكن عمر رضي الله عنه أول من جمع الناس على قارئ واحد فيها، فإنهم كانوا يصلون لأنفسهم فجمعهم على قارئ واحد[٣]، وأما دليل أصلها من هدى النبي ﷺ، فقد كان ﷺ يحث الناس على قيام شهر رمضان فقد قال: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»[٤]، وعن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة من جوف الليل، فصلَّى في المسجد، وصلَّى رجال بصلاته، فأصبح الناس يتحدثون، فاجتمع أكثر منهم، فصلوا معه، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله ﷺ فصلّى الناس بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فلمّا قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: أما بعد، فإنه لم يَخْفَ علي مكانكم، ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها، فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك[٥]، وأما قول عمر بن الخطاب: نعم البدعة هذه، فإنما سماها بدعة؛ لأنها بدعة في اللغة؛ إذ كل أمر فعل على غير مثال متقدم يسمى في اللغة بدعة[٦]، وما فعله الفاروق من جمع الناس على إمام في صلاة التراويح وتعميم ذلك في الولايات يدل على حبه وولعه بالنظام.

---

(١) أوزاع: جماعات، لا واحد له من لفظه.

(٢) البخاري رقم ٢٠١٠.

(٣) محض الصواب (١/٣٤٩).

(٤) البخاري، رقم ٢٠٠٩.

(٥) البخاري، رقم ٢٠١٢ .

(٦) الفتاوى (٣١/٢٣).

- الزكاة ، والحج، ورمضان:

اهتم الفاروق بالزكاة، ونظم هذه الفريضة، وأصبحت من ضمن مصادر دخل الدولة، وسنتحدث عن هذه الفريضة عند حديثنا عن المؤسسة المالية بإذن الله تعالى.

وأما الحج، فقد كان يحج بالناس خلال فترة خلافته، وقيل: حج عشر سنين، أي: فترة خلافته كلها ، وقيل: تسع سنين منها[١].

ومن واجبات الخليفة أو الولاة الذين ينوبون عنه في الولايات أمور منها:

- إشعار الناس بأوقات الحج والخروج إلى المشاعر.
- ترتيبهم للمناسك وفق الشرع.
- تقديره للمواقف بمقامه فيها.
- اتباعه في الأركان المشروعة.
- إمامتهم في الصلوات وإلقاؤه الخطب المشروعة[٢].

وكان ﷺ يحث الناس على الحج ويأمرهم بذلك حتى قال: لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده جَدَة -أي سعة- فلم يحج، فيضربوا عليهم الجزية[٣]. وكان ﷺ قد اجتهد بحيث يكون البيت معموراً في غير أشهر الحج، فقد كان الناس في عهد أبي بكر وعمر يقتصرون على العمرة في أشهر الحج، ويتركون سائر الأشهر، لا يعتمرون فيها من أمصارهم، فصار البيت يعرى من العمار من أهل الأمصار سائر الحول؛ فأمرهم عمر بن الخطاب بما هو أكمل لهم بأن يعتمروا في غير أشهر الحج؛ فيصير البيت مقصودًا معمورًا في أشهر الحج، وغير أشهر الحج، وهذا الذي اختاره لهم عمر هو الأفضل، حتى عند القائلين بأن التمتع أفضل من الإفراد والقِران كالإمام أحمد وغيره[٤]، وقد ثبت عنه بأنه: كان يتصدق كل عام بكسوة الكعبة ويقسمها بين الحجاج[٥].

---

(١) السلطة التنفيذية (١/ ٣٨٢).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٣٨٣).
(٣) فرائد الكلام ص١٧٣ .
(٤) الفتاوى (٢٦/ ١٤٦، ١٤٧).
(٥) الفتاوى (٣١/ ١٤).

وأما الصيام، فقد سار فيه على نهج رسول الله ﷺ، وقد ثبت عنه أنه أفطر في يوم غيم ثم طلعت الشمس فقال: عمر رضي الله عنه: الخطب يسير وقد اجتهدنا[١]. وعندما بلغ عمر أن رجلاً يصوم الدهر، أتاه فعلاه بالدرة وجعل يقول: كل يا دهري[٢]، فقد كان رضي الله عنه كثير التعبد والاجتهاد في الطاعات: فإنه كان من الصلاة إلى الغاية القصوى، والصوم أخذ منه غايته وخصوصًا في آخر عمره، والصدقة أكثر منها، وكان لما ولي الخلافة يحج كل عام، وغزا مع النبي ﷺ جميع المشاهد، وغزا بعده، وجميع ما وقع في خلافته من الغزوات والفتوحات فله أجره؛ لأنه سببه[٣]، وكان من أهل الذكر، فقد قال عنه: عليكم بذكر الله؛ فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء[٤]، وكان يقول: خذوا بحظكم من العزلة[٥].

٣- اهتمامه بالأسواق والتجارة:

حرص الفاروق على تفقد أحوال المتعاملين في السوق وحملهم على التعامل بالشرع الحنيف، وكان يولي غيره على أمر السوق، فقد ولى عمر السائب بن يزيد رضي الله عنه سوق المدينة، وعبد الله بن عتبة بن مسعود وغيرهم[٦]، ويلاحظ الباحث أن نظام الحسبة في الدولة الإسلامية نشأ طبقًا لقواعد الشريعة الإسلامية، وتطور مع تطور المجتمع الإسلامي حتى أصبح ولاية من ولايات الإسلام لها شروط يتعين توافرها في متوليها وشروط فيمن يحتسب عليه، وشروط في الأعمال التي يحتسب فيها[٧].

وقد ثبت أن الفاروق رضي الله عنه كان شديد العناية بالاحتساب في مجال السوق، فقد كان يطوف في الأسواق حاملاً درته معه، يؤدب بها من رآه مستحقًّا لذلك، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: رأيت على عمر رضي الله عنه إزارًا فيه أربع عشرة رقعة إن بعضها لأدم، وما عليه قميص ولا رداء، معتم، معه الدرة، يطوف في سوق المدينة[٨].

---

(١) الموطأ (١/٣٠٣) نقلاً عن الخلافة الراشدة ص ٣٣٠.
(٢) الفتح (٤/ ٢٦١).
(٣) محض الصواب (٢/ ٦٣٧).
(٤) تفسير القرطبي (١٦/ ٣٣٦)، محض الصواب (٢/ ٦٧٧).
(٥) الزهد، لوكيع (٢/ ٥١٧) إسناده صحيح.
(٦) السلطة التنفيذية (١/ ٤٠٨).
(٧) الرقابة المالية في الإسلام د. عوف الكفراوي ص٦٦ .
(٨) الطبقات الكبرى (٣/ ٣٣٠).

ونقل الحافظ الذهبي عن قتادة قوله: كان عمر ﷺ يلبس وهو خليفة جبة من صوف مرقوعًا بعضها بأدم، ويطوف في الأسواق على عاتقه درة يؤدب الناس بها[١]، ومن احتسابه في مجال السوق ما رواه الإمام مسلم عن مالك بن أوس بن الحدثان أنه قال: أقبلت أقول: من يصطرف الدراهم فقال: طلحة بن عبيد الله ﷺ وهو عند عمر بن الخطاب ﷺ: أرنا ذهبك ثم ائتنا إذا جاء خدمنا، نعطك ورقك[٢]؛ فقال: عمر بن الخطاب ﷺ: كلا، والله لتعطينه ورقه أو لتردن إليه ذهبه؛ فإن رسول الله ﷺ قال: الورق بالورق ربا إلاّ هاء وهاء[٣]، والذهب بالذهب ربا إلاّ هاء وهاء، والبر بالبر ربا إلا هاء وهاء، والشعير بالشعير ربا إلا هاء وهاء، والتمر بالتمر ربا إلا هاء وهاء»[٤]. ومن احتسابه في مجال السوق أيضًا أنه رأى رجلاً قد شاب اللبن بالماء للبيع فأراقه[٥]، وكان ﷺ يمنع الاحتكار في أسواق المسلمين، فقد سأل عمر حاطب بن أبي بلتعة: كيف تبيع يا حاطب؟ فقال: مدين، فقال: تبتاعون بأبوابنا وأفنيتنا وأسواقنا، تقطعون في رقابنا ثم تبيعون كيف شئتم، بع صاعًا -والصاع أربعة أمداد- وإلا فلا تبع في سوقنا، وإلا فسيروا في الأرض واجلبوا ثم بيعوا كيف شئتم[٦]. وخرج مرة إلى السوق فرأى ناسًا يحتكرون بفضل أذهابهم[٧]، فقال عمر: لا ونعمة عين، يأتينا الله بالرزق حتى إذا نزل في سوقنا قام أقوام فاحتكروا بفضل أذهابهم عن الأرملة والمسكين، حتى إذا خرج الجُلاّب باعوا على نحو ما يريدون من التحكم؟ ولكن أيما جالب جلب بجمل على عمود كتده في الشتاء والصيف حتى ينزل سوقنا فذلك ضيف عمر، فليبع كيف شاء وليمسك كيف شاء. وعن مسلم بن جندب قال: قدم المدينة طعام فخرج أهل السوق إليه فابتاعوه فقال: لهم عمر: أفي أسواقنا تتجرون؟ أشركوا الناس أو اخرجوا فاشتروا ثم ائتوا فبيعوا[٨]. وعمر ﷺ لا يقصر الاحتكار على أقوات الناس والبهائم، ولكنه يجعله

---

(١) تاريخ الإسلام، عهد الراشدين ص٢٦٨ .
(٢) الورق: المقصود به الفضة.
(٣) هاء وهاء: خذ هذا، ويقول صاحبه مثله.
(٤) مسلم رقم ١٥٨٦ .
(٥) الحسبة في الإسلام لابن تيمية ص٦٠، الحسبة د. فضل إلهي ص٢٤ .
(٦) موسوعة فقه عمر بن الخطاب، قلعجي ص٢٨ .
(٧) مفردها: ذهب، أي أموالهم.
(٨) موسوعة فقه عمر ص٢٨ .

عامًّا في كل ما يضر بالناس فقده، فقد روى مالك في الموطأ أن عمر بن الخطاب قال: لا حكرة في سوقنا، ولا يعمد رجال بأيديهم فضول أذهاب إلى رزق الله نزل بساحتنا فيحتكرون علينا، ولكن أيما جالب جلب على عمود كتدِه في الشتاء والصيف فذلك ضيف عمر، فليبع كيف شاء، وليمسك كيف شاء(١).

وتفيد النصوص التي ذكرت أن الغاية من الاحتكار هي التحكم في الأسعار؛ مما يؤثر على الفقير والأرملة واليتيم، وهذا واضح من قول عمر لحاطب بن أبي بلتعة -وكان يبيع مدين بدرهم- تبتاعون بأبوابنا وأفنيتنا وأسواقنا تقطعون في رقابنا، ثم تبيعون كيف شئتم!! بع صاعًا -والصاع أربعة أمداد- وقوله لأهل السوق الذين يحتكرون: يأتينا الله بالرزق، حتى إذا نزل بسوقنا قام أقوام فاحتكروا بفضل أذهابهم على الأرملة والمسكين، حتى إذا خرج الجلاّب باعوا على نحو ما يريدون من التحكم، فأنكر ذلك عليهم أشد إنكار(٢)، وكان ﷺ يتدخل لفرض السعر المناسب للسلع الضرورية عندما تدعو الحاجة إلى هذا التدخل؛ حمايةً للمستهلكين، وللتجار، فقد جاء رجل بزيت فوضعه في السوق وجعل يبيع بغير سعر الناس، فقال له: عمر: إما أن تبيع بسعر السوق وإما أن ترحل عن سوقنا ؛ فإنا لا نجبرك على سعر، فنحّاه عنهم(٣).

- إلزام التجار بمعرفة الحلال والحرام في البيوع:

كان الفاروق ﷺ يضرب بالدرة من يقعد في السوق وهو لا يعرف الأحكام، ويقول: لا يقعد في سوقنا من لا يعرف الربا(٤). وكان يطوف بالأسواق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول: لا يبيع في سوقنا إلا من تفقه، وإلا أكل الربا شاء أو أبى(٥). فكل شئون الحكم كانت محل اهتمام عمر لا يطغى جانب على جانب، فلا يختل الحال بين يدي الحاكم، إنه يقعّد للتجارة القواعد التي تصلح للأسواق، وتنظم التداول، وتضمن الثبات والاستقرار، فلا غبن ولا غش، ولا احتكار، ولا أسواق

(١، ٢) موسوعة فقه عمر ص٢٩.
(٣) تاريخ المدينة المنورة (٢/٧٤٩) موسوعة فقه عمر ص١٧٧.
(٤، ٥) نظام الحكومة الإسلامية للكتاني (٢/١٧).

سوداء أو زرقاء، ولا جهل بما يجوز وما لا يجوز في عالم التجارة، يصدر قرارًا موجزًا شاملاً يقضي على كل المفاسد ويضبط كل شيء: من لم يتفقه فلا يتجر في سوقنا[١].

وهذا يشبه صدور قانون من قوانين اليوم يقول مثلاً: لا يزاول العمل الفلاني من لم يكن حاصلاً على إجازة كذا وكذا في علم من العلوم[٢]، وتعنى دول اليوم بتنظيم الأسواق والإشراف عليها، وتقوم الغرف التجارية أو ما يقوم مقامها على ترشيد وإصلاح وضبط كل ما من شأنه ضبط الأسواق، وراحة الجمهور، وكان لعمر رضي الله عنه فضل السبق في ذلك، فلم يترك الأمر فوضى في الأسواق، ولكن أقام عليها مشرفين يراقبون وينظمون ويحافظون، فقد استعمل سليمان بن حثمة على الأسواق، كما كان السائب بن يزيد عاملاً له على سوق المدينة مع عبد الله بن عتبة بن مسعود، فهناك مشرف عام على الأسواق، ومشرفون على كل سوق على حدة يعملون تحت إمرته، ومن المقطوع بنفعه: أن العناية بالأسواق تنظيمًا وتيسيرًا، لها دخل كبير في إراحة الناس من كثير من العناء في الحصول على حاجاتهم، فإذا اهتم الحاكم بهذه الناحية الاهتمام الذي يستحقه كان له من الله الأجر، وأثبتت تصرفات عمر رضي الله عنه السليمة الصحيحة، العملية الدقيقة، أن الإسلام صالح لكل عصر وفي كل مكان في جميع أنحاء العالم، يدفع الأمم المتأخرة إلى التقدم، ويحفظ الأمم المتقدمة من التدهور والانهيار، لا يسد الطريق على من يريد التقدم أن يتقدم ولا يترك الغافل في سباته العميق[٣].

- أمره الناس بالسعي وحثهم على التكسب:

كان عمر رضي الله عنه يحث الناس على السعي وكسب لقمة العيش، فعن محمد بن سيرين عن أبيه قال: شهدت مع عمر بن الخطاب المغرب فأتى علي ومعي رزيمة[٤]، فقال: ما هذا الذي معك؟ فقلت رزيمة أقوم في هذا السوق، فأشتري وأبيع فقال: يا معشر قريش، لا يغلبنكم هذا وأشباهه على التجارة؛ فإنها ثلث الإمارة. وروي -

(١، ٢) شهيد المحراب ص٢٠٩ .
(٣) المصدر نفسه ص٢١٠ .
(٤) رزيمة: تصغير رزمة وهي الكارة من الثياب.

أيضًا - عن الحسن قال: قال عمر: من اتجر في شيء ثلاث مرات فلم يصب منه شيئًا، فليتحول إلى غيره[١]. وقال عمر: تعلموا المهنة فإنه يوشك أن يحتاج أحدكم إلى مهنة[٢]. وقال: لولا هذه البيوع صرتم عالة على الناس[٣]، وقال: مكسبة فيها بعض دناءة خير من مسألة الناس[٤]، وقال: إذا اشترى أحدكم جملاً فليشتره عظيمًا سمينًا، فإن أخطأه خيره لم يخطئه سوقه، وقال: يا معشر الفقراء، ارفعوا رءوسكم واتّجروا، فقد وضح الطريق، ولا تكونوا عيالاً على الناس[٥]، وقال: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة، وإن الله -تعالى- إنما يرزق الناس بعضهم من بعض، وتلا قول الله تعالى: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (الجمعة: ١٠)[٦]، وكان ﷺ إذا رأى غلامًا فأعجبه سأل: هل له حرفة؟ فإن قيل: لا، قال: سقط من عيني[٧]، وقال: ما جاءني أجلي في مكان ما عدا الجهاد في سبيل الله أحب إليَّ من أن يأتيني وأنا بين شعبتي رحلي، أطلب من فضل الله وتلا: ﴿**وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ**﴾ (المزمل: ٢٠)[٨].

- خشية عمر من ترك أعيان المسلمين للتجارة:

دخل عمر بن الخطاب ﷺ السوق في خلافته فلم ير فيه في الغالب إلا النبط؛ فاغتم لذلك، فلما أن اجتمع الناس أخبرهم بذلك وعذَلهم في ترك السوق، فقالوا: إن الله أغنانا عن السوق بما فتح به علينا، فقال ﷺ: والله، لئن فعلتم ليحتاج رجالكم إلى رجالهم ونساؤكم إلى نسائهم[٩]، فقد كان ﷺ ينظر بتوجس وخشية إلى تقاعس أعيان المسلمين -من غير المجاهدين- عن التجارة والسعي في طلب الرزق[١٠].

٤- الدوريات العمرية الليلية (العسس):

ومما لا شك فيه أن (العسس) كان نواة الشرطة، فقد ذكر بعض المؤرخين أن

(١-٥) نظام الحكومة النبوية (٢/ ٢٠).
(٦) فرائد الكلام ص١٢٩، تنبيه الغافلين ص٢١١ للسمرقندي.
(٧-٨) نظام الحكومة الإسلامية (٢/ ٢٠).
(٩) نظام الحكومة الإسلامية (٢/ ١٨).
(١٠) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص١٦١.

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، كان أميرًا على العسس في عهد أبي بكر، وأن عمر بن الخطاب تولى هو نفسه العسس وكان يستصحب معه أسلم مولاه، وربما استصحب عبد الرحمن بن عوف، والعسس هو الطواف بالليل لتتبع اللصوص وطلب أهل الفساد ومن يخشى شرهم، ومن الحق أن نعده الخطوة الأولى في تنظيم مؤسسة الشرطة؛ لأن المؤمنين كانوا يتولون حراسة أنفسهم ومنع المنكر من بينهم في النهار، حتى إذا ناموا تولى السهر عنهم رجال العسس، ثم لما تكاثر المفسدون وتظاهروا بالمنكر في وضح النهار، أحوج الأمر إلى من يترصدهم نهارًا أيضًا، فأنشئت الشرطة؛ فالشرطة إذن (عسس دائم) إذا صح هذا التعبير[١].

كان الفاروق رضي الله عنه يقوم بنفسه على حراسة المسلمين، وقد ساعده ذلك على الإلمام بواقع المجتمع الإسلامي، ففي مدينة رسول الله -وهي يومئذ عاصمة الدولة الإسلامية الكبرى وملتقى البشر ومقر الحكم- كان يسعى في دروبها ليلاً ليرى بنفسه ويسمع ما قد يتردد عماله في أن يحملوه إليه، أو يفوت عليهم أن يحملوه إليه، وكم وضع من القواعد وكم عدل من القواعد، التي وجد أن الواقع يفرض عليه وضعها، أو يفرض عليه تعديلها وإلغاءها! وإليك بعض الأمثلة الدالة على ما ذهبت إليه[٢]:

- النهي عن تعجيل فطام الصبيان:

عن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم المدينة رفقة من تجار فنزلوا المصلى، فقال: عمر لعبد الرحمن بن عوف: هل لك أن نحرسهم الليلة؟ قال: نعم، فباتا يحرسانها ويصليان فسمع عمر بكاء صبي، فتوجه نحوه فقال: لأمه: اتقي الله وأحسني إلى صبيك، ثم عاد إلى مكانه، فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبي، فأتى أمه فقال: لها: ويحك إنك أم سوء ما لي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء؟ فقالت: يا عبد الله، إني أشغله عن الطعام فيأبى ذلك، قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم -وكان عمر قد فرض لكل مفطوم رزقًا أو عطاء- قال: وكم عمر ابنك هذا؟ قالت كذا وكذا شهرًا، فقال: ويحك، لا تعجليه عن الفطام، فلما صلى

(١) عبقرية الإسلام في أصول الحكم ص٣٢٢ .

(٢) فن الحكم ص٢٦٤.

الصبح وهو لا يستبين للناس قراءته من البكاء، قال: بؤسًا لعمر، كم قتل من أولاد المسلمين! ثم أمر مناديه فنادى، لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام؛ فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق[1]. ما أجملها من حادثة وما أعظمها من عدالة، وبذلك أصبح كل مولود مسجلاً في ديوان العطاء ويفرض له من بيت مال المسلمين؛ لأن بيت المال حق لكل مسلم، ولأن المسئول عنه إنما هو أمين وقائم عليه لا يجوز له أن يصرف منه شيئًا في غير محله ولا أن يمنع منه حقًّا وجب فيه.

- **تحديد مدة غياب الجنود عن زوجاتهم:**

ومن ثمار عسس عمر رضي الله عنه أنه خرج ذات ليلة يطوف في المدينة، فسمع امرأة تقول في ضيق شديد:

تطاول هذا الليل تسري كواكبه	وأرقني[2] أنْ لا ضجيع ألاعِبُه
ألاعبه طوراً وطوراً كأنما	بدا قمراً في ظلمة الليل حاجبه
يُسَرُّ بِهِ من كان يلهو بقربه	لطيف الحشا لا تجتويه[3] أقاربه
فوالله لولا الله لا شيء غيره	لحُرِّك من هذا السرير جوانبه
ولكنني أخشى رقيبًا موكلاً	بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه[4]

فقال عمر: يرحمك الله- ثم أرسل إليها بكسوة ونفقة، وكتب في أن يقدم عليها زوجها[5]، وجاء في رواية: ثم خرج فضرب الباب على حفصة ابنته رضي الله عنها فقالت: يا أمير المؤمنين، ما جاء بك في هذه الساعة؟ فقال: أيّ بنية، كم صبر المرأة عن زوجها؟ قالت: تصبر الشهر والشهرين والثلاثة وفي أربعة ينفد الصبر، فكتب عمر ألا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر[6]. فهذه سياسة عمر في تحديد مدة غياب الجندي عن زوجته، ولم يخالف عمر رضي الله عنه في ذلك مخالف[7]، وأما الجنود الذين

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٤٠).
(٢) الأرق: السهر.
(٣) اجتواه: كرهه.
(٤) محض الصواب (١/ ٣٨٨) سنده فيه انقطاع.
(٥) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص٨٩.
(٦) المصدر نفسه ص٨٩، أوليات الفاروق ص٢٨٩ .
(٧) أوليات الفاروق ص٢٨٩.

لم يلتزموا بالمدة، فقد وضع لهم الفاروق نظامًا قبل تحديد مدة الغياب، فبعد أن عرف عدد الغائبين غيبة طويلة والذين لم ينفقوا على زوجاتهم في غيابهم، لما عرف بأسمائهم كتب إلى أمراء الجيوش أن يطلبوا هؤلاء ويعرضوا عليهم الآتي: إما أن يرجعوا إلى نسائهم، وإما أن يبعثوا إليهن بنفقة كافية، وإما أن يطلقوا، وإذا طلقوا ألزموا ببعث نفقة ما مضى[١].

- حماية أعراض المجاهدين:

ومن ثمار تفقده لأحوال الرعية بالليل حماية أعراض المجاهدين، فقد خرج ذات ليلة يطوف في المدينة فسمع شعرًا فيه ريبة، امرأة في جوف الليل تتمنى الوصول إلى شربة خمر، أو القرب من شاب جميل طالما تمنته، سواء أكان التمني حقًّا أم كان تغزلاً فقط دون قصد شيء، فظاهر ما قالت الريبة، فقد تغنت بالبيت التالي:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

سمع هذا عمر فأصبح وطلب نصر بن حجاج، وإذا هو أصبح الناس وجهًا وأحسنهم شَعْرًا، فأمره بحلق شعره، فازداد جمالاً، فأمره بالعمامة، فازداد جمالاً، فنفاه إلى البصرة[٢]؛ خشية افتتان النساء به، وسدًّا للذريعة، ومحافظة على أعراض الجنود المرابطين في سبيل الله، وهذا الفعل من عمر يعطي لنا بعدًا في سياسته العامة وحكمته في تقديم المصلحة العامة، ففي جمال نصر وولوعه بنفسه وغياب الجنود عن نسائهم وتوفر الراحة والأمن في المدينة، ذريعة إلى الوقوع في الفتنة؛ فأولى بهذا الشاب المتدلل أن ينتقل إلى مدينة عسكرية عله يكتسب خبرة في القتال، أو يستفيد مما يراه من بطولات وهمم الرجال، والبصرة -المدينة العسكرية آنذاك- أضمن لعلاج مثل هذا الشاب[٣].

وخشيت المرأة التي سمع منها عمر، أن يبدر إليها بشيء، فدست إليه أبياتًا تقول فيها:

---

(١) أوليات الفاروق ص١٧٠ . (٢) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص٩١ . (٣) أوليات الفاروق ص٨٢.

قل للإمـام الذي تخشى بـــوادره ... ما لي وللخمر أو نصر بن حجاج

إني عنيت أبا حفـص بغيـــرهما ... شـربِ الحليب وطرف فاتر ساجي

إن الهوى زمّه التقـــوى فقيــــده ... حتى أقـــرّ بإلجــام وإســـــراج

لا تجعـــــل الظـن حقًّا لا تُبينـه ... إن السبيل سبيـــل الخائف الراجي

فبعث إليها عمر ﷺ: قـد بلغني عنك خير، إني لم أخرجه من أجلك، ولكن بلغني أنه يدخل على النساء فلست آمنـهن، وبكى عمر وقال: الحمـد لله الذي قيد الهوى، وقـد أقر بإلجـام وإسراج[1]، ثم إن عمـر كتب إلى عاملـه بالبصرة كـتابًا، فمكث الرسول عنده أيامًا ثم نادى مناديه: ألا إن بريد المسلمين يريد أن يخرج، فمن كانت له حاجة فليكتب، فكتب نصر بن حـجاج كتابًا، ودسه في الكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين، سلام الله عليك، أما بعد:

لعمـــري لئن سيرتني أو فضحتني ... وما نلتـه مني عليـــك حــــرام

فأصبحـــت منفيًّا على غيــر ريبة ... وقد كـــان لي بالمكّتين مقــــام

أإن غنت الزلفـــاء يومـًا بمنيــة ... وبعض أمـــاني النســـاء غـــرام

ظننت بي الظــن الذي ليس بعده ... بقاء فمـا لي في النـــدي كـــلام

ويمنعني ممـــا تظـــن تكـــرمي ... وآباء صــــدق سالفـــون كرام

ويمنعها ممـــا تظـــن صــــلاتها ... وحـــال لهـا في قومهـــا وصيام

فهذان حالانا فهــــل أنت راجعي ... فقـــد جَبَّ مني كاهــل وسنـام

إمام الهدى لا تبتَلِ الطـرد مسلمًا ... له حرمـــة معــروفـة وزمـــام

فقـال عمـر: أما ولي سلطان فـلا. فمـا رجع إلى المدينة إلا بعـد وفاة عـمر، رضوان الله عليه[2].

(١) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص٩٢.
(٢) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص٩٢، ٩٣.

ووقعت قصة أخرى شبيهة بهذه واجـهها الفاروق في طوافه بالليل أيضًا، فبينما هو ذات ليلة يطوف في المدينة إذ سـمع نساء يتـحدثن ويتسـاءلن: أي فتـيان المدينة أصبح وجهًـا؟ فقالت إحداهن: أبو ذؤيب، فطلبه عـمر، وإذا هو من أجمل الناس فقال له: أما إنك لذئبهن؛ اذهب فلن تساكنني أبدًا، فقال: الفتى: أما إن كنت فاعلاً فألحقني بابن عمي نصر بن الحجاج، وكان الاثنان من بني سليم فألحقه بابن عمه[1].

وهذا الفعل العـمري يفرضه واقع الأمة، وينسـجم مع شخصيـة الفاروق القوية التي تستوعب طاقـات الأفراد المتنوعة، وعهد الفاروق عـهد تعبئة وتحشيـد للجيوش وإرسالها للقتال في سبيل الله لكل القـادرين عليه، فكيف يسمع عمر بهذين الشابين في المدينة وليس هناك ما يمنعهما من القتال؛ فإخراجهما من المدينة أولى من تصنيف الشعر ومجالسة النساء[2].

- أأنت تحمل عني وزري يوم القيامة:

عن أسلم مولى عمر ﷺ قال: خرج عمر إلى حرة واقم[3] وأنا معه، حتى إذا كنا بصرار[4]، إذا نار تُؤرَّث -أي تشعل- قال: يا أسلم إني أرى هاهنا ركـبانًا قصر بهم الليل والبـرد، انطلق بنا، فخـرجنا نهرول حـتى دنونا منهم، فإذا بامـرأة معـها صبيان، وقدر منصـوبة على نار، وصبيانها يتضاغون (أي يتصايحـون) فقال: عمر: السلام عليكم يا أهـل الضوء، وكره أن يقـول: يا أصحاب النار، فـقالت: وعليكم السلام، فقال: أأدنو؟ فقالت: ادْنُ بخيـر أو دع، فدنا منها فقال: ما بالكم؟ قالت: قصر بنا الليل والـبرد، قال: وما بال هؤلاء الصبـية يتضاغون؟ قـالت الجوع، قال: وأي شيء في هذا القدر؟ قالت: ماء أسكتهم به حـتى يناموا، والله بيننا وبين عمر، فقـال: أي رحمك الله، وما يـدري عمر بكم؟ قـالت: يتولى أمرنا ثـم يغفل عنا، فأقبل عليّ، فقـال: انطلق بنا، فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقـيق، فأخرج عِدلاً من دقيـق، وكبة شـحم، وقال: احـمله علي، قلت: أنا أحمله عنـك، قال: أأنت

---

(١) الشيخان من رواية البلاذري ص٢١١، ٢١٢ .

(٢) أوليات الفاروق ص٨٣.

(٣) الحرة: أرض حجارتها سود بركانية والمدينة بين حرتين.

(٤) على ثلاثة أميال من المدينة.

تحمل وزري يوم القيامة، لا أمّ لك؟! فحملته عليه، فانطلق وانطلقت معه إليها نهرول، فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئًا، فجعل يقول لها: ذُرّي عليّ أنا أحُرُّ لك[(١)]، وجعل ينفخ تحت القدر فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ لهم، ثم أنزلها، وقال: ابغيني شيئًا، فأتته بصحفة فأفرغها فيها، فجعل يقول لها: أطعميهم وأنا أسطح لهم -أي أبسطه حتى يبرد- فلم يزل حتى شبعوا وترك عندها فضل ذلك وقام وقمت معه، فجعلت تقول: جزاك الله خيرًا، كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين فيقول: قولي خيرًا، إذا جئت أمير المؤمنين، وجدتني هناك إن شاء الله! ثم تنحى ناحية عنها، ثم استقبلها فربض مربضًا، فقلت له: لك شأن غير هذا؟ فلا يكلمني، حتى رأيت الصبية يصطرعون ثم ناموا، وهدءوا، فقام يحمد الله، ثم أقبل عليّ فقال: يا أسلم، إن الجوع أسهرهم وأبكاهم؛ فأحببت ألا أنصرف حتى أرى ما رأيت[(٢)].

وهذا حافظ إبراهيم يصور لنا هذا المشهد العظيم:

ومن رآه أمام القدر منبطحًا[(٣)]	والنار تأخذ منه وهو يُذكيها[(٤)]
وقد تخلل في أثناء لحيته	منها الدخان وفوه[(٥)] غاب في فيها
رأى هناك أمير المؤمنين على	حال تروع -لعمر الله- رائيها
يستقبل النار خوف النار في غده	والعين من خشية الله سالت مآقيها[(٦)]

- يا أمير المؤمنين، بشر صاحبك بغلام:

بينما عمر يعس ذات ليلة، إذ مر برحبة من رحاب المدينة فإذا هو ببيت شَعر لم

---

(١) أتخذ لك حريرة وهي حساء من دقيق ودسم.
(٢) الكامل في التاريخ (٢/ ٢١٤)، الطبري (٥/ ٢٠٠).
(٣) انبطح: نام على وجهه ممتد على الأرض.
(٤) أذكى النار: أي أوقدها.
(٥) فوه غاب في فيها: أي فمه غاب في فم النار وهو ينفخها.
(٦) المآقي: جمع ماق ومـوق، وهو طرف العين مما يلي الأنف، وهو مجرى الدمع، العشرة المبشرون بالجنة، العفيفي ص١٧٣.

يكن بالأمس، فدنا منه فسمع أنين امرأة، ورأى رجلاً قاعدًا، فدنا منه فسلم عليه، ثم قال: من أنت؟ قال: رجل من أهل البادية جئت إلى أمير المؤمنين أصيب من فضله، قال: ما هذا الصوت الذي أسمعه في البيت؟ قال: رحمك الله لحاجتك، قال: على ذاك ما هو؟ قال: امرأة تمخض، قال: هل عندها أحد، قال: لا، فانطلق حتى أتى منزله، فقال: لامرأته أم كلثوم بنت علي: هل لك في أجر ساقه الله إليك؟ قالت: وما هو؟ قال: امرأة غريبة تمخض ليس عندها أحد، قالت: نعم، إن شئت، قال: فخذي معك ما يصلح المرأة لولادتها من الخرق والدهن، وجيئي ببُرمة (أي قدر) وشحم وحبوب، فجاءت به، فقال: انطلقي، وحمل البرمة ومشت خلفه حتى انتهى إلى البيت فقال: لها: ادخلي إلى المرأة، وجاء حتى قعد إلى الرجل فقال له: أوقد لي نارًا، ففعل، فأوقد تحت البرمة حتى أنضجها، وولدت المرأة فقالت امرأته: يا أمير المؤمنين، بشر صاحبك بغلام، فلما سمع الأعرابي بـ «أمير المؤمنين»؛ كأنه هابه، فجعل يتنحى عنه، فقال له: مكانك كما أنت فحمل البرمة فوضعها على الباب ثم قال: أشبعيها، ففعلت ثم أخرجت البرمة فوضعتها على الباب، فقام عمر فأخذها فوضعها بين يدي الرجل وقال: كل ويحك؛ فإنك قد سهرت من الليل، وقال لامرأته: اخرجي، وقال للرجل: إذا كان غدًا فأتنا نأمر لك بما يصلحك، فلما أصبح أتاه ففرض لابنه في الذرية وأعطاه[1].

- والله ما كنت لأطيعه في الملا وأعصيه في الخلا:

عن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما أنا مع عمر بن الخطاب، وهو يعس بالمدينة إذ عيي؛ فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل، وإذا امرأة تقول لابنتها: يا بنتاه، قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه[2] بالماء، قالت: يا أماه، أو ما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين؟ قالت: وما كان عزمته؟ قالت: إنه أمر مناديه فنادى: لا يشاب اللبن بالماء، فقالت لها: يا بنية، قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء؛ فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادي عمر: فقالت الصبية: والله ما كنت لأطيعه في الملا

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٤٠).

(٢) المذيق: كأمير: اللبن المزوج بالماء.

وأعصيه في الخلا. وعمر يسمع كل ذلك، فقال: يا أسلم، علّم الباب واعرف الموضع، ثم مضى في عسسه، فلما أصبح قال: يا أسلم، امض إلى الموضع فانظر من القائلة ومن المقول لها، وهل لهم من بعل؟ فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية أيم لا بعل لها، وإذا تيك أمها وإذا ليس لها رجل، فأتيت عمر فأخبرته، فدعى ولده فجمعهم فقال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة فأزوجه؟ ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه الجارية، فقال:عبد الله: لي زوجة، وقال عبد الرحمن: لي زوجة، وقال عاصم: يا أبتاه، لا زوجة لي فزوجني، فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم فولدت له بنتا، وولدت البنت بنتًا، وولدت البنت عمر بن العزيز، رحمه الله تعالى[١].

قال ابن عبد الهادي: قال بعضهم: هكذا وقع في رواية، وهو غلط، وإنما الصواب: فولدت لعاصم بنتًا، وولدت البنت عمر بن عبد العزيز رحمه الله[٢].

وهكذا كان عمر رضي الله عنه يتفقد الرعية بنفسه، ويعس في الليالي ويقوم بواجبه نحو رعيته محتسبًا عند الله -تعالى- أجره، ولم يكن رضي الله عنه في حرصه على الإلمام بواقع دولته يقتصر على العاصمة وحدها، بل كان يمتد إلى جميع أرجاء الدولة الإسلامية، كما سنرى في الصفحات القادمة، بإذن الله تعالى.

٥- رأفته ورحمته بالبهائم:

كانت رأفة الفاروق بالبهائم صادرة عن إيمان ملؤه الرفق والرحمة والإحسان إلى كل شيء، فقد لان قلبه بذكر الله؛ فأصبح يشفق على خلق الله، وقد فهم من الإسلام بأنه في كل ذات كبد رطبة أجر، وأنه لا يجوز شرعًا إساءة استعمال الحيوان ولا إزهاقه ولا تسخيره في غير ما خلق له ولا تحميله فوق طاقته[٣]، وقد أعلن رضي الله عنه بأنه مسئول عن بغلة تعثر في العراق لم يسو لها الطريق، وهذه بعض الصفحات العمرية التي سجلت بماء الذهب في ذاكرة التاريخ الإنساني:

---

(١) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص٨٩، ٩٠ .

(٢) محض الصواب (١/ ٣٩١).

(٣) شهيد المحراب ص٢٢٦.

- أتحمل على بعيرك ما لا يطيق:

عن المسيب بن دارم قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب جمّالاً ويقول: حمّلت جملك ما لا يطيق[١].

- أما علمتم أن لها عليكم حقًّا:

قال الأحنف بن قيس: وفدنا إلى عمر بفتح عظيم، فقال: أين نزلتم؟ فقلت: في مكان كذا وكذا، فقام معي حتى انتهينا إلى مناخ ركائبنا، فجعل يتخللها ببصره ويقول: ألا اتقيتم الله في ركائبكم هذه؟ أما علمتم أن لها عليكم حقًّا؟ ألا خليتم عنها فأكلت من نبت الأرض[٢]؟

- يداوي إبل الصدقة:

قدم على عمر وفد من العراق فيهم الأحنف بن قيس، في يوم صائف شديد الحر، وعمر معتجر (متعمّم) بعباءة يهنأ بعيرًا من إبل الصدقة -يطليه بالقطران- فقال: يا أحنف، ضع ثيابك وهلمّ فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير؛ فإنه من إبل الصدقة، فيه حق اليتيم والأرملة والمسكين، فقال: رجل من القوم: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين، فهلا تأمر عبدًا من عبيد الصدقة فيكفيك؟ فقال: عمر: وأي عبد هو أعبد مني ومن الأحنف؟ إنه من ولي أمر المسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيّده في النصيحة وأداء الأمانة[٣].

- عذبت بهيمة من البهائم في شهوة عمر:

اشتهى الفاروق سمكًا طريًّا، فأخذ يَرْفَأ -مولاه- راحلة فسار ليلتين مقبلاً وليلتين مدبرًا، واشترى مكتلاً فجاء به، وقام يرفأ إلى الراحلة يغسلها من العرق، فنظرها عمر فقال: عذّبت بهيمة من البهائم في شهوة عمر، والله لا يذوق عمر ذلك[٤].

---

(١) محض الصواب (٢/ ٤٦٩).

(٢) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ (٢/ ٦٠٥).

(٣) أخبار عمر ص٣٤٣ نقلاً عن ابن الجوزي.

(٤) الرياض النضرة ص٤٠٨.

- إني لخائف أن أسأل عنك :

رأى عمر جملاً تبدو عليه مظاهـر الإعياء والمرض، فتقدم من الجمل ووضع يده في دبر الجمل يفحصه وهو يقول: إني لخائف أن أسأل عنك[١].

هذه بعض المواقف العمرية التي تدل على رأفة ورحـمة الفاروق بالبـهائم، ألا ليت الشباب الحائر يطالع تاريخه ويلم بإسلامه؛ ليعرف أنه ما من قاعدة إنسانية تنفع المجتمع البشـري إلا ولها في الإسلام تقعيد وتنظيم؛ حـتى لا ينبهروا بالغرب الذي يباهي بإنشاء جمعيات الرفق بالحيـوان، على أنها مظهر من مظاهر إنسانيته الفاضلة، وحتى لا يقلده شـبابنا ظنا منهم أنهم أصحـابها، وليدركـوا أننا أساتذتهم في الرفق بالحيوان[٢]، وفي كل شيء نافع.

إن مراقبة الله سر الهدى، ومنار الخير، ولب العبادة حتى الجمل المريض يخشى فيه عمر ربه أن يسأله عنه، هذا هو كنـه الإسلام، رقابة وخشية تسكن القلب، وهل ينجح حاكم بغير هذا كي ينجو من حساب الله، وقد ولاه أمر عباده؟![٣].

٦- زلزلة الأرض في عهد الفاروق:

تزلزلت الأرض بالناس على عهد عمر بن الخطاب ﷺ، فقال: أيها الناس، ما كانت هذه الزلزلة إلا على شيء أحدثتموه، والذي نفسي بيده لئن عادت لا أُساكنكم فيها أبدًا[٤].

❊ ■ ❊

---

(١) الطبقات (٣/ ٢١٥).
(٢) شهيد المحراب ص٢٨٨.
(٣) المصدر نفسه ص٢٢٩
(٤) فرائد الكلام ص١٤٠ نقلاً عن الداء والدواء لابن القيم ص٥٣.

المبحث الرابع
اهتمام الفاروق بالعلم والدعاة والعلماء

أولاً: اهتمام الفاروق بالعلم:

العلم من أهم مقومات التمكين للأمة الإسلامية؛ لأن من المستحيل أن يمكن الله تعالى لأمة جاهلة، متخلفة عن ركاب العلم، وإن الناظر إلى القرآن الكريم ليتراءى له في وضوح أنه زاخر بالآيات التي ترفع من شأن العلم، وتحث على طلبه وتحصيله، وإن أول آية من كتاب الله تعالى تأمر بالعلم والقراءة: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ (العلق:١)، وكذلك يجعل القرآن الكريم العلم مقابلاً للكفر الذي هو جهل وضلال، قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُو الأَلْبَابِ**﴾ (الزمر:٩).

وإن الشيء الوحيد الذي أمر الله -تعالى- رسوله ﷺ أن يطلب منه الزيادة فيه هو العلم[١]، قال تعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ (طه:١١٤) وقد فهم الصحابة الكرام أن العلم والفقه في الدين من أسباب جلب النصر والعون والتأييد الإلهي، لذلك حرصوا على التفقه في الدين وتعلم كتاب الله وسنة رسوله وكان طلبهم للعلم لله - سبحانه وتعالى - وحرصوا على معرفة الدليل في الأحكام، وأيقنوا بأنه لابد في العلم من العمل، وإلا نزع الله منه البركة، فقد تعلم الصحابة من رسول الله ﷺ دعاءه: (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها)[٢]، وقد شهدت الأمة للفاروق رضي الله عنه بغزارة العلم وبأنه فقيه من فقهاء الأمة في الصدر الأول بلا منازع، فقد عُرِفَ بعمق الفهم، والقدرة على التحليل، والبراعة في الاستنباط والاستنتاج، وهذا ما أهله - بعد توفيق الله تعالى- لتلك المكانة المرموقة، ولقد أصبح عمر فقيه المسلمين بعد أن آلت إليه الخلافة، فأرسى باجتهاداته قواعد العدالة كما فهمها من جوهر الإسلام

---

(١) التمكين للأمة الإسلامية ص٦٢ .

(٢) مسلم رقم ٢٧٢٢ .

وحقيقته، وقد كان رضي الله عنه في مقدمة الفقهاء من الصحابة، وقد أشاد السلف الصالح بعلمه ودرايته، ومعرفته الدقيقة بالأحكام الشرعية، وكان رضي الله عنه يحتاط في أخذ الحديث ويهتم بمذاكرة الصحابة في العلم، ويسأل الصحابة عن المسائل التي لم يتعلمها من رسول الله، وله أقوال في الحث على طلب العلم، وتتبع رعيته بالتوجيه والتعلم، وجعل من المدينة دارًا للفقه والفتوى وأصبحت مدرسة يتخرج منها الولاة والقضاة، وأعد مجموعة خيرة من الصحابة الكرام قادوا المؤسسات العلمية (المساجد) في حركة الفتوح فقاموا بتربية وتعليم الشعوب المفتوحة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ووضع النواة الأولى في تأسيس المدارس العلمية التي أثرت في الشعوب الإسلامية كمدرسة البصرة، والكوفة، والشام، وطوّر المدرسة المدنية والمكية.

● احتياطه في أخذ الحديث ومذاكرته للعلم وسؤاله عمَّا يجهل:

- احتياطه في أخذ الحديث وطلبه للتثبت:

استأذن أبو موسى الأشعري في الدخول على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يؤذن له -وكأنه كان مشغولاً- فرجع أبو موسى، ففرغ عمر فقال: ألم أسمع صوت عبد الله ابن قيس؟ ائذنوا له، قيل: قد رجع، فدعاه فقال: كنا نؤمر بذلك، فقال: تأتيني على ذلك بالبينة، فانطلق إلى مجالس الأنصار فسألهم، فقالوا: لا يشهد لك على هذا إلا أصغرنا. فقام أبو سعيد فقال: كنا نؤمر بهذا. فقال عمر: خَفِيَ عليّ هذا من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم !! ألهاني الصفق بالأسواق، يعني الخروج إلى التجارة[1]، وجاء في رواية أبي سعيد الخدري قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال: استأذنت على عمر ثلاثًا فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثًا فلم يؤذن لي فرجعت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع)، فقال: والله لتقيمن عليه بينة، أمنكم أحد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك[2].

(١، ٢) مسلم رقم ٢١٥٣.

- مذاكرة عمر للعلم وسؤاله عمًّا يجهل:

عن أبي هريرة ﷺ قال: أتي عمر بامرأة تَشِمُ، فقام فقال: أنشدكم بالله من سمع من النبي ﷺ في الوشم؟ فقال أبو هريرة: فقمت فقلت: يا أمير المؤمنين أنا سمعت، قال: ما سمعت؟ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (لا تشمن ولا تستوشمن)[1]، وعن المغيرة بن شعبة عن عمر ﷺ أنه قال: استشارهم في إملاص المرأة، فقال المغيرة: قضى النبي ﷺ بالغرة عبد أو أمة قال: ائت من يشهد معك فشهد محمد بن مسلمة أنه شهد النبي ﷺ قضى به[2]، وعن عمر ﷺ أنه سئل عن الرجل يجنب في السفر فلا يجد الماء؟ فقال: لا يصلي حتى يجد الماء، فقال له عمار: يا أمير المؤمنين، أما تذكر إذ كنت أنا وأنت في الإبل فأجنبنا، فأما أنا فتمرغت كما تمرغ الدابة، وأما أنت فلم تصل، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: إنما يكفيك هذا[3]، وضرب بيديه الأرض فمسح بهما وجهه وكفيه، فقال له عمر ﷺ: اتق الله يا عمار، فقال: إن شئت لم أحدث به، فقال: بل نوليك من ذلك ما توليت، فهذه سنة شهدها عمر ثم نسيها حتى أفتى بخلافها، وذكره عمار فلم يذكر، وهو لم يكذب عمارًا بل أمره أن يُحدث به[4].

● من أقواله في الحث على العلم:

قال ﷺ: إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة، فإذا سمع العلم خاف ورجع وتاب، فانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب، فلا تفارقوا مجالس العلماء[5].

وقال ﷺ: لا يكون الرجل عالمًا حتى لا يحسد من فوقه، ولا يحقر من دونه، ولا يأخذ على عمله أجرًا. وقال ﷺ: تفقهوا قبل أن تسوَّدوا- أي تصيروا سادة قومكم- فتمنعكم الأنفة من التعلم، فتعيشوا جهالاً[6].

---

(١) البخاري رقم ٥٩٤٦. (٢) البخاري رقم ٦٩٠٦. (٣) النسائي في الطهارة (٣١٧).
(٤) الفتاوى (٢٠/ ١٣٥). (٥) مفتاح دار السعادة (١/ ١٢٢)، فرائد الكلام ص١٣٥.
(٦) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص٦٠، فرائد الكلام ١٦٣.

وقال رضي الله عنه: العلم إن لم ينفعك لن يضرك[١].

وقال رضي الله عنه: موت ألف عابد أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه[٢].

وقال رضي الله عنه: كونوا أوعية الكتاب، وينابيع العلم، وسلوا الله رزق يوم بيوم، ولا يضركم ألا يُكثر لكم[٣].

وقال رضي الله عنه: تعلموا العلم وعلّموه الناس، وتعلموا الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن تعلمتم منه العلم وتواضعوا لمن علمتموه العلم، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم[٤].

وحذر رضي الله عنه من زلة العالم فقال: يهدم الإسلام زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون[٥].

٢- تتبعه للرعية بالتوجيه والتعليم في المدينة:

كان الفاروق يتعهد الرعية بالتوجيه والتعليم والتربية من خلال الاحتكاك اليومي وخصوصًا يوم الجمعة، حيث كانت خطبة الجمعة من المنابر المهمة في توجيه الأمة وترشيدها، وقد حفظ التاريخ للفاروق كثيرًا من خطبه، وهذه إشارات عابرة لبعض خطبه:

خطب عمر على منبر رسول الله ﷺ فقال: إنه قد نزل تحريم الخمر وهي خمسة أشياء: العنب، والتمر، والحنطة، والشعير، والعسل، والخمر ما خامر العقل، وثلاث وددت أن رسول الله ﷺ لم يفارقنا حتى يعهد إلينا عهدًا: الجد، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا[٦].

وخطب يوم الجمعة في نصح الرعية وبيان حقها عليه فقال: أيها الناس إن بعض الطمع فقر، وإن بعض اليأس غنى، وإنكم تجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما

(١) الزهد للإمام أحمد ص١٧٤، فرائد الكلام ص١٦٨.
(٢) فرائد الكلام ص١٥٧، مفتاح دار السعادة (١/ ١٢١).
(٣) فرائد الكلام ص١٥٩، البيان والتبيين للجاحظ (٢/ ٣٠٣).
(٤) أخبار عمر ص٢٦٣، محض الصواب (٢/ ٦٨٦).
(٥) محض الصواب (٢/ ٧١٧).
(٦) الخلافة الراشدة ص٣٠٠ د. يحيى اليحيى.

لا تدركون، وأنتم مؤجّلون في دار غرور، كنتم على عهد رسول الله ﷺ تؤخذون بالوحي، فمن أسرَّ شيئًا أخذ بسريرته، ومن أعلن شيئًا أخذ بعلانيته، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر، فإنه من أظهر لنا شيئًا وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حُسنًا، واعلموا أن بعض الشحِّ شعبة من النفاق، فأنفقوا خيرًا لأنفسكم **﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**، أيها الناس أطيبوا مثواكم، وأصلحوا أموركم، واتقوا الله ربكم، ولا تلبسوا نساءكم القُباطي فإنه إن لم يشفَّ فإنه يصف، أيها الناس إني لوددت أن أنجو كفافًا لا لي ولا عليّ، وإني لأرجو إن عُمِّرت فيكم يسيرًا أو كثيرًا أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله، وألا يبقى أحد من المسلمين -وإن كان في بيته- إلا أتاه حقه ونصيبه من مال الله، ولا يُعمل إليه نفسه ولم ينصب إليه يومًا، وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله، ولقليل في رفق خير من كثير في عنف، والقتل حتف من الحتوف يصيب البر والفاجر، والشهيد من احتسب نفسه، وإذا أراد أحدكم بعيرًا فليعمد إلى الطويل العظيم فليضربه بعصاه، فإن وجده حديد الفؤاد فليشتره[١].

- **حكم عظيمة من الخطبة :**

لقد استفتح عمر رضي الله عنه خطبته بحكم عظيمة، بين فيها أن الغنى الحقيقي يكون بالقناعة، وأن الفقر الحقيقي يكون بالطمع، فأصل القناعة الإياس مما في أيدي الناس، فمن أيس مما عند غيره قنع بما عنده، ومن قنع بما عنده استغنى وإن كان فقيرًا، ومن أخذ به الطمع واستشرف لما في أيدي الناس افتقر في نفسه وإن كان غنيًّا في ماله، فإن ماله لا يغنيه؛ لأن الغنى غنى النفس، والعقل السليم يقتضي ألا يجمع الإنسان من الدنيا أكثر مما يحتاج إليه، وألا تكون آماله الدنيوية معلقة بما لا يملك، وأن ينظر إلى الدنيا على أنها دار زوال، وأن لا يغتر بما فيها من جواذب ومغريات[٢].

---

(١) فرائد الكلام ص١٩٠ نقلاً عن تاريخ الطبري.

(٢) التاريخ الإسلامي (٢٠/٢٦٦).

- أخذ الناس بظاهرهم وترك سرائرهم:

وفي هذه الخطبة تقرير لما استقر عليه الأمر بعد انقطاع الوحي من أخذ الناس بظاهرهم وترك سرائرهم إلى الله تعالى، وفيه إشارة إلى أن الوالي ليس مسئولاً عن الحكم على سرائر القلوب، ولن يستطيع ذلك، ولكنه مسئول عن صلاح ظواهر الناس، ومن صلاح الظاهر يتكون المجتمع الصالح، فإنه يحكم للمجتمع بذلك إذا صلح ظاهره ولم تُعْلن فيه الفواحش ولم يبرز فيه من يجاهر بالفسوق أو يدافع عنه، وإن كان فيه أفراد قد ساءت بواطنهم؛ لأن العرف الاجتماعي -والحال هذه- يكون سائرًا مع ما أعلن من الصلاح ومكارم الأخلاق، أما ما خفي من الانحراف فإن العرف الإسلامي يرفضه فيضطر أصحابه إلى التستر والانزواء.

- بعض الشح شعبة من النفاق:

وقوله ﷺ: واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق، واضح في الذين يتقاعسون عن الإنفاق في سبيل الله تعالى، وهم يرون دُولاً وطوائف من أمتهم يعتدي عليهم الكفار وتنتهك أعراضهم وتنتهب بلادهم، فينهض هؤلاء المعتدى عليهم للجهاد، ولكن لا يجدون إلا القليل من المسلمين الذين يساعدونهم بأموالهم، فالذين أصيبوا بمرض الشح من المؤمنين قد اتصفوا بالنفاق العملي، وهو علامة على ضعف الإيمان[1].

- ولوددت أن أنجو كفافاً لا لي ولا عليّ:

إحساس مرهف وتصور بالغ الدقة في إدراك المسئولية، فإن تحمل الولاية إقدام على عمل من أعلى الأعمال الصالحة، ولكن فيه مزالق خطيرة قد تحيله إلى عمل من أسوأ الأعمال، وكم من مسئول كان عمله رافعًا ذكره عند الله تعالى وعند الصالحين من الناس لما يقوم به من محاسبة نفسه على كل صغيرة وكبيرة، وكم من مسئول كان عمله بضد ذلك لكونه اتبع هواه، وقدّم رضا الناس على رضا الله تعالى، ولقد كان

---

(١) المصدر نفسه (٢٠/ ٢٦٧).

عمـر ﷺ من أبرز عظماء التـاريخ الذين مثلوا العدالة في أبـلغ صورها، ومع ذلك يقـول هذه المقالة، ويحـمله خوفـه العظيم من الله تعـالى على تناسي ما لعـمله في الولاية من أجر مقابل أن يخرج طاهر الأردان مما فيها من وزر[١].

٣- من حكمه التي سارت بين الناس:

قال ﷺ: من كتم سـره كانت الخيرة في يديه، ومن عـرض نفسه للتهـمة فلا يلومن من أساء به الظن، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءًا وأنت تجد لها في الخيـر مدخلاً، وضع أمـر أخيك على أحـسنه حتى يأتيك منه ما يغـلبك، ولا تكثر الحلف فيهينك الله، وما كافـأت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وعليك بإخوان الصدق، اكتسبهم فإنهم زين في الرخاء عدة عند البلاء[٢].

فهذه حكم بالغة، وكل حكمـة تفتح آفاقًا في عالم التربيـة ، وهذا تعليق مفيد على هذه الحكم:

- من كتم سره كانت الخيرة في يديه:

فالإنسان حاكم نفسه ما دام سره بين جنبيه، فإذا أفشى السر لواحد من الناس أو أكثر- فإنه لو رأى أن المصلحة في عدم الإفشاء- لم يستطع رد أمره إلى السرية.

- ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن:

فالإنسان هو المسئـول عن نفسه قبل الناس، فعليه أن يحاول إبراء سـاحته بكل ما يستطيع، وإذا ظن أن بعض الناس قـد يفهمـون من سلوكه خلاف مراده فليـسارع إلى كشف أمره وإن كـان موضع الثقة، وسمعـته عالية في المجتـمع، فإن النبي ﷺ قال للرجلين اللذين رأياه ومعه امرأة تسير في الليل: على رسلكما إنها صفية بنت حيي[٣].

- ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءًا وأنت تجد لها في الخير مدخلاً:

فهذا توجـيه عمري جليل في التـحرز من سوء الظن، فإحـسان الظن بالمسلمين

---

(١) التاريخ الإسلامي (٢٠/ ٢٦٧).

(٢) تاريخ دمشق (٤٤/ ٣٥٩)، التاريخ الإسلامي (٢٠/ ٢٧٠).

(٣) التاريخ الإسلامي (٢٠/ ٢٧١).

مطلوب من المسلم، وأن يحاول تأويل الكلمات التي ظاهرها الشر بما تحتمله من خير حتى يجد أن تلك الكلمات متمحضة للشر، فذلك مطلوب من المسلم مع أخذ الحذر لنفسه ولمن هم تحت ولايته حتى لا يؤخذ على غرة[١].

- ولا تكثر الحلف فيهينك الله:

فالحلف بالله تعالى تعظيم له، فإذا كان الحلف بقدر الحاجة وفي حال التعظيم لله تعالى وخشيته كان ذلك من توحيده وإجلاله جل وعلا، أما إذا أكثر المسلم من الحلف بالله تعالى حتى في الأمور الحقيرة فإنه لن يصاحب ذلك تعظيم له سبحانه، بل يدخل في باب الاستهانة وعدم المبالاة، فتكون عاقبة ذلك تعرض المكثر من الحلف لإهانة الله تعالى إياه، ومن تعرض لذلك فقد خسر خسرانًا مبينًا.

- وما كافأت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه:

فإذا كان بينك وبين أحد خلاف فعصى الله تعالى بسببك، إما بالاعتداء عليك أو انتهاك عرضك أو أخذ مالك فإن أفضل جزاء تجازيه به أن تطيع الله جل وعلا فيه، وذلك بالتزام الأدب الإسلامي في الخلاف وحفظ حق أخيك المسلم، بأن لا ترد عليه بالمستوى الهابط الذي خاطبك به، ثم إن عفوت عنه وتنازلت عن حقك فذلك من كمال طاعة الله سبحانه.

- وعليك بإخوان الصدق:

نعم فرب أخ لك لم تلده أمك، بل إن إخوان الصدق الذين ائتلفت قلوبهم على التقوى أعظم تضحية وإحسانًا من إخوان النسب إذا لم يكونوا كذلك، فإخوان الصدق سعادة للإنسان في وقت الرخاء، يسر بلقائهم، ويشترك معهم في أعمال البر والإحسان والإصلاح، فإذا نزل البلاء وجد الجد فهم عدة لإخوانهم يتسابقون إلى البذل والتضحية ويتنافسون في أداء الأعمال الشاقة، ويؤثرون على أنفسهم وإن كانت بهم خصاصة[٢]، فهذه بعض الحكم العمرية التي سارت بين الناس، فإذا كان نقاد

---

(١) التاريخ الإسلامي (٢٠/ ٢٧١).

(٢) المصدر نفسه (٢٠/ ٢٧٢).

الأدب لا يزالون يعجبون بحكم المتنبي، ويرون فيها خلاصة لتجارب الناس في عصره، فإن حكم المتنبي لا يمكن أن تذكر مع كلمات عمر ولا تجري معها في ميدان، إن المتنبي خص في حكمه تجارب الناس، وعمر وضع في كلماته (الحكم) للناس، إن من كلماته ما كان دستورًا للحكم أو للقضاء أو للأخلاق، دستورًا كاملاً ولكنه لم يجئ في مواد مطولة ولم يكتب بلغة القوانين، بل جاء حكمة سائرة، ومثلاً مأثورًا، في لغة هي في البيان غاية الغايات من مثل قوله: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟ وقوله: إن هذا الأمر لا يصلح له إلا اللين في غير ضعف والقوي في غير عنف، وقوله: أريد للإمارة رجلاً، إن كان في القوم وهو أميرهم ظُنَّ واحدًا منهم، وإن كان فيهم وهو واحد منهم ظن أنه أميرهم، وقوله في الولاة: أشكو إلى الله ظلم القوي، وعجز التقي، وقوله: من لا يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه، وقوله: لست بخب ولا الخب يخدعني[1]. وقوله: ما أمر الله تعالى بشيء إلا وأعان عليه، ولا نهى عن شيء إلا وأغنى عنه[2].

ثانياً: جعله المدينة دارًا للفتوى والفقه:

لما انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، كانت المدينة عاصمة الدولة الإسلامية، وموطن الخلافة، وفيها تفتق عقل الصحابة، في استخراج أحكام إسلامية، تصلح لما جدّ من شئون في المجتمعات الإسلامية، بعد الفتوح التي كثرت، واتسعت بها رقعة الإسلام، فقد كانت المدينة تحتل المكانة المرموقة بين سائر الأمصار، فالمجتمع المدني عاش فيه رسول الله ﷺ، وتربى فيه على يديه النواة الأولى لخير أمة أخرجت للناس، وبذلك أصبح لا يدانيه أي مجتمع آخر.. وكان لوجود عمر على رأس الخلافة في المدينة - مدة عشر سنوات - لخصائصه الذاتية، وسياسته في الحكم، أثر كبير في جعل المدينة المدرسة الأولى للحديث، والفقه والتشريع في القرنين الأول والثاني، وذلك لما يأتي:

---

(١) أخبار عمر ص٢١٢.

(٢) أدب الدنيا والدين ص٣١١ للماوردي، فرائد الكلام ص١١١.

- إن المدينة كانت في عهد عمر مجمع الصحابة، وخصوصًا ذوي السبق منهم في الإسلام، استبقاهم عمر حوله، حرصًا عليهم، ورغبة في أن يكونوا عونًا له في سياسة الأمة، واستعانة بعلمهم، واعتمادًا على إخلاصهم، واسترشادًا بآرائهم ومشورتهم، وقد بقي علم هؤلاء الصحابة بالمدينة فبلغ فقهاء الصحابة المفتون، ١٣٠ مائة وثلاثين صحابيًّا وكان المكثرون منهم سبعة: عمر، وعلي، وعبد الله بن مسعود، وعائشة، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، قال أبو محمد بن حزم: ويمكن أن يجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخم[1].

والمتوسطون من الصحابة فيما روي عنهم من الفتيا: أبو بكر، لقصر المدة التي عاشها بعد رسول الله ﷺ، وأم سلمة، وأنس بن مالك وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وعثمان بن عفان، وعبد الله بن الزبير، وأبو موسى الأشعري، وسعد بن أبي وقاص، وجابر بن عبد الله، ومعاذ بن جبل، وطلحة والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وعمران بن حصين، وعبادة بن الصامت قالوا: ويمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم جزء صغير[2]، وجلُّ من ذكرتهم بقي في المدينة في عهد عمر بن الخطاب، إلا من كانت له مهمة تعليمية أو جهادية كلفه بها الفاروق نتيجة لتوسع الدولة، واحتياج البلاد المفتوحة لمن يعلم أهلها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وقد أثمرت سياسة عمر رضي الله عنه في جعل المدينة دار الفقه والعلم ومنزل أهل الرأي والمشورة، ومما يدل على نجاح تلك السياسة ما رواه ابن عباس حيث قال: كنت أُقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى، وهو عند عمر في آخر حجّة حجّها، إذ رجع إليّ عبد الرحمن فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك في فلان، يقول: لو قد مات عمر، لقد بايعت فلانًا فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمّت، فغضب عمر، ثم قال: إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس، فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم، قال عبد الرحمن فقلت: لا يا أمير المؤمنين، لا تفعل فإن الموسم

(١، ٢) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (٢/ ٤٥).

يجمع رَعَاع الناس وغوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيّرها عنك كل مطيّر، وأن لا يعوها وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما قلت متمكنًا، فيعي أهل العلم مقالتك، ويضعوها على مواضعها، قال عمر: أما والله -إن شاء الله- لأقومنّ بذلك أول مقام أقومه بالمدينة(١).

قال ابن حجر: واستُدلَّ بهذا الحديث على أن أهل المدينة مخصوصون بالعلم والفهم؛ لاتفاق عبد الرحمن بن عوف وعمر على ذلك، قال: وهو صحيح في حق أهل ذلك العصر -عصر عمر- ويلتحق بهم من ضاهاهم في ذلك ولا يلزم من ذلك أن يستمر ذلك في كل عصر، ولا في كلِّ فرد(٢)، وقد أثر ذلك العصر في المدارس العلمية التي نشأت مع تطور المجتمع وتوسع الفتوحات، فقد كان تلاميذ مدرسة عمر في المدينة، ونشروا علمهم بالمدينة، فنشأ تلاميذ صاروا أعلامًا لقربهم من المنهل، ولبقائهم في البيئة المدنية، وبعض تلاميذ عمر تمّ إرسالهم إلى البلدان المفتوحة لتعليم وتفقيه وتربية الشعوب التي دخلت في الإسلام.

ولقد تصدرت المدينة مكانًا عاليًا في العلم والفقه وأثرت مدرسة المدينة في الأقطار المفتوحة والمدارس التي تشكلت كالبصرة والكوفة وغيرها ويأتي تعاقب مركزية الفقه في المدينة كالتالي:

- المدينة مهبط الوحي، والتشريع، ولا تنازعها بلد في العصر الراشدي.
- في عهد الخلفاء الراشدين، كانت المدينة مركز فقهاء الصحابة وعلى رأسهم عمر رضي الله عنه.
- قتل عثمان سنة ٣٥هـ، وانتقل عليٌّ إلى الكوفة، ومع ذلك بقيت المدينة مركز أهل العلم والفتوى بسبب امتداد عُمْرِ الصحابة الفقهاء، في المدينة، حتى عمروا أكثر

---

(١) البخاري، كتاب الحدود رقم ٦٨٣٠.

(٢) الفتح (١٢/ ١٥٥)، المدينة فجر الإسلام (٢/ ٤٦).

النصف الثاني من القرن الأول وهم: عائشة وأبو هريرة وجابر بن عبد الله، وابن عمر وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم.

- نشأت مدرسة كبار التابعين في المدينة، وكان منهم الفقهاء السبعة، الذين لم يوجد لهم نظير في الأقطار الإسلامية. وهم المذكورون في قول الشاعر:

ألا كل من لا يقتدي بأئمة   فقسمته ضيزى عن الحق خارجهْ

فخذهم عبيد الله عروة قاسم   سعيد أبو بكر سليمان خَارجهْ

- وجاءت الطبقة الثانية من التابعين (صغار التابعين) وعاشوا حتى أواخر النصف الأول من القرن الثاني أذكر منهم: ابن شهاب الزهري، ونافع بن أسلم، ويحيى بن سعيد الأنصاري.

- ثم جاء عصر الإمام مالك، وهو من تابعي التابعين، فكان من أعلم الناس بعلم من سبقه من التابعين كبارهم وصغارهم.

ويشهد لعلم أهل المدينة، احتياج أهل الأمصار إلى علم الحجاز، ورحلتهم إليه في طلبه بما لم يُعرف للأمصار الأخرى، فقد رحل علماء الأمصار الإسلامية إلى المدينة في طلب العلم، وعرض ما لديهم على علمائهم، فكانوا المرجع في هذا الشأن، وقد ذهب علماء المدينة إلى الأمصار قضاة ومعلمين[١]، ابتداء من الذين أرسلهم عمر رضي الله عنه لما فتحت الشام والعراق لتعليم الناس كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فقد ذهب إلى العراق عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وعمار بن ياسر، وعمران بن حصين، وسلمان الفارسي، وغيرهم، وذهب إلى الشام معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء، وبلال بن رباح، وأمثالهم، وبقي عنده مثل عثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، ومثل: أبي بن كعب، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وغيرهم، وكان ابن مسعود -وهو أعلم من كان بالعراق من الصحابة إذ ذاك- يفتي بالفتيا، ثم يأتي المدينة فيسأل علماء أهل المدينة، فيردونه عن قوله فيرجع إليهم[٢].

---

(١) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (٢/ ٤٧).
(٢) الفتاوى (٢٠/ ١٧٢).

لقد أثرت المدرسة المدنية في بقية المدارس، وكان سائر أمصار المسلمين غير الكوفة منقادين لعلم أهل المدينة، لا يعدون أنفسهم أكفاءهم في العلم، كأهل الشام ومصر، مثل الأوزاعي ومن قبله وبعده من الشاميين، ومثل الليث بن سعد ومن قبله ومن بعده من المصريين، وإن تعظيمهم لعمل أهل المدينة واتباعهم لمذاهبهم القديمة ظاهر بين، وكذلك علماء أهل البصرة، كأيوب، وحماد بن زيد، وعبد الرحمن بن مهدي، وأمثالهم، ولهذا ظهر مذهب أهل المدينة في هذه الأمصار[١].

لقد كانت ثقة أهل الأمصار في علم أهل المدينة، تجعلهم يقدمونه على كل علم لما روى الخطيب البغدادي: أن محمد بن الحسن الشيباني كان إذا حدثهم عن مالك، امتلأ عليه منزله، وإذا حدثهم عن غير مالك لم يجبه إلا القليل من الناس، فقال: ما أعلم أحدًا أسوأ ثناء على أصحابه منكم، إذا حدثتكم عن مالك ملأتم عليّ الموضع، وإذا حدثتكم عن أصحابكم إنما تأتون متكارهين[٢].

ويتفاضل غير أهل المدينة بقدر ما يأخذونه من علم أهل المدينة ويرون في علم أهل المدينة معيارًا للتفوق، فيقول مجاهد وعمرو بن دينار وغيرهما من أهل مكة: لم يزل شأننا متشابهًا متناظرًا حتى خرج عطاء بن أبي رباح إلى المدينة، فلما رجع استبان فضله علينا[٣].

إن من أسباب الثروة الفقهية التي حظيت بها المدينة أيام عمر بن الخطاب: شخصية عمر بن الخطاب الملهمة، وقد شهد رسول الله ﷺ لعمر بذلك، لما رآه موفقًا في آرائه.

وقد جعل من عاصمة الدولة مدرسة تخرج منها العلماء والدعاة والولاة والقضاة، وإذا نظرنا في المدارس العلمية الأولى في العالم الإسلامي رأينا الأثر العمري عليها؛ لأن كل المؤسسين -تقريبًا- تأثروا بفقه الفاروق رضي الله عنه، وإليك نبذة مختصرة عن هذه المدارس:

---

(١) الفتاوى (٢٠/ ١٧٤).

(٢،٣) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (٢/ ٤٨).

١- المدرسة المكية:

احتلت هذه المدرسة المكانة في قلوب المؤمنين، الساكنين، والثائبين إلى بلد الله الحرام، الحجاج، والعمار، والزوار، بل أخذت مكة بألباب كل مؤمن رآها، أو تمنّى أن يراها، ولقد كان العلم بمكة يسيرًا زمن الصحابة، ثم كثر في أواخر عصرهم وكذلك في أيام التابعين، وزمن أصحابهم، كابن أبي نجيح، وابن جريج[١]، إلا أن مكة اختصت زمن التابعين بحبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما الذي صرف جل همه، وغاية وسعه إلى علم التفسير، وربى أصحابه على ذلك، فنبغ منهم أئمة كان لهم قصب السبق بين تلاميذ المدارس في التفسير، وقد ذكر العلماء مجموعة من الأسباب أدت إلى تفوق المدرسة، أهم هذه الأسباب والأساس فيها إمامة ابن عباس رضي الله عنهما وأستاذيته لها[٢]، وقد تحدث العلماء عن مجموعة من الأسباب أهلت ابن عباس رضي الله عنهما وقدمته على غيره من الصحابة في فهم كتاب الله والقدرة على تفسيره، وهي على الإجمال: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بالفقه في الدين والعلم بالتأويل، الأخذ عن كبار الصحابة، قوة اجتهاده وقدرته على الاستنباط، اهتمامه بالتفسير، منهجه المتميز في تعليم أصحابه، حرصه على نشر العلم، رحلاته وأسفاره، تأخر وفاته، قرب منزلته من عمر رضي الله عنه[٣]، فقد حظي بعناية خاصة من الفاروق عندما لمس فيه مخايل النجابة والذكاء والفطنة، فكان يدنيه من مجلسه، ويقربه إليه، ويشاوره، ويأخذ برأيه فيما أشكل من الآيات، وابن عباس ما زال شابًّا غلامًا، فكان لذلك الأثر البالغ في دفعه وحثه على التحصيل والتقدم، بل والإكثار في باب التفسير وغيره من أبواب العلم، فعن عامر الشعبي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي أبي: يا بني، أرى أمير المؤمنين يقربك، ويخلو بك، ويستشيرك، مع أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحفظ عني ثلاثًا: اتق الله لا تفشين له سرًّا، ولا يُجربن عليك كذبة، ولا تغتابن عنده أحدًا[٤]، وكان عمر رضي الله عنه يدخله مع أكابر الصحابة، وما

---

(١) الإعلان والتوبيخ لمن ذم التاريخ ص٢٩٢.
(٢) تفسير التابعين (١/ ٣٧١) د. محمد الخضري.
(٣) المصدر نفسه (١/ ٣٧٤-٣٩٥).
(٤) الحلية (١/ ٣١٨)، تفسير التابعين (١/ ٣٧٦).

ذلك إلا لأنه وجد فيه قوة الفهم وجودة الفكر، ودقة الاستنباط، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان عمر يسألني مع أصحاب محمد ﷺ، فكان يقول لي: لا تتكلم حتى يتكلموا، فإذا تكلمت قال: غلبتموني أن تأتوا بما جاء به هذا الغلام الذي لم تجتمع شئون رأسه[١]، وكان ابن عباس لشدة أدبه، إذا جلس في مجلس فيه من هو أسن منه لا يتحدث إلا إذا أذن له، فكان عمر يلمس ذلك منه، فيحثه، ويحرضه على الحديث تنشيطًا لنفسه، وتشجيعًا له في العلم[٢]، كما مر معنا في تفسير قوله تعالى: ﴿**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ**﴾ (البقرة:٢٦٦) وقوله تعالى: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**...﴾، وكان لعمر رضي الله عنه مجلس يسمع فيه من الشباب ويعلمهم، وكان ابن عباس من المقدمين عند عمر، فعن عبد الرحمن بن زيد قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا صلى السُّبحة، وفرغ، دخل مربدًا له[٣]، فأرسل إلى فتيان قد قرءوا القرآن، منهم ابن عباس، قال: فيأتون فيقرءون القرآن ويتدارسون، فإذا كانت القائلة انصرف، قال فمروا بهذه الآية: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ و ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾ (البقرة:٢٠٦،٢٠٧)، فقال ابن عباس لبعض من كان إلى جانبه: اقتتل الرجلان، فسمع عمر ما قال، فقال: وأي شيء قلت؟ قال: لا شيء يا أمير المؤمنين، قال: ماذا قلت؟ اقتتل الرجلان؟ قال: فلما رأى ذلك ابن عباس قال: أرى ها هنا من إذا أمر بتقوى الله أخذته العزة بالإثم، وأرى من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، يقوم هذا فيأمر هذا بتقوى الله، فإذا لم يقبل، وأخذته العزة بالإثم، قال هذا: وأنا أشتري نفسي! فقاتله، فاقتتل الرجلان، فقال عمر: لله تلادك يابن عباس[٤]، وكان عمر رضي الله عنه يسأل ابن عباس عن الشيء من القرآن ثم يقول: غص غوّاص[٥]، بل كان عمر إذا جاءته الأقضية المعضلة يقول لابن عباس: يابن عباس قد طرأت علينا أقضية

---

(١) المستدرك (٣/ ٥٣٩) وصحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) تفسير التابعين (١/ ٣٧٧).

(٣) السبحة: الدعاء وصلاة التطوع، المربد: المكان الذي يجعل فيه التمر.

(٤) تفسير الطبري (٤/ ٢٤٥) الدر المنثور (١/ ٥٧٨).

(٥) فضائل الصحابة لأحمد (٢/ ٩٨١) ١٩٤٠.

عضل، وأنت لها، ولأمثالها، ثم يأخذ برأيه، وما كان يدعو لذلك أحدًا سواه إذا كانت العضل[١]، وعن سعد بن أبي وقاص قال: ما رأيت أحدًا أحضر فهمًا، ولا ألب لبًّا، ولا أكثر علمًا، ولا أوسع حلمًا من ابن عباس، ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعوه للمُعضلات، ثم يقول: عندك قد جاءتك معضلة، ثم لا يجاوز قوله، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين، والأنصار[٢]، وكان عمر يصفه بقوله: ذاكم فتى الكهول، إن له لسانًا سئولاً، وقلبًا عقولاً[٣]، يقول طلحة بن عبيد الله: ما كنت أرى عمر بن الخطاب يقدم على ابن عباس أحدًا[٤]، وكان ابن عباس رضي الله عنهما كثير الملازمة لعمر، حريصًا على سؤاله والأخذ عنه، ولذا كان رضي الله عنه من أكثر الصحابة نقلاً ورواية لتفسير عمر وعلمه -رضي الله عنهم- وقد أشار بعض أهل العلم إلى أن عامة علم ابن عباس أخذه عن عمر رضي الله عن الجميع[٥]، هذا بعض ما لقيه ابن عباس إمام المدرسة المكية من عناية الفاروق وتقريبه له -رضي الله عنهم- وأظن أن هذا مما أعان ابن عباس وشجعه للمضي قُدُمًا في طريق العلم عامة والتفسير خاصة[٦].

٢- المدرسة المدنية:

قد تحدثنا عن اهتمام عمر بالمدينة وجعلها دارًا للفتوى والفقه والعلم، وأشهر من تفرغ في المدينة للحياة العلمية زيد بن ثابت رضي الله عنه، فقد استبقاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المدينة، فكثر أصحابه، يقول ابن عمر رضي الله عنهما: فرق عمر الصحابة في البلدان، وحبس زيد بن ثابت بالمدينة يفتي أهلها، ويقول حميد بن الأسود: ما تقلد أهل المدينة قولاً بعد زيد بن ثابت كما تقلدوا قول مالك[٧]، وكان أحد الصحابة الذين قيض الله لهم أصحابًا حفظوا أقوالهم، ونشروا علمهم، وآثارهم[٨]، وقال عامر الشعبي -رحمه الله-: غلب زيد الناس على اثنين، على الفرائض، والقرآن[٩]، وقد شهد

---

(١) تفسير التابعين (١/ ٣٧٩).
(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٩).
(٣) تفسير التابعين (١/ ٣٧٩)، فضائل الصحابة لأحمد رقم ١٥٥٥ .
(٤) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٧٠).
(٥) تفسير التابعين (١/ ٣٨١).
(٦) تفسير التابعين (١/ ٥٠٦).
(٧) العلل لأحمد (٣/ ٢٥٩) ٥١٤٥، تفسير التابعين (١/ ٥٠٦).
(٨) تفسير التابعين (١/ ٥٠٦).
(٩) تهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٤٤٩)، تفسير التابعين (١/ ٥٠٨).

رسول الله ﷺ لزيد في علم الفرائض، فقال: (أفرضكم زيد)[١]، وقد صحب زيدًا عدد من فقهاء المدينة، وقد اشتهر من أصحابه والآخذين عنه ستة من التابعين، يقول ابن المديني: فأما من لقي زيدًا، وتثبت عندنا أنه لقيه فهم: سعيد بن المسيب، وعروة ابن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب، وخارجة بن زيد، وأبان بن عثمان، وسليمان بن يسار[٢]، وقد كان لمدرسة المدينة الأثر الكبير كما بينا في المدارس العلمية الأخرى.

٣- المدرسة البصرية:

أول من مصَّر البصرة عتبة بن غزوان ﷺ اختطها سنة أربع عشرة وقيل غير ذلك، بأمر عمر بن الخطاب ﷺ وسيأتي الحديث عنها بإذن الله تعالى عند حديثنا عن التطوير العمراني في السياسة العمرية، وهي أقدم من الكوفة بثلاث سنين[٣]، وهي منافسة لمدرسة الكوفة في كل الفنون، وقد نزلها من الصحابة جمع كثير[٤]، منهم أبو موسى الأشعري، وعمران بن حصين ﷺ، وعدة من الصحابة كان خاتمتهم أنس بن مالك ﷺ[٥]، ومن أشهر من نزل البصرة أبو موسى الأشعري، وأنس بن مالك ﷺ، فأما أبو موسى ﷺ فكان فيمن قدم مكة، وأسلم، وهاجر إلى الحبشة مع من هاجر، وكان يعد من أعلم الصحابة، وقد قدم البصرة، وعلم بها[٦]، وقد تأثر أبو موسى بعمر بن الخطاب ﷺ وكانت بينهما مراسلات، سنأتي عليها بإذن الله عند حديثنا عن مؤسسة الولاة والقضاة، وكان أبو موسى ﷺ قد اشتهر بالعلم والعبادة والورع، والحياء، وعزة النفس وعفتها، والزهد في الدنيا والثبات على الإسلام، ويعد أبو موسى ﷺ من كبار علماء الصحابة وفقهائهم ومفتيهم، فقد ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ في الطبقة الأولى من الصحابة ﷺ، قال عنه: كان عالمًا عاملاً صالحًا تاليًا لكتاب الله، إليه المنتهى في حسن الصوت

---

(١) سنن الترمذي قال الترمذي: حديث حسن صحيح رقم ٣٧٩١.

(٢) تفسير التابعين (١/ ٥١٠).　　　(٣) المصدر نفسه (١ / ٤٢٢).

(٤) عدّ ابن حبان أكثر من خمسين صحابيًّا من المشاهير الذين دخلوا البصرة، المصدر السابق نفسه.

(٥) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٦)، مسلم (١/ ٦٥).

(٦) تفسير التابعين (١/ ٤٢٣).

بالقرآن، روى علمًا طيبًا مباركًا، أقرأ أهل البصرة وأفقههم[١]، وقد كان ﷺ كثير الملازمة للنبي ﷺ، كما أنه تلقى من كبار الصحابة كعمر وعلي وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود، وتأثر أبو موسى على وجه الخصوص بعمر بن الخطاب كثيرًا، وكان عمر يتعهده بالوصايا والكتب في أثناء ولايته الطويلة على البصرة، كما أن أبا موسى كان يرجع إلى عمر في كل ما يعرض له من القضايا، حتى عده الشعبي واحدًا من أربعة قضاة، هم أشهر قضاة الأمة، فقال: قضاة الأمة: عمر، وعلي، وزيد بن ثابت، وأبو موسى[٢]، وكان أبو موسى عندما يأتي المدينة المنورة يحرص على مجالس عمر ﷺ، وربما أمضى جزءًا كبيرًا معه، فعن أبي بكر بن أبي موسى أن أبا موسى ﷺ أتى عمر بن الخطاب بعد العشاء، فقال له عمر: ما جاء بك؟ قال: جئت أتحدث إليك، قال: هذه الساعة، قال: إنه فقه، فجلس عمر فتحدثا طويلاً، ثم إن أبا موسى قال: الصلاة يا أمير المؤمنين، قال: إنا في صلاة[٣]، وكما كان أبو موسى حريصًا على طلب العلم والتعلم كان أيضًا حريصًا على نشر العلم وتعليم الناس وتفقيههم، وكان يحض الناس على التعلم والتعليم في خطبه، فعن أبي المهلب قال: سمعت أبا موسى على منبره وهو يقول: من علمه الله علمًا فليعلمه، ولا يقولن ما ليس له به علم، فيكون من المتكلفين، ويمرق من الدين[٤]، وقد جعل أبو موسى مسجد البصرة مركز نشاطه العلمي وخصص جزءًا كبيرًا من وقته لمجالسه العلمية، ولم يكتف بذلك بل كان لا يدع فرصة تمر دون أن يستفيد منها في تعليم الناس وتفقيههم فإذا ما سلّم من الصلاة استقبل ﷺ الناس، وأخذ يعلمهم ويضبط لهم قراءتهم للقرآن الكريم، قال ابن شوذب: كان أبو موسى إذا صلى الصبح استقبل الصفوف رجلاً رجلاً يقرئهم[٥]، واشتهر أبو موسى بين الصحابة بجمال صوته وحسن قراءته، فكان الناس يجتمعون عليه حين يسمعونه يقرأ، وكان عمر ﷺ إذا جلس عنده أبو موسى طلب منه أن يقرأ له ما يتيسر له من

(١) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٩).
(٣) أبو موسى الأشعري الصحابي العالم المجاهد، محمد طهماز ص١٢١.
(٤) الطبقات (٤/ ١٠٧).
(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٩).

القرآن[١]، وقد وفقه الله لتعليم المسلمين، وبذل رضي الله عنه كل ما يستطيع من جهد في تعليم القرآن ونشره بين الناس في كل البلاد التي نزل فيها، واستعان بصوته الجميل وقراءته الندية فاجتمع الناس عليه، وازدحم حوله طلاب العلم في مسجد البصرة، فقسمهم إلى مجموعات وحِلق، فكان يطوف عليهم يُسمعهم ويستمع منهم ويضبط لهم قراءتهم[٢]، فالقرآن الكريم شغله الشاغل رضي الله عنه، صرف له معظم أوقاته في حِلّه وفي سفره، فعن أنس بن مالك قال: بعثني الأشعري إلى عمر رضي الله عنه، فقال عمر: كيف تركت الأشعري؟ فقلت له: تركته يعلم الناس القرآن، فقال: أما إنه كيِّس[٣] ولا تُسمعها إياه[٤]، حتى عندما كان يخرج إلى الجهاد كان يعلم ويفقِّه، فعن حطّاب ابن عبد الله الرّقاشي قال: كنا مع أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في جيش على ساحل دجلة، إذ حضرت الصلاة، فنادى مناديه للظهر، فقام الناس للوضوء، فتوضأ ثم صلَّى بهم، ثم جلسوا حِلقًا، فلما حضرت العصر نادى منادي العصر، فهبَّ الناس للوضوء أيضًا فأمر مناديه: لا وضوء إلا على من أحدث، وأثمرت جهوده العلمية رضي الله عنه، وقرت عينه برؤية عدد كبير حوله من حفاظ القرآن الكريم وعلمائه، زاد عددهم في البصرة وحدها على ثلاثمائة، ولما طلب عمر بن الخطاب من عماله أن يرفعوا إليه أسماء حفاظ القرآن لكي يكرمهم ويزيد عطاءهم، كتب إليه أبو موسى أنه بلغ من قِبلي ممن حمل القرآن ثلاثمائة وبضعة رجال[٥]، واهتم أبو موسى رضي الله عنه بتعليم السنة وروايتها، فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثير، كما روى عن كبار الصحابة رضي الله عنهم، وروى عنه عدد من الصحابة وكبار التابعين. قال الذهبي -رحمه الله-: حدّث عنه بريدة بن الحصيب، وأبو أمامة الباهلي، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وطارق بن شهاب، وسعيد بن المسيب، والأسود بن يزيد، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وأبو عثمان النَّهدي وخلق سواهم[٦]، وكان رضي الله عنه شديد التمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، دلَّ على ذلك ما أوصى به أولاده عند موته، ومع

---

(١) أبو موسى الأشعري الصحابي العالم ص١٢٥، ١٢٦ .
(٢) المصدر نفسه ص١٢٧ .
(٣) أي: عاقل فطن.
(٤) أبو موسى الأشعري الصحابي العالم ص١٢٨ .
(٥) المصدر نفسه ص١٢٩ .
(٦) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨١).

حرصه الشـديد على السنة لم يكثر رضي الله عنه من رواية الأحاديث الشريفة كـما هو حال كبـار الصحابة رضي الله عنهم، فقـد كانوا يتهيـبون من الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم مخـافة الزلل والخطأ، وقد كان عمر يوصي عمـاله أن يهتموا بالقرآن، وألا يكثروا من رواية السنة وكان أبو مـوسى شديد الطاعة لعـمر[١]، وأما أنس بن مالك الـنجاري الخزرجي، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يتسمى بذلك ويفتخر به وحق له ذلك[٢] فيقول رضي الله عنه: خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عـشر سنين وأنا غلام[٣] ويقول أيضًا: قـدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين ومـات وأنا ابن عشرين سنة[٤]، وقد دعـا له النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة المال، والولد، والمباركة في العمر فقال عليه الصلاة والسلام: (اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه)[٥]، قال الذهبي: وقـد سرد صاحب التـهذيب نحـو مائتي نفس من الرواة عن أنس[٦]، وروى ألفي حديث ومائتين وستة وثمـانين حديثًا، اتفق البخاري ومسلم على مائة وثمانين حديثًا، وانفرد البخاري بثمانين حديثًا، ومسلم بتسعين[٧]، ويعتبر أنس بن مـالك رضي الله عنه شيخ السادة من علماء التابعين أمثـال: الحسن البصري، وسليمان التيمي، وثابت البناني، والزهري، وربيـعة بن أبي عبد الرحمن، وإبراهيم ابن ميسـرة، ويحيى بن سعيد الأنـصاري، ومحمد بن سـيرين، وسعيد بن جـبير، وقتادة وغـيرهم[٨]، وقد اهتم أنس بخدمـة السنة رواية وتعليمًا وغلبت عليـه الصفة العلمية، فقد قام ببعض الأعمال المهمة في خدمة الخلافة الراشدة، وأسند إليه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم بعض المناصب الرفيعة في الدولة المسلمـة، وخاصة في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولما تولى أبو مـوسى الأشعري رضي الله عنه ولاية البصرة في عهـد عمر قرّب أنسًا واعتـبره من خاصتـه، فعن ثابت عن أنس قال: كنا مع أبي موسى في مـسير، والناس يتكلمـون ويذكرون الدنيـا، قال أبو موسى: يا أنس إن هؤلاء يـكاد أحدهم يفري الأديم بلسانه فريًا، فـتعال فلنذكر ربنا ساعة، ثم قـال: ما ثبر الناس -ما بطأ

---

(١) أبو موسى الأشعري الصحابي العالم المجاهد ص١٣٢ .
(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٢٧).
(٣) تفسير التابعين (١/ ٤٢٣).
(٤) مسلم رقم ٢٠٢٩.
(٥) مسلم رقم ٢٤٨٠ .
(٦) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩٧).
(٧) المصدر نفسه (٣/ ٤٠٦)، تفسير التابعين (١/ ٤٢٣).
(٨) أنس بن مالك الخادم الأمين، عبد الحميد طهماز ص١٣٥ .

بهم-؟ قلت: الدنيا والشيطان والشهوات، قال: لا، لكن عُجِّلت الدنيا وغُيِّبت الآخرة، أما والله لو عاينوها ما عَدَلوا ولا ميّلوا[١]، ولثقة أبي موسى بأنس فقد كان يكلفه أن يكون رسوله إلى أمير المؤمنين عمر، قال أنس: بعثني أبو موسى الأشعري من البصرة إلى عمر فسألني عن أحوال الناس[٢]، وبعد فتح تستر أرسله أبو موسى إلى عمر بالأسرى والغنائم فقدم على عمر بصاحبها الهرمزان[٣]، وقد روى عن أنس خلق عظيم من الصحابة والتابعين، لا سيما في البصرة، وقد ترك أثره في الزهد والعبادة فيمن حوله من الناس، وكان أنس حريصًا على تعليم أصحابه، شديد المحبة لتلاميذه يدنيهم ويكرمهم، قائلاً: ما أشبهكم بأصحاب محمد ﷺ والله لأنتم أحب إلي من عدة ولدي إلا أن يكونوا في الفضل مثلكم، وإني لأدعو لكم بالأسحار[٤]، مما مكنَه من إنشاء جيل من العلماء الذين أخذوا عنه علم الحديث وبلغوه للآخرين وحملوه للأجيال من بعدهم، وبقي أصحاب أنس الثقات إلى ما بعد الخمسين ومائة[٥].

٤- المدرسة الكوفية:

نزل الكوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة، وسبعون من أهل بدر، رضي الله عنهم أجمعين، وكتب عمر بن الخطاب إلى أهل الكوفة قائلاً: يا أهل الكوفة، أنتم رأس العرب، وجمجمتها، وسهمي الذي أرمي به إن أتاني شيء من هاهنا، وهاهنا، قد بعثت إليكم بعبد الله وخِرْت لكم، وآثرتكم به على نفسي[٦]، وفي رواية عنه قال: أما بعد فإني بعثت إليكم عمارًا أميرًا، وعبد الله معلمًا ووزيرًا، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ فاسمعوا لهما، واقتدوا بهما، وإني قد آثرتكم، بعبد الله على نفسي إثرة[٧]، وقد اهتم عمر بالكوفة ووجه ابن مسعود، فكتب إليه: إن القرآن نزل بلسان قريش فأقرئ الناس بلغة قريش لا بلغة هذيل[٨]، وعندما شيع جماعة من

---

(١) المصدر نفسه السابق ص١٤٩ .
(٢، ٣) أنس بن مالك، الخادم الأمين ص١٤٩ .
(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩٥).
(٥) الأنصار في العصر الراشدي ص٢٧١ .
(٦) مجمع الزوائد (٩/ ٢٩١) رجاله رجال الصحيح غير حارثة وهو ثقة.
(٧) السلطة التنفيذية (١/ ٢٥٢).
(٨) الفتح (٨/ ٦٢٥)، الخلافة الراشدة د. يحيى ص٣٠٩ .

الصحابة قاصدين الكوفة قال لهم: إنكم تأتون أهل قرية -يعني الكوفة- لهم دَوِيٌّ بالقرآن كدوي النحل، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جرِّدوا القرآن وأقلّوا الرواية عن رسول الله ﷺ، وامضوا وأنا شريككم[١]، لقد كان عمر يفضل الاشتغال بالقرآن عن الاشتغال بالسنة، ويظهر لنا ذلك في أنه لما أراد أن يكتب السنة استشار أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك، فأشاروا عليه: أن يكتبها، فطفق يستخير الله فيها شهرًا، ثم أصبح يومًا وقد عزم الله له فقال: إني كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قومًا كانوا قبلكم كتبوا كتبًا فأكبّوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أُلبس كتاب الله بشيء أبدًا[٢]، لقد كانت منهجية الفاروق تعتمد على ترسيخ القرآن الكريم في نفوس الناس وعدم صرفهم عنه، حتى تتأصل معانيه في حياة المجتمع، وتستقر علومه ويميز الناس بينه وبين سواه، من العلوم الإسلامية الأخرى بما فيها الحديث النبوي[٣]، فالتأكيد على القرآن الكريم كان منذ عهد رسول الله ﷺ والتحذير من الانصراف إلى غيره كان منذ ذلك العصر أيضًا وما كان عمر رضي الله عنه إلا متبعًا لتعاليم النبي ﷺ[٤].

اجتهد عبد الله بن مسعود في إيجاد جيل يحمل دعوة الله فهمًا وعلمًا وكان له الأثر البالغ في نفوس أصحابه الملازمين له أو من جاء بعدهم، وقد شهد له الفاروق بالعلم، فعن زيد بن وهب، قال: كنت جالسًا في القوم عند عمر، إذ جاء رجل نحيف قليل، فجعل عمر ينظر إليه ويتهلل وجهه، ثم قال: كنيف ملئ علمًا، كنيف مُلِئ علمًا، كنيف ملئ علمًا، فإذا هو ابن مسعود[٥]، وقد تأثرت مدرسة الكوفة بابن مسعود فقد كانت من أكثر المدارس اقتداءً ومتابعةً لأستاذها حتى بعد موته، فإن تأثيره قد بقي في الكوفة بعده مدة طويلة[٦]، وقد تأثر رضي الله عنه بفقه عمر غاية التأثر،

---

(١) طبقات ابن سعد (٣ / ١٥٦)، الحلية (١ / ١٢٩).
(٢) تاريخ المدينة (٢/ ٧٧٠)، موسوعة فقه عمر ص٦٥٩.
(٣) الأنصار في العصر الراشدي ص٢٦٨.
(٤) المصدر نفسه ص٢٦٠.
(٥) طبقات ابن سعد (٣/١٥٦)، الحلية (١/١٢٩).
(٦) تفسير التابعين (١/٤٦٢).

وكان يدع قوله لقوله، وكان يقول: لو أن علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وضع في كفة الميزان، ووضع علم أهل الأرض في كفة لرجح علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه[(١)].

وقد برز ابن مسعود رضي الله عنه بين الصحابة، وسبق في علم القراءة، وقد تلقى من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعًا وسبعين سورة من القرآن، فعن شقيق بن سلمة قال: خطبنا عبد الله بن مسعود، فقال: والله لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعًا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم[(٢)]، وعن مسروق: ذُكر عبد الله عند عبد الله بن عمرو، فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه بعدما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود فبدأ به، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل)[(٣)]، وقد عرف عمر الفاروق رضي الله عنه لابن مسعود قدره في علم القراءة والإقراء، فعن علقمة قال: جاء رجل إلى عمر، وهو يعرفه، فقال: يا أمير المؤمنين، جئت من الكوفة، وتركت بها من يملأ المصاحف عن ظهر قلبه قال: فغضب عمر رضي الله عنه، وانتفخ، حتى كاد يملأ ما بين شعبتي الرجل، ثم قال: ويحك من هو؟ قال: عبد الله بن مسعود، فما زال يطفئ، ويسري الغضب، حتى عاد إلى حاله التي كان عليها، ثم قال: ويحك، والله ما أعلمه بقي أحد من المسلمين هو أحق بذلك منه[(٤)]، وقد ترك ابن مسعود مجموعة من التلاميذ اشتهروا بالفقه، والعلم، والزهد والتقوى، منهم: علقمة بن قيس، مسروق بن الأجدع، عبيدة السلماني، أبو ميسرة ابن شرحبيل، الأسود بن يزيد، الحارث الجعفي، مرة الهمداني[(٥)].

٥- المدرسة الشامية:

بعد فتح الشام كتب يزيد بن أبي سفيان إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتابًا جاء فيه: إن أهل الشام كثروا وملأوا المدائن واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم، فأعني يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم، فدعا عمر معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت

---

(١) العلم لأبي حنيفة ص١٢٣، تفسير التابعين (١/ ٤٦٣).
(٢) البخاري رقم ٥٠٠٠.
(٣) البخاري رقم ٣٧٥٨.
(٤) المستدرك (٢/ ٢٢٧) صححه الحاكم ووافقه الذهبي.
(٥) تفسير التابعين (١/ ٤٧٢ إلى ٤٨٤).

وأبا الدرداء رضي الله عنهم، فأرسلهم لهذه المهمة وقال لهم: ابدءوا بحمص فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة، منهم من يتعلم بسرعة، فإذا رأيتم ذلك فعلموا طائفة من الناس، فإذا رضيتم منهم فليقم بها واحد، ويخرج واحد إلى دمشق، والآخر إلى فلسطين، وقدموا حمص فكانوا بها حتى إذا رضوا من الناس ما وصلوا إليه من مستوى علمي أقام بها عبادة وخرج أبو الدرداء إلى دمشق، ومعاذ إلى فلسطين[١]، كانت المدارس العلمية التي أنشأ نواتها الفاروق في البلدان المفتوحة تقوم بدور في تعليم الناس وتربيتهم، فالمدرسة الشامية قامت على أكتاف معاذ وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم وغيرهم من الصحابة، فأبو الدرداء رضي الله عنه كانت له حلقة عظيمة في مسجد دمشق يحضرها ما يزيد على ألف وستمائة شخص، يقرءون عشرة عشرة، ويتسابقون عليه، وأبو الدرداء واقف يفتي الناس في حروف القرآن[٢]، ويعد أبو الدرداء أكثر الصحابة أثرًا في الشام ودمشق، يقول الذهبي: وكان أبو الدرداء عالم أهل الشام، ومقرئ أهل دمشق، وفقيههم وقاضيهم[٣]، وكان رضي الله عنه من قراء الصحابة المعدودين[٤]، وكان رضي الله عنه يحث أهل الشام على طلب العلم قائلاً: مالي أرى علماءكم يذهبون وأرى جهالكم لا يتعلمون؟ اعلموا قبل أن يرفع العلم، فإن رفع العلم ذهاب العلماء[٥]، ومن حثه على طلب العلم قوله: كن عالمًا أو متعلمًا أو محبًّا أو متبعًا ولا تكن الخامسة فتهلك، قال الحسن البصري - رحمه الله-: الخامسة المبتدع[٦]، وقوله: اطلبوا العلم فإن عجزتم فأحبوا أهله فإن لم تحبوهم فلا تبغضوهم[٧]، ألا فتعلموا وعلموا فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء ولا خير في الناس بعدها[٨]، ولن تكون عالمًا حتى تكون متعلمًا، ولا تكون متعلمًا حتى تكون بما علمت عاملاً[٩]، وكان يقول: لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهًا[١٠]، وقيل لأبي الدرداء مالك لا تقول الشعر؟ فإنه ليس رجل له بيت من الأنصار إلا وقد قال الشعر؟! قال: وأنا قد قلت فاسمعوا:

---

(١) الأنصار في العصر الراشدي ص٢٥٩.
(٢) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجوزي (١/٦٠٧).
(٣) التذكرة (١/ ٢٤).
(٤) تفسير التابعين (١/٥٢٦).
(٥،٦) الأنصار في العصر الراشدي ص٢٥٦.
(٧) الطبقات (١/ ٤٣٠).
(٨) صفة الصفوة (١/٦٢٨).
(٩) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٤٧).
(١٠) الطبقات (١/ ٤٣٠).

يريد المــرء أن يعــطى منــــاه ويأبى اللـــــه إلا مـــــا أرادا
يقول المـــــــرء فائدتي ومــالي وتقوى الله أفضل ما استفـادا[1]

وقد جاء في رواية: أن أبا الدرداء رضي الله عنه عندما أراد عمر رضي الله عنه أن يوليه في الشام فأبى، فأصر عليه، فقال أبو الدرداء رضي الله عنه: إذا رضيت مني أن أذهب إليهم لأعلمهم كتاب ربهم، وسنة نبيـهم وأصلي بهم ذهبت، فرضي عمر رضي الله عنه منه بذلك[2]، ومن إلمام أبي الدرداء بكثير من العلم، ازدادت مكانته في نفـوس المسلمين، فاجتمع حوله كثير من طلاب العلم، فمن سائل عن فـريضة، ومن سائل عن حساب، وسائل عن حديث، وسائل عن معضلة، وسائل عن شعر[3]، ولهذا كان أثره العلمي واسعًا في الشام ولا سيـما في تعليم القرآن[4]، وكذلك أثره الوعظي فقـد قام في أهل الشام ذات يوم فـقـال لهم: يا أهل الشـام مـالكم تجمـعـون مـا لا تأكلون وتبنون مـا لا تسكنون، وتأملون ما لا تدركون، ألا وإن عادًا وثمودَ، كانوا قد ملأوا ما بين بصرى وعدن أموالاً وأولادًا ونعمًا، فمن يشتري مني ما تركوه بدرهمين[5]، وقد كانت مثل هذه التعاليم تنسـجم مع السياسة العمرية الرامـية إلى تهيئة الأمة، وإدامـة جاهزيتها الجهادية[6]، وأما معاذ بـن جبل الخزرجي رضي الله عنه فقد استـفاد منه أهل اليمن ثم أهل الشام وكــان عبـد الله بن مسـعود رضي الله عنه يثني على مـعاذ بن جـبل رضي الله عنه، فيـحدث أصحابه قائلاً: إن معاذًا ﴿كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل: ١٢٠)، قالوا: ومـا الأمة؟ قـال: الذي يعلم الناس الخيـر، ثم قال: هل تدرون مـا القانت؟ قالوا: لا. قال: القانت المطيع لله[7]، وإن معاذًا كان كذلك، فقـد كان ابن مسعود يشـبه مـعاذًا بالنبي إبراهيـم الخليل -عليه السـلام- لما هو عليـه من السمـو العلمي والمكانة الفـقهـية والخلقـية، وذلك لما امـتاز به مـعاذ رضي الله عنه من فـهم عمـيق للفـقه الإسلامي، أعطاه قدرة على الإجـابة عن المعضلات مما أوجد له القبـول والإعجاب

(١) الأنصار في العصر الراشدي ص٢٥٦ .
(٢) أصحاب الرسول ﷺ (٢/ ٢٠٩).
(٣) الأنصار في العصر الراشدي ص٢٥٦ .
(٤) المصدر نفسه ص٢٥٦ .
(٥) الاكتفاء للكلاعي (٣/ ٣١١).
(٦) الأنصار في العصر الراشدي ص١٢٠ .
(٧) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٥٠).

بين المسلمين[١]، قال عنه عمر: عجـزت النساء أن يلدن مثل معاذ[٢]، وكان عمر إذا حزبه أمر يسـتشير أهل الشورى ومـعهم من الأنصار: معـاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت[٣] لما يتمتعون به من الفقه والتـفسير الواقعي والعملي للأحداث، ولما كان لديهم من خبرة في ذلك؛ إذ كانوا يفتون على عهد رسول الله ﷺ: وقد كان عبد الله بن عمـر رضي الله عنهما يحب سماع حديث معاذ وأبو الدرداء، فـيقول: حدثونا عن العاقلين، فيقال: من العاقـلان؟ فيقول: معاذ وأبو الدرداء الأنصاريان[٤]، ولما خطب الخليفة عمر بن الخطاب بالجابية قال: من كان يريد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل[٥]، وكان رأي عـمر في بداية عهد الصـديق أن الخلافة لا تستـغني عن وجود معاذ بن جبل في عاصمتها وكان معارضًا لخروجه من المدينة، فكان يقول بعد خروج معـاذ إلى الشام: لقد أخل خروجـه بالمدينة وأهلها في الفقـه، وما كان يفتـيهم به، ولقد كنت كلمت أبا بكر أن يحـبسه لحاجة الناس إليـه، فأبى عليّ وقال: رجل أراد الشهادة فلا أحبسه، فقلت: والله إن الرجل ليرزق الشهادة وهو على فراشه وفي بيته عظيم الغنى عن مصره[٦]، ويبدو أن الفاروق غـير رأيه فيما بعد فـقد أرسله لتعليم أهل الشام وأقرّه على البقاء فيها، وقد كـان لخروج معاذ بن جبل إلى الشام أثر كبير لما ترك من العلم والفـقه ولما أثـبت من جدارة في ذلك، قـال أبو مسلم الخـولاني: دخلت مسجد حـمص فإذا فيه نحو من ثلاثين كهـلاً من أصحاب النبي ﷺ وإذا فيـهم شاب أكحل العـينين برّاق الثنايا ساكت لا يتكـلم فإذا امتـرى القوم في شيء أقبلوا عليه فسألوه، فـقلت لجليس لي: من هذا؟ قال: معاذ بن جبل[٧]، وكان معاذ رضي الله عنه يحث على طلب العلم فـيقول: تعلمـوا العلم؛ فإن تعلمـه لله خشيـة وطلبه عبـادة، ومذاكرته تسبـيح والبحث عنه جهاد، وتـعليمه لمن لا يعلمه صـدقة، وبذله

---

(١) الأنصار في العصر الراشدي ص٢٨٥.
(٢) تهذيب الكمال (٢٨/ ١١٣) للمزي نقلاً عن الأنصار في العصر الراشدي.
(٣) الطبقات (١/ ٤٢٦).
(٤) الأنصار في العصر الراشدي ص٢٨٥.
(٥) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٥٢).
(٦) الأنصار في العصر الراشدي ص٢٨٥، سير أعلام النبلاء (١/ ٢٨٥).
(٧) الأنصار في العصر الراشدي ص٢٨٥.

لأهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار أهل الجنة، والأنس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والدين عند الأجلاء يرفع الله تعالى به أقوامًا، ويجعلهم في الخيرة قادة وأئمة تقتبس آثارهم، ويقتدى بفعالهم وينتهي إلى رأيهم[١]، وقد بقي في الشام يعلم الناس دينهم إلى أن أصيب في طاعون عمواس، فبكاه أصحابه فقال: ما يبكيكم، قالوا: نبكي على العلم الذي ينقطع عنا عند موتك، قال: إن العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة، ومن ابتغاهما وجدهما في الكتاب والسنة، فاعرضوا على الكتاب كل الكلام ولا تعرضوه على شيء من الكلام[٢]، فالقرآن عند معاذ هو الميزان الذي يقاس عليه كل شيء ولا يقاس هو على غيره، هذه هي منهجية معاذ في تعليمه للقرآن، بقي متمسكًا بذلك إلى آخر لحظة في حياته، فكان وهو في غمرات الموت كلما أفاق فتح عينيه ثم قال: ربي اخنقني خنقك فوعزتك إنك لتعلم أن قلبي يحبك[٣]، وأما عبادة بن الصامت ﷺ، فقد وجهه عمر الفاروق إلى الشام قاضيًا ومعلمًا، فأقام بحمص، ثم انتقل إلى فلسطين، فولي قضاءها، واستقر به المقام فيها، فكان أول من تولى قضاء فلسطين، وكان أيضًا يعلم أهلها القرآن، وظل على هذا النحو إلى أن مات بها[٤]، وقد أسهم عبادة بنصيب كبير في تنفيذ سياسة الفاروق ﷺ العلمية والتربوية والجهادية، وكان ﷺ من أهل الزهد والخشونة فعندما وصل إلى حمص قال لأهلها: ألا إن الدنيا عرض حاضر، وإن الآخرة وعد صادق . . . ألا وإن للدنيا بنين وإن للآخرة بنين فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن كل أم يتبعها بنوها[٥]، فهذه المعاني كان عمر ﷺ يحرص على ترسيخها في نفوس المسلمين، ويختار من الصحابة الكرام ﷺ من يستطيع أن يذكر الناس بها وتتجسد هذه المعاني في سيرته، وكان ﷺ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولا تأخذه في الله لومة لائم، فعندما كان قاضيًا في فلسطين، أنكر على والي الشام شيئًا

---

(١) المصدر نفسه ص٢٨٥، حلية الأولياء (١/ ٢٣٩).

(٢) صفة الصفوة (١/ ٥٠١)، الأنصار في العصر الراشدي ص٨٤ .

(٣) صفة الصفوة (١/ ٥٠١).

(٤) عبادة بن الصامت صحابي كبير وفاتح مجاهد د. وهبة الزحيلي ص٨٤ .

(٥) الاكتفاء للكلاعي (٣/ ٣١٠).

وقال: لا أساكنك بأرض فرحل إلى المدينة، فقال له عمر: ما أقدمك؟ فأخبره، فقال: ارحل إلى مكانك فقبح الله أرضًا لست فيها وأمثالك فلا إمرة له عليك(١)، فعاد إلى الشام داعية ومعلمًا وقدوة في مجتمعه، وبعث عمر ﷺ - أيضًا- عبد الرحمن بن غنم الأشعري إلى الشام يفقه الناس. فمعاذ وأبو الدرداء وعبادة ﷺ هم الأعمدة الرئيسية التي اعتمد عليها عمر في تأسيس المدرسة الشامية التي قامت بالدعوة والتعليم والتربية في تلك الديار، وكان معهم مجموعة خيرة من الصحابة الكرام، وعلى يد هؤلاء الصحب الكرام تعلم التابعون بالشام، وكانوا كثيرين إلا أن أشهرهم عائذ الله بن عبد الله أبو إدريس الخولاني، ومكحول أبو عبد الله الدمشقي وغيرهم كثير(٢).

٦- المدرسة المصرية:

كان في جيش عمرو بن العاص ﷺ الذي فتح مصر الكثير من الصحابة، إلا أننا يمكن أن نعد عقبة بن عامر ﷺ أكثر الصحابة، تأثيرًا في مصر في النواحي العلمية، وقد أحب أهل مصر عقبة، وَرَوَوْا عنه، ولازموه، حتى قال سعد بن إبراهيم: كان أهل مصر يحدثون عن عقبة بن عامر، كما يحدث أهل الكوفة عن عبد الله(٣)، وتلقى المصريون العلم عن الصحابة، وكان من أشهرهم أبو الخير مرشد ابن عبد الله اليزني، فقد أخذ العلم وتتلمذ على يد عقبة، وعمرو بن العاص(٤)، وعبد الله بن عمرو ﷺ. هذه أهم المدارس التي كان لحركة الفتوحات أثر في نشأتها والتي أشرف على نواتها الأولى الفاروق ﷺ، وقد كان عمر ﷺ إذا اجتمع إليه جيش بعث عليهم رجلاً من أهل العلم والفقه ليعلم الجند أمور دينهم وما قد يعرض لهم من الأمور والأحكام والقواعد الفقهية والقرآن(٥)، وعندما اتسعت الفتوحات الإسلامية احتاجت للمؤسسات العلمية التربوية، بنيت فقد الأمصار الإسلامية مثل الكوفة والبصرة والفسطاط، فبالإضافة إلى كونها قواعد عسكرية ومراكز لتجمع الجند

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٢٢)، الأنصار في العصر الراشدي ص١٢٤.
(٢) تفسير التابعين (١/ ٥٢٦ إلى ٥٢٨).
(٣) المصدر نفسه (١/ ٥٤٠، ٥٤١).
(٤) حسن المحاضرة (١/ ٢٩٦).
(٥) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (٢/ ٧١٢).

وأسرهم، أصبحت أيضًا مقرًا لتجمع العلماء والفقهاء والوعاظ[١]، فقد كان الفاروق يعين الدعاة والمعلمين ويرسلهم إلى البلدان المفتوحة، وقد صرح الفاروق بأن من أهم مقاصد بعث الولاة والأمراء إلى الأمصار أن يقوموا بتعليم الناس، فقد خطب الفاروق ﷺ وقال: اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار وإني إنما بعثتهم عليهم ليعدلوا بينهم وليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ﷺ ويقسموا فيهم فيئهم[٢]...، وقد فرض الفاروق الأرزاق من بيت مال المسلمين للمعلمين والمفتين حتى يتفرغوا لأداء مهمتهم في التعليم والإفتاء وحتى الذين يعلمون الأطفال تكفل الفاروق بأرزاقهم، فقد كان بالمدينة ثلاثة معلمين يعلمون الصبيان، فكان عمر يرزق كلاً منهم خمسة عشر (درهمًا) في كل شهر[٣]، فقد كان نشر التعليم من أهم أهداف الخليفة عمر بن الخطاب، فقد أرسل في البوادي والأمصار من يعلمهم دينهم، ولم يكتف عمر ﷺ بجهود ولاة الأمصار في نشر التعليم، بل دعمها بالعلماء الذين كان يرسلهم من المدينة، محملين بوصاياه، فقد بعث عشرة من الصحابة ﷺ وكان فيهم عبد الله بن مغفل المزني ليفقهوا الناس بالبصرة[٤]، وكذلك بعث عمران بن حصين الخزاعي ﷺ إلى البصرة ليفقه أهلها وكان من فقهاء الصحابة[٥].

ويبدو أن التعليم في الشام كان أكثر مركزية من بقية الأمصار؛ لأن عمر ﷺ لما افتتح البلدان كتب إلى أبي موسى الأشعري، وهو على البصرة، يأمره أن يتخذ للجماعة مسجدًا، ويتخذ للقبائل مساجد، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة وشهدوا الجمعة، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص، وهو على الكوفة، بمثل ذلك، وكتب إلى عمرو بن العاص، وهو على مصر، بمثل ذلك، وكتب إلى أمراء أجناد الشام: لا يتبدوا إلى القرى ويتركوا المدائن، وأن يتخذوا في كل مدينة مسجدًا واحدًا، ولا يتخذوا للقبائل مساجد كما اتخذ أهل الكوفة والبصرة ومصر[٦]، فقد اهتم الفاروق بالكوادر العلمية المتخصصة وبعثها إلى الأمصار، وأرشد القادة

---

(١) المصدر نفسه (٢/ ٧١٢).
(٢) مسلم رقم ٥٦٧.
(٣) رواه البيهقي (٦/ ١٢٤)، السلطة التنفيذية (٢، ٧٦٦).
(٤) عصر الخلافة الراشدة ص٢٧٣.
(٥) المصدر نفسه ص٢٧٣ .
(٦) المصدر نفسه ص٢٧٥.

والأمراء- مع توسع حركة الفتوحات- بإقامة المساجد في الأقاليم المفتوحة لتكون مراكز للدين الجديد، ومراكز للعلم والمعرفة ونشر الحضارة الإسلامية، فقد كانت المساجد هي المؤسسات العلمية الأولى في الإسلام، ومن خلالها تحرك علماء الصحابة لتعليم الأمة وفق الخطة الاستراتيجية التي سار عليها الفاروق والتي وضعت منذ عصر النبي ﷺ، وقد وصلت المساجد التي يصلى فيها الجمعة في دولة عمر رضي الله عنه إلى اثني عشر ألف منبر[1]، وكانت تقوم بدورها في تعليم الناس وتربيتهم وتهذيب نفوسهم، وعندما احتاج المسلمون إلى فصل مكان تعليم الصبيان عن المساجد أمر عمر رضي الله عنه ببناء بيوت المكاتب ونصب الرجال لتعليم الصبيان وتأديبهم[2]، وشجع الفاروق الطلاب على تلقي العلوم ويسر سبلها لهم، وأعطاءهم المكافآت المالية تشجيعًا لهم، فقد كتب إلى بعض عماله بمنح الجوائز تشجيعًا للمتفوقين، وقد تجلى ذلك في أمره لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بأن يعطي من يتعلم القرآن مما بقي من المال[3]، وهذا التشجيع من الفاروق لأبناء الأمة- الذين إن تفرغوا لتعلم كتاب الله وحفظه فلن يجدوا إلا العون والتشجيع وخصوصًا في الأقاليم التي أهلها حديثو عهد بالإسلام- يفجر الطاقات الكامنة فيها من مقدرة أبنائها على حفظ وفهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقد كان رضي الله عنه يهتم بكافة العلوم التي لها علاقة بالقرآن والسنة وخصوصًا اللغة العربية، ومن أقواله في ذلك: تعلموا العربية فإنها تثبت العقل وتزيد في المروءة[4]. وقوله: تعلموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض[5]، وقوله: تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه[6]، وقوله: شر الكتابة المشق[7]، وشر القراءة الهذرمة، وأجود الخط أبينه[8]، بل نجد أن الفاروق يعاقب من يخطئ في العربية وهو في مكان مهم ينبغي أن يكون فيه مجيدًا لما كلف به وتحمله، فقد ورد أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتابًا،

---

(١) نظام الحكومة الإسلامية (٢/ ٢٦٢).
(٢) السلطة التنفيذية (٢/ ٧٦٨).
(٣) أشهر مشاهير الإسلام (٢/ ٥٤٠، ٥٤١).
(٤) معجم الأدباء (١/ ١٩).
(٥) البيان والتبيين للجاحظ (٢/ ٢١٩).
(٦) ألف باء للبلوي (١/ ٤٢) أولويات الفاروق ص٤٥٨.
(٧) المشق: تطويل الخط بغير إجادة.
(٨) تدريب الراوي للسيوطي ص١٥٢.

فكتب إليه عمر: إن كاتبك الذي كتب إليَّ لحن فاضربه سوطًا[١]، وقد روى ابن الجوزي أيضًا: أن كاتب عمرو بن العاص كتب إلى عمر فكتب: بسم الله، ولم يكتب السين، فكتب عمر إلى عمرو: أن اضربه سوطًا، فضربه عمرو، فقيل له: في أي شيء ضربك؟ قال في سين[٢].

إن الفاروق ﷺ كان حريصًا على إتقان كل شيء، ولذا لم يترك أمرًا من الأمور التي تتصل بالسياسة أو الاقتصاد أو الجيوش، أو التعليم، أو الأدب، أو غير ذلك مما يتصل بحياة الأمة ومجدها وعزتها وقوتها وحضارتها إلا أبدع فيه وأعطاه اهتمامه، ويدلنا ذلك على شمولية سياسته وحسن رعايته للأمة باستعمال الشدة في موضعها، واللين في موضعه، والحفاظ على أن يكون مستوى الكتابة بين الولاة على مستوى الفصحى في أمة دستورها القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين[٣].

كانت خلف المؤسسة العسكرية التي قامت بفتح العراق وإيران والشام ومصر وبلاد المغرب، كوادر علمية وفقهية ودعوية متميزة تربت على يدي رسول الله ﷺ في المدينة، وقد استفاد الفاروق من هذه الطاقات فأحسن توجيهها ووضعها في محلها، فأسست تلك الكوادر الحركة العلمية والفقهية التي كانت مواكبة لحركة الفتح، واستطاع علماء الصحابة الذين تفرغوا لدعوة الناس وتربيتهم أن ينشئوا جيلاً من العارفين بالدين الإسلامي من أبناء المناطق المفتوحة، وقد استطاعوا أن يتغلبوا على مشكلة إعاقة الحاجز اللغوي، بل تعلم الكثير من الأعاجم لغة الإسلام، وأصبح كثير من روّاد حركة العلم بعد عصر الصحابة من العجم، لقد أثرت المدارس العلمية والفقهية في المناطق المفتوحة، وشكلت جيلاً من العلماء نقلوا إلى الأمة علم الصحابة وأصبحوا من ضمن سلسلة السند التي نقلت للأمة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويرجع الفضل - بعد الله - في نقل ما تلقاه الصحابة من علم من الرسول ﷺ بالدرجة الأولى إلى مؤسسي المدارس العلمية، بمكة والمدينة، والبصرة، والكوفة، ومصر وغيرها من الأقطار[٤].

(١، ٢) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص١٥١.
(٣) أولويات الفاروق ص٤٥٨.
(٤) الدور السياسي للصفوة ص٤٦٢ إلى ٤٦٣.

وقد اهتم الفاروق بأولئك العلماء والفقهاء وتابع أحوالهم وسعيهم، حتى بارك الله في جهودهم وأثمرت تلك الثمار، فأصبحت يانعة.

ثالثاً: الفاروق والشعر والشعراء:

يظهر من الأخبار التي وصلتنا أن الحركة الشعرية، كانت نشطة في المدينة أيام عمر ابن الخطاب، حيث لا يخلو كتاب في تاريخ الشعر العربي من ذكر عمر بن الخطاب، وبخاصة في موضوع النقد الأدبي. وانتشار الآراء النقدية في زمنه دليل على وجود السماع أو الرواية، ومعروف أن كتب الأدب لم تعتمد في الأسانيد على الموثوقين من الرواة، ولكنها تكون المصدر الوحيد للأخبار الأدبية والنقدية التي تتصل بالخلفاء الراشدين، والصحابة بعامة، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما عدا بعض الأراجيز التي كانت تردد في العهد النبوي وروتها كتب الحديث الشريف[١]، ونحو أبيات للنابغة الجعدي[٢] وأمية بن أبي الصلت وحسان بن ثابت[٣]، فالمراجع في ما يتعلق بالشعر والشعراء في عهد عمر هي كتب الأدب والأدباء، فهي غنية في هذا الباب.

١- عمر والشعر:

كان عمر رضي الله عنه أكثر الخلفاء الراشدين ميلاً لسماع الشعر وتقويمه، كما كان أكثرهم تمثلاً به، حتى قيل: كان عمر بن الخطاب لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر[٤]: روي أنه خرج يوماً - وقد لبس برداً جديداً فنظر إليه الناس نظراً شديداً، فتمثل قائلاً:

لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

أين الملوك التي كانت نوافلها ... من كل أوب إليها راكب يفد

حوض هنالك مورود بلا كذب ... لابد من ورده يوماً كما وردوا[٥]

---

(١) مجمع الزوائد (٨/١٢٦).
(٢) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢/٩٨).
(٣،٤) البيان للجاحظ (١/٢٤١)، الأدب في الإسلام. نايف معروف ص١٦٩.
(٥) الأدب في الإسلام د. نايف معروف ص١٧٠.

ويروي الإمام الشافعي - رحمه الله - أن عمر كان يحرك في محسر ويقول:

إليك تغـــــدو قلقًا وضينهـــا مخالفًا دين النصـــارى دينهـــا[١]

والبيت لواحد من نصارى نجران أسلم وقد ذهب يحج.

وقيل لامرأة أوسية حكيمة من العرب بحضرة عمر ﷺ: أي منظر أحسن؟

فقالت: قصور بيض في حدائق خضر، فأنشد عمر ﷺ لعدي بن زيد:

كدمُى العـــاج في المحاريـــــب

أو كالبيض في الروض زهره[٢] مستنير

وعن ابن عباس قال: خــرجت مع عمر في بعض أسفاره فإنا لنـسير ليلة، وقد دنوت منه إذ ضرب مقدم رجله بسوطه. وقال:

كذبتم وبَيْتِ الله يُقتل أحمد ونسلمه حتى نُصرَّع حولـه

ولما نطاعــن دونه ونناضــل ونذهل عن أبنائنا والحلائـل

وقال أيضًا:

وما حملت من ناقة فوق رحلها أبرّ وأوفى ذمــة من محمـــــد

وأكسى لبرد الخــال قبل ابتذالـه وأعطى لرأس السابق المتجــرد[٣]

ويلاحظ الباحث أن محفــوظ عمر من الشعر - قديمه ومعاصــره- كان طيِّعًا له، مما ينبئ عن حافظة مستــوعبة لمخزونها، مصنفة له؛ إذ كــان على طرف لسانه منه ما يناسب وقائع يومــه في بديهة حاضــرة وحافظة سريعــة، بل إنه حفظ من الشعــر ما صدر عن ضغينة للإسلام، فأسمع حسان بن ثابت ما قالته هند بنت عتبة ضد حمزة والمسلمين[٤]، مما هيج حسان للرد عليها.

وبهذا يمكننا أن نقول: إن عمر كان مرهــف الحس، رقيق الشعور، يتذوق الشعر ويرويه، ويبدي فيه رأيًــا صائبًا، بيد أنه لم يكن شاعرًا، كمــا يرى بعض الباحثين، وما قيل من أنه شاعر لا يسلم به النقاد والأدباء المنصــفون؛ لأنه عاش في قومه كتابًا

(١) مسند الشافعي ص١٢٢ نقلاً عن عمر بن الخطاب د. أبو النصر ص٢٠٩.

(٢) المصدر نفسه ص٢٠٩، أدب الإملاء للسمعاني ص٧١ .

(٣) تاريخ الطبري (٥/٢١٨).

(٤) عمر بن الخطاب ص٢٠٩ محمد أبو النصر.

مفتوحًا، لا يستتر منهم في شيء، وكانت لـه مجالسه التي تجمعه وغيره من الناس، ولو كان لعمر شعر لرواه عنه هؤلاء ورددوه وأذاعوه فيما بينهم، ووصل إلينا عن طريق الرواة كما وصلت إلينا سيرته وحياته، كما أن النقاد الأوائل لم يذكروا أن عمر كان شاعرًا ، فلم يذكره ابن سلاّم في طبقاته، ولا ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء، كما لم يذكره الجاحظ في كتاباته التي عني فيها بكثير من بلاغة عمر وأدبه[١]، وقد ذكر المبرد في خبر عمر ومتمم بن نويرة - في رثائه الأخير - مالك ابن نويرة قول عمر لمتمم: لو كنت أقول الشعر - كما تقول - لرثيت أخي كما رثيت أخاك[٢]، وكان ﷺ يحب من الشعر ما يعبر عن جوهر الحياة الإسلامية، ويصور مبادئها، ولا تتعارض معانيه مع معاني الدين الجديد، أو تغاير قيمه. وكان يحث المسلمين على تعلم الشعر الجميل فيقول: تعلموا الشعر فإن فيه محاسن تبتغى، ومساوئ تُتْقَى، وحكمة للحكماء، ويدل على مكارم الأخلاق[٣]، وكتب لأبي موسى الأشعري واليه على العراق: مُرْ من قبلك بتعلم الشعر، فإنه يدل على معالي الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب[٤]، ولا يقف عند هذا الحد فحسب، بل يراه مفتاحًا للقلوب ومحركًا لمشاعر الخير في الإنسان، فهو يقول في فضله ونفعه: أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر يقدمها في حاجاته، يستعطف بها قلب الكريم ويستميل بها قلب اللئيم[٥]. ولكي تكتمل تربية الأبناء يوجه الآباء ليروّوا أولادهم محاسن الشعر، فيقول: علموا أولادكم العوم والرماية، ومروهم فليثبوا على الخيل وثبًا، وروّوهم ما يجمل من الشعر[٦]، ويظهر حرص عمر على الشعر الجاهلي شديدًا، لما لذلك من صلة بكتاب الله حين يقول: عليكم بديوانكم لا تضلّوا. فقال له سامعوه: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية؛ فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم[٧]، وهذا يتفق مع موقف تلميذه ترجمان القرآن عبد الله بن

---

(١) المصدر نفسه ص٢١٠ .
(٢) الكامل في الأدب (٢/ ٣٠٠).
(٣) أدب الإملاء للسمعاني ص٧١.
(٤) العمدة لأبي رشيق (١/ ١٥).
(٥) الأدب في الإسلام د. نايف معروف ص١٧١ .
(٦) الكامل في الأدب (١/ ٢٢٧).
(٧) المعجم الكبير للطبراني (٧/ ١٢٩)، الأدب الإسلامي ص١٧١.

عباس الذي يقول: إذا قرأتم شيئًا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب[١]. وكان عمر ﷺ يرى أن الشعر كان أصح العلوم عند الجاهليين، فقد ورد أنه قال: كان الشعر علم القوم، ولم يكن لهم علم أصح منه، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد وغزو الروم ولهيت عن الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب في الأمصار، راجعوا رواية الشعر فلم يئولوا إلى ديوان مدون، ولا كتاب مكتوب وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك، وذهب عنهم أكثره[٢].

وقد كان ﷺ يحب من الشعراء من ملأ الإيمان قلبه، وعمر وجدانه بمثل الإسلام الرفيعة، وقيمه السامية، وترجمها شعرًا ينم عن التدين الحق، ويصور الأخلاق الفاضلة، التي حث الإسلام عليها، وطالب أتباعه باعتناقها، أما ما عدا ذلك مما يتعارض مع هذه المبادئ وتلك القيم، فإن عمر كان يلفظه ويأباه، ويقف من أصحابه موقفًا متشددًا، يؤازره في ذلك: حسه الرهيف، وذوقه الرفيع، الذي ينفذ إلى أعماق النص الأدبي يكشف عما فيه من قيم شعورية تتمشى مع الإسلام ولا ترفضها تعاليمه[٣].

٢- الفاروق والحطيئة والزبرقان بن بدر:

روي أن الشاعر الحطيئة - أبا مليكة - جرول بن أوس من بني قطيعة بن عبس، كان في طريقه إلى العراق فرارًا بأهله من الجدب، وطلبًا للعيش، فلقي الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس بن خلف التميمي السعدي[٤] وكان في طريقه إلى عمر بصدقات قومه، وعرفه الزبرقان فحادثه، وعلم بحاله، فطلب إليه أن ينزل بقومه، وينتظر أوبته، فنزل الحطيئة بهم، لكن بغيض بن عامر بن شماس بن لؤي بن جعفر أنف الناقة، وكان خصمًا للزبرقان، استطاع أن يفسده عليه، وأن يضمه إليه، وأن يغريه

---

(١) الأدب في الإسلام ١٧١، العمدة لابن رشيق(١/ ١٧).

(٢) طبقات الشعراء ابن سلام (١/ ٢٥)، أدب صدر الإسلام ص٨٧.

(٣) عمر بن الخطاب، محمد أبو النصر ص٢١٨.

(٤) المصدر نفسه ص٢١٩.

بالزبرقان، فاندفع يهجوه ويمدح بني أنف الناقة، وبلغ هجاؤه قصائد عدة دفع الزبرقان بن بدر بواحدة منها إلى عمر، يقول فيها الحطيئة:

ما كان ذنب بغيض لا أبا لكم　　في بائس جاء يحدو آخر الناس

لقد مريتكم لو أن درتكم　　يومًا يجيء بها مسحي وإبساسي[1]

إلى أن قال:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها　　واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه　　لا يذهب العرف بين الله والناس

ما كان ذنبي أن فلت معاولكم　　من آل لأبي صفاة أصلها راسي

قد ناضلوك فسلوا من كنانتهم　　مجدًا تليدًا ونبلاً غير أنكاسي[2]

ثم رفع أمره إلى عمر وأتاه به وقال له: هجاني قال: وما قال لك؟ قال: قال لي: دع المكارم لا ترحل لبغيتها... إلخ الأبيات. فقال عمر: ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة، فقال الزبرقان: أو ما تبلغ مروءتي إلا أن آكل وألبس؟ فقال عمر: عليّ بحسان، فجيء به فسأله، فقال لم يهجه، بل سلح عليه، فسجنه عمر[3] وكان عمر ﷺ أعلم الناس بالشعر ولكنه هنا في مقام القضاء فاستدعى أهل التخصص ليحكموا ثم أصدر بعد ذلك حكمه، ويقول العقاد عن عمر في هذه القضية: (... فنسي أنه الأديب الراوية، ولم يذكر إلا أنه القاضي، الذي يدرأ الحدود بالشبهات، ولا يحكم بما يعلم دون ما يعلمه أهل الصناعة)[4]، وحينما شعر الحطيئة بمرارة السجن أخذ يستعطف عمر بأبيات ينفي ما نُسب إليه، وذلك على طريقة النابغة في اعتذارياته للنعمان بن المنذر، حين يقول:

---

(١) الإبساس: دعاء الناقة بقولهم، بس بس طلباً لإدرارها.
(٢) عمر بن الخطاب، محمد أبو النصر، ص٢٢٠.
(٣) سلح: تغوط، الأدب في الإسلام ، ص١٧٢.
(٤) عبقرية عمر، ص٢٤٦.

أعــــوذ بجــــدك إني امــــرؤ سقتني الأعادي إليك السِّجالا

ولا تأخذني بقول الوشــــــاة فإن لكل زمــــــــان رجالا

فإن كان ما زعمــــــوا صادقًا فسيقت إليك نســائي رجالا[١]

حواسر لا يشتكـــــين الوَجَا يُخَضّضْن آلا ويرفعـــن آلا[٢]

فلم يستجب عمـر لاعتذاره، حتى قال أبياته العاطفـية المؤثرة الرائعة التي يقول فيها[٣]:

ماذا تقول لأفراخ بذي مــــرخٍ زغب الحواصل لا ماء ولا شجـر

ألقيت كاسبهم في قعــــر مظلمة فاغفر عليك ســـلام الله يا عمر

أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقت إليك مقاليد النُّهى البشــر[٤]

لم يؤثروك إذا ما قدمــــوك لها لكن بك استأثروا إذ كانت الأثر

فامنن على صبية بالرمل مسكنهم بين الأباطح تغشاهم بهــا القِرَرُ

أهلي فـــــداؤك ما بيني وبينهــم من عرض داوية تعمى بها الخُبُرُ[٥]

فبكى عمر تأثرًا بما سمعه، وأمر بإطـلاق سراحه، وعملاً على لجم لسانه، فقد اشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم. فقال الحطيئة متشاكيًا في ذلك:

وأخذتَ أطراف الكلام فلم تدع شتمًا يضر ولا مديحًا ينفـــــع

وحميتني عرض اللئيم فلم يخف ذمي وأصبح آمنًا لا يفـــــزع

ويبدو أن الحطيئة لم يقتنع في قرارة نفسه بوجوب هجر الهجاء نهائيًّا، فاستدعاه عمر، وأجلســه بين يديه، وهدده بقطع لسانه، فقال الحطيئـة: يا أمير المؤمنين، إني والله قد هجوت أبي وأمي، وهجـوت امرأتي وهجوت نفسي، فتبـسم عمر رضي الله عنه، وعفا عنه[٦]، وانتهى الحطيئـة عن الهجاء في زمن عمر، وهـناك حادثة أخرى مماثلة

---

(١) رجالاً: أي راجلة. (٢) الوجا: الحفا. (٣) الكامل في الأدب (٢/ ٧٢٥).

(٤) النهى: العقل. (٥) الداوية: الفلاة الواسعة. (٦) الكامل في الأدب (٢/ ٧٢٥).

ذكرها صاحب (زهر الآداب) حيث قال: كان بنو العَجلان يفخرون بهذا الاسم ويتشرفون بهذا الوسم إذ كان عبد الله بن كعب جدهم إنما سمّي العجلان لتعجيله القِرَى للضِّيفان. . . فكان شرفًا لهم حتى قال النجاشي- واسمه قيس بن عمرو بن كعب- يهجوهم بقصيدة منها:

أولئك أخوال اللعين وأسرة الهجين ورهط الواهن المتذلّلِ

وما سمي العجلان إلا لقوله خذ العقب واحلب أيها العبد واعْجلِ

وزعمت الرواة أن بني العجلان استعدوا على النجاشي - لما قال هذا الشعر- عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحبسه وقيل جلده[1]، فالخليفة عمر بن الخطاب يعاقب على شعر الهجاء، وليس الأمر كذلك فحسب، وإنما كان يعاقب على أنواع أخرى من الشعر منها: التعرض لأعراض المسلمين، إثارة الشحناء والبغضاء بين المسلمين، التعرض لنساء المسلمين، وقد فصل ذلك الدكتور واضح الصمد[2].

٣- الشعر يحول حزم عمر إلى لين وشفقة:

كان أمية بن الأسكر الكناني، وكان سيدًا من سادات قومه، وله ابن اسمه كلاب هاجر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأقام بها مدة، ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام فسألهما: أي الأعمال أفضل في الإسلام؟ فقال له: الجهاد، فسأل عمر فأغزاه في الجند الغازي إلى الفرس. فقام أمية وقال لعمر: يا أمير المؤمنين ، هذا اليوم من أيامي ولولا كبر سني، فقام إليه ابنه كلاب وكان عابدًا زاهدًا، فقال: لكني يا أمير المؤمنين أبيع الله نفسي وأبيع دنياي بآخرتي فتعلق به أبوه وكان في ظل نخل له وقال: لا تدع أباك وأمك شيخين ضعيفين ربياك صغيرًا حتى إذا احتاجا إليك تركتهما. فقال: نعم أتركهما لما هو خير لي، فخرج غازيًا بعد أن أرضى أباه فأبطأ، وكان أبوه في ظل نخل له، وإذا حمامة تدعو فرخها، فرآها الشيخ فبكى، فرأته العجوز فبكت، وأنشأ يقول:

---

(١) زهر الآداب للقيرواني (١/ ٥٤)، الأدب في الإسلام ص٩٢.
(٢) أدب صدر الإسلام د. واضح الصمد ص٩٢، ٩٣.

لمن شيخـــــان قد نشدا كلابا ... كتاب الله لــــو قبل الكتابا

أناديــــــه فيعرض في إبـــاء ... فلا وأبي كـــلاب ما أصـابا

لذا هتفت حمامــــة بطن وج[١] ... على بيضـــاتها ذكرًا كلابـا

فـــإن مهاجـرين تكنفـــاه ... ففـــارق شيخـه خطئًا وخابا

تركت أبــاك مرعشـــة يداه ... وأمــك ما تسيغ لهـــا شرابا

تنفض مهـــده شفقًا عليـــه ... وتجنبه أبا عــــرها الصعـــابا

فإنك قد تركـــت أباك شيـــخًا ... يطـارق[٢] أينقًا[٣] شربًا[٤] طرابا

إذا ارتعشـــن أرقالاً[٥] ســـراعًا ... أثـــرن بكـــل رابيـــة ترابـا

طويلاً شـــوقه يبكيك فـردًا ... على حـــزن ولا يرجـو الإيابا

فإنك والتمـــاس الأجر بعدي ... كباغي الماء يتبـــع الســـرابا[٦]

وكان أميـة قد أضر (أي عمي) فـأخذه قائده بيده ودخل به على عـمر وهو في المسجد فأنشده:

أعاذل قد عذلـــت بغير علم ... وما تدرين عـــاذل ما ألاقي

فأما كنت عاذلتي فـــردي ... كلابًا إذ توجـــه للعـــراق

ولم أقض اللبـانة من كلاب ... غـــداة غد وآذن بالفـــراق

فتى الفتيــان في عسر ويسر ... شـديد الركن في يوم التلاقي

فلا وأبيك ما باليت وجـدي ... ولا شفقي عليـك ولا اشتياقي

وإيفادي عليـــك إذا شتـونا ... وضمك تحت نحري واعتناقي

فلو فلق الفـؤاد شديد وجد ... لَهَمَّ ســــواد قلبي بانفلاق

---

(١) اسم واد بالطائف. (٢) يطارق: يضرب. (٣) أينقًا: جمع ناقة.

(٤) شربًا: ضامرة. (٥) الإرقال: السير السريع (٦) عمر بن الخطاب، محمد أبو النصر ص٢٢٦.

سأستعـــدي على الفاروق ربًّا | له دفع الحجيـــج إلى بساق[١]
وأدعو الله مجتهـــــدًا عليـه | ببطن الأخشبين[٢] إلى دقـاق[٣]
إن الفــــاروق لم يردُد كلابًا | على شيخين هامهمـــا زواق[٤]

فبكى عـمر بكاءً شديدًا وكتب إلى أبي مـوسى يأمره بإشخاص كـلاب، فرحّله على الفور. فقدم على عمر، فأمر به فأدخل ثم أرسل إلى أميّة، فتحدث معه ساعة ثم سأله ما أحب الأشياء إليه في يومه، فـقال: كلاب أحب أنه عندي فأشمه، فأمر بكلاب فـأخرج إليه. فـوثب الشيخ، فـجعل يشمّ ابنـه ويبكي، وجعل عـمر رضي الله عنه يبكي[٥]، والحاضرون كذلك وقـالوا لكلاب: الزم أبويك فجاهد فيهمـا ما بقيا، ثم شأنك بنفسك بعدهما، وأمر له بعطائه، وصرفـه مع أبيه، وتغنت الركبان بشعر أبيه فبلغه، فأنشأ يقول:

لعمرك ما تركت أبا كـــلاب | كبير الســـن مكتئبًا مصـــابا
وأمًّا لا يزال لهـــا حنـــين | تنادي بعد رقدتهـــا كـــلابا
لكسب المال أو طلب المعالي | ولكني رجـــوت بـه الثوابا

وكان كلاب من خيار المسلمين فلم يزل مقيمًا عندهما حتى ماتا[٦].

وهناك حادثة مشابهـة حيث هاجر شيبان بن المخبل السعـدي (الشاعر المعروف) وخرج مع سـعد بن أبي وقاص لحـرب الفرس، فجـزع عليه والده (المخبل) جـزعًا شديدًا، وكان قد أسنَّ وضعف، فلم يملك الصبر عنه، فأنشد قصيدة يقول فيها:

أيهلكني شيبـــان في كلِّ ليــــلة | لقلبي من خـــوف الفـــراق وجيبُ
فإني حنت ظهري خطوب ألا ترى | أرى الشخص كالشخصين وَهْوَ قريب
ويخبرني شيبــــــان أن لن يعقّني | تَعُـــقُّ إذا فارقتنـــي وتحــــــوب[٧]
فلا تُدخلَنَّ الدهر قبـرك حـوبـةً | يقــــوم بها يومًا عليــك حسيب[٨]

---

(١) جبل عرفات. (٢) جبلان بمكة. (٣) موضع. (٤) زواق: أشرف على الموت.
(٥) الأدب الإسلامي د. نايف معروف ص١٨٠. (٦) عمر بن الخطاب د. محمد أبو النصر ص٢٢٨.
(٧) تحوب: تأثم. (٨) الحوبة: الذنب.

فلما سمعها عمر رق له وبكى، وكتب إلى سعد بأن يرجع شيبان، فرده إلى أبيه[١]، ولم تكن هذه الحادثة هي الأخيرة من نوعها حيث يتأثر عمر بالشعر بل يُذكر له حوادث مماثلة منها: هاجر خراش بن أبي خراش الهذلي في أيام عمر بن الخطاب، وغزا مع المسلمين فأوغل في أرض العدو فقدم أبو خراش المدينة، فجلس بين يدي عمر وشكا إليه شوقه إلى ابنه وأنه رجل قد انقرض أهله وقتل إخوته، ولم يبق له ناصر ولا معين غير ابنه خراش، وقد غزا وتركه، وأنشأ يقول:

ألا من مبلغ عني خراشًا ... وقد يأتيك بالنبأ البعيد

وقد تأتيك بالأخبار من لا ... تجهز بالحذاء ولا تزيد

تناديه ليعقبه كليب ... ولا يأتي لقد سفه الوليد

فرد أناءة لا شيء فيه ... كأن دموع عينيه الفريد

وأصبح دون غابقة وأمسى ... جبال من جرار الشام سود

ألا فاعلم خراش بأن خير ... المهاجر بعد هجرته زهيد

رأيتك وابتغاء البِرَّ دوني ... كمخضوب اللبان ولا يصيد[٢]

فتأثر عمر، وكتب بعودة خِراش إلى أبيه، وأمر بأن لا يغزو من كان له أب شيخ إلا بعد أن يأذن له[٣].

وهكذا نلاحظ تأثر أمير المؤمنين بالشعر، ولشدة تأثره يبكي، وهو الذي اشتهر بالشدة والحزم، وهذا يدل على إحساسه المرهف وشعوره الإنساني، حيث يشارك الآباء العاجزين توقهم وحاجتهم إلى أبنائهم، وكذلك يشارك كل إنسان مظلوم أو مغلوب على أمره، ما ينتابه من أحاسيس ومشاعر وقد مرّ معنا موقفه من شعر الهجاء[٤].

٤- نزعة النقد الأدبي عند عمر:

كان عمر بن الخطاب من أشد الناس تأثرًا برسول الله ﷺ حتى في نظرته إلى

---

(١) أدب صدر الإسلام، ص (٩٠).

(٢) عمر بن الخطاب د. محمد أبو النصر ص ٢٣٠.

(٣) الأغاني للأصفهاني (١٣/ ١٨٩).

(٤) أدب صدر الإسلام ص ٩٠.

الأدب، وفي حكمه على الشعر والشعراء، وقد أثرت عنه آراء وأحكام نقدية لنصوص أدبية كثيرة، ومعظم هذا المروي - نقل عنه - وهو خليفة - أي في السنوات العشر الأخيرة من حياته، وهي آثار تصور في جملتها مدى تقديره للأثر الأدبي عندما تكتمل له (نظرية الكمال) التي يراها عمر، والتي هي لديه نتاج ثقافة العمر في تلك المرحلة الناضجة، لذا ينبغي أن نحيط بالروافد التي أصقلت حسه النقدي، ونمت ملكة النقد عنده واضعين في الاعتبار حياته بشطريها الجاهلي والإسلامي على هذا النحو:

- كان عمر في جاهليته واحدًا من المسئولين عن صيانة القيم الجاهلية، وكانت له مكانته في قريش، وقريش آنذاك محط أنظار العرب وملتقى أفئدتهم، وكان كذلك في الإسلام في عصر الخلافة.

- كان عمر خبيرًا بالشعر العربي جاهليه وإسلاميه، مستوعبًا لما قاله المشركون والمرتدون وأعداء الإسلام من شعر ضد هذا الدين الحنيف.

- كان عمر عليمًا بأحوال العرب في الجاهلية والإسلام - عقيدة وتاريخًا وأنسابًا وسلوكًا وعلمًا، وقد أنار له علمه بهذه الأشياء طريق نقد الكلام وإبداء الرأي فيه.

- حرص عمر منذ نشأته على غشيان المجالس الأدبية، التي لم تخل من المسامرة وإنشاد الشعر ومطارحة الأدب وتذوقه وإبداء الرأي فيه، حتى إذا أسلم عمر أصبح يَعُدُّ مجالسة الرجال، الذين ينتقون أطايب الحديث كما ينتقى أطايب الثمر، إحدى ثلاث ترغبه في الدنيا بعد الصلاة والجهاد في سبيل الله، كما كان عمر واحدًا من سمار النبي ﷺ، وقد أقام وهو خليفة رحبة في ناحية المسجد سميت البطحاء كان يرتادها محبو الشعر وطلابه[1].

- كان لعمر صاحب رسول الله ﷺ القدح المعلى والنظر الثاقب والألمعية الهادفة، والذكاء الخارق المصحوب بالإلهام، والشفافية المبصرة، مما يجعله يصيب المعنى فلا يكاد يخطئه، وهو بجانب ذلك موفور الإحساس بما يقرأ أو يسمع، شديد التذوق للنص الأدبي وما احتوى عليه من قيم جمالية أو شعورية، وذلك لفرط

(١) عمر بن الخطاب، د. محمد أبو النصر ص٢٤٤.

إحساسه به وإدراك كنهه وغاياته[١]، فقد كان ﷺ تأخذ المعاني الهادفة بمجامع قلبه، فترضى بها نفسه، ويفصح عن إعجابه بها وتقديره، فقد روي أن متمم بن نويرة رثا أخاه مالكًا، الذي لقي حتفه على يدي جنود خالد بن الوليد في حروب الردة، فلما انتهى متمم إلى قوله:

لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه   حلو شمـــائله عفيف المئزر

قام إليــه عمر فـقال: لوددت أني رثيت أخي زيد بن الخطاب بمـثل ما رثيت به مالكًـا أخاك: فقـال له: يا أبا حفص، والله لو عـلمت أن أخي صار بحـيث صار أخوك ما رثيته. فقال عمر: ما عزاني أحد بمثل تعزيتك[٢].

ومن هذا المنطق في فهم النص وتقدير حيويته، كان عمر يرتفع بقيمة النص الأدبي البليغ، ويسمو به، إلى منزلة لا تدانيها قيمة كنوز الدنيا الفانية، روي عنه ﷺ أنه قال لبعض ولد هرم بن سنان: أنشدني بعض ما قال فيكم زهيـر، فأنشده، فقال: لقد كان يقول فيكم فيحسن، فقال: يا أمير المؤمنين، إنا كنا نعطيه فنجزل، فقال عمر: ذهب ما أعطيتمـوه وبقي ما أعطاكم[٣] هذه هي الروافد التي غذت ذوق عـمر النقدي وصقلت ملكته الناقدة، وجعلته يتبوأ هذه المكانة الأدبية في عصر صدر الإسلام[٤].

وأما المقاييس التي أخـذها عمر في إيثاره نصًّا على نص، أو تقديمه شاعرًا على غيره، فإنها مقاييس الشكل وهي:

- **سلامة العربية:** فقد كان ذوقه مطبوعًا على سلامة الفصحى وصحتها، يتأفف من اللحن، وينفر منه، وكان اللحن في العبارة كـافيًا لأن يسقط النص ويرفضه، بل ويعاقب من يقع منه اللحن[٥].

---

(١) المصدر نفسه السابق ص٢٤٦.

(٢) المصدر نفسه ص٢٤٧، الكامل للمبرد (٢/ ٣٠٠).

(٣) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (٢ / ١٠٦)..

(٤) عمر بن الخطاب، محمد أبو النصر ص٢٤٨ .

(٥) عمر بن الخطاب د. محمد أبو النصر ص٢٤٨ .

- **أنس الألفاظ والبعد عن المعاظلة والتعقيد:**

روي أن عمر ﷺ كان يقدم زهيرًا، ويستحسن شعره، ويعلل لهذا الاستحسان، بأنه كان لا يعاظِلُ بين الكلام ولا يَتْبَعُ وحشيَّه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه[١] والمعاظلة: أن يعقد الكلام ويوالي بعضه فوق بعض حتى يتداخل ويغمض، وحوشي الكلام: وحشيّه وغريبه[٢]، وهذا الأثر يوضح أصول الشعر الذي يرضى عنه الإسلام: وهو الشعر الواضح المعنى، القريب المفردات، الصادق البعيد عن المبالغة.. لأن الشعر يدعو إلى قضية، ويخاطب جمهور الناس، ولابدّ أن يكون مفهومًا[٣]، والجدير بالذكر أن علماء البلاغة، الذين دونوا أصول هذا العلم فيما بعد، لم يخرجوا في مباحثهم عن فصاحة المفرد وبلاغته والكلام وفصاحته، عما قال عمر في هذا الصدد، اللهم إلا ما اقتضاه التصنيف من منهج وتنظيم وتبويب عند بعضهم[٤].

- **الوضوح والإبانة:**

فقد كتب إلى سعد بن أبي وقاص ﷺ: أنه قد منعني من بعض ما أردت الكتاب به، قلة علمي بما هجتم عليه، والذي استقرّ عليه أمر عدوكم، فصف لنا منازل المسلمين، والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كأني أنظر إليه، واجعلني من أمركم على الجلية[٥].

وهذه الكلمة الأخيرة (واجعلني من أمركم على الجلية) تبين بجلاء إيثار عمر الوضوح والإبانة في الكلام، كما تصور إيثاره الصدق فيه، وهذا مقياس نقدي دقيق كما كتب إلى كل قضاته يناشدهم الإيضاح في التعبير عن فهم مسائل القضاء:... الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك، وقال عن أمر أراد أن يخطب فيه: وكنت رويت مقالة أعجبتني. وهكذا يرى عمر أن الكلمة وسيلة إفهام وأداة هدي وبيان، وليست سبيلاً إلى الإغراب والتعمية، ومن ثم أنكر التشادق والتقعر[٦].

(١-٣) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (٢/ ١٠٢).

(٤) عمر بن الخطاب د. محمد أبو النصر ص٢٥٠ .

(٥) مجموعة الوثائق السياسية ص٤١٤ .

(٦) عمر بن الخطاب د. محمد أبو النصر ص٢٥١ .

- أن تكون الألفاظ بقدر المعاني:

ومن مأثور كلامه من ذلك قوله: إياك والمكابلة[١]. قال الإمام الدارمي: يعني في الكلام أي: المزايدة فيه، فعمر إذن يريد البعد عن فضول القول؛ لأنه ضياع لمضمون الفكرة وتبديد لها ولا يخلو من تكرار ممل وترداد مكروه، فوق كونه يفقد روعة النص ويذهب بجماله[٢]، قال عمر رضي الله عنه: إن شقائق الكلام من شقائق اللسان فأقلوا ما استطعتم[٣].

- جمال اللفظة في موقعها:

كان رضي الله عنه ينفر من اللفظة التي أقحمت في غير مكانها المناسب؛ لأنها تشين المعنى وتذهب برونق الكلام وبهائه، ومن ذلك قوله لسحيم عبد بني الحسحاس بصدد تعقيبه على بيت، له يقول فيه:

عميرة ودع أن تجهزت غاديًا كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيًا

فقال عمر رضي الله عنه: لو قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك؛ وذلك لأن عمر أدرك بذوقه، الذي صقله الإسلام ونماه، أن الإسلام في نفس المؤمن، أقوى زجرًا من قبل الشيب ومن بعده.. وجدير به أن يقدم في النص تمشيًا مع أهميته وتأثيره في النفوس، وهذا ما نأى عنه البيت[٤].

- حسن التقسيم:

كما كان عمر يعلن عن إعجابه الشديد بما في البيت من جمال فني يرضي الأذواق والعقول على السواء ويترجم هذا الإعجاب في ترديده البيت، ترديدًا ينم عن حسن تذوق، وعمق إحساس بما في النص من جمال. ومما يدل على ذلك ما روي من أن عمر أُنشد قصيدة عبدة بن الطيب، التي أولها:

---

(١) سنن الدارمي (١/ ٩) نقلاً عن عمر بن الخطاب، أبو النصر ص٢٥٢ .
(٢) عمر بن الخطاب، أبو النصر ص٢٥٢ .
(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد (٣/ ١١٢).
(٤) المدينة النبوية، شرّاب (٢/ ١٠٢)، عمر بن الخطاب، أبو النصر ص٢٥٣ .

هل حبل خولة بعد الهجر موصول أم أنت عنها بعيد الدار مشغـــول

فلما بلغ المنشد قوله:

والمرء ساع لأمر ليس يدركـــــه والعيش شـح وإشفـاق وتأميل

قال عمر متـعجبًا: والعيش شح وإشفاق وتأميل، يعجبـه من حسن ما قسم وما فصل(١).

ولما أنشد عمر قول زهير بن أبي سلمى:

فإن الحـق مقطعـــه ثلاث يمين أو نفـــــار أو جـلاء

فذلكـم مقاطـــع كل حق ثلاث كلهن لكم شفـــاء(٢)

فهو يريد أن الحقوق إنما تصح بواحدة من هذه الثلاث: يمين أو محاكمة أو حجة بينة واضحة، وسُمّي زهيـر (قاضي الشعراء) بهذا البيت. فكان عـمر ﷺ يتعجب من معرفة زهير لمقاطع الحق مع أنه جاهلي، وقد جاء الإسلام وأكد تلك المقاطع(٣).

وهناك مقاييس أخـرى كان عمر يؤثرها في مضمـون الأدب، ويوجه بها الأدباء وجهة جديدة، تنبع من الدين والخلق، ويمكن أن تضاف إلى المقاييس الفنية السابقة، حـتى يمكن أن تعطي القـارئ تصورًا لمقـاييس نقد الأدب فـي عصـر عمـر ممثلة في تعبيراته ومأثوراته منها: الصدق في التـرجمة عن الخواطر وتصوير العواطف النبيلة، كان مما يستـحسنه عمر وينال إعـجابه، وعنصر الصدق هذا هو الذي جـعله يعجب إعجابًا شديدًا بقصيدة المخبل السعـدي، وأمية بن الأسكر الكناني كما كان عمر يؤثر في المعنى أن يكون جـديدًا مبـتكرًا يناسب الدين ويتمـشى مع أخلاقـه وآدابه، وأن يصاغ هذا المعنى صياغة محكمة، وأن يعبر عنه في تصوير جميل وبيان حسن، وكان عمر يؤثر في المعنى فـوق صدقه وابتكاره، أن يكون موائمًا لمقـاييس الدين الخلقية، بحيث لا يتـورط الشاعر في هجـاء ذميم أو سباب فـاضح، أو نهش للأعراض، أو

---

(١) البيان والتبيان (١/ ٢٤٠)، المدينة النبوية شرّاب (٢/ ١٠٥).

(٢) عمر بن الخطاب، أبو النصر ص٢٥٤ . (٣) أدب صدر الإسلام ص٩٦ .

الانكباب على وصف الشراب وتصوير سورة الخمور أو غير ذلك مما ينبئ عن ضعف العقيدة وفساد الخلق، وقد سبق أن ذكرت موقفه من الحطيئة وسحيم، ومن كان على شاكلتهما من الشعراء[١].

ومما يتصل بنقده هذا ما روي من أن النعمان بن عدي قد عينه عمر على ميسان[٢]، فذهب إليها، وامتنعت زوجته عن أن ترافقه، فأراد أن يبعث في نفسها الرغبة في صحبته، بما يعرف عن غيرة النساء، فكتب إليها بأبيات من فضل القول، لا تمثل حقيقة في قليل أو كثير هي:

فمن مبلغ الحسناء أن حليلها	بميسان يُسقى في زجاج وحنتم
إذا شئت غنتني دهاقين قرية	وصناجة تحدو على كل ميسم
إذا كنت ندماني فبالأكبر اسقني	ولا تسقني بالأصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه	تنادمنا في الجوسق المتهدم

فلما سمعها عمر ﷺ قال: وايم الله لقد ساءني، ثم عزله. ولا غرابة فيما فعل عمر من عزله النعمان؛ لأن النعمان كان أمير قوم وإمامهم في الصلاة، وقدوتهم في الحياة، وهذا الشعر وإن لم يمثل حياة رجل كان من أهل الهجرة الأولى، لكنه يتعارض مع قيم هذا الدين، وتأباه تعاليمه، ومن ثم رفضه عمر، وعاقب قائله[٣].

هذه هي أبرز الملامح والنزعات النقدية التي تميز بها نقد عمر بن الخطاب ﷺ، والتي تدل على أصالة النقد الأدبي في أطوار نشأته الأولى، كما تبين منزعه واتجاهه، حيث لم يعتمد على الذوق وحده في تقويم الأدب والحكم عليه، وإنما جنح إلى لون من الموضوعية الدقيقة في شرح النص، وتبيان جماله أو قبحه والتعليل لما يستجاد أو يستهجن من نماذجه، وسيظل النقد العربي مدينًا لعمر ما عاش يتوخى

(١) عمر بن الخطاب أبو النصر، ص٢٥٥-٢٦٢ .
(٢) ميسان: بلدة في العراق كثيرة القرى والنخل تقع بين البصرة وواسط.
(٣) عمر بن الخطاب، د. محمد أبو النصر ص٢٦٣ .

في النص سلامة العربية، وبلاغة عبارتها، واستقلال المعنى بحظه التام من التعبير وصدق التكوين وحسن التصوير ووضوحه، وهذه مقاييس نقدية دقيقة لا يختلف مع عمر فيها ناقد أصيل[1]، ويطول بنا القول لو استرسلنا في بيان ثقافة هذا الخليفة العظيم ومقدرته على تذوق الشعر ونقده والحكم عليه؛ فإن ذلك يحتاج إلى فصول طويلة، ومن خير الكتب التي ترضي حاجة النفس في هذا الباب كتاب: عمر بن الخطاب للدكتور محمد أبو النصر، والأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين للدكتور نايف معروف، وأدب صدر الإسلام للدكتور واضح الصمد، والمدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي للأستاذ: محمد حسن شُرّاب.

❊ ■ ❊

---

(١) المصدر السابق ص٢٦٥ .

المبحث الخامس
التطوير العمراني وإدارة الأزمات في عهد عمر

أولاً: التطوير العمراني:

قام عمر ﷺ بتوسعة مسجد الرسول ﷺ، وأدخل فيه دار العباس بن عبد المطلب، وامتدت التوسعة عشرة أذرع من جهة القبلة وعشرين ذراعًا من الناحية الغربية، وسبعين ذراعًا من الناحية الشمالية، وأعاد بناءه باللبن والجريد، وجعل عُمُده من الخشب، وسقفه من الجريد وكساه ليحمي الناس من المطر، ونهى عن زخرفته بحمرة أو صفرة لئلا يفتتن الناس في صلاتهم[1]، وكان المسجد ترابًا ففرشه بالحصى ليكون أنظف للمصلي وألين على الماشي[2].

وأجرى عمر ﷺ تعديلات يسيرة في المسجد الحرام بمكة، فنقل مقام إبراهيم عليه السلام، وكان ملصقًا بالكعبة إلى مكانه اليوم بعيدًا عنها للتيسير على الطائفين والمصلين، وعمل عليه المقصورة[3] واشترى دورًا حول الحرم المكي وهدمها وزادها فيه، وأبى قوم من جيران المسجد أن يبيعوا فهدم بيوتهم، ووضع الأثمان حتى أخذوها بعد ، واتخذ له جدارًا قصيرًا دون القامة، فكانت المصابيح توضع عليه[4]، وكانت كسوة الكعبة في الجاهلية الجلود، فكساها ﷺ الثياب اليمانية، ثم كساها عمر القباطي[5]، وهي ثياب مصرية رقيقة بيضاء[6]، كما عمّرت المساجد في الأمصار الجديدة في خلافة عمر ﷺ فاختط سعد بن أبي وقاص المسجد الجامع بالكوفة، واختط عتبة بن غزوان المسجد الجامع بالبصرة، واختط عمرو بن العاص المسجد الجامع في الفسطاط، فكانت هذه المساجد الكبيرة محل صلاة المسلمين وتعارفهم وتدارسهم العلم وقضائهم وتلقيهم أوامر الخليفة والولاة[7].

---

(١) عصر الخلافة الراشدة، ص٢٢٧ ، فتح الباري (٤/ ٩٨).
(٢) أخبار عمر ص١٢٦ .
(٣) عصر الخلافة الراشدة ص٢٢٧ ، فتح الباري (٨/ ١٦٩).
(٤) أخبار عمر ص١٢٦ ، عصر الخلافة الراشدة ص٢٢٧ .
(٥) أخبار مكة للأزرقي (١/ ٢٥٣)، أخبار عمر ص١٢٦ .
(٦) عصر الخلافة الراشدة ص٢٢٨ .
(٧) عصر الخلافة الراشدة ص٢٢٨ .

- **الاهتمام بالطرق ووسائل النقل البري والبحري:**

رصد الخليفة الفاروق حصة من بيت مال المسلمين لدعم التواصل بين أجزاء الدولة الإسلامية، وخصص عمر عدداً ضخمًا من الجمال، بوصفها وسيلة المواصلات المتاحة آنذاك؛ لتيسير انتقال من لا ظهر له بين الجزيرة، والشام، والعراق، كما اتخذ ما يسمى «دار الدقيق» وهي مكان يجعل فيه السويق، والتمر، والزبيب، ومتطلبات المعيشة الأخرى، يعين به المنقطع من أبناء السبيل، والضيف الغريب، ووضع في الطريق بين مكة والمدينة، ما يصلح به حاجة المسافر وما يحمل عليه من ماء إلى ماء، فالفاروق ﷺ يترسم الهدي القرآني المرشد إلى أن العمران يستلزم التواصل، مما يوفر الأمن، ولا يجعل المسافر بحاجة إلى حمل ماء ولا زاد[١]، وكانت توجيهات عمر إلى القبائل والأمراء والولاة تصب في هذا الاتجاه، فعن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده قال: قدمنا مع عمر بن الخطاب في عمرته سنة سبع عشرة، فكلمه أهل المياه في الطريق أن يبنوا منازلهم فيما بين مكة والمدينة ولم تكن قبل ذلك، فأذن لهم، واشترط أن ابن السبيل أحق بالماء والظل[٢]، ونلاحظ اهتمام عمر بإصلاح الطرق في معاهدات بعض ولاته مع البلدان التي تم فتحها، فلما تمّ فتح نهاوند جاء أهل الماهين ماه بهرذان، وماه دينار وطلبوا من حذيفة بن اليمان الأمان على أن يؤدوا الجزية، فكتب لأهل كل ماه عهداً هذه صورته: (بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى حذيفة بن اليمان أهل ماه دينار أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأراضيهم لا يغيرون عن ملة ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ولهم المنعة[٣]، ما أدوا الجزية في كل سنة إلى من وليهم من المسلمين، على كل حالم في ماله ونفسه على قدر طاقته. وما أرشدوا ابن السبيل وأصلحوا الطرق وقروا (أضافوا) جنود المسلمين من مرّ بهم فآوى إليهم يومًا وليلة، ونصحوا، فإن غشوا وبدلوا فذمتنا منهم بريئة، شهد القعقاع بن عمرو ونعيم بن مقرن وكتب في المحرم سنة ١٩هـ)[٤]، ومما يستنبط من هذا الكتاب استيعاب ولاة

---

(١) الدور السياسي للصفوة ص١٨٩، ١٩٠ .
(٢) الأحكام السلطانية للماوردي ص١٨٧، ١٨٨ .
(٣) أشهر مشاهير الإسلام (٢/ ٣٤٢).
(٤) أشهر مشاهير الإسلام (٢/ ٣٤٢).

عمر لأصول الحضارة، وسياسة الملك، فقد عرفوا لوازم العمران، فجعلوا إصلاح الطرق التي هي عون الأمم التجارية والحربية إجباريًّا على أهل البلاد المفتوحة، وقد انصرفت همة الفاروق منذ السنة السادسة عشرة للهجرة إلى تمصير الأمصار في العراق وشق الأنهار وإصلاح الجسور[١]، وقد جاء في عهد عياض لأهل الرها ما يأتي: بسم الله، هذا كتاب من عياض بن غنم لأسقف الرها إنكم إن فتحتم لي باب المدينة على أن تؤدوا إليّ عن كل رجل دينارًا ومدي قمح فأنتم آمنون على أنفسكم وأموالكم ومن يتبعكم وعليكم إرشاد الضال وإصلاح الجسور والطرق، ونصيحة المسلمين، شهد الله وكفى بالله شهيدًا[٢] وعندما علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن خليجًا كان يجري بين النيل من قرب حصن بابليون إلى البحر الأحمر، فكان يربط الحجاز بمصر، وييسر تبادل التجارة، ولكن الروم أهملوه، فردم، أمر الفاروق عامله على مصر عمرو بن العاص، بشق هذا الخليج مرة أخرى، فشقه، فيسر الطريق بين بلاد الحجاز وبين الفسطاط عاصمة مصر، وأصبح شريان تجارة يتدفق منه الرخاء ما بين البحرين مرة أخرى، وقامت على هذا الخليج داخل الفسطاط منتزهات وخمائل ومساكن، وسماه عمرو: خليج أمير المؤمنين[٣]، وقد حمل والي مصر، ما أراد من الطعام إلى المدينة ومكة، فنفع الله بذلك أهل الحرمين، ثم لم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه بعد عمر بن عبد العزيز ثم ضيعه الولاة بعد ذلك، فترك وغلب عليه الرمل فانقطع فصار منتهاه إلى ذنب التمساح من ناحية بطحاء القُلزم[٤]، وحفر بالعراق قناة مائية مسافة ثلاثة فراسخ من الخور إلى البصرة لإيصال مياه دجلة إلى البصرة[٥]، وهذه المشروعات في حفر الأنهار والخلجان وإصلاح الطرق، وبناء الجسور والسدود، أخذت أموالاً ضخمة من ميزانية الدولة في عهد عمر[٦].

- إنشاء الثغور والأمصار، كقواعد عسكرية، ومراكز إشعاع حضاري:

مع توسع حركة الفتوحات اهتمت الدولة الإسلامية في عهد الفاروق ببناء المدن على الثغور، وتسهيل سبل المواصلات وإصلاح الأراضي، وكذلك تشجيع الهجرة

(١، ٢) أشهر مشاهير الإسلام (٢/ ٣٤٢).

(٣) الفاروق عمر للشرقاوي ص٢٥٤، ٢٥٥ .

(٤) أخبار عمر ص١٢٧ .

(٥، ٦) عصر الخلافة الراشدة ص٢٣٠ .

إلى مراكز التجمع الجهادية، والتحول إلى البلدان المفتوحة لنشر الإسلام وإمداد المجاهدين بالرجال والعتاد، وأهم الأمصار التي أنشئت[١] هي البصرة، والكوفة، والموصل، والفسطاط، والجيزة، وسرت[٢]، وقد خططت ووزعت بين الجيوش بحسب قبائلهم وألويتهم وأنشئت فيها المرافق العامة كالمساجد والأسواق، وأنشئ لكل مدينة حمى لرعي خيل وإبل المجاهدين، وشجع الناس على استقدام أهليهم وذراريهم من مدن الحجاز وأطراف الجزيرة العربية للإقامة في هذه المدن؛ لتكون قواعد عسكرية تنطلق منها تعبئة الجيوش وإمدادها للتوغل في أرض العدو، ونشر دعوة الإسلام فيها، وقد أمر عمر ﵁ قادة الجيوش عند تخطيط هذه المدن أن يكون الطريق بينها وبين عاصمة الخلافة سهلاً وأن لا يحول دونها بحار أو أنهار؛ لأن عمر ﵁ كان يخشى من جهل العرب حينئذ بركوب البحر، ولكن عندما أدرك قدرة الجيش الإسلامي في مصر على استغلال الطرق المائية النهرية والبحرية سمح لعمرو ابن العاص بشق قناة نهرية تصل بين نهر النيل والبحر الأحمر، حتى تنقل الإمدادات من الطعام إلى الحجاز[٣] كما مرّ معنا.

لقد قام عمر بن الخطاب ﵁ بتمصير الأمصار، وتجنيد الأجناد مع توسع رقعة الدولة، وكثرة الفتوحات، وبعد الشُّقة بين المسلمين، فقد احتاج الجند إلى أماكن يستريحون فيها من عناء السفر، فلابد لهم من منازل يأوون إليها شتاء وإذا رجعوا من غزوهم، فوجدت الدواعي لبناء المدن، وما دام هدف الفتوحات هو نشر الدعوة الإسلامية وتبليغها للأمم والشعوب والأفراد، فكان لابد من إقامة حياة إسلامية تلمسها هذه الأمم والشعوب ويحس بها الأفراد، فبنيت الأمصار الإسلامية على نمط إسلامي تطبق فيها الحياة الإسلامية كاملة، كنماذج للمجتمع الإسلامي، فالكوفة والبصرة والفسطاط والموصل مدن إسلامية، توسط كلاًّ منها المسجد، وانتشرت من حوله البيوت للجنود، وفي هذه المجتمعات النموذجية تمركزت الفكرة الإسلامية

---

(١) اقتصاديات الحرب في الإسلام د. غازي بن سالم ص٢٤٥ .

(٢) انظر تاريخ الدعوة الإسلامية د. جميل المصري ص٣٣٣-٣٤٠ .

(٣) اقتصاديات الحرب في الإسلام ص٢٤٥ .

بقوتها ومبادئها، القوة ممثلة في الجيش كله، والفكرة ممثلة في كتاب الله، مجتمعات كاملة تطبق أحكام الله على نفسها في كل أمر وعلى استعداد دائمًا لبذل الدماء في سبيل الله، ومن هذه المجتمعات انبثق الإسلام نورًا على البلاد التي افتتحها، فوجهت أبناءها وطبقت العدل في حكمها، وقبلت من أسلم فيها، وهذه أبرع الأساليب في تبليغ الدعوة وعرض الفكرة على الأجانب عنها. وفي الشام لم تنشأ فيه أمصار إسلامية؛ لأنها زخرت بالدور التي هجرها أهلها الروم وجلوا عنها، فاستولى عليها المسلمون، وصارت لهم أخائذ تغنيهم عن بناء دور جديدة، ولكثرة العرب في الشام، حيث كانت كل قبيلة تجد لها أقارب هناك، ولذلك ظهرت الأجناد في الشام[1]، ومن أهم الأمصار التي مصرت في عهد عمر رضي الله عنه:

- **مدينة البصرة:**

معنى البصرة في اللغة: الأرض الغليظة ذات الحجارة الصلبة، وقيل: الأرض ذات الحصى، وقيل: الحجارة الرخوة البيضاء. والبصرة مدينة عند ملتقى دجلة والفرات ويعرف ملتقاهما بشط العرب[2]، وقد روعي في تمصيرها فكرة عمر بن الخطاب في إنشاء المدن مع مراعاة الطبيعة العربية، فموقعها قريب من الماء والمرعى في طريق البر إلى الريف، وكان سبب نزول المسلمين بها في عهد أبي بكر أن قطبة بن قتادة الذهلي أو سويد بن قطبة على اختلاف في الرواية كان يصاول الفرس في جماعة من قومه في ناحية البصرة، فأبقاه خالد بن الوليد واليًا وقائدًا في ناحية. فلما صارت الخلافة إلى عمر عين عتبة بن غزوان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السابقين الأولين واليًا وقائدًا لهذه الناحية، وقال له: اشغل من هناك من أهل الأهواز وفارس وميسان عن إمداد إخوانهم. وأمر قطبة أو سويدًا بالانضمام إليه، فسار إليه عتبة في أكثر من ثلاثمائة رجل وانضم إليه قطبة فيمن معه من بكر بن وائل وتميم، فنزلها في شهر ربيع الأول أو الآخر عام ١٤هـ[3]، واستشار عتبة عمر بن الخطاب في تمصير البصرة، فأمره

---

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية د. جميل المصري ص٣٣٣ .

(٢) الفاروق عمر بن الخطاب، محمد رشيد رضا ص١٧٧ .

(٣) تاريخ الدعوة الإسلامية ص٣٣٣ .

أن ينزل موقعًا قريبًا من الماء والمرعى، فوقع اختياره على مكان البصرة وكتب إليه: إني وجدت أرضًا في طرف البر إلى الريف، ومن دونها مناقع ماء فيها قصباء، فكتب له: أن انزل فيها. فنزلها وبنى مسجدها من قصب، وبنى دار إمارتها دون المسجد، وبنى الناس سبع دساكر من قصب أيضًا لكثرته هناك، فكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب، ثم حزموه ووضعوه حتى يعودوا من الغزو، فيعيدوا بناءها كما كان، وأصاب القصب حريق، فاستأذنوا عمر بن الخطاب أن يبنوا باللبن فأذن لهم في إمارة أبي موسى الأشعري بعد وفاة عتبة عام ١٧هـ. فبنى أبو موسى المسجد ودار الإمارة باللبن والطين وسقفها بالعشب، ثم بنوها بالحجارة والآجُرّ، وقد جعلوها خططًا لقبائل أهلها وجعلوا عرض شارعها الأعظم وهو مربدها ستين ذراعًا، وعرض ما سواه من الشوارع عشرين ذراعًا، وعرض كل زقاق سبعة أذرع، وجعلوا وسط كل خطة رحبة فسيحة لمرابط خيولهم وقبور موتاهم، وتلاصقوا في المنازل[١]، وأمر عمر أبا موسى الأشعري أن يحتفر لأهل البصرة نهرًا، فحفر نهر الأبلة وقاده إلى البصرة بمسافة ثلاثة فراسخ[٢]، وبذلك يكون المسلمون في طليعة من عرف تخطيط المدن، وقد كثر غناء من سكن البصرة من المسلمين بفتح الأبلة ودست وميسان[٣]، فرغبها الناس وأتوها، وكانوا طلاب غنى كما كان الأوائل طلاب جهاد، فوفدت أخلاط من القبائل وأخلاط من الطامعين والتجار فازداد عدد سكانها زيادة كبيرة[٤].

ومن خلال الروايات التاريخية استنتج الباحثون الاعتبارات العسكرية والاقتصادية التي وضعها الفاروق عند إنشاء المدن وهي:

- تأسيس هذه المدن على مشارف أرض العرب مما يلي أرض العجم؛ لتبقى حصونًا منيعة لا يطمع العدو في تجاوزها.

- صلاحية مواقع هذه المدن لسكن العرب؛ لأنهم كانوا حينئذ مادة الجهاد في سبيل الله، وهم لا يصلحون إلا حيث توجد مراعي الإبل، كما بين الفاروق رضي الله عنه.

(١-٤) تاريخ الدعوة الإسلامية ص٣٣٤.

- روعي في اختيار مواقع المدن أن تكون على حد البر من أرض العرب، حتى يجد العرب المراعي اللازمة لمواشيهم، كما روعي من جهة ثانية أن تكون على أدنى الريف من أرض العجم لترد إلى هذه المدن المنتجات الريفية من ألبان وأصواف وحبوب وثمار، فقد قال عمر رضي الله عنه عندما قرأ كتاب عتبة بن غزوان عن أرض البصرة: هذه أرض نضرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب[1] ، وهذا يدل على سلامة السياسة الحربية ودقة التخطيط العمراني ليلائم ظروف السلم والحرب معًا، فقد ضمنت هذه الخطة تأمين مصادر المياه، وقرب خطوط الإمداد بالمواد الغذائية، مصادر الطاقة اللازمة لحاجة أهل المصر كالحطب وغيره.

- التأكد من عدم وجود عوائق طبيعية كالبحار مثلاً تمنع وصول الإمدادات من قاعدة الخلافة إلى جبهات القتال[2].

- كان تنظيم الأمصار يتم طبقًا للتنظيم القبلي للجيش، فكل قبيلة تكون في منازل متجاورة[3].

- مدينة الكوفة:

تجمع آراء المؤرِّخين على أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يعد هو المؤسس الأول للمدينة، وأنه قد اختار موضعها وأمر بتخطيطها بعد فترة من الانتصارات التي حقَّقها المسلمون في حربهم ضد الفرس في جبهة المدائن، وكما هي الحال تمامًا في مسألة اختيار وتمصير مدينة البصرة، فإن العوامل العسكرية لعبت دورًا أساسيًّا ومركزيًّا في دفع سعد إلى التفكير في اتخاذ موضع أو مخيم للمجاهدين[4]، وقام بتنفيذ ذلك بعد توجيه الفاروق له رضي الله عنهما وقد خضع اختيار سعد للكوفة وَفْقَ المعايير التي وضعها الفاروق، وقد لاحظ الفاروق في وفود القادسية والمدائن تغيرًا في وجوههم فعلم أن ذلك من وخومة البلاد، فكتب إلى سعد بن أبي وقاص يأمره أن يتخذ لهم مكانًا يوافقهم كما يوافق إبلهم، وأرسل سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان رائدين، فارتادا

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص٣٤١ .
(٢) فتوح البلدان ص٢٧٥ .
(٣) اقتصاديات الحرب في الإسلام ص٢٤٧ .
(٤) دراسة في تاريخ المدن العربية الإسلامية د. عبد الجبار ناجي ص١٨٣ .

حتى أتيا موضع الكوفة، وموقعهـا بين الحيرة والفرات، وقد سميت بذلك لأنها من رمل وحصبـاء، كل رمل وحصباء فهـو كوفة[١]، فتحول سـعد من المدائن إليها في محرم عام ١٧هـ وكـان عمر يريد أن يقيم المسلمون في خيـامهم؛ لأن ذلك أَحَدُّ في حربهم وأذكى لهم وأهيب في عين عدوهم وأدعى إلى إحجامه عن أمر يهم به، ولما استـأذنه أهل الكوفة والبـصرة في بنيـان القصب لم يحـب أن يخالفهم فـأذن لهم، فـابتنى أهلهـا بالقصب، ثـم إنَّ الحريق الذي وقع بالكـوفة والبـصـرة أتى عليهـا، فاسـتأذنوا عمر في البناء باللبن فـقال: افعلوا. ولا يزيدن أحـدكم على ثلاثة أبيات (حجرات) ولا تطاولوا في البنيـان وكتب إلى عتبة وأهل البـصرة بمثل ذلك، وجعل على تنزيل أهل البصـرة والإشراف على بنائها عـاصم بن الدلف أبا الجرداء، وعلى تنزيل أهل الكوفة والإشراف على بنائها أبا الهياج بن مالك الأسدي، فقام أبو الهياج بتخطيط الكوفة بأمـر عمر الذي أمر؛ بالمناهج أربعين ذراعًا، وما يليـها ثلاثين ذراعًا وما بين ذلك عشرين، وبالأزقة سبعة أذرع ليس دون ذلك شيء، وفي القطائع ستين ذراعًا وكان أول شيء خُط فـيها مسجدها، ثم قـام في وسطه رامٍ شديد النزع فرمى عن يمينه وشماله ومن بين يديه ومن خلفه، ثم أمـر بالبناء وراء مواقع السهام، وبنى في مقدمة المسجد ظلة ذرعها مائتـان على أساطين من رخام كانت للأكاسرة سماؤها كأسمـية المساجد الرومية، وبنـوا لسعد دارًا بحياله بينهـما طريق منقب مائتي ذراع، وجعل فـيهـا بيوت الأمـوال وقام بالبناء روزبة الـفارسي[٢]، وسكنهـا بعد إنشـائها المجاهدون المسلمون ثم فرقـة فارسية من فرق القائد رستم عـدتها أربعة آلاف كانت تعرف باسم جند شـاهنشاه، فاسـتأمنوا على أن ينزلوا حـيث أحبوا، ويحـالفوا من أحبوا ويفرض لهم العطاء، فأعطاهم سعد ما سألوه، وكان لهم نقيب يقال له ديلم، فقيل عنهـم حمراء ديلم[٣]، كمـا نزلها جـماعة من يهـود نجران ونصـاراها عندما أجلاهم عمر عن شبه الجزيرة فـأقاموا بمحلة عرفت بالنجرانية في الكوفة[٤]، وارتفع شأن البصرة والكوفة بعـد تمصيرهما وعظم أمرهما، وأصبح لهمـا شهرة عظيمة في

---

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية ص٣٣٥ .
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ١٧).
(٣) تاريخ الدعوة ص٣٣٦ .
(٤) تاريخ الدعوة الإسلامية ص٣٣٦ .

قيادة الجيوش وحمل لواء العلم والأدب في العالم الإسلامي كله، بل وانتقلت إليهما القوة من الحجاز، فاتخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه الكوفة مقرًا لخلافته بعد أن انتقل مركز الثقل الإسلامي إلى الأمصار على وجه الإجمال[١].

إن عمر رضي الله عنه وضع تخطيط البصرة والكوفة على قاعدة صحيحة محكمة فقد وسع طرقها وجعلها على نظام جميل وهي في شكلها العام تدل على عبقرية الفاروق في المجال العمراني، فقد كانت الكوفة تجمع بين سكن المدن وهواء البادية وتربتها، وذلك أدعى لصحة الأجسام وجودة الهواء؛ لأن سعة الطرق للبلاد بمثابة الرئة للجسم، وكان عمر يريد ممن نزلوا الكوفة أن يكونوا في خيامهم؛ لأن ذلك أسرع إذا مست الحاجة وأهيب في عين عدوهم، إلا أن الأمر تطور بعد ذلك حتى بنيت المدن بالطوب[٢].

- خشية عمر على المسلمين من الدخول في حياة الترف والنعيم:

كان عمر رضي الله عنه يخشى على المسلمين الدخول في حياة الترف والنعيم، وما يترتب على ذلك من نتائج سيئة في الدنيا والآخرة، فعندما نزل أهل الكوفة واستقرت بأهل البصرة الدار عرف القوم أنفسهم وثاب إليهم ما كانوا فقدوا، ثم إن أهل الكوفة استأذنوا في بنيان القصب واستأذنه فيه أهل البصرة، فقال عمر: العسكر أحَدُّ لحربكم وأذكى لكم وما أحب أن أخالفكم، وما القصب؟ قالوا: العِكرش[٣] إذا رَوِي قصَّب فصار قصبًا. قال: فشأنكم فابتنى أهل المصرين بالقصب[٤].

ثم إن الحريق وقع بالكوفة والبصرة، وكان أشدهما حريقًا الكوفة، فاحترق ثمانون عريشًا، ولم يبق فيها قصبة شوال، فما زال الناس يذكرون ذلك، فبعث سعد منهم نفرًا إلى عمر يستأذنونه في البناء باللّبن فقدموا عليه بالخبر عن الحريق وما بلغ منهم وكانوا لا يدعون شيئًا ولا يأتونه إلا وآمروه فيه (يعني شاوروه) فقال: افعلوا، ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات (يعني غرف) ولا تطاولوا في البنيان، والزموا السنة تلزمكم الدولة، فرجع القوم إلى الكوفة بذلك، وكتب عمر إلى عتبة وأهل البصرة بمثل ذلك.

---

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية ص٣٣٨ .
(٢) الخلفاء الراشدون ص١٨٢ .
(٣) العكرش: نبات شوكي ينبت من نزوز الأرض.
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ١٥).

قال: وعهد عمر إلى الوفد وتقدم إلى الناس ألا يرفعوا بنيانًا فوق القدر، قالوا: وما القدر؟ قال: ما لا يقربكم من السَّرف، ولا يخرجكم عن القصد[١].

هذا ومن استعراض هذا الخبر يتبين لنا أن أولئك القوم كانوا زاهدين في مظاهر الدنيا، فهم يريدون من المساكن ما يكنّهم من الشمس والمطر والبرد والحر، ولا يهمهم التمتع بالقصور والبيوت العالية، ولذلك اختاروا التعريش بالقصب الذي كان أيسر الأشياء لديهم حتى اضطروا إلى البناء بالطين، ومع ذلك نجد عمر ﷺ يضع لهم الاحتياطات اللازمة لمنع التنافس والتطاول في البنيان، وهذا إدراك بعيد المدى لما يتوقع أن تكون عليه الأمة من الغنى بعد الفتوح، فهو يحاول في هذا التوجيه وأمثاله أن يحدّ من اندفاع الأمة نحو الإسراف والترف، وأن يحملها على حياة القصد والاعتدال، ومن كلام عمر ﷺ السابق يتبين لنا أن المقصود بالبناء الذي لا خير فيه ما قرب من الإسراف وأخرج عن القصد والاعتدال، وإن من أعظم مظاهر الإسراف التطاول في البنيان؛ وذلك لأن البنيان يستهلك من الإنسان مالاً كثيرًا ووقتًا طويلاً، فإذا انصرف له الإنسان بالاهتمام استحوذ على تفكيره حتى يبقى هو الهم الأكبر عند بعض الناس[٢]، ولئن كان ما يخشاه عمر ﷺ من الانفتاح الدنيوي في عهده ويحاول أن يحجز الأمة عن التوغل فيه من ناحية البنيان لا يعدو أن يكون بناء محدودًا ينتهي إعداده في أمد قصير، فإن إعداد البناء في عصرنا هذا قد يستغرق سنوات من العمر، ثم قد يعقبه في أحوال كثيرة ديون متراكمة يظل صاحبها يجمع فضول أمواله لسدادها، وقد يمر عليه سنون من عمره وهو لا يعرف عن الزكاة شيئًا، مع أنه يُعَدُّ من المتوسطين في الغنى الذين هم غالبية الناس؛ لأن القصور التي تعارف أكثر الناس عليها تتطلب أنواعًا عالية من الأثاث والكماليات التي ترهق طالبها، وتجعله يظل يلاحق أنفاسه سنوات علَّه يصل إلى ما تصبو إليه نفسه من مشاكلة الناس في مظاهر الحياة الدنيا، وفي خضم هذا التنافس تضيع أحيانًا بعض مطالب الإسلام الحيوية: من العبادات المالية التي على رأسها الزكاة، والإنفاق على

---

(١) تاريخ الطبري (١٦/٥).

(٢) التاريخ الإسلامي (١٩، ٢٠ / ٢٢).

المجاهدين في سبيل الله تعالى، كما أنه قد ينشغل فكر الإنسان أحيانًا عن الأمور المهمة كالصلاة وطلب العلم[١].

- قول عمر: ما لا يقربكم من السرف ولا يخرجكم عن القصد:

يعني أن حدود البناء المشروع ما لا يقرب صاحبه من الإسراف وهو مجاوزة الحد المشروع ولا يخرجه عن حدِّ الاعتدال، وقد ترك عمر رضي الله عنه تحديد ذلك لهم؛ لأن لكل بلد عرفًا خاصًّا يتحدد به الإسراف والاعتدال والتقتير، فالقصد إذًا يحدده العرف السائد في البلد لدى أوساط الناس من أهل الاستقامة بالاعتدال في الأمور الدنيوية[٢].

- قوله: الزموا السنة تلزمكم الدولة:

يعني أن الالتزام بالطريق المستقيم الذي سار عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب في الإدالة على الناس والتمكين في الأرض، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ (النور، آية: ٥٥).

ولقد كان هذا التزهيد من عمر رضي الله عنه في مظاهر الدنيا مع أن المسلمين آنذاك كانوا يتنافسون في هذا الزهد، فكيف بمن جاءوا بعدهم على مرِّ العصور ممن يتنافسون على مظاهر الدنيا؟ هذا ولقد كان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه حريصًا على علاج أمر الانفتاح المادي الذي كان في عصره، حيث فتحت بلاد الفرس وأجزاء من بلاد الروم، فأفاء الله تعالى على المسلمين من غنائم الفتوح وفيء البلاد وخراجها أموالاً عظيمة، ولقد خطب أمير المؤمنين خطبة بليغة شخص فيها ذلك الواقع وأرشد المسلمين إلى السلوك الأمثل.

فقد قال رضي الله عنه: إن الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر واتخذ عليكم الحجج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا، عن غير مسألة منكم له، ولا رغبة

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٩، ٢٠ / ٢٢).
(٢) المصدر نفسه (١٩، ٢٠ / ٢٣).

منكم فيه إليه، فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئًا لنفسه وعبادته، وكان قادرًا أن يجعلكم لأهون خلقه عليه، فجعل لكم عامة خلقه، ولم يجعلكم لشيء غيره وسخر لكم ما في البر والبحر، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون. ثم جعل لكم سمعًا وبصرًا، ومن نعم الله عليكم نعم عمّ بها بني آدم، ومنها نعم اختص بها أهل دينكم، ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم، وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها، وفدحهم حقها، إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله، فأنتم مستخلفون في الأرض، قاهرون لأهلها، قد نصر الله دينكم، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان، أمة مستعبدة للإسلام وأهله، يجزون لكم يُستصفَوْن[1]، معايشهم وكدائحهم ورشح جباهم، عليهم المؤونة ولكم المنفعة، وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم وليلة، قد ملأ الله قلوبهم رعبًا، فليس لهم معقل يلجئون إليه، ولا مهرب يتقون به، قد دهمتهم جنود الله -عز وجل- ونزلت بساحتهم مع رفاغة[2] العيش، واستفاضة المال، وتتابع البعوث، وسد الثغور بإذن الله، مع العافية الجليلة العامة التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام، والله المحمود، مع الفتوح العظام في كل بلد. فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين وذكر الذاكرين واجتهاد المجتهدين، مع هذه النعم التي لا يحصى عددها، ولا يقدر قدرها، ولا يستطاع أداء حقها إلا بعون الله ورحمته ولطفه، فنسأل الله الذي لا إله إلا هو الذي أبلانا هذا، أن يرزقنا العمل بطاعته، والمسارعة إلى مرضاته، واذكروا عباد الله بلاء الله عندكم، واستتموا نعمة الله عليكم وفي مجالسكم مثنى وفرادى، فإن الله -عز وجل- قال لموسى: ﴿**أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ**﴾ (إبراهيم، آية: ٥). وقال لمحمد ﷺ: ﴿ **وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ**﴾ (الأنفال، آية: ٢٦). فلو كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق، تؤمنون بها، وتستريحون إليها، مع المعرفة بالله ودينه، وترجون بها الخير فيما بعد الموت، لكان ذلك، ولكنكم كنتم أشد الناس معيشة،

---

(١) استصفى الشيء: أخذ صفوه.

(٢) رفاغة العيش: سعة العيش وبحبوحته.

وأثبتهم بالله جهالة، فلو كان هذا الذي استشلاكم[١] به لم يكن معه حظ في دنياكم، غير أنه ثقة لكم في آخرتكم التي إليها المعاد والمنقلب، وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه أحرياء أن تشحوا على نصيبكم منه، وأن تظهروه على غيره، فبله ما إنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا والآخرة، ومن شاء أن يجمع له ذلك منكم، فأذكركم الله الحائل بين قلوبكم إلا ما عرفتم حق الله فعملتم له، وقسرتم أنفسكم على طاعته، وجمعتم مع السرور بالنعم خوفًا لها ولانتقالها، ووجلاً منها ومن تحويلها، فإنه لا شيء أسلب للنعمة، واستيجاب للزيادة، هذا لله عليّ من أمركم ونهيكم واجب[٢].

- مدينة الفسطاط:

إذا كان سعد بن أبي وقاص ﷺ يعد المؤسس الأول لمدينة الكوفة، فإن عمرو بن العاص يعد المؤسس لمدينة الفسطاط، فبعد انتهائه من عملية فتح الإسكندرية أراد الاستقرار فيها، فكتب إليه عمر بن الخطاب: ألا تجعلوا بيني وبينكم ماء حتى أقدم إليكم.. فتحول من الإسكندرية إلى الفسطاط[٣]، وأول عمل عمله فيها هو بناء مسجده الذي عرف باسمه، فضلاً عن مسجده في الإسكندرية ثم بنى دارًا لعمر بن الخطاب وربما قصد بها دارًا للخلافة، فكتب إليه عمر بن الخطاب وأمره أن يجعلها سوقًا للمسلمين[٤]، وبنى عمرو بن العاص لنفسه دارين قريبتين من المسجد كما يخبرنا عنها ابن عبد الحكم: فاختط عمرو بن العاص داره التي هي اليوم عند باب المسجد بينهما الطريق وداره الأخرى اللاصقة إلى جنبها[٥]. وربما بناها واحدة له، والأخرى دارًا للإمارة بعد أن أمر عمر بن الخطاب بهدم داره السالفة الذكر، وكلف عمرو بن العاص جماعة من كبار الصحابة من مرافقيه ليفصلوا بين القبائل، فجعلوا لكل قبيلة جهة لمنازلهم عرفت بالخطط، وهي أشبه ما تُعرف بالأحياء في وقتنا الحاضر، ولكنها

---

(١) استشلاكم: دعاكم لينقذكم. (٢) تاريخ الطبري (٥/ ٢١١، ٢١٢، ٢١٣).
(٣) فتوح مصر لابن عبد الحكم: ص٩١ سميت فسطاطًا؛ لأنه أقام فسطاطه فيها.
(٤) عمرو بن العاص القائد والسياسي ص١٣٥ . (٥) فتوح مصر ص٩٦-٩٧ .

لم تكن بهذا الاتساع حيث جعل بين القبيلة والأخرى شوارع، وربما لم تكن بمفهوم الشوارع اليوم وإنما ممرات بين كل حارة وأخرى. وكانت الجماعة مكونة من: معاوية بن خديج التجيبي، وشريك بن سُمي الغطيفي، وعمرو بن محرم الخولاني، وحويل بن ناشرة المعافري، وكانوا هم الذين أنزلوا الناس، وفصلوا بين القبائل وذلك في سنة إحدى وعشرين[1]، وعلى الرغم من أن المجال لا يتسع لذكر جميع الخطط في هذا المجال إلا أنه لا بأس من ذكر بعض منها مثل: خطة أسلم، والليتون، وبني معاذ، وبلي، وبني بحر، ومهرة، ولخم، وغافق، والصدف، وحضرموت، وتجيب، وخولان، ومذحج ومراد، ويافع، ومعافر، ومعهم الأشعريون[2]، ويستدل الباحث من هذه الأسماء على كثرة القبائل العربية وغيرها ممن شارك، في عملية الفتح، وبالتالي كثرة الأحياء المكونة من هذه القبائل وحب كل قبيلة في أن يكون لها استقلالها الخاص؛ لتداول شئونها وما يهم من أفرادها، ونستدل أيضًا على دقة التنظيم الذي وافق عليه عمرو بن العاص في هذا التقسيم القبلي[3]، وقد كانت هذه القبائل تبني في وسطها مساجدها فقد ذكر ابن ظهيرة في كتابه: الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة نقلاً عن ابن زولاق ما ذكره عن المساجد الأولى في الفسطاط، ذكر في أولها مسجد عمرو بن العاص ثم عددًا من المساجد المنسوبة لأفراد[4]، وقال بعدها: وبمصر من مساجد الصحابة سوى ما ذكرنا مساجد بنوها حين الفتح عدتها نحو مائتي مسجد وثلاثة وثلاثين مسجدًا، وقد أعد ترتيبها تبعًا لعشائرها[5].

هذا وقد وفق عمرو بن العاص باختياره المكان؛ إذ يسهل منه الاتصال بحاضرة الخلافة، فضلاً عن كونه وسطًا بين شمالي البلاد وجنوبها وقريبًا من النيل[6].

- مدينة سرت بليبيا:

بعد أن أصبحت برقة قاعدة للإسلام غربي مصر، انطلق منها عمرو بن العاص

---

(١) عمرو بن العاص القائد والسياسي ص١٣٦ .
(٢) فتوح مصر ص١١٥-١٢٩ .
(٣) عمرو بن العاص القائد والسياسي ص١٣٧ .
(٤) أهل الفسطاط د. صالح أحمد العلي ص٣٨ .
(٥) المصدر نفسه ص٣٨ .
(٦) تاريخ الدعوة الإسلامية د. جميل المصري ص٣٣٩ .

وجنده إلى طرابلس، فبدأ بمدينة سرت بين برقة وطرابلس فاستولى عليها، واتخذها المسلمون قاعدة للانطلاق إلى الغرب منذ عام ٢٢هـ، وبقيت قاعدة لقوات المسلمين ومركزًا لعقبة بن نافع الذي صرف همه لنشر الإسلام في الواحات القريبة من فزان وودان وزويلة والسودان[١].

- الحاميات المقامة في المدن المفتوحة:

أطلق عمر رضي الله عنه اسم الأجناد على الحاميات المقامة في المدن المفتوحة في جميع الجهات من البلاد المفتوحة، وخاصة بلاد الشام، فكان فيها ثُكُنات لإقامة الجند، وفي كل معسكر حظيرة للخيل فيها ما لا يقل عن أربعة آلاف حصان بكامل معداتها، وتجهيزاتها كلها على أهبة الاستعداد[٢]، حتى إذا دعت الحاجة أمكن القيادة أن تدفع إلى ميادين القتال في وقت قصير أكثر من ٣٦ ألفًا من الفرسان دفعة واحدة في بلاد الشام وحدها. وقد خُصِّصَتْ مراعٍ واسعة لتلك الخيول في كل الأجناد، وكان كل حصان يوسم على فخذه ميسم: جيش في سبيل الله. تنفيذًا لقوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**﴾ (الأنفال، آية: ٦٠).

ومن هذه الحاميات في بلاد الشام:

- **جند دمشق**: وتولاها في عهد عمر بن الخطاب ثلاثة على الترتيب هم: يزيد ابن أبي سفيان، فسويد بن كلثوم، فمعاوية بن أبي سفيان.

- **جند حمص**: وقد تولاها أبو عبيدة عامر بن الجراح، فعبادة بن الصامت، فعياض بن غنم، فسعد بن عامر بن خذيم ثم عمير بن سعد فعبد الله بن قرط.

- **جند قنسرين**: وتولاها خالد بن الوليد فعمير بن سعد.

- **جند فلسطين**: وتولاها يزيد بن أبي سفيان فعلقمة بن مجزز.

---

(١) المصدر نفسه ص٣٤٠ .

(٢) البداية والنهاية (١٣٨/٧)، تاريخ الدعوة ص٣٤١ .

- **جند الأردن:** مركزه طبرية وتولاها شرحبيل بن حسنة فيزيد بن أبي سفيان فمعاوية، وقد تولى معاوية جند دمشق والأردن بعد وفاة يزيد في طاعون عمواس[١] هذا وقد دفعت الرغبة في الجهاد ابتغاء مرضاة الله كثيرًا من الصحابة وعلماء التابعين إلى الارتحال إلى هذه المدن التي تسمى الثغور والأمصار، لنشر الدعوة والجهاد في سبيل الله وتعليمهم القرآن والسنة، وقد أصبحت كل من المدينة المنورة والبصرة والكوفة ودمشق والفسطاط، مناطق جذب سكانية تحوّل الناس إليها طلبًا للعلم والجهاد، أو برغبة التسجيل في ديوان الجيش والحصول على الأعطيات، أو برغبة التجارة واحتراف المهن الأخرى، مما جعل هذه الأمصار منارات حضارية ازدهرت فيها شتى العلوم والمعارف، ونمت فيها مختلف الحرف والصناعات[٢].

ثانياً: الأزمة الاقتصادية (عام الرمادة):

تعرضت الدولة الإسلامية في عهد عمر ﷺ للابتلاء، وهذه السنة جارية في الأمم والدول والشعوب والمجتمعات، والأمة الإسلامية أمة من الأمم، فسنة الله فيها جارية لا تتبدل ولا تتغير، ومن أعظم الابتلاءات في عهد عمر، عام الرمادة وطاعون عمواس، ونترك الصفحات لتحدثنا عن تعامل عمر مع هذه الأزمات، وكيف دفعها بسنة الأخذ بالأسباب، والتضرع والدعاء لله رب العباد، ففي سنة ١٨هـ أصاب الناس في الجزيرة مجاعة شديدة وجدب وقحط واشتد الجوع حتى جعلت الوحوش تأوي إلى الإنس، وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها، وماتت المواشي جوعًا وسمي هذا العام عام الرمادة، لأن الريح كانت تسفي ترابًا كالرماد، واشتد القحط، وعزت اللقمة. وهرع الناس من أعماق البادية إلى المدينة يقيمون فيها، أو قريبًا منها، ويلتمسون لدى أمير المؤمنين حلاً، فكان الفاروق أكثر الناس إحساسًا بهذا البلاء وتحملاً لتبعاته[٣]، ويمكن للباحث أن يلحظ الخطوات التي سار عليها عمر في التعامل مع هذه الأزمة كالآتي:

---

(١) المصدر نفسه ص٣٤١ . (٢) اقتصاديات الحرب في الإسلام ص٢٥٠ .
(٣) فن الحكم ٦٨ ، البداية والنهاية (٧/ ٩٨)، تاريخ الطبري (٥/ ٧٥).

١- ضرب من نفسه للناس قدوة:

جيء لعمر بن الخطاب في عام الرمادة بخبز مقتوت بسمن فدعا رجلاً بدويًا ليأكل معه، فجعل البدوي يتبع باللقمة الودك في جانب الصَّحْفَة[١]، فقال له عمر: كأنك مقفر من الودك، فقال البدوي: أجل، ما أكلت سمنًا ولا زيتًا، ولا رأيت آكلاً له منذ كذا وكذا إلى اليوم، فحلف عمر لا يذوق لحمًا ولا سمنًا حتى يحيا الناس ولقد أجمع الرواة جميعًا أن عمر كان صارمًا في الوفاء بهذا القسم، ومن ذلك أنه لمَّا قدمت إلى السوق عكة سمن وطب من لبن، فاشتراهما غلام لعمر بأربعين درهمًا ثم أتى عمر فقال: يا أمير المؤمنين قد أبر الله يمينك وعظم أجرك، قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن ابتعتهما بأربعين درهمًا، فقال عمر: أغليت[٢] فتصدق بهما، فإني أكره أن آكل إسرافًا. ثم أردف قائلاً: كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسني ما مسهم[٣]، فهذه جملة واحدة في كلمات مضيئة، يوضح فيها الفاروق مبدأ من أروع المبادئ الكبرى التي يمكن أن تعرفها الإنسانية في فن الحكم، كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسني ما مسهم[٤]، وقد تأثر عمر في عام الرمادة حتى تغير لونه ﷺ فعن عياض بن خليفة قال: رأيت عمر عام الرمادة وهو أسود اللون، ولقد كان رجلاً عربيًّا يأكل السمن واللبن فلما أمحل الناس حرّمها، فأكل الزيت حتى غير لونه وجاع فأكثر[٥]، وعن أسلم قال: كنا نقول: لو لم يرفع الله تعالى الْمَحْلَ عام الرمادة لظننا أن عمر يموت همًّا بأمر المسلمين[٦]، وكان ﷺ يصوم الدهر[٧]، فكان عام الرمادة، إذا أمسى أتى بخبز قد ثرد بالزيت، إلى أن نحر يومًا من الأيام جزورًا، فأطعمها الناس، وعرفوا له طيبها، فأتي به فإذا قدر من سنام ومن كبد، فقال: أنى هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين من الجزور التي نحرنا اليوم. قال: بخ بخ بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها وأطعمت الناس كراديسها[٨]، ارفع هذه الصحفة، هات لنا غير هذا

---

(١) الودك: الدسم والدهن، والصَّحْفة: إناء من آنية الطعام.
(٢) أغليت: اشتريتهما بسعر غال.
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٧٨).
(٤) فن الحكم ص٧١ .
(٥) الطبقات (٣/ ٣١٤).
(٦) الطبقات (٣/ ٣١٥)، محض الصواب (١/ ٣٦٣).
(٧) محض الصواب (١/ ٣٦٢).
(٨) الكراديس: عظام محال البعير.

الطعام، فأتي بخبز وزيت، فجعل يكسر بيده ويثرد ذلك بالزيت، ثم قال: ويحك يا يرفأ[١] احمل هذه الجفنة حتى تأتي بها أهل بيت يثمغ[٢]، فإني لم آتهم منذ ثلاثة أيام وأحسبهم مقفرين، فضعها بين أيديهم[٣].

هذا هو الفاروق وهذا هو فن الحكم في الإسلام يؤثر الرعية على نفسه، فيأكلون خيرًا مما يأكل، وهو الذي يحمل من أعباء الحكم والحياة أضعاف ما يحملون، ويعاني من ذلك أضعاف ما يعانون، وهو في ذلك لا يضع القيود على نفسه وحدها، بل يسير بها ليقيد أفراد أسرته، فهم أيضًا يجب أن يعانوا أكثر مما يعاني الناس، وقد نظر ذات يوم في عام الرمادة فرأى بطيخة في يد ولد من أولاده فقال له على الفور: بخ بخ يابن أمير المؤمنين، تأكل الفاكهة وأمة محمد هَزْلَى؟ فخرج الصبي هاربًا يبكي، ولم يسكت عمر إلا بعد أن سأل عن ذلك وعلم أن ابنه اشتراها بكف من نوى[٤].

لقد كان إحساسه بمسئولية الحكم أمام الله -عز وجل- يملك عليه شعاب نفسه، فلم يترك وسيلة في الدين والدنيا يواجه بها الجدب وانقطاع المطر إلا لجأ إليها، فكان دائم الصلاة، دائم الاستغفار، دائم الحرص على توفير الأقوات للمسلمين، يفكر في رعيته، من زحف منهم إلى المدينة، ومن بقي منهم في البادية، ويواجه العبء كله في كفاءة واقتدار.. ثم بعد ذلك قسوة على النفس ما أروعها من قسوة، حتى قال من أحاط به في تلك الأزمة: لو لم يرفع الله الْمَحْلَ[٥] عام الرمادة لظننا أن عمر يموت همًّا بأمر المسلمين[٦].

٢- معسكرات اللاجئين عام الرمادة:

عن أسلم قال: لما كان عام الرمادة جاءت العرب من كل ناحية فقدموا المدينة،

---

(١) حاجب عمر، أدرك الجاهلية، وحج مع عمر في خلافة أبي بكر.
(٢) موضع مال لعمر وقفه بالمدينة.
(٣) الطبقات (٣/ ٣١٢)، الشيخان من رواية البلاذري ص٢٩٤ .
(٤) الطبقات (٣/ ٣١٥)، محض الصواب (١/ ٣٦٣).
(٥) المحل: انقطاع المطر ويبس الأرض.
(٦) فن الحكم ص٧١ ، الطبقات (٣/ ٣١٥).

فكان عمر قد أمر رجالاً يقومون بمصالحهم ، فسمعته يقول ليلة: أَحصوا من يتعشّى عندنا، فأحصوهم من القابلة فوجـدوهم سبعة آلاف رجل، وأحصوا الرّجال المرضى والعيالات فكانوا أربعين ألفًا. ثم بعد أيام بلغ الرجال والعيال ستين ألفًا، فما برحوا حتى أرسل الله السـماء، فلما مطرت رأيت عـمر قد وكَّلَ بهم من يخـرجونهم إلى البادية ويعطونهم قـوتًا وحملانًا إلى باديتهم، وكـان قد وقع فيهم المـوت فأراه مات ثلثاهم، وكانت قدور عـمر تقوم إليها العمال من السَّحَـر يعملون الكركور ويعملون العصـائد[1]، وهنا نرى الفاروق ﷺ يـقسم وظائف العمل على العـاملين، وينشئ مؤسسة اللاجئين بحيث يكون كل موظف عالمًـا بالعمل الذي كلفه به دون تقصير فيه ولا يتجـاوز إلى عمل آخـر مسند إلى غـيره[2]، فقـد عين أمراء على نواحي المدينة لتفقـد أحوال الناس الذين اجتمعـوا حولها طلبًا للرزق لشدة مـا أصابهم من القحط والجوع، فكانوا يشرفـون على تقسيم الطعام والإدام على الناس وإذا أمسوا اجـتمعوا عنده فيخبرونه بكل مـا كانوا فيه، وهو يوجههم[3]، وكان عمر يطعم الأعراب من دار الدقيق وهي من المؤسسـات الاقتصادية التي كانت أيام عـمر توزع على الوافدين على المدينة، الدقيق، والسويق، والتمـر والزبيب من مخزون الدار قبل أن يأتي المدد من مصر والشام والعراق وقد توسعت دار الدقيق؛ لتصبح قادرة على إطعام عشرات الألوف الذين وفدوا على المدينة مدة تسعة أشهر، قبل أن يحيا الناس بالمطر[4]، وهذا يدل على عقلية عمر في تطوير مؤسسات الدولة سواء كانت مالية، أو غيرها، وكان ﷺ يعمل بنفسه في تلك المعسكرات، قـال أبو هريرة: يرحم الله ابن حنتمة، لقد رأيته عام الرّمادة وإنه ليحمل على ظهره جرابين، وعكة زيت[5] في يده وإنه ليعتقب (أي يتناوب) هو وأسلم فلمـا رآني قال: من أين يا أبا هريـرة؟ قلت: قريبًـا. قال: فأخذت أعقبـه (أعاونه) فحملناه حتى انتهينا إلى ضرار فإذا صِرْم (جماعة) نحو من عشرين بيتًا من مـحارب فقال عمر: ما أقدمكم؟ قالوا: الجـهد. قال: وأخرجوا لنا

---

(١) تاريخ الذهبي ص٢٧٤ .
(٢) الكفاءة الإدارية د. عبد الله قادري ص١٠٧ .
(٣) الكفاءة الإدارية ص١١٥ .
(٤) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢/ ٣٧،٣٨).
(٥) العكة: آنية السمن أصغر من القربة.

جلد ميتة مشوية كانوا يأكلونها، ورمة العظام مسحوقة كانوا يسفونها قال: فرأيت عمر طرح رداءه ثم نزل يطبخ لهم ويطعمهم حتى شبعوا، ثم أرسل أسلم إلى المدينة فجاء بأبعرة فحملهم عليها حتى أنزلهم الجبانة، ثم كساهم، ثم لم يزل يختلف إليهم وإلى غيرهم حتى رفع الله ذلك(١)، وكان ﷺ يصلي بالناس العشاء ثم يخرج إلى بيته فلا يزال يصلي حتى يكون آخر الليل ثم يخرج فيأتي الأنقاب فيطوف عليها، وقد ذكر عبد الله بن عمر بأنه قال: وإني لأسمعه ليلة في السحر وهو يقول: اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد على يديّ ويقول: اللهم لا تهلكنا بالسنين وارفع عنا البلاء، يردد هذه الكلمات(٢)، وقال مالك بن أوس (من بني نصر): لما كان عام الرمادة قدم على عمر قومي وهم مائة بيت فنزلوا الجبانة، فكان عمر يطعم الناس من جاءه ومن لم يأت أرسل إليه الدقيق والتمر والأدم إلى منزله، فكان يرسل إلى قومي بما يصلحهم شهرًا بشهر، وكان يتعهد مرضاهم وأكفان من مات منهم. ولقد رأيت الموت وقع فيهم حتى أكلوا الثفْل وكان عمر ﷺ يأتي بنفسه فيصلي عليهم لقد رأيته صلى على عشرة جميعًا، فلما أحيوا قال: اخرجوا من القرية إلى ما كنتم اعتدتم من البرية، فجعل عمر يحمل الضعيف منهم حتى لحقوا ببلادهم(٣)، وعن حزم بن هشام عن أبيه قال: رأيت عمر بن الخطاب عام الرّمادة مرّ على امرأة وهي تعصد عصيدة لها، فقال: ليس هكذا تعصدين. ثم أخذ المِسْوط (ما يخلط به كالملعقة) فقال: هكذا فأراها، وكان يقول: لا تذرَّنَّ إحداكن الدقيق حتى يسخن الماء بل تَذُرُّه قليلاً قليلاً وتسوطه بمسوطها، فإنه أربع له وأحرى ألاّ يتفرّد (أي يجتمع ويركب بعضه بعضًا)، وحدثت بعض نساء عمر ﷺ فقالت: ما قرب عمر امرأة زمن الرّمادة حتى أحيا الناس همًّا(٤)، وعن أنس قال: تقرقر بطن عمر بن الخطاب عام الرمادة، وكان يأكل الزيت، وكان قد حرّم على نفسه السمن، فنقر بطنه بأصبعيه وقال: تقرقري إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس(٥).

(١، ٢) أخبار عمر ص١١١ ، نقلاً عن الرياض النضرة.
(٣) أخبار عمر ص١١٢ ، ابن الجوزي ص٦١ .
(٤) المصدر نفسه ص١١٦ .
(٥) الحلية (١/ ٤٨).

٣- الاستعانة بأهل الأمصار:

وأسرع عمر رضي الله عنه، فكتب إلى عماله على البلاد الغنية يستغيثهم فأرسل إلى عمرو بن العاص عامله على مصر: من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى العاصي بن العاصي، سلام عليك، أما بعد، أفتراني هالكًا ومَنْ قِبَلي، وتعيش أنت منعمًا ومَنْ قِبَلَك؟ فواغوثاه واغوثاه، فكتب إليه عمرو بن العاص: لعبد الله أمير المؤمنين من عمرو بن العاص سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، أما بعد أتاك الغوث، فالريث الرَّيث؛ لأبعثنّ إليك بعِير (عير: بكسر العين: قافلة) أولها عندك وآخرها عندي، مع أني أرجو أن أجد سبيلاً أن أحمل في البحر[1]، فبعث في البر بألف بعير تحمل الدقيق وبعث في البحر بعشرين سفينة تحمل الدقيق والدهن، وبعث إليه بخمسة آلاف كساء[2].

وكتب عمر إلى كل عامل من عماله على الشام: ابعث إلينا من الطعام بما يصلح من قبلنا، فإنهم قد هلكوا، إلا أن يرحمهم الله[3]، وكتب إلى عماله على العراق وفارس بمثل ذلك، فكلهم أرسلوا إليه[4]، وذكر الطبري: أن أول من قدم عليه أبو عبيدة بن الجراح في أربعة آلاف راحلة من طعام، فولاه قسمتها فيمن حول المدينة، فلما رجع إليه أمر له بأربعة آلاف درهم، فقال: لا حاجة لي فيها يا أمير المؤمنين، إنما أردت الله وما قِبله، فلا تدخل علي الدنيا، فقال: خذها فلا بأس بذلك إذا لم تطلبه، فأبى، فقال: خذها فإني قد وليت لرسول الله ﷺ مثل هذا، فقال لي مثل ما قلت لك، فقلت له كما قلت لي فأعطاني، فقبل أبو عبيدة وانصرف مع عماله، وتتابع الناس[5] وبعث معاوية بن أبي سفيان ثلاثة آلاف بعير تحمل طعامًا، ووصلت من العراق ألف بعير تحمل دقيقًا[6]، وشرع عمر في توزيع هذا الزاد على أهل المدينة ومن لأذُوا بها من الأعراب، وسير منه إلى البادية، وأمر بتوزيعه على أحياء العرب جميعًا، قال الزبير بن العوام: قال لي عمر في عام الرمادة، وقد حمل

---

(١) أخبار عمر ص١١٥ . (٢) المصدر نفسه ص١١٥ . (٣) الفاروق عمر ص٢٦٢ .
(٤) المصدر نفسه ص٢٦٣ . (٥) تاريخ الطبري (٥/ ٨٠). (٦) الفاروق عمر ص٢٦٢.

قافلة من الإبل بالدقيق والشحم والزيت لنجدة أهل البادية: اخراج في أول هذه العير فاستقبل بها نجدًا، فاحمل إليّ أهل كل بيت قدرت أن تحملهم إليّ، ومن لم تستطع حمله، فمر لكل أهل بيت ببعير بما عليه من المتاع، ومرهم، فليلبسوا كساءين، واحدًا للشتاء، والآخر للصيف، ولينحروا البعير، فليحفظوا شحمه، وليقددوا لحمه . . ثم ليأخذوا شحمًا ودقيقًا فيطبخوا، ويأكلوا حتى يأتيهم الله برزقه[١]، وجعل عمر يرسل إلى الناس مؤونة شهر بشهر، مما يصله من الأمصار من الطعام والكساء، واستمرت القدور العمرية الضخمة، يقوم عليها عمال مهرة، يطبخون من بعد الفجر، ثم يوزعون الطعام على الناس، وأعلن عمر: إن لم يرفع الله الجدب فسأجعل مع أهل كل بيت مثلهم، وسنطعم ما وجدنا أن نطعمهم، فإن أعوزنا، جعلنا مع أهل كل بيت ممن يجد، عدتهم ممن لا يجد، إلى أن يأتي الله بالحَيَا (المطر)[٢]. وقد جاء في رواية قوله: لو امتدت المجاعة لوزعت كل جائع على بيت من بيوت المسلمين، فإن الناس لا يهلكون على أنصاف بطونهم[٣].

وكان الفاروق يقوم بتوزيع الطعام والزاد على كثير من القبائل في أماكنهم من خلال لجان شكلها، فعندما وصلت إبل عمرو بن العاص إلى أفواه الشام أرسل عمر من يشرف على توزيعها مع دخولها جزيرة العرب، فعدلوا بها يمينًا وشمالاً ينحرون الجُزُر، ويطعمون الدقيق، ويكسون العباء، وبعث الفاروق رجلاً بالطعام الذي أرسله عمرو من مصر في البحر، فحمله إلى أهل تهامة يطعمونه[٤].

٤- الاستغاثة بالله وصلاة الاستسقاء:

عن سليمان بن يسار قال: خطب عمر الناس في زمان الرمادة، فقال: أيها الناس، اتقوا الله في أنفسكم وفيما غاب عن الناس من أمركم، فقد ابتليت بكم وابتليتم بي، فما أدري السخطة علي دونكم أو عليكم دوني أو قد عمتني وعمتكم فهلموا فلندع الله يصلح قلوبنا وأن يرحمنا وأن يرفع عنا المحل، فرُئي عمر يومئذ

---

(١) المصدر نفسه ص٢٦٢ .
(٢) المصدر نفسه ص٢٦٣.
(٣) السياسة الشرعية د. إسماعيل بدوي ص٤٠٣ ، محض الصواب (١/ ٣٦٤).
(٤) أخبار عمر ص١١٠ .

رافعًا يديه يدعو الله، ودعا الناس، وبكى وبكى الناس مليًا ثم نزل[١]، وعن أسلم قال: سمعت عمر يقول: أيها الناس، إني أخشى أن تكون سخطة عمتنا جميعًا فأعتبوا ربكم وانزعوا وتوبوا إلى ربكم وأحدثوا خيراً[٢]، وعن عبد الله بن ساعدة قال: رأيت عمر إذا صلى المغرب نادى: أيها الناس استغفروا ربكم ثم توبوا إليه، وسلوه من فضله، واستسقوا سقيا رحمة لا سقيا عذاب. فلم يزل كذلك حتى فرّج الله[٣] ذلك، وعن الشعبي: إن عمر رضي الله عنه خرج يستسقي فقام على المنبر، فقرأ هذه الآيات: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ (نوح: ١٠، ١١)، ويقول: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾، ثم نزل فقيل له: ما يمنعك من أن تستسقي؟ فقال: طلبت المطر بمجاديح[٤] السماء التي ينزل بها المطر[٥]، ولما أجمع عمر على أن يستسقي، ويخرج بالناس، كتب إلى عماله أن يخرجوا يوم كذا، وأن يتضرعوا إلى ربهم، ويطلبوا أن يرفع هذا المحل[٦] عنهم، وخرج عمر لذلك اليوم وعليه برد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى انتهى إلى المصلى، فخطب الناس فتضرع، وجعل النساء يلحّون، فما كان أكثر دعائه إلا استغفار حتى إذا قرب أن ينصرف، رفع يديه مدًّا وحوّل رداءه، فجعل اليمين على اليسار، ثم اليسار على اليمين، ثم مد يديه وجعل يلح في الدعاء، ويبكي بكاء طويلاً حتى أخضل لحيته[٧]، وقد جاء في صحيح البخاري عن أنس: أن عمر بن الخطاب استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا[٨]، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا[٩]، وروي أن عمر لما استسقى عام الرمادة قال في آخر كلامه: اللهم إني قد

(١) الطبقات (٣/ ٣٢٢)، الشيخان من رواية البلاذري ص٣٢٣.
(٢) الطبقات (٣/ ٣٢٢)، أخبار عمر ص١١٦.
(٣) الشيخان من رواية البلاذري ص٣١٩.
(٤) مجاديح السماء: أنواؤها ويقال أرسلت السماء لمجاديحها.
(٥) الشيخان من رواية البلاذري ص٣٢٠.
(٦) المحل: انقطاع المطر، ويبس الأرض.
(٧) الطبقات (٣/ ٣٢٠، ٣٢١)، تاريخ المدينة المنورة ابن شبة (٢/ ٧٤٢).
(٨) فتسقينا: أي بدعائه حيًّا ، ولو كان يتوسل به ميتاً لتوسل به عمر، ولما احتاج لعمه العباس ليدعو له.
(٩) البخاري رقم ١٠١٠.

عجزت وما عندك أوسع لهم ثم أخذ بيد العباس فقال: نتقرب إليك بعم نبيك وبقية آبائه وكبار رجاله، فإنك تقول وقولك الحق: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢] فحفظتها لصلاح أبيهما؛ فاحفظ اللهم نبيك في عمه، فقال العباس وعيناه تنضحان: اللهم إنه لا ينزل بلاء إلا بذنب، ولا يكشف إلا بتوبة، وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك ﷺ وهذه أيدينا مبسوطة إليك بالذنوب، ونواصينا بالتوبة فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين يا أرحم الراحمين، اللهم أنت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة، فقد ضرع الصغير، وفرق الكبير، وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السر وأخفى، اللهم أغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا؛ فإنه لا ييأس من روحك إلا القوم الكافرون[١]، فنشأت طريرة من سحاب، فقال الناس: ترون، ثم التأمت ومشت فيها ريح ثم هدأت ودرت، فوالله ما نزحوا حتى اعتنقوا الجدار وقلصوا المآزر، فطفق الناس بالعباس يقولون هنيئًا لك يا سقي الحرمين. فقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:

بعمي سقى الله الحجاز وأهله ... عشية يستسقي بشيبته عمر

توجه بالعباس في الجدب راغبًا ... إليه فما رام حتى أتى المطر

ومنا رسول الله فينا تراثه ... فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

سأل الإمام وقد تتابع جدبنا ... فسقى الغمام بغرة العباس

عمّ النبي وصنو والده الذي ... ورث النبي بذاك دون الناس

أحيا الإله به البلاد فأصبحت ... مخضرة الأجناب بعد الياس[٢]

وقد جاء في رواية صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة: اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك،

---

(١) الفاروق عمر بن الخطاب، محمد رشيد رضا ص٢١٧.
(٢) الفاروق عمر بن الخطاب ص٢١٧.

وهذه أيدينا بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث، فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخضبت الأرض، وعاش الناس[(١)].

٥- وقف إقامة الحد عام المجاعة:

وقد قام عمر ﷺ بوقف حد السرقة في عام الرمادة، وهذا ليس تعطيلاً لهذا الحد، كما يكتب البعض؛ لأن شروط تنفيذ الحد لم تكن متوفرة فأوقف تنفيذ حد السرقة، لهذا السبب، فالذي يأكل ما يكون ملكًا لغيره بسبب شدة الجوع وعجزه عن الحصول على الطعام يكون غير مختار فلا يقصد السرقة، ولهذا لم يقطع عمر يد الرقيق الذين أخذوا ناقة وذبحوها وأمر سيدهم حاطبًا بدفع ثمن الناقة[(٢)]، وقد قال عمر ﷺ: (لا يقطع في عذق[(٣)]، ولا عام السنة[(٤)])[(٥)] وقد تأثرت المذاهب الفقهية بفقه عمر ﷺ فقد جاء في المغني: قال أحمد: لا قطع في المجاعة، يعني أن المحتاج إذا سرق ما يأكله فلا قطع عليه؛ لأنه كالمضطر وروى الجوزجاني عن عمر أنه قال: لا قطع في عام السنة، وقال: سألت أحمد عنه فقلت: تقول به؟ قال: أي لعمري لا أقطعه إذا حملته الحاجة والناس في شدة ومجاعة[(٦)]، وهذا فهم عمري عميق لمقاصد الشريعة، فقد نظر عمر إلى جوهر الموضوع ولم يكتف بالظواهر، نظر إلى السبب الدافع إلى السرقة فوجد أنه في الحالتين الجوع الذي يعتبر من الضرورات التي تبيح المحظورات، كما يدل على ذلك قول عمر في قصة غلمان حاطب: إنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم عليه حل له[(٧)].

٦- تأخير دفع الزكاة في عام الرمادة:

أوقف عمر ﷺ إلزام الناس بالزكاة في عام الرمادة، ولما انتهت المجاعة

---

(١) الخلافة الراشدة والدولة الأموية د. يحيى اليحيى ص٣٠٢.

(٢) الخلافة والخلفاء الراشدون، سالم البهنساوي ص١٦٥.

(٣) عذق النخلة، ولا قطع فيه لأنه ما دام معلقاً في الشجرة فليس في حرز.

(٤) السنة: الجدب، المصباح المنير ص٢٩٢.

(٥) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ٢٤٢).

(٦) المغني لابن قدامة (٨/ ٢٧٨).

(٧) إعلام الموقعين (٣/ ١١)، الاجتهاد في الفقه الإسلامي ص١٣٦.

وخصبت الأرض جمع الزكاة عن عام الرمادة، أي اعتبرها دينًا على القادرين حتى يسد العجز لدى الأفراد المحتاجين وليبقي في بيت المال رصيدًا بعد أن أنفقه كله[١]، فعن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أخر الصّدقة عام الرمادة، فلم يبعث السعاة، فلما كان قابل، ورفع الله ذلك الجدب، أمرهم أن يخرجوا، فأخذوا عقالين[٢]، فأمرهم أن يقسموا عقالاً ويقدموا عليه بعقال، أي صدقة سنة[٣].

ثالثاً: الطاعون:

في العام الثامن عشر من الهجرة[٤] وقع شيء فظيع مروع، هو ما تذكره المصادر باسم (طاعون عمواس) وقد سمي بطاعون عَمْوَاس نسبة إلى بلدة صغيرة يقال لها: عَمْوَاس وهي: بين القدس والرملة؛ لأنها كان أول ما نجم الداء بها، ثم انتشر في الشام منها فنسب إليها[٥]، وأفضل من ذكر صفة هذا الداء على حسب علمي القاصر ابن حجر حيث قال بعد أن ذكر الأقوال في الطاعون: فهذا ما بلغنا من كلام أهل اللغة وأهل الفقه والأطباء في تعريفه، والحاصل أن حقيقته ورم ينشأ عن هيجان الدم أو انصباب الدم إلى عضو فيفسده، وأن غير ذلك من الأمراض العامة الناشئة عن فساد الهواء يسمّى طاعونًا بطريق المجاز؛ لاشتراكهما في عموم المرض به، أو كثرة الموت[٦]، والغرض من هذا التفريق بين الوباء والطاعون، التدليل على صحة الحديث النبوي الذي يخبر أن الطاعون لا يدخل المدينة النبوية، أما الوباء فقد يدخلها، وقد دخلها في القرون التي خلت[٧].

وكان حصول الطاعون في ذلك الوقت- بعد المعارك الطاحنة بين المسلمين والروم وكثرة القتلى وتعفن الجو وفساده بتلك الجثث- أمرًا طبيعيًّا قدره الله لحكمة أرادها[٨].

---

(١) الخلافة والخلفاء الراشدون ص١٦٦ .
(٢) العقال: صدقة عام.
(٣) الشيخان من رواية البلاذري ص٣٢٤ .
(٤) تاريخ القضاعي ص٢٩٤.
(٥) خلاصة تاريخ ابن كثير، محمد كنعان ص٢٣٦ .
(٦) الفتح (١٠/ ١٨٠).
(٧) أبو عبيدة عامر بن الجراح، محمد شُرّاب ص٢٢٠ .
(٨) الخلفاء الراشدون للنجار ص٢٢٤.

١- رجوع عمر من سَرْغ على حدود الحجاز والشام:

ففي سنة ١٧هـ أراد عمر رضي الله عنه أن يزور الشام للمرة الثانية، فخرج إليها ومعه المهاجرون والأنصار حتى نزل بسَرْغ على حدود الحجاز والشام، فلقيه أمراء الأجناد فأخبروه أن الأرض سقيمة وكان الطاعون بالشام، فشاور عمر رضي الله عنه واستقر رأيه على الرجوع، وقد تم تفصيل ذلك عند حديثنا عن الشورى[١].

وبعد انصراف عمر رضي الله عنه حصل الطاعون الجارف المعروف بطاعون عَمْوَاس وكانت شدته بالشام فهلك به خلق كثير، منهم: أبو عبيدة بن الجراح، وهو أمير الناس، ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان، والحارث بن هشام، وقيل: استشهد باليرموك، وسهيل بن عمرو، وعتبة بن سهيل، وأشراف الناس، ولم يرتفع عنهم الوباء إلا بعد أن وليهم عمرو بن العاص، فخطب الناس وقال لهم: أيها الناس إن هذا الوجع إذا وقع إنما يشتعل اشتعال النار فتجنبوا منه في الجبال، فخرج وخرج الناس فتفرقوا حتى رفعه الله عنهم، فبلغ عمر ما فعله عمرو فما كرهه[٢].

٢- وفاة أبي عبيدة رضي الله عنه:

لما فشا الطاعون وبلغ ذلك عمر كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه: سلام عليك، أما بعد فإنه قد عرضت إليك حاجة أشافهك فيها فعزمت عليك إذا نظرت في كتابي هذا ألا تضعه من يدك حتى تقبل إلي، فعرف أبو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوباء إشفاقًا عليه وضنًّا به فقال: يغفر الله لأمير المؤمنين ثم كتب إليه: يا أمير المؤمنين إني قد عرفت حاجتك إلي، وإني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله في وفيهم أمره وقضاه، فحللني من عزمتك يا أمير المؤمنين ودعني في جندي، فلما قرأ عمر الكتاب بكى، فقال الناس: يا أمير المؤمنين أمات أبو عبيدة؟ قال: وكأن قد قال. . . ثم كتب إليه: سلام عليك أما بعد، فإنك أنزلت الناس أرضًا عميقة فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزهة، فلما أتى كتابه دعا أبا موسى فقال: يا أبا موسى إن كتاب أمير المؤمنين قد

---

(١) المصدر نفسه ص٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) الخلفاء الراشدون للنجار ص٢٢٥، تاريخ الطبري (٥/ ٣٦).

جاءني بما ترى، فاخـرج فارتد للناس منزلاً حتى أتبعك بهـم، فرجع أبو موسى إلى منزله فوجد زوجـته قد أصيبت فـرجع إليه فأخبره الخبـر فأمر ببعيـره فرحل له فلما وضع رجله في غرزه طعـن فقال: والله لقـد أصبت[١]، وعن عروة قال: إن وجع عَمواس كـان معافى منه أبو عـبيدة وأهله فقـال: اللهم نصيبك في آل أبي عـبيدة، فخرجت منه بثرة، فجعل ينظر إليهـا فقيل: إنها ليست بشيء، فقال: إني لأرجو أن يبارك الله فيها[٢]، وقد قام قبل أن يصاب في الناس خطيبًا فقال: أيها الناس إن هذا الوجع رحمـة ربكم ودعوة نبـيكم محمـد ﷺ وموت الصالحـين قبلكم، وإن أبا عبـيدة يـسأل الله أن يقـسم له منه حظه[٣]، ولما طعن -رحـمه الله- دعـا المسلمين فدخلوا عليـه، فقال لهم: إني موصـيكم بوصية، فإن قـبلتموها لم تزالوا بخـير ما بقيتم، وبعدما تهلكون: أقيموا الصـلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا، وتصدقوا، وحجوا واعتمـروا، وتواصلوا وتحابوا، واصدقوا أمراءكم، ولا تغـشوهم، ولا تلهكم الدنيا فإن امرأً لو عمر ألف حـول ما كان له بد من أن يصير إلى مـثل مصرعي هذا الذي ترون، إن الله قد كتب الموت على بني آدم، فـهم ميتون، فأكيـسهم أطوعهم لربه، وأعملـهم لمعاده، ثم قال لمـعاذ بن جبل: يـا معاذ صل بالـناس، فصلى معـاذ بهم، ومات أبو عبيدة -رحمـة الله عليه ومغفرته ورضوانه[٤]- فقام معاذ في الناس: يأيها الناس، توبوا إلى الله توبة نصوحًا، فإن عبدًا إن يلق الله تائبًا من ذنبه كان حقًّا على الله أن يغفـر له ذنوبه، ومن كان عليه دين فليقـضه، فإن العبـد مرتهن بدينه، ومن أصبح منكم مصارمًا مسلمًا فليلقه فيصـالحه إذا لقيه، وليصافحه، فإنه لا ينبغي لمسلم أن يهجـر أخاه المسلم فوق ثلاثة أيام، والذنب في ذلك عظيـم عند الله، وإنكم أيها المسلمون قد فجعتم برجل، والله مـا أزعم أني رأيت منكم عبدًا من عباد الله -قط- أقل غمرًا، ولا أبرأ صدرًا، ولا أبعد من الغائلة، ولا أنصح للعامة، ولا أشد عليهم تحننًا وشفقة منه، فترحموا عليه، ثم احـضروا الصلاة عليه، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخـر، والله لا يلي عليكم مثله أبدًا، فاجتمع الناس، وأخـرج أبو عبيدة،

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٣٥).
(٢) تاريخ الذهبي ص١٧٤.
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٣٦).
(٤) الاكتفاء (٣/ ٣٠٦).

فتقدم معاذ فصلى عليه، حتى إذا أتي به قبره، دخل قبره معاذ، وعمرو بن العاص، والضحاك بن قيس، فلما سفوا عليه التراب، قال معاذ: رحمك الله أبا عبيدة، فوالله لأثنين عليه بما علمت، والله لا أقولها باطلاً، وأخاف أن يلحقني من الله مقت، كنت والله ما علمت من الذاكرين الله كثيرًا، ومن الذين يمشون على الأرض هونًا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا، ومن الذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا، ومن الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوامًا، وكنت والله ما علمت من المخبتين المتواضعين، ومن الذين يرحمون اليتيم والمسكين ويبغضون الجفاة المتكبرين[1]، ولم يكن أحد من الناس أشد جزعًا على فقد أبي عبيدة من معاذ، ولا أطول حزنًا عليه منه[2]، وكتب معاذ إلى عمر رضي الله عنه بوفاة أبي عبيدة فجاء في الرسالة: أما بعد، فاحتسب امرأً كان لله أمينًا، وكان الله في نفسه عظيمًا، وكان علينا وعليك يا أمير المؤمنين عزيزًا، أبا عبيدة بن الجراح، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله نحتسبه، وبالله نثق له، كتبت إليك وقد فشا الموت، وهذا الوباء في الناس، ولن يخطئ أحدًا أجله، ومن لم يمت فسيموت، جعل الله ما عنده خيرًا له من الدنيا، وإن أبقانا أو أهلكنا فجزاك الله عن جماعة المسلمين وعن خاصتنا وعامتنا رحمته ومغفرته ورضوانه وجنته، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته[3]، فلما وصل الكتاب إلى عمر فقرأه بكى بكاءً شديدًا ونعى أبا عبيدة إلى جلسائه[4]، فبكى القوم وحزنوا حزنًا شديدًا مع التسليم بالقضاء والقدر.

٣- وفاة معاذ بن جبل رضي الله عنه:

بعد وفاة أبي عبيدة رضي الله عنه، صلى معاذ بالناس أيامًا واشتد الطاعون، وكثر الموت في الناس، فقام خطيبًا فقال: أيها الناس، إن هذا الوجع رحمة ربكم، ودعوة نبيكم وموت الصالحين من قبلكم، وإن معاذًا يسأل الله أن يقسم لآل معاذ منه حظهم، فطُعن ابنه عبد الرحمن بن معاذ[5]، فلما رآه قال ابنه: الحق من ربك فلا تكونن من

(١، ٢) الاكتفاء (٣/٣٠٧).
(٣) الاكتفاء (٣/٣٠٩).
(٤) المصدر نفسه (٣/ ٣١٠).
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٣٦).

المتـرين، قال: يا بني، سـتجدني إن شـاء الله من الصابرين، فلم يلـبث إلا قليلاً حتى مات -يرحمـه الله- وصلى عليه معاذ ودفنه، فلما رجع مـعاذ إلى بيته طعن، فاشـتد به وجعه، وجـعل أصحابه يخـتلفون إليه فـإذا أتوه أقبل عليهم فـقال لهم: اعملوا وأنتم في مهلة وحياة وفي بقية من آجالكم من قبل أن تَمَنَّوُا العمل فلا تجدوا إليه سبـيلاً، وأنفقوا مما عنـدكم من قبل أن تهلكوا وتدعوا ذلك ميـراثًا لمن بعدكم، واعلموا أنه ليس لـكم من أموالكم إلا ما أكلتم وشـربتم ولبستـم وأنفقتم فـأعطيتم فأمضـيتم، وما سوى ذلك فللوارثين فلمـا اشتد به وجعه جـعل يقول: رب اخنقني خنقك[١]، فأشهد أنك تعلم أني أحبك[٢]، ولما حضرته الوفاة قال: مرحبًا بالموت، مرحـبًا بزائر جـاء على فاقة، لا أفلـح من ندم، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكنني كنت أحب البقاء لمكابدة الليل الطويل، وطول الساعات في النهار ولظمأ الهواجر، في الحر الشديد، ولمزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر[٣]، وكان عمره عنـد وفاته ٣٨ عامًا[٤]، واستخلف بعده عمـرو بن العاص، فصلى عليه عـمرو، ودخل قبره فوضـعه في لحده، ودخل معه رجال من المسلمين، فلما خرج عمرو من قبره، قال: رحمك الله يا معاذ، فقد كنت ما علمناك من نصـحاء المسلمين ومن خيارهم، وكنت مـؤدبًا للجاهل، شديدًا على الفاجر، رحيمًا بالمؤمنين[٥].

وتولى قيادة الجيوش بعد موت أبي عبـيدة رضي الله عنه ومعاذ بن جبل عمرو بن العاص فقام في الـناس خطيبًا: أيها الناس إن هذا الوجع إذا وقع فـإنما يشتعل اشتـعال النار فتجبلوا منـه في الجبل، ثم خرج وخرج الناس فتفرقـوا ورفعه الله عنهم[٦]، وكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فـقال له: سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو: أما بعـد، فإن معاذ بن جـبل رحمه الله مات، وقـد فشا الموت في المسلمين، وقد استأذنوني في التنحي إلى البـر، وقد علمت أن إقامة المقيم

(١) الاكتفاء (٣/ ٣٠٨)، المقصود: أمتني.
(٢) الاكتفاء (٣/ ٣٠٨).
(٣،٤) حلية الأولياء (١/ ٢٢٨ إلى ٢٤٤).
(٥) الاكتفاء (٣/ ٣٠٩).
(٦) البداية والنهاية (٧/ ٩٥).

لا تُقربه من أجله، وإن هروب الهارب منه لا يباعده من أجله، ولا يدفع به قدره والسلام عليك ورحمة الله وبركاته[١]، ولما وصل كتاب عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين ينعي فيه معاذًا، وكانت وفاة معاذ على أثر أبي عبيدة ﷺ جزع عليه جزعًا شديدًا، وبكى عمر والمسلمون، وحزنوا عليه حزنًا عظيمًا، وقال عمر ﷺ: رحم الله معاذًا، والله لقد رفع الله لهلاكه من هذه الأمة علمًا جمًّا، ولرب مشورة له صالحة قد قبلناها منه، ورأيناها أدت إلى خير وبركة، ورب علم أفادناه، وخير دلنا عليه، جزاه الله جزاء الصالحين[٢]، وأما ثالث القادة المشهورين الذين أصيبوا بالطاعون، وكان أفضل بني سفيان ويقال له يزيد الخير، فهو يزيد بن أبي سفيان، ومن القادة العظام الذين استشهدوا بطاعون عمواس شرحبيل بن حسنة[٣].

٤- خروج الفاروق إلى الشام وترتيبه للأمور:

تأثر الفاروق وحزن حزنًا عظيمًا لموت قادته العظام وجنوده البواسل بسبب الطاعون في الشام، وجاءته رسائل الأمراء من الشام تتساءل عن الميراث الذي تركه الأموات خلفهم، وعن أمور عديدة، فجمع الناس واستشارهم في ما جد من أمور، وعزم على أن يطوف على المسلمين في بلدانهم؛ لينظم لهم أمورهم، واستقر رأي عمر بعد تبادل وجهات النظر مع مجلس الشورى أن يبدأ بالشام، فقد قال: إن مواريث أهل الشام قد ضاعت فأبدأ بالشام فأقسم المواريث وأقيم لهم ما في نفسي ثم أرجع فأتقلب في البلاد وأبدي لهم أمري، فسار عن المدينة واستخلف علي بن أبي طالب ﷺ[٤]، فلما قدم الشام، قسم الأرزاق، وسمى الشواتي[٥]، والصوائف[٦]، وسد فروج الشام ومسالحها[٧]، وولى الولاة، فعين عبد الله بن قيس

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية ص٤٩٠.

(٢) الاكتفاء (٣/ ٣١٠).

(٣) الكامل في التاريخ (٢/ ١٧١، ١٧٢)، تاريخ الذهبي ص١٨١،

(٤) الفاروق عمر بن الخطاب، محمد رضا ص٢٣٠.

(٥) الشواتي: جمع شاتية وهي السرية التي تغزو في الشتاء.

(٦) الصوائف: جمع صائفة وهي التي تغزو في الصيف.

(٧) المسالح: الثغور.

على السواحل من كل كورة، واستعمل معاوية على دمشق، ورتب أمور الجند والقادة والناس، وورّث الأحياء من الأموات[(١)]، ولما حضرت الصلاة قال له الناس: لو أمرت بلالاً فأذن، فأمره فأذن فما بقي أحد أدرك النبي ﷺ وبلال يؤذن إلا وبكى حتى بل لحيته وعمر أشدهم بكاء، وبكى من لم يدركه ببكائهم ولذكرهم رسول الله ﷺ[(٢)]، وقبل أن يرجع إلى المدينة خطب في الناس: ألا وإني قد وليت عليكم وقضيت الذي عليّ في الذي ولاني الله من أمركم إن شاء الله، فبسطنا بينكم فيأكم، ومنازلكم، ومغازيكم، وأبلغناكم ما لدينا، فجندنا لكم الجنود وهيأنا لكم الفروج، وبوأنا لكم ووسعنا عليكم ما بلغ فيؤكم وما قلتم عليه من شامكم وسمينا لكم أطعماتكم، وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم ومغانمكم، فمن علم شيئًا ينبغي العمل به، فليعلمنا نعمل به إن شاء الله ولا قوة إلا بالله[(٣)]، وكانت هذه الخطبة قبل الصلاة المذكورة.

لقد كان طاعون عمواس عظيم الخطر على المسلمين وأفنى منهم أكثر من عشرين ألفًا وهو عدد يوازي نصفهم بالشام، وربما تخوف من ذلك المسلمون يومئذ واستشعروا الخطر من قبل الروم، وفي الحقيقة لو تنبه الروم، لهذا النقص الذي أصاب جيش المسلمين بالشام يومئذ وهاجموا البلاد لصعب على الجيوش المرابطة دفعهم، ولكن ربما كان اليأس تمكن من نفوس الروم فأقعدهم عن مهاجمة المسلمين، خصوصًا إذا كان أهل البلاد راضين بسلطة المسلمين مرتاحي القلوب إلى سلطانهم العادل وسيرتهم الطيبة الحسنة، وبدون الاستعانة بهم لا يتيسر للروم مهاجمة الشام لا سيما إذا أضفنا إلى هذا ملل القوم من الحرب وإخلادهم إلى الراحة من عناء المقاومة لقوم أصبح النصر حليفهم في كل مكان، ودب الرعب من سطوتهم في قلب كل إنسان[(٤)].

٥- حكم الدخول والخروج في الأرض التي نزل بها الطاعون:

قال رسول الله ﷺ : (إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه، وإذا وقع

---

(١) الخلفاء الراشدون للنجار ص٣٢٥، الفاروق، محمد رشيد ص٢٣٠.

(٢) خلاصة تاريخ ابن كثير، الخلافة الراشدة ص٢٣٦.

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٧٩).

(٤) أشهر المشاهير (٢/ ٣٦١).

ببلد وأنتم فيه فلا تخرجوا فراراً منه)[1]، وقد اختلف الصحابة في مفهوم النهي عن الخروج والدخول، فـمنهم من عمل به على ظاهره، ومنهم من تأوَّله، والذين تأوَّلوا النهي أباحوا خروج من وقع في أرضه الطاعـون، وقد مرّ علينا حرص الفاروق على إخراج أبي عبيـدة من الأرض التي وقع فيها الطاعون إلا أن أبا عبـيدة اعتذر ﷺ، كما أن الفاروق طلب من أبي عبيدة أن يرتحل بالمسلمين من الأرض الغمقة التي تكثر فيها المياه والمستنقعات إلى أرض نزهة عالية، ففعل أبو عبيدة، وكانت كتابة عمر إلى أبي عبيدة بعد أن التقيا في سَرْغ، وسـمعا حديث عبد الرحمن بن عوف بالنهي عن الخروج والقدوم إلى أرض الوباء، ورجع عمـر إلى المدينة، ويظهر أنّ الوباء كان في بدايته ولم يكن قد استشرى واشتعل لهيـبه، فلما رجع عمر إلى المدينة وصلته أخبار بكثـرة الموت من هذا الطاعـون، ومـفـهـوم عمـر ﷺ بجـواز الخـروج من أرض الطاعون، نقل أيضًا عن بعض الصـحابة الذين عاصروا أبا عبيـدة في الشام وعاشوا محنة المرض، كعـمرو بن العاص، وأبي موسى الأشعـري ﷺ، والخلاف جارٍ في مسألة الخروج من أرض الطاعون لا في الدخـول إلى أرض الطاعون، فبعضهم أباح الخروج علـى ألا يكون الخروج فـراراً من قدر الله، والاعـتقاد بأن فـراره هو الذي سلّمه من الموت، أما من خرج لحاجة متمحـضة فهو جائز، ومن خرج للتداوي فهو جائز؛ فـإن ترك الأرض الوبئـة والرحيل إلى الأرض النزهة مندوب إليـه ومطلوب، وأما تعليل أبي عبـيدة ﷺ بقاءه واعتذاره للفاروق عن الخـروج، فراجع إلى أسباب صحّية واجتماعية وسياسيّـة وقيادية ينظمها الدين في نظامه؛ وتعدُّ مثلاً أعلى للقيادة الأمينة وأبو عـبيدة أمين هذه الأمة؛ حـيث قال معلّلاً سـبب ثباته: إني في جند من المسلمين ولا أجد بنفسي رغـبة عنهم، وقد أصاب بعض العلماء المفـصل عندما ذكر من حكمة النهي عن الخروج فـراراً من الطاعون: أن الناس لو تواردوا على الخروج، لصار من عجز عنه -بالمرض المذكور أو غيره- ضائع المصلحة، لفقد من يتعهده حيًّا وميّتًا، ولو أنّه شـرع الخروج فخرج الأقوياء ،لكان في ذلك كسـر قلوب الضعفاء،

---

(١) مسلم، ك السلام رقم ٢٢١٩.

وقد قالوا: إن حكمة الوعيد من الفرار من الزحف لما فيه من كسر قلب من لم يفرّ، وإدخال الرعب فيه بخذلانه، والخلاصة: أن البقاء رخصة، والخروج رخصة، فمن كان في الوباء وأصيب، فلا فائدة من خروجه، وهو بخروجه ينقل المرض إلى الناس الأصحاء، ومن لم يصب فإنه يرخص له في الخروج من باب التداوي على ألا يخرج الناس جميعًا، فلابد أن يبقى من يعتني بالمرضى[1].

* ■ *

(١) أبو عبيدة عامر بن الجراح، شرّاب ص٢٣٢ إلى ٢٣٧ .

■ الفصل الرابع ■

المؤسسة المالية والقضائية وتطويرها في عهد عمر رضي الله عنه

المبحث الأول: المؤسسة المالية

أولاً: مصادر دخل الدولة في عهد عمر رضي الله عنه:

نظر المسلمون في العصر الراشدي إلى المال بكل أشكاله وأنواعه بأنه مال الله، وبأن الإنسان مستخلف فيه، يتصرف فيه بالشروط التي وضعها المولى -عز وجل-، والقرآن الكريم يؤكد هذه الحقيقة في كل أمر يتعلق بالمال وإنفاقه فيقول: **﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾** (الحديد، آية: ٧)، **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾** (البقرة، آية: ٢٥٤)، وقوله تعالى يتحدث عن البر وهو جماع الخير: **﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾** (البقرة، آية: ١٣٧) وإيتاء المال اعتراف من المسلم -ابتداء- بأن المال الذي في يده هو رزق الله له: **﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾** لأنه خلقه هو، ومن هذا الاعتراف بنعمة الرزق انبثق البر بعباد الله[١]، وعلى هذا الأساس الإيماني نظر الفاروق إلى مال الدولة التي توسعت مواردها في عصره؛ حيث فتحت الدولة بلدانًا واسعة، وخضعت لحكمها شعوب كثيرة، فنظم علاقة الدولة مع هذه الشعوب، فمنهم من دخل في حكم الدولة صلحًا، ومنهم من دخل في حكمها كرهًا، وتبعًا للفتح آلت إليها أرض غلبت عليها عَنْوة (بقوة السلاح)، وأراضٍ صالح أصحابها، وأرضٌ جلا عنها مالكوها أو كانت ملكًا لحكام البلاد السابقين ورجالهم، ومن شعوب هذه البلاد كتابيون (أهل كتاب كاليهود والنصارى) نظم الفاروق طريقة التعامل معهم وفق شرع الله المحكم، وقد قام عمر رضي الله عنه بتطوير النظام المالي في دولته سواء في الموارد أو الإنفاقات أو ترتيب حقوق الناس من خلال نظام الدواوين، وقد أخذت موارد الدولة

---

(١) دراسات في الحضارة الإسلامية، أحمد إبراهيم الشريف ص٢٥٣.

تزداد في عصر عمر ﷺ، وشرع في تطويرها، ورتب لهـا عمالاً للإشراف عليها، فكانت أهم مصادر الثروة في عهـده: الزكاة، والغنائم، والفيء، والجزية، والخراج، وعشـور التجار، فـعمل الفـاروق على تطوير هذه المصادر واجتـهد في قـضايا وفق مقاصد الشريعة التي وضعت لمصالح العبـاد، فقد أخذت الدولة تستجد فيها ظروف لم تكن موجـودة في عهـد رسول الله ﷺ[1]، وكان عـمر ﷺ منفـذًا للكتاب والسنة تنفيذًا عبقريًّا، لا يستأثر بالأمر دون المسلمين، ولا يستبد بالرأي في شأن من الشئـون، فإذا نزل به أمر جـمع المسلمين يستـشيرهم ويـعمل بآرائهم[2]، وأما أهم مصادر الثروة في عهد الفاروق فهي الآتي:

١- الزكاة:

هي الركن الاجتماعي البارز في أركان الإسلام، وأول تشريع سماوي إسلامي، فرض في أموال أغنياء المسـلمين؛ لتؤخذ منهم، وترد إلى الفقراء، بحسب أنصـبتها المعروفة في الزروع والثمار، والذهب والفضة وعروض التجار والماشية؛ ليكون هناك نوع من التضامن والتكافل الاجتماعي، والمحبة والألفة بين الأغنياء والفقراء، فالزكاة تكليف يتصل بالمال، والمال كما يقولون عصب الحياة، فمن الناس سعيد بالمال ومنهم شقي به، وهذه سنة الله في خـلقه، ولن تجد لسنة الله تبـديلاً، ونظرًا لما للمال من أثر في حياة الناس فقد عني الإسلام بأمـره أشد العناية، واهتم بالزكاة غاية الاهتمام ووضع لها نظامًا دقـيقًا حكيمًا رحـيمًا، يؤلف بين القلوب[3]، ولذلك سار الفاروق على نهج رسـول الله ﷺ وأبي بكر، فقـام بتنظيم مؤسـسة الزكـاة، وتطويرها، فأرسل المصـدّقين لجمع الزكاة في أرجـاء الدولة الإسلامـية بعد أن أسلم الكثـير من سكان البلاد المفتـوحة، وكان العدل في جـباية الأموال صفة الخـلافة الراشدة، دون الإخلال بحقوق بيت المال، وقد أنكر الفاروق على عامل من عمال الزكاة أخذه لشاة كثـيرة اللبن ذات ضرع عظيم، قـائلاً: ما أعطى هذه أهلها وهم طائعـون، لا تفتنوا

---

(١) المصدر السابق نفسه ص٢٥٤.

(٢) مبادئ النظام الاقتصادي الإسلامي د.سعاد إبراهيم صالح ص٢١٣.

(٣) سياسة المال في الإسلام في عهد عمر بن الخطاب، عبد الله جمعان السعدي ص٨.

الناس[١]، وقد جاء ناس من أهل الشام إلى عمر، فقالوا: إنا قد أصبنا أموالاً وخيلاً ورقيقًا نحب أن يكون لنا فيها زكاة وطهور قال عمر: ما فعله صاحباي قبلي فأفعله، واستشار أصحاب رسول الله ﷺ، وفيهم عليٌّ، فقال عليٌّ: هو حسن، إن لم يكن جزية راتبة يؤخذون بها بعدك[٢]، وقد ذكر الدكتور أكرم ضياء العمري: أن الصحابة اقترحوا على عمر فرض الزكاة على الرقيق والخيل بعدما توسعت ملكية الرقيق والخيل في أيدي المسلمين، فعدّ عمر الرقيق والخيل من أموال التجارة وفرض على الرقيق الصبيان والكبار دينارًا (عشرة دراهم) وعلى الخيل العربية عشرة دراهم وعلى البراذين (الخيل غير العربية) خمسة دراهم، ويفهم أنه لم يفرض الزكاة في رقيق الخدمة والخيل المعدة للجهاد لأنها ليست من عروض التجارة، بل إنه عوّض من يدفع زكاتهما كل شهرين جربين (حوالي ٢٠٩ كيلو غرامًا من القمح) وهو أكثر قيمة في الزكاة، وذلك لحديث رسول الله ﷺ: (ليس على المسلم في فرسه ولا عبده صدقة)[٣]، وقد أخذ من الركاز (المال المدفون) -إذا عثر عليه- الخمس، وحرص على تداول الأموال وتشغيلها لئلا تذهب بها الزكاة مع تعاقب الأعوام[٤]، فكان عنده مال ليتيم فأعطاه للحكم بن العاص الثقفي ليتجر به[٥]؛ إذ لم يجد عمر وقتًا للتجارة لانشغاله بأمور الخلافة، وعندما صار الربح وفيرًا من عشرة آلاف درهم إلى مائة ألف شك عمر في طريقة الكسب، ولما علم أن التاجر استغل صلة اليتيم بعمر رفض جميع الربح واسترد رأس المال حيث اعتبر الربح خبيثًا[٦]، فهو يعمل بمبدأ فرضه على ولاته وهو رفض استغلال مواقع المسئولية في الدولة، ومن هنا قاسم الولاة ثروتهم إذا نمت بالتجارة[٧]، وسيأتي بيان ذلك عند الحديث عن الولاة بإذن الله تعالى، وقد أخذ عمر في زكاة الزروع العشر فيما سقته الأمطار والأنهار،

(١) الموطأ (١/٢٥٦)، عصر الخلافة الراشدة ص١٩٤.

(٢) الموسوعة الحديثية مسند أحمد رقم ٨٢، إسناده صحيح.

(٣) صحيح الترمذي (١/١٩٦) وقال الترمذي: والعمل عليه عند أهل العلم.

(٤) عصر الخلافة الراشدة ص١٩٤، ١٩٥.

(٥) عصر الخلافة الراشدة ص١٩٥، الأموال لابن زنجويه (٣/ ٩٩٠) الأثر صحيح.

(٦) الأموال أبو عبيد ص٤٥٥ والأثر صحيح نقلاً عن عصر الخلافة الراشدة ص١٩٥.

(٧) عصر الخلافة الراشدة ص١٩٥.

ونصف العشر فيما سقي بالآلة[١]، وهو الموافق للسنة، وكان يوصي بالرفق بأصحاب البساتين عند تقدير الحاصل من التمر[٢]، وأخذ زكاة عشرية من العسل إذا حمت الدولة وادي النحل لمستثمره[٣]، وقد كثرت الحنطة في خلافته، فسمح بإخراج زكاة الفطر من الحنطة بنصف وزن ما كانوا يؤدونه قبل خلافته من الشعير أو التمر أو الزبيب[٤]، وهذا فيه تيسير على الناس، وقبول للمال الأنفس في الزكاة وإن تفاوت الجنس[٥]، وأما بخصوص مقادير أموال الزكاة التي كانت تُجبى كل عام فأمر غير معروف، والإشارات التي تذكر بعض الأرقام إشارات جزئية وغير دقيقة، ولا تنفع في إعطاء تقدير كلي، وقد قيل: إن عمر بن الخطاب حمى أرض الربذة لنعم الصدقة، وكان يحمل عليها في سبيل الله، وكان مقدار ما يحمل عليه كل عام في سبيل الله أربعين ألفًا من الظهر[٦]، وأما الموظفون الذين أشرفوا على هذه المؤسسة فقد ذكرت المصادر أسماء عدد منهم في خلافة عمر رضي الله عنه، وهم: أنس بن مالك، وسعيد بن أبي الذباب على السراة، وحارث بن مضرب العبدي، وعبد الله بن الساعدي، وسهل بن أبي حثمة، ومسلمة بن مخلد الأنصاري، ومعاذ بن جبل على بني كلاب، وسعد الأعرج على اليمن، وسفيان بن عبد الله الثقفي كان واليًا على الطائف فكان يجبي زكاتها[٧].

٢- الجزية:

هي الضريبة التي تفرض على رءوس من دخل ذمة المسلمين من أهل الكتاب[٨]، وقيل هي الخراج المحمول على رءوس الكفار إذلالاً لهم (وصغارًا)[٩]؛ لقوله

(١) المصنف (٤/ ١٣٤، ١٣٥) والأثر صحيح نقلاً عن عصر الخلافة الراشدة ص١٩٥.
(٢،٣) عصر الخلافة الراشدة ص١٩٥ والأثر صحيح.
(٤) المصدر نفسه ص١٩٦ والأثر صحيح.
(٥) فتح الباري (٣/ ٣١٣) نقلاً عن عصر الخلافة الراشدة ص١٩٦.
(٦) الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى د. محمد بطاينة ص١٠٤.
(٧) عصر الخلافة الراشدة ص١٩٦، ١٩٧.
(٨) السياسة الشرعية لابن تيمية ص١١٣، ١١٤، المعاهدات في الشريعة د. الديك ص٣١٣.
(٩) أهل الذمة في الحضارة الإسلامية حسن المِمّي ص٣٩.

تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة، آية: ٢٩).

وتؤخذ الجزية من أهل الكتاب: وهم اليهود والنصارى وهو إجماع لا خلاف فيه ومن لهم شبهة كتاب: وهم المجوس، وقد حار عمر رضي الله عنه في أمرهم في أول الأمر، أيأخذ منهم الجزية؟ أو لا يأخذها؟ حتى قطع عبد الرحمن بن عوف حيرته حين حدّثه أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر[١]، فقد روى ابن أبي شيبة وغيره أن عمر كان بين القبر والمنبر فقال: ما أدري ما أصنع بالمجوس، وليسوا بأهل كتاب، فقال عبد الرحمن بن عوف: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سُنوا بهم سُنة أهل الكتاب[٢]، وفي حديث آخر أن عمر لم يرد أن يأخذ الجزية؛ من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر[٣]، وقد علل العلماء أخذها من المجوس بأنهم كانوا في الأصل أهل كتاب، وإنما طرأت عليهم عبادة النار بعد ذلك، وعندئذ أخذها من أهل السواد[٤] وأخذها من مجوس فارس وكتب لجزء بن معاوية: انظر مجوس من قِبَلك فخذ منهم الجزية فإن عبد الرحمن بن عوف أخبرني أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر[٥]، وهي تجب على الرجال الأحرار العقلاء، ولا تجب على امرأة ولا صبي ولا مجنون ولا عبد لأنهم أتباع وذراري، كما أن الجزية لا تؤخذ من المسكين الذي يتصدق عليه ولا من مقعد، والمقعد والزَّمِن إذا كان لهما يسار أخذت منهما، وكذلك الأعمى وكذلك المترهبون الذين في الديارات، إذا كان لهم يسار أخذ منهم، وإن كانوا مساكين يتصدّق عليهم أهل اليسار لم يؤخذ منهم[٦] وتسقط الجزية بالموت، فإذا مات من تجب عليه الجزية سقطت الجزية؛ لأن الجزية واجبة على الرءوس، فإذا فاتت الرءوس بالموت سقطت،

---

(١) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص٢٣٥.
(٢) المصدر نفسه ص٢٣٥ نقلاً عن مصنف ابن أبي شيبة (١/ ١٤١).
(٣) البخاري، ك الجزية والموادعة رقم ٣١٥٦ .
(٤) سواد العراق.
(٥) البخاري، رقم ٣١٥٦ .
(٦) أهل الذمة في الحضارة الإسلامية ص٤٢.

وبالإسلام، فإذا أسلم من فرضت عليه الجزية، سقطت عنه بإسلامه، فقد أسلم رجلان من أهل أليس، فرفع عنهما جزيتهما[١]، وأسلم الرقيل دهقان النهرين ففرض له عمر في ألفين ووضع عن رأسه الجزية[٢]، ومن الجدير بالذكر أن الجزية تسقط عن العام الذي أسلم فيه الذمي، سواء كان إسلامه في أوله أو في وسطه أو في آخره، قال عمر: إن أخذ الجزية الجابي بكفه ثم أسلم صاحبها ردها عليه[٣]، وتسقط بالافتقار، فإذا افتقر الذمي بعد غنى وأصبح غير قادر على دفع الجزية سقطت عنه الجزية، وقد أسقطها عمر عن الشيخ الكبير الضرير البصر عندما رآه يسأل الناس[٤] وفرض له ما يعوله من بيت المال، وتسقط عند عجز الدولة عن حماية الذميين؛ لأن الجزية ما هي إلا ضريبة على الأشخاص القاطنين في أقاليم الدولة الإسلامية، وتدفع هذه الضريبة في مقابل انتفاعهم بالخدمات العامة للدولة، علاوة على أنها نظير حمايتهم والمحافظة عليهم وبدل عدم قيامهم بواجب الدفاع عن الدولة ومواطنيها[٥]، ومن الأدلة على أن الجزية في مقابل الحماية، ما قام به أبو عبيدة بن الجراح، حينما حشد الروم جموعهم على حدود البلاد الإسلامية الشمالية، فكتب أبو عبيدة إلى كل وال ممن خلفه في المدن التي صالح أهلها يأمرهم أن يردوا عليهم ما جبي منهم من الجزية والخراج، وكتب إليهم أن يقولوا لهم: إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع وأنكم اشترطتم علينا أن نمنعكم، وإنا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن على الشرط، وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم، فلما قالوا ذلك لهم وردوا عليهم أموالهم التي جبيت منهم، قالوا: ردكم الله علينا ونصركم عليهم (أي الروم) فلو كانوا هم ما ردوا علينا شيئًا وأخذوا كل شيء بقي لنا حتى لا يدعوا لنا شيئًا[٦]،

---

(١) موسوعة فقه عمر ص٢٣٨.

(٢) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص٢٣٨ نقلاً عن المحلى (٧/ ٣٤٥).

(٣) المصدر نفسه ص٢٣٩ نقلاً عن المغني (٨/ ٥١١).

(٤) موسوعة فقه عمر ص٢٣٩.

(٥) المعاهدات في الشريعة الإسلامية د. الديك ص٣١٤.

(٦) فتوح البلدان ص١٤٣، الموارد المالية د. يوسف عبد المقصود ص٢٢٨.

كما تسقط إذا قاموا هم بعبء الدفاع بتكليف من الدولة، كما حدث في العهد الذي وقعه سراقة بن عمرو مع أهل طبرستان بعد أن وافقه عمر على ذلك[١].

وأما قيمتها فقد كانت غير محددة واختلفت من إقليم لآخر بحسب قدرة الناس، وظروف الإقليم، فقد وَضَعَ على أهل السواد، ثمانية وأربعين درهمًا، وأربعة وعشرين درهمًا، بحسب حال كل واحد من اليسار، يؤخذ ذلك منهم كل سنة، وإن جاءوا بعرض قبل منهم مثل الدواب والمتاع وغير ذلك ويؤخذ منهم بالقيمة[٢]، وجعل على أهل الشام أربعة دنانير وأرزاق المسلمين من الحنطة مُدَّيْنِ وثلاثة أقساط من زيت لكل فرد، وعلى أهل الفضة أربعين درهمًا وخمسة عشر صاعًا لكل إنسان، وعلى أهل مصر دينارين لكل حالم إلا أن يكون فقيرًا[٣]، وأما أهل اليمن فقد خضعت للإسلام في عهد النبوة، وفرضت الجزية على كل رجل دينار أو عدله معافر، وتشير روايات ضعيفة إلى بقاء هذه الجزية على أهل اليمن دون تغير في خلافة عمر ورغم ضعفها فإنها تتفق مع سياسة عمر في مراعاة أحوال الرعية، وعدم تغيير الإجراءات النبوية[٤]، فالجزية كانت تختلف بحسب يسار الناس وبحسب غنى الإقليم كذلك، وكانت تخضع للاجتهاد بما يكون من طاقة أهل الذمة بلا حمل عليهم ولا إضرار[٥]، وكان عمر يأمر جباة الجزية بأن يرفقوا بالناس في جبايتها، وعندما أتي عمر بمال كثير فقال: إني لأظنكم قد أهلكتم الناس، قالوا: لا والله، ما أخذنا إلا عفوًا صفوًا، قال: بلا سوط ولا نوط؟ قالوا: نعم . قال: الحمد لله الذي لم يجعل ذلك على يدي ولا في سلطاني[٦]، ومن أشهر الموظفين في هذه المؤسسة: عثمان بن حنيف، وسعيد بن حذيم، وولاة الأمصار كعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان وغيرهم.

---

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية د. جميل المصري ص٣٢٧.

(٢، ٣) دور الحجاز في الحياة السياسية ص٢٣٠.

(٤) عصر الخلافة الراشدة ص١٧٣.

(٥) المصدر نفسه ص٢٣١، عصر الخلافة الراشدة ص١٦٧.

(٦) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص٢٤٣.

وقد نظمت الجزية بمجموعة من الأحكام والقوانين، استمدها الفقهاء والمشرعون من نصـوص القرآن والسنة وعـمل الخلفاء الراشـدين، ودلت تلك الأحكام على أن مؤسسة الجـزية من مصادر الدولة الإسلامية، كـما أن لها صفة سيـاسية، فدفع أهل الذمة للدولة دليل علـى إخلاصهم لها وخـضوعهم لأحكامـها وقوانينهـا والوفاء بما عاهدوا عـليه[1]، ويذهب الأسـتاذ حسن الممّي إلـى أن مؤسسـة الجزية لهـا صبـغة سياسية أكثر منـها صبغة مالية[2]، والحقيقة أن هذه المؤسسـة جمعت بين الصبغتين، وهي من مصادر الثروة في الدولة الإسلامية.

- أخذ عمر الصدقة مضاعفة من نصارى تغلب:

كان بعض عرب الجزيرة من النصارى قد رفـضوا دفع الجزية لكونهم يرونها منقصة ومذمـة، فبعث الوليـد برؤساء النصارى وعلمـائهم إلى أمير المؤمنين فـقال لهم: أدُّوا الجزية. فقالوا لعمـر: أبلغنا مأمننا، والله لئن وضعت علينا الجزاء لندخلن أرض الروم والله لتفضحُنَّا من بين العرب، فقال لهم: أنتم فضحتم أنفسكم، وخالفتم أمتكم فيمن خالف وافتضح من عرب الضاحية، والله لتؤدنَّه وأنتم صَغَرة قَمأة (يعني حقيرين) ولئن هربتم إلى الروم لأكتبن فيكم، ثم لأسـبينكم. قالوا: فخذ منا شيئًـا ولا تسمه جزاء، فقال: أما نحن فنسميه جزاء وسموه أنتم ما شئتم، فقال له علي بن أبي طالب: يا أمير المؤمنين ألم يُضْعِف عليهم سعد بن مالك الصـدقة؟ قال: بلى، وأصغى إليه فرضي به منهم جزاء، فرجعوا على ذلك[3]، ومن هذا الخبر نأخذ درسًا في معاملة المتكبرين من الأعداء الذين يخاطبـون المسلمين بعزة وأنفة ويهددون باللجـوء إلى دول الكفر، فنجد أمـير المؤمنين خـاطبـهم بعنف وحقّـرهم وهددهم إذا لجـئوا إلى الـكفار بالسـعي في إحضارهم ومعـاملتهم كمعاملة الحربيين من سبي ذراريهـم ونسائهم، وهذا أشد عليهم كثيرًا من دفع الجـزية، فهذا الجواب القوي أزال ما في رءوسهم مـن الكبرياء والتعاظم فرجـعوا متواضـعين يطلبون من أميـر المؤمنين أن يوافق على أخذ ما يريد من غـير أن

(١، ٢) أهل الذمة في الحضارة الإسلامية ص٤٣.
(٣) تاريخ الطبري (٥ / ٣٠) وقد ضعف الدكتور العمري هذه الرواية، انظر عصر الخلافة الراشدة ص١٦٧.

يُسمِّي ذلك جزية، وهنا تدخل علي رضي الله عنه وكان لرأيه مكانة عند عمر لفقهه في الدين، فأشار عليه بأن يُضعِف الصدقة كما فعل سعد بن أبي وقاص بأمثالهم، فقبل ذلك أمير المؤمنين تألفًا لهم ومنعًا من محاولة اللجوء إلى دول الكفر، وقد أصبح هذا الرأي مقبولاً حينما وقع موقعه، وذلك بعدما أزال أمير المؤمنين ما في نفوسهم من العزة والكبرياء، فأما لو قبل ذلك منهم في بداية العرض فإنهم سيعودون بكبريائهم ولا يؤمن منهم بعد ذلك أن ينقضوا العهد ويسيئوا إلى المسلمين[١].

وقد جاء في رواية عن قصة بني تغلب، بأنهم دعوا إلى الإسلام فأبوا، ثم إلى الجزية فلم يطمئنوا إليها، وولوا هاربين يريدون اللحاق بأرض الروم، فقال النعمان ابن زرعة لعمر: يا أمير المؤمنين، إن بني تغلب قوم عرب، يأنفون من الجزية، وليست لهم أموال إنما هم أصحاب حروث ومواشٍ، ولهم نكاية في العدو فلا تعن عدوك عليك بهم قال: فصالحهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، على أن ضاعف عليهم الصدقة[٢].. وقال: هي جزية وسموها ما شئتم[٣]، فقال بنو تغلب: أما إذا لم تكن جزية كجزية الأعلج فإنا نرضى ونحفظ ديننا[٤]، والسر في قبول الخليفة عمر رضي الله عنه الصدقة من بني تغلب، وهل تعد صدقة أم جزية؟ يرجع إلى أن الاختلاف في التسمية أمر قد تسوهل فيه ورضي الخليفة به مادام في ذلك المصلحة العامة، والذي دفعه إلى ذلك خشية انضمام بني تغلب إلى الروم وما كان يرجوه من إسلامهم ليكونوا عونًا للمسلمين على أعدائهم؛ ولأن هؤلاء قوم من العرب لهم من العزة والأنفة ما يبرر حفظ كرامتهم، وأن ما يرد إلى بيت المال من أموالهم خير للمسلمين وأجدى على خزانة الدولة من هربهم وانضمامهم إلى صفوف الروم[٥]، أما من ناحية هل هي صدقة أم جزية؟ فهي جزية؛ لأنها تصرف في مصارف الخراج، ولأن الصدقة لا

---

(١) التاريخ الإسلامي (١١/ ١٤١، ١٤٢).

(٢) الأموال (١/ ٣٧) نقلاً عن سياسة المال في الإسلام عبد الله جمعان ص٧٢.

(٣) فتح القدير (١/ ٥١٤)، سياسة المال في الإسلام ص٧٢.

(٤) فتوح البلدان ص١٨٦، سياسة المال في الإسلام ص٧٢، يعتبر كتاب سياسة المال في عهد عمر بن الخطاب للأستاذ عبد الله جمعان السعدي هو العمدة في مبحث المؤسسة المالية فقد قمت بتلخيصه وإضافة بعض الأشياء.

(٥) سياسة المال في الإسلام ص٧٢.

تجب على غير المسلمين، ولأن الجزية في نظير الحماية وكان بنو تغلب في حماية المسلمين، وفي الوقت نفسه يمكننا أن نقول: إنّها ليست بجزية عمليًا؛ لأن ما فرض على نصارى بني تغلب كان على الأموال التي تفرض عليها الزكاة، فكل شيء على المسلمين فيه زكاة كالزروع والثمار والماشية والنقدين.. فهو عليهم مضاعف يؤخذ من النساء كما يؤخذ من الرجال ولم يكن على الأشخاص، وهذا ينافي معنى الجزية عرفًا[١]، والمهم في كلتا الحالتين باعتبارها صدقة أو جزية فهي ضريبة بينت مدى خضوعهم لسلطة الإسلام[٢]، هذا وقد كانت هنالك حقوق والتزامات كثيرة للعرب على البلاد المفتوحة عدا الجزية، وقد تنوعت هذه الحقوق وتطورت أيام الخليفة عمر ﷺ، فمن ذلك ضيافة الحاكم إذا وفد، والرسل والسفراء ومن نزل من المسلمين بأهل البلاد، وقد حددت مدة الضيافة في خلافة عمر ﷺ بثلاثة أيام مما يأكلون، ولا يكلفون بذبح شاة ولا دجاجة ولا مما لا طاقة لهم به[٣]، وقد مرّ معنا عند حديثنا عن التطوير العمراني في عهد عمر أن بعض الاتفاقيات في عهد الخليفة عمر ﷺ اشتملت على إصلاح الطرق، وإنشاء الجسور وبناء القناطر وقد تطور نظام الجزية في عهد عمر ﷺ، فأحصى السكان وميز بين الغني والفقير ومتوسط الحال، واستحدث كثيرًا من الشروط والالتزامات في نصوص المعاهدات مما لم يعرف من قبل؛ وذلك لاتساع العمران وبسط السلطان على مصر والشام والعراق ومخالطة المسلمين لأهل البلاد واتصالهم الدائم بحضارتها، مما مكنهم من سياسة الدولة وشئون العمران وما تتطلبه طبيعة التدرج والنمو فأوجدوا ما لم يكن موجودًا من إصلاح الطرق والعمران وبناء القناطر والجسور التي هي عون الأمم المتحضرة، ومن هنا انتظمت الأمور، واتسعت البلاد، ورسخت قواعد النظم المالية وغيرها[٤].

- شروط عقد الجزية ووقت أدائها:

وقد استنبط الفقهاء من خلال عصر الخلفاء الراشدين مجموعة من الشروط:

---

(١) المصدر نفسه ص٧٣، النظام الإسلامي المقارن ص٣٩.
(٢) المصدر نفسه ص٧٣.
(٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ص١٦٤.
(٤) سياسة المال في الإسلام في عهد عمر بن الخطاب ص١٧٤.

* ألا يذكروا كتاب الله تعالى بطعن فيه ولا تحريف له.

* ألا يذكروا رسول الله ﷺ بتكذيب ولا ازدراء.

* ألا يذكروا دين الإسلام بذم له ولا قدح فيه.

* ألا يصيبوا مسلمة بزنًى ولا باسم نكاح.

* ألا يفتنوا مسلمًا عن دينه، ولا يتعرضوا لماله ولا دينه.

* وأن لا يعينوا أهل الحرب ولا يودّوا أغنياءهم[١].

وأما وقت أدائها فقد حدد الخليفة عمر رضي الله عنه وقت أداء الجزية في آخر الحول ومرادنا به آخر العام الزراعي، ويرجع هذا التغيير في وقت أداء الجزية في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه إلى حالة الاستقرار، والاستقرار يدعو إلى التنظيم وتعيين الأوقات المناسبة للدولة والمكلفين بدفع الجزية، كما أن تحصيلها وقت إتيان الغلات - وهو ما يعبر عنه المؤرخون بآخر العام - فيه دفع للمشقة، وتسهيل على المكلفين وراحة للدافعين[٢].

١- الخراج:

الخراج له معنيان: عام وهو كل إيراد وصل إلى بيت مال المسلمين من غير الصدقات، فهو يدخل في المعنى العام للفيء ويدخل فيه إيراد الجزية وإيراد العشور وغير ذلك، وله معنى خاص: وهو إيراد الأراضي التي افتتحها المسلمون عنوة وأوقفها الإمام لمصالح المسلمين على الدوام كما فعل عمر بأرض السواد من العراق والشام[٣]، والخراج كما قال ابن رجب الحنبلي: لا يقاس بإجارة ولا ثمن، بل هو أصل ثابت بنفسه لا يقاس بغيره[٤].

عندما قويت شوكة الإسلام بالفتوحات العظيمة وبالذات بعد القضاء على القوتين العظيمتين الفرس والروم، تعددت موارد المال في الدولة الإسلامية وكثرت مصارفه،

---

(١) سياسة المال في الإسلام في عهد عمر ص٧٦ .

(٢) المصدر نفسه ص٦٧ .

(٣) الخراج لأبي يوسف ص٢٤، ٢٥، اقتصاديات الحرب ص٢١٥.

(٤) الاستخراج لأحكام الخراج ص٤٠، اقتصاديات الحرب ص٢١٥.

وللمحافظة على كيان هذه الدولة المترامية الأطراف وصون عزها وسلطانها، وضمان مصالح العامة، والخاصة كان لابد من سياسة مالية حكيمة ورشيدة، فكر لها عمر ﷺ، ألا وهي إيجاد مورد مالي ثابت ودائم للقيام بهذه المهام، وهذا المورد هو: الخراج فقد أراد الفاتحون أن تقسم عليهم الغنائم من أموال وأراضٍ وفقًا لما جاء في القرآن الكريم خاصًا بالغنائم: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنفال، آية: ٤١).

وقد أراد عمر ﷺ في بداية الأمر تقسيم الأرض بين الفاتحين، لكن عليّ بن أبي طالب ﷺ رأى عدم التقسيم، وشاركه الرأي معاذ بن جبل، وَحُذِّرَ عمر من ذلك[١]، وقد روى أبو عبيد قائلاً: قدم عمر الجابية فأراد قسم الأراضي بين المسلمين فقال معاذ: والله إذن ليكونن ما تكره، إنك إن قسمتها صار الريع العظيم في أيدي القوم ثم يبيدون فيصير ذلك إلى الرجل الواحد أو المرأة، ثم يأتي من بعدهم قوم يَسُدون من الإسلام مَسَدًّا، وهم لا يجدون شيئًا فانظر أمرًا يسع أولهم وآخرهم[٢]، لقد نبه معاذ بن جبل ﷺ أمير المؤمنين عمر ﷺ إلى أمر عظيم، جعل عمر يتتبع آيات القرآن الكريم، ويتأملها مفكرًا في معنى كل كلمة يقرؤها حتى توقف عند آيات تقسيم الفيء في سورة الحشر، فتبين له أنها تشير إلى الفيء للمسلمين في الوقت الحاضر، ولمن يأتي بعدهم، فعزم على تنفيذ رأي معاذ ﷺ، فانتشر خبر ذلك بين الناس ووقع خلاف بينه وبين بعض الصحابة رضوان الله عليهم، فكان عمر ومؤيدوه لا يرون تقسيم الأراضي التي فتحت، وكان بعض الصحابة ومنهم بلال بن رباح، والزبير بن العوام يرون تقسيمها، كما تقسم غنيمة العسكر، كما قسم النبي ﷺ خيبر، فأبى عمر ﷺ التقسيم وتلا عليهم الآيات الخمس من سورة الحشر من قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الحشر، آية: ٦) حتى فرغ من شأن بني

(١) سياسة المال في الإسلام ص١٠٣.
(٢) الأموال لأبي عبيد ص٧٥، سياسة المال ص١٠٣.

النضير ثم قال: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(الحشر، آية: ٧) فهذه عامة في القرى كلها، ثم قال: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحشر، آية: ٨) ثم لم يرض حتى خلط بهم غيرهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر، آية: ٩) فهذا في الأنصار خاصة ثم لم يرض حتى خلط بهم غيرهم، فقال: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر، آية: ١٠)، فكانت هذه عامة لمن جاء بعدهم، فما من أحد من المسلمين إلا له في هذا الفيء حق، قال عمر: فلئن بقيت ليبلغن الراعي بصنعاء نصيبه من هذا الفيء ودمه في وجهه[١]، وفي رواية أخرى جاء فيها. قال عمر: فكيف بمن يأتي من المسلمين فيجدون الأرض بعلوجها قد اقتسمت وورثت عن الآباء وحيزت، ما هذا برأي، فقال له عبد الرحمن بن عوف: فما الرأي؟ ما الأرض والعلوج إلا مما أفاء الله عليهم، فقال عمر: ما هو إلا كما تقول ولست أرى ذلك، والله لا يفتح بعدي بلد فيكون فيه كبير نيل بل عسى أن يكون كَلاًّ على المسلمين، فإذا قسمت أرض العراق بعلوجها، وأرض الشام بعلوجها، فما يسد به الثغور؟ وما يكون للذرية والأرامل لهذا البلد وبغيره من أراضي الشام والعراق؟ فأكثروا على عمر وقالوا: تقف ما أفاء الله علينا بأسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا، ولأبناء القوم وأبناء أبنائهم ولم يحضروا، فكان عمر رضي الله عنه لا يزيد على أن يقول: هذا رأيي، قالوا: فاستشر، فأرسل إلى عشرة من الأنصار من كبراء الأوس والخزرج وأشرافهم فخطبهم، وكان مما قال لهم: إني واحد كأحدكم، وأنتم اليوم تقرون

---

(١) الخراج لأبي يوسف ص٦٧، اقتصاديات الحرب ص٢١٧.

بالحق، خالفني من خالفني، ووافقني من وافقني، ولست أريد أن تتبعوا هذا الذي هواي، ثم قال: قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا أني أظلمهم حقوقهم، ولكن رأيت أنه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى، وقد غنمنا الله أموالهم وأرضهم وعلوجهم فقسمت ما غنموا من أموال بين أهله، وأخرجت الخمس فوجهته على وجهه، وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها واضعًا عليهم فيها الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فيئًا للمسلمين، المقاتلة والذرية، ولمن يأتي من بعدهم، أرأيتم هذه الثغور لابد لها من رجال يلزمونها أرأيتم هذه المدن العظام لابد لها من أن تشحن بالجيوش، وإدرار العطاء عليهم فمن أين يُعطى هؤلاء إذا قسمت الأرض والعلوج؟ فقالوا جميعًا: الرأي رأيك فنعم ما قلت ورأيت، إن لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال وتجري عليهم ما يَتَقَوَّوْن به رجع أهل الكفر إلى مدنهم[١]، وقد قال عمر فيما قاله: لو قسمتها بينهم لصارت دولة بين الأغنياء منكم، ولم يكن لمن جاء بعدهم من المسلمين شيء، وقد جعل الله لهم فيها الحق بقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ**﴾ ثم قال: فاستوعبت الآية الناس إلى يوم القيامة، وبعد ذلك استقر رأي عمر وكبار الصحابة ﷺ على عدم قسمة الأرض[٢].

وفي حواره مع الصحابة يظهر أسلوب الفاروق في الجدل، وكيف جمع فيه قوة الدليل، وروعة الصورة، واستمالة الخصم، في مقالته التي قال للأنصار، عند المناقشة في أمر أرض السواد، ولو أن رئيسًا ناشئًا في السياسة، متمرسًا بأساليب الخطب البرلمانية أراد أن يخطب النواب (لينال موافقتهم) على مشروع من المشروعات لم يجئ بأرقّ من هذا المدخل، أو أعجب من هذا الأسلوب. وامتاز عمر فوق ذلك بأنه كان صادقًا فيما يقول، ولم يكن فيه سياسيًّا مخادعًا وأنه جاء به في نمط من البيان يسمو على الأشباه والأمثال[٣].

---

(١) الخراج لأبي يوسف ص٦٧، اقتصاديات الحرب ص٢١٧.

(٢) سياسة المال في الإسلام في عهد عمر ص١٠٥.

(٣) أخبار عمر ص٢١٠.

هل كان الفاروق مخالفاً للنبي ﷺ في حكم أرض الخراج؟:

من قال: إن الفاروق خالف الرسول ﷺ بفعله في عدم تقسيم أرض الخراج؛ لأن النبي ﷺ قسم خيبر، وقال: إن الإمام إذا حبس الأرض المفتوحة عنوة نقض حكمه لأجل مخالفة السنة، فهذا القول خطأ وجرأة على الخلفاء الراشدين - إذا فعلوا هذا الفعل - فإن فعل النبي ﷺ في خيبر إنما يدل على جواز ما فعله ولا يدل على وجوبه، فلو لم يكن معنا دليل على عدم وجوب ذلك، لكان فعل الخلفاء الراشدين عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم دليلاً على عدم الوجوب، فكيف وقد ثبت أنه فتح مكة عنوة كما استفاضت به الأحاديث الصحيحة، بل تواتر ذلك عند أهل المغازي والسير؟ فإنه قدم حين نقضوا العهد ونزل بمر الظهران، ولم يأت أحد منهم يصالحه ولا أرسل إليهم أحدًا يصالحهم، بل خرج أبو سفيان يتجسس الأخبار فأخذه العباس وقدم به كالأسير، وغايته أن يكون العباس أمنه فصار مستأمنًا، ثم أسلم فصار من المسلمين، فكيف يتصور أن يعقد صلح الكفار - بعد إسلامه- بغير إذن منهم؟ مما يبين ذلك أن النبي ﷺ علق الأمان بأسباب، كقوله: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن)[1]، فأمن من لم يقاتله، فلو كانوا معاهدين لم يحتاجوا إلى ذلك، وأيضًا، فسماهم النبي ﷺ طلقاء؛ لأنه أطلقهم من الأسر كثمامة بن أثال وغيره، وأيضًا فإنه أذن في قتل جماعة منهم من الرجال والنساء، وأيضًا فقد ثبت عنه في الصحاح أنه قال في خطبته: إن مكة لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة[2].

ودخل مكة وعلى رأسه المغفر ولم يدخلها بإحرام، فلو كانوا صالحوه لم يكن قد أحل له شيء، كما لو صالح مدينة من مدائن الحل لم تكن قد أحلت فكيف يحل له البلد الحرام وأهله مسالمون لهم صلح معه؟! وأيضًا فقد قاتلوا خالدًا وقتل طائفةٌ من المسلمين طائفةً من الكفار، وفي الجملة، فإن من تدبر الآثار المنقولة علم

(١) مسلم رقم ١٧٨٠.

(٢) النسائي في الكبرى في الحج (٢/ ٣٨) الفتاوى (٢٠/ ٣١٣).

بالاضطرار أن مكة فتحت عنوة، ومع هذا فالنبي ﷺ لم يقسم أرضها كما لم يسترق رجالها، ففتح خيبر عنوة وقسمها، وفتح مكة عنوة ولم يقسمها، فعلم جواز الأمرين[1]، وبذلك لم يكن الفاروق مخالفًا للهدي النبوي في عدم تقسيمه للأراضي المفتوحة، وقد كان سنده - فيما فعل - أمورًا منها:

١- آية الفيء في سورة الحشر.

٢- عمل النبي ﷺ حينما فتح مكة عنوة فتركها لأهلها ولم يضع عليها خراجًا.

٣- قرار مجلس الشورى الذي عقده عمر لهذه المسألة بعد الحوار والمجادلة وقد أصبح سنة متبعة في أرض يظهر عليها المسلمون ويقرون أهلها عليها، وبهذا يظهر أن عمر حينما ميز بين الغنائم المنقولة وبين الأراضي كان متمسكًا بدلائل النصوص، وجمع بينها وأنزل كلاً منها منزلته التي يرشد إليها النظر الجامع السديد، يضاف إلى ذلك أن عمر كان يقصد أن تبقى لأهل البلاد ثرواتهم وأن يعصم الجند الإسلامي من فتن النزاع على الأرض والعقار، ومن فتن الدعة والانشغال بالثراء والحطام[2].

إن الفاروق ﷺ كان يلجأ إلى القرآن الكريم يلتمس منه الحلول ويطوف بين مختلف آياته، ويتعمق في فهم منطوقها ومفهومها، ويجمع بينها ويخصص بعضها ببعض حتى يصل إلى نتائج تحقق المصالح المرجوة منها، مستلهمًا روح الشريعة غير واقف مع ظواهر النصوص وقد أسعفه في قطع هذه المراحل إدراكه الدقيق لمقاصد الشريعة بتلكم النصوص، وهي عملية مركبة ومعقدة لا يحسن الخوض فيها إلا من تمرس على الاجتهاد وأعطي فهمًا سديدًا وجرأة على الإقدام حيث يحسن الإقدام، حتى خيل للبعض أن عمر كان يضرب بالنصوص عُرْضَ الحائط في بعض الأحيان، وحاشا أن يفعل عمر ﷺ ذلك لكنه كان مجتهدًا ممتازًا اكتسب حاسة تشريعية لا تضاهى حتى كان يرى الرأي فينزل القرآن على وفقه، والنتيجة التي نخرج بها من

(١) الفتاوى (٢٠/ ٣١٢، ٣١٣).

(٢) الاجتهاد في الفقه الإسلامي ص١٣١.

هذه القضية هي أن القرآن يفسر بعضه بعضًا، ومثله في السنة، فعلى المجتهد وهو يبحث عن الحكم الشرعي أن يستعرض جميع النصوص التي تساعد على الحل دون الاقتصار على بعضها، وإلا عد مقصِّرًا في اجتهاده، ويكون ما توصل إليه لاغيًا[١].

- كيف تمّ تنفيذ مشروع الخراج في عهد الفاروق؟

لما انتهى كبار الصحابة ورجال الحل والعقد إلى إقرار رأي الخليفة عمر رضي الله عنه بتحبيس الأرض على أهلها، وتقسيم الأموال المنقولة على الفاتحين انتدب شخصيتين كبيرتين هما: عثمان بن حُنيف، وحذيفة بن اليمان وذلك لمسح أرض سواد العراق، وحين بعثهما لهذه المهمة زوّدهما الخليفة بنصائحه وتوجيهاته الثاقبة، وأمرهما بأن يلاحظا ثروة الأفراد، وخصوبة الأرض وجدبها، ونوع النباتات والشجر، والرفق بالرعية، فلا تحمل الأرض ما يتحمله المكلفون، بل يترك لهم ما يجبرون به النوائب والحوائج، ولكي ينطلق قرار عمر رضي الله عنه على أساس عادل، رغب أن يعرف الحالة التي كان عليها أهل العراق قبل الفتح، وطلب من الصحابيين عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان أن يرسلا إليه وفدًا من كبار رجال السواد، فبعثا إليه وفدًا من دهاقنة السواد، فسألهم عمر رضي الله عنه: كم كنتم تؤدون إلى الأعاجم في أرضهم؟ قالوا: سبعة وعشرين درهمًا، فقال عمر رضي الله عنه: لا أرضى بهذا منكم[٢]، وهذا يدل على أن الفتح الإسلامي كان عدلاً على الناس الذين فتحت بلادهم، وكان عمر يرى أن فرض الخراج على مساحة الأرض أصلح لأهل الخراج، وأحسن ردًّا، وزيادة في الفيء من غير أن يحملهم ما لا يطيقون، فقام عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان بما وكل إليهما خير قيام فبلغت مساحة السواد (٣٦٠٠٠,٠٠٠) ستة وثلاثين ألف ألف[٣]، ووضعا على جريب العنب عشرة دراهم، وعلى جريب النخل ثمانية دراهم، وعلى جريب القصب ستة دراهم، وعلى جريب الحنطة أربعة دراهم وعلى

(١) المصدر نفسه ص١٣١، ١٣٢.
(٢) الخراج لأبي يوسف ص٤٠، ٤١.
(٣) الخراج لأبي يوسف ص٣٨.

جريب الشعير درهمين[١]، وكتبا إلى عمر بن الخطاب بذلك فأمضاه، وقد حرص عمر رضي الله عنه على العناية بأهل تلك الأرض والبلاد، وما يوفر العدل ويحققه خوفًا أن يكون عثمان وحذيفة رضي الله عنهما حملا الناس والأرض ما لا يطيقون أداءه من خراج فسألهما: كيف وضعتما على الأرض لعلكما كلفتما أهل عملكما ما لا يطيقون؟ فقال حذيفة: لقد تركت فضلاً، وقال عثمان: لقد تركت الضعف، ولو شئت لأخذته فقال عمر رضي الله عنه عند ذلك: أما والله لئن بقيت لأرامل أهل العراق لأدعنهم لا يفتقرون إلى أمير بعدي[٢].

وهذه الطريقة التي نفذت في سواد العراق هي ذاتها التي نفذت في الأراضي المصرية، لكن الذي تولاها هو عمرو بن العاص وكانت وحدة المساحة التي ربط على أساسها الخراج الفدان[٣]، وكذلك فعل عمر رضي الله عنه بأرض الشام كما فعل بأرض السواد، ولم يذكر المؤرخون معلومات صريحة واضحة عن المساحة ونوع الزروع والثمار التي فرض عليها الخراج، ولا من قام بعملية مسح أراضي الشام[٤]، وكان الخليفة عمر رضي الله عنه بهذا الصدد قد عمل إحصاءً دقيقًا لثروة الولاية قبل الولاية عليها، ثم إلزام الولاة عند اعتزالهم أعمالهم بمصادرة بعض الأموال التي جمعوها لأنفسهم في أثناء ولايتهم، إذا تبين له أن أعطياتهم لا تسمح لهم بادخار هذه الأموال كلها[٥] وسيأتي تفصيل ذلك بإذن الله عند حديثنا عن الولاة . وقد كثرت الممتلكات الخاصة للدولة التي اصطفاها عمر رضي الله عنه لبيت المال في العراق والشام ومصر، فكانت هذه الأملاك تدرّ دخلاً عظيمًا ووفيرًا على خزانة الدولة، خاصة في مصر لاتساع الأراضي الزراعية التي يملكها التاج في العصور القديمة[٦].

- ما القيم والمصالح الأمنية في عدم تقسيم أراضي الخراج؟

هناك جملة من المصالح الأمنية التي استند إليها الخليفة -والذين وافقوه على

(١) الخراج لأبي يوسف ٣٩، سياسة المال في الإسلام ص١٠٨.
(٢) الخراج لأبي يوسف ص٤٠، سياسة المال في الإسلام ص١٠٨.
(٣) الدولة العباسية للخضري ص١٤٤، سياسة المال ص١٠٩.
(٤) سياسة المال في الإسلام ص١١١ . (٥) المصدر نفسه ص١١٤ . (٦) المصدر نفسه ص١١٨.

رأيه- في اتخاذ هذا القرار يمكنني تصنيفها إلى صنفين: أولهما: المصالح الداخلية وأهمها سد الطريق على الخلاف والقتال بين المسلمين، وضمان توافر مصادر ثابتة لمعايش البلاد والعباد، وتوفير الحاجات المادية اللازمة للأجيال اللاحقة من المسلمين، وثانيهما: المصالح الخارجية والتي يتمثل أهمها في توفير ما يسد ثغور المسلمين، ويسدّ حاجتها من الرجال والمؤن، والقدرة على تجهيز الجيوش، بما يستلزمه ذلك من كفالة الرواتب وإدرار العطاء وتمويل الإنفاق على العتاد والسلاح وترك بعض الأطراف لتتولى مهام الدفاع عن حدود الدولة وأراضيها اعتماداً على ما لديها من خراج، والذي يجب ملاحظته في هذه المصالح أن الخليفة أراد أن يضع بقراره دعائم ثابتة لأمن المجتمع السياسي ليس في عصره فقط، بل وفيما يليه من عصور بعده وعباراته من مثل (فكيف بمن يأتي من المسلمين)، و(كرهت أن يترك المسلمون) التي توحي بنظرته المستقبلية لهذا الأمن الشامل تشهد على ذلك، وقد أثبت تطور الأحداث السياسية في عصر الخليفة الثاني صواب وصدق ما قرره.

- إن تعدد أطوار اتخاذ القرار بعدم تقسيم الأراضي قد أكد أمرين: أولهما: أن بعض القرارات المهمة التي تمس المصالح الجوهرية للمسلمين قد تأخذ من الجهد والوقت الكثير، كما أنها قد تتطلب قدرًا من الأناة في تبادل الحجج والبراهين، دون أن يتيح ذلك مجالاً للخلاف وتعميق هوة الانقسام أحيانًا أو يفوت بابًا من أبواب تحقيق بعض المصالح الخاصة بأمن الأمة في حاضرها ومستقبلها، والأمر الثاني: أن بعض القرارات المهمة التي قد تخرج بعد عسر النقاش والحوار، والبداية المتعثرة لها، يفرض على الحاكم الشرعي أن يكون أول المسلمين وآخرهم جهدًا في السعي إلى تضييق هوة الخلاف، والتقريب بين وجهات النظر المتعارضة لكي يصل بالمسلمين إلى الحكم الشرعي فيما هو متنازع بشأنه[١].

- إن تبادل الرأي والاجتهاد بين الخليفة والصحابة الذين لم يوافقوه على رأيه واستناد الكل في ذلك إلى النصوص المنزلة في الاجتهاد يثبت أن الفيصل في إبداء

(١) الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن في الإسلام، مصطفى منجود ص٣١٧، ٣١٨.

الآراء في القرارات السياسية عامة والتي تمس مصالح المسلمين بصفة مباشرة خاصة، هو أن تجيء هذه الآراء مستندة إلى النصوص المنزلة، أو ما ينبغي أن يتفرع عنها من مصادر أخرى لا تخرج عن أحكامها في محتواها ومبرراتها.

- إن لجوء الخليفة إلى استشارة أهل السابقة من كبار الصحابة العلماء في فقه الأحكام ومصادر الشرع، واستجابتهم بإخلاص النصح له، يؤكد أن أهل الشورى لهم مواصفات خاصة تميزهم، فالذين يستشارون هم أهل الفقه والفهم والورع والدراية، الواعون لدورهم، إنهم بعبارة أدق الذين لا إمعية في آرائهم، ومن دأبهم توطين أنفسهم على قول الحق وفعله، غير خائفين في ذلك لومة لائم من حاكم أو غيره.

- ثم يبقى القول: إن ما حدث بصدور قرار عدم تقسيم الأراضي، يظل نموذجًا عاليًا سار عليه الصحابة في كيفية التعامل وفق آداب الحوار وأخلاقيات مناقشة القضايا، وتقليب أوجهها المختلفة ابتداء بمرحلة التفكير في اتخاذ القرار بعدم تقسيم الأراضي -بصفة مباشرة، أو غير مباشرة- وعلى رأسهم الخليفة الذي لم يخرج عن هذه الآداب رغم اختلاف اجتهاداتهم بشأنه[1]، بل إن الفاروق ﷺ بين أن الحاكم مجرد فرد في هيئة الشورى، وأعلن الثقة في مجلس شورى الأمة، خالفته أو وافقته، والرد إلى كتاب الله، فقد قال ﷺ: إني واحد منكم، كأحدكم، وأنتم اليوم تقرون بالحق، خالفني من خالفني، ووافقني من وافقني، ومعكم من الله كتابٌ ينطق بالحق[2].

- أهم الآثار الدعوية في هذا القرار:

من أهم هذه الآثار: القضاء نهائيًا على نظام الإقطاع، فقد ألغى عمر ﷺ كل الأوضاع الإقطاعية الظالمة التي احتكرت كل الأرض لصالحها واستعبدت الفلاحين لزراعتها مجانًا، فقد ترك عمر ﷺ أرض السواد في أيدي فلاحيها يزرعونها مقابل خراج عادل يطيقونه يدفعونه كل عام، وقد اغتبط الفلاحون بقرار عمر بن الخطاب

(١) الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن في الإسلام، مصطفى منجود ص٣١٧، ٣١٨.
(٢) الدور السياسي للصفوة ص١٨٥.

رضي الله عنه بتمليكهم الأرض الزراعية يزرعونها مقابل دفع الخراج الذي يستطيعونه، مما جعلهم يشعرون لأول مرة في حياتهم أنهم أصحاب الأرض الزراعية لا ملكًا للإقطاعيين من الطبقة الحاكمة، وكان الفلاحون مجرد أجراء يزرعونها بدون مقابل، وكان تعبهم وكدهم يذهب إلى جيوب الطبقة الإقطاعية، طبقة ملاك الأرض ولا يتركون لهم إلا الفتات[1].

- قطع الطريق على دعوة جيوش الروم والفرس بعد طردهم:

لقد أدت سياسة عمر رضي الله عنه في تمليك الأرض لفلاحي الأمصار المفتوحة عنوة إلى شعورهم بالرضا التام كما تقدم، وهذا مما جعلهم يبغضون حكامهم من الفرس والروم ولا يقدمون لهم أية مساعدات، بل كانوا على العكس من ذلك يقدمون المساعدات للمسلمين ضدهم، حتى إن رستم القائد الفارسي دعا أهل الحيرة فقال: يا أعداء الله فرحتم بدخول العرب علينا بلادنا وكنتم عيونًا لهم علينا وقويتموهم بالأموال!![2]

- مسارعة أهل الأمصار المفتوحة إلى الدخول في الإسلام:

فقد ترتب على ما تقدم من تمليك الأرض للفلاحين أن سارعوا إلى الدخول في الإسلام، الذي انتشر بينهم بسرعة مدهشة لم يسبق لها مثيل، فقد لمسوا العدل وتبين لهم الحق، وأحسوا بكرامتهم الإنسانية من معاملة المسلمين لهم[3].

- تدبير الأموال لحماية الثغور:

فقد امتدت الدولة الإسلامية صوب جهاتها الأربع وانتقلت أسماء الثغور إلى ما وراء حدود الدولة في عصورها الأولى، ومن أهم هذه الثغور ما كان يعرف بالثغور الفراتية، والتي كانت تمتد على طول خط استراتيجي يفصل ما بين الدولة الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية وغيرها من الثغور، وقد اتخذ عمر في كل مصر على قدره خيولاً، وقد وصلت قوات الفرسان المرابطين في الأمصار إلى أكثر من ثلاثين ألف

---

(١) الدعوة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب حسني غيطاس ص١٣٠.

(٢) الدعوة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين عمر ص١٣١ .

(٣) المصدر نفسه ص١٣٢ .

فارس، وهذا بخلاف قوات المشاة وأي قوات أخرى كالجمالة وخلافه، وهذه خصصها عمر كجيش منظم لحماية ثغور المسلمين وكفل أرزاقهم وصرفهم عن الاشتغال بأي شيء إلا بالجهاد في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، فكان الخراج من الأسباب التي ساقها المولى -عز وجل- لتجهيز هذه القوات وكفالة أرزاق أجنادها(١).

إن الفاروق ﵁ وضع قواعد نظام الخراج باعتباره موردًا من الموارد المالية المهمة لخزينة الدولة، وكان يهدف من ورائه إلى أن يكون بيت المال قائمًا بما يجب عليه من تحقيق المصالح العامة للأمة وحفظ ثغورها وتأمين طرقها، ولا يتأتى ذلك إلا بإبقاء أصحاب الأرض التي تملكها المسلمون عنوة لقاء نسبة معينة مما تنتجه الأرض، وهذا أمرٌ من شأنه أن يزيدهم حماسًا في العمل ورغبة في الاستغلال والاستثمار ومقارنة ذلك بما كانوا يرهقون به من الضرائب من طرف أولياء أمورهم قبل وصول المسلمين(٢).

٤- العشور:

هي الأموال التي يتم تحصيلها على التجارة التي تمر عبر حدود الدولة الإسلامية سواء داخلة أو خارجة من أراضي الدولة، وهي أشبه ما تكون بالرسوم الجمركية في العصر الحاضر، ويقوم بتحصيلها موظف يقال له (العاشر) أي الذي يأخذ العشور(٣)، ولم يكن لهذه الضريبة وجود في عهد النبي ﷺ، وخليفته الأول أبي بكر الصديق ﵁؛ لأن تلك الفترة كانت فترة دعوة إلى الإسلام، والجهاد في سبيل نشره، وبناء الدولة الإسلامية، فلما اتسعت الدولة في عهد الخليفة عمر ﵁، وامتدت حدودها شرقًا وغربًا وصار التبادل التجاري مع الدول المجاورة ضرورة تمليها المصلحة العامة، رأى الخليفة عمر ﵁ أن يفرض تلك الضريبة على الواردين إلى دار الإسلام، كما كان أهل الحرب يأخذونها من تجار المسلمين القادمين إلى بلادهم، معاملة بالمثل، وقد أجمع المؤرخون(٤) أن أول من وضع العشر في الإسلام عمر بن الخطاب ﵁ وذلك عندما كتب إليه أهل منبج ومن وراء بحر عدن يعرضون عليه أن

---

(١) المصدر السابق نفسه ص١٣٥.

(٢) أهل الذمة في الحضارة الإسلامية ص٦٣.

(٣) الخراج لأبي يوسف ص٢٧١، اقتصاديات الحرب ص٢٢٣.

(٤) سياسة المال في الإسلام ص١٢٨.

يدخلوا بتجارتهم أرض العرب وله منها العشر فشاور عمر في ذلك أصحاب النبي ﷺ فأجمعوا على ذلك، فهو أول من أخذ منهم العشور، ولكن عمر أراد أن يتأكد من مقدار ما تأخذه الدول الأخرى من تجار المسلمين إذا اجتازوا حدودهم، فسأل المسلمين: كيف يصنع بكم الحبشة إذا دخلتم أرضهم؟ قالوا: يأخذون عشر ما معنا، قال: فخذوا منهم مثل ما يأخذون منكم[١]، وسأل أيضًا عثمان بن حنيف: كم يأخذ منكم أهل الحرب إذا أتيتم دارهم؟ قال: العشر، قال عمر: فكذلك فخذوا منهم[٢]، وروي أن أبا موسى الأشعري كتب إلى الخليفة عمر رضي الله عنه: إن تجارًا من قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر، فكتب إليه الخليفة عمر رضي الله عنه: خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين، وخذ من أهل الذمة نصف العشر، ومن المسلمين من كل أربعين درهمًا درهمًا، وليس فيما دون المائتين شيء، فإذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم، وما زاد فبحسابه[٣]، وقد ساهم هذا التشريع الجديد في تنظيم العلاقات التجارية بين الدول، وقد حققت التجارة الإسلامية مكاسب كبيرة في عالم التجارة، حيث فتحت أبواب الدولة الإسلامية للتجارة، وجلبت البضائع والسلع إلى الدولة الإسلامية من كل أنحاء العالم، وهذا بطبيعة الحال شجع التاجر المسلم والأجنبي على زيادة نشاطهم في التصدير والاستيراد من كافة أنحاء العالم، وبذلك نشطت المراكز التجارية داخل بلاد الدولة الإسلامية بما فيها الجزيرة، وزادت حركة القوافل التجارية القادمة والذاهبة من أقاليم الجزيرة إلى الأقاليم الإسلامية الأخرى، كما استقبلت موانئ بلاد الإسلام السفن الكبيرة التي تصل إليها من الهند والصين وشرقي إفريقية محملة بأغلى وأنفس البضائع وظهر ذلك جليًّا في العصر الراشدي والدولة الأموية[٤]، وقد كان في عهد عمر عشارون يأخذون زكاة ما يمر بهم من أموال التجار ويعتبرون النصاب والحول، قال أنس بن مالك: بعثني عمر بن الخطاب على جباية العراق، وقال: إذا بلغ مال المسلم مائتي

(١، ٢) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص٦٥١ .

(٣) الخراج لأبي يوسف ص١٤٥، ١٤٦ سياسة المال ص١٢٨ .

(٤) التجارة وطرقها في الجزيرة العربية د. محمد العمادي ص٣٣٢ .

درهم فخذ منها خمسة دراهم، وما زاد على المائتين، ففي كل أربعين درهمًا، درهم[١] وذكر الشيباني أنّ عمر بن الخطاب بعث زياد بن جرير، وقيل: زياد ابن حدير مصدّقًا إلى عين التمر، وأمره بأن يأخذ من أموالهم ربع العشر، ومن أهل الذمة إذا اختلفوا بها للتجارة نصف العشر، ومن أموال أهل الحرب العشر، وجعل عمر بن الخطاب نفقة العاشر أي المصدّق من المال الذي يأخذه[٢].

إن من يفكر في ذلك التحديد الذي رسمه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد يصل إلى أنه فرض العشر على الحربيين لمعاملتهم المسلمين كذلك، فهذا مبدأ المعاملة بالمثل، وأنه فرض نصف العشر على أهل الذمة تميزًا لهم عن المسلمين، وتطبيقًا لما سبق أن فرضه على نصارى بني تغلب، الذين قبلوا أن تؤخذ منهم الجزية ضعف ما يؤخذ من المسلمين من الصدقة، وأن ما قرره على المسلمين هو بمثابة زكاة، ومعروف نصاب الزكاة لعروض التجارة، وهو الذي جعله حدًّا أدنى لأخذها ومنع من تكرار أخذها من المسلمين وأهل الذمة، ما دام رأس المال ثابتًا والبضاعة الواردة لم تزد قيمتها عنه، ولو تكرر مرات دخولها، إلا بعد الحول، وتمشيًا لمبدأ المعاملة بالمثل، فإنه حينما يرفع أهل الحرب ما يأخذونه من المسلمين من ضريبة، فيحق للمسلمين رفع الضريبة على ما يرد منهم إلى دار الإسلام بنفس النسبة، وكذلك الحال عند إسقاطهم لها، فعلى المسلمين إسقاطها عنهم. وهذا ما تسير عليه الدول حديثًا، ويسمى برفع الحواجز الجمركية[٣]، وعندما يكون المسلمون في حاجة إلى بعض البضائع والمنتجات الواردة إليهم فإنهم يخفضون أو يعفون التجار من ضريبتها تشجيعًا لتوريدها، والإكثار منها، وقد فعل الخليفة عمر رضي الله عنه ذلك، حين أمر عماله أن يأخذوا نصف العشر من الحربيين حين دخولهم الحجاز بالزيت والحبوب، كما أمر بإعفائهم أحيانًا أخرى، فعن الزهري عن سالم عن أبيه عن عمر رضي الله عنه، أنه كان يأخذ من النَّبَط من القطنية العشر، ومن الحنطة والزبيب نصف العشر؛ ليكثر الحمل

---

(١) الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى ص١٠١ .

(٢) شرح السير الكبير (٥/ ٢١٣٣، ٢١٣٤) الحياة الاقتصادية ص١٠١ .

(٣) سياسة المال في الإسلام ص١٣٢ .

إلى المدينة[١]، وقد كان لهذه التنظيمات المالية التي وجدت أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، النفع الكبير في سهولة التبادل التجاري بين المسلمين وجيرانهم، وورود أصناف متعددة من متطلبات الناس واحتياجاتهم فهو لم يقتصر اهتمامه على تنظيم المواد الآتية إلى بيت المال، بل نظم الطرق التي بواسطتها وبسببها يزداد دخل بيت المال، وتنعم البلاد بالرخاء ورغد العيش، ومن ذلك اهتمامه بالتجارة الخارجية، وحسن معاملته لأهلها، وتتبعه العمال والأمراء، والكتابة إليهم بذلك وحرصه على استيفاء حقوق الدولة من غير تعسف في جبايتها[٢].

٥- الفيء والغنائم:

أما الفيء، فهو كل مال وصل المسلمين من المشركين من غير قتال، ولا بإيجاف خيل ولا ركاب، ويوزع خمس الفيء على أهل الخمس[٣] الذين بينهم الله سبحانه في كتابه الكريم: **﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾** (الحشر، آية: ٧).

وأما الغنائم: فهي ما غلب عليه المسلمون من مال أهل الحرب حتى يأخذوه عنوة[٤]، قال تعالى: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** (الأنفال، آية: ٤١).

ففي خلافة عمر رضي الله عنه زادت الغنائم زيادة كبيرة لاتساع المناطق المفتوحة ولما كانت تتمتع به من ازدهار اقتصادي كبير، وكان القادة الفرس والروم يخرجون إلى الميدان بكامل أبهتهم، فيقع سلبهم للمسلم، وأحيانًا يبلغ ١٥,٠٠٠ درهم، و٣٠,٠٠٠ درهم[٥]، وقد فتحت المدن العظيمة كالمدائن وجلولاء وهمذان والري

(١، ٢) سياسة المال في الإسلام ص١٣٣ .

(٣) تاريخ الدعوة الإسلامية د. جميل عبد الله المصري ص٣٢٢ .

(٤) الخراج لأبي يوسف ص١٩ نقلاً عن عصر الخلافة الراشدة ص١٨٣ .

(٥) عصر الخلافة الراشدة ص١٨٨ .

واصطخر وغيرها، فحاز المسلمون أموالاً عظيمة، مثل بساط كسرى، وهو ٣٦٠٠ ذراع مربعة، أرضه مفروشة بالذهب وموشى بالفصوص وفيه رسوم ثمار بالجواهر، وورقها بالحرير، وفيه رسوم للماء الجاري بالذهب، وقد بيعت بعشرين ألف درهم (٢٠,٠٠٠ درهم) وحاز المسلمون الذهب والفضة والمجوهرات العظيمة من غنائم جلولاء ونهاوند، حيث بلغ خمس جلولاء ستة ملايين درهم[١]، وأعظم الغنائم هي أرض السواد التي وقفها عمر ﷺ للدولة، وأراضي الصوافي التي قتل أصحابها أو فروا عنها، وأملاك كسرى وأهله، حيث جعلت غلتها للدولة، فكانت بإدارتها لصالح بيت المال، ويقال: إن غلتها - فيما بعد - بلغت سبعة ملايين درهم، فقد كانت الغنائم عظيمة القدر، وإنها أغنت المسلمين أفرادًا ودولة وارتفعت بمستوى المعيشة وظهرت آثارها أكثر جلاء في خلافة عثمان ﷺ[٢].

هذه هي أهم مصادر الدولة في عهد الفاروق ﷺ.

ثانياً: بيت مال المسلمين وتدوين الدواوين:

بيت المال: هو المكان الذي ترد إليه جميع موارد الدولة، وهو كذلك المكان الذي تصرف منه جميع مصروفاتها من أعطيات الخلفاء والجيش والقضاة والعمال والمرافق العامة والخاصة للدولة وهكذا[٣]، وأما الدواوين: فهي السجلات والدفاتر التي تسجل فيها أمور الدولة وقد أطلقت كلمة ديوان على المكان الذي يجتمع فيه الكتاب والموظفون العاملون بتلك السجلات عند الفرس[٤]، وفي بداية الدولة الإسلامية لم يكن هناك بيت مال بالمعنى الذي عرف به فيما بعد، فقد كانت سياسة الرسول ﷺ تقوم على ألا يؤخر تقسيم الأموال أو إنفاقها، وقد سار أبو بكر على نهج النبي ﷺ، ونهج الفاروق طريق صاحبيه في أول خلافته، حتى اتسع سلطان الدولة شرقًا وغربًا، فبدأ بالتفكير في طريقة يدبر فيها ما تجمع لدى الخليفة من أموال الفتوحات وغنائمها، وإيرادات الجزية والخراج والصدقات، فكثرت الجيوش

(١، ٢) عصر الخلافة الراشدة ص١٨٩ . (٣) سياسة المال في الإسلام ص١٥٥ .
(٤) مقدمة ابن خلدون ٢٤٣ ، سياسة المال في الإسلام ص١٥٥ .

واحتاجت إلى ضبط احتياجاتها وأسماء رجالها خوفًا من ترك أحدهم دون عطاء، أو تكرار العطاء للآخرين وتوالت حملات الفتح وانتصاراتها، فكثرت الأموال بشكل لم يكن معروفًا لدى المسلمين من قبل، فرأى أمير المؤمنين عمر ألا طاقة للخليفة وأمرائه بضبطها، وأنه ليس من الحكمة الاقتصادية أن يترك زمام الأمور المالية بيد العمال والولاة دون أن يضبطها عدًّا أو يحصيها حسابًا، فكان نتيجة ذلك التفكير مليًّا في وضع قواعد ثابتة لهذه الأموال، ومن هنا نشأ الديوان، وكان عمر رضي الله عنه هو أول من وضع الديوان في الدولة الإسلامية[1] وقصة ذلك كما تناقلها المؤرخون: أن أبا هريرة قال: قدمت من البحرين بخمسمائة ألف درهم فأتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسألني عن الناس، فأخبرته، ثم قال لي: ماذا جئت به؟ قال: قلت: جئت بخمسمائة ألف، قال: ويحك. هل تدري ما تقول؟ قلت: نعم، مائة ألف، ومائة ألف، ومائة ألف، ومائة ألف، ومائة ألف. قال: إنك ناعس، ارجع إلى أهلك فنم، فإذا أصبحت فائتني، فلما أصبحت أتيته، فقال: ماذا جئت به؟ قلت: جئت بخمسمائة ألف، قال: ويحك! هل تدري ما تقول؟! قلت: نعم، مائة ألف، حتى عدها خمس مرات، يعدها بأصابعه الخمس قال: أطيب؟ قلت: لا أعلم إلا ذلك. قال: فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنه قد جاءنا مال كثير، فإن شئتم أن نكيلكم كيلاً، وإن شئتم أن نعدكم عدًّا فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إني قد رأيت هؤلاء الأعاجم يدونون ديوانًا لهم[2]، فاشتهى عمر ذلك[3]، وقد استشار عمر المسلمين في تدوين الدواوين، فأشار بعضهم بما يراه إلا أن الوليد ابن هشام بن المغيرة، قال: جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانًا وجندوا جندًا، فَدَوِّنْ ديوانًا وَجَنِّدْ جندًا، وفي بعض الروايات أن الذي قال ذلك هو خالد بن الوليد[4]، وذكر بعض المؤرخين أنه كان بالمدينة بعض مرازبة الفرس، فلما رأى حيرة

---

(١) سياسة المال في الإسلام ص١٥٧ .

(٢) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٠٠، ٣٠١) خبر صحيح.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص٢٤٤ ، والخراج لأبي يوسف ص٤٨، ٤٩ .

(٤) الأحكام السلطانية ص٢٢٦، ٢٢٧ ، وفتوح البلدان ص٤٣٦ .

عمر قال له: يا أمير المؤمنين: إن للأكاسرة شيئًا يسمونه ديوانًا جميع دخلهم وخرجهم مضبوطة فيه لا يشذ منه شيء، وأهل العطاء مرتبون فيه مراتب لا يتطرق عليها خلل، فتنبه عمر وقال: صفه لي، فوصفه المرزبان فدون الدواوين وفرض العطاء[1]، وقد حبذ عثمان التدوين فأشار برأيه: أرى مالاً كثيرًا يسع الناس وإن لم يحصوا حتى يُعرف من أخذ ممن لم يأخذ، خشية أن ينتشر الأمر[2]. هذه بعض الروايات التي حدثت بناء على استشارة عمر ﷺ في مرات متعددة لمن يحضرون عنده، وهناك اختلاف بين المؤرخين في السنة التي تم فيها التدوين، فمن قائل: إن ذلك في السنة الخامسة عشرة للهجرة كالطبري وعنه أخذ ابن الأثير وغيرهم، وقال آخرون: إن ذلك كان في شهر محرم من سنة عشرين هجرية كالبلاذري، والواقدي، والماوردي وابن خلدون[3] وغيرهم، والأرجح أن يكون تمّ في سنة عشرين هجرية؛ لأنه في سنة خمس عشرة كانت القادسية، ولم يستكمل فتح العراق والشام ومصر إلا بعدها[4] وقد سار عمر في تقسيم الأموال على خلاف ما سار عليه أبو بكر حيث كان الصديق يقسم الأموال بين الناس بالسوية، في حين قسم عمر أعطياتهم على حسب السابقة في الإسلام والفضل في الجهاد ونصرة رسول الله ﷺ[5]، وقد كان رأي الفاروق هذا من زمن الصديق وقال لأبي بكر لما رآه سوّى بين الناس قال له: أتسوي بين من هاجر الهجرتين وصلى إلى القبلتين، وبين من أسلم عام الفتح خوف السيف؟ فقال له أبو بكر: إنما عملوا لله وإنما أجورهم على الله، وإنما الدنيا دار بلاغ للراكب، فقال له عمر: لا أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه[6]، ولذلك قسم الفاروق الناس في العطاء إلى:

- ذوي السوابق الذين بسابقتهم حصل المال.

---

(١) الأحكام السلطانية ص٢٢٦ ، تاريخ الإسلام السياسي (١/٤٥٦).
(٢) الأحكام السلطانية ص٢٢٦ ، سياسة المال ص١٥٨ .
(٣) مقدمة ابن خلدون ص٢٤٤ ، سياسة المال ص١٥٩ .
(٤، ٥) سياسة المال في الإسلام ص١٥٩ .
(٦) الأحكام السلطانية للماوردي ص٢٠١ .

- من يغني المسلمين في جلب المنافع لهم كولاة الأمـور والعلماء الذين يجلبون لهم منافع الدين والدنيا.

- من يبلي بلاء حسنًا في دفع الضرر عنهم كالمجاهدين في سبيل الله من الجنود والعيون والناصحين نحوهم.

- ذوي الحاجات[(١)].

هذه سياسته في التقسيم تضمنها قوله: ليس أحد أحق بهذا المال من أحد إنما هو الرجل وسابـقته والرجل وغنـاؤه، والرجل وبلاؤه، والرجل وحاجـته[(٢)]، وقد دعا الفاروق ﷺ عقيل بن أبي طالب ومخرمـة بن نوفل، وجبير بن مطعم، وكانوا من شبـان قريش وقـال: اكتبـوا للناس على منازلهم، فبـدءوا ببني هاشم فكتـبوهم ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه، ثـم عمر وقومه، وكتبوا القبـائل ووضعوها على الخلافة ثم رفعوه إلى عمر، فلما نظر فيه قال: لا، ما وددت أنه كان هكذا، ولكن ابدءوا بقرابة النبي ﷺ الأقرب فـالأقرب، حتى تضـعوا عمر حـيث وضعه الله، فـجاءت بنو عدي إلى الخليفـة عمر ﷺ وقالوا: إنك خليفة رسـول الله ﷺ وخليفة أبي بكر ﷺ وأبو بكر خليفة رسول الله ﷺ فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم الذين كتبوا فقال: بخ بخ يا بني عدي، أردتم الأكل على ظهري، وأن أهب حسناتي لكم لا، ولكنكم حتى تأتيكم الـدعوة وأن ينطبق عليكم الدفتر - يعني ولو تـكتبون آخر الناس - إن لي صاحبين سلكا طريقًا فإن خـالفتهما خولف بي، ولكنه والله ما أدركنا الفـضل في الدنيا ولا نرجـو الثواب عنـد الله تعالى على عـملنا إلا بمحـمد ﷺ، فهـو شرفنا وقومه أشـراف العرب ثم الأقرب فالأقـرب، ووالله لئن جاءت الأعاجم بعمـل وجئنا بغير عمل لَهُـمْ أولى بمحمد ﷺ منا يوم القيـامة؛ فإن من قصـر به عمله لـم يسرع به نسـبه[(٣)]، وبدأ عمـر ﷺ تسجـيله بديوان سجل فـيه أصحـاب الأعطيات ومقـدار أعطياتهم، وسـمَّى ديوان الجند على أساس أن جـميع

---

(١) السياسة الشرعية لابن تيمية ص٤٨ ، وأولويات الفاروق ص٣٥٨ .

(٢) جامع الأصول (٢/ ٧١) ، وأخبار عمر ص٩٤ .

(٣) فتوح البلدان ص٤٣٦ ، والأحكام السلطانية ص٢٢٧ .

العرب المسلمين جنود للجهاد في سبيل الله، فبدأ سجله للجيش ببني هاشم الأقرب فالأقرب من رسول الله ﷺ ثم بمن بعدهم طبقة بعد طبقة، وجعل لكل واحد من المسلمين مبلغًا محددًا، وفرض لزوجات النبي ﷺ وسراريه، وسائر المسلمين من الرجال والنساء والأطفال منذ الولادة والعبيد بمقادير مختلفة[١]، وبإخراج هذا الديوان أظهر عمر اهتمامه بأمر الجهاد في سبيل الله، واعتنى بأمر المجاهدين حفظًا لحقوقهم، وعمل سجل الجند باللغة العربية بالمدينة المنورة على يد نفر من نوابغ قريش وعلماء الأنساب منهم، ثم أمر بعمل الدواوين في أقاليم الدولة الإسلامية، فدونت بلغة البلاد المفتوحة، ولم يتم تعريبها إلا في خلافة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد، وبعد تدوين الدواوين صار عمر يجمع المال مدة سنة ثم يقسمه بين الناس؛ لأنه يرى أن جمعه أعظم للبركة، فكان جمع المال يستلزم أن يكون له أمناء، فكان زيد بن أرقم على بيت المال في عهد عمر[٢]، وروى أبو عبيد بسنده عن عبد القاري من قبيلة القارة قال: كنت على بيت المال زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٣].

ثالثًا- مصارف الدولة في عهد عمر:

تنقسم مصارف بيت المال إلى ثلاثة أقسام هي: مصارف الزكاة وما يتصل بها، ومصارف الجزية والخراج والعشور وما يتصل بها، ومصارف الغنائم وما يتصل بها، وقد بين القرآن الكريم، والسنة النبوية، وعمل الصحابة رضي الله عنهم مصارف هذه الأبواب[٤].

١- مصارف الزكاة:

ذكر المولى -عز وجل- ثمانية أصناف ممن تجب لهم الزكاة قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ (التوبة، آية: ٦٠).

وقد كان الفقراء والمساكين في عهد عمر رضي الله عنه يعطون من هذه الأموال ما يبعدهم

---

(١) سياسة المال في الإسلام ص١٦٠ .

(٢) صبح الأعشى في قوانين الإنشاء للقلقشندي (١/ ٨٩).

(٣) فقه الزكاة (١/ ٣١٨) هذا المصدر والذي فوقه من سياسة المال ص١٦٠ .

(٤) سياسة المال في الإسلام ص١٦٩ .

عن المسكنة والفقر، ويخرجهم من الفاقة والعوز، ويقربهم إلى أدنى مراتب الغنى واليسار[١]، وقد كان عمر رضي الله عنه يقول: إذا أعطيتم فأغنوا[٢]، وهذه هي السياسة العمرية الراشدة وهي إعطاء ما يكفي وزيادة النسبة للعجز المؤقت، أما العجز المزمن من مرضى ونحوه، فإن الزكاة بالنسبة لهذا الصنف من الناس معونة دائمة منتظمة، حتى يزول الفقر بالغنى، ويزول العجز بالقدرة، والبطالة بالكسب، وتتعدى هذه السياسة العمرية المسلمين فتشمل مساكين أهل الكتاب بعد إسقاط الجزية عنهم[٣]، كما أن من نفقات الزكاة العاملين عليها فهم لهم وظائف شتى، وأعمال متشعبة، كلها تتصل بتنظيم الزكاة، وبإحصاء من تجب عليه، وفيم تجب؟ ومقدار ما يجب، ومعرفة من تجب له؟ وكم عددهم؟ ومبلغ حاجتهم، وقدر كفايتهم، إلى غير ذلك من الشئون التي تحتاج إلى جهاز كامل من الخبراء وأهل الاختصاص ومن يعاونهم[٤]، وأما المؤلفة قلوبهم، فقد أسقط عمر سهمهم؛ وذلك لأن الإسلام كان قوي الجانب في خلافته فلا حاجة للإنفاق من أموال الزكاة على هذا الصنف من الأصناف الثمانية التي نصت عليها الآية[٥]، وأما في عصرنا الحاضر فلا يزال التأليف موجودًا بصورة أو أخرى، ويوجد من تنطبق عليهم شروط المؤلفة قلوبهم[٦]، وقد استغل بعض خصوم الإسلام ودعاة الجمود من المسلمين إسقاط نصيب المؤلفة قلوبهم من الزكاة في عهد عمر فكتبوا عن هذه القصة، وادعوا أن عمر رضي الله عنه بهذا أوقف نصًّا من نصوص القرآن الكريم، وهذا الادعاء ليس بصحيح، كما أنه لا يتفق مع الحقيقة، فالواقع أن الخليفة عمر رضي الله عنه أوقف نصيب المؤلفة قلوبهم لسبب وحكمة، وهي أن الإسلام أصبح عزيزًا قويًّا بعد أن كان ضعيفًا في عهده الأول، ورأى رضي الله عنه أنه لا داعي لتأليف هؤلاء وهؤلاء بعد العزّة والنصر والقوة[٧].

---

(١) النظام الإسلامي المقارن ص١١٢ ، سياسة المال ص١٧١ .
(٢) الأموال لأبي عبيد (٤/٦٧٦)، سياسة المال ص١٧١ .
(٣) سياسة المال في الإسلام ص١٧٢ .
(٤) المصدر نفسه ص١٧٣ .
(٥) عصر الخلافة الراشدة ص٢٠٢ .
(٦) سياسة المال في الإسلام ص١٧٥ .
(٧) سياسة المال في الإسلام ص١٧٧، ١٧٨ .

وقد وافق الصحابة على قرار الفاروق، ولم تأت هذه الموافقة اعتباطًا وإنما نتيجة الاقتناع بالمبررات التي دفع بها لإيقاف إعطاء المؤلفة قلوبهم من حيث إن الإسلام قد غدا في قوة ومكنة تجعلانه في غنى عن عدد قليل لا وزن له، بعد دخول أمم كثيرة في الإسلام، كما أنه ليس ثمة خوف من هؤلاء الذين يطلبون التأليف، بل كان الخوف عليهم أن يظلوا على نزعتهم التواكلية، ثم إن حق هؤلاء ليس حقًّا موروثًا يتوارثونه جيلاً بعد جيل[1]، إن عمر لم يقف جامدًا أمام هذا النص فيما يتصل بسهم المؤلفة قلوبهم، فهو قد فهم أن المقصود من النص هو إعزاز الإسلام بدخول أشراف العرب فيه، وتثبيت من أسلم منهم على الإسلام، فقد نظر إلى علة النص لا إلى ظاهره، وحيث أعز الله الإسلام وكثر أهله فقد أصبح الإعطاء حينئذ -في نظر عمر- ذلة وخنوعًا، وزالت العلة التي من أجلها جعل الله للمؤلفة قلوبهم نصيبًا من الزكاة، وبناء على ذلك أوقف عمر هذا السهم ولم يعطه لهم، وبناء على هذا الفهم الصحيح لا يجوز أن نقول: إن عمر ألغى العمل بالنص القرآني المتعلق بإعطاء المؤلفة قلوبهم نصيبًا من الزكاة لأن ذلك من قبيل النسخ، ولا نسخ إلا من طرف صاحب الشرع نفسه وعليه فلا نسخ بعد وفاة الرسول ﷺ[2]، لقد كان عمر رضي الله عنه يراعي تغير الظروف والعلل التي بنيت عليها نصوص الأحكام، ولم يكن يقف مع ظواهرها كما سبق القول[3]، كما كان الإنفاق في الرقاب، والغارمين، وفي سبيل الله وابن السبيل، وقد اعتنى القرآن الكريم بابن السبيل أيّما اعتناء، فقد جعل له سهمًا من الزكاة ونصيبًا من الفيء ومن خمس الغنائم، وعناية الإسلام بالمسافرين الغرباء والمنقطعين عناية فذة لم يعرف لها نظير في نظام من الأنظمة أو شريعة من الشرائع، ويؤكد هذه العناية هدي النبي ﷺ والصديق، كما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتخذ في عهده دارًا خاصة أطلق عليها (دار الدقيق)، وذلك أنه جعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج إليه، يعين به المنقطع، والضيف ومن ينزل بعمر، ووضع

---

(١) الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن في الإسلام ص٣٠٦ .

(٢) الاجتهاد في الفقه الإسلامي ص١٣٢، ١٣٣ .

(٣) المصدر نفسه ص١٣٤ .

عمر في طريق الـسبل ما بين مكة والمدينة ما يصلح من ينقطع بـه، ويحمل من ماء إلى ماء[١].

إن هذا التحـديد للأصناف الثمانية يوجـب على الدولة حصرهم وتتبع حـالتهم وأن يكون هناك سجلات في كل بلد، ثم في المقر الرئيسي للدولة، وقد كان للصدقة ديوان خاص بها في دار الخلافة، له فروع في سـائر الولايات وقد كان ذلك في عهد الخليفة عمر ﷺ بعد تدوين الدواوين[٢]، إن نظرة إلى تلك الأصناف الثمانية الذين ذكرتهم الآية نلاحظ أنها قد شملت المصالح الدينية والسياسية والاجتماعية من دعوة للجهاد في سبـيل الله، وتكوين الجيوش، والعمل على القضـاء على الفقر، وسداد الدين، ودفع الحاجة عن ذوي الحاجة، أي إنها تشـمل كل متطلبات المجتمع وإيجاد الأمن والمحبة والتآلف بين أفراده[٣].

٢- مصارف الجزية والخراج والعشور:

تصرف في أعطيات الخلفاء، والعـمال والجند، وآل البيت، وزوجات المجاهدين وغيرها من أوجه الخير.

- **أعطيات الخليفة:** وقد فرض للخليـفة عمر ﷺ من الأعطيات خـمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم على رواية أخرى.

أعطيات العمال: أي ولاة الأقاليم، ففي عهد الخليـفة عمر ﷺ، عين الفاروق في كل ولاية، واليًـا حـازمًا عـادلاً لحكمـهـا وإدارتها، وزوده بـعدد من الأعـوان والمساعـدين والجباة والقضـاة والكتّاب وعمـال الخراج، والصدقات وغـيرهم، فكان للصـلاة والحرب عامل -وهو الأمـير- ولتـحصـيل الأموال عـامل آخر، ولمسـاحة الأراضي وتقدير الضرائب وإحـصاء الناس عمّال لهم خبـرة ودراية، وقد أجرى لهم الأعطيات بما يتناسب مع منصب كل منهم وما تتطلبه أعـماله، مراعيًا في ذلك حالة الإقليم من قرب وبعد، وتوفر خيرات، ورخص وغـلاء، ولم يجعل لصرفها موعدًا

---

(١) الطبقات (٣/ ٢٨٣).

(٢، ٣) سياسة المال في الإسلام ص١٨٤.

ثابتًا لا يتخلف[١] ، وسيأتي الحديث عن العمال بالتفصيل بإذن الله عند حديثنا عن مؤسسة العمال.

- أعطيات الجند:

اهتم عمر رضي الله عنه بأمر الجند فنظم ديوان الجيش، وسار في تقسيم الأرزاق فيه على أساس القربى من النسب النبوي الشريف، والسابقة للإسلام[٢]، وبذلك أصبح في مقدمة أصحاب المعاشات آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بنو هاشم وكان العباس يتسلمها ويوزعها عليهم، ثم زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وتختص كل واحدة بمعاش مستقل عن آل البيت، أما بقية المسلمين فقد قسموا إلى طبقات حسب ترتيب اشتراكهم في الجهاد في سبيل الله، فبدأ بأهل بدر، ثم من حاربوا بعد بدر إلى الحديبية، ثم من حاربوا من الحديبية إلى آخر حروب الردة، ثم من تلاهم ممن شهد القادسية واليرموك وهكذا، كما أنه جعل مخصصات لزوجات المحاربين وأطفالهم منذ الولادة ولم يغفل أمر الغلمان، واللقطاء، بل خصص لهم أعطيات سنوية، أدناها مائة درهم، تتزايد عند بلوغهم[٣]، كما فرض للموالي من ألفين إلى ألف[٤]، وقد وردت روايات كثيرة تتفق فيما بينها في كثير من أرقام المقررات التي قررها الخليفة عمر رضي الله عنه أعطيات للجند، وتختلف بعض الاختلافات في تلك المقادير[٥]، وأما ما صح من مقادير العطاء، فإن عطاء زوجات النبي صلى الله عليه وسلم كان عشرة آلاف درهم (١٠٠٠٠ درهم) كل سنة إلا جويرية وصفية وميمونة فقد فرض لهن أقل من ذلك، ثم زاد عطاءهن إلى اثني عشر ألف درهم (١٢٠٠٠ درهم) إلا صفية وجويرية كان عطاؤهن ستة آلاف درهم (٦٠٠٠ درهم)، وقد طالبت عائشة بالمساواة بين أمهات المؤمنين، فوافق عمر على مساواتهن، وكان عطاء المهاجرين والأنصار أربعة آلاف درهم (٤٠٠٠ درهم) لكل واحد سنويًا سوى عبد الله بن عمر بن الخطاب فإنه فرض له ثلاثة آلاف وخمسمائة درهم (٣٥٠٠ درهم) معللاً ذلك بأنه هاجر به أبوه، أي ليس كمن هاجر

---

(١) سياسة المال في الإسلام ص١٩٨ .
(٢) الأحكام السلطانية ص٢٢٧، سياسة المال ص١١٩ .
(٣) الطبقات (٣/ ٣٠١).
(٤) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٥٣، ١٥٤).
(٥) سياسة المال في الإسلام ص٢٠٠.

بنفسه[١]، وكان عبد الله صبيًّا حين الهجرة، ثم زاد المهاجـرين ألفًا فصار عطاؤهم خمسة آلاف درهم (٥٠٠٠ درهم) كل سنة[٢]، ويبدو أن هذا العطاء للبدريين فقط من المهاجـرين والأنصار[٣]، وأما من شـهد صلح الحديبـية فكان عطاؤه ثلاثة آلاف درهم (٣٠٠٠ درهم) كل سنة[٤]، وفـرض لكل مـولود مـائة درهم (١٠٠ درهـم) وكان يفـرض للفطيم ثم فرض للمولود حين ولادته خـوفًا من تعجيل فطامـه، وأما الموالي فقد فرض لأشرافهم كالهرمزان حينما أسلم ألفي درهم (٢٠٠٠ درهم) وغير ذلك من الأعطيـات، وإضافـة إلى العطاء السنوي فإن عـمر رضي الله عنه كـان يوزع عطايا متفـرقة[٥]، وإلى جانب مـا خصص لكل فرد ممن سـبق ذكرهم وزيادة على عطائه السابق طعام من الحنطة كل شهر[٦]، وقد قال الخليفة عمر رضي الله عنه في آخر عهده: لئن كثر المال لأفرضن لكل رجل أربعة آلاف درهم، ألف لسفره، وألف لسلاحه، وألف يخلفها لأهله، وألـف لفرسه وبغله[٧]، وقد رأى الخليفة عـمر رضي الله عنه أن لكل مسلم حقًّا في بيت المال، منذ أن يولد حتى يموت، ولقد أعلن هذا المبدأ بقوله: والله الذي لا إله إلا هو -ثلاثًا- ما من أحد إلا له في هذا المال حق أُعطِيَـه أو مُنِعَه، وما أحد بأحق به من أحد إلا عـبد مملوك، وما أنا فـيه إلا كأحـدكم، ولكنا على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فالرجل وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقدمه في الإسلام، والرجل وغناؤه في الإسلام، والرجل وحاجـته، والله لئن بقيت ليأتين الراعي بجـبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مـكانه قبل أن يُحْـمَرَّ وجـهه[٨]، ومن المهم أن نتبين وجهة نظر عمر رضي الله عنه في عدم المساواة بين المسلمين في العطاء، ودعمه الواضح لقـرابة الرسول صلى الله عليه وسلم ولكبـار الصحابة من المهـاجرين والأنصـار واعتـباره للسابقة في الإسلام والبلاء في الجهاد، فلا شك أن الفئة التي حازت الأموال الوفيرة في خلافته هي التي أقامت على أكتافها صرح الدولة الإسـلامية، كما أنها أكثر فقهًا

(١-٣) عصر الخلافة الراشدة ص٢١٤ .
(٤، ٥) المصدر نفسه ص٢١٥.
(٦) سياسة المال في الإسلام ص٢٠٢.
(٧) سياسة المال في الإسلام ص٢٠٣، الطبقات الكبرى (٣/ ٢٩٨).
(٨) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٩٩) كتاب الخراج لأبي يوسف ص٥٠.

والتزامًا بالشرع ومقاصده، وأكثر ورعًا وصلاحًا في التعامل مع المال، وتذليله لتحقيق المقاصد الاجتماعية عن طريق الإنفاق، ودعم هذه الفئة اقتصاديًّا يقوي نفوذها في المجتمع، ويجعلها أقدر على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويلاحظ أن عمر ﷺ عزم على تبديل سياسة التفضيل في العطاء إلى المساواة، وقد صرّح بذلك في آخر خلافته قائلاً: لئن بقيت إلى قابل، لألحقن آخر الناس بأولهم ولأجعلنهم بيانًا واحدًا[١] -أي سواء- وأما عن نظرة عمر إلى الأموال العامّة فقد عبّر عنها بقوله: إن الله جعلني خازنًا لهذا المال، وقاسمًا له، ثم قال: بل الله يقسمه[٢]، وقد بكى عندما رأى عظمة الأموال التي جلبت إلى بيت المال في فتوح فارس، فلما ذكره عبد الرحمن بن عوف بأنه يوم شكر وسرور وفرح وقال عمر ﷺ: كلا إن هذا لم يعطه قوم إلا ألقي بينهم العداوة والبغضاء[٣]، ونظر إلى أموال فتح جلولاء فقرأ الآية: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ** ﴾ (آل عمران،آية: ١٤) وقال: اللهم لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا، اللهم فاجعلني أنفقه في حقه، وأعوذ بك من شره[٤].

٣- مصارف الغنائم:

أما توزيع الغنائم فقد قسمها الله تعالى ورسوله ﷺ كما جاء في الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ. .** ﴾ (الأنفال،آية: ٤١)، وأما أربعة أخماس الغنيمة الباقية فكانت توزع بين الغانمين، للفارس ثلاثة أسهم: سهمان لفرسه وسهم له، وللراجل سهم[٥]، وقد كان للرسول ﷺ سهم في حياته ينفقه على نفسه، وأزواجه، وما بقي من هذه الأسهم كان يجعله في المصالح العامة أو ينفقه على أهل الفاقة والاحتياج، وكان لذوي

---

(١) عصر الخلافة الراشدة ص٢١٦، الأموال ابن زنجويه (٢/ ٥٧٦).
(٢) الأثر صحيح، عصر الخلافة الراشدة ص٢١٦.
(٣) عصر الخلافة الراشدة، ص٢١٧ الأثر صحيح.
(٤) عصر الخلافة الراشدة ص٢١٧ الأثر حسن.
(٥) الخراج لأبي يوسف ص٢٢.

قربى الرسـول ﷺ السهم الثاني، وهم بنو هاشم وبنو عـبد المطلب الذين خضـعوا للإسلام وشملتهم دعوته ﷺ وقـد اختلف الناس بعد وفاة الرسول ﷺ في هذين السهمين، سهم الرسول ﷺ، وسهم ذوي القربى، فقال قوم: سهم الرسول ﷺ للخليفـة من بعده، وقـال آخرون: سهم ذوي القـربى لقرابة الرسـول ﷺ، وقالت طائفة: سـهم ذوي القربى لقـرابة الخليفـة من بعده، فأجـمعوا على أن جـعلوا هذين السهـمين في الكراع والسلاح[(١)]، وبذلك أصبحت مـخصصات السـهمين تصرف في مصالح المسلمين العـامة، كتجهيـز الجيوش، وسد الثغـور، والعمل على تقوية الدولة وتمكينها، في عهد الخليفة الثاني أميـر المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأما مخصصات الفقراء والمساكين وأبـناء السبيل، فقد بقيت كمـا كانت على أيام الرسول ﷺ، ولم يطرأ عليها أي تغيير أو تعديل في أيام الخليفة الثاني رضي الله عنه[(٢)].

هذه بعض المعالم الواضحة على المؤسسة المالية في زمن الفاروق وكيف عمل على تطويرها، وقد كان رضي الله عنه شديد الورع في المال العـام ويظهر ذلك في قوله: أنا أخبركم بما أستحل من مال الله، حلة الشتاء والقيظ ومـا أحج عليه وأعتمر من الظهر، وقوت أهلي كرجل من قـريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم، أنا رجل من المسلمين يصـيبني ما يصـيبـهم[(٣)]، وكـان يقول: اللهم إنك تعـلم أني لا آكل إلا وجبـتي، ولا ألبس إلا حلتي، ولا آخذ إلا حقي[(٤)]. وكان يقول: إني أنزلت مال الله مني بمنزلة مال اليتيم، من كان غنيًّا فليستعفف، ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف[(٥)].

٤- أمور متعلقة بالتطوير الاقتصادي في الدولة:

- إصدار النقود الإسلامية:

النقـود من المعادن الثـميـنة كالذهب والفـضة، وهي وسـيلة ضـرورية للحيـاة

(١) الخراج لأبي يوسف ص٢٢ .
(٢) سياسة المال في الإسلام ص٢٠٥، ٢٠٦.
(٣) تاريخ المدينة لابن شبة (٢/٦٩٨) الأثر صحيح.
(٤) المصدر نفسه (٢/٦٩٨)، عصر الخلافة الراشدة ص٢١٨.
(٥) الطبقات (٣/٣١٣)، عصر الخلافة الراشدة ص٢١٨.

الاجتماعيــة الخاصة والعامة، لا سيما فــي التعامل بين الأمم والدول، وما يعنينا من هذا الموضــوع - وقد أصبح للإســلام دولة فــيهــا مــسلمون وغــيــرهم من الناس، ويجاورها أمم ودول ذات نظم وحــضارات، ظلت تتــعامل مع الدولة الإسلامــية في عهــد عمر وغيــره من خلفاء وأمراء المسلمين - هو الناحــية التنظيمــية والإدارية التي سلكها عمــر بشأن النقود، سواء أكان في داخل الدولة الإسلامــية أم في دور الحرب الأخرى[١]، فالمعلومات التاريخية تشير إلى: أن عمر بن الخطاب قد أبقى على تداول النقود والعملة التي كانت متداولة قبل الإسلام وفي عهد الرسول ﷺ وأبي بكر بما كان عليها من نقوش هرقليــة عليها نقوش مسيحية أو كــسروية رُسم فيها بيت النار، بيد أنه أقرها على معيارها الرسمي المعروف على عهد النبي ﷺ وأبي بكر، مضيفًا إليها كلمة جائز، لتمييزها من البهارج الزائفات[٢]، فالذي ضرب النقود المسكوكة في الخارج وأقر التعامل بها وقــرر الدرهم الشرعي في الإسلام هو الفاروق ﷺ، يقول الماوردي: إن عــمر بن الخطاب هو الذي حــدد مــقدار الدرهم الشــرعي[٣]، ويقول المقريزي: وأول من ضرب النقود في الإسلام عــمر بن الخطاب سنة ثماني عشرة من الهجرة على نقش الكســروية، وزاد فيها: الحمد لله. وفي بعــضها: لا إله إلا الله، وعلى جزء منهــا اسم الخليفة عــمر[٤]، وعليه فــإن الفاروق ﷺ قد وضع تنظيــمًا خاصًّا لوسيلة من وسائل الحــياة الضرورية للمسلمين وغيــرهم في أثناء حكمه، وقد تبــعــه الخلفــاء الراشدون وغــيــرهم ممن طوروا هذا الأمــر مع تطور وتقــدم المدنيــة والحضارة[٥].

- الإقطاع:

مضى أبو بكر ﷺ في تــطبيق السيــاسة النبوية في إقطاع الأراضــي للناس طلبًا لاستصلاحها، فقد أقــطع الزبير بن العوام أرضًا مواتًا ما بين الجرف وقناة[٦]، وأقطع

---

(١) الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب ص٣٦٤ .
(٢) المصدر نفسه ص٣٦٦ .
(٣) الأحكام السلطانية ص١٤٧ .
(٤) شذور العقود في ذكر النقود ص٣١-٣٣ .
(٥) الإدارة العسكرية في عهد عمر ص٣٦٧ .
(٦) الطبقات الكبرى (٣/ ١٠٤) الأثر صحيح، عصر الخلافة الراشدة ص٢٢٠ .

مجاعة بن مرارة الحنفي الخضرمة (قرية كانت باليمامة) وأراد إقطاع عيينة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس التميمي أرضًا سبخة - ليس فيها كلأ ولا منفعة - أرادا استصلاحها ثم عدل عن ذلك أخذًا برأي عمر رضي الله عنه في عدم الحاجة لتأليفهما على الإسلام، فقد قال لهما عمر رضي الله عنه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتألفكما والإسلام يومئذ ذليل، وإن الله -عز وجل- قد أعز الإسلام، فاذهبا فاجهدا جهدكما[1]، ومن الواضح أن اعتراض عمر ليس على مبدأ الإقطاع لاستصلاح الأراضي بل على أشخاص بعينهم لا يرى تأليفهم على الإسلام، وقد توسع عمر رضي الله عنه في إقطاع الأراضي لغرض استصلاحها جريًا على السياسة النبوية، فقد أعلن: يأيها الناس من أحيا أرضًا ميتة فهي له[2]، وتعتضد آثار ضعيفة لتؤكد انتزاع عمر رضي الله عنه ملكية الأرض المقتطعة إذا لم يتم استصلاحها، وتحدد رواية ضعيفة لذلك ثلاث سنوات من تأريخ الإقطاع، وقد ثبت إقطاع عمر رضي الله عنه لخوات بن جبير أرضًا مواتًا[3] وللزبير بن العوام أرض العقيق جميعها، ولعلي بن أبي طالب أرض ينبع، فتدفق فيها الماء الغزير، فأوقفها علي رضي الله عنه صدقة على الفقراء، وتوجد آثار ضعيفة لإقطاعه عددًا من الصحابة الآخرين[4].

* ■ *

(١) البخاري، التاريخ الصغير (١/ ٨١)، عصر الخلافة الراشدة ص٢٢١ .

(٢) عصر الخلافة الراشدة ص٢٢١ الأثر صحيح.

(٣) المصدر نفسه ص٢٢١ .

(٤) المصدر نفسه ص٢٢٢ .

المبحث الثاني
المؤسسة القضائية

عندما انتشر الإسلام، واتسعت رقعة الدولة في عهد عمر، وارتبط المسلمون بغيرهم من الأمم، دعت حالة المدنية الجديدة إلى تطوير مؤسسة القضاء، فقد كثرت مشاغل الخليفة، وتشعبت أعمال الولاة في الأمصار، وزاد النزاع والتشاجر، فرأى عمر ﷺ أن يفصل الولايات بعضها عن بعض وأن يجعل سلطة القضاء مستقلة؛ حتى يتفرغ الوالي لإدارة شئون ولايته، فأصبح للمؤسسة القضائية قضاة مستقلون، عن الولايات الأخرى، كولاية الحكم والإدارة، فكان عمر بهذا أول من جعل للقضاء ولاية خاصة، فعين القضاة في الأمصار الإسلامية، في الكوفة والبصرة والشام، ومصر، وجعل القضاء سلطة تابعة له مباشرة، سواء كان التعيين من الخليفة، أو كان بتفويض أحد ولاته بذلك نيابة عنه، وهذا يدل على أن القيادة الإسلامية متمثلة في شخصية الفاروق، لم تكن عاجزة عن وضع قواعد أصلية، في تنظيم الدولة وترتيب شئونها، وتحديد سلطاتها، وإذا كانت أوربا قد اكتشفت هذه القاعدة بصورة نظرية في القرن الثامن عشر، واعتبرتها فتحًا جديدًا في تنظيم الدولة، وفي رعاية حقوق المواطنين، يوم تحدث عنها (مونتسكو) في كتابه (روح الشرائع)، ولكن لم يكتب لهذه القاعدة التطبيق العملي إلا في أوائل القرن التاسع عشر، أي بعد الثورة الفرنسية، فإن الإسلام قد أقرّها قبل أربعة عشر قرنًا، واعتبرها أصلاً من أصول نظامه وقد كان هذا الأصل من زمن الرسول ﷺ حين أرسل معاذًا إلى اليمن وسأله رسول الله ﷺ بما تقضي يا معاذ؟ فبين معاذ أنه يقضي بكتاب الله، فإن لم يجد فبسنة رسول الله ﷺ، فإن لم يجد يجتهد رأيه ولا يألو، فأقره الرسول ﷺ على ذلك[1] وأما الفاروق، فقد قام بتطوير المؤسسة القضائية وما يتعلق بها من أمور، وأصبح في عهده مبدأ فصل القضاء عن غيره من السلطات واضحًا في حياة الناس، ولم يكن استقلال ولاية القضاء مانعًا لعمر ﷺ

---

(١) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (٢/ ٥٣).

من أن يفصل في بعض القضايا، وربما ترك بعض ولاته يمارسون القضاء مع السلطة التنفيذية، ويراسلهم في الشئون القضائية، فقد راسل المغيرة بن شعبة في أمر القضاء وكان واليه على البصرة ثم الكوفة، وراسل معاوية واليه على الشام في النزاع القضائي، وراسل أبا موسى الأشعري في شأن بعض القضايا، وكان القاضي يعين للولاية كلها، سواء أكان تعيينه من قبل الخليفة أم كان من قبل الوالي بأمر الخليفة، وكان مقر القاضي حاضرة الولاية وإليه ترجع السلطة القضائية في ولايته[١]، وقد تم فصل السلطة القضائية في الولايات الكبيرة على الغالب، مثل الكوفة، ومصر، وقد جمع لبعض ولاته بين الولاية والقضاء إذا كان القضاء لا يشغلهم عن شئون الولاية، وراسلهم بهذا الوصف في شئون القضاء، وأنه كان يقوم بالقضاء في بعض الأحيان مع وجود قضاة له بالمدينة[٢]، ومن القضاة الذين قصرهم الفاروق في خلافته على القضاء وحده:

- عبد الله بن مسعود: ولاه عمر قضاء الكوفة، فقد روى قتادة، عن مجلز أن عمر بن الخطاب بعث عمار بن ياسر على صلاة أهل الكوفة، وبعث عبد الله بن مسعود على بيت المال والقضاء[٣].

- سلمان بن ربيعة: ولاه عمر القضاء على البصرة ثم القادسية.

- قيس بن أبي العاص القرشي: تولى قضاء مصر.

وأما الذين جمعوا بين الولاية والقضاء فمنهم:

- نافع الخزاعي والي مكة، ذكر ابن عبد البر أن عمر بن الخطاب استعمله على مكة وفيهم سادة قريش، ثم عزله وولى خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي[٤].

- يعلى بن أمية والي صنعاء.

---

(١) القضاء في الإسلام، عطية مصطفى ص٧٧ .

(٢) النظام القضائي في العهد النبوي والخلافة الراشدة، القطان ص٤٧ .

(٣) أخبار القضاء لوكيع (٢/ ١٨٨).

(٤) النظام القضائي في العهد النبوي ص٤٩ .

- سفيان بن عبد الله الثقفي والي الطائف.

- المغيرة بن شعبة والي الكوفة.

- معاوية بن أبي سفيان والي الشام.

- عثمان بن أبي العاص الثقفي والي البحرين وعمان.

- أبو موسى الأشعري والي البصرة.

- عمير بن سعد والي حمص.

ومن هؤلاء من أبقاه الفاروق على القضاء مع الولاية، كما فعل مع معاوية، ومنهم من فصل القضاء عن سلطته وقصره على الولاية كما فعل مع المغيرة، وأبي موسى الأشعري، ومن قضاة الفاروق بالمدينة:

- علي بن أبي طالب.

- زيد بن ثابت ﷺ فقد روي عن نافع: أن عمر استعمل زيد بن ثابت على القضاء وفرض له رزقًا[١].

- السائب بن أبي يزيد[٢].

أولاً: من أهم رسائل عمر إلى القضاة:

إن الفاروق ﷺ وضع دستوراً قويمًا في نظام القضاء والتقاضي، وقد اهتم كثير من أعلام الفقه الإسلامي بشرح هذا الدستور والتعليق عليه، ونجد الدستور العمري في القضاء في رسالته لأبي موسى الأشعري، وهذا نص الرسالة: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس[٣]، سلام عليك، أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أُدلي إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آسِ[٤] بين الناس في وجهك وعَدْلِكَ ومجلسك،

(١) أخبار القضاء لوكيع (١/ ١٠٨).

(٢) وقائع ندوة النظم الإسلامية في أبي ظبي (١/ ٣٧٥).

(٣) عبد الله بن قيس هو أبو موسى الأشعري.

(٤) آس بينهم: اعدل

حتى لا يطمع شريف في حيفك[١]، ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة على من ادّعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحل حرامًا، أو حرّم حلالاً، لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس، فراجعت فيه عَقْلَكَ، وهُدِيتَ فيه لرشدك أن ترجع إلى الحقِّ، فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التّمادي في الباطل، الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة، ثم اعْرِف الأشباه والأمثال، فقس الأمور عند ذلك واعْمد إلى أقربها إلى الله، وأشبهها بالحقِّ، واجعل لمن ادّعى حقًّا غائبًا أو بينة أمدًا ينتهي إليه، فإن أحضر بيِّنته أخذت له بحقه وإلا استحْللت[٢]، عليه القضيّة، فإنه أنفى للشك، وأجْلى للعَمَى. المسلمون عدول[٣]، بعضهم على بعض إلا مجلودًا في حدٍّ، أو مُجرّبًا عليه شهادة زور، أو ظنينًا في ولاء أو نسب، فإن الله تولى منكم السَّرائر، ودرأ[٤] بالبينات والأيمان، وإياك والغلق[٥]، والضجر والتأذي للخصوم، والتنكر عند الخصومات فإن القضاء في مواطن الحق يعظم الله به الأجر، ويحسن به الذُّخر، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تخلَّق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله، فما ظنك بثواب الله -عز وجل- في عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام[٦]، وقد جمعت هذه الرسالة العجيبة آداب القاضي، وأصول المحاكمة، وقد شغلت العلماء بشرحها والتعليق عليها هذه القرون الطويلة ولا تزال موضع دهشة وإكبار لكل من يطلع عليها، ولو لم يكن لعمر من الآثار غيرها، لعد بها من كبار المفكرين والمشرعين، ولو كتبها رئيس دولة في هذه الأيام التي انتشرت فيها قوانين أصول المحاكمات، وصار البحث فيها مما يقرؤه الأولاد في المدارس، لكانت كبيرة منه، فكيف وقد كتبها عمر منذ نحو أربعة عشر قرنًا، ولم ينقلها من كتاب ولا استمدها من أحد، بل جاء بها في ذهنه، ثمرة واحدة من آلاف الثمرات، للغرسة المباركة التي غرسها في قلبه محمد ﷺ، حين دخل عليه في دار الأرقم، فقال:

---

(١) حيفك: ظلمك.

(٢) استحللت: سأله أن يُحِله له.

(٣) عُدول: جمع «عِدْل» وهو المِثْل والنظير.

(٤) درأ الشيء: دفعه.

(٥) الغلق: ضيق الصدر، وقلة الصبر.

(٦) إعلام الموقعين لابن القيم (١/ ٨٥).

أشهد ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله[١]، ومن الرسائل المهمة في هذا الباب رسالة الفاروق إلى أبي عبيدة رضي الله عنه: أما بعد فإني كتبت إليك بكتاب لم آلك ونفسي خيرًا، الزم خمس خصال يسلم لك دينك، وتأخذ بأفضل حظّك: إذا حضر الخصمان فعليك بالبينات العدول، والأيمان القاطعة، ثم أدن الضعيف حتى تبسط لسانه، ويجترئ قلبه، وتعهّد الغريب فإنه إذا طال حبسه ترك حاجته وانصرف إلى أهله، وإنّ الذي أبطل من لم يرفع به رأسًا. واحرص على الصلح ما لم يستبن لك القضاء. والسلام[٢] ، وكتب رضي الله عنه إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما في القضاء: أما بعد، فإني كتبت إليك بكتاب في القضاء لم آلك ونفسي فيه خيرًا، الزم خمس خصال يسلم لك دينك، وتأخذ فيه بأفضل حظك: إذا تقدم إليك خصمان فعليك بالبينة العادلة أو اليمين القاطعة، وأدْن الضعيف حتى يشتدّ قلبه وينبسط لسانه، وتعهد الغريب، فإنك إن لم تتعهده ترك حقه، ورجع إلى أهله، وإنما ضيع حقه من لم يرفق به، وآسِ بينهم في لحظك وطرفك، وعليك بالصلح بين الناس، ما لم يستبن لك فصل القضاء[٣]، وكتب إلى القاضي شريح عن الاجتهاد: إذا أتاك أمر فاقض فيه بما في كتاب الله فإن أتاك ما ليس في كتاب الله فاقض بما سنَّ فيه رسول الله، فإن أتاك ما ليس في كتاب الله ولم يسنّه رسول الله ولم يتكلم فيه أحد فأيّ الأمرين شئت فخذ به، وفي رواية أخرى: فإن شئت أن تجتهد رأيك فتقدم، وإن شئت أن تتأخر فتأخر، وما أرى التأخر إلا خيرًا لك[٤]، ويمكن للباحث من خلال رسائل الفاروق وحياته في زمن خلافته أن يستخرج ما يتعلق بالمؤسسة القضائية في الأرزاق والعزل، وأنواع القضاة وصفاتهم وما يجب عليهم، ومصادر أحكامهم وخضوع الخليفة نفسه للقضاء وغير ذلك من المسائل المتعلقة بهذه المؤسسة.

ثانياً: تعيين القضاة ورزقهم واختصاصهم القضائي:

١- تعيين القضاة:

يصدر تعيين القضاة من الخليفة رأسًا، فقد عين عمر بن الخطاب شريحًا بالكوفة،

---

(١) أخبار عمر ص١٧٤ .

(٢) مجموعة الوثائق السياسية ص٤٣٨ .

(٣) البيان والتبيين (٢/ ١٥٠).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٧٠).

أو يكون التعيين من الوالي بتفويض من الخليفة، كما عيّن عمرو بن العاص والي مصر عثمان بن قيس بن أبي العاص قاضيًا بها . فحق تعيين القاضي إلى الخليفة، إن شاء عينه بنفسه، وإن شاء فوّضه إلى واليه ولم يكن تعيين القضاة مانعًا من أن يتولى الخليفة القضاء بنفسه؛ لأن القضاء من سلطاته، وهو الذي يتعهد بالقضاء إلى غيره، فالحق الأول في القضاء إليه ولا يكتسب القاضي الصفة القضائية إلا إذا عيّنه الخليفة بنفسه، أو بواسطة واليه[١]، ويجوز للخليفة أن يعزل القاضي لسبب من الأسباب الداعية إلى ذلك، كما إذا زالت أهلية القاضي وصلاحيته للحكم، أو ثبت عليه ما يخل بواجب القضاء، وإن لم يجد سببًا للعزل فالأولى ألا يعزله؛ لأن القاضي معيّن لمصلحة المسلمين، فيبقى ما دامت المصلحة محققة[٢]، وقد عزل عمر ﷺ بعض القضاة وولى غيرهم[٣]، مثلما عَزَلَ أبا مريم الحنفي، فقد وجد فيه ضعفًا فعزله.

٢- رزق القضاة:

كان عمر ﷺ يوصي الولاة باختيار الصالحين للقضاء، وبإعطائهم المرتبات التي تكفيهم[٤]، فقد كتب إلى أبي عبيدة ومعاذ: انظروا رجالاً صالحين فاستعملوهم على القضاء وارزقوهم[٥]، وقد ذكر الدكتور العمري مرتبات بعض القضاة في عهد عمر ﷺ وهي كالآتي: سلمان بن ربيعة الباهلي (البصرة) ٥٠٠ درهم كل شهر، شريح القاضي (الكوفة) ١٠٠ درهم كل شهر، عبد الله بن مسعود الهذلي (الكوفة) ١٠٠درهم كل شهر وربع شاة كل يوم، وعثمان بن قيس بن أبي العاص (مصر) ٢٠٠ دينار، وقيس بن أبي العاص السهمي (مصر) ٢٠٠ دينار لضيافته[٦].

٣- الاختصاص القضائي:

كان القاضي في عصر الخلافة الراشدة يقضي في الخصومات كلها، أيًّا كان نوعها، في المعارضات المالية، وفي شئون الأسرة، وفي الحدود والقصاص، وسائر ما يكون فيه الشجار، وليس هناك ما يشير إلى ما يعرف اليوم بالاختصاص القضائي

---

(١) النظام القضائي، مناع القطان ص٧٢، ٧٣ .
(٢) مغني المحتاج (٤/ ٣٨٢)، النظام القضائي ص٧٧ .
(٣) النظام القضائي ص٧٧ .
(٤) عصر الخلافة الراشدة ص١٤٣ .
(٥) النظام القضائي ص٧٦ .
(٦) عصر الخلافة الراشدة ص١٥٩ .

سوى ما جاء في تولية السائب بن يزيد بن أخت النمر من قول عمر بن الخطاب له: رُدّ عني الناس في الدرهم والدرهمين[١]، ويجوز أن يعهد الخليفة إلى القاضي أن يقضي في قضية بعينها وينتهي اختصاصه بالنظر فيها، وكان القضاة يقضون في الحقوق المدنية والأحوال الشخصية، أما القصاص والحدود فكان الحكم فيها للخلفاء، وأمراء الأمصار، فلابد من موافقتهم على الحكم، ثم انحصرت الموافقة على تنفيذ حد القتل بالخليفة وحده، وبقي للولاة حق المصادقة على أحكام القصاص دون القتل، ولم يكن للقضاء مكان مخصص، بل يقضي القاضي في البيت والمسجد، والشائع جلوسهم في المسجد[٢]، ولم تكن الأقضية تسجل لقلتها وسهولة حفظها، وكان بإمكان القاضي حبس المتهم للتأنيب واستيفاء الحقوق، وقد فعل ذلك عمر وعثمان وعلي، فكانت الدولة تهيئ السجون في مراكز المدن، وكان القصاص ينفذ خارج المساجد[٣].

ثالثاً: صفات القاضي وما يجب عليه:

- صفات القاضي: من خلال سيرة عمر رضي الله عنه استنبط العلماء أهم صفات القاضي المراد تعيينه:

١- العلم بالأحكام الشرعية: لأنه سيطبقها على الحوادث، ويستحيل عليه تطبيقها مع الجهل بها.

٢- التقوى: فقد كتب عمر إلى معاذ بن جبل وأبي عبيدة بن الجراح أن انظرا رجالاً من صالحي من قبلكم فاستعملوهم على القضاء[٤].

٣- الترفع عما في أيدي الناس: فقد قال عمر رضي الله عنه: لا يقيم أمر الله إلا من لا يصانع، ولا يضارع[٥]، ولا يتبع المطامع[٦].

---

(١) النظام القضائي ص٧٤، عصر الخلافة الراشدة ص١٤٤.

(٢، ٣) عصر الخلافة الراشدة ص١٤٥.

(٤) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص٧٢٣، المغني (٩/ ٣٧).

(٥) يضارع: يرائي.

(٦) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (٢/ ١٠٢).

٤- الفطنة والذكاء: ويشترط في القاضي أن يكونًا فطنًا ذكيًا ينتبه إلى دقائق الأمور، فعن الشعبي أن كعب بن سوار كان جالسًا عند عمر فجاءته امرأة فقالت: يا أمير المؤمنين ما رأيت رجلاً قط أفضل من زوجي، والله إنه ليبيت ليله قائمًا، ويظل نهاره صائمًا في اليوم الحر ما يفطر، فاستغفر لها وأثنى عليها وقال: مثلُك أثنى بالخير، قال: فاستحيت المرأة فقامت راجعة، فقال كعب: يا أمير المؤمنين هلا أعديت المرأة على زوجها!! قال: وما شكَت؟ قال: شكت زوجها أشد الشكاية، قال: أوَ ذاك أرادت؟ قال: نعم، قال: ردُّوا عليَّ المرأة فقال: لا بأس بالحق أن تقوليه، إن هذا زعم أنك تشكين زوجك أنه يَجْنَبُ فراشك، قالت: أجل، إني امرأة شابة وإني لأبتغي ما تبغي النساء، فأرسل إلى زوجها فجاء، فقال لكعب: اقض بينهما، قال: أمير المؤمنين أحق أن يقضي بينهما، قال: عزمت عليك لتقضين بينهما فإنك فهمت من أمرهما ما لم أفهمه، قال: إني أرى كأنها عليها ثلاثة نسوة هي رابعتهم فأقضي له بثلاثة أيام بلياليهن يتعبد فيهن، ولها يوم وليلة فقال عمر: والله ما رأيك الأول أعجب إليّ من الآخر، اذهب فأنت قاض على البصرة(١).

٥- الشدة في غير عنف واللين من غير ضعف: قال عمر: لا ينبغي أن يلي هذا الأمر إلا رجل فيه أربع خصال: اللين في غير ضعف، والشدة في غير عنف، والإمساك في غير بخل، والسماحة في غير سرف(٢)، وقال: لا يقيم أمر الله إلا رجل يتكلم بلسانه كلمة لا يُنقصُ غربُه، ولا يطمع في الحق على حدته(٣).

٦- قوة الشخصية: قال عمر: لأعزلن أبا مريم وأولين رجلاً إذا رآه الفاجر فرِقَه، فعزله عن قضاء البصرة وولّى كعب بن سور مكانه(٤).

٧- أن يكون ذا مال وحسب: فقد كتب عمر إلى بعض عماله لا تستقضين إلا ذا مال وذا حسب؛ فإن ذا المال لا يرغب في أموال الناس، وإن ذا الحسب لا يخشى العواقب بين الناس(٥).

---

(١) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص٧٢٣ .

(٢: ٥) المصدر نفسه، ص٧٢٤ .

- ما يجب على القاضي:

هناك أمور بينها الفاروق لابد للقاضي من مراعاتها لإقامة صرح العدالة منها:

١- الإخلاص لله في العمل: فقد كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: إن القضاء في مواطن الحق يوجب الله له الأجر ويحسن به الذخر، فمن خلصت نيته في الحق -ولو كان على نفسه- كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين بما ليس في قلبه شانه الله، فإن الله تبارك وتعالى لا يقبل من العباد إلا ما كان له خالصًا وما ظنك بثواب غير الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته[١].

٢- فهم القضية فهمًا دقيقًا: ودراستها دراسة واعية قبل النطق بالحكم ولا يجوز له النطق بالحكم قبل أن يتبين له الحق، فقد كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: افهم إذا أدلى إليك، وقال أبو موسى مرة: لا ينبغي لقاضٍ أن يقضي حتى يتبين له الحق كما يتبين له الليل والنهار، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فقال: صدق أبو موسى[٢].

٣- الحكم بالشريعة الإسلامية: سواء أكان الخُصوم من المسلمين أم من غير المسلمين، فعن زيد بن أسلم أن يهودية جاءت إلى عمر بن الخطاب فقالت: إن ابني هلك، فزعمت اليهود أنه لا حق لي في ميراثه فدعاهم عمر، فقال: ألا تعطون هذه حقها، فقالوا: لا نجد لها حقًّا في كتابنا، فقال: أفي التوراة؟ قالوا بل في المشناة، قال: وما المشناة؟ قالوا: كتاب كتبه أقوام علماء وحكماء، فسبهم عمر وقال: اذهبوا فأعطوها حقها[٣].

٤- الاستشارة فيما أشكل عليه من الأمور: فقد كتب عمر إلى أحد القضاة: واستشر في دينك الذين يخشون الله -عز وجل-[٤]، وكتب إلى شريح: وإن شئت أن تآمرني ولا أرى مآمرتك إياي إلا أسلم لك[٥]. وكان عمر كثير الاستشارة حتى

(١) إعلام الموقعين لابن القيم (١/ ٨٥).
(٢، ٣) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص٧٢٥.
(٤) المصدر نفسه ص٧٢٥، سنن البيهقي (١٠/ ١١٢).
(٥) المصدر نفسه ص٧٢٥، سنن البيهقي (١٠/ ١١٠).

قال الشعبي: من سره أن يأخذ بالوثيقة من القضاء فليأخذ بقضاء عمر فإنه كان يستشير[١].

٥- المساواة بين المتخاصمين: وقد كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: سوِّ بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك، وكتب أيضًا اجعلوا الناس عندكم في الحق سواء قريبهم كبعيدهم، وبعيدهم كقريبهم، وعندما ادّعى أبيّ بن كعب على عمر دعوى -في حائط- فلم يعرفها عمر فجعلا بينهما زيدًا بن ثابت فأتياه في منزله فلما دخلا عليه قال له عمر: جئناك لتقضي بيننا -وفي بيته يُؤتى الحَكَم- قال: فتنحى له عن صدر فراشه -وفي رواية فأخرج له زيد وسادة فألقاها إليه- وقال: هاهنا يا أمير المؤمنين، فقال عمر: جُرْتَ يا زيد في أول قضائك، ولكن أجلسني مع خصْمي، فجلسا بين يديه[٢].

٦- تشجيع الضعيف: حتى يذهب عنه الخوف ويجترئ على الكلام، فقد كتب عمر إلى معاوية: أدنِ الضعيف حتى يجترئ قلبه وينبسط لسانه[٣].

٧- سرعة البت في دعوى الغريب أو تعهده بالرعاية والنفقة: وقد كتب عمر إلى أبي عبيدة: تعاهد الغريب فإنه إن طال حبسه -أي طالت إقامته وبعده عن أهله من أجل هذه الدعوى- ترك حقه وانطلق إلى أهله، وإنما أبطل حقّه من لم يرفع به رأسًا[٤].

٨- سعة الصدر: فقد كتب عمر إلى أبي موسى: إياك والضجر، والغضب والقلق والتأذي بالناس عند الخصومة، فإذا رأى القاضي من نفسه شيئًا من هذا، فلا يجوز له النطق بالحكم حتى يذهب عنه ذلك، لئلا يكون الدافع إلى الحكم حالة نفسية معينة، فقد كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: ولا تحكم وأنت غضبان[٥] وعن شريح قال: شرط عليّ عمر حين ولاني القضاء ألا أقضي وأنا غضبان[٦]،

---

(١) المصدر نفسه ص٧٢٥، سنن البيهقي (١٠/١٠٩). (٢) صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق ص٢٥٩.
(٣،٤) مجموعة الوثائق السياسية ص٤٣٨ . (٥) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص٧٢٦.
(٦) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص٧٢٦، المغني (٩/٧٩).

ومما يؤدي إلى ضيق الصدر ويدفع أحيانًا إلى الاستعجال المخل في البت في بعض القضايا الجوع والعطش ونحو ذلك، ولذلك قال عمر: لا يقضي القاضي إلا وهو شبعان ريّان[1].

٩- تجنب كل ما من شأنه التأثير على القاضي: كالرشوة، وتساهل التجار معه في البيع والشراء والهدايا ونحو ذلك، ولذلك منع عمر القضاة من العمل بالتجارة، والصفق بالأسواق، وقبول الهدايا والرشاوي، فكتب إلى أبي موسى الأشعري:

لا تبيعن ولا تبتاعن ولا تضاربن ولا ترتش في الحكم، وقال شريح: شرط علي عمر حين ولآني القضاء ألا أبيع ولا أبتاع ولا أرشي وقال عمر: إياكم والرشا، والحكم بالهوى[2].

١٠- الأخذ بالأدلة الظاهرة: دون البحث عن النوايا، فقد خطب عمر بالناس فكان مما قال: إنا كنا نعرفكم ورسول الله فينا، والوحي ينزل وينبئنا بأخباركم، وأما اليوم فإننا نعرفكم بأقوالكم، فمن أعلن لنا خيرًا ظننا به خيرًا وأحببناه عليه ومن أعلن لنا شرًّا ظننا به شرًّا وأبغضناه عليه وسرائركم فيما بينكم وبين الله[3].

١١- الحرص على الصلح بين المتخاصمين: قال عمر: ردّوا الخصوم حتى يصطلحوا، فإن فصل القضاء يورث الضغائن بين الناس، فإن عادوا بصلح يتفق مع شرع الله أمضاه القاضي وإن كان صلحهم لا يتفق مع أحكام الشريعة نقضه القاضي: قال عمر: الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحل حرامًا أو حرّم حلالاً[4]، وعلى القاضي أن يحرص على الصلح خاصة بين المتخاصمين إذا لم يتبين له الحق، فقد كتب عمر إلى معاوية: احرص على الصلح بين الناس ما لم يستبن لك القضاء، أو كانت بينهم قرابة، فإن فصل القضاء يورث الشنآن[5].

---

(١) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص٧٢٦، سنن البيهقي (١٠/١٠٦).
(٢) المصدر نفسه ص٧٢٧ .
(٣) البخاري رقم ٢٦٤١، سنن البيهقي (١٠/ ١٢٥، ١٥٠).
(٤) تاريخ المدينة (٢/ ٧٦٩) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص٧٢٧.
(٥) إعلام الموقعين (١/ ١٠٨).

١٢- العودة إلى الحق: إذا أصدر القاضي حكمًا في قضية من القضايا ثم تغير اجتهاده في الحكم فيها، فلا يجوز له أن يجعل للاجتهاد الجديد أثرًا رجعيًا، فينقض به الحكم الذي أصدره قبل تغير اجتهاده، كما لا يجوز لقاضٍ بعده أن ينقض الحكم الصادر، فعن سالم بن أبي الجعد قال: لو كان علي طاعنًا على عمر يومًا من الدهر لطعن عليه يوم أتاه أهل نجران، وكان علي كتب الكتاب بين أهل نجران وبين النبي ﷺ، فكثروا على عهد عمر حتى خافهم على الناس، فوقع بينهم الاختلاف، فأتوا عمر فسألوه البدل، فأبدلهم، ثم ندموا، ووقع بينهم شيء فأتوه فاستقالوه، فأبى أن يقيلهم، فلما ولي عليّ أتوه فقالوا: يا أمير المؤمنين شفاعتك بلسانك وخطك بيمينك، فقال علي: ويحكم إن عمر كان رشيد الأمر[١]، فعمر رضي الله عنه رفض نقض القضاء الأول الذي قضاه فيهم، ورفض علي - من بعد عمر - نقض القضاء الذي قضاه عمر فيهم[٢]، وقد حدث كثير من التغير في اجتهاد عمر في قضايا كثيرة، منها الحكم في الجد مع الإخوة، واشتراك الإخوة لأب وأم مع الإخوة لأم في الثلث عندما لم يبق للإخوة لأب وأم من الميراث شيء، ولم ينقل أنه عاد إلى قضائه الأول فنقضه، ولكنه يعمل باجتهاده الجديد في القضايا المستقبلة، ولا يمنعه حكمه القديم من اتباع الحق إذا لاح له، فقد كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: ولا يمنعك قضاء قضيت به اليوم فراجعت فيه رأيك وهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم، ولا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل[٣]، وبناء على ذلك فقد قضى عمر بن الخطاب في الجد بقضايا مختلفة، وقضى في امرأة توفيت وتركت زوجها وأمها وأخويها لأبيها وأخويها لأمها، فأشرك عمر بين الإخوة للأم والأب والإخوة لأم في الثلث فقال له رجل: إنك لم تشرك بينهم عام كذا وكذا. قال عمر: تلك على ما قضينا يومئذ وهذه على ما قضينا اليوم[٤].

١٣- تقرير البراءة للمتهم حتى تثبت إدانته: فعن عبد الله بن عامر قال:

---

(١) سنن البيهقي (١٠/ ١٢٠) موسوعة فقه عمر ص٧٢٨.

(٢) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص٧٢٨.

(٣) إعلام الموقعين (١/ ٨٥).

(٤) إعلام الموقعين (١/ ١١١) موسوعة فقه عمر ص٧٢٩.

انطلقت في ركب حتى إذا جئنا ذا المروة سُرقت عيبة لي، ومعنا رجل منهم، فقال له أصحابي: يا فلان اردد عليه عيبته، فقال: ما أخذتها، فرجعت إلى عمر بن الخطاب فأخبرته. فقال: من أنتم؟ فعددتهم، فقال: أظنه صاحبها - للذي اتُّهم - فقلت: لو أردت يا أمير المؤمنين أتي به مصفودًا، قال عمر: أتأتي به مصفودًا بغير بينة[١].

١٤- لا اجتهاد في مورد النص: قال عمر: ثم الفهم الفهم فيما أدلي إليك مما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنة، ثم قايس الأمور[٢]، هذا أهم ما يجب على القاضي أن يلتزم به.

١٥- إخضاع القضاة أنفسهم لأحكام القضاة.

كان عمر رضي الله عنه أول من يخضع للقضاء وهو في ذروة الخلافة خضوعًا يزينه الرضى القلبي بالحكم، ويتوجه بالإعجاب الواضح إذا ما أصاب، والثناء الصادق على القاضي حتى ولو صدر الحكم ضده[٣]، وهذا مثال على ذلك، فقد ساوم عمر أعرابيًّا على فرس، فركبه ليجربه، فعطب الفرس، فقال عمر: خذ فرسك. قال الرجل: لا. قال عمر: فاجعل بيني وبينك حكمًا، قال الرجل: شريح. فتحاكما إليه، فلما سمع قال: يا أمير المؤمنين خذ ما اشتريت، أو رد كما أخذت. فقال عمر: وهل القضاء إلا هكذا؟ فبعثه إلى الكوفة قاضيًا[٤].

رابعاً: مصادر الأحكام القضائية:

اعتمد القضاة في العهد الراشدي على المصادر نفسها التي اعتمدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضاته، وهي الكتاب والسنة والاجتهاد ولكن ظهر في العهد الراشدي أمران:

- تطور معنى الاجتهاد والعمل به، وما نتج عنه من مقدمات ووسائل وغايات، فظهرت المشاورة والشورى، والإجماع، والرأي والقياس.

---

(١) موسوعة فقه عمر ص٧٢٩، المحلى (١١/ ١٣٢).

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٨٥)، مجلة البحوث العلمية (٧/ ٢٨٧).

(٣) شهيد المحراب ص٢١١.

(٤) عصر الخلافة الراشدة ص١٤٧، شهيد المحراب ص٢١١.

- ظهور مصادر جديدة لم تكن في العهد النبوي، وهي السوابق القضائية التي صدرت عن الصحابة من عهد خليفة إلى خليفة آخر، فصارت مصادر القضاء في العهد الراشدي هي؛ الكتاب، والسنة، والاجتهاد والإجماع، والقياس، والسوابق القضائية ويظلل ذلك كله الشورى والمشاورة في المسائل والقضايا والأحكام وقد وردت نصوص كثيرة، وروايات عديدة تؤكد هذه المصادر السابقة ونقتطف جانبًا منها[1]:

١- قال الشعبي عن شريح: قال لي عمر: اقض بما استبان لك من كتاب الله، فإن لم تعلم كل كتاب الله، فاقض بما استبان لك من قضاء رسول الله ﷺ، فإن لم تعلم كل أقضية رسول الله فاقض بما استبان لك من أئمة المهتدين، فإن لم تعلم كل ما قضى به أئمة المهتدين، فاجتهد رأيك، واستشر أهل العلم والصلاح[2].

٢- وعن ابن شهاب الزهري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال، وهو على المنبر، يأيها الناس، إنّ الرأي إنما كان من رسول الله ﷺ مصيبًا، إن الله كان يُريه، وإنما هو منا الظن والتكلف[3]، وروي عنه أنه قال: هذا رأي عمر فإن يكن صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأ فمن عمر[4].

٣- قال ابن القيم: فلما استخلف عمر قال: إني لأستحي من الله أن أردّ شيئًا قاله أبو بكر[5]، وأكد ذلك عمر أيضًا في كتاب آخر إلى شريح قال فيه: أن اقض بما في كتاب الله، فإن لم يكن في كتاب الله فبسنة رسول الله، فإن لم يكن في سنة رسول الله فاقض بما قضى به الصالحون[6].

٤- وأما الإجماع: فإن لم يجد القاضي نصًّا في القرآن والسنة، رجع إلى العلماء واستشار الصحابة والفقهاء، وعرض عليهم المسألة، وبحثوا فيها، واجتهدوا، فإن وصل اجتهادهم إلى رأي واحد، فهو الإجماع، وهو اتفاق مجتهدي عصر من

(١) تاريخ القضاء في الإسلام، د. محمد الزحيلي ص١١٨.
(٢) إعلام الموقعين (١/ ٢٢٤)، تاريخ القضاء في الإسلام ص١١٩ .
(٣) تاريخ القضاء في الإسلام ص١٢٠ ، إعلام الموقعين (١/ ٥٧).
(٤) إعلام الموقعين (١/ ٥٨) ، تاريخ القضاء في الإسلام ص١٢٠ .
(٥) إعلام الموقعين (١/ ٢٢٤).
(٦) تاريخ القضاء في الإسلام ص١٢٠ .

أمة محمد ﷺ على أمر شرعي، وهو المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامي باتفاق العلماء وظهر لأول مرة في العهد الراشدي، ووردت فيه نصوص كثيرة، وبحوث طويلة في كتب الفقه، وأصول الفقه، وتاريخ التشريع، ولكن القضايا والمسائل التي حصل فيها الإجماع قليلة، وإن إمكانيته محصورة في المدينة المنورة عاصمة الخلافة، ومجمع الصحابة والعلماء والفقهاء، وهذا يندر في الأمصار الأخرى[1]، فمن ذلك ما روي أن ابن عباس قال لعثمان رضي الله عنه: الأخوان في لسان قومك ليسا إخوة، فلم تحجب بهما الأم؟؟ من الثلث إلى السدس في قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ**﴾ (النساء، آية: ١١) فقال: لا أستطيع أن أنقض ما كان قبلي ومضى في البلدان وتوارث به الناس، وهذا معناه أنه إجماع تم قبل مخالفة ابن عباس، ولا يعتد بمخالفته، والإجماع يتضمن ثلاثة عناصر رئيسة: المشاورة، والاجتهاد، والاتفاق فإن فقد عنصر منها لجأ القاضي إلى المصدر التالي.

٥- السوابق القضائية: التي قضى بها السابقون من الخلفاء والصالحين وكبار الصحابة رضي الله عنهم، وهذا ما عبر عنه صراحة عمر رضي الله عنه في سوابق أبي بكر، وما أمر به قضاته وولاته كما سبق[2]، وهذا ما بينه صراحة ابن القيم تحت عنوان (رأي الصحابة خير من رأينا لأنفسنا) وقال: وحقيق بمن كانت آراؤهم بهذه المنزلة أن يكون رأيهم لنا خيرًا من رأينا لأنفسنا وكيف لا؟ وهو الرأي الصادر من قلوب ممتلئة نورًا وإيمانًا، وعلمًا، ومعرفة وفهمًا عن الله ورسوله، ونصيحة للأمة، وقلوبهم على قلب نبيهم، ولا واسطة بينهم وبينه، وهم ينقلون العلم والإيمان من مشكاة النبوة غضًّا طريًا، لم يَشُبه إشكال، ولم يشُبه خلاف، ولم تدنسه معارضة، فقياس رأي غيرهم بآرائهم من أفسد القياس[3].

٦- القياس: لكن السوابق القضائية قليلة أيضًا، فإن لم يجد القاضي نصًّا ولا إجماعًا، ولا سابقة قضائية اعتمد على الاجتهاد، كما جاء في حديث معاذ، ويأتي في أوليات الاجتهاد قياس مسألة لم يرد فيها نص بمسألة ورد فيها نص، وهو المصدر

---

(١) المصدر نفسه ص١٢٢ .
(٢) المصدر نفسه ص١٢٢ ، ١٢٣ .
(٣) إعلام الموقعين (١/ ٨٧) تاريخ القضاء في الإسلام ص١٢٣ .

الرابع للتشريع والفقه والأحكام، وهذا ما جاء في رسالة عمر ﷺ لأبي موسى الأشعري، قال: ثم قايس الأمور عند ذلك واعرف الأمثال، ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله، وأشبهها بالحق[١].

٨- الرأي: فإن لم يكن للمسألة والقضية أصل من النصوص لتقاس عليها، اعتمد القاضي على الاجتهاد بالرأي فيما هو أقرب إلى الحق والعدل والصواب وقواعد الشرع ومقاصد الشريعة وهو ما تكرر في النقول السابقة، في رسائل عمر لشريح وغيره[٢] وكانت المشاورة والشورى من أهم الوسائل التي يستعين بها القضاة، كما ورد في الروايات والكتب والرسائل السابقة، وهو ما أكده عمر ﷺ قولاً وفعلاً، لكثرة محبته للشورى مع فقهه، وقلما يقدم على أمر إلا بعد استشارة كبار الصحابة وفقهائهم[٣]، وعن الشعبي قال: كانت القضية ترفع إلى عمر ﷺ، فربما يتأمل في ذلك شهرًا، ويستشير أصحابه[٤].

خامسًا- الأدلة التي يعتمد عليها القاضي:

إن الأدلة التي يعتمد عليها القاضي في إصدار الحكم هي:

١- الإقرار، وتعتبر الكتابة نوعًا من الإقرار.

٢- الشهادة: وعلى القاضي أن يتحقق من صلاحية الشهود لأداء الشهادة، فإن لم يعرفهم هو، طلب منهم أن يأتوا بمن يعرفهم، فقد شهد رجل عند عمر بشهادة فقال له: لست أعرفك، ولا يضرك ألا أعرفك، إئت بمن يعرفك فقال رجل من القوم: أنا أعرفه، فقال: بأي شيء تعرفه؟ قال بالعدالة والفضل، قال: فهو جارك الأدنى الذي تعرف ليله ونهاره ومدخله ومخرجه؟ قال: لا، قال: فهل عاملك بالدينار والدرهم اللذين بهما يستدل بهما على الورع؟ قال: لا، قال: فرفيقك في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟ قال: لا، قال: لست تعرفه[٥]،

---

(١) تاريخ القضاء في الإسلام ص١٢٤ .

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٧٠) فما بعدها.

(٣،٤) تاريخ القضاء ص١٢٥ .

(٥) سنن البيهقي (١٠/ ١٢٥) موسوعة فقه عمر ص٧٣١ .

والشهادة مقدمة على اليمين سواء أأقامها صاحبها قبل أن يحلف خصمه اليمين أم بعد أن يحلف اليمين، فإذا استحلف المدعي المدعى عليه على دعواه، فحلفه القاضي على ذلك، ثم أتى المدعي بالبينة بعد ذلك على تلك الدعوى، قبلت بينته، وردت اليمين، قال عمر: اليمين الفاجرة أحق أن ترد من البينة العادلة[١]، والمطالب بالشهادة هو المدعي، فقد كتب عمر إلى أبي موسى فيما كتب: البينة على المدعي، واليمين على من أنكر[٢]، فإن لم يتوفر عند المدعي إلا شاهد واحد اعتبر بشهادته وحلف معها المدعي اليمين، فقد كان عمر يقضي في المال باليمين مع الشاهد الواحد[٣].

٣- اليمين: ولا يلجأ القاضي إلى تحليف اليمين إلا عند عجز المدعي عن إقامة البينة ومطالبة المدعي باليمين، فإن حلف قضى بيمينه وقد قضى عمر على وادعة بالقسامة فحلفوا، فأبرأهم من الدم، وقد تحاكم عمر وأبي بن كعب إلى زيد بن ثابت في نخل ادّعاه أبيّ، فتوجهت اليمين على عمر فقال زيد: اعف أمير المؤمنين، قال عمر: ولم يعف أمير المؤمنين؟ إن عرفت شيئًا استحققته بيميني، وإلا تركته، والذي لا إله إلا هو إن النخل لنخلي وما لأبيّ فيه حق فلما خرجا وهب النخل لأبيّ، فقيل له: يا أمير المؤمنين هلا كان هذا قبل اليمين؟ فقال: خفت ألا أحلف فلا يحلف الناس على حقوقهم بعدي فتكون سنة[٤]، ولا يجوز لمن استحقت عليه اليمين أن يمتنع عنها ورعًا، وقد رأينا فيما تقدم كيف أن عمر حلف فلما استحق الحق تنازل عنه.

وكان عمر ﷺ يغلظ الأيمان على بعض المتخاصمين بتحليفهم إياها في مكان يوقع الرهبة في نفوسهم فلا يجرأون على الكذب فيها، فقد حلّف جماعة مرة في الحجر، واستحلف آخر بين الركن والمقام[٥].

٤- القيافة في قضايا إثبات النسب: وهي من القرائن القوية التي يُحكم

---

(١) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص٧٣١.
(٢) سنن البيهقي (١٠/ ١٥٣، ١٥٠).
(٣) المغني (٩/ ١٥١) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص٧٣٢.
(٤) تاريخ المدينة المنورة (٢/ ٧٥٥) موسوعة فقه عمر ص٧٣٢.
(٥) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص٧٣٣.

بمقتضاها، دلّ على ذلك سنة رسول الله ﷺ وعمل الخلفاء الراشدين والصحابة، وقد أثبت الحكم بالقيافة عمر بن الخطاب، وابن عباس وغيرهم[(١)].

٥- القرائن: والقرائن باب واسع يتفنن القضاة في استنباطها، ويعتبر من القرائن القوية قرينة الحبل للمرأة التي لم يسبق لها زواج فهو يعتبر دليلاً على الزنا، ومثله الولادة لمدة أقل من مدة الحمل، ومنها وجود ميتين أحدهما فوق الآخر، فإن هذا الوضع قرينة قوية على أن الذي مات أولاً هو الأسفل، وأن الذي مات آخرًا هو الأعلى، ولذلك فقد كان عمر في طاعون عمواس إن كانت يد أحد الميتين أو رجله على الآخر ورّث الأعلى من الأسفل ولم يورث الأسفل من الأعلى، ومن القرائن القوية على شرب الخمر وجودها في القيء، وقد أقام عمر حد الشرب على من وجدها في قيئه[(٢)].

٦- علم القاضي: لا يعتبر علم القاضي في الحدود دليلاً يخوّل له إصدارَ الحكمِ على المتهم، فقد كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري ألا يأخذ الإمامُ بعلمه ولا ظنه ولا بشبهته[(٣)]، وقال لعبد الرحمن بن عوف أرأيتَ لو رأيتُ رجلاً قتل أو سرق أو زنى، قال: أرى شهادتك شهادة رجل من المسلمين قال عمر: أصبت[(٤)]، وأما في غير الحدود؛ فقد اختلفت الرواية عن عمر في اعتبار علم القاضي حجة تخول القاضي الاعتماد عليها في الحكم إن لم يتوفر من الأدلة غيرها[(٥)] هذا وقد كان عمر رضي الله عنه حريصًا على عدم تشجيع الناس على الاعتراف بخطاياهم، بل يريد لهم الستر والتوبة فيما بينهم وبين الله تعالى، فلما خطب شرحبيل بن السمط الكندي وكان يتولى مسلحة[(٦)] دون المدائن، فقال: أيها الناس، إنكم في أرض الشراب فيها فاشٍ، والنساء فيها كثير، فمن أصاب منكم حدًّا، فليأتنا فلنقم عليه الحد، فإنه طهوره، فبلغ ذلك عمر فكتب إليه: « لا أحل لك أن تأمر الناس أن يهتكوا ستر الله الذي

---

(١) النظام القضائي. مناع القطان ص٨١،٨٢ .

(٢) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص٧٣٥ .

(٣) المصدر نفسه ص٧٣٥ ، مصنف عبد الرزاق (٨/ ٣٤٢).

(٤) سنن البيهقي (١٠/ ١٤٤)، موسوعة فقه عمر ص٧٣٥).

(٥) موسوعة فقه عمر ص٧٣٥ .

(٦) مقاتلون يراقبون العدو في الثغر الذي يسكنونه لئلا يباغتهم.

سترهم »[١]، ولكن إذا رفع الناس الأمر إلى القضاء، فـإن الدولة كانت تقيم الحدود دون هوادة[٢]، وكان ﷺ عندمـا يريد أن يحكم بين خصـمين يدعو بهـذا الدعاء: اللهم إن كنت تعلم أني أبالي إذا قعد الخصمان على من كان الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلني طرفة عين[٣].

سادساً: من أحكام الفاروق وعقوباته في بعض الجرائم والجنايات:

١- تزوير الخاتم الرسمي للدولة:

حدث في عهـد الفاروق ﷺ أمر خطير لم يحـدث من قبل، ذلك أن معن بن زائدة استطاع أن يزور خاتم الـدولة بنقشه مثله وأخذ به مـالاً من بيت مال المسلمين ورفع أمره إلى عمر ﷺ، فضربه عمر مائة وحـبسه، فكلم فيه فضربه مائة أخرى، فكلم فيه من بعد فضربه مائة ونفاه[٤].

٢- رجل سرق من بيت المال بالكوفة:

لم يقطع عمر من سرق من بيت المال، فقد سأل ابن مسعود عمر عمن سرق من بيت المال فقال: أرسله فما من أحد إلا وله في هذا المال حق[٥]، وجلده تعزيراً[٦].

٣- السرقة في عام الرمادة:

سرق غلمـان حاطب بن أبي بلتـعة في عام الرمـادة ناقة لرجل مـزني فنحروها وأكلوها ورفع الأمر إلى الفـاروق، فطلب الغلمان فاعـترفوا أنهم سرقـوها من حرز والذين سرقـوا عقلاء مكـلفون ولم يدعوا ضـرورة ملجئة للـسرقة، فـأمر كثـير بن الصلت أن يقطع أيديهم - ولكنه - وهو يعيش عام الرمادة ويرى حال الناس التمس لهم عذرًا فقال لمولاهم: إني أراك تجيعهم؟ واكتفى بذلك وأوقف القطع وأمر للمزني بثمن ناقته مضاعفة[٧] (٨٠٠ درهم)، فقد درأ الحد عنهم للضرورة[٨].

---

(١) القضاء في خلافة عمر، ناصر الطريفي (٢/ ٨٦٢).
(٢) عصر الخلافة الراشدة ص١٤٦ .
(٣) الحلية (٦/ ١٤٠) ، الطبقات (٣/ ٢٩٠) إسناده صحيح.
(٤) أوليات الفاروق ص٤٥٣ .
(٥) المغني (١٢/ ٣٨٦) في الإرواء (٢٤٢٢) إسناده ضعيف.
(٦) عصر الخلافة الراشدة ص١٤٨ .
(٧) المنتقى شرح الموطأ للباجي (٦/ ٦٣).
(٨) عصر الخلافة الراشدة ص١٤٨ .

٤- مجنونة زنت:

أتي عمر بمجنونة قـد زنت، فاستشار الناس فـأمر بها عمر أن ترجم، فـمر بها علي بن أبي طالب فقال: ارجـعوا بها، ثم أتاه فقال: أمـا علمت أن القلم قد رفع، فذكر الحـديث وفي آخره قال: بلى. قال: فمـا بال هذه ترجم؟ فأرسلها[١]، وجعل عمر يكبر[٢].

٥- ذمي استكره مسلمة على الزنا:

حدث ذلك في خلافة عمر ﷺ، فصلبه؛ لأنه خالف شروط العهد[٣].

٦- إكراه نساء على الزنا:

أتي عمـر بإماء من إماء الإمـارة استكرههنّ غلمـان من غلمان الإمارة فـضرب الغلمان ولم يضـرب الإماء[٤]، وأتي عمـر بامرأة زنت فقالـت: إني كنت نائمة فلم أستيقظ إلا برجل قد جثم علي فـخلى سبيلها ولم يضربها[٥]، فهذه شبهة والحدود تدرأ بالشبهات ولا فـرق بين الإكراه بالإلجاء وهو أن يغلبها على نفـسها وبين الإكراه بالتهديد بالقتل، فقـد حدث في عهد عمر: أن امرأة استسقت راعيًـا فأبى أن يسقيها إلا أن تمكنه من نفسها فـفعلت فرفع ذلك إلى عمر فقال لعلي: ما تـرى فيها؟ قال: إنها مضطرة فأعطاها عمر شيئًا وتركها.

٧- حكم من جهل تحريم الزنا:

عن سعيد بن المسيب: أن عاملاً لعمـر بن الخطاب كتب إلى عمر يخبره: أن رجلاً اعتـرف عنده بالزنى؟ فكتب إليه عـمر، أن سله: هل كـان يعلم أنه حرام، فـإن قال: نعم، فأقم عليه الحد، وإن قال: لا، فأعلمه أنه حرام، فإن عاد فاحدده[٦].

---

(١) الخلافة الراشدة د. يحيى اليحيى ص٣٥١، عصر الخلافة الراشدة ص١٤٨.
(٢) عصر الخلافة ص١٤٨.
(٣) الموطأ (٢/ ٨٢٧)، المغني (١٢/ ٢١٧)، البخاري رقم ٢٥٤٨.
(٤) السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ٣٥)، المغني (١٢/ ٢١٧).
(٥) السنن الكبرى (٨/ ٢٣٦)، المغني (١٢/ ٢١٨).
(٦) المحلى (١٢/ ١٠٧) رقم ٢١٩٨.

٨- تزوجت في عدتها وهي وزوجها لا يعلمان التحريم:

تزوجت امرأة في عدتها فرفع ذلك إلى عمر بن الخطاب فضربها دون الحد وفرق بينهما[١]، وجلد الزوج تعزيراً[٢].

٩- امرأة تزوجت ولها زوج كتمته:

رجمها عمر، وجلد الزوج مائة سوط، ولم يُرْجم للجهالة[٣].

١٠- اتهام المغيرة بن شعبة بالزنا:

فشهد عليه ثلاثة وتراجع الرابع فقال عمر: الحمد لله الذي لم يشمت الشيطان بأصحاب محمد ﷺ[٤]، وأقام حد القذف على الشهود الثلاثة لأن الشهادة لم تكتمل بالثلاثة[٥].

١١- حكم من تسرت بغلامها:

تزوجت امرأة عبدها، فقيل لها، فقالت: أليس الله يقول: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ فهذا ملك يمين ورفع الأمر إلى عمر رضي الله عنه فقال لها: لا يحل لك ملك يمينك[٦] وفي رواية وفرق بينهما وجلدها مئة تعزيرًا لا حدًّا، وقد أسقط عمر عنها الحد لجهلها بالتحريم[٧].

١٢- امرأة اتهمت زوجها بجاريتها:

اتهمت امرأة زوجها بجاريتها ثم اعترفت بأنها وهبتها له، فحكم عمر رضي الله عنه؛ بإقامة حد القذف على المرأة ثمانين جلدة[٨].

١٣- إقامة حد القذف بالتعريض:

حدث في عهد الفاروق أن عرّض أحد الأشخاص بآخر فقال له: ما أبي بزان

(١) المحلى (١٢/ ١٩٢) رقم ٢٢١٥ .
(٢، ٣) عصر الخلافة الراشدة ص١٤٩ .
(٤) المغني (١٢/ ٢٤٥).
(٥) عصر الخلافة الراشدة ص١٤٩ .
(٦) المحلى (١٢/ ١٩٤) رقم ٢٢١٦ .
(٧) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص٢٠٣ .
(٨) عصر الخلافة الراشدة ص١٥٠ .

ولا أمي بزانية، فاستشار عمر في ذلك فقال قائل: مدح أباه وأمه، وقال آخرون: كان لأبيه وأمه مكان غير هذا، نرى أن تجلده الحد فجلده عمر الحد ثمانين جلدة[(١)]، فعمر رضي الله عنه قد جلد الحد بالتعريض لأن القرينة كانت واضحة، فقد كان الرجل يعرّض بصاحبه لأن الحال تبين ذلك فهو ما قال إلا بعد سب ومخاصمة، وفعل عمر رضي الله عنه يعتبر سياسة أراد بها تأديب السفهاء وحفظ أعراض الأبرياء وهي سياسة حكيمة لا تخالف نصًّا من كتاب ولا سنة، بل إنها عمل بروح الشريعة الغرّاء[(٢)].

١٤- إهدار دم اليهودي المعتدي على العرض:

كان شابان صالحان متآخيان في عهد عمر رضي الله عنه، فأغزى أحدهما فأوصى أخاه بأهله، فانطلق ذات ليلة إلى أهل أخيه يتعهدهم فإذا سراج في البيت يزهر، وإذا يهودي في البيت مع أهل أخيه وهو يقول:

وأشعثَ غره الإسلام مني ... خلوت بعرسه ليل التمام[(٣)]

أبيت على ترائبها ويمسي ... على جرداء لاحقه الحزام[(٤)]

كأن مجامع الربلات[(٥)] منها ... فئام ينهضون إلى فئام[(٦)]

فرجع الشاب إلى أهله فاشتمل على السيف حتى دخل على أهل أخيه، فقتل اليهودي ثم جرده فألقاه في الطريق، فأصبح اليهود وصاحبهم قتيل لا يدرون من قتله، فأتوا عمر بن الخطاب، فدخلوا عليه، وذكروا ذلك له، فنادى عمر في الناس الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أنشد الله رجلاً علم من هذا القتيل علمًا إلا أخبرني به فقام الشاب، فأنشد عمر الشعر وأخبره فقال عمر: لا يقطع الله يديك، وأهدر دمه[(٧)].

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ٢٥٢).
(٢) أوليات الفاروق ص٤٣٩، ٤٤٠.
(٣) الربلات: جمع ربلة وهي باطن الفخذ وما حول الضرع.
(٤) ليل التمام: الليل الطويل.
(٥) الحزام: ضيقة غليظة.
(٦) الفئام: هي الجماعات من الناس.
(٧) أوليّات الفاروق ص٤١٤ .

١٥- قتيل الله لا يودى أبداً:

روى عبد الرزاق في مصنفه والبيهقي في سننه: أن رجلاً استضاف ناسًا من هذيل، فأرسلوا جارية تحتطب لهم، فأعجبت المضيف فتبعها، فأرادها على نفسها، فامتنعت، فعاركها ساعة، فانفلتت منه انفلاتة، فرمته بحجر، ففضت كبده فمات، ثم جاءت إلى أهلها فأخبرتهم، فذهب أهلها إلى عمر فأخبروه، فأرسل عمر، فوجد آثارهما فقال: قتيل الله لا يودى أبدًا فهو ﷺ قد أهدر دم ذلك المعتدي فلا قصاص ولا دية ولا كفارة.

١٦- لو اشترك فيه أهل صنعاء لقتلتهم:

عن ابن عمر ﷺ: أن غلامًا قتل غيلة فقال عمر: لو اشترك فيه أهل صنعاء لقتلتهم وفي رواية: إن أربعة قتلوا صبيًّا فقال عمر: لو اشترك فيه أهل صنعاء لقتلتهم[١]، وهذا الحكم لم يوجد فيه نص من كتاب ولا سنة ولم يوجد أثر عن الصديق أنه قضى بمثله، وإنما بنى حكمه على فهمه لمقاصد الشريعة والتي جاءت لحفظ أمن المجتمع واستقراره، إذ إن الدماء ليست أمرًا هينًا، ولذلك يقتضي العدل، ومصلحة الأمة، ومقاصد الشريعة القصاص إذا ثبت أن الجميع تواطئوا على قتله وهذا ما ذهب إليه جمهور العلماء من الأئمة الأربعة وسعيد بن المسيب والحسن وأبي سلمة وعطاء وقتادة والثوري، والأوزاعي وغيرهم[٢]، وهذا الرأي هو الأرجح والأولى بالاتباع وذلك لقوة الدليل في فعل عمر وإجماع الصحابة ولما فيه من حكمة في ردع وزجر الناس وحفظ النفوس في المجتمع[٣].

١٧- عقوبة الساحر القتل:

كتب عمر ﷺ إلى عماله أن اقتلوا كل ساحر وساحرة[٤]، ونفذ ذلك وكان إجماعًا من الصحابة[٥].

---

(١) البخاري، ك الديات رقم ٦٨٩٦ .
(٢) المغني لابن قدامة (١١/ ٣٨٧).
(٣) انظر: أوليات الفاروق السياسية ص٤٠٩ .
(٤) أوليات الفاروق السياسية ص٤٤٧ .
(٥) المرجع نفسه ص٤٤٧ .

١٨- من قتل ولده متعمداً؟ وما حكم المسلم الذي يقتل ذميًا؟

حكم عمر رضي الله عنه في من قتل ولده بدفع الدية[١]، وأما المسلم الذي يقتل ذميًا فحكمه القتل قصاصًا وهذا حدث في عهد عمر حيث قتل مسلم ذميًّا بالشام، فقتل قصاصًا[٢].

١٩- الجمع بين الدية والقسامة:

القسامة: هي الأيمان المكررة في دعوى القتل من أولياء القتيل أو المدعى عليهم[٣]، وقد أخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة والبيهقي عن الشعبي: أن قتيلاً وجد بين وادعة وشاكر[٤]، فأمرهم عمر بن الخطاب أن يقيسوا ما بينهما فوجدوه إلى وادعة أقرب فأحلفهم خمسين يمينًا، كل رجل: ما قتلته ولا علمت قاتله، ثم أغرمهم الدية، فقالوا: يا أمير المؤمنين لا أيماننا دفعت عن أموالنا ولا أموالنا دفعت عن أيماننا فقال عمر: كذلك الحق[٥].

٢٠- اللهم لم أشهد ولم آمر، ولم أرضَ ولم أسر إذ بلغني:

لما أُتي عمر بفتح (تستر) قال: هل كان شيء؟ قالوا: نعم، رجل ارتد عن الإسلام. قال: فما صنعتم به ؟ قالوا: قتلناه. قال: فهلا أدخلتموه بيتًا وأغلقتم عليه وأطعمتموه كل يوم رغيفًا فاستتبتموه فإن تاب وإلا قتلتموه، ثم قال: اللهم لم أشهد، ولم آمر، ولم أرضَ، ولم أُسر إذ بلغني[٦].

٢١- جعل حد الخمر ثمانين جلدة:

لما تولى الفاروق الخلافة وكثرت الفتوحات الإسلامية وتحسنت أحوال الناس، وتباعدت الديار ودخل كثير من الناس الإسلام ولم يأخذوا التربية الإسلامية الكافية والتفقه في الدين كمن سبقهم من المسلمين، كَثُرَ في الناس شرب الخمر وكانت مشكلة أمام عمر، فجمع كبار الصحابة وشاورهم في الأمر، فاتفقوا على أن يبلغ

---

(١) عصر الخلافة الراشدة ص١٥٣، المغني (١١، ٤٠٥).
(٢) عصر الخلافة الراشدة ص١٥٣.
(٣) أوليات الفاروق ص٢٦٤ .
(٤) أوليات الفاروق ص٢٦٦، قبيلتان باليمن.
(٥) السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ١٢٣ - ١٢٤) أوليات الفاروق ص٤٦٦.
(٦) محض الصواب (١/ ٣٧٢).

هذا الحد ثمانين وهو أدنى الحدود، فعمل به ولم يخالفه أحد من الصحابة في عهده[١]، فقد ذكر ابن القيم: أن خالد بن الوليد بعث وبرة الصليتي من الشام إلى عمر قال فأتيته وعنده طلحة والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف متكئون في المسجد فقلت له: إن خالد بن الوليد يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن الناس قد انبسطوا في الخمر وتحاقروا العقوبة فما ترى؟ فقال عمر: هم هؤلاء عندك. قال: فقال عليّ: أراه إذا سكر هذى وإذا هذى افترى وعلى المفتري ثمانون فأجمعوا على ذلك فقال عمر: بلغ صاحبك ما قالوا، فضرب خالد ثمانين وضرب عمر ثمانين[٢].

٢٢- إحراق حانوت الخمر:

عن يحيى بن سعيد بن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر ﵄ قال: وجد عمر في بيت رجل من ثقيف شرابًا فأمر به فَأُهْرِقَ، وكان يقال له رويشد فقال: أنت فويسق[٣]، وقال ابن الجوزي: وأحرق يعني عمر بيت رويشد الثقفي، وكان حانوتًا يعني نباذًا[٤]، وقال ابن القيم: وحرق عمر بن الخطاب ﵁ حانوت الخمر بما فيه، وحرق قرية تباع فيها الخمر[٥].

٢٣- أنكحها نكاح العفيفة المسلمة:

أتى عمر ﵁ رجل فقال: إن ابنة لي كنت وأدتها في الجاهلية فاستخرجناها قبل أن تموت، فأدركت معنى الإسلام فأسلمت، ثم أصابها حد من حدود الله، فأخذت الشَّفرة لتذبح نفسها، وأدركناها وقد قطعت بعض أوداجها[٦]، فداويتها حتى برأت، ثم أقبلت بعد توبة حسنة، وهي تخطب إلى قوم، فأخبرهم بالذي كان؟ فقال عمر: ﵁: أتعمد إلى ما ستره الله فتبديه، والله لئن أخبرت بشأنها أحدًا لأجعلنك نكالاً لأهل الأمصار، أنكحها نكاح العفيفة المسلمة[٧].

(١، ٢) إعلام الموقعين (١/ ٢١١). (٣) الأموال لأبي عبيد ص١٢٥، رقم ٢٦٧، أوّليات الفاروق ص٤٣٥.

(٤) نباذاً: صانع النبيذ. (٥) الطرق الحكيمة: ص١٥، ١٦.

(٦) الودج: عرق في العنق.

(٧) محض الصواب (٢/ ٧٠٩) إسناده صحيح إلى الشعبي ولكنه منقطع بين الشعبي وعمر .

٢٤- من طلق زوجته يمنعها من الميراث:

عن سالم عن أبيه أن غيلان الثقفي أسلم وتحته عشر نسوة فقال النبي ﷺ اختر منهن أربعًا، فلما كان في عهد عمر رضي الله عنه طلق نساءه وقسم ماله بين بنيه، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأرسل إليه عمر فقدم عليه، فقال له: إني أظهر أن الشيطان فيما يسترق السمع سمع بموتك فقذف في قلبك أنك تموت، فحملك مبادرة ذلك على ما صنعت، وإني والله لأظنك لا تلبث بعد أن تقوم عن حضري هذا حتى تموت، وايم الله لئن مت قبل أن تراجع نساءك وترجع مالك لأورثن نساءك من مالك، ثم لأرجمن قبرك حتى أجعل عليه مثل ما على قبر أبي رغال، فراجع نساءه - ولم يكن بت طلاقهن - وارتجع ماله الذي قسم بين بنيه، ثم ما لبث أن مات[1].

٢٥- أقل مدة الحمل وأكثره:

رفعت إلى عمر امرأة ولدت لستة أشهر، فأراد عمر أن يرجمها، فجاءت أختها إلى عليّ فقالت: إن عمر همّ برجم أختي، فأنشدك الله إن كنت تعلم لها عذرًا لما أخبرتني به، فقال علي: إن لها عذرًا، فكبرت تكبيرة سمعها عمر ومن عنده، فانطلقت إلى عمر فقالت: إن عليًّا زعم أن لأختي عذرًا، فأرسل عمر إلى علي: ما عذرها؟ فقال إن الله يقول: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وقال: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] فالحمل ستة أشهر والفصال أربعة وعشرون شهرًا فخلى عمر سبيلها، وقد يبقى الحمل في بطن أمه أكثر من تسعة أشهر، فقد رفعت لعمر امرأة غاب عنها زوجها سنتين، فجاء وهي حبلى، فهم عمر برجمها فقال له معاذ بن جبل: يا أمير المؤمنين إن يك لك السبيل عليها، فليس لك السبيل على ما في بطنها، فتركها عمر حتى ولدت غلامًا قد نبتت ثناياه، فعرف زوجها شبهه به، قال عمر: عجز النساء أن يلدن مثل معاذ، لولا معاذ هلك عمر[2]، ويظهر أن عمر كان يرى أن أكثر مدة الحمل أربع سنوات؛ لأنه قضى في

---

(١) موسوعة فقه عمر ص٤٧ .

(٢) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص٣٧١.

امرأة المفقود أنها تتربص أربع سنين، ثم تعتد عدة الوفاة قال ابن قدامة حاكيًا مذهب عمر في ذلك: المفقود تتربص زوجته أربع سنين أكثر مدة الحمل، ثم تعتد للوفاة أربعة أشهر وعشرًا وتحل للأزواج(١).

سابعًا- فرض القيود على الملكية حتى لا يقع تعسّف في استعمالها:

ومن اجتهادات عمر التي سبق بها زمانه والتي تدل على تغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة وتفرض قيودًا على الملكية حتى لا يقع تعسف في استعمالها ما رواه مالك في الموطأ: عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه أن الضحاك بن خليفة ساق خليجًا له من العريض فأراد أن يمر به في أرض محمد بن مسلمة، فأبى محمد، فقال له الضحاك: لم تمنعني وهو لك منفعة تشرب به أولاً وآخرًا ولا يضرك، فأبى محمد، فكلم فيه الضحاك عمر بن الخطاب، فدعا عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة، فأمره أن يخلي سبيله، فقال محمد: لا، فقال عمر: لم تمنع أخاك ما ينفعه وهو لك نافع تسقي به أولاً وآخرًا وهو لا يضرك؟ فقال محمد لا والله، فقال عمر: والله ليمرن به ولو على بطنك، فأمره عمر أن يمر به، ففعلَ الضحاك(٢)، وكان هذا قياسًا من عمر على حديث أبي هريرة الذي قال فيه: إن النبي ﷺ قال: لا يمنع أحدكم جاره خشبة يغرزها في جداره» ثم قال أبو هريرة: ما لي أراكم عنها معرضين والله لأرمين بها بين أكتافكم(٣).

ويظهر لنا أن ما فعله عمر هو قياس أولى؛ لأن نهي النبي الجار أن يمنع جاره غرز خشبة في جداره، هذه العملية وإن كانت لا تضر الجار فإنها في ذات الوقت لا تنفع هذا الجار، في حين أن مرور الماء اجتمع فيه الأمران معًا، نفع الجار، وعدم إلحاق الضرر به، فهو قياس أولى، وإذا كان أحمد إبراهيم يرى أن عمر قضى في هذه النازلة بما يعرف اليوم بقواعد العدالة(٤)، فإن عبد السلام السليماني يرى أنها تدخل فيما يعرف اليوم في الفقه الغربي بنظرية التعسف في استعمال الحق هذه

---

(١) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص٣٧١.

(٢) راجع الموطأ وكتاب إسعاف المبطأ برجال الموطأ ص٦٣٨ - ٦٣٩ ، الموطأ (٢/ ٧٤٦)

(٣) سبل السلام شرح بلوغ المرام (٣/ ٦٠). (٤) علم أصول الفقه وتاريخ التشريع ص٣٩.

النظرية التي سبق إليها المسلمون الفقه الغربي بعدة قرون، وقد استمدت من حديث أبي هريرة سالف الذكر، الذي عممه عمر في كل ما يحتاج الجار إلى الانتفاع به من دار جاره وأرضه وذهب آخرون إلى أنه لا يجوز ذلك إلا بإذن جاره[١].

ويلاحظ على هذه النازلة عدة أمور وهي:

١- أن هذه النازلة تدخل في الاجتهاد القضائي لعمر؛ لأنه قضى فيها بناء على شكوى تقدم بها الضحاك إلى عمر بعد أن امتنع محمد بن مسلمة من الاستجابة لما طلب منه بصفة ودية، وبعد أن دعي هذا الأخير للحضور في مجلس عمر رضي الله عنه.

٢- أن عمر لم يحكم في هذه النازلة جزافًا بل إنه تثبت في الأمر واطلع على ملابسات القضية وتأكد من إصرار الخصم على موقفه الرافض لمرور الماء في أرضه، وهو موقف لا مبرر له، لأن مرور الماء لم يكن يشكل أي ضرر على المدعى عليه بل على العكس من ذلك كان سيعود عليه بالنفع المحض ويحقق المصلحة المشتركة للطرفين معًا، وما دام الأمر كذلك فإن الامتناع عنه يشكل حائلاً أمام تحقيق مصلحة عامة ويدخل في نطاق التعسف في استعمال الحق، ولم يكن عمر ليتهاون في تحقيق الصالح العام لكل أفراد الأمة.

٣- لاين سيدنا عمر محمد بن مسلمة، وهو يخاطبه مذكرًا إياه بأخوة الإسلام محاولاً إقناعه بالرجوع إلى جادة الصواب ولما قابل هذا اللين بالرفض البات المشفوع بالقسم، وهو موقف أبان عن تحد لأمر الخليفة وامتناع عن الانصياع لحكمه، فجاء رد فعل عمر عنيفًا وفي مستوى مسئوليته صونا لهيبة الخلافة التي لم يكن يستعملها إلا لتحقيق الصالح العام لجماعة المسلمين وصيانة الحقوق[٢].

ثامنًا- إمضاؤه الطلاق الثلاث بلفظ واحد:

عن ابن عباس قال: كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد استعجلوا

---

(١) الاجتهاد في الفقه الإسلامي ص١٤٠، ١٤١ .
(٢) الاجتهاد في الفقه الإسلامي ص١٤١، ١٤٢

في أمر قد كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم[١]، وعن أبي الصهباء قال لابن عباس: أتعلم أنّما كانت الثلاث تُجعلُ واحدة على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وثلاثًا من إمارة عمر؟ فقال ابن عباس نعم[٢].

في هذين الأثرين قضى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإيقاع الطلاق الثلاث ثلاثًا، على خلاف ما كان عليه في عهد رسول الله ﷺ وعهد أبي بكر الصديق، حيث كان الطلاق ثلاثًا بلفظ واحد أو مجلس واحد يوقع طلقة واحدة. ووجهة عمر في إيقاع هذه العقوبة والتعزير أن الناس أكثروا من إحداث طلاق الثلاث، فأراد أن يردهم إلى الطلاق السُّنِّي الذي شرعه الله، وهو إيقاع طلقة واحدة ثم يتركها حتى تنتهي عدتها، فإن كان له رغبة في عودة وشائج الزوجية راجعها قبل انتهاء العدة، وهكذا حتى تنتهي عدد الطلاق الثلاث[٣]، وهذا التصرف من عمر بن الخطاب اعتبره بعض الناس مخالفة للنصوص ومنهم الدكتور عطية مصطفى مشرفة حيث قال: وكان عمر جريئًا في العمل بالرأي ولو خالف ذلك بعض النصوص والقواعد التي كانت معروفة ومعمولاً بها من قبل، ليكون الحكم ملائمًا لأحوال المجتمع الإسلامي الجديد[٤]، وذكر من الأمثال التي ضربها إيقاع الطلاق بلفظ الثلاث ثلاثًا[٥] والحق أن عمر بهذا التصرف لم يخالف النصوص القطعية، وإنما اجتهد في فهم النصوص، إذ له سند منها:

١- روى مالك عن أشهب عن القاسم بن عبد الله أن يحيى بن سعيد حدّثه أن ابن شهاب حدثه، أن ابن المسيب حدَّثه، أن رجلاً من أسلم طلق امرأته على عهد رسول الله ﷺ ثلاث تطليقات، فقال له بعض الصحابة: إن لك عليها رجعة، فانطلقت امرأته حتى وقفت على رسول الله ﷺ فقالت: إن زوجي طَلَّقَني ثلاث تطليقات في كلمة واحدة فقال لها رسول الله ﷺ: قد بنت منه ولا ميراث بينكما[٦]. ففي هذا الحديث أمضى رسول الله ﷺ الطلاق الثلاث بكلمة واحدة ثلاثًا.

(١، ٢) مسلم، كتاب الطلاق رقم ١٤٧٢ .
(٣) القضاء في عهد عمر بن الخطاب د. ناصر الطريفي (٢/ ٧٣٣).
(٤) القضاء في الإسلام ص٩٨ .
(٥) المصدر نفسه ص٩٩ .
(٦) المدونة الكبرى، ك الطلاق، باب طلاق السنة (٢/ ٦٢) وهو مرسل، ولكن مراسيل سعيد بن المسيب كلها صحاح.

٢- روى النسائي بسنده: أن رسول الله ﷺ أخبر عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعًا فقام غضبان ثم قال: أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم حتى قام رجُلٌ وقال: يا رسول الله ألا أقتله[1]، ففي هذا الحديث غضب رسول الله ﷺ على من طلق امرأته ثلاثًا بلفظ واحد وأنكر عليه، مما يدل على وقوعها، إذ لو لم تقع الثلاث بلفظ واحد ثلاثًا لبيَّن ذلك رسول الله ﷺ ، لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة مع إمكانه غير جائز[2].

٣- وعن نافع بن عمير بن عبد يزيد بن ركانة، أن ركانة بن عبد يزيد طلق امرأته سُهيمة البتَّة، فأخبر النبي ﷺ بذلك وقال: والله ما أردت إلا واحدة، فقال رسول الله ﷺ : والله ما أردت إلا واحدة؟ فقال ركانة: والله ما أردت إلا واحدة فردها إليه رسول الله ﷺ فطلقها الثانية في زمان عمر، والثالثة في زمان عثمان[3].

ففي هذا الحديث لما طلق ركانة زوجته البتة، وادعى أنه لم يرد إلا طلقة واحدة، استحلفه الرسول ﷺ على أنه ما يريد إلا طلقة واحدة، فحلف فردها إليه، مما يدل على أنه لو قصد بطلاقه البتة الطلاق الثلاث لوقعن، وإلا فلم يكن لتحليفه معنى. وبعد سياق ما تقدم نجد أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه استند إلى دليل من سنة رسول الله ﷺ وأنه بإمضائه الثلاث بلفظ واحد ثلاثًا لم يكن بدعا من عند نفسه، كما أن كثيرًا من الصحابة رضي الله عنهم وافقه فيما ذهب إليه، كعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود ولهم أكثر من رواية، وعمران بن حصين؛ وعلى هذا فقضية إيقاع الطلاق ثلاثًا بكلمة واحدة، أو كلمات مثل أن يقول: أنت طالق ثلاثًا، أو أنت طالق وطالق أو أنت طالق

---

(١) سنن النسائي، ك الطلاق الثلاث المجموعة (٦/ ١٤٢) قال ابن حجر عن هذا الحديث: أخرجه النسائي ورجاله ثقات فتح الباري (٩/ ٣٦٢) وقال ابن القيم: وإسناده على شرط مسلم زاد المعاد (٥/ ٢٤١).

(٢) القضاء في عهد عمر بن الخطاب(٢/ ٧٣٦).

(٣) سنن أبي داود، ك الطلاق، باب في البتة (١/ ٥١١) قال أبو داود وهذا أصح من حديث جريج إن ركانة طلق امرأته ثلاثاً لأنهم أهل بيته وهم أعلم به. وقال النووي: وأما الرواية التي رواها المخالفون أن ركانة طلق ثلاثاً فجعلها واحدة فرواية ضعيفة عن قوم مجهولين وإنما الصحيح منها ما قدمناه أنه طلقها البتة ولفظ البتة محتمل للواحدة والثلاثة شرح النووي (١٠/ ٧١).

ثم طالق ثم طالق أو يقول: أنت طالق ثم ثلاثًا أو عشر طلقات، أو مائة طلقة، أو ألف طلقة، أو نحو ذلك من العبارات مسألة اجتهادية للحاكم بحسب ما يرى من المصلحة في الزمان والمكان أن يوقعها ثلاثًا أو طلقة واحدة رجعية[١]، وقال ابن القيم رحمه الله: لم يخالف عمر إجماع من تقدمه، بل رأى إلزامهم بالثلاث عقوبة لهم، لما علموا أنه حرام وتتابعوا فيه، ولا ريب أن هذا سائغ للأئمّة أن يلزموا الناس بما ضيقوا به على أنفسهم، ولم يقبلوا فيه رخصة الله -عز وجل- وتسهيله[٢].

تاسعًا - تحريم نكاح المتعة:

رويت عن عمر بن الخطاب ﷺ آثار في تحريم نكاح المتعة والتشديد في ذلك، واعتباره زنا يعاقب عليه بالرجم بالحجارة لمن أحصن. وقد ظن بعض الناس أن المحرِّم لنكاح المتعة هو عمر بن الخطاب دون رسول الله ﷺ، فعن أبي نضرة قال: كان ابن عباس يأمر بالمتعة، وكان ابن الزبير ينهى عنها، قال: فذكرت ذلك لجابر بن عبدالله فقال: على يدي دار الحديث تمتعنا مع رسول الله ﷺ، فلما قام عمر قال إن الله كان يحل لرسوله ما شاء الله بما شاء، وإن القرآن قد نزل منازله، فأتموا الحجّ والعمرة لله كما أمركم الله، وأبتُّوا نكاح هذه النِّساء فلن أُوتى برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته بالحجارة[٣]، فهذا الأثر يفيد أن المتعة كانت على عهد رسول الله ﷺ وأن الذي حرّمها عمر بن الخطاب والآثار التي تفيد أن المتعة كانت حلالاً في عهد رسول الله ﷺ ولم يحرمها وكذلك عهد أبي بكر وإنما الذي حرم المتعة بعد أن كانت حلالاً، هو أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب ذُكرت عند مسلم، ومصنف عبد الرزاق. وفي الحقيقة أن الذي حرّم المتعة هو رسول الله ﷺ وأن الذين نقل عنهم من الصحابة الذين كانوا يرون جواز نكاح المتعة، لم يبلغهم النهي القاطع عن رسول الله ﷺ، وكذلك من نسب تحريم المتعة إلى عمر بن الخطاب دون أن يكون له سند من النصوص الشرعية من المتأخرين، أمثال أبي هلال

---

(١) الفقهاء في عهد عمر بن الخطاب (٢/ ٧٣٦-٧٣٩).

(٢) زاد المعاد (٥/ ٢٧٠).

(٣) مسلم، كتاب الحج، رقم ١٢١٧.

العسكري[١]، ورفيق العظم[٢] فقد جهل أدلة ذلك من سنة رسول الله ﷺ والتي كانت سندًا للفاروق في تحريمه للمتعة وإليك بعض الأحاديث التي وردت عن رسول الله والتي تفيد أنه حرم نكاح المتعة والتي منها:

١- روى مسلم بسنده عن سلمة قال: رخص رسول الله ﷺ عام أوطاس[٣] في المتعة ثلاثًا، ثم نهى عنها[٤].

٢- وروى مسلم بسنده عن سبرة أنه قال: أذن لنا رسول الله ﷺ بالمتعة فانطلقت أنا ورجل إلى امرأة من بني عامر، كأنها بكرة عيطاء[٥]، فعرضنا عليها أنفسنا، فقالت: ما تعطي؟ فقلت ردائي وقال صاحبي ردائي، وكان رداء صاحبي أجود من ردائي، وكنت أشب منه[٦]، فإذا نظرت إلى رداء صاحبي أعجبها، وإذا نظرت إليَّ أعجبتها، ثم قالت: أنت ورداؤك يكفيني، فمكثت معها ثلاثًا ثم إن رسول الله ﷺ قال: من كان عنده شيء من هذه النساء التي يَتَمتَّعُ، فليُخل سبيلها[٧].

٣- وروى مسلم بسنده عن سبرة الجهني، أنه كان مع رسول الله ﷺ فقال: يأيها الناس إنِّي قد كنت أَذِنْتُ لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرّم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده شيء فليُخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا[٨].

٤- وروى مسلم بسنده عن علي بن أبي طالب أنه سمع ابن عباس يُلَيِّنُ في

---

(١) الأوائل (١/ ٢٣٨-٢٣٩).

(٢) أشهر مشاهير الإسلام (٢/ ٤٣٢)، القضاء في عهد عمر بن الخطاب (٢/ ٧٥٦).

(٣) أوطاس: وادٍ في الطائف ويوم أوطاس ويوم فتح مكة في عام واحد، وهو سنة ثمان من الهجرة شرح النووي لصحيح مسلم (٩/ ١٨٤).

(٤) مسلم، ك النكاح، باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ، ثم أبيح ثم نسخ، واستقر تحريمه إلى يوم القيامة (٢/ ١٠٣٣).

(٥) البكرة: هي الفتية من الإبل، أي الشابة القوية، وأما العيطاء فهي الطويلة العنق في اعتدال وحسن قوام شرح النووي لمسلم (٩/ ١٨٤-١٨٥).

(٦) وفي رواية ثانية لمسلم. وهو قريب من الدمامة.

(٧) أي يتمتع بها، فحذف بها لدلالة الكلام عليه، أو أوقع يتمتع موقع يباشر أي يباشرها وحذف المفعول.

(٨) مسلم ك النكاح رقم ١٤٠٦ .

متعة النساء فقال: مهلاً يابن عباس، فإن رسول الله ﷺ نهى عنها يوم خيبر، وعن لحوم الحمر الإنسية[١].

إن الفاروق رضي الله عنه لم يبتدع تحريم نكاح المتعة من عند نفسه، بل كان متبعًا لرسول الله ﷺ حيث حرمها ﷺ عام الفتح في السنة الثامنة من الهجرة تحريمًا مؤبدًا، بعد أن حرمها في خيبر سنة ست من الهجرة، ثم أحلها عام الفتح فمكث الناس خمسة عشرة يومًا وهم يستمتعون، ثم حرمها ﷺ إلى يوم القيامة[٢].

عاشرًا- من اختيارات عمر رضي الله عنه الفقهية:

أثّر عمر رضي الله عنه في المؤسسة القضائية باجتهاداته في مجال القصاص والحدود والجنايات والتعزير، كما أنه رضي الله عنه ساهم في تطوير المدارس الفقهية الإسلامية باجتهاداته الدالة على سعة اطلاعه وغزارة علمه وعمق فقهه وفهمه واستيعابه لمقاصد الشريعة الغرّاء وله مسائل كثيرة في الفقه الإسلامي اختارها ومال إليها وإليك بعضها:

١- اختار عمر رضي الله عنه أن جلد الميتة يطهر بالدباغ إذا كانت طاهرة في حال الحياة.

٢- اختار عمر رضي الله عنه كراهة الصلاة في جلود الثعالب.

٣- اختيار عمر رضي الله عنه أنه لا يكره السواك للصائم بعد الزوال بل يستحب.

٤- اختيار عمر رضي الله عنه أن المسح على الخفين وما أشبههما موقت بيوم وليلة للمقيم، وثلاثة أيام ولياليهن للمسافر.

٥- اختيار عمر رضي الله عنه ابتداء مدة المسح على الخفين بعد الحدث.

٦- أن وقت الجمعة إذا زالت الشمس.

٧- اختيار عمر أن مس الذكر ينقض الوضوء.

٨- اختيار عمر أن التكبير في العيد من الفجر يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق.

---

(١) مسلم كتاب النكاح (٢/ ١٠٢٧) رقم ١٤٠٧ .

(٢) القضاء في عهد عمر بن الخطاب (٢/ ٧٥٦).

٩- اختيار أبي بكر وعمر المشي أمام الجنازة أفضل.

١٠- اختياره وجوب الزكاة على الصبي والمجنون.

١١- اختيار عمر القول بإثبات خيار الفسخ، وأن لكل واحد الخيار ما دام في المجلس.

١٢- اختياره لا يصح السلم في الحيوان.

١٣- اختياره أنه إذا شرط أنه متى حل الحق ولم يوف فالرهن بالدين، فهو مبيع بالدين، الذي عليك، فهو شرط فاسد.

١٤- اختيار عمر إذا وجد الغريم عين ماله عند المفلس فهو أحق بها.

١٥- اختيار عمر أن الجارية لا يدفع إليها مالها بعد بلوغها حتى تتزوج أو تلد أو تمضي عليها سنة في بيت الزوج.

١٦- اختيار عمر أن عين الدابة تضمن بربع قيمتها.

١٧- اختيار عمر أن الشفعة لا تكون إلا في المشاع غير المقسوم، فأما الجار فلا شفعة له.

١٨- اختياره أنه تجوز المساقاة في جميع الشجر.

١٩- اختيار أبي بكر وعمر جواز استئجار الأجير بكسوته.

٢٠- اختياره لا تلزم الهبة إلا بالقبض.

٢١- اختياره من وهب لغير ذي رحم فله الرجوع ما لم يُثب عليها، ومن وهب لذي رحم فليس له الرجوع.

٢٢- اختياره أن مدة تعريف اللقطة سنة.

٢٣- اختياره يجوز أخذ اليسير من اللقطة، والانتفاع به من غير تعريف.

٢٤- اختيار عمر أن اللقطة إذا عرفها المدة المعتبرة، فلم يعرف مالكها، صارت كسائر أمواله غنيًّا كان أو فقيرًا.

٢٥- اختيار عمر أن لقطة الحل والحرم سواء.

٢٦- اختياره أن اللقيط يقر بيد من وجده إن كان أمينًا.

٢٧- اختياره: جواز الرجوع في الوصية وقال: يغير الرجل ما شاء من وصيته.

٢٨- اختيار عمر أن الكلالة اسم للميت الذي لا ولد له ولا والد.

٢٩- اختياره أن الأخوات مع البنات عصبة لهن ما فضل.

٣٠- إذا كان زوج وأم، وإخوة من أم وإخوة من أب وأم فهذه المسألة في علم المواريث اختلف العلماء فيها قديمًا وحديثًا، فيروى عن عمر وعثمان وزيد بن ثابت ﷺ أنهم شركوا بين ولد الأبوين وولد الأم في الثلث، فقسموه بينهم بالسوية للذكر مثل حظ الأنثيين، ويروى أن عمر كان أسقط ولد الأبوين فقال بعضهم: يا أمير المؤمنين هب أن أبانا كان حمارًا أليست أمنا واحدة، فشرك بينهم وهذه المسألة تسمى المشرَّكة وتسمّى الحمارية لما تقدم.

٣١- اختياره أن للجدات وإن كثرت السدس وهو قول أبي بكر.

٣٢- اختيار عمر في أم وأخت وجد؛ للأخت النصف، وللأم ثلث ما بقي، وما بقي للجد.

٣٣- اختيار عمر إذا كان زوج وأبوان؛ أعطي الزوج النصف، والأم ثلث ما بقي، وما بقي فللأب وإذا كانت زوجة وأبوان أعطيت الزوجة الربع، والأم ثلث ما بقي، وما بقي فللأب وهاتان المسألتان تسميان بالعمريتين؛ لأن عمر ﷺ قضى فيهما بهذا.

٣٤- اختيار توريث ذوي الأرحام إذا لم يكن ذوا فرض ولا عصبة[1].

هذه بعض الاختيارات العمرية في مجال الفقه وهي تستحق البحث والتأصيل وإنما ذكرتها من باب الإشارة.

*** ■ ***

---

(١) انظر محض الصواب (٣/ ٧٥٤-٧٧٤).

■ الفصل الخامس ■

فقه عمر رضي الله عنه في التعامل مع الولاة

لما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في عهد عمر، قسم الدولة أقسامًا إدارية كبيرة، ليسهل حكمها والإشراف على مواردها، وقد كانت الفتوحات سببًا رئيسًا في تطوير عمر لمؤسسات الدولة ومن بينها مؤسسة الولاة.

المبحث الأول: أقاليم الدولة

يعتبر تقسيم الولايات في عهد عمر امتدادًا في بعض نواحيه لما كانت عليه في عهد أبي بكر إقليميًّا، مع وجود تغيرات في المناصب القيادية لهذه الولايات في كثير من الأحيان وإليك نبذة مختصرة عن هذه الولايات.

أولاً: مكة المكرمة:

تولى ولاية مكة في عهد عمر رضي الله عنه مُحرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد شمس ثم ولي مكة لعمر قُنفُذ بن عمير بن جدعان التميمي، وشأنه شأن من سبقه فلم تذكر أخبار عن مدة ولايته لمكة أو أحداثها. وبعده تولى مكة لعمر (نافع بن الحارث الخزاعي) وقد توفي عمر رضي الله عنه وهو على مكة وذكرت المصادر بعض الأحداث عن ولايته مكة منها شراؤه دارًا من صفوان بن أمية بغرض جعلها سجنًا وذلك فيما رواه البخاري[1] وقد ورد أيضًا أن نافعًا لقي عمر بـ (عُسْفَان) أثناء قدومه للحج فقال له عمر: من استعملت على الوادي يعني مكة؟ قال نافع: ابن (أبْزى) قال: ومن ابن أبْزى؟ قال: مولى من موالينا، فقال: استعملت عليهم مولى؟ فقال: إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض. قال عمر: أما إن نبيكم قال: الله يرفع بهذا الكتاب قومًا ويضع به آخرين[2]، وفي عهد عمر كانت أبرز الأعمال لولاية مكة هي توسعة الحرم المكي حيث قام عمر بشراء بعض الدور المجاورة للحرم وأمر بهدمها وإدخالها

(١) البخاري، ك الخصومات (٣، ٢٥) باب الربط والحبس مسند أحمد رقم ٢٣٢ الموسوعة الحديثية إسناده صحيح.
(٢) الولاية على البلدان عبد العزيز العمري (١/ ٦٧) وهذا أهم مرجع في الفصل وقد قمت بتلخيص هذا الكتاب.

ضمن حرم المسجد وبنى حوله جدرانًا قصيرة. كانت مكة ملتقى الأمراء والولاة في مختلف الأصقاع بالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في موسم الحج وبالتالي كان لمكة دور أساسٌ كبير كإحدى الولايات الرئيسة للدولة الإسلامية في عهد عمر رضي الله عنه.

ثانيًا:- المدينة النبوية:

يعتبر الخليفة هو الوالي المباشر للمدينة، نظرًا لأنه كان يقيم فيها وبالتالي كان يتولى شئونها ويسوس أمورها، وخلال غياب الخليفة عمر عن المدينة كان يولي عليها من يقوم مقامه في إدارة شئون المدينة المختلفة، فكان عمر أحيانا يولي على المدينة خلال بعض أسفاره أو حجه (زيد بن ثابت رضي الله عنه[١]) كما ولى عمر علي بن أبي طالب على المدينة عدة مرات أثناء غيابه[٢] وهكذا فإن عمر رضي الله عنه سار على سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر في الاستخلاف على المدينة في حال غيابه، وتكتسب ولاية المدينة المنورة أهمية سياسية متميزة بين الولايات المختلفة في تلك الأيام لعدة أسباب على رأسها أنها مقر الخليفة عمر، ومصدر الأوامر إلى مختلف الأقاليم الإسلامية ومنها تنطلق الجيوش المجاهدة، يضاف لذلك أنها مقر إقامة الكثير من الصحابة رضوان الله عليهم، والذين كان عمر يمنعهم من الانتشار في الأمصار[٣]، ولذلك كان يفد إليها الكثير من طلاب العلم الذين يريدون أن يأخذوا القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وفقهما من أفواه الصحابة رضوان الله عليهم[٤].

ثالثًا- الطائف:

تعتبر الطائف إحدى أهم المدن الإسلامية في عهد عمر رضي الله عنه، وكانت تمد حركة الجهاد بالمقاتلين الأشداء، وكان واليها منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم عثمان بن أبي العاص وأقره أبو بكر على ما كان عليه، واستمرت ولايته على الطائف لمدة سنتين من خلافة عمر، وقد تاقت نفس عثمان بن أبي العاص إلى الجهاد، فكتب إلى عمر يستأذنه في الغزو فقال له عمر: أما أنا فلا أعزلك، ولكن استخلف من شئت فاستخلف رجلاً

---

(١) الولاية على البلدان (١/ ٦٨).
(٢) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٤٧).
(٣) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٥٧).
(٤) الولاية على البلدان (١/ ٦٨).

من أهل الطائف مكانه، وعين عمر عثمان على عُمان والبحرين[١] وقد ورد أن والي عمر على الطائف حين وفاته هو (سفيان بن عبد الله الثقفي)[٢]، وقد كان بينه وبين عمر بن الخطاب مكاتبات تتعلق بأخذ الزكـاة من الخضار والفواكه أو من العسل[٣]، وكلها تدل على كثرة المزارع ووفـرة الإنتاج الزراعي في الطائف أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد ظلت مدينة الطائف ومـا جاورها تنعم بالاستقرار في عـهد عمر رضي الله عنه، وقد كـانت لأهل مكة متنفسًـا يقدمون إليـه في الصيف[٤]، واعتبـرت الطائف أحد الأمصار الرئيسة التابعة للدولة الإسلامية في عهد عمر[٥].

رابعًا- اليمن:

عندما تولـى عمر رضي الله عنه الخـلافة كانت اليـمن تنعم بالاستـقرار، وقـد ضبطت أمورها عن طريق ولاة موزعين في أنحـاء اليمن، وقد أقر عمـر عمال أبي بكر على اليمن[٦]، وكان يعـلى بن أمية أحـد ولاة أبي بكر على اليـمن، وقد لمع اسـمه في خلافة عمر بن الخطاب، وذكره المؤرخون بأنه والٍ بعد ذلك على أنه والي عمر على اليمن واشتهر بذلك حتى وفاة عمر رضي الله عنه[٧] وقد أوردت المصادر العديد من الحوادث التي وقعت لوالي الـيمن (يعلى بن أميـة) مع بعض الأهالي من اليمن، إضـافة إلى حديثـها عن بعض القـضايا التي قـدم أصحـابها شكاوى ضـد يعلى أمام عـمر بن الخطاب، مما استلزم اسـتدعاء يعلى إلى المدينة المنورة عـدة مرات حقق خلالهـا عمر معه في هذه القضايا[٨]،وفي أثناء غياب يعلى كان عمـر أحيانًا يعين مكانه من يقوم بعمله، وقد كـانت بين يعلى وعمر عدة مكاتبات تتعلق بقـضايا الزكاة[٩]، كما ذكر يعلى نفسه ضمن الولاة الذين قاسمهم عـمر أموالهم في أواخر خلافته[١٠] وقد ذكر

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص١٣٤ .

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٢٣٩).

(٣) الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، نادية حسين صقر ص١٩ .

(٤) الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام ص١٩ .

(٥) الولاية على البلدان (١/ ٦٩).

(٦) غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، يحيى بن الحسين (١/ ٨٣).

(٧) تاريخ الطبري (٢/ ١٥٧).

(٨) غاية الأماني (١/ ٨٣).

(٩) الأموال للقاسم بن سلام ص٤٣٦ .

(١٠) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٥٧).

من ولاة اليمن لعمر عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، ولعله كان على منطقة محددة من اليمن وهي (الجَنَد) كما صرح بذلك الطبري حيث ذكره ضمن ولاته حين وفاته إذ كان واليًا لعمر على الجند بجانب ذكره ليعلى كوالٍ لليمن[١] وقد لعب أهل اليمن دورًا رئيسًا في حركة الفتوح أيام عمر بن الخطاب ﷺ، فاشتركوا في فتوح الشام وفي فتوح العراق ومصر[٢]، وعندما اختطت الأمصار الإسلامية الجديدة في العراق كالبصرة والكوفة نزلتها الكثير من القبائل اليمنية وعلى رأسها كندة التي نزلت الكوفة[٣]، كما استقرت أعداد أخرى من القبائل اليمنية بالشام، وكان لهم دور كبير في فتوحاتها، كما سكنت مجموعة منهم في مصر بعد إنشاء الفسطاط[٤]، ولا شك أن هذه الهجرات المنظمة من القبائل اليمنية في عهد عمر قد خطط لها، وقد يكون لأمراء البلدان على اليمن دور كبير في هذا التخطيط وفي عملية توزيع القبائل على الأمصار، ومن هنا كانت اليمن من أهم الولايات الإسلامية على عهد عمر، وكان دورها وتأثيرها واضحًا بالنسبة لمختلف الولايات[٥].

خامسًا- البحرين:

عندما تولى عمر أمر المسلمين كان العلاء بن الحضرمي واليًا على البحرين، فأقره عمر في بداية خلافته واليًا عليها واستمر عليها حتى سنة أربع عشرة على أرجح الأقوال[٦]، وقد اشترك العلاء ﷺ في الجهاد المبكر في نواحي بلاد الفرس، وكان له دور رئيس فيه، وفي أواخر فترة ولاية العلاء على البحرين أصدر عمر ﷺ قرارًا بعزل العلاء عن الولاية، ونقله إلى ولاية البصرة وقد كره العلاء ذلك فتوفي قبل أن يصل البصرة ودفن في البحرين وقد قيل في سبب عزله إنه غزا فارس عن طريق البحرين دون إذن من عمر وكان عمر يكره أن يحمل المسلمين في البحر، وبعد وفاة العلاء تولى على البحرين عثمان بن أبي العاص، فأخذ يجاهد ما يليه من نواحي بلاد فارس، حتى وصل في بعض فتوحه إلى نواحي السند، وقد صدرت أوامر عمر ﷺ

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٢٣٩). (٢) الولاية على البلدان (١/ ٧١).
(٣) اليمن في ظل الإسلام د. عصام الدين ص٤٩ .
(٤) فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ص١١٩-١٢٣ . (٥،٦) الولاية على البلدان (١/ ٧١).

إلى عثمان بن أبي العاص تأمره بالتعاون في فتوحه مع والي البصرة أبي موسى الأشعري فأصبحت جيوشهما تتعاون في غزو فارس عن طريق البصرة[١].

وقد اشتهر عن عثمان بن أبي العاص ورعه وبعده عن الوقوع في الحرام[٢]، وقد تولى عثمان ولاية البحرين لعمر مرتين على الأقل إذ إنه ولاه للمرة الأولى في السنة الخامسة عشرة ثم احتاج إليه لقيادة بعض الجيوش في نواحي البصرة، ليشترك في فتوحاتها، وقد تولى (عيّاش بن أبي ثور) [٣] البحرين بعد عثمان بن أبي العاص، ويبدو أن فترته لم تطل، ثم ولى عمر على البحرين (قدامة بن مظعون) ﷺ الذي صحبه أبو هريرة ووليَ له أمر القضاء في البحرين بالإضافة إلى بعض المهام الأخرى، وخلال فترة ولاية قدامة للبحرين امتدحه الناس، إلا أنه حدث في آخر ولايته أن اتهم ﷺ بشرب الخمر، وبعد التحقيق ثبتت التهمة، فأقام الفاروق عليه الحد. وقدامة بن مظعون خال أولاد عمر بن الخطاب، عبد الله وأم المؤمنين حفصة[٤]، وقد غضب قدامة على عمر إلا أن عمر أصر علي إرضائه وكان يقول: إني رأيت رؤيا أنه قد أتاني آت في منامي فقال لي: صالح قدامة فإنه أخوك[٥] وقيل إن عزل قدامة عن ولاية البحرين كان في سنة عشرين[٦] للهجرة، وقد تولى على البحرين بعد قدامة الصحابي المعروف (أبو هريرة) ﷺ وقد كان أبو هريرة يتولى بعض المسئوليات في البحرين أثناء ولاية قدامة بن مظعون السابقة وكان ضمن الشهود الذين شهدوا على قدامة في الخمر، وقد أصدر عمر ﷺ أمرًا بتولية أبي هريرة على البحرين بعد عزله لقدامة[٧] وقد ولى البحرين لعمر فيما بعد عثمان بن أبي العاص الثقفي مرة أخرى واستمر واليًا عليها حتى توفي عمر[٨]، وقد وردت في كثير من النصوص ولاية البحرين مضافة إليها عمان، ووردت روايات عند تولية عثمان بن أبي العاص أنه ولي البحرين واليمامة[٩] وهذه الروايات تعطينا دلالة قوية

---

(١) المرجع السابق نفسه (١/ ٧٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٧٤).
(٣) الولاية على البلدان (١/ ٧٣).
(٤) الطبقات (٥/ ٥٦٠)، تاريخ المدينة (٣/ ٨٤٣) الولاية على البلدان (١/ ٧٤).
(٥) الولاية على البلدان (١/ ٧٤).
(٦) البداية والنهاية (٧/ ١٠١).
(٧) الولاية على البلدان (١/ ٧٥).
(٨) المرجع نفسه (١/ ٧٥).
(٩) تاريخ الطبري (٥/ ٢٣٩).

على مدى ارتباط البحـرين بكل من عمان واليمامة، وأن هذين القسـمين ربما اعتبرا جـزءًا من ولاية البحـرين خلال عـصـر عمـر بن الخطاب ﷺ، ولا يخفى مـدى الارتباط الجـغرافي والبشـري بين هذين الإقليمين وبين البـحرين، وقد يفـيد تعبـير البحرين وما والاها الذي يردده المؤرخون وجود توابع للبـحرين ربما كان المقصود بها عمان واليمامة، وقد كانت البحرين مصدرًا رئيسيًّا للخراج والجزية، وهذا يدل على ثراء هذه الولاية في تلك الأيام، وقـد شاركت قبـائل البحرين المسلمـة وأمراؤها في فتوح بلاد فارس والمشرق، وكان لهم دور مهم في تلك الفتوح[١].

سادسًا- مصر:

كان عمرو بن العاص ﷺ هو الذي تولى فتح مـصر وسيأتي تفصيل ذلك بإذن الله عند حديثنا عن الفتوحات وأقره عمر واليًـا عليها، واستمر في ولايته حتى توفي عمـر بن الخطاب رغم اختلافـه مع عمر في بعض الأحـيان مما كان يدفع عـمر إلى التهـديد بتأديبه وكـان عمرو هو والي مـصر الرئيس، مما كـان يرد من وجود بعض الولاة الصغار الآخرين في مصر مـثل ما ورد عن ولاية عبد الله بن أبي السرح على الصعيد إبان وفاة الخليفة عمر[٢]، ومن الملاحظ في فترة ولاية عمرو بن العاص لمصر في عصر عـمر كثرة تدخل الخليفـة عمر في شئـون الولاية المختلفة[٣]، وقد استفاد عمرو بن العـاص من خبرة الأقباط في قضـايا الخراج والجزية فاستـخدمهم في هذا العمل[٤]، وقد اشتهر عن عمرو منعه لجنوده من الزراعـة والاشتغال بها ومعاقبة من يخالف ذلـك بناءً على أوامر عمـر بن الخطاب[٥] وكـان هذا بالطبع لتفـريغ الجنود لأمور الجهـاد، وعدم الركون إلى الدعة، أو الارتباط بالأرض، وقـد كان للجند من الأرزاق التي تصـرف من بيت المال مـا يغنيهم عن ذلك، وقـد استـطاع عمـرو بن العاص بمتابعة من الخلـيفة عمر تنظيم أمورها في سنوات قليلة حـتى أخذت مكانتها كولاية كـبرى من ولايات الدولة، وجرى فـيها من الأحـداث ما يدل على استـقرار

(١) الولاية على البلدان (١/ ٧٦).
(٢) فتوح مصر ص١٧٣ .
(٣) الولاية على البلدان (١/ ٧٩).
(٤) فتوح مصر وأخبارها ص١٥٢ .
(٥) الولاية على البلدان (١/ ٨٢).

أوضاع الولايــة، بالرغم من المخاطر التي كــانت تحدق بهــا من جراء محــاولة الروم المستــمرة استــعادتها عن طريق غــزو الإسكندرية من ناحيــة البحر، وقــد كانت هذه الولاية أرضًا خصبة لانتشار الإسلام فيها في عــهد الخليفة عمر نظرًا لما ظهر فيها من عدل بين الناس ورحمة، لم يعــهدهما أهلها من قبل بالإضافة إلى اقــتناعهم بحقائق الإسلام وتعــاليمه الســمحة فأصــبحوا جندًا من جنوده، وكــانت الأمور الإدارية في مصر تمضي بطريقة بسيطة إذ كان عمرو هو الوالي وهو المسئول عن الخراج، ولا يمنع هذا من استــعانة عــمرو ببــعض الولاة على مناطق أخرى تابعــة له كمــا مرّ، ولكن الوالي الرئيس والمسئول أمــام الخليفة هو عمرو بن العاص طوال فــترة حكم عمر بن الخطاب، وقد اســتفــاد عمرو من بعض أهــل البلاد في ترتيب أمور الخــراج وتنظيم شئونها المالية[1].

سابعاً: ولايات الشام:

حينمــا توفي أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان المســئول عن جيــوش الشام وبلادها هو خالد بن الوليد رضي الله عنه، ولما تولى عمر رضي الله عنه الخلافــة أصدر أمرًا بعزل خالد بن الوليد عن ولاية الشام وتعــيين أبي عبيــدة بن الجراح مكانه أميــرًا لأمراء الشام، ومســئولاً مباشرًا عنهم وواليًا على الجــماعة فيها[2]، وحينما تولى أبو عبــيدة على الشام أخذ ينظم أمورها، ويعين الأمراء من قبله على المناطق المختلفة فيــها، وأخذ يعيد تنظيمها حيث كــان على بعضها أمــراء سابقون فمنــهم من أقره أبو عبيــدة ومنهم من عزله، يقول خليفة بن خــياط: فولى أبو عبيدة حين فتح الشامــات يزيد بن أبي سفيان على فلسطين وناحيتــها، وشرحبيل بن حسنة على الأردن، وخــالد بن الوليد على دمشق وحبيــب بن مسلمة على حمص ثم عــزله، وولى عبد الله بن قرط الثــمالي[3]، ثم عزله، وولى عبادة بن الصامت ثم عزله ورد عبد الله بن قرط[4]، وكان يبعث أحيانًا بعض أصحابه لتولي مناطق من الشام لفترة مــعينة، ذلك أن أبا عبيدة بعث معاذ بن

---

(١) الولاية على البلدان (١/ ٨٣).

(٢) تهذيب تاريخ دمشق (١/ ١٥٢).

(٣) الأزدي له صحبة ورواية اشترك في فتوح الشام.

(٤) تاريخ خليفة ص١٥٥ .

جبل على الأردن[١]، ومن ذلك إنابته لبعض الناس مكانه حين كان يسافر للجهاد فقد أناب سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل[٢]، على دمشق حين خروجه إلى بيت المقدس، وكان أبو عبيدة -رحمه الله- طوال فترة ولايته على الشام مثالاً للرجل الصالح الورع الذي يقتدي به بقية أمرائه ويقتدي به العامة، وقد استشهد كما مرّ معنا في طاعون عمواس ثم تولى بعده معاذ، فاستشهد بعده بأيام وحينما علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بوفاة أبي عبيدة ووفاة معاذ من بعده عين على أجناد الشام يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه وفرق أمراء آخرين على الشام، وقد كان يزيد صاحب خبرة في إمارة الأجناد، إذ كان على رأس أحد الجيوش التي بعثها أبو بكر إلى الشام للفتح، كما أن أبا عبيدة قد استخلفه عدة مرات على دمشق أثناء غزواته[٣]، وقد ذكر المؤرخون أن عمر حينما ولّى يزيد على أجناد الشام حدد أمراء آخرين وزعهم على المناطق واختص يزيد بفلسطين والأردن[٤]، وتعتبر فترة يزيد على الشام قصيرة لذلك يقل الحديث عنها في المصادر التاريخية وقد توفي يزيد في السنة الثامنة عشرة، وقبيل وفاته استخلف أخاه معاوية بن أبي سفيان على ما كان يتولاه وكتب إلى عمر كتابًا في ذلك، وكانت مدة ولاية يزيد قريبًا من السنة[٥]، وأقرّ عمر رضي الله عنه ولاية معاوية وأجرى تعديلات في إدارة الشام بعد وفاة يزيد، وقد حدد لمعاوية جند دمشق وخراجها، وحدّ من سلطات معاوية في القضاء والصلاة حيث بعث إليه برجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلهما على القضاء والصلاة[٦]، وهذا فيه تحديد لسلطات معاوية خصوصًا أن الصلاة وكلت إلى غيره وكان الأمير في العادة هو أمير الصلاة، ولعل هناك أسبابًا دفعت عمر إلى هذه السياسة الجديدة التي بدأت تظهر في الأقاليم الأخرى وبالأسلوب نفسه الذي نهجه مع معاوية تقريبًا، وقد اشتهر معاوية بالحلم والبذل مما جعل مجموعات من الناس تلحق بولايته من العراق وغيرها[٧]،

(١) فتوح الشام ص٢٤٨ .
(٢) الفتوح، ابن أعثم الكوفي ص٢٨٩ الولاية على البلدان (١/ ٩٠).
(٣) فتوح البلدان ص١٣٧ .
(٤) فتوح البلدان ص١٤٥، ١٤٦ .
(٥) الوثائق السياسية للعصر النبوي والخلافة الراشدة ص٤٩٣ .
(٦) الولاية على البلدان (١/ ٩٢).
(٧) تاريخ الطبري (٥/ ٢٣٩).

وقد قام عمر بتعيين بعض الأمراء في الشام، وجعل ولايتهم من قبل معاوية، وخلال ولاية معاوية على بلاد الشام كان في بعض الأحيان يقوم ببعض الغزوات ضد الروم في شمال الشام وهي ما عرفت بالصوائف[١]، وقد استمر معاوية واليًا على الشام بقية عصر عمر حتى وفاته ﷺ، مع وجود أمراء آخرين في مناطق معينة من الشام لهم اتصالهم المباشر بالخليفة في المدينة المنورة، إلا أن معاوية يعتبر أشهرهم، حيث كان واليًا على البلقاء والأردن وفلسطين وأنطاكية وقلقيلية ومعرة مصرين وغيرها من مدن الشام[٢]، وقد سماه بعض المؤرخين والي الشام بينما تحفظ بعضهم فقالوا حين ذكروا ولاة عمر «ومعاوية بن أبي سفيان على بعض الشام» ولكن بعضهم ذكر أنه قبل موت عمر جمع الشام كلها لمعاوية بن أبي سفيان[٣]، ولابد من التنبيه على أن الولايات كانت تجري فيها تغييرات مستمرة تبعًا للظروف العسكرية والظروف العامة للدولة في تلك الأيام، فكانت الأردن أحيانًا تستقل وأحيانًا تضم لها أقاليم وأحيانًا تنزع منها أقاليم وتضم إلى الشام أو إلى فلسطين إلى غير ذلك مما لا يتسع المقام لذكره[٤].

ثامنًا- ولايات العراق وفارس:

كانت الفتوحات قد بدأت في العراق أيام أبي بكر ﷺ وكانت في البداية تحت إمارة المثنى بن حارثة الشيباني إلى أن قدم خالد بن الوليد إلى العراق، فجعل الولاية له، فلما أمره بالمسير إلى الشام أعاد أبو بكر الولاية مرة أخرى إلى المثنى بن حارثة، وحينما تولى الخلافة عمر بن الخطاب عزل المثنى وعين أبا عبيد بن مسعود الثقفي، وكان عزل المثنى في الوقت نفسه الذي عزل فيه خالدًا، مما أثار استغراب الناس فقال عمر: إني لم أعزلهما في ريبة ولكن الناس عظموهما فخشيت أن يوكلوا إليهما[٥]، ومع عزل المثنى فقد كان جنديًّا مخلصًا اشترك مع أبي عبيد في معظم معاركه وأبلى بلاء حسنًا[٦] وبعد استشهاد أبي عبيد عاد المثنى إلى القيادة ثم تولى قيادة جيوش

---

(١) الولاية على البلدان (١/ ٩٢).
(٢) الولاية على البلدان (١/ ٩٣).
(٣) تاريخ خليفة بن خياط ١٥٥ ، سير أعلام النبلاء (٣ / ٨٨).
(٤) الولاية على البلدان (١/ ١٠٢).
(٥) المصدر نفسه (١/ ١٠٨).
(٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٨).

العراق سعد بن أبي وقاص، وقد انتقضت على المثنى جراحه التي أصابته يوم الجسر فمرض منها ومات قبل أن يصل سعد بن أبي وقاص للعراق[١] فقد كانت البصرة قد بدأت بالظهور على مسرح الأحداث كولاية قبيل معركة القادسية، إلا أن انتصار القادسية وسقوط المدائن في يد المسلمين يعتبر بداية مرحلة جديدة وقوية في بلاد العراق، بدأ فيها تنظيم الولايات يأخذ شكلاً معينًا وبارزًا تتضح فيه الملامح العامة سواء في ولاية البصرة أو ولاية الكوفة، وما ألحق بكل منهما من المدن والقرى التي كانت تتبع كلاًّ منهما من أقاليم فارس والعراق، أو ما استقل عنهما من الولايات في بلاد فارس[٢].

- **ولاية البصرة:**

وجه عمر بن الخطاب إلى نواحي البصرة قبل إنشائها شريح بن عامر، أحد بني سعد بن بكر مددًا لقطبة بن قتادة ثم ولاه عمر في نواحي البصرة، وقتل في إحدى المعارك[٣]، ثم قام عمر بن الخطاب بإرسال عتبة بن غزوان إلى نواحي البصرة مع مجموعة من الجند وولاه عليها، وذلك في السنة الرابعة عشرة وليس في السادسة عشرة كما يرجح ذلك صالح أحمد العلي إذ يقول: ويزعم بعض المؤرخين أن عتبة أرسل سنة ١٦هـ بعد معركة القادسية أو جلولاء ولكن الأغلبية المطلقة من المؤرخين يؤكدون أنه أرسل سنة ١٤هـ مما يجعلنا نرجح روايتهم[٤]، وقد كانت مرحلة ولاية عتبة على البصرة مرحلة تأسيسية وهامة في حياة هذه الولاية، فقد كانت حافلة بالعديد من الأعمال الجليلة، ومنها مجموعة من الفتوح قام بها في بلاد الفرس القريبة منه على ضفتي دجلة والفرات[٥]، وقد استعفى عتبة من عمر فأبى عمر أن يعفيه وكان ذلك في موسم الحج وعزم عليه عمر ليرجعن إلى عمله ثم انصرف فمات في الطريق إلى البصرة، فلما بلغ عمر موته قال أنا قتلته، لولا أنه أجل معلوم، وأثنى عليه خيرًا وكانت وفاته في السنة السابعة عشرة[٦] ثم تولى من بعده

---

(١) الولاية على البلدان (١/ ١١١).
(٢) الولاية على البلدان (١/ ١١٣).
(٣) تاريخ خليفة بن خياط ص١٥٥ .
(٤) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ص٣٦ .
(٥) تاريخ خليفة بن خياط ص١٢٧، ١٢٨ .
(٦) الولاية على البلدان (١/ ١١٥).

المغيرة بن شعبة وهو أول من وضع ديوان البصرة واستمر واليًا على البصرة إلى أن عزله عمر ﷺ في السنة السابعة عشرة من الهجرة بعد التهمة الموجهة إلى المغيرة بالزنا؛ وقد قام عمر بالتحقيق وثبتت براءة المغيرة وجلد الشهود الثلاثة وقام عمر بعزل المغيرة، من باب الاحتياط والمصلحة، وولاه عمر فيما بعد على أماكن أخرى[١]، وبعد عزل المغيرة بن شعبة ولّى عمر على البصرة أبا موسى الأشعري ﷺ، ويعتبر أبو موسى - بحق - أشهر ولاة البصرة أيام عمر بن الخطاب، فقد فتحت في أيامه المواقع العديدة في فارس، فكان يجاهد بنفسه ويرسل القواد للجهات المختلفة من البصرة، ففي أيامه تمكن البصريون من فتح الأهواز وما حولها وفتحوا العديد من المواضع المهمة وكانت فترة ولايته حافلة بالجهاد، وقد تعاون أبو موسى مع الولاة المجاورين له في كثير من الحروب والفتوحات، وقد قام بجهود كبيرة لتنظيم المناطق المفتوحة وتعيين العمال عليها وتأمينها وترتيب مختلف شئونها، وقد جرت العديد من المراسلات بين أبي موسى وعمر بن الخطاب في مختلف القضايا منها توجيهه لأبي موسى في كيفية استقباله للناس في مجلس الإمارة ومنها نصيحته لأبي موسى بالورع ومحاولة إسعاد الرعية، وهي قيّمة قال فيها عمر: أما بعد فإن أسعد الناس من سعدت به رعيته، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته، إياك أن ترتع فيرتع عمالك، فيكون مثلك عند ذلك مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبغي السمن وإنما حتفها في سمنها[٢]، وهناك العديد من الرسائل بين عمر وأبي موسى تدل على نواحٍ إدارية وتنفيذية مختلفة كان يقوم بها أبو موسى بتوجيه من عمر، وقد جمع معظم هذه المراسلات محمد حميد الله في كتابة القيم عن الوثائق السياسية[٣]، وتعتبر فترة ولاية أبي موسى على البصرة من أفضل الفترات حتى لقد عبر عنها أحد أحفاد البصريين فيما بعد، وهو الحسن البصري -رحمه الله- فقال: ما قدمها راكب خير لأهلها من أبي موسى[٤]، إذ إن

---

(١) المصدر السابق (١/ ١١٧).

(٢) مناقب عمر لابن الجوزي ص١٣٠ .

(٣) الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة.

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٩).

أبا موسى -رحمه الله- كـان بالإضافة إلى إمارته خير معلـم لأهلها، حيث علّمهم القرآن وأمور الدين المختلفة[١]، وفي عهد عمر بن الخطاب كان العديد من المدن في فارس، والتي فتحت في زمنه تخضع للبـصرة وتدار من قبل والي البصرة الذي يعين عليهـا العمال من قبلـه، ويرتبطون به ارتباطًا مبـاشرًا وهكذا واعتبـر أبو موسى من أعظم ولاة عمـر، واعتبـرت مراسلات عـمر مع أبي موسى مـن أعظم المصادر التي كشفت سيرة عمر مع ولاته، وبيّنَت ملامح أسلوبه في التعامل معهم[٢].

- ولاية الكوفة:

يعد سـعد بن أبي وقاص أول ولاة الكوفـة بعد إنشائهـا بل إنه هو الذي أنشأها بأمر عمر، وكـان له الولاية عليها وعلى المناطق المجاورة لها قـبل بناء الكوفة، وقد استمر سعـد واليًا على الكوفة وقام بدوره على أكمل وجه، وكانت لسـعد فتوحات عظيمة بعد استقراره بالكوفة في نواحي بلاد فارس[٣]، كما كان لسعد مجموعة من الإصلاحات الزراعية في ولايته، منها أن مجموعة من الدهاقين سألوا سعدًا أن يحفر لهم نهـرًا لصالح المزارعين في مناطقـهم، فكتب سعـد إلى عامله في المنطقـة يأمره بحفر النهر لهم فجمع العمال وحفـر النهر، وقد كان سعد ينظم أمور المناطق التابعة للكوفة ويعـين عليها الولاة من قـبله بعد التشـاور مع عمـر بن الخطاب ﷺ، وقد أعجب عـقلاء أهل الكوفة بـسعد بن أبي وقـاص وامتدحـوه، فحين سأل عـمر بن الخطاب أحد مشاهير الكوفة عن سعد أجـاب: إنه متواضع في جبايته عربي في نمرته أسد في تأمُّرِه يعدل في القضية ويقـسم بالسوية، ويبعد بالسرية ويعطف عليها عطف البرة وينقل علينا خفيًا نقل الذرة[٤]، كما سأل عمر جـرير بن عبد الله عن سعد بن أبي وقاص وولايته فقال جرير: تركتـه في ولايته أكرم الناس مقدرة وأقلهم قسوة هو لهم كالأم البرة يجمع لهم كمـا تجمع الذرة أشد الناس عند البأس وأحب قريش إلى الناس[٥]، ومع اقتناع خيـار أهل الكوفة وعقلائها بسـعد وامتداحهم له فـقد وقعت

(١، ٢) الولاية على البلدان (١/ ١٢٠).

(٣) فتوح البلدان ص١٣٩ ، تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٥١).

(٤، ٥) الولاية على البلدان (١/ ١٢٣).

بعض الشكاوى ضده من قبل بعض عوام الناس فتم عزله وسيتم بإذن الله بيان ذلك عند حديثنا عن الشكاوى ضد الولاة. وبعد عزل سعد بن أبي وقاص عن الكوفة أصدر عمر قرارًا بتعيين عمار بن ياسر على صلاة الكوفة، ويلاحظ أن عمارًا ﷺ كان ضمن القادة الذي كانوا في الكوفة، وكان سعد بن أبي وقاص يستعين بهم أثناء ولايته على الكوفة ولذلك كانت لدى عمار خبرة سابقة وشبه كاملة عن الولاية قبل أن يتولى عليها، وتختلف ولاية عمار هذه عن ولاية سعد، إذ إن عمر جعل مع عمَّار أناسًا آخرين يشتركون معه في المسئولية ويتقاسمون المهام، فكان عمار على الصلاة وابن مسعود على بيت المال وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض، لذلك اختلف الوضع إلى حد ما في الولاية في هذه المرحلة عما كانت عليه أيام سعد، ولا يمكننا تجاهل هذا التوزيع الجديد للمسئولية في الولاية، وقد قام كل منهم بما نيط به من أمور، فكان عمار يقوم بالصلاة، وينظم أمور الولاية وشئونها ويقود الجيوش، فقام ببعض الفتوح، واشترك أهل الكوفة في أيامه في عدد من المعارك ضد الفرس الذين جمعوا الجموع ضد المسلمين، فكان عمار يدبر ولايته بمقتضى تلك الظروف الحربية حسب توجيهات عمر بن الخطاب، وقد استمر عمار يؤدي مهمته في ولاية الكوفة مع ابن مسعود إضافة إلى قيامه بالشئون المالية للولاية يقوم بتعليم الناس القرآن وأمور الدين[1]، وكانت ولاية عمار لأهل الكوفة قرابة سنة وتسعة أشهر، وعزله عمر بناء على عدة شكاوى من أهل الكوفة ضده وقد قال عمر لعمّار أساءك العزل؟ فقال عمّار: ما سرني حين استعملت ولقد ساءني حين عزلت، وقيل إنه قال: ما فرحت حين وليتني ولا حزنت حين عزلتني[2]، كما ذكر أنه استعفى عمر حين أحس بكراهية أهل الكوفة له فأعفاه عمر ولم يعزله[3] ثم عين عمر جبير بن مطعم على الكوفة ثم عزله قبل أن يتجه إلى الكوفة، نظرًا لأن عمر أمره بكتمان خبر التعيين، ولكن الخبر انتشر بين الناس فغضب عمر وعزله ثم تولى ولاية الكوفة المغيرة بن شعبة واستمر يؤدي واجبه واليًا للكوفة إلى أن توفي عمر بن الخطاب[4].

---

(١) الطبقات (٣/ ١٥٧).   (٣) الفتوح ابن أعثم (٢/ ٨٢).   (٤) نهاية الأرب (١٩/ ٣٦٨).
(٤) تاريخ خليفة ص١٥٥ ، تاريخ الطبري (٥/ ٢٣٩).

- المدائن:

كانت المدائن عاصمة كسرى، قد تم فتحها من قبل سعد بن أبي وقاص، واستقر بها سعد فترة من الوقت ثم انتقل منها إلى الكوفة بعد تمصيرها، وقد كان ضمن جيش سعد سلمان الفارسي رضي الله عنه، وهو الذي اشترك في العديد من المعارك ضد الفرس، وكان له دور كبير في دعوتهم إلى الإسلام قبل القتال وقد ولاه عمر ابن الخطاب على المدائن فسار في أهلها سيرة حسنة، فقد كان مثالاً حيًّا لتطبيق تعاليم الإسلام، وقد ذكر أنه كان يرفض الولاية لولا أن عمر أجبره على قبولها، فكان يكتب إلى عمر يطلب الإعفاء فيرفض عمر ذلك، وقد اشتهر عن سلمان رضي الله عنه زهده، فكان يلبس الصوف، ويركب الحمار ببرذعته بغير إكاف ويأكل خبز الشعير وكان ناسكًا زاهدًا[1] وقد استمر سلمان يعيش في المدائن إلى أن توفي على أرجح الأقوال سنة ٣٢هـ في خلافة عثمان بن عفان، ويبدو أن سلمان لم يكن والي المدائن في أواخر أيام عمر رضي الله عنه إذ إن عمر قد عين حذيفة بن اليمان على المدائن ولم يذكر المؤرخون عزل عمر لسلمان، فلعله استعفى عمر فوافقه بعد أن كان يمانع في إعفائه وولى بعده حذيفة بن اليمان، وقد ورد العديد من الأخبار عن ولاية حذيفة على المدائن منها كتاب عمر إلى أهل المدائن بتعيين حذيفة واليًا عليهم، وأمر عمر أهل المدائن بالسمع والطاعة لحذيفة، وقد استمر حذيفة واليًا على المدائن بقية أيام عمر وكذلك طيلة خلافة عثمان[2].

- أذربيجان:

كان حذيفة بن اليمان أول الولاة على أذربيجان ثم تولى بعد ما نقل إلى المدائن عتبة بن فرقد السلمي وفي أثناء ولايته حدثت بينه وبين عمر العديد من المراسلات، من ذلك أن عتبة بن فرقد حين جاء إلى أذربيجان وجد عندهم نوعًا من الحلوى الطيبة تسمى (الخبيص) ففكر أن يصنع منها لعمر بن الخطاب، وبالفعل وضع منها

(١) مروج الذهب (٢/ ٣٠٦) الولاية على البلدان (١/ ١٣١).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٦٤).

وغلفهـا بما يحفظها من الجلود وغـيرها وبعث بها إلى عـمر بن الخطاب في المدينة، فلما تسلمها ذاق الخبـيص فأعجبه، فقال عمر: أكل المهاجـرين أكل منه شبعه؟ قال الرسول: لا إنما هو شيء خـصك بك، فأمـر عمر بردها على عـتبة في أذربيـجان، وكتب إليه يا عـتبة إنه ليس من كدك ولا كد أبيك، فـأشبع المسلمين في رحالهم مما تشـبع في رحلك، وإياك والتنعم وزي أهل الشـرك ولبوس الحـرير فإن رسـول الله ﷺ نهى عن لبوس الحرير[1]، وقد رويت الحادثة بروايات مـختلفة يؤكد بعـضها بعضًا، وقد استمر عتبة واليًا على أذربيـجان بقية خلافة عمر ﵁ وجزءًا من خلافة عثمان، وقد وجد العديد في ولاة عـمر في مناطق مختلفة في العراق وفارس، منهم من كان مستـقلاً بولايته، ومنهم من كانت ولايته مرتبطة بإحـدى الولايتين الكبيرتين في العـراق اللتين هما مـحورا الإدارة، والقـيادة لبـلاد العراق وفارس الـكوفة، أو البصرة، ومن هذه البلدان التي اختصت بولاة، الموصل، حلوان، كسكر[2].

❊ ■ ❊

(١) الولاية على البلدان (١/ ١٣٣).
(٢) الولاية على البلدان (١/ ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥).

المبحث الثاني
تعيين الولاة في عهد عمر

سار الفاروق رضي الله عنه على المنهج النبوي الشريف في اختيار الولاة، فكان لا يولي إلا الأكفاء والأمناء والأصلح من غيرهم على القيام بالأعمال، ويتحرى في الاختيار والمفاصلة غاية جهده ولا يستعمل من يطلب الولاية، وكان يرى أن اختيار الولاة من باب أداء الأمانات، بحيث يجب عليه أن يعين على كل عمل أصلح من يجده، فإن عدل عن الأصلح إلى غيره مع عدم وجود ما يبرر ذلك، يكون قد خان الله، ورسوله والمؤمنين[1]، ومن أقواله في هذا الشأن: وأنا مسئول عن أمانتي وما أنا فيه، ومطلع على ما يحضرني بنفسي إن شاء الله، لا أكله إلى أحد، ولا أستطيع ما بعد منه إلا بالأمناء وأهل النصح منكم للعامة، ولست أجعل أمانتي إلى أحد سواهم[2]، وقال رضي الله عنه: من قلد رجلاً على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من هو أرضى لله منه، فقد خان الله، وخان رسوله، وخان المؤمنين[3]، وقال أيضًا: من ولي من أمر المسلمين شيئًا فولى رجلاً لمودة أو قرابة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمسلمين[4].

أولاً: أهم قواعد عمر في تعيين الولاة وشروطه عليهم:

١ - القوة والأمانة:

وقد طبق الفاروق رضي الله عنه هذه القاعدة، ورجّح الأقوى من الرجال على القوي، فقد عزل عمر شرحبيل بن حسنة وعين بدله معاوية. فقال له شرحبيل: أعن سخطة عزلتني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا إنك لكما أحب ولكني أريد رجلاً أقوى من رجل[5]، ومن أجمل ما أثر عن عمر في هذا المعنى قوله: اللهم إني أشكو إليك جلد الفاجر، وعجز الثقة[6].

(١) وقائع ندوة النظم الإسلامية (١/ ٢٩٥، ٢٩٦).
(٢) دور الحجاز في الحياة السياسية ص٢٥٥ .
(٣) الفتاوى (٢٨/ ٤٢).
(٤) الفتاوى (٢٨ / ١٣٨).
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٣٩).
(٦) الفتاوى (٢٨/ ٤٢).

٢- مقام العلم في التولية:

وقد جرى عمر الفاروق على سنة رسول الله ﷺ في تولية أمراء الجيوش خاصة. قال الطبري: إن أمير المؤمنين، كان إذا اجتمع إليه جيش من أهل الإيمان، أمّر عليهم رجلاً من أهل الفقه والعلم[١].

٣- البصر بالعمل:

كان عمر بن الخطاب يستعمل قومًا، ويدع أفضل منهم لبصرهم بالعمل[٢]، والتفضيل هنا إنما يعني أن أولئك الذين تركهم عمر، كانوا أفضل دينًا، وأكثر ورعًا، وأكرم أخلاقًا، ولكن خبرتهم في تصريف الأمور أقل من غيرهم فليس من الضروري أن يجتمع الأمران كلاهما معًا، وهذه القاعدة التي وضعها عمر، ما زالت متبعة حتى اليوم، في أرقى الدول، ذلك بأن المتدين الورع الخلوق، إذا لم تكن له بصيرة في شئون الحكم، قد يكون عرضة لخديعة أصحاب الأهواء والمضللين، أما المحنَّك المجرَّب، فإنه يعرف من النظرة السريعة، معاني الألفاظ، وما وراء معاني الألفاظ وهذا السبب نفسه هو الذي دعا عمر بن الخطاب أيضًا لاستبعاد رجل لا يعرف الشر، فلقد سأل عن رجل أراد أن يوليه عملاً فقيل له: يا أمير المؤمنين: إنه لا يعرف الشر. فقال عمر لمخاطبه: ويحك ذلك أدنى أن يقع فيه[٣]، وهذا لا يعني أن يكون العامل غير متصف بالقوة والأمانة والعلم والكفاية وغيرها من الصفات التي يستلزمها منطق الإدارة والحكم، وإنما يقع التفاضل بين هذه الصفات، ويكون الرجحان لما سمّاه عمر بن الخطاب: البصر بالعمل[٤].

٤- أهل الوبر وأهل المَدَر:

وكان عمر ينظر، حين تعيينه أحد عماله، إلى بعض الخصائص والطباع والعادات والأعراف، فلقد عُرف أنه كان ينهى عن استعمال رجل من أهل الوبر على

---

(١) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (١/ ٤٧٩).
(٢) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢/ ٥٦).
(٣، ٤) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (١/ ٤٨٢).

أهل المدر[١]، وأهل الوبر هم ساكنو الخيام، وأهل المدر هم ساكنو المدن وهذه نظرة اجتماعية سلوكية في آن معًا، في اختيار الموظفين، فلكل من أهل الوبر والمدر طبائع وخصائص وأخلاق وعادات وأعراف مختلفة، ومن الطبيعي أن يكون الوالي عارفًا بنفسية الرعية، وليس من العدل أن يتولى أمرها رجلٌ جاهل بها، فقد يرى العُرف نُكرًا وقد يرى الطبيعي غريبًا، فيؤدي ذلك إلى غير ما يتوخاه المجتمع من أهداف يسعى إلى تحقيقها[٢].

٥- الرحمة والشفقة على الرعية:

كان عمر رضي الله عنه يتوخى في ولاته الرحمة والشفقة على الرعية، وكم من مرة أمر قادته في الجهاد ألا يغرروا بالمسلمين ولا ينزلوهم منزل هلكة، وكتب عمر لرجل من بني أسلم كتابًا يستعمله به، فدخل الرجل على عمر وبعض أولاد عمر في حجر أبيهم يُقبّلهم. فقال الرجل: تفعل هذا يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما قبَّلت ولدًا لي قط، فقال عمر: فأنت والله بالناس أقل رحمة، لا تعمل لي عملاً، ورده عمر فلم يستعمله[٣]، وغزت بعض جيوشه بلاد فارس حتى انتهت إلى نهر ليس عليه جسر فأمر أمير الجيش أحد جنوده أن ينزل في يوم شديد البرد لينظر للجيش مخاضة يعبر منها، فقال الرجل: إني أخاف إن دخلت الماء أن أموت، فأكرهه القائد على ذلك، فدخل الرجل الماء وهو يصرخ: يا عمراه يا عمراه! ولم يلبث أن هلك، فبلغ ذلك عمر وهو في سوق المدينة. فقال: يا لبيكاه يا لبيكاه، وبعث إلى أمير ذلك الجيش فنزعه وقال: لولا أن تكون سنّة لأقدت منك، لا تعمل لي على عمل أبدًا[٤]، وخطب عمر ولاته فقال: اعلموا أنه لا حلم أحب إلى الله تعالى ولا أعمّ من حلم إمام ورفقه، وأنه ليس أبغض إلى الله ولا أعمّ من جهل إمام وخرقه، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهرانيه يُرزق العافية ممن هو دونه[٥].

---

(١) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (١/ ٢٨٢).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٢٨٣).
(٣) محض الصواب (٢/ ٥١٩).
(٤) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص١٥٠ .
(٥) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص٣٣٤ .

٦- لا يولي أحداً من أقاربه:

كان عمر حريصًا على ألا يولي أحدًا من أقاربه رغم كفاية بعضهم وسبقه إلى الإسلام مثل سعيد بن زيد ابن عمه وعبد الله بن عمر ابنه، وقد سمعه رجل من أصحابه يشكو إعضال أهل الكوفة به في أمر ولاتهم. وقول عمر: لوددت أني وجدت رجلاً قويًّا أمينًا مسلمًا أستعمله عليهم. فقال الرجل: أنا والله أدلك عليه، عبد الله بن عمر، فقال عمر: قاتلك الله والله ما أردت الله بهذا[(١)]، وكان يقول: من استعمل رجلاً لمودة أو لقرابة لا يشغله إلا ذلك فقد خان الله ورسوله[(٢)].

٧- لا يعطي من يطلبها:

كان لا يولي عملاً لرجل يطلبه، وكان يقول في ذلك: من طلب هذا الأمر لم يُعن عليه، وقد سار على هذا النهج اقتداء بسنة الرسول ﷺ.

٨- منع العمال من مزاولة التجارة:

كان عمر يمنع عماله وولاته من الدخول في الصفقات العامة سواءً أكانوا بائعين أو مشترين[(٣)]، روي أن عاملاً لعمر بن الخطاب اسمه الحارث بن كعب بن وهب، ظهر عليه الثراء، فسأله عمر عن مصدر ثرائه فأجاب: خرجت بنفقة معي فاتجرت بها. فقال عمر: أما والله ما بعثناكم لتتجروا وأخذ منه ما حصل عليه من ربح[(٤)].

٩- إحصاء ثروة العمال عند تعيينهم:

كان عمر يحصي أموال العمال والولاة قبل الولاية ليحاسبهم على ما زادوه بعد الولاية مما لا يدخل في عداد الزيادة المعقولة، ومن تعلل منهم بالتجارة لم يقبل منه دعواه وكان يقول لهم: إنما بعثناكم ولاة ولم نبعثكم تجارًا[(٥)].

١٠- شروط عمر على عماله:

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا استعمل عاملاً كتب عليه كتابًا، وأشهد عليه

---

(١) مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص١٠٨ ، الولاية على البلدان (١/١٢٨). (٢) الفتاوى (٢٨/١٣٨).

(٣، ٤) الإدارة الإسلامية في عصر عمر بن الخطاب ص٢١٣ . (٥) المصدر نفسه ص٢١٥ .

رهطًا من الأنصار: ألا يركب برذونًا[(١)]، ولا يأكل نقيًّا[(٢)]، ولا يلبس رقيقًا، ولا يغلق بابه دون حاجات المسلمين ثم يقول: اللهم فاشهد[(٣)].

وهذه الشروط تعني الالتزام بحياة الزهد والتواضع للناس، وهي خطوة أولى في إصلاح الأمة بحملها على التوسط في المعيشة، واللباس والمراكب، وبهذه الحياة التي تقوم على الاعتدال تستقيم أمورها، وهي خطة حكيمة، فإن عمر لا يستطيع أن يلزم جميع أفراد الأمة بأمر لا يعتبر واجبًا في الإسلام، ولكنه يستطيع أن يلزم بذلك الولاة والقادة، وإذا التزموا فإنهم القدوة الأولى في المجتمع، وهي خطة ناجحة في إصلاح المجتمع وحمايته من أسباب الانهيار[(٤)].

١١- المشورة في اختيار الولاة:

كان اختيار الولاة يتم بعد مشاورة الخليفة لكبار الصحابة[(٥)]، فقد قال ﷺ لأصحابه يومًا: دلوني على رجل إذا كان في القوم أميرًا فكأنه ليس بأمير، وإذا لم يكن بأمير فكأنه أمير[(٦)]، فأشاروا إلى الربيع بن زياد[(٧)]، وقد استشار عمر ﷺ الصحابة في من يولي على أهل الكوفة فقال لهم: من يعذرني من أهل الكوفة ومن تجنيهم على أمرائهم إن استعملت عليهم عفيفًا استضعفوه، وإن استعلمت عليهم قويًّا فجّروه[(٨)]، ثم قال: أيها الناس ما تقولون في رجل ضعيف غير أنه مسلم تقي وآخر قوي مشدّد أيهما الأصلح للإمارة؟ فتكلم المغيرة بن شعبة فقال يا أمير المؤمنين إن الضعيف المسلم إسلامه لنفسه وضعفه عليك وعلى المسلمين، والقوي المشدّد فشداده على نفسه وقوته لك وللمسلمين فأعمل في ذلك رأيك. فقال عمر: صدقت يامغيرة، ثم ولاه الكوفة وقال له: انظر أن تكون ممن يأمنه الأبرار ويخافه الفجّار، فقال المغيرة: أفعل ذلك يا أمير المؤمنين[(٩)].

---

(١) البرذون: الدابة، البراذين من الخيل ما كان من غير نتاج العرب.
(٢) نقيًّا: أي الدقيق الذي تم نخله وتنقيته، وهو طعام المترفين .
(٣) محض الصواب (١/ ٥١٠).
(٤) التاريخ الإسلامي (١٩، ٢٠ / ٢٦٨).
(٥) عصر الخلافة الراشدة ص١١٤ .
(٦، ٧) فرائد الكلام ص١٦٥ .
(٨) أي اتهموه بالفجور .
(٩) الولاية على البلدان (١/ ١٢٨).

١٢- اختبار العمال قبل التولية:

كان عـمر ﷺ يختـبر عـماله قبل أن يوليـهم، وقد يطول هذا الاخـتبار كـما يوضحه الأحنف بن قيس حين قال: قدمت على عـمر بن الخطاب ﷺ، فاحتبسني عنده حولاً فقال يا أحنف قد بلوتك وخبرتك فرأيت أن علانيتك حسنة وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتـك وإنّا كنا نتحدث إنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليم، ثم قـال له عمر أتـدري لم احتبـستك؟ وبين لـه أنه أراد اختبـاره ثم ولاه[١]، ومن نصائح عمر للأحنـف: يا أحنف، من كثر ضحكه قلتْ هيبتـه، ومن مزح استخف به، ومن أكثـر من شيء عُرف به، ومن كثـر كلامه كثـر سقطه ومن كثـر سقطه قل حياؤه، ومن قلَّ حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه[٢].

١٣- جعل الوالي من القوم:

من الملاحظ أن عـمر بن الخطاب ﷺ كـان في كثيـر من الأحيـان يولي بعض الناس على قومهم إذا رأى في ذلك مصلحة ورأى الرجل جديراً بالولاية، ومن ذلك توليته «جابر بن عبـد الله البجلي» على قومه بجيلة[٣]، حينما وجههم إلى العراق، وكـذلك تولية سلـمان الفـارسي على المدائن، وتوليـة نافع بن الحـارث على مكة، وعثـمان بن أبي العـاص على الطائف، ولعله كـان يرمي من وراء ذلك إلى أهداف معينة يستطيع تحقيقها ذلك الشخص أكثر من غيره[٤].

١٤- المرسوم الخلافي:

وقد اشـتهر عن عـمر ﷺ أنه حـينما كان ينتـهي من اختـيار الوالي واستـشارة المستشارين يكتب للوالي كتابًا يسمى عهد التعيين أو الاستعمال عند كثير من المؤرخين ويمكننا أن نسـميه مـجازًا (المرسوم الخـلافي في تعيين العـامل أو الأميـر) وقد وردت العديد من نصوص التعيين لعمال عمر[٥] ولكن المؤرخين يكادون يتفقون على أن عمر

---

(١) الولاية على البلدان (١/ ١٤٢) مناقب أمير المؤمنين ص١١٧ .

(٢) صفة الصفوة (١/ ٢٨٧).

(٣،٤) الولاية على البلدان (١/ ١٤٢).

(٥) الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص٤٠٧ .

ابن الخطاب رضي الله عنه كان إذا استعمل عاملاً كتب له كتابًا وأشهد عليه رهطًا من المهاجرين والأنصار واشترط عليه شروطًا في الكتاب[١] كما قد يكون الشخص المرشح للولاية غائبًا، فيكتب له عمر عهدًا يأمره فيه بالتوجه إلى ولايته، ومثال ذلك كتابه إلى العلاء ابن الحضرمي عامله على البحرين يأمره بالتوجه إلى البصرة لولايتها بعد عتبة بن غزوان، كما أنه في حال عزل أمير وتعيين آخر مكانه فإن الوالي الجديد كان يحمل خطابًا يتضمن عزل الأول وتعيينه مكانه، وذلك مثل كتاب عمر لأبي موسى الأشعري حين عزل المغيرة بن شعبة عن ولاية البصرة وعين أبا موسى مكانه[٢].

١٥- لا يستعين بنصراني على أمور المسلمين:

قدم على عمر فتح من الشام، فقال لأبي موسى: ادع كاتبك يقرأه على الناس في المسجد. قال أبو موسى: إنه لا يدخل المسجد. قال عمر: لم؟ أجنب هو؟ قال: لا ولكنه نصراني، فانتهره عمر وقال: لا تدنوهم وقد أقصاهم الله، ولا تكرموهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنوهم وقد خونهم الله، وقد نهيتكم عن استعمال أهل الكتاب، فإنهم يستحلون الرشوة[٣]، وعن أُسِّق[٤] قال: كنت عبدًا نصرانيًّا لعمر، فقال: أسلم حتى نستعين بك على بعض أمور المسلمين، لأنه لا ينبغي لنا أن نستعين على أمورهم بمن ليس منهم فأعتقني لما حضرته الوفاة وقال: اذهب حيث شئت[٥].

ثانيًا- أهم صفات ولاة عمر:

من أهم صفات ولاة عمر؛ سلامة المعتقد، والعلم الشرعي، والثقة بالله، والقدوة، والصدق، والكفاءة والشجاعة، والمروءة، والزهد، وحب التضحية، والتواضع وقبول النصيحة، والحلم، والصبر وعلو الهمة، والحزم والإرادة القوية، والعدل، والقدرة على حل المشكلات، وغير ذلك من الصفات وأما أهمها فهي:

١- الزهد:

فمن ولاة عمر الذين اشتهروا بزهدهم، سعيد بن عامر بن حذيم وعمير بن

---

(١) الولاية على البلدان (١/ ١٤٤).
(٢) الولاية على البلدان (٢/ ٤٩).
(٣) بدائع السالك (٢/ ٢٧).
(٤) ذكره ابن حجر في الإصابة.
(٥) محض الصواب (٢/ ٥١٤)، الطبقات (٦/ ١٥٨).

سعد وسلمان الفارسي، وأبو عبيدة بن الجرّاح، وأبو موسى الأشعري رضي الله عنهم وكان نساء بعض الولاة يقدمن الشكاوى إلى عمر نتيجة زهد أزواجهن، فقد اشتكت امرأة معاذ بن جبل رضي الله عنه وذلك: أن عمر بعث معاذًا ساعيًا.. على بعض القبائل فقسم فيهم حتى لم يدع شيئًا، حتى جاء مجلسه الذي خرج به على رقبته. فقالت امرأته: أين ما جئت به مما يأتي به العمال من عراضة أهليهم؟ فقال: كان معي ضاغط[1]، فقالت: قد كنت أمينًا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند أبي بكر، أفبعث عمر معك ضاغطًا؟ فقامت بذلك في نسائها واشتكت عمر، فبلغ ذلك عمر فدعا معاذًا، فقال أنا بعثت معك ضاغطًا، فقال: لم أجد شيئًا أعتذر به إليها إلا ذلك. قال: فضحك عمر وأعطاه شيئًا وقال أرضها به[2].

٢- التواضع:

اشتهر الولاة في عهد عمر بتواضعهم الشديد حتى إن القادمين إلى بلادهم لا يميزون بينهم وبين عامة الناس فهم في لباسهم وبيوتهم ومراكبهم كعامة الناس لا يميزون أنفسهم بشي، ومن أمثلة ذلك قصة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، فقد بعث إليه الروم رجلاً ليفاوضه: فأقبل حتى أتى أبا عبيدة، فلما دنا من المسلمين لم يعرف أبا عبيدة من أصحابه، ولم يدر أفيهم هو أم لا ولم يرهبه مكان أمير. فقال لهم: يا معشر العرب، أين أميركم؟ فقالوا: هاهو ذا. فنظر فإذا هو بأبي عبيدة جالس على الأرض وهو متنكب القوس وفي يده أسهم وهو يقلبها. فقال له الرسول: أنت أمير هؤلاء؟ قال: نعم. قال فما يجلسك على الأرض؟ أرأيت لو كنت جالسًا على وسادة أو كان ذلك وضعك عند الله أو مانعك من الإحسان؟ قال أبو عبيدة: إن الله لا يستحي من الحق، ولأصدقنك عما قلت ما أصبحت أملك دينارًا ولا درهمًا وما أملك إلا فرسي وسلاحي وسيفي، لقد احتجت أمسي إلى نفقة فلم يكن عندي حتى استقرضت من أخي هذا نفقة كانت عنده -يعني معاذًا- فأقرضنيها، ولو كان عندي أيضًا بساط أو وسادة ما كنت لأجلس عليه دون إخواني وأصحابي وأجلس

(١) ضاغط: مراقب.

(٢) الولاية على البلدان (٢/ ٥٣).

أخي المسلم الذي لا أدري لعله عند الله خير مني على الأرض، ونحن عباد الله نمشي على الأرض، ونجلس على الأرض، ونأكل على الأرض ونضجع على الأرض وليس ذلك ينقصنا عند الله شيئًا، بل يعظم الله به أجورنا، ويرفع درجاتنا، ونتواضع بذلك لربنا[١].

٣- الورع:

حرص العديد من الولاة أن يُعفى من الأعمال الموكلة إليهم فقد استعفى عتبة بن غزوان عمر من ولاية البصرة فلم يعفه[٢]، كما أن (النعمان بن مقرن) كان واليًا على كسكر فطلب إلى عمر أن يعفيه من الولاية ويسمح له بالجهاد رغبة في الشهادة[٣]، كما رفض بعض الصحابة الولاية حينما طلب منهم عمر أن يعملوا في الولايات، فقد رفض الزبير بن العوام ولاية مصر حينما عرض عليه ذلك قائلاً: يا أبا عبد الله هل لك في ولاية مصر؟ فقال: لا حاجة لي فيها ولكن أخرج مجاهدًا وللمسلمين معاونًا[٤]، كما رفض ابن عباس ولاية حمص حينما عرض عليه عمر أن يوليه إياها بعد وفاة أميرها[٥].

٤- احترام الولاة لمن سبقهم من الولاة:

امتاز الولاة على البلدان باحترام من سبقهم من الولاة وتقديرهم وهذا يلاحظ في معظم الولاة في العصر الراشدي حيث نجد مثلاً أن خالدَ بن الوليد حينما قدم إلى الشام أميرًا على أبي عبيدة بن الجراح وغيره رفض أن يتقدم على أبي عبيدة في الصلاة، وحينما قام عمر بعزل خالد بن الوليد عن ولاية أجناد الشام وتعيين أبي عبيدة مكانه أخفى أبو عبيدة الخبر عن خالد ولم يخبره به حتى ورد كتاب آخر من عمر، فعلم خالد بالخبر فعاتب أبا عبيدة على عدم تبليغه[٦]، يقول الدكتور عبد العزيز العمري: ولم أجد من خلال البحث أن أحدًا من الولاة عمل على إذلال من

---

(١) فتوح الشام للأزدي ص١٢٢، ١٢٣ .

(٢، ٣) الولاية على البلدان (٢/ ٥٤).

(٤) فتوح البلدان للبلاذري ص٢١٤ .

(٥) الخراج لأبي يوسف ص٢٢، ٢٣.

(٦) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٣٩، ١٤٠).

سبقه أو النيل منه، بل إنهم في الغالب يعملون على مدحهم في أول خطبة يلقونها ويثنون عليهم[١].

ثالثًا: حقوق الولاة:

مما لا ريب فيه أن للولاة على البلدان حقوقًا مختلفة يتصل بعضها بالرعية وبعضها بالخليفة، بالإضافة إلى حقوق أخرى متعلقة ببيت المال، وكل هذه الحقوق الأدبية أو المادية تهدف بالدرجة الأولى إلى إعانة الولاة على القيام بواجباتهم وخدمة دين الإسلام وهذه أهم حقوقهم:

١- الطاعة في غير معصية:

وواجب الطاعة من الرعية للأمراء والولاة قررته الشريعة قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ (النساء، آية: ٥٩).

وهذه الآية تنص على وجوب طاعة أولي الأمر ومنهم الأمراء المنفذون لأوامر الله سبحانه وتعالى[٢]، ولاشك أن طاعة الأمراء والخلفاء مقيدة بطاعة الله وأنهم متى عصوا الله فلا طاعة لهم[٣].

٢- بذل النصيحة للولاة:

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال له: يا أمير المؤمنين لا أبالي في الله لومة لائم خير لي أم أقبل على نفسي؟ فقال: أما من ولي من أمر المؤمنين شيئًا فلا يخف في الله لومة لائم، ومن كان خلواً من ذلك فليقبل على نفسه ولينصح لولي أمره[٤].

٣- إيصال الأخبار للولاة:

يجب على الرعية للوالي إيصال الأخبار الصحيحة إليه والصدق في ذلك، سواء ما يخص أحوال العامة، أو ما يخص أخبار الأعداء أو ما كان متعلقًا بعمال الوالي

---

(١) الولاية على البلدان (٢/ ٥٥). (٢،٣) المصدر نفسه (٢/ ٥٦).
(٤) الخراج لأبي يوسف ص١٥، الولاية على البلدان (٢/ ٥٧).

وموظفيه والعجلة في ذلك قدر المستطاع خصوصًا ما كان متعلقًا بالأمور الحربية وأخبار الأعداء وما يتعلق بخيانات العمال وغير ذلك من منطق الاشتراك في المسئولية مع الوالي في مراعاة المصلحة العامة للأمة[١].

٤- مؤازرة الوالي في موقفه:

إذا كان موقفه للمصلحة العامة وتلزم المعاونة بالدرجة الأولى من قبل الخليفة، فقد كان عمر رضي الله عنه حريصًا على هذا المعنى كل الحرص حيث كان يولي عناية خاصة لاحترام الناس لولاتهم وتقديرهم لهم ويبذل في ذلك مختلف الأسباب (فكان عمر على شدة ما فيه مع عماله إذا أحس باعتداء أو شبه اعتداء وقع على أحدهم يشتد على المعتدين في تلك الناحية ليبقى للعامل هيبة توقره في الصدور ومهابة يلجم بها العامة والخاصة)[٢].

٥- حق الأمير في الاجتهاد:

من حق الأمير الاجتهاد برأيه في الأمور التي يكون مجال الاجتهاد فيها مفتوحًا خصوصًا في الأمور التي لم يحددها الشرع بدقة وفي الأمور الأخرى التي لم يأت فيها تفويض من الخليفة للتصرف في حدود معينة، فقد اجتهد أحد ولاة عمر في الشام في قسمة الأسهم بين الراجلة والفرسان، فأجاز عمر اجتهاده، وقد اشتهر عن ابن مسعود وكان أحد ولاة عمر رضي الله عنه أنه خالف عمر في أكثر من مائة مسألة اجتهادية[٣].

٦- احترامهم بعد عزلهم:

من حقوق الولاة احترامهم بعد عزلهم، فعندما عزل عمر رضي الله عنه شرحبيل بن حسنة عن ولاية الأردن، بين للناس سبب عزله، وقال لشرحبيل عندما سأله أعن سخطة عزلتني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا إنك لكما أحب ولكني أريد رجلاً أقوى من رجل[٤]، وعزل سعد بن أبي وقاص عن ولاية الكوفة ولعله رأى أن احترامه يقضي

---

(١) الولاية على البلدان (٢/ ٥٧).
(٢) المصدر نفسه (١/ ١٥٢).
(٣) إعلام الموقعين (٢/ ٢١٨).
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٣٩).

بإبعاده عن أناس كانوا يعيبونه في صلاته مع أن سعدًا رضي الله عنه كان أشبه الناس صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمه التام بصفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، فعزله عمر احترامًا له عن أن يقع فيه مثل هؤلاء الجهال[١].

٧- حقوقهم المادية:

أما عن الناحية المادية فقد كان للولاة حقوق وعلى رأسها مرتباتهم التي يعيشون عليها، ولا شك أن الصحابة رضي الله عنهم وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون قد أحسوا بأهمية الأرزاق بالنسبة للعمال، وأنها حق من حقوقهم إضافة إلى استغنائهم بها عن الناس وبالتالي عدم التأثير عليهم أو محاولة رشوتهم[٢]، وقد كان عمر بن الخطاب حريصًا على نزاهة عماله وعفتهم عن أموال الرعية، واستغنائهم بأموالهم عن أموال الغير، ولعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أحس بهذه القضية الخطيرة، وأحس أنه لكي يضمن نزاهة عماله فلا بد له أن يغنيهم عن الحاجة إلى أموال الناس. وقد دار حوار بينه وبين أبي عبيدة مفهومه أن أبا عبيدة قال لعمر بن الخطاب: دنّست أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم -يعني باستعمالهم- فقال له عمر: يا أبا عبيدة إذا لم أستعن بأهل الدين على سلامة ديني فبمن أستعين؟ قال أبو عبيدة: أما إن فعلت فأغنهم بالعمالة عن الخيانة[٣]، يعني إذا استعملتهم في شيء فأجزل لهم في العطاء والرزق، حتى لا يحتاجون إلى الخيانة أو إلى الناس. وقد كان عمر يصرف لأمراء الجيش والقرى وجميع العمال من العطاء ما يكفيهم بالمعروف نظير عملهم (على قدر ما يصلحهم من الطعام وما يقومون به من الأمور)[٤]، وكان عمر يحرص على نزاهة العمال عما بأيديهم من الأموال العامة فيقول لعماله: قد أنزلتكم من هذا المال ونفسي منزلة وصي اليتيم من كان غنيًّا فليستعفف ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف[٥]، وقد فرض عمر لجميع عماله تقريبًا مرتبات محددة وثابتة سواء يومية أو شهرية أو سنوية وقد ورد ذكر بعضها في المصادر التاريخية منها ما كان طعامًا ومنها ما كان نقودًا محددة[٦]، وقد

---

(١) الولاية على البلدان (٢/ ٥٩).
(٢) الولاية على البلدان (٢/ ٦٠).
(٣) الخراج لأبي يوسف ص١٢٢ .
(٤) الولاية على البلدان (١/ ١٤٩).
(٥) تاريخ المدينة (٢/ ٦٩٤) الولاية على البلدان (١/ ١٤٩).
(٦) الولاية على البلدان (١/ ١٥٠).

ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل عبد الله بن مسعود على القضاء وبيت المال وعثمان بن حنيف على ما سقى الفرات وعمّار بن ياسر على الصلاة والجند ورزقهم كل يوم شاة، فجعل نصفها وسقطها وأكارعها لعمار بن ياسر، لأنه كان في الصلاة والجند، وجعل ربعها لعبد الله بن مسعود والربع الآخر لعثمان بن حنيف كما ورد أن عمر ابن الخطاب فرض لعمرو بن العاص أثناء ولايته على مصر مائتي دينار[١]، وكان عطاء سلمان الفارسي رضي الله عنه وهو على ثلاثين ألفًا من الناس في المدائن خمسة آلاف درهم، ولزهده كان يأكل من عمل يده من الخوص ويتصدق بعطائه[٢]، وقد وردت روايات أخرى متفاوتة في أرزاق عمر لولاته، ولا شك أن هذا الاختلاف في الروايات مرده إلى تطور الأحوال وتغيرها خلال عهد عمر، فلا يعقل أن تبقى الأرزاق والمرتبات على ماهي عليه من أول عهده إلى نهايته، نظرًا لتغير الظروف والأحوال واختلاف الأسعار وتطور الحاجات نتيجة اتساع الفتوح وزيادة الدخل في بيت المال[٣]، وقد ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رزق معاوية على عمله بالشام عشرة آلاف دينار في كل سنة، كما ذكر أن عمر كان يفرض لأمراء الجيوش والقرى في العطاء ما بين تسعة آلاف وثمانية آلاف وسبعة آلاف على قدر ما يصلهم من الطعام وما يقومون به من الأمور[٤].

وقد كره بعض العمال أخذ الأرزاق نتيجة قيامه بأعمال الإمارة والولاية للمسلمين إلا أن الفاروق كان يوجههم إلى أخذها، فقد قال عمر رضي الله عنه لأحد ولاته: ألم أحدثك أنك تلي من أعمال المسلمين أعمالاً فإذا أعطيت العمالة كرهتها؟ فقال: بلى، فقال عمر: ما تريد إلى ذلك؟ قال إني لي أفراسًا وأعبدًا وأنا بخير، وأريد أن تكون عمالتي صدقة على المسلمين فقال عمر: لا تفعل فإني كنت أردت الذي أردت، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطاء فأقول أعطه أفقر إليه مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم: خذه فتموله وتصدق به، فما جاءك من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف

(١) الطبقات الكبرى (٤/ ٢٦١).
(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٥٤٧).
(٣) الولاية على البلدان (٢/ ٦٣).
(٤) الخراج لأبي يوسف ص٥٠، الولاية على البلدان (٢/ ٦٣).

فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك[١]، وعلى كل حال فإن مبدأ إعطاء الأرزاق للعمال وإغنائهم عن الناس كان مبدأ إسلاميًا فرضه الرسول ﷺ، وسار عليه الخلفاء الراشدون من بعده، حتى أغنوا العمال عن أموال الناس، وفرّغوهم للعمل ولمصلحة الدولة الإسلامية[٢].

٨- معالجة العمال إذا مرضوا:

مرض معيقيب، وكان خازن عمر على بيت المال، فكان يطلب له الطب من كل من يسمع عنده بطب، حتى قدم عليه رجلان من أهل اليمن، فقال: هل عندكم من طب لهذا الرجل الصالح، فإن هذا الوجع قد أسرع فيه. قالا: أما شيء يذهبه فإنا لا نقدر عليه ولكنا نداويه بدواء يقفه فلا يزيد. قال عمر: عافية عظيمة أن يقف فلا يزيد قال: هل ينبت في أرضك هذا الحنظل. قال: نعم: قالا: فاجمع لنا فيه فأمر عمر فجمع له منه مكتلان عظيمان، فعمدا إلى كل حنظلة، قطعاها باثنين، ثم أضجعا معيقيبًا فأخذ كل واحد منهما بإحدى قدميه ثم جعلا يدلكان بطون قدميه بالحنظل، حتى إذا امّحقت أخذ أخرى. ثم أرسلاه فقال عمر: لا يزيد وجعه هذا أبدًا. قال الراوي: فوالله ما زال معيقيب بعدها متمسكًا ما يزيد وجعه حتى مات[٣].

رابعًا- واجبات الولاة:

إن الولاة بما بوأهم الله من مكانة، قد ألقى على كاهلهم أعباءً ثقالاً، وواجبات جسامًا، أثر منها عن عمر بن الخطاب ما يلي:

١- إقامة أمور الدين:

كنشر الدين الإسلامي بين الناس، وإقامة الصلاة، وحفظ الدين وأصوله، وبناء المساجد وتيسير أمور الحج، وإقامة الحدود الشرعية:

*** نشر الدين الإسلامي:**

حيث اختص ذلك العصر بفتوحات عظيمة اقتضت من الولاة العمل على نشر

---

(١) الولاية على البلدان (٢/ ٦٤)، الإدارة الإسلامية محمد كرد ص٤٨ .

(٢) الولاية على البلدان (٢/ ٦٤).

(٣) أخبار عمر طنطاويات ص٣٤١ .

الدين في البلاد المفتوحة مستعينين بمن معهم من الصحابة[١]، وفي زمن عمر كتب إليه يزيد بن أبي سفيان وكان واليًا على الشام: إن أهل الشام قد كثروا وملؤوا المدائن واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم فأعني برجال يعلمونهم، فأرسل إليه عمر خمسة من فقهاء الصحابة[٢]، وقد اشتهر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يردد: ألا إنني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم أمر دينكم وسنة نبيكم[٣]، وكان عمر يقول لولاته إنا لا نوليكم على أشعار المسلمين ولا على أبشارهم وإنما نوليكم لتقيموا الصلاة وتعلموهم القرآن[٤]، وقد أرسل عمر رضي الله عنه مجموعة من المعلمين إلى الأمصار الإسلامية، حيث أسسوا المدارس العلمية المشهورة كما مرّ معنا.

*** إقامة الصلاة:**

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب لولاته: إن أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أشد إضاعة[٥]، كما كان عمر يؤكد لولاته أهمية إقامة الصلاة في الناس بقوله: وإنما نوليكم لتقيموا الصلاة وتعلموهم العلم والقرآن[٦]، وكان عمر رضي الله عنه ينص في قرار التعيين أن فلانًا أمير الصلاة والحرب كالقرار الذي عين فيه عمار بن ياسر على الصلاة والحرب وعبد الله ابن مسعود على القضاء وبيت المال[٧]، وقد تحدث الفقهاء الذين كتبوا في السياسة الشرعية عن أهمية الصلاة بالنسبة للأمير وما يتضمنه ذلك الأمر من معان عظيمة دنيوية وأخروية[٨].

*** حفظ الدين وأصوله:**

حرص الفاروق على حفظ الدين على أصوله الصحيحة التي نزلت على رسول

---

(١) أعلام الموقعين (٢/ ٢٤٧). (٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٤٧). (٣) السياسة الشرعية ص١٥٠.
(٤) نصيحة الملوك للماوردي ص٧٢، الولاية على البلدان (٢/ ٦٥).
(٥) الطريقة الحكمية ص٢٤٠، الولاية على البلدان (٢/ ٦٧).
(٦) نصيحة الملوك ص٧٢. (٧) الأحكام السلطانية ص٣٣. (٨) الولاية على البلدان (٢/ ٦٧).

الله، وكان يعمل جاهدًا على إحياء سنة الرسول ﷺ والقضاء على البدع والعمل على احترام دين الله وإحياء سنة رسول الله ﷺ، فقد أمر بطرد رجل وتغريبه نتيجة كثرة إثارته لمواضيع من المتشابه من القرآن[١] كما مر معنا، وأمر رضي الله عنه بالقيام في رمضان وتعميم ذلك على الأمصار[٢]، وقد كتب إلى أبي موسى الأشعري: إنه بلغني أن ناسًا من قبلك قد دعوا بدعوى الجاهلية يا آل ضبة فإذا أتاك كتابي هذا فأنهكهم عقوبة في أموالهم وأجسامهم حتى يفرقوا إذا لم يفقهوا[٣].

* تخطيط وبناء المساجد:

وتذكر بعض الإحصاءات أنه أنشئ في عهد عمر ٤٠٠٠ مسجد في بلاد العرب وحدها وقد اشتهر الولاة بنشر المساجد وتأسيسها في مختلف مناطق حكمهم مثل عياض بن غنم الذي أنشأ مجموعة من المساجد في النواحي المختلفة من الجزيرة[٤].

* تيسير أمور الحج:

كان الولاة في عهد الخلافة الراشدة مسئولين عن تيسير أمور الحج في ولاياتهم وتأمين سلامة الحجاج منها، فقد كان الولاة يعينون الأمراء على قوافل الحج، ويحددون لهم أوقات السفر حيث لا يغادر الحجاج بلدانهم إلا بإذن الوالي. وقد أكد الفقهاء بعد ذلك على أن تسيير الحجاج عمل من مهام الوالي على بلده، يقول الماوردي: أما تسيير الحجيج من عمله فداخلة في أحكام إمارته لأنه من جملة المعونات التي تنسب لها[٥].

* إقامة الحدود الشرعية:

أقام عمرو بن العاص الحد على أحد أبناء عمر بن الخطاب في مصر ثم عاقبه عمر نفسه بالجلد، وقيل: إنه توفي بعد ذلك في أثر هذا الجلد[٦]، وقد كان الولاة يقومون بالقصاص في القتل دون إذن الخليفة إلى أن كتب إليهم عمر: ألا تقتلوا

(١، ٢) الولاية على البلدان (٢/ ٦٨).
(٣) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص١٣٣ .
(٤) فتوح البلدان للبلاذري ص١٨٢ ، الولاية على البلدان (٢/ ٦٩).
(٥) الأحكام السلطانية ص٣٣ .
(٦) مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص٢٤٠، ٢٤٢ .

أحدًا إلا بإذني[١]، فأصبحوا يستأذنون عمر في القتل قبل تنفيذه، فإقامة الحدود من الأمور الدينية والدنيوية التي كان ينظر إليها الخلفاء وولاتهم نظرة جادة ويهتمون بها كما يهتمون بشعائر الدين المختلفة[٢].

٢- تأمين الناس في بلادهم:

إن المحافظة على الأمن في الولاية من أعظم الأمور الموكلة إلى الوالي، وفي سبيل تحقيق ذلك فإنه يقوم بالعديد من الأمور أهمها إقامة الحدود على العصاة والفساق، مما يجد من الجرائم التي تهدد حياة الناس وممتلكاتهم[٣] وقد كتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري: أخيفوا الفساق واجعلوهم يدًا يدًا ورجلاً رجلاً[٤]، كما أن إقامة فريضة الجهاد ضد الأعداء كانت لها دور كبير في تأمين البلاد الإسلامية وأمصارها[٥].

٣- الجهاد في سبيل الله:

إذا استعرضنا أسماء الأمراء منذ بداية خلافة أبي بكر إلى خلافة عمر لوجدنا لهم باعًا طويلاً في الفتوحات، بل إنهم كانوا يتوجهون أمراء إلى بلدان لم تفتح بعد فيعملون على فتحها ومن ثم تنظيمها كأمراء الشام أبي عبيدة، وعمرو بن العاص، ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة، وأمراء العراق كالمثنى بن حارثة وخالد بن الوليد وعياض بن غنم وغيرهم[٦]، وقد كان الولاة في عهد الخلفاء الراشدين مع إدارتهم لبلادهم مجاهدين لنواحي العدو، ولم يمنعهم ذلك من القيام بأعمالهم الموكلة إليهم، وقد تحدثت المصادر التاريخية عن أهم أعمال الولاة في دعم حركة الجهاد والتي من أهمها:

- **إرسال المتطوعين إلى الجهاد.**
- **الدفاع عن الولاية ضد الأعداء:** فقد قال عمر: ولكم علي أن أسد ثغوركم.
- **تحصين البلاد:** فقد أمر الفاروق ببناء حصون لمن نزل الجيزة في مصر من قبائل الفتح، خوفًا عليهم من الإغارات المفاجئة[٧].

---

(١) الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص٥٢١ . (٢،٣) الولاية على البلدان (٢/ ٧٠).
(٤) عيون الأخبار (١/ ١١). (٥،٦) الولاية على البلدان (٢/ ٧١).
(٧) الولاية على البلدان (١/ ٧٧).

- **تتبع أخبار الأعداء:** فقد اشتهر عن أبي عبيدة ﷺ متابعته الدقيقة لتجمعات الروم في بلاد الشام، فكان يقوم ببعض العمليات الانسحابية التمويهية بناء على هذه الأخبار[١].

- **إمداد الأمصار بالخيل:** وضع عمر ﷺ سياسة عامة في الدولة لتوفير الخيل اللازمة للجهاد في الأمصار الإسلامية حسب حاجتها فأقطع أناسًا من البصرة أراضي كي يعملوا فيها على إنتاج الخيل وتربيتها[٢]، كما أعطى عمر أناسًا من المسلمين في دمشق أرضًا للعناية بالخيل فزرعوها فانتزعها منهم وأغرمهم لمخالفتهم الهدف من إعطائهم الأراضي وهو المساعدة في إنتاج الخيل، وقد كان لعمر أربعة آلاف فرس في الكوفة وكان قيمه عليها سلمان بن ربيعة الباهلي في نفر من أهل الكوفة يصنّع سوابقها ويجريها في كل عام، وبالبصرة نحوٌ منها، وأيضًا في كل مصر من الأمصار الثمانية عدد قريب من العدد السابق[٣] وكانت هذه الخيول مجهزة للدفاع الفوري عن الدولة الإسلامية[٤].

- **تعليم الغلمان وإعدادهم للجهاد:** فقد كان عمر ﷺ يكتب إلى أهل الأمصار يأمرهم بتعليم أولادهم الفروسية والسباحة والرمي، وقد أصيب أحد الغلمان أثناء التعليم في الشام ومات، فكتبوا إلى عمر في ذلك فلم يثنه عن أمره بتعليم الأولاد الرمي[٥].

- **متابعة دواوين الجند:** اهتم الفاروق ﷺ اهتمامًا خاصًا بدواوين الأمصار نظرًا لاعتقاده أن أهل الأمصار أحوج الناس للضبط خصوصًا القريبة من الأعداء وهي الأمصار التي تحتاج إلى الجنود باستمرار[٦]، وقد كان الولاة على البلدان مسئولين مباشرة عن دواوين الجند رغم وجود بعض الموظفين الآخرين الذين يتولون مهمتها، ولكن باعتبار أن هؤلاء الولاة هم أمراء الحرب فقد كانت مسئوليتهم عن الدواوين في بلدانهم كمسئولية الخليفة باعتبارهم نوابًا[٧].

---

(١) الفتوح ابن أعثم ص٢١٥ . (٢، ٤) الولاية على البلدان (٢/ ٧٤).
(٥) الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص٤٨٦ . (٦) النظم الإسلامية، صبحي الصالح ص٤٨٨، ٤٩١ .
(٧) الولاية على البلدان (٢٠/ ٧٧).

- **تنفيذ المعاهدات:** وقد جرت بعض المعاهدات بين أبي عبيدة بن الجراح وبعض مدن الشام، وكذلك الحال بالنسبة لأمراء العراق كسعد بن أبي وقاص وأبي موسى الأشعري وغيرهم من الولاة، وقد كان الولاة إضافة إلى ذلك يحرصون على حماية حقوق الذميين والمعاهدات الشخصية والعامة، وينفذون المعاهدات انطلاقًا من الأوامر الشرعية برعاية العهد[١]، وقد أوصى الفاروق بأهل الذمة فقال: أوصيكم بذمة الله وذمة رسوله خيرًا، أن يقاتل مَنْ وراءهم، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم[٢].

٤- بذل الجهد في تأمين الأرزاق للناس:

فقد قال عمر: إن سلمني الله لأدعنّ أرامل العراق وهن لا يحتجن إلى أحد بعدي، ونحن لا ننسى موقف عمر عام الرمادة، حين حل الجوع بالناس، فإنه وضع جميع إمكانيات الدولة لحل الأزمة وإشباع البطون الجائعة، فقد روى البيهقي في سننه أن عمر أنفق على أهل الرمادة حتى وقع المطر، فترحلوا، فخرج إليهم عمر راكبًا فرسًا، فنظر إليهم وهم يترحلون بظعائنهم، فدمعت عيناه، فقال رجل من بني محارب بن خصفة: أشهد أنها انحسرت عنك، ولست بابن أمة يمتدح عمر، فقال له عمر: ويلك، ذلك لو أنفقت من مالي أو من مال الخطاب، إنما أنفقت من مال الله[٣]، وقد قال رضي الله عنه: ولكم عليّ ألا أجتبي شيئًا من خراجكم ولا مما أفاء الله عليكم إلا من وجهه، ولكم عليّ إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه، ولكم عليّ أن أزيد أعطياتكم وأرزاقكم إن شاء الله[٤]، وقد أخذ توزيع الأعطيات في عهد عمر شكلاً دوريًّا منتظمًا، ولم يكن ذلك خاصًّا بسكان البلدان، بل إن القبائل في البادية شملتها الأعطيات، فقد كان عمر بن الخطاب يدور في القبائل القريبة من المدينة ويوزع عليهم أعطياتهم بنفسه وكان يكتب إلى بعض ولاته أن أعط الناس أعطياتهم وأرزاقهم فكتب إليه عمر: إنه فيئهم الذي أفاء الله عليهم، ليس هو لعمر ولا آل عمر أقسمه بينهم[٥]، ولم يكتف عمر بتأمين الأموال للناس بل إنه عمل

---

(١) الولاية على البلدان (٢/ ٧٧).
(٢) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص١٣٣ .
(٣) سنن البيهقي (٦/ ٣٥٧) موسوعة فقه عمر ص١٣٥ .
(٤) موسوعة فقه عمر ص١٣٧ .
(٥) الولاية على البلدان (٢/ ٧٧).

على تأمين الطعام، ففي إحدى زياراته للشام قام إليه بلال بن رباح فقال: يا أمير المؤمنين إن أمراء أجنادك بالشام والله ما يأكلون إلا لحوم الطير والخبز النقي وما يجد ذلك عامة المسلمين، فقال لهم عمر رضي الله عنه ما يقول بلال؟ فقال له يزيد بن أبي سفيان: يا أمير المؤمنين إن سعر بلادنا رخيص وإنا نصيب هذا الذي ذكر بلال هنا بمثل ما كنا نقوت عيالاتنا بالحجاز فقال عمر رضي الله عنه: لا والله لا أبرح حتى تضمنوا لي أرزاق المسلمين في كل شهر. ثم قال: انظروا كم يكفي الرجل ما يشتهيه؟ قالوا جريبين مع ما يصلحه من الزيت والخل عند رأس كل هلال فضمنوا له ذلك. ثم قال يا معشر المسلمين هذا لكم سوى أعطياتكم فإن وفّى لكم أمراؤكم بهذا الذي فرضت لكم عليهم، وأعطوكموه في كل شهر، فذلك أحب، وإن هم لم يفعلوا فأعلموني حتى أعزلهم وأولي غيرهم[1]، وقد كان عمر يحرص على توفير الطعام في البلدان ويتابع الأسواق ويمنع الاحتكار، وكذلك كان ولاته يقومون بمهمتهم في مراقبة الأسواق، كما كان يأمر التجار بالمسير في الآفاق والجلب على المسلمين وإغناء أسواقهم[2]، ولم يكتف الفاروق وولاته بتأمين الطعام ومراقبة الأسواق فقط، بل إن السكن وتوزيعه كان من المهام الموكلة لأمراء البلدان، فعند إنشاء الأمصار وتخطيطها وزعت الأراضي على الناس لسكناها في الكوفة والبصرة[3] والفسطاط كما كان الأمراء يشرفون على تقسيم البيوت في المدن المفتوحة، كحمص ودمشق والإسكندرية وغيرها[4].

٥- تعيين العمال والموظفين:

كان تعيين العمال والموظفين في الوظائف التابعة للولاية في كثير من الأحايين من مهام الوالي حيث إن الولاية في الغالب تتكون من بلد رئيس إضافة إلى بلدان وأقاليم أخرى تابعة للولاية، وهي بحاجة إلى تنظيم أمورها، فكان الولاة يعينون من مثلهم عمالاً وموظفين في تلك المناطق، سواء أكانوا في مستوى أمراء، أو عمال خراج، وفي الغالب فإن هذا التعيين يتم بالاتفاق بين الخليفة والوالي[5].

---

(١) فتوح الشام للأزدي ص٢٥٧ ، الولاية على البلدان (٢/ ٧٨). (٢) تاريخ المدينة (٢/ ٧٤٩).
(٣) الولاية على البلدان (٢/ ٧٩). (٤) فتوح البلدان للبلاذري ص١٤٣، ٢٢٤ .
(٥) الولاية على البلدان (٢/ ٧٩).

٦- رعاية أهل الذمة:

كانت رعاية أهل الذمة واحترام عهودهم والقيام بحقوقهم الشرعية، ومطالبتهم بما عليهم للمسلمين من واجبات، وتتبع أحوالهم، وأخذ حقوقهم ممن يظلمهم انطلاقًا من الأوامر الشرعية في هذا الجانب- من واجبات الوالي، وقد كان الخلفاء يشترطون على الذميين في كثير من الأحيان شروطًا معينة قبل مصالحتهم، وبالتالي يوفون لهم بحقوقهم ويطالبون بما عليهم من شروط[١].

٧- مشاورة أهل الرأي في ولايته وإكرام وجوه الناس:

شدد عمر على الولاة في استشارة أهل الرأي في بلادهم، وكان الولاة يطبقون ذلك ويعقدون مجالس للناس لأخذ آرائهم، وكان يأمر ولاته باستمرار بمشاورة أهل الرأي[٢]، وطلب من ولاته إنزال الناس منازلهم، فقد كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: بلغني أنك تأذن للناس جمًّا غفيرًا، فإذا جاءك كتابي هذا فأذن لأهل الشرف وأهل القرآن والتقوى والدين، فإذا أخذوا مجالسهم فأذن للعامة؛ وكتب إليه أيضًا: لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائج الناس، فأكرموا وجوه الناس، فإنه بحسب المسلم الضعيف أن ينتصف في الحكم والقسمة[٣].

٨- النظر إلى حاجة الولاية العمرانية:

فقد قام سعد بن أبي وقاص بحفر نهر في ولايته بناء على طلب بعض كبار الفرس لصالح المزارعين في المنطقة[٤]، كما كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري يأمره بحفر نهر لأهل البصرة، وقام أبو موسى بحفر نهر طوله أربعة فراسخ حتى تمكن من جلب المياه لسكان البصرة[٥] كما اعتنى ولاة عمر رضي الله عنه عند تأسيسهم للأمصار المشهورة الكوفة، والبصرة والفسطاط بتخطيط الشوارع وتوزيع

(١، ٢) الولاية على البلدان (٢/ ٨٠).

(٣) نصيحة الملوك للماوردي ص٢٠٧ ، موسوعة فقه عمر ص١٣٤ .

(٤) فتوح البلدان للبلاذري ص٢٧٣ ، الولاية على البلدان (٨٧٢).

(٥) فتوح البلدان للبلاذري ص٣٥١، ٣٥٢ .

الأراضي وبناء المساجد وتأمين المياه، وغير ذلك من المصالح العامة لهذه المدن، كما اهتم الولاة بتوطين السكان في المناطق غير المرغوب فيها، لقربها من العدو أو غير ذلك من الأسباب فقد قدموا لهم الإغراءات وأقطعوهم الأراضي تشجيعًا لهم على البقاء فيها، وقد فعل ذلك عمر وعثمان في إنطاكية وفي بعض بلاد الجزيرة.

٩- مراعاة الأحوال الاجتماعية لسكان الولاية:

كان الوفد إذا قدموا على عمر رضي الله عنه سألهم عن أميرهم فيقولون خيرًا، فيقول هل يعود مرضاكم؟ فيقولون نعم، فيقول هل يعود العبد؟ فيقولون نعم، فيقول كيف صنيعه بالضعيف؟ هل يجلس على بابه؟ فإن قالوا لخصلة منها (لا عزله) [١] وكان عمر يقوم بعزل العامل إذا بلغه أنه لا يعود المريض ولا يدخل عليه الضعيف[٢]، كما حرص عمر بن الخطاب على أن يظهر عماله بالمظهر المتواضع أمام الناس حتى يشعر الناس بأن ولاتهم منهم ولا يتميزون عنهم، فكان عمر يشترط على عماله مركبًا وملبسًا مماثلاً للناس، وينهاهم عن اتخاذ الأبواب والحجاب[٣].

١٠- عدم التفريق بين العربي وغيره:

يجب على الولاة أن يقوموا بالمساواة بين الناس وأن لا يفرقوا بين العربي وغيره من المسلمين، فقد قدم قوم على عامل لعمر بن الخطاب، فأعطى العرب وترك الموالي، فكتب إليه عمر: أما بعد: فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم وفي رواية، كتب إليه: ألا سويت بينهم[٤].

كما أن هناك العديد من الواجبات الأخلاقية الأخرى التي أمر الإسلام بالتزامها مثل (الوفاء بالعهد، وإخلاص المرء في عمله، ومراقبة الله سبحانه وتعالى في كل ما يعمل، واستعداده للتعاون مع سائر الجماعة في كل أعمال البرّ والتقوى، ووجوب النصح لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فإن هذا ولا شك يؤدي إلى إصلاح حال الجماعة[٥])، وكان على الوالي، فضلاً عن الالتزام بهذه المعاني، نشرها بين

(١، ٣) الولاية على البلدان (٢/ ٨٢).
(٤) الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص٥٢٣.
(٥) النظريات السياسية الإسلامية محمد ضياء الريس ص٣٠٧، ٣٠٨.

الناس في ولايته وذلك من خلال خطبه وكتبه ومواعظه وتصرفاته، وقد كان الولاة في عصر الراشدين -بصفة إجمالية- نموذجًا صالحًا لهذه الأخلاقيات والواجبات، سواء في أشخاصهم وخصوصياتهم أم في سلوكهم العام مع الرعية[١].

خامسًا- الترجمة في الولايات، وأوقات العمل عند الولاة:

١- الترجمة في الولايات:

إن عملية الترجمة تعتبر من الوظائف المساعدة لولاة البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، والحاجة ماسة إليها، في كثير من الأحيان، وقد طلب عمر من ولاته في العراق أن يبعثوا إليه في المدينة بدهاقين من فارس ليتفاهم معهم حول قضايا الخراج، فبعثوا إليه بالدهاقين وبترجمان معهم[٢]، وقد ذكر عن المغيرة بن شعبة أنه كان يجيد شيئًا من اللغة الفارسية وقام بالترجمة بين عمر والهرمزان في المدينة[٣].

إن معرفة الترجمة أمر معروف في الدولة الإسلامية عمومًا في عصر الخلفاء الراشدين وقبل ذلك، وإذا علمنا أن دواوين الخراج كانت بغير اللغة العربية، فإننا ندرك مدى الحاجة إلى وجود مترجمين في الولايات يتولون الترجمة في قضايا الخراج وغيرها خصوصًا أن العمال الرئيسيين على الخراج كانوا بالدرجة الأولى من العجم، كما أن انتشار الموالي والداخلين الجدد في الإسلام في البلدان الإسلامية المختلفة جعل الحاجة إلى الترجمة مهمة جدًا في كثير من الأمور المتصلة بالقضاء وغيره، كما أن المفاوضات بين القواد الفاتحين وهم في الغالب من الولاة وبين أهل البلاد المفتوحة يحتاج إلى وجود المترجمين[٤].

١- أوقات عمل الولاة:

لم يكن هناك تنظيم دقيق لوقت العمل في عهد الفاروق، فقد كان الخليفة والولاة يعملون في جميع الأوقات، وليس عليهم حجاب حتى إن بعضهم يقوم

---

(١) الولاية على البلدان (٢/ ٨٥).
(٢،٣) الخراج لأبي يوسف ص٤٠، ٤١، الولاية على البلدان (٢/ ١٠٥).
(٤) الولاية على البلدان (٢/ ١٠٤).

بالتجول ليلاً وقدوتهم في ذلك عمر بن الخطاب الذي اشتهر بالمشي ليلاً وتفقد المدينة، وقد كان الناس يدخلون على الولاة في مختلف الأوقات ويقضون حاجاتهم دون أن يجد الناس من يمنعهم من الدخول على الولاة بحجة أن ذلك الوقت ليس وقت عمل، وقد اشتهر الولاة بحرصهم على إنجاز الأعمال أولاً بأول وعدم تأخيرها، وقد كتب عمر بن الخطاب في هذا المجال إلى أبي موسى الأشعري ﷺ قائلاً: لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد فتدال عليك الأعمال، فتضيع، وإن للناس لنفرة عن سلطانهم أعوذ بالله أن تدركني وإياكم وضغائن محمولة ودنيا مؤثرة وأهواء متبعة[1].

* ■ *

(١) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص١٢٩ .

المبحث الثالث
متابعة الولاة ومحاسبة عمر لهم

أولاً: متابعة الولاة:

لم يكن عمر يرضى بأن يهتم بحسن اختيار عماله، بل كان يبذل أقصى الجهد لمتابعتهم بعد أن يتولوا أعمالهم ليطمئن على حسن سيرتهم ومخافة أن تنحرف بهم نفوسهم، وكان شعاره لهم: خيرُ لي أن أعزل كل يوم واليًا من أن أبقي ظالمًا ساعة نهار[١]، وقال: أيما عامل لي ظلم أحدًا فبلغني مظلمته فلم أغيرها، فأنا ظلمته[٢]، وقال يومًا لمن حوله: أرأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل، أكنت قضيت ما عليّ؟ فقالوا: نعم. قال: لا حتى أنظر في عمله، أعَمِل بما أمرته أم لا[٣]. وقد سار ﷺ بحزم في رقابته الإدارية لعماله وتابعهم بدقة، وكانت طريقة عمر في الإدارة إطلاق الحرية للعامل في الشئون المحلية وتقييده في المسائل العامة ومراقبته في سلوكه وتصرفاته، وكان له جهاز سري، مربوط به لمراقبة أحوال الولاة والرعية، وقد بينت لنا المصادر التاريخية أن ما يشبه اليوم (المخابرات) كان موجودًا عند عمر فقد كان علمه بمن نأى عنه من عماله علمه بمن بات معه في مهاد واحد، وعلى وساد واحد فلم يكن في قطر من الأقطار ولا ناحية من النواحي عامل أو أمير جيش إلا وعليه عين لا يفارقه، فكانت ألفاظ من بالمشرق والمغرب عنده في كل ممس ومصبح، وأنت ترى ذلك في كتبه إلى عماله حتى كان العامل منهم ليتهم أقرب الناس إليه وأخصّهم[٤]، وكانت وسائل عمر في متابعته لعماله متعددة منها:

١- طلب من الولاة دخول المدينة نهارًا:

كان ﷺ يطلب من ولاته - القادمين إلى المدينة - أن يدخلوها نهارًا، ولا

---

(١) النظم الإسلامية، صبحي الصالح ص٨٩، الإدارة الإسلامية ٢١٥.

(٢) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص٥٦، الإدارة الإسلامية ٢١٥.

(٣) الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب ص٢١٥.

(٤) التاج في أخلاق الملوك ص١٦٨.

يدخلوها ليلاً، حتى يظهر ما يكون قد جاءوا به من أموال ومغانم فيسهل السؤال والحساب[١].

٢- طلب الوفود من الولاة:

كان عمر رضي الله عنه يطلب من الولاة أن يرسلوا وفودًا من أهل البلاد ليسألهم عن بلادهم، وعن الخراج المفروض عليهم ليتأكد بذلك من عدم ظلمهم، ويطلب شهادتهم فكان يخرج إليه مع خراج الكوفة عشرة من أهلها، ومع خراج البصرة مثلهم، فإذا حضروا أمامه شهدوا بالله أنه مال طيب، ما فيه ظلم مسلم ولا معاهد[٢]، وكان هذا الإجراء كفيلاً بمنع الولاة من ظلم الناس إذ لو حدث هذا لرفعه هؤلاء الموفدون إلى أمير المؤمنين وأخبروه به، كما أن عمر في الغالب كان يقوم بمناقشة هؤلاء الموفدين وسؤالهم عن بلادهم وعن ولاتهم وسلوكهم معهم[٣].

٣- رسائل البريد:

كان عمر رضي الله عنه يرسل البريد إلى الولاة في الأمصار فقد كان يأمر عامل البريد عندما يريد العودة إلى المدينة أن ينادي في الناس من الذي يريد إرسال رسالة إلى أمير المؤمنين؟ حتى يحملها إليه دون تدخل من والي البلد، وكان صاحب البريد نفسه لا يعلم شيئًا من هذه الرسائل، وبالتالي يكون المجال مفتوحًا أمام الناس لرفع أي شكوى أو مظلمة إلى عمر نفسه دون أن يعلم الوالي أو رجاله بذلك، وحينما يصل حامل الرسائل إلى عمر ينثر ما معه من صحف ويقرأها عمر ويرى ما فيها[٤].

٤- المفتش العام (محمد بن مسلمة):

كان محمد بن مسلمة الأنصاري يستعين به الفاروق في متابعة الولاة ومحاسبتهم والتأكد من الشكاوى التي تأتي ضدهم، فكان موقع محمد بن مسلمة كالمفتش العام في دولة الخلافة، فكان يتحرى حقائق أداء الولاة لأعمالهم، ومحاسبة المقصرين

---

(١) فن الحكم ص١٧٤ .

(٢) الخراج لأبي يوسف ص١٢٤ الولاية على البلدان (١/ ١٥٧).

(٣) الولاية على البلدان (١/ ١٥٧).

(٤) تاريخ المدينة (٢/ ٧٦١).

منهم، فقد أرسله عمر لمراقبة ومحاسبة كبار الولاة[(١)]، والتحقيق في الشكايات ومقابلة الناس والسماع منهم ونقل آرائهم عن ولاتهم إلى عمر مباشرة، وكان مع محمد بن مسلمة أعوان.

٥- موسم الحج:

كان موسم الحج فرصة لعمر ليستقي أخبار رعيته وولاته، فجعله موسمًا للمراجعة والمحاسبة واستطلاع الآراء في شتى الأنحاء؛ فيجتمع فيه أصحاب الشكايات والمظالم، ويفد فيه الرقباء الذين كان عمر يبثهم في أرجاء دولته لمراقبة العمال والولاة ويأتي العمال أنفسهم لتقديم كشف الحساب عن أعمالهم، فكان موسم الحج «جمعية عمومية كأرقى ما تكون الجمعيات العمومية في عصر من العصور[(٢)]، وكان عمر يلخص في موسم الحج واجبات عماله أمام الرعية ثم يقول: فمن فعل به غير ذلك فليقم» فما قام من أهل الموسم - آنذاك - أحد إلا رجل واحد - مما يدل على عدالة هؤلاء الولاة ورضا الرعية عنهم - فقال ذلك الرجل: إن عاملك فلانًا ضربني مائة سوط؛ فسأل عمر العامل فلم يجد عنده جوابًا، فقال للرجل قم فاقتص منه فقام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين إنك إن فعلت هذا يكثر، ويكون سُنَّة يُؤخذ بها بعدك، فقال عمر: أنا لا أقيد - أي اقتص - وقد رأيت رسول الله ﷺ يقيد من نفسه؟ فقال عمرو: فدعنا فلنرضه، فقال: دونكم فأرضوه، فافتدى العامل من الرجل بمائتي دينار، كل سوط بدينارين[(٣)].

٦- جولة تفتيشية على الأقاليم:

كان تفكير عمر قبل مقتله أن يجول على الولايات شخصيًّا لمراقبة العمال وتفقد أحوال الرعية، والاطمئنان على أمور الدولة المترامية، قال عمر: لئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية حولا، فإني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني، أما عمالهم

---

(١) الأنصار في العصر الراشدي ص١٢٣إلى ١٢٦.

(٢) عبقرية عمر للعقاد ص٨٢، الدولة الإسلامية د. حمدي شاهين ص١٣٨.

(٣) الطبقات لابن سعد (٣/ ٢٢٢).

فلا يدفعونها إليّ، وأما هم فلا يصلون إليّ، فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين، ثم والله لنعم الحول هذا[1]، وقد طبق عمر شيئًا من هذا خصوصًا في ولاية الشام حيث سار إليها عدة مرات وتفقد أحوالها ودخل بيوت ولاتها وأمرائها[2]، ليعرف أحوالهم عن كثب فقد دخل دار أبي عبيدة وشاهد حالته وتقشفه ودار بينه وبين امرأة أبي عبيدة حوار شديد ألقت فيه اللوم على عمر نتيجة ما يعيشون فيه من تقشف، كما زار دار خالد بن الوليد ولم يجد عنده شيئًا يلفت النظر سوى أسلحته التي كان منشغلاً بإصلاحها، وقد كان عمر أثناء دخوله على هؤلاء يدخل فجأة إذ يصحبه رجل فيطرق الباب على الوالي فيتكلم الرجل ويطلب الإذن بالدخول له ولمن معه دون أن يعلموا أنه عمر وحينما يدخل عمر إلى الدار يقوم بالتمحيص فيها والاطلاع على ما فيها من أثاث[3]، وقد سمع عمر رضي الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان ينوع في طعامه، فانتظر حتى إذا حان وقت عشاء يزيد استأذن عليه عمر، فلما رأى طعامه نهاه عن الإسراف في الطعام[4]، ولم يكتف عمر بالمراقبة عن طريق هذه الزيارات بل عمد إلى طريقة أخرى وهي إرسال كميات من الأموال إلى الولاة وإرسال من يراقبهم حتى يعرف كيف تصرفوا فيها فأرسل إلى أبي عبيدة بخمسمائة دينار فعمد إليها أبو عبيدة فقسمها كلها فكانت امرأته تقول: والله لقد كان ضرر دخول الدنانير علينا أكثر من نفعها ثم إن أبا عبيدة عمد إلى خلق ثوب كنا نصلي فيه فيشققه، ثم جعل يصبّر فيه من تلك الدنانير الذهب ويبعث بها إلى مساكين، فقسمها عليهم حتى فنيت[5]، وعمل عمر الشيء نفسه مع ولاة آخرين في سفرته تلك إلى الشام، ولم يكتف عمر بمراقبته للعمال أثناء سفره، بل كان يستقدمهم إلى المدينة ثم يوكل من يراقبهم في أكلهم وشربهم، ولباسهم، ويفعل ذلك بنفسه أيضًا[6].

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١٨)، الولاية على البلدان (١/ ١٦١).
(٢) الولاية على البلدان (١/ ١٦١).
(٣) تاريخ المدينة (٣/ ٨٣٧).
(٤) الولاية على البلدان (١/ ١٦٢).
(٥) تاريخ المدينة (٣/ ٨٣٧).
(٦) الولاية على البلدان (١/ ١٦٢).

٧- الأرشيف أو الملفات الخاصة بأعمال الخلافة:

كان عمر ﷺ حريصًا كل الحرص على حفظ الأوراق الخاصة بالولايات وبالخلافة عمومًا وكان أكثر حرصه على حفظ المعاهدات التي يجريها الولاة مع أهل البلاد المفتوحة منعًا لظلم أحد، فقد ورد أنه كان هناك تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه وبين أحد ممن عاهده، ويمكننا أن نطلق على هذا التابوت (الأرشيف) أو الملفات الخاصة بأعمال الخلافة، ولعل الولاة أيضًا كانوا يحتفظون بأوراقهم ومكاتباتهم للعودة إليها عند الحاجة وحتى لا تلتبس عليهم الأمور[١].

ثانيًا- شكاوى من الرعية في الولاة:

كان عمر ﷺ يحقق بنفسه في شكاوى الرعية ضد ولاتهم وكان يحرص على استيضاح الأمر، والتحقيق الدقيق واستشارة أصحاب الرأي والشورى الذين كانوا من حوله، ثم كانت تأتي أوامره في تنفيذ الجزاء والعقوبة على من يستحق سواء أكان عاملاً أم من الرعية[٢]، وهذه بعض الشكاوى ضد الولاة وكيف تعامل عمر معها ﷺ:

١- شكوى أهل الكوفة في سعد بن أبي وقاص ﷺ:

اجتمع نفر من أهل الكوفة بزعامة الجراح بن سنان الأسدي فشكوا أميرهم سعد ابن أبي وقاص ﷺ إلى أمير المؤمنين عمر، وذلك في حال اجتماع المجوس في نهاوند لغزو المسلمين، فلم يشغلهم ما داهم المسلمين في ذلك، ولقد كان سعد عادلاً رحيمًا بالرعية قويًّا حازمًا على أهل الباطل والشقاق، عطوفًا على أهل الحق والطاعة، ومع ذلك شغب عليه هؤلاء القوم ممن لا يطيقون حكم الحق ويريدون أن يحققوا شيئًا من أهوائهم، وقد وقتوا لشكواهم وقتًا رأوا أنه أدعى لسماع أمير المؤمنين منهم حيث كان المسلمون مقبلين على معركة مصيرية تستدعي اتفاق كلمة المسلمين وتضافر جهودهم في مواجهتها، وحيث كانوا يعلمون اهتمام عمر الشديد باجتماع كلمة المسلمين دائمًا، وخاصة في مثل تلك الظروف، فرجوا أن يفوزوا

(١) الولاية على البلدان (١/ ١٦٣).
(٢) الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب ٢٢٣.

ببغيتهم، وقد استجاب أمير المؤمنين لطلبهم في التحقيق في أمر شكواهم مع علمه بأنهم أهل هوى وشر، ولم يكتمهم اعتقاده فيهم، بل صرّح لهم بذلك، وبين لهم أن اعتقاده بظلمهم لواليهم وتزويرهم الحقائق لا يمنعه من التحقيق في أمرهم، واستدل على سوء مقصدهم بتوقيتهم السيء حيث قال لهم: إن الدليل على ما عندكم من الشر نهوضكم في هذا الأمر وقد استعدّ لكم من استعدوا، وايم الله لا يمنعني ذلك من النظر فيما لديكم وإن نزلوا بكم[1]، فبعث عمر محمد بن مسلمة والناس في الاستعداد للأعاجم والأعاجم في الاجتماع، وكان محمد بن مسلمة هو صاحب العمال الذي يقتص آثار من شُكي زمان عمر فقدم محمد على سعد ليطوف به في أهل الكوفة، والبعوث تضرب على أهل الأمصار إلى نهاوند، فطوَّف به على مساجد أهل الكوفة، لا يتعرض للمسألة عنه في السر، وليست المسألة في السر من شأنهم إذ ذاك[2].

وفي هذا بيان لمنهج الصحابة ﷺ في التحقيق في قضايا الخلاف التي تجري بين المسئولين ومن تحت ولايتهم، فالتحقيق يتم في العلن، وذلك بحضور المسئول والذين هو مسئول عنهم وكان لا يقف على مسجد فيسألهم عن سعد إلا قالوا: لا نعلم إلا خيرًا ولا نشتهي به بدلاً، ولا نقول فيه ولا نعين عليه، إلا من مالأ الجراح ابن سنان وأصحابه فإنهم كانوا يسكتون لا يقولون سوءًا، ولا يسوغ لهم، ويتعمَّدون ترك الثناء، حتى انتهوا إلى بني عبس. فقال محمد: أنشد بالله رجلاً يعلم حقًا إلا قال، قال أسامة بن قتادة: اللهم إن نشدتنا فإنه لا يقسم بالسوية، ولا يعدل في الرعية، ولا يغزو في السرية، فقال سعد: اللهم إن كان قالها كذبًا ورئاء وسمعة فأعم بصره، وأكثر عياله، وعرِّضه لمضلات الفتن، فعمي واجتمع عنده عشر بنات، وكان يسمع بخبر المرأة فيأتيها حتى يحبسها، فإذا عثر عليه، قال: دعوة سعد الرجل المبارك. قال: ثم أقبل - يعني سعد - على الدعاء على النفر، فقال: اللهم إن كانوا خرجوا أشرًا وبطرًا وكذبًا فاجهد بلاءهم، فجُهد بلاؤهم، فقطع الجراح بالسيوف يوم

(١، ٢) تاريخ الطبري (٥/ ١٠٣).

ثاور الحسن بن علي ليغتاله بساباط، وشُدخ قبيصة بالحجارة، وقتل أربد بالوجء - يعني الضرب - بنعال السيوف - يعني بأعقابها - هذا وإن في هذا الخبر نموذجًا من معية الله تعالى لأوليائه المتقين حيث استجاب الله تعالى دعوة سعد على من ظلموه فأصيبوا جميعًا بما دعا عليهم، وإن في استجابة الله تعالى دعاء سعد وأمثاله لونًا من العناية الإلهية بأولياء الله المتقين، فكم خاف المبطلون من هذا السلاح الخفي الذي لا يملكون بكل وسائلهم المادية مقاومته ولا الحدَّ منه، وكون هؤلاء الذين دعا عليهم سعد خُتم لهم بالخاتمة السيئة دليل على تمكن الهوى والشر من نفوسهم حتى أدى بهم ذلك إلى المصير السيئ، وقد دافع سعد عن نفسه فقال: إني لأول رجل أهرق دمًا من المشركين، ولقد جمع لي رسول الله أبويه، وما جمعهما لأحد قبلي - يعني حينما قال له يوم أحد: ارم فداك أبي وأمي - ولقد رأيتني خمس الإسلام، وبنو أسد تزعم أني لا أحسن أن أصلي وأن الصيد يلهيني؟! وخرج محمد بن مسلمة به وبهم إلى عمر حتى قدموا عليه، فأخبره الخبر، فقال: يا سعد ويحك كيف تصلي؟ قال: أطيل الأُولين وأحذف الأخريين، فقال هكذا الظن بك، ثم قال عمر ﷺ: لولا الاحتياط لكان سبيلهم بيِّنا، ثم قال: من خليفتك يا سعد على الكوفة؟ فقال: عبد الله بن عبد الله بن عتبان، فأقره واستعمله[1] وقول عمر ﷺ: لولا الاحتياط كان سبيلهم بينا يعني قد اتضح أمرهم، وأنهم ظالمون جاهلون، وظهرت براءة سعد مما نسبوه إليه، ولكن الاحتياط لأمر الأمة يقتضي درء الفتن وإماتتها وهي في مهدها قبل أن تستفحل فتسبِّب الشقاق والفرقة وربما القتال، وإذا كان المسئول المدَّعى عليه بريئًا مما نُسب إليه، فإن ذلك لا يضره بشيء، وقد برئت ساحته مما نسب إليه من التهمة، وقد كانوا يفهمون الولاية مغرمًا لا مغنمًا، وتكليفًا يرجون به ثواب الله تعالى، فالولاية على أمر من أمور المسلمين نوع من الأعمال الصالحة لمن اتقى الله تعالى وأراد رضوانه والدار الآخرة، فإذا تحول هذا العمل إلى مصدر للفتنة فإن الحكمة تقتضي عدم الاستمرار فيه، كما هو الحال في هذه الواقعة، ولكل حادث

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١٠٤).

حديث وهذا هو ما أقدم عليه عمر حينما أعفى سعدًا من العمل، وكلّف نائبه الذي هو موضع ثقة سعد[١].

هذا وقد استبقى عمر سعدًا ﷺ في المدينة وأقر من استخلفه سعد على الكوفة بعده، وصار سعد من مستشاري عمر في المدينة[٢]، ثم جعله من الستة المرشحين للخلافة حين طعن ثم أوصى الخليفة من بعده بأن يستعمل سعدًا (فإني لم أعزله عن سوء، وقد خشيت أن يلحقه من ذلك[٣].

٢- شكاوى ضد عمرو بن العاص والي مصر:

كانت مراقبة عمر بن الخطاب ﷺ لعمرو بن العاص صارمة وحازمة وكان الخليفة الفاروق يتدخل في شئون الولاية المختلفة وحتى عندما اتخذ عمرو بن العاص منبرًا كتب إليه: أما بعد فقد بلغني أنك اتخذت منبرًا ترقى به على رقاب المسلمين أو ما يكفيك أن تكون قائمًا والمسلمون تحت عقبك فعزمت عليك إلا ما كسرته[٤]، وكان عمرو بن العاص يخشى مراقبة عمر بن الخطاب ويعلم مدى حرصه على إقامة العدل بين الناس، وعلى إقامة الحدود الشرعية، فكان يبذل جهده حتى لا يصل إلى عمر من الأخبار إلا ما يسره ومن ذلك أن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب ورجلاً آخر شربا شرابًا دون أن يعلما أنه مسكر فسكرا، ثم إنهما جاءا إلى عمرو بن العاص يطلبان منه أن يقيم عليهما الحد فزجرهما عمرو وطردهما، فقال له عبد الرحمن: إن لم تفعل أخبرت أبي قال عمرو: فعلمت أني إن لم أقم عليهما الحد غضب عمر وعزلني، ثم إن عمرو جلدهما أمام الناس وحلق رأسيهما داخل بيته، وكان الأصل العقاب بالحلق مع الجلد في وقت واحد أمام الناس، فجاءه كتاب من عمر يعنفه على عدم حلقه أمام الناس، وكان فيه: تضرب عبد الرحمن في بيتك وتحلق رأسه في بيتك وقد عرفت أن هذا يخالفني، إنما عبد الرحمن رجل من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين، ولكن قلت هو ولد أمير المؤمنين وقد عرفت ألا هوادة لأحد من الناس عندي في حق يجب لله عليه[٥].

---

(١) التاريخ الإسلامي للحميدي (١١/ ٢٢٢). (٢) دور الحجاز في الحياة السياسية ص٢٥٧.
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٢٢٥). (٤) فتوح مصر وأخبارها ص٩٢ . (٥) تاريخ المدينة (٣/ ٨٤١).

وقد وجهت ضد عمرو بن العـاص بعض الشكاوى أثناء ولايته بعضها من جنوده المسلمين، وبعضها من أهل البلاد من الأقباط، مما دعـا عمر رضي الله عنه إلى استدعاء عمرو ابن العاص عدة مرات، لمعاتبته بل وأحيانًا لمعاقبته على ما بدر منه، ومن ذلك ما تقدم به أحد المصريين ضد ابن لعمرو بن العـاص ضربه بالسوط، مما جعل عمر بن الخطاب يستدعي عمرًا وابنه ثم يأمر المصري بالقصاص من ابن عمرو بن العاص ويقول له: لو ضربت أباه عمـرًا لما حلنا بينك وبين ذلك، والتفت عمر إلى عمـرو بن العاص وقال قولته المشهورة: متى استـعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا[1]. وكذلك يدخل في هذا الباب ما تقدم به أحد الجنود من أن عمرو بن العاص اتهمه بالنفاق وكتب معه عمر إلى عمرو بن العاص أمرًا بأن يجلس عمرو أمام الناس فيجلده إذا ثبت صدق ما ادعاه بشهادة شهود، وقد ثبت بالشهادة أن عمرًا رماه بالنفاق، فحاول بعض الناس أن يمنع الرجل من ضرب عمرو وأن يدفع لـه الأرش مقابل الضرب، ولكنه رفض ذلك، وعندما قام على رأس عمرو ليضربه سـأله: هل يمنعني أحد من ضربك؟ فقال عمرو: لا، فامض لما أمرت به، قال: فإني قد عفوت عنك[2].

٣- شكاوى ضد أبي موسى الأشعري والي البصرة:

عن جرير بن عبد الله البجلي أن رجـلاً كان مع أبي موسى الأشعري، وكان ذا صوت، ونكاية، في العدو، فغنموا مغنمًـا فأعطاه أبو موسى بعض سهمه، فأبى أن يقبله إلا جميـعًا، فجلده أبو موسى عشرين سوطًا وحلقه، فـجمع الرجل شعره ثم ترحل إلى عـمر بن الخطاب حـتى قدم عليـه، فدخل على عـمر بن الخطـاب، قال جرير: وأنا أقرب الناس من عـمر، فأدخل يده فاستخرج شـعره ثم ضرب به صدر عمر ثم قال: أمـا والله لولا النار، فقال عمر: صدق والله لولا النار فـقال: يا أمير المؤمنين إني كنت ذا صوت ونكاية، فـأخبره بأمره، وقال ضربني أبو مـوسى عشرين سـوطًا، وحلق رأسي، وهو يرى أنه لا يقـتص منه، فقـال عمـر رضي الله عنه: لأن يكون الناس كلهم على صرامة هذا، فأحب إلي من جمـيع ما أفاء الله علينا، فكتب عمر

---

(١) الولاية على البلدان (١/ ٨١).

(٢) تاريخ المدينة (٣/ ٨٠٧، ٨٠٨) في إسناده انقطاع.

إلى أبي موسى: السلام عليك أما بعد فإن فلانًا أخبرني بكذا وكذا، فإن كنت فعلت ذلك في ملأ من الناس، فعزمت عليك لما قعدت له في ملأ من الناس، حتى يقتص منك وإن كنت فعلت ذلك في خلاء من الناس، فاقعد له في خلاء من الناس، حتى يقتص منك، فقدم الرجل، فقال له الناس: أُعف عنه، فقال: لا والله لا أدعه لأحد من الناس، فلما قعد له أبو موسى ليقتص منه، رفع الرجل رأسه إلى السماء ثم قال: اللهم إني قد عفوت عنه[١]، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع عمر في مسير فأبصر رجلاً يسرع في سيره، فقال: إن هذا الرجل يريدنا، فأناخ ثم ذهب لحاجته، فجاء الرجل فبكى وبكى عمر رضي الله عنه وقال: ما شأنك؟ فقال: يا أمير المؤمنين إني شربت الخمر، فضربني أبو موسى وسود وجهي، وطاف بي، ونهى الناس أن يجالسوني، فهممت أن آخذ سيفي فأضرب به أبا موسى، أو آتيك فتحولني إلى بلد لا أعرف فيه، أو ألحق بأرض الشرك، فبكى عمر رضي الله عنه وقال: ما يسرني أنك لحقت بأرض الشرك وأن لي كذا وكذا، وقال: إن كنت ممن شرب الخمر، فلقد شرب الناس الخمر في الجاهلية، ثم كتب إلى أبي موسى: إن فلانًا أتاني فذكر كذا وكذا، فإذا أتاك كتابي هذا فأمر الناس أن يجالسوه وأن يخالطوه، وإن تاب فاقبل شهادته، وكساه وأمر له بمائتي درهم[٢]، وجاء في رواية: إن فلانًا بن فلان التميمي أخبرني بكذا وكذا، وايم الله لئن عُدت لأسودنّ وجهك وليطاف بك في الناس، فإن أردت أن تعلم أحق ما أقول فعد وأمُر الناس فليؤاكلوه وليجالسوه، وإن تاب فاقبلوا شهادته وكساه عمر رضي الله عنه حُلّة وحمله، وأعطاه مائتي درهم[٣]، وهذه القصة فيها حرص الفاروق على ألا يتعدى أحدٌ من عماله العقوبات الشرعية عند معاقبة العاصين[٤].

٤- شكوى أهل حمص ضد سعيد بن عامر:

قال خالد بن معدان: استعمل علينا عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامر

---

(١) محض الصواب (٢/ ٤٦٧) إسناده حسن.

(٢) محض الصواب (٢/ ٥٥٢) إسناده حسن.

(٣) صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق ص١٣٤ إسناده حسن.

(٤) المصدر نفسه ص١٣٣.

الجُمحي، فلما قدم عمر حمص قال: يا أهل حمص، كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوه إليه، وكان يقال لأهل حمص الكوفية الصغرى لشكايتهم العمال، قالوا: نشكوه أربعًا، لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال: أعظم بها وماذا؟ قالوا: لا يجيب أحدًا بليل، قال: وعظيمة، وماذا؟ قالوا: وله يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا، قال عظيمة وماذا؟ قالوا: يَغْنَط الغَنْطَة بين الأيام (أي يغمى عليه ويغيب عن حسه) فجمع عمر بينهم وبينه وقال: اللهم لا تفيّل رأيي فيه اليوم، وافتتح المحاكمة فقال لهم أمامه: ما تشكون منه؟ قالوا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال: ما تقول؟ قال: والله إن كنت لأكره ذكره: ليس لأهلي خادم، فأعجن عجيني ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم، فقال: ما تشكون منه؟ قالوا: لا يجيب أحدًا بليل، قال: ما تقول؟ قال: إن كنت لأكره ذكره، إني جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله -عز وجل- قال: وما تشكون منه؟ قالوا: إن له يومًا في الشهر لا يخرج إلينا فيه، قال: ما تقول؟ قال: ليس لي خادم يغسل ثيابي ولا لي ثياب أبدلها، فأجلس حتى تجفّ ثم أدلكها ثم أخرج إليهم آخر النهار، قال: ما تشكون منه، قالوا: يَغْنط الغنطة بين الأيام قال: ما تقول؟ قال: شهدت مصرع خُبيب الأنصاري بمكة وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذعة فقالوا: أتحب أن محمدًا مكانك؟ فقال، والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمدًا ﷺ يشاكُ شوكة ثم نادى يا محمد فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم إلا ظننت أن الله -عز وجل- لا يغفر لي بذلك الذنب أبدًا فتصيبني تلك الغنطة؛ فقال عمر: الحمد لله الذي لم يفيّل فراستي، فبعث إليه بألف دينار وقال: استعن بها على أمرك، ففرَّقها[1].

٥- عزل من استهزأ بأحد أفراد الرعية:

قال قيس بن أبي حازم رحمه الله: استعمل عمر رضي الله عنه رجلاً من الأنصار فنزل بعظيم أهل الحيرة عمرو بن حيان بن بقيلة، فأمال عليه بالطعام والشراب ما دعا به،

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٢٤٥)، أخبار عمر ص١٥٢.

فاحتبس الهزل[١]، فدعا الرجل فمسح بلحيته، فركب إلى عمر رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين، قد خدمت كسرى وقيصر فما أُتي إليّ ما أتي في ملكك، قال: وما ذاك؟ قال: نزل بي عاملك فلان فأمَلْنا عليه بالطعام والشراب، ما دعا به فاحتبس الهزل فدعاني فمسح بلحيتي، فأرسل إليه عمر رضي الله عنه فقال: هيه؟! أمال عليك بالطعام والشراب ما دعوت به، ثم مسحت بلحيته؟ والله لولا أن تكون سنة ما تركت في لحيتك طاقة إلا نتفتها، ولكن اذهب فوالله لا تلي لي عملاً أبدًا[٢].

ثالثاً: العقوبات التي نزلت بالولاة في عهد عمر رضي الله عنه:

نتيجة لمراقبة الفاروق لولاته لاحظ وجود بعض الأخطاء التي وقع فيها الولاة، فقام بتأديبهم ومعاقبتهم على هذه الأخطاء التي وقعوا فيها وقد اختلفت طرق تأديب الولاة حسب اختلاف الأحداث وحسب ما يراه الخليفة ومن أهم أساليب تأديب الولاة:

١- القود من الأمراء والاقتصاص منهم لو أخطأوا:

وقد كان عمر يقول: ألا وإني لم أرسل عمالي ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلي فوالذي نفسي بيده إذن لأقصنه[٣]، ولم يكتف عمر بالبيانات الرسمية التي تهدد الولاة وتمنعهم من الاعتداء على الناس بل إنه طبق ذلك عمليًّا، كما مر معنا فيمن اشتكى أبا موسى الأشعري، واشتكى عمرَو بن العاص رضي الله عنهم[٤].

٢- عزل الوالي نتيجة وقوعه في الخطأ:

وقد قام الفاروق رضي الله عنه بعزل الولاة نتيجة وقوعهم في أخطاء لا يرتضيها، فقد عزل رضي الله عنه أحد الأمراء نتيجة تدخله فيما لا يعنيه في شئون أجناده حيث بعثه على جيش، فلما نزل بهم قال: عزمت عليكم لما أخبرتموني بكل ذنب أذنبتموه فجعلوا

---

(١) أي أكثر من الهزل.
(٢) تاريخ المدينة (٣/ ٨١٣) خبر صحيح، الفاروق الحاكم العادل ص١١.
(٣) الولاية على البلدان (٢/ ١٢٧)، الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ص٦٣، ٦٤.
(٤) الولاية على البلدان (٢/ ١٢٦، ١٢٧).

يعترفون بذنوبهم فبلغ ذلك عمر فقال: ما له لا أم له، يعمد إلى ستر ستره الله فيهتكه؟ والله لا يعمل لي أبدًا[1]، كما غضب عمر من أحد الولاة حينما بلغه بعض شعره وهو يتمثل فيها بالخمر فعزله[2].

٣- إتلاف شيء من مساكن الولاة:

وهو ما يقع فيه المخالفة، فقد كان عمر رضي الله عنه يحرص على أن تكون بيوت الولاة بدون أبواب، وبدون حجاب، فلما بلغه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قد وضع بابا لداره بعث إليه محمد بن مسلمة وأمره بإحراق ذلك الباب[3]، وكان سبب ذلك الباب قرب الأسواق من داره، وكانت الأصوات مرتفعة بالسوق تؤذي سعدًا، فوضع بابا يحجز عنه أصوات الناس بالسوق، وبلغ ذلك أسماع عمر عن دار سعد وبابه، وأن الناس يسمّونه قصر سعد، فدعا محمد بن مسلمة وأرسله إلى الكوفة، وقال: اعمد إلى القصر حتى تحرق بابه، ثم ارجع عودك على بدئك، فخرج حتى قدم الكوفة، فاشترى حطبًا ثم أتى به القصر، فأحرق الباب[4]، وروى ابن شبة: أن عمر استعمل مجاشع بن مسعود على عمل فبلغه أن امرأته تجدد بيوتها فكتب إليه عمر: من عبد الله أمير المؤمنين إلى مجاشع بن مسعود سلام عليك أما بعد فقد بلغني أن الخضيراء تحدث بيوتها، فإذا أتاك كتابي هذا فعزمت عليك ألا تضعه من يدك حتى تهتك ستورها، قال: فأتاه الكتاب والقوم عنده جلوس فنظر في الكتاب، فعرف القوم أنه قد أتاه بشيء يكرهه، فأمسك الكتاب بيده ثم قال للقوم: انهضوا، فنهضوا والله ما يدرون إلى ما ينهضهم، فانطلق بهم حتى أتى باب داره فدخل فلقيته امرأته فعرفت الشر في وجهه فقالت له: مالك؟ فقال إليك عني قد أرمقتني[5]، فذهبت المرأة، وقال للقوم: ادخلوا، فدخل القوم، فقال: فليأخذ كل رجل منكم ما يليه من هذا النحو واهتكوا، قال فهتكوا جميعًا حتى ألقوها إلى الأرض والكتاب في يده لم

---

(١) تاريخ المدينة (٣ / ٨١٨).

(٢) السياسة الشرعية لابن تيمية ص١٠٥.

(٣) فتوح البلدان ص٧٧، نهاية الأرب (١٩/٨).

(٤) الإدارة الإسلامية مجدلاوي ص٢١٦.

(٥) أرمقتني: أوجعتني وأغضبتني . لسان العرب (١٦١/٧).

يضعه بعد. وفي أثناء زيارة عمر إلى الشام دعاه يزيد بن أبي سفيان إلى الطعام فلما دخل عمر البيت وجد فيه بعض الستائر، فأخذ عمر يقطعها ويقول: ويحك أتلبس الحيطان ما لو ألبسته قومًا من الناس لسترهم من الحر والبرد[١].

٣- التأديب بالضرب:

فقد استعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث اشتهر عنه حمل الدرة، وضربه بها وقد ضرب بعض الولاة، بسبب حوادث اقترفوها، ففي أثناء زيارة عمر إلى الشام دخل على بعض ولاته فوجد عندهم بعض المتاع الزائد، فغضب عمر وأخذ يضربهم بالدرة[٢]، وفي أثناء زيارة عمر إلى الشام لقيه الأمراء، فكان أول من لقيه يزيد بن أبي سفيان، وأبا عبيدة، ثم خالد على الخيول، عليهم ثياب فاخرة لا تليق بالمجاهدين فنزل وأخذ الحجارة ورماهم بها وقال: ما أسرع ما رجعتم عن رأيكم، إياي تستقبلون في هذا الزي، وإنما شبعتم مذ سنتين وبالله ولو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم؛ فقالوا يا أمير المؤمنين إنها يلاقة وإن علينا السلاح، قال فنعم إذن[٣].

٤- خفض الرتبة من وال إلى راعي غنم:

وقد استعملها عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أحد ولاته، روى ابن شبة: أن عمر رضي الله عنه استعمل عياض بن غنم على الشام فبلغه أنه اتخذ حمامًا واتخذ نوّابًا[٤]، فكتب إليه أن يقدم عليه، فقدم، فحجبه ثلاثًا، ثم أذن له ودعا بجبة صوف، فقال البس هذه، وأعطاه كنف الراعي وثلاثمائة شاة وقال انعق بها، فنعق بها فلما جازه هنيهة، قال: أقبل، فأقبل يسعى حتى أتاه، فقال: اصنع بكذا وكذا، اذهب فذهب، حتى إذا تباعد ناداه: يا عياض أقبل فلم يزل يردده حتى عرّقه في جبينه، قال أوردها علي يوم كذا وكذا، فأوردها لذلك اليوم، فخرج عمر رضي الله عنه فقال انزع عليها،

---

(١) تاريخ المدينة (٣/ ٨٣٢)، الولاية على البلدان (٢/ ١٢٨).
(٢) تاريخ المدينة (٣/ ٨٣٤). (٣) الولاية على البلدان (٢/ ١٢٩).
(٤) نوابًا: أي جماعة من الناس يختصون بالزيارة والمسامرة دون غيرهم.

فاستقى حتى ملأ الحوض فسقاها ثم قال: انعق بها، فإذا كان يوم كذا فأوردها فلم يزل يعمل به حتى مضى شهران أو ثلاثة، ثم دعاه فقال: هيه اتخذت نوابًا واتخذت حمامًا أتعود قال: لا قال: ارجع إلى عملك[١]، وقد كانت نتيجة هذه العقوبة التأديبية أن أصبح عياض بعد ذلك من أفضل عمّال عمر رضي الله عنه[٢].

٥- مقاسمة الولاة أموالهم:

وكان تطبيق هذا النظام أمرًا احتياطيًّا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث شعر عمر بنمو الأموال لدى بعض الولاة فخشي أن يكون الولاة قد اكتسبوا شيئًا من هذه الأموال بسبب ولايتهم[٣] وقد علق ابن تيمية على فعل عمر هذا فقال: وكذلك محاباة الولاة في المعاملة من المبايعة، والمؤاجرة والمضاربة، والمساقاة والمزارعة، ونحو ذلك هو من نوع الهدية، ولهذا شاطر عمر بن الخطاب رضي الله عنه من عماله من كان له فضل ودين، لا يتهم بخيانة وإنما شاطرهم لما كانوا خصوا به لأجل الولاية من محاباة وغيرها، وكان الأمر يقتضي ذلك؛ لأنه كان إمام عدل، يقسم بالسوية [٤] وقد قام عمر رضي الله عنه بمشاطرة أموال عماله منهم: سعد بن أبي وقاص، وأبو هريرة وعمرو بن العاص رضي الله عنهم، وكان رضي الله عنه يكتب أموال عماله إذا ولاهم، ثم يقاسمهم ما زاد على ذلك، وربما أخذه منهم[٥] وقد قام أيضا بمشاطرة بعض أقارب الولاة لأموالهم، إذا ما رأى مبررًا لذلك، فقد أخذ من أبي بكرة نصف ماله، فاعترض أبو بكرة قائلاً: إني لم ألِ لك عملاً؟ فقال عمر: ولكن أخاك على بيت المال وعشور الأبلة، فهو يقرضك المال تتجر به[٦].

٦- التوبيخ الشفوي والكتابي:

وقد قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه على معاتبة الأمراء على تصرفاتهم أثناء اجتماعهم به، حيث إنه عاتب عمرو بن العاص مرات، كما عاتب عياض بن غنم،

---

(١) تاريخ المدينة (٣/ ٨١٧، ٨١٨) الولاية على البلدان (٢/ ١٣٠).

(٢، ٣) الولاية على البلدان (٢/ ١٣٠).

(٤) الفتاوى (٢٨ / ١٥٧).

(٥) فتوح البلدان ص٢٢٠، ٢٢١ ، الولاية على البلدان (٢/ ١٣١).

(٦) شهيد المحراب ص٢٥٠ .

وخالد بن الوليد وأبا موسى الأشعري وغيرهم من الأمراء[١] وأما المعاتبة الكتابية في خلافة عمر فهي كثيرة، منها: أنه كتب إلى أحد الولاة- وكان قدم عليه قوم فأعطى العرب وترك الموالي: أما بعد فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم والسلام[٢].

ومن هذا كله نجد أن الولاة لم يكونوا بمنأى عن المحاسبة والتأديب بصور مختلفة، ولم تشهد البشرية مثيلاً لها في عدلها وجرأتها، مما جعل هذا العصر الراشدي بحق نموذجًا رفيعًا للحضارة الإسلامية بعد عصر الرسالة- على صاحبها أفضل الصلاة والسلام[٣]. هذا وقد كانت حرية النقاش وبحث المشاكل بين الخليفة وولاته مكفولة إلى أقصى ما يمكن تصوره من حرية النقاش، لا يرهب الوالي سلطان الخليفة وهذا مثال على ذلك: عندما قدم عمر الشام تلقاه معاوية في موكب عظيم فلما رأى معاوية عمر نزل من على صهوة جواده، ومشى إليه، وقال: السلام على أمير المؤمنين، فمضى عمر، ولم يرد عليه سلامه، ومعاوية يسرع خلف جمل عمر وكان معاوية سمينًا، فلهث. فقال عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين، أتعبت الرجل، فلو كلمته: فالتفت إليه عمر وقال يا معاوية، أأنت صاحب الموكب الذي أرى؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال عمر: مع شدة احتجابك ووقوف ذوي الحاجات ببابك؟ قال معاوية: نعم يا أمير المؤمنين. قال: لم ويحك؟ قال معاوية: لأننا ببلاد كثر بها جواسيس العدو، فإن لم نتخذ العُدة والعدد، استخف بنا، وهجم علينا! وأما الحجاب، فإننا نخاف من الابتذال وجرأة الرعية. وأنا بعد عاملك، إن استوقفتني وقفت، وإن نهيتني انتهيت يا أمير المؤمنين. قال عمر: ما سألتك عن شيء إلا خرجت منه، إن كنت صادقًا فإنه رأى لبيب، وإن كنت كاذبًا فإنها خدعة أريب، لا آمرك ولا أنهاك، وانصرف عنه[٤].

ورغم شدة عمر على ولاته ودقته في محاسبتهم وإقدامه على عزل من تحوم حوله شبهة أو تثور في حقه شكاية ذات أثر، فإن رابطة قوية من الحب والولاء كانت

---

(١) الولاية على البلدان (٢/ ١٣١).

(٢) فتوح البلدان ص٤٤٣ .

(٣) الولاية على البلدان (٢/ ١٣٣).

(٤) الفاروق عمر بن الخطاب للشرقاوي ص٢٨٧ .

تربطه بولاته الذين كانوا يثقون ثقة مطلقة في إخلاص خليفتهم وسلامة مقاصده وسياسته وتجرده وعدله، لقد كان عمر إذا غابت عنه أخبار بعض قادته في ساحات الجهاد يكاد يقتله القلق ويستبد به الخوف والشفقة عليهم، وكان في بعض الحروب الكبرى يخرج بنفسه يتنطّس الأخبار، ويتحسس الأنباء علّه يطمئن عليهم، وفي حالات أخرى كان يلتقي بهم فنجد أمارات الحب العميق بينهم، فلما سار عمر لفتح بيت المقدس وانتهى إلى الجابية لقيه قائداه عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة فوافقا عمر راكبًا، فقبّلا ركبتيه، وضم عمر كل واحد منهما محتضنهما[1].

رابعًا- قصة عزل خالد بن الوليد ﷺ:

وجد أعداء الإسلام في سعة خيالهم وشدة حقدهم مجالاً واسعًا لتصيد الروايات التي تظهر صحابة رسول الله في مظهر مشين، فإذا لم يجدوا شفاء نفوسهم، اختلقوا ما ظنوه يجوز على عقول القارئين، لكي يصبح أساسًا ثابتًا لما يتناقله الرواة وتسطره كتب المؤلفين وقد تعرَّض كل من عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد ﷺ لمفتريات أعداء الإسلام الذين حاولوا تشويه صفحات تاريخهما المجيد ووقفوا كثيرًا عند أسباب عزل عمر لخالد بن الوليد ﷺ وألصقوا التهم الباطلة بالرجلين العظيمين وأتوا بروايات لا تقوم على أساس عند المناقشة، ولا تقوم على البرهان أمام التحقيق العلمي النزيه[2] وإليك قصة عزل خالد بن الوليد على حقيقتها بدون لف أو تزوير للحقائق، فقد مرّ عزل خالد بن الوليد بمرحلتين، وكان لهذا العزل أسباب موضوعية.

١- العزل الأول:

عزل عمر بن الخطاب ﷺ خالد بن الوليد في المرة الأولى عن القيادة العامة وإمارة الأمراء بالشام، وكانت هذه المرة في السنة الثالثة عشرة من الهجرة غداة تولي عمر الخلافة بعد وفاة أبي بكر الصديق وسبب هذا العزل اختلاف منهج الصديق عن

(١) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص١٥١ .

(٢) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، إبراهيم شعوط ص١٢٣ .

الفاروق في التعامل مع الأمراء والولاة، فالصديق كان من سنته مع عماله وأمراء عمله أن يترك لهم حرية التصرف كاملة في حدود النظام العام للدولة مشروطًا ذلك بتحقيق العدل كاملاً بين الأفراد والجماعات، ثم لا يبالي أن يكون لواء العدل منشوراً بيده أو بيد عماله وولاته، فللوالي حق يستمده من سلطان الخلافة في تدبير أمر ولايته دون رجوع في الجزئيات إلى أمر الخليفة، وكان أبو بكر لا يرى أن يكسر على الولاة سلطانهم في مال أو غيره ما دام العدل قائمًا في رعيتهم[١]، وكان الفاروق قد أشار على الصديق بأن يكتب لخالد رضي الله عنه جميعًا: ألا يعطي شاة ولا بعيرًا إلا بأمره، فكتب أبو بكر إلى خالد بذلك، فكتب إليه خالد: إما أن تدعني وعملي وإلا فشأنك وعملك، فأشار عليه بعزله[٢]، ولكنّ الصديق أقرّ خالدًا على عمله[٣]، ولما تولى الفاروق الخلافة، كان يرى أنه يجب على الخليفة أن يحدد لأمرائه وولاته طريقة سيرهم في حكم ولاياتهم ويحتم عليهم أن يردوا إليه ما يحدث حتى يكون هو الذي ينظر فيه ثم يأمرهم بأمره، وعليهم التنفيذ، لأنه يرى أن الخليفة مسئول عن عمله وعن عمل ولاته في الرعية مسئولية لا يرفعها عنه أنه اجتهد في اختيار الوالي. فلما تولى الخلافة خطب الناس، فقال: إن الله ابتلاكم بي، وابتلاني بكم، وأبقاني بعد صاحبي فوالله لا يحضرني شيء من أمركم فيليه أحد دوني، ولا يتغيب عني فآلو فيه عن الجزء والأمانة، ولئن أحسن الولاة لأحسنن إليهم، ولئن أساؤوا لأنكلن بهم[٤]، وكان يقول: أرأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم، ثم أمرته بالعدل، أكنت قضيت ما علي؟ قالوا: نعم. قال: لا، حتى أنظر في عمله، أعمل بما أمرته أم لا؟[٥]، فعندما تولى الفاروق الخلافة أراد أن يعدل بولاة أبي بكر رضي الله عنه إلى منهجه وسيرته، فرضي بعضهم وأبى آخرون وكان ممن أبى عليه ذلك خالد بن الوليد[٦]، فعن مالك بن أنس، أن عمر لما ولي الخلافة كتب إلى خالد ألا تعطي شاة ولا بعيراً إلا بأمري، فكتب إليه خالد إما أن تدعني وعملي، وإلا فشأنك بعملك، فقال

(١) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص٣٢١-٣٣١ .
(٢) البداية والنهاية (٧/ ١١٥).
(٣) التاريخ الإسلامي (١١/١٤٦).
(٤) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص٣٣١ .
(٥،٦) المصدر نفسه ص٣٣٢ .

عمر: ما صدقت الله إن كنت أشرت على أبي بكر بأمر فلم أنفذه، فعزله[١]، ثم كان يدعوه إلى العمل فيأبى إلا أن يخليه يفعل ما شاء فيأبى عليه[٢].

فعزل عمر خالدًا من وجهة سياسة الحكم وحق الحاكم في تصريف شئون الدولة ومسئوليته عنها، وطبيعي أن يقع كل يوم مثله في الحياة، ولا يبدو فيه شيء غريب يحتاج إلى بيان أسباب تتجاذبها روايات وآراء، وميول وأهواء ونزعات، فعمر بن الخطاب خليفة المسلمين في عصر كان الناس فيه ناسًا لا يزالون يستروحون روح النبوة له من الحقوق الأولية أن يختار من الولاة والقادة من ينسجم معه في سياسته ومذهبه في الحكم ليعمل في سلطانه ما دامت الأمة غنية بالكفايات الراجحة، فليس لعامل ولا قائد أن يتأبد في منصبه، ولا سيما إذا اختلفت مناهج السياسة بين الحاكم والولاة ما كان هناك من يغني غناءه ويجزي عنه، وقد أثبت الواقع التاريخي أن عمر ﷺ كان موفقًا أتم التوفيق وقد نجح في سياسته هذه نجاحًا منقطع النظير، فعزل وولى، فلم يكن من ولاّه أقل كفاية ممن عزله، ومرد ذلك لروح التربية الإسلامية التي قامت على أن تضمن دائمًا للأمة رصيدًا مذخورًا من البطولة والكفاية السياسية الفاضلة[٣] وقد استقبل خالد هذا العزل بدون اعتراض وظل ﷺ تحت قيادة أبي عبيدة ﷺ حتى فتح الله عليه قنسرين فولاه أبو عبيدة عليها، وكتب إلى أمير المؤمنين يصف له الفتح وبلاء خالد فيه فقال عمر قولته المشهورة: أمّر خالد نفسه، رحم الله أبا بكر، هو كان أعلم بالرجال مني[٤]، ويعني عمر بمقولته هذه أن خالدًا فيما أتى به من أفانين الشجاعة وضروب البطولة قد وضع نفسه في موضعها الذي ألفته في المواقع الخطيرة من الإقدام والمخاطرة، وكأنما يعني عمر بذلك أن استمساك أبي بكر بخالد وعدم موافقته على عزله برغم الإلحاح عليه إنما كان عن يقين في مقدرة خالد وعبقريته العسكرية التي لا يغني غناءه فيها إلا آحاد الأفذاذ من أبطال الأمم[٥].

هذا وقد عمل خالد تحت إمرة أبي عبيدة نحوًا من أربع سنوات فلم يعرف عنه

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١١٥).
(٢) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص٣٣٢ .
(٣) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص٣٣٢،٣٣٣ .
(٤، ٥) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص٣٢١ .

أنه اختلف عليه مرة واحـدة، ولا ينكر فضل أبي عبيدة وسمو أخـلاقه في تحقيق وقع الحادث على خـالد فقد كان لحـفاوته به وعرفـانه لقدره، وملازمتـه صحبتـه والأخذ بمشورته وإعظامه لآرائه وتقـديمه في الوقائع التي حدثت بعد إمـارته الجديدة، أحسن الأثر في صفـاء قلبه صـفاء جعله يصنع البـطولات العسكرية النادرة وعمـله في فتح دمشق وقنسرين وفحل شـاهد صدق على روحه السامية التي قـابل بها حادث العزل، وكان في حائيه سيف الله خالد بن الوليد[1]، ويحفظ لنا التاريخ ما قاله أبو عبيدة في مواساة خـالد عند عزله: . . وما سلطان الدنيا أريد، وما للدنيـا أعمل، وإن ما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع، وإنما نحن أخوان وقوّام بأمر الله -عز وجل-، وما يضير الرجل أن يلي عليه أخـوه في دينه ودنياه، بل يعلم الوالي أنه يكـاد يكون أدناهما إلى الفتنة وأوقـعهما في الخطيـئة لما تعرض من الهلكة إلا من عـصم الله -عز وجل-، وقليل ما هم[2] وعندما طلب أبو عـبيدة من خالد أن ينفذ مـهمة قتـالية تحت إمرته، أجابه خالد قـائلاً: أنا لها إن شاء الله تعالى وما كنت أنتظر إلا أن تأمـرني، فقال أبو عبيـدة: استحيـيت منك يا أبا سليمان. فقـال خالد: والله لو أمر علي طفل صـغير لأطيعن له، فكيف أخالفك وأنت أقدم مني إيمانًا وأسبق إسلامًا، سبقت بإسلامك مع السابقين وأسـرعت بإيمانك مع المسارعين، وسماك رسـول الله بالأمين فكيف ألحقك وأنال درجتك والآن أشـهدك أني قـد جعلت نفسـي حبسًـا في سبيل الـله تعالى ولا أخالفك أبدًا، ولا وليت إمارة بعدها أبدًا ولم يكتف خالد بذلك فحسب بل اتبع قوله بالفعل وقـام على الفور بتنفيذ المهـمة المطلوبة منه[3]، ويظهر بوضـوح من قول خالد وتصرفه هذا، أن الوازع الديني والأخلاقي كان مهيمنًا على تصرفات خالد وأبي عبيدة رضي الله عنهما وقد بقي خـالد محـافظًا على مبـدأ طاعة الخليـفة والوالي بالرغم من أن حـالته الشخصية قد تغيرت من حاكم إلى محكوم بسبب عزله عن قيادة الجيوش[4].

إن عـزل خالـد في هذه المرة (الأولى)، لم يكن عن شك من الخليـفـة ولا عن

---

(١) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص٣٤٦ .

(٢) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص٣٢٣ .

(٣) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ٨٤ .

(٤) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص٨٤ .

ضغائن جاهلية، ولا عن اتهامه بانتهاك حرمات الشريعة ولا عن طعن في تقوى وعدل خالد، ولكن كان هناك منهجان لرجلين عظيمين، وشخصيتين قويتين كان يرى كل منهما ضرورة تطبيق منهجه، فإذ كان لابد لأحدهما أن يتنحى فلابد أن يتنحى أمير الجيوش لأمير المؤمنين؛ من غير عناد ولا حقد وضغينة[١].

إن من توفيق الله تعالى للفاروق تولية أبي عبيدة ﷺ على جيوش الشام، فذلك الميدان بعد معركة اليرموك كان يحتاج إلى المسالمة واستلال الأحقاد، وتضميد الجراح وتقريب القلوب فأبو عبيدة ﷺ يسرع إلى المسالمة إذا فتحت أبوابها ولا يبطئ عن الحرب إذا وجبت عليه أسبابها، فإن كانت بالمسالمة جدوى فذاك وإلا فالاستعداد للقتال على أهبته، وقد كان أبناء الأمصار الشامية يتسامعون بحلم أبي عبيدة فيقبلون على التسليم إليه ويؤثرون خطابهم له على غيره، فولاية أبي عبيدة سنة عمرية وكانت ولايته للشام في تلك المرحلة أصلح الولايات لها[٢].

٢- العزل الثاني:

وفي (قنسرين) جاء العزل الثاني لخالد، وذلك في السنة السابعة عشرة[٣]، فقد بلغ أمير المؤمنين أن خالدًا وعياض بن غنم أدربا في بلاد الروم وتوغلا في دروبهما ورجعا بغنائم عظيمة، وأن رجالاً من أهل الآفاق قصدوا خالدًا لمعروفه، منهم الأشعث بن قيس الكندي فأجازه خالد بعشرة آلاف، وكان عمر لا يخفى عليه شيء في عمله[٤]، فكتب عمر إلى قائده العام أبي عبيدة يأمره بالتحقيق مع خالد في مصدر المال الذي أجاز منه الأشعث تلك الإجازة الغامرة، وعزله عن العمل في الجيش إطلاقًا واستقدمه المدينة، وتمّ استجواب خالد. وقد تم استجواب خالد بحضور أبي عبيدة وترك بريد الخلافة يتولى التحقيق وترك إلى مولى أبي بكر يقوم بالتنفيذ، وانتهى الأمر ببراءة خالد أن يكون مدّ يده إلى غنائم المسلمين فأجاز منها بعشرة آلاف[٥] ولما علم خالد بعزله ودّع أهل الشام، فكان أقصى ما سمحت به

---

(١) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ص١٣٢ .
(٢) عبقرية خالد للعقاد ص١٥٤، ١٥٥، ١٥٦ .
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٤١).
(٤) المصدر نفسه (٥/ ٤٢).
(٥) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص٣٢٤ .

نفسه من إظهار أسفه على هذا العزل الذي فرق بين القائد وجنوده أن قال للناس: إن أمير المؤمنين استعملني على الشام حتى إذا كانت بثنية[١]، وعسلاً عزلني فقام إليه رجل فقال: اصبر أيها الأمير، فإنها الفتنة؛ فقال: خالد: أما وابن الخطاب حي فلا[٢]، وهذا لون من الإيمان القاهر الغلاب، لم يرزقه إلا المصطفون من أخصاء أصحاب محمد ﷺ: فأية قوة روحية سيطرت على أعصاب خالد في الموقف الخطير؟ وأي إلهام ألقي على لسان خالد ذلك الرد الهادئ الحكيم[٣].

سكن الناس وهدأت نفوسهم بعد أن سمعوا كلمة خالد في توطيد قواعد الخلافة العمرية، وعرفوا أن قائدهم المعزول ليس من طراز الرجال الذين يبنون عروش عظمتهم على أشلاء الفتن والثورات الهدّامة وإنما هو من أولئك الرجال الذين خلقوا للبناء والتشييد، فإن أرادتهم الحياة على هدم ما بنوا تساموا بأنفسهم أن يذلها الغرور المفتون[٤].

ورحل خالد إلى المدينة فقدمها حتى لقي أمير المؤمنين، فقال عمر متمثلاً:

صنعت فلم يصنع كصنعك صانع وما يصنع الأقوام فالله يَصنعُ[٥]

وقال خالد لعمر رضي الله عنه: لقد شكوتك إلى المسلمين، وبالله إنك في أمري غير مُجمل يا عمر، فقال عمر: من أين هذا الثراء؟ قال: من الأنفال والسُّهمان، ما زاد على الستين ألفًا فلك، فقوم عمر عروضه فخرجت إليه عشرون ألفًا، فأدخلها بيت المال. ثم قال: يا خالد، والله إنك علي لكريم، وإنك إلي لحبيب، ولن تعاتبني بعد اليوم على شيء[٦]، وكتب عمر رضي الله عنه إلى الأمصار: إني لم أعزل خالدًا عن سُخطة ولا خيانة، ولكن الناس فتنوا به، فخفت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع، وألا يكونوا بعرض فتنة[٧].

---

(١) البثنية قيل المراد: حنطة منسوبة إلى بلد بالشام وقيل: الناعمة من الرملة اللينة.
(٢) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص٣٤٧ ، الكامل في التاريخ (٢/ ١٥٦).
(٣،٤) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص٣٤٧ .
(٥،٧) تاريخ الطبري (٥/ ٤٣).

٣- مجمل أسباب العزل وبعض الفوائد:

ومن خلال سيرة الفاروق يمكننا أن نجمل أسباب عزل خالد ﷺ في الأمور التالية:

- **حماية التوحيد**: ففي قول عمر ﷺ: ولكن الناس فتنوا به، فخفت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به، يظهر خشية عمر من فتنة الناس بخالد وظنهم أن النصر يسير في ركاب خالد؛ فيضعف اليقين بأن النصر من عند الله سواء أكان خالد على رأس الجيوش أم لا، وهذا الوازع يتفق مع حرص عمر على صبغ إدارته للدولة العقائدية الخالصة وبخاصة وهي تحارب أعداءها حربًا ضروسًا متطاولة باسم العقيدة وقوتها، وقد يقود الافتتان بقائد كبير مثل خالد خالدًا نفسه إلى الافتتان بالرعية وأن يرى نفسه يومًا في مركز قوة لا يرتقي إليها أحد، وبخاصة أنه عبقري حرب ومنفق أموال، فيجر ذلك عليه وعلى الدولة أمر خُسْر، وهو إن كان احتمالا بعيدًا في ظل ارتباط الناس بخليفتهم عمر وإعجابهم به، وفي ظل انضباط خالد العسكري وتقواه، فقد يحدث يومًا ما بعد عمر، ومع قائد كخالد، مما يستدعي التأصيل لها في ذلك العصر ومع أمثال هؤلاء الرجال[١]، والخوف في هذا الأمر من القائد الكفء أعظم من الخوف من قائد صغير لم يُبْلِ أحسن البلاء ولم تتساير بذكره الأنباء[٢].

وقد أشار شاعر النيل حافظ إبراهيم -رحمه الله- إلى تخوف عمر فقال في عمريته في الديوان:

وقيل خالفت يا فاروق صاحبنا ... فيه وقد كان أعطى القوس باريها

فقال خفت افتتان المسلمين به ... وفتنة النفس أعيت من يداويها[٣]

- **اختلاف النظر في صرف المال**:

كان عمر يرى أن فترة تأليف القلوب، وإغراء ضعفاء العقيدة بالمال والعطاء، قد

(١) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، حمدي شاهين ص١٤٩ .
(٢) عبقرية عمر ص١٥٨ . (٣) حروب الإسلام في الشام، باشميل ص٥٦٦ .

انتهت، وصار الإسلام في غير حاجة إلى هؤلاء، وأنه يجب أن يوكل الناس إلى إيمانهم وضمائرهم، حتى تؤدي التربية الإسلامية رسالتها في تخريج نماذج كاملة، لمدى تغلغل الإيمان في القلوب، بينما يرى خالد أن ممن معه من ذوي البأس والمجاهدين في ميدانه ما لم تخلص نيتهم لمحض ثواب الله، وأن أمثال هؤلاء في حاجة إلى ما يقوي عزيمتهم، ويثير حماستهم من هذا المال[١]، كما أن عمر ﷺ كان يرى أن ضعفة المهاجرين أحق بالمال من غيرهم، فعندما اعتذر إلى الناس بالجابية من عزل خالد قال: أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين فأعطاه ذا البأس[٢]، ولا شك أن عمر وخالدًا مجتهدان فيما ذهبا إليه ولكن عمر أدرك أمورًا لم يدركها خالد ﷺ[٣].

- اختلاف منهج عمر عن منهج خالد في السياسة العامة:

فقد كان عمر يصر على أن يستأذن الولاة منه في كل صغيرة وكبيرة، بينما يرى خالد أن من حقه أن يُعطى الحرية كاملة من غير الرجوع لأحد في الميدان الجهادي وتطلق يده في كل التصرفات إيمانًا منه بأن الشاهد يرى ما لا يراه الغائب[٤].

ولعل من الأسباب أيضًا، إفساح المجال لطلائع جديدة من القيادات حتى تتوفر في المسلمين نماذج كثيرة من أمثال خالد والمثنى وعمرو بن العاص، ثم ليدرك الناس أن النصر ليس رهنًا برجل واحد[٥]، مهما كان هذا الرجل.

- موقف المجتمع الإسلامي من قرار العزل:

تلقى المجتمع الإسلامي قرار العزل بالتسليم لحق الخليفة في التولية والعزل، فلم يخرج أحد عن مقتضى النظام والطاعة والإقرار للخلافة بحقها في التولية والعزل وقد روي أن عمر خرج في جوف الليل فلقي عَلْقَمة بن عُلاثة الكلابي، وكان عمر يشبه خالدًا إلى حد عجيب، فحسبه علقمة خالدًا، فقال: يا خالد عزلك هذا

---

(١) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ص١٣٤ .
(٢) البداية والنهاية (٧/ ١١٥).
(٣) التاريخ الإسلامي (١١/ ١٤٧).
(٤) الخلافة والخلفاء الراشدون، سالم البهنساوي ص١٩٦ .
(٥) أخطاء يجب أن تمحى من التاريخ ص١٣٤ .

الرجل، لقد أبى إلا شحًّا حتى لقد جئت إليه وابن عم لي نسأله شيئًا، فأما إذ فعل فلن أسأله شيئًا، فقال له عمر يستدرجه ليعلم ما يخفيه: هيه! فما عندك؟ قال: هم قوم لهم علينا حق فنؤدي لهم حقهم، وأجرنا على الله، فلما أصبحوا قال عمر لخالد وعلقمة مشاهد لهما: ماذا قال لك علقمة منذ الليلة؟ قال خالد: والله ما قال شيئًا، قال عمر: وتحلف أيضًا؟ فاستثار ذلك علقمة وهو يظن أنه ما كلم البارحة إلا خالدًا، فظل يقول: مَهْ يا خالد؛ فأجاز عمر علقمة وقضى حاجته، وقال لأن يكون من ورائي على مثل رأيك -يعني حرصه على الطاعة لولي الأمر وإن خالفه- أحب إليّ من كذا وكذا[1] وهذا، وقد جاء اعتراض من أبي عمرو بن حفص بن المغيرة بن عم خالد بن الوليد بالجابية، فعندما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للناس وإني أعتذر إليكم من خالد بن الوليد، إني أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين، فأعطاه ذا البأس، وذا الشرف، وذا اللسان، فنزعته وأمّرت أبا عبيدة بن الجراح. فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة: والله ما أعذرت يا عمر بن الخطاب، لقد نزعت عاملاً استعمله رسول الله ﷺ، وغمدت سيفًا سله رسول الله ﷺ، ووضعت لواء نصبه رسول الله ﷺ، ولقد قطعت الرحم وحسدت ابن العم. فقال عمر بن الخطاب: إنك قريب القرابة، حديث السن، مغضب في ابن عمك[2]، وهكذا اتسع صدر الفاروق لابن عم خالد بن الوليد، وهو يذب عن خالد حتى وصل دفاعه إلى دعوى اتهامه للفاروق بالحسد، ومع ذلك ظل الفاروق حليمًا[3].

٤- وفاة خالد بن الوليد وماذا قال عن الفاروق وهو على فراش الموت:

دخل أبو الدرداء على خالد في مرض موته، فقال له خالد: يا أبا الدرداء، لئن مات عمر، لترين أمورًا تنكرها. فقال أبو الدرداء: وأنا والله أرى ذلك. فقال خالد: قد وجدت عليه في نفسي في أمور، لما تدبرتها في مرضي هذا وحضرني من الله حاضر عرفت أن عمر كان يريد الله بكل ما فعل، كنت وجدت عليه في نفسي حين

---

(١) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص١٥١ .

(٢) النسائي (٨٢٨٣) خبر صحيح في سننه الكبرى، محض الصواب (٢/ ٤٩٦) إسناده صحيح.

(٣) صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق ص٢١٩ .

بعث من يقاسمني مالي، حتى أخذ فرد نعل وأخذت فرد نعل، ولكنه فعل ذلك بغيري من أهل السابقة، وممن شهد بدرًا، وكان يغلظ علي، وكانت غلظته على غيري نحوًا من غلظته علي، وكنت أدل عليه بقرابته، فرأيته لا يبالي قريبًا ولا لوم لائم في غير الله، فذلك الذي ذهب عني ما كنت أجد عليه، وكان يكثر علي عنده، وما كان ذلك إلا على النظر: فقد كنت في حرب ومكابدة وكنت شاهدًا وكان غائبًا، فكنت أعطي على ذلك، فخالفه ذلك من أمري[1]، ولما حضرته الوفاة وأدرك ذلك، بكى وقال: ما من عمل أرجى عندي بعد لا إله إلا الله، من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين، بتّها وأنا مترس والسماء تنهل عليَّ، وأنا أنتظر الصبح حتى أغير على الكفار، فعليكم بالجهاد، لقد شهدت كذا وكذا زحفًا، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم، أو طعنة برمح، وها أنذا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء لقد طلبت القتل في مظانه فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي[2]، وأوصى خالد أن يقوم عمر على وصيته وقد جاء فيها: وقد جعلت وصيتي وتركتي وإنفاذ عهدي إلى عمر بن الخطاب، فبكى عمر رضي الله عنه فقال له طلحة بن عبيد الله: إنك وإياه كما قال الشاعر:

لا ألفينَّك بعد الموت تندبني ... وفي حياتي ما زوّدتني زادي[3]

فقد حزن عليه الفاروق حزنًا شديدًا، وبكته بنات عمه، فقيل لعمر أن ينهاهنَّ، فقال: دعهن يبكين على أبي سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة، على مثل أبي سليمان تبكي البواكي[4].

وقال عنه: قد ثلم في الإسلام ثلمة لا ترتق، وليته بقي ما بقي في الحمى حجر، كان والله سدادًا لنحور العدو، ميمون النقيبة[5]، وعندما دخل على الفاروق هشام بن البختري في ناس من بني مخزوم، وكان هشام شاعرًا، فقال له عمر:

---

(١) خالد بن الوليد، صادق عرجون ٣٤٩ ، الخلافة والخلفاء ص١٩٨ .

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٨٢)، الطريق إلى المدائن ص٣٦٧ .

(٣) الفاروق عمر ص٢٨٧ .

(٤) الطريق إلى المدائن ص٣٦٦ .

(٥) خالد بن الوليد، صادق عرجون ص٣٤٨ .

أنشدني ما قلت في خـالد، فلما أنشده قال له: قصـرت في الثناء على أبي سليمان رحمه الله، إن كان ليحب أن يذل الشرك وأهلـه، وإن كان الشامت به لمتعرضًا لمقت الله ثم تمثل بقول الشاعر:

فقل للذي يبغي خـلاف الـذي مضى

تهيأ لأخــــرى مثلهـــا فكأن قدِ

فما عيش من قد عاش بعـدي بنافعي

ولا موت من قد مات بعدي بمخلدي

ثم قال: رحم الله أبا سليمان مـا عند الله خير له مما كان فيه ولقد مـات فقيدًا وعاش حميدًا[1] ولقد رأيت الدهر ليس بقائل[2] . هذا وقد توفي ودفن بحمص ببلاد الشام عام ٢١هـ[3] رحمه الله رحمة واسعة وأعلى ذكره في المصلحين.

* ■ *

(١) تهذيب تاريخ دمشق (٥/ ١١٦).

(٢) ليس بقائل: أي ليس بتارك أحدًا يخلد في هذه الدنيا، فهو من الإقالة في المعنى، صادق عرجون ص٣٤٨ .

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ١٣٠)، القيادة العسكرية ص٥٨٩ .

■ الفصل السادس ■

فتوحات العراق والمشرق في عهد عمر رضي الله عنه

المبحث الأول: المرحلة الثانية من فتوحات العراق والمشرق

تمثل الفتوحات في عهد الصديق رضي الله عنه في العراق بقيادة خالد بن الوليد المرحلة الأولى من الفتوحات الإسلامية التي انطلقت نحو المشرق وقد تم تفصيلها في كتابي: «أبو بكر الصديق رضي الله عنه شخصيته وعصره»، وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه استكملت الخطة على مراحل هذه إحداها:

أولاً: تأمير أبي عُبيد الثقفي على حرب العراق:

لما مات الصديق ودفن ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، أصبح عمر فندب الناس وحثهم على قتال أهل العراق وحرضهم ورغبهم في الثواب على ذلك، فلم يقم أحد لأن الناس كانوا يكرهون قتال الفرس لقوة سطوتهم، وشدة قتالهم، ثم ندبهم في اليوم الثاني والثالث فلم يقم أحد، وتكلم المثنى بن حارثة فأحسن وأخبرهم بما فتح الله تعالى على يدي خالد من معظم أرض العراق ومالهم هناك من الأموال والأملاك والأمتعة والزاد، فلم يقم أحد في اليوم الثالث فلما كان اليوم الرابع كان أول من انتدب من المسلمين أبو عبيد بن مسعود الثقفي ثم تتابع الناس في الإجابة[1]، وكان سليط بن قيس الأنصاري قد استجاب لنداء عمر بعد أبي عبيد الثقفي وقال: يا أمير المؤمنين إنما كان عن هؤلاء الفرس إلى وقتنا هذا شقشقة من شقاشق الشيطان، ألا وإني قد وهبت نفسي لله أنا ومن أجابني من بني عمي ومن اتبعني[2]، فكان لكلام سليط هذا أثر قوي في تشجيع الناس ورفع معنوياتهم وزيادة رغبتهم في جهاد الفرس، وطالبوا الخليفة أن يوليَ عليهم رجلاً من المهاجرين أو الأنصار فقال عمر: والله ما أجد لها أحق من

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٦).

(٢) الفتوح: ابن أعثم (١/ ١٦٤) الأنصار في العصر الراشدي ص٢١٦.

الذي ندب الناس بدءًا ولولا أن سليطًا عجولٌ في الحرب لأمرته عليكم ولكن أبو عبيد هو الأمير وسليط هو الوزير فقال الناس سمعًا وطاعة[١]، وجاء في رواية: وأمّر على الجميع أبا عبيد ولم يكن صحابيًّا فقيل لعمر: هلا أمّرت عليهم رجلاً من الصحابة؟ فقال: إنما أؤمر أول من استجاب، إنكم إنما سبقتم الناس بنصرة هذا الدين، وإن هذا هو الذي استجاب قبلكم. ثم دعاه فوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيرًا، وأمره أن يستشير أصحاب رسول الله ﷺ، وأن يستشير سليط بن قيس فإنه رجل باشر الحروب[٢]،وقد جاء في وصايا عمر رضي الله عنه لأبي عبيد الثقفي ما يأتي: « اسمع من أصحاب رسول الله ﷺ وأشركهم في الأمر، ولا تجتهد مسرعًا، بل اتئد، فإنها الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث[٣]، الذي يعرف الفرصة، ولا يمنعني أن أُؤَمّر سليطًا إلاّ سرعته إلى الحرب، والسرعة إلى الحرب إلاّ عن بيان ضياع والله لولا سرعته لأمَّرته[٤]، ثم قال: إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجَبْرية، تقدم على قوم تجرّؤوا على الشر فَعَلموه، وتناسوا الخير فجهلوه: فانظر كيف تكون؟ واحرز لسانك، ولا تفشين سرّك، فإن صاحب السرّ ما يضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكره، وإذا لم يضبطه كان بمضيعة[٥] ثم أمر المثنى بن حارثة أن يتقدم إلى أن يلحقه الجيش وأمره أن يستنفر[٦]، من حسنت توبته من المرتدين، فسار مسرعًا حتى وصل الحيرة، وكان عمر رضي الله عنه يتابع جبهات العراق والفرس والشام ويمد الجيوش بالإمدادات ويرسل لهم التعليمات، والأوامر، ويضع الخطط للمعارك ويشرف بنفسه على تنفيذها.

سار المسلمون إلى أرض العراق وهم سبعة آلاف رجل، وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يرسل من كان بالعراق ممن قدم مع خالد إلى العراق فجهز عشرة آلاف عليهم هاشم بن عتبة، وأرسل عمر، جرير بن عبد الله البجلي في أربعة آلاف إلى العراق فقدم الكوفة، فلما وصل الناس إلى العراق وجدوا الفرس مضطربين في

---

(١) الأنصار في العصر الراشدي ص٢١٦ .

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٦).

(٣) المكيث: الرزين المتأني.

(٤) إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ص٦٥ . الجبرية: التكبر.

(٥) إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ص٦٥ .

(٦) أن يستنفر: أن يطلب الإسراع في الخروج لقتال العدو.

ملكهم، وآخر ما استقر عليه أمرهم أن ملكوا عليهم بوران بنت كسرى بعد ما قتلوا التي كانت قبلها أزرميدخت وفوضت بوران أمر الملك عشر سنين إلى رجل منهم يقال له رستم بن فرّخزاد على أن يقوم بأمر الحرب، ثم يصير الملك إلى آل كسرى فقبل ذلك. وكان رستم هذا منجمًا يعرف النجوم وعِلْمها جيدًا فقيل له ما حملك على هذا؟ يعنون وأنت تعلم أن هذا الأمر لا يتم لك فقال: الطمع وحب الشرف[1].

ثانياً: وقعة النمارق، ومعركة السقاطية بكسكر ومعركة باروسما:

١- وقعة النمارق ١٣هـ:

وقد كانت هذه المعركة عقب وصول أبي عبيد وتولّيه قيادة الجيوش من العراق، وكأنما أراد منها الفرس أن يرهبوا أبا عبيد، أول من انتدب، حتى يقهروا في نفسه إرادة الظفر ورغبة النصر، فأعدوا لها القوى الداخلية، وعبؤوا الجند، ولقوا فيها المسلمين من خلفهم ومن بين أيديهم، وكتبوا إلى دهاقين السودان أن يثوروا بالمسلمين، ودسّوا في كل رستاق رجلاً ليثور بأهله، فبعثوا جابان إلى الببهقّباذ الأسفل، ونَرْسِي إلى كسكر، وجندًا ليواقعوا المثنى.. وبلغ المثنى ذلك، فضم إليه مسالحه وحَذِر. وخرج الدهاقين وتوالوْا على الخروج، وثار أهل الرساتيق وتتابعوا على الثورة، ونزل أبو عبيد والمثنى بخفّان، وتعبّى، ثم كان اللقاء في النمارق.. وكان قتالاً شديدًا هزم الله فيه أهل فارس وأُسر جابان القائد ومردانْشاه، وكان على المُجَنَّبة، وكانا معًا هما اللذان توليا أمر الثورة[2]، وكان الذي أسر جابان مطر بن فضة التميمي وهو لا يعرفه، فخدعه جابان حتى تفلّت منه بشيء فخلّى عنه، فأخذه المسلمون فأتوا به أبا عبيد وأخبروه أنه قائد الفرس وأشاروا عليه بقتله فقال: إني أخاف الله أن أقتله وقد أمّنه رجل مسلم، والمسلمون في التّواد والتناصر كالجسد ما لزم بعضهم فقد لزمهم كلهم فقالوا: إنه الملك يعني القائد قال: وإن كان، لا أغدر، فتركه[3].

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٧).

(٢) حركة الفتح الإسلامي شكري فيصل ص٧٢.

(٣) الكامل في التاريخ (٢/ ٨٧).

- وهذا الموقف من أبي عبيد الثقفي يعتبر مثالاً على سماحة المسلمين ووفائهم بالعهود وإن أبرمها بعض أفرادهم، ولا شك أن هذه الأخلاق العالية كان لها أثر كبير في اجتذاب الناس إلى الدخول في الإسلام، فحينما يتسامع الناس أن المسلمين أطلقوا أحد قادة الفرس الذين كانوا أسرع الناس في عدائهم لمجرد أنه اتفق مع أحد المسلمين على الفداء فإنهم ينجذبون إلى هذا الدين الذي أخرج هؤلاء الرجال.

- ولا ننسى موقف المثنى بن حارثة الرائع حيث استلم الإمارة أبو عبيد مع أنه يَقْدمُ العراق لأول مرة، لأن أمير المؤمنين أمّره عليه، فكان نعم القائد ونعم الجندي، وهذه من سجايا المثنى فقد فعل ذلك مع خالد بن الوليد من قبل ولم يختلف عطاؤه للإسلام في حالي القيادة والجندية، وهكذا يكون عظماء الرجال[١].

- معركة السّقّاطية بكَسْكَر:

ثم ركب أبو عبيد في آثار من انهزم منهم وقد لجأوا إلى مدينة كَسْكَر[٢]، وهي لابن خالة كسرى واسمه نَرْسي، فوازرهم نرسي على قتال أبي عبيد، فلقيهم أبو عبيد في السقاطية[٣]، فقهرهم، وغنم منهم شيئًا كثيرًا وأطعمات كثيرة جدًّا[٤]، وهرب نرسي وغلب المسلمون على عسكره وأرضه، ووجدوا في خزائنه شيئًا عظيمًا ولم يكونوا بشيء أفرح منهم بشجر النّرسيان لأن (نَرْسي) كان يحميه ويمالئه عليهم ملوكهم فاقتسموه فجعلوا يطعمونه الفلاحين وبعثوا بخمسه إلى عمر، وكتبوا إليه: إن الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة يحمونها وأحببنا أن تروها ولتذكروا إنعام الله وإفضاله[٥].

وفي هذا الخبر إشارة إلى نوع من الأخلاق الرفيعة لدى المسلمين حيث رفعوا من شأن الفلاحين المحرومين فأطعموهم من طعام ملوكهم الذي كان محرمًا عليهم، فكأنهم بهذا يقولون لهم: تعالوا إلى هذا الدين العظيم الذي يرفع من شأنكم ويرد عليكم كرامتكم الإنسانية[٦].

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٣٣٤).
(٢) كسكر: بالفتح ثم السكون وكاف أخرى. كورة بين الكوفة والبصرة.
(٣) السقاطية: ناحية كسكر من أرض واسط.
(٤، ٥) تاريخ الطبري (٤/ ٢٧٢).
(٦) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٣٣٥).

وأقام أبو عبيد بكسكر وبعث قوات لمطاردة الفرس وتأديب أهل القرى المجاورة الذين نقضوا العهد ومالأوا الفرس، ورجحت كفة المسلمين في المنطقة. بعد هذا الانتصار جاء بعض الولاة يطلبون الصلح، وقدّم واليان منهم طعامًا خاصًّا لأبي عبيد من فاخر أطعمتهم فقالوا: هذه كرامة أكرمناك بها، وقِرىً لك، قال أأكرمتم الجند وقريتموهم مثله؟ قالوا: لم يتيسر ونحن فاعلون، فقال أبو عبيد: فلا حاجة لنا فيما لا يسع الجند، وهابوا وخافوا على أنفسهم. فقال أبو عبيد: ألم أعلمكم أني لست آكلاً إلا ما يسع من معي ممّن أُصبتم بهم قالوا: لم يبق أحد إلا وقد أُتِيَ بشبعه من هذا في رحالهم وأفضل. فلما علم قبل منهم، وأكل وأرسل إلى قوم كانوا يأكلون معه أضيافًا عليه يدعوهم إلى الطعام، وقد أصابوا من نُزُل فارس ولم يروا أنهم أتوا أبا عبيد بشيء فظنّوا أنهم يُدعون إلى مثل ما كانوا يُدعون إليه من غليظ عيش أبي عبيد، وكرهوا ترك ما أتوا به من ذلك، فقالوا له: قل للأمير، إنّا لا نشتهي شيئًا مع شيء أتتنا به الدهاقين، فأرسل إليهم: إنه طعام كثير من أطعمة الأعاجم، لتنظروا أين هو مما أتيتم به[1].

وهكذا أكل هذا الأمير الكريم المتواضع -بعد ما ردّ طعام الأعاجم مرتين- لما علم في الثالثة أنهم أطعموا جميع الجند مثلما أطعموه وأفضل ومع هذا لم يرض أن يأكل وحده حتى دعا أضيافه وألح عليهم، حتى بعد أن علم أنهم أصابوا من طعام الفرس وعدّد لهم أصناف هذا الطعام ليرغبهم في مشاركته، وهذا لون من الكرم الرفيع، والكرم من أهم عناصر الزعامة، وإن هذه المواقف ترشدنا إلى مقدار ما بلغ إليه الصحابة ﷺ والتابعون لهم، بإحسان من الرقي الأخلاقي والتقدم الحضاري[2].

٢- معركة بارُوسْما سنة ١٣هـ:

ثم التقوا بمكان بين كَسْكَر والسَّقاطية يقال له بارُوسما، وعلى ميمنة نَرْسي وميسرته ابنا خاله، بندويه وبيرويه وكان رستم قد جهز الجيوش مع الجالينوس فلما بلغ أبا عبيد ذلك أعجل نرْسي بالقتال قبل وصولهم فاقتتلوا قتالاً شديدًا فانهزمت

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٢٧٢، ٢٧٣).

(٢) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٣٣٦).

الفرس وهرب نرسي، فبعث أبو عبيد، المثنى بن حارثة وسرايا أخر إلى متاخم تلك الناحية كنهر جور ونحوها ففتحها صلحًا وقهرًا، وضربوا الجزية والخراج وغنموا الأموال الجزيلة ولله الحمد وكسروا الجالينوس الذي جاء لنصرة جابان وغنموا جيشه وأمواله وفرَّ هاربًا إلى قومه حقيرًا ذليلاً[1].

وهكذا تم القضاء على ثلاثة جيوش للفرس في مدة وجيزة وكان بإمكان الفرس أن يوحدوا هذه الجيوش وأن يأتوا المسلمين من أمامهم وخلفهم وعن يمينهم وشمالهم، لكثرة عددهم، ولكن الله أعمى بصائرهم وكانوا لشدة خوفهم من المسلمين يتمنى كل قائد أن يكفيه الآخر مهمة المواجهة وإضعاف المسلمين ليظفر بالنصر عليهم بعد ذلك، وقد أفاد المسلمين سرعة تحركهم وبطء حركة جيوش الأعداء[2].

ثالثاً: وقعة جسْر أبي عبيد ١٣هـ:

لما رجع الجالينوس هاربًا مما لقي من المسلمين تذامرت الفرس بينهم واجتمعوا على رستم فأرسل جيشًا كثيفًا عليهم ذا الحاجب بهمن جاذويه، وأعطاه راية كسْرى وتسمى دِرَفْش كابيان (الراية العظمى) وكانت الفرس تتيمَّن بها، وكانت من جلود النمور وعرضها ثمانية أذرع في طول اثني عشر ذراعًا، فوصلوا إلى المسلمين وبينهم النهر وعليه جسر، فأرسلوا: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم. فقال المسلمون لأميرهم أبي عبيد: مرهم فليعبروا هم إلينا، فقال: ما هم بأجرأ على الموت منا. ثم اقتحم إليهم فاجتمعوا في مكان ضيق هنالك فاقتتلوا قتالاً شديدًا لم يعهد مثله، والمسلمون في نحو عشرة آلاف، وقد جاءت الفرس معهم بأفْيلَة كثيرة عليها الجلاجل لتذعر خيول المسلمين، فجعلوا كلما حملوا على المسلمين فرت خيولهم من الفيلة ومما تسمع من الجلاجل التي عليها ولا يثبت منها إلا القليل على قَسْر، وإذا حمل المسلمون عليهم لا تقدم خيولهم على الفِيلة، ورشقتهم الفرس بالنبل فنالوا منهم خلقًا كثيرًا، وقتل المسلمون منهم مع ذلك ستة آلاف[3]، وقد جفلت خيول المسلمين

---

(١) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية د. محمد صامل السُّلمي ص٨٩ . (٢) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٣٣٧).
(٣) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص٩٠ .

من أصوات الأجراس المعلقة بالفيلة، وصار المسلمون لا يستطيعون الوصول إليهم والفيلة تجوس خلالهم، فترجل أبو عبيد وترجل الناس معه، وتصافحوا معهم بالسيوف، وفقد المسلمون خيلهم فأصبحوا رجَّالة يقاومون سلاح الفيلة والفرسان والمشاة من الفرس، إلى جانب الرماة الذي أضرُّوا بالمسلمين وهم يدفعون بخيولهم نحوهم فلا تندفع، فكان موقفًا صعبًا أظهر المسلمون فيه من البسالة والتضحية ما يندر أن يوجد له مثيل في التاريخ، وصمدوا للفرس رغم تفوقهم عليهم في كل وسائل القتال، وكانت الفيلة أشد سلاح واجهه المسلمون فقد كانت تهدُّ صفوفهم، فناداهم أبو عبيد بأن يجتمعوا على الفيلة ويقطعوا أحزمتها ويقلبوا عنها أهلها، وبدأ هو بالفيل الأبيض فتعلق بحزامه وقطعه ووقع الذين عليه، وفعل المسلمون مثل ذلك، فما تركوا فيلاً إلا حطوا رحله وقتلوا أصحابه، ولكن الفيلة استمرت في الهجوم لأنها كانت مدربة، فرأى أبو عبيد أن يتخلص منها، فسأل عن مقاتلها، فقيل له إنها إذا قطعت مشافرها تموت، فهجم على الفيل الأبيض، ونفح خرطومه بالسيف فاتقاه الفيل بيده وأطاح به ثم داسه بأقدامه، وأخذ الراية أخوه الحكم بن مسعود فقاتل الفيل حتى أزاحه عن أبي عبيد ولكن وقع له ما وقع لأبي عبيد، فقد أراد الحكم قتله، فألقاه بيده، ثم داسه بأقدامه، وانتقلت راية المسلمين إلى الذين سماهم أبو عبيد، ومنهم أبناؤه الثلاثة وهب ومالك وجبر، إلى أن قتلوا جميعًا فانتقلت القيادة للمثنى بن حارثة مع آخر النهار، وكان بعض المسلمين قد عبروا الجسر منسحبين، واستمر الانسحاب من الميدان، فلما رأى ذلك عبد الله بن مرثد الثقفي بادر وقطع الجسر، وقال: موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تظفروا، وحاول منع الناس من العبور فأتوا به إلى المثنى فضربه من شدة غضبه من صنيعه وقال: ما حملك على الذي صنعت؟ قال: ليقاتلوا. وقد كان اجتهاده في غير موضعه لأن قطع الجسر أدى إلى وقوع بعض المسلمين في النهر وغرقوا بسبب شدة الضغط من الفرس، فكانت الفكرة المناسبة أن يحافظ المسلمون على بقيتهم بالانسحاب إن استطاعوا ذلك، وهذا هو ما قام به المثنى حيث أمر بعقد الجسر

ووقف هو ومن معه من أبطال المسلمين فحموا ظهور المسلمين حتى عبروا وقال المثنى: يا أيها الناس إنا دونكم فاعبروا على هينتكم - يعني على مهلكم - ولا تدهشوا فإنا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب، ولا تغرقوا أنفسكم، وكان المثنى ومن معه من الأبطال من أمثال عاصم بن عمرو والكلج الضَّبِّي هم آخر من عبر، وقد كان بَهْمَن جاذويه حاول أن يجهز على بقية المسلمين ولكنه لم يستطع وفَوَّتَ عليه هذه الفرصة المثنى حينما تولى قيادة هذا الانسحاب المنظم ولا شك أن هؤلاء الأبطال الذي حموا ظهور المسلمين حتى انسحبوا قد بذلوا جهودًا جبارة في الصمود أمام الأعداء . لقد انسحب خمسة آلاف من المسلمين وخلفوا وراءهم أربعة آلاف من الشهداء منهم عدد كبير من الصحابة ﷺ خاصة الذين رافقوا أبا عبيد من المدينة، وقد عاد ألفان ممن انسحبوا إلى المدينة وغيرها ولم يبق مع المثنى غير ثلاثة آلاف، أما الفرس فقد قتل منهم ستة آلاف بالرغم من الوضع السيئ الذي كان فيه المسلمون مما يدل على بسالتهم وقوة احتمالهم[(١)].

أهم الدروس والعبر والفوائد من معركة جسر أبي عبيد:

أ- رؤية صادقة:

كانت دومة امرأة أبي عبيد قد رأت رؤيا أن رجلاً نزل من السماء بإناء فيه شراب فشرب أبو عبيد وابنه جبر في ناس من أهله فأخبرت بها أبا عبيد فقال: هذه الشهادة، وعهد أبو عبيد إلى الناس فقال: إن قُتلت فعلى الناس فلان حتى عد سبعة من ثقيف من أقاربه الذين ذكرتهم امرأته في الرؤيا، فإن قتل آخرهم فالقيادة للمثنى ابن حارثة[(٢)].

ب- غلطتان سببتا الهزيمة:

- مخالفة أبي عبيد لمن معه من أركان الجيش ووجوهه، لقد نهوه عن العبور فلم ينته، واستقل برأيه، لقد عبر أبو عبيد الجسر بشجاعة وإقدام وحب للشهادة، لكنه

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٢٧٩) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٣٤١).
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٢٧٧).

لم يحسب للمعركة حسابها الكامل، ولم يدرس أرض المعركة بشكل كاف[١]، ولقد أفلت من يد أبي عبيد عنصر الأمن بانحصاره في مكان ضيق المخرج وكأنه وضع جيشه في مصيدة دون عذر مقبول، وأفلت من يده عنصر التعاون بين الأسلحة المختلفة بخروج سلاح الفرسان من المعركة، فصارت قواته مشاة دون فرسان وكان عليهم أن يواجهوا مشاة الفرس وفرسانهم وأفيالهم، وفقدت المعركة كفاءة القيادة حتى تولاها المثنى أخيرًا بعد سبعة سبقوه، وكما فقد ذلك فقد أيضًا عنصر الحشد بسبب ضيق المكان إذ لا فائدة من أعداد الجند إذا لم تسعفها طوبوغرافية الأرض، كما أنه فقد حسن اختيار الهدف وما يتفرع عنه من اختيار الأرض واختيار طريق الوصول إليه وطريق ضربه وما إلى ذلك، فوّته على نفسه، بل أتاح لعدوه أن يفرضه عليه[٢].

- والذي زاد غلطة أبي عبيد فداحة، غلطة زادت الغلطة الأولى أثرًا وخسارة وفاجعة، إنها غلطة عبد الله بن مرثد الثَّقفي عندما قطع الجسر، كي لا يرتد أحد من المسلمين ولولا الله ثم ثبات المثنى بن حارثة ومن معه لهلك المسلمون عن آخرهم[٣].

ت- قيمة القيادة الميدانية:

إن معركة الجسر أثبتت أهمية القيادة الميدانية المتمثلة في المثنى وأركان قيادته الذين معه، فعندما تنزل المحن بالجيوش يخرج القادة الذين يستطيعون أن يخرجوا بجيوشهم من تلك المحن[٤]، فقد تولى المُثنى مع مساعديه من الأبطال حماية الجيش الإسلامي، فكان آخر من عبر الجسر، وهذا لون رفيع من ألوان التضحية والفداء[٥].

ث- المثنى يقوم برفع الروح المعنوية لجيشه:

انسحب المثنى بأربعة آلاف جندي من أصل عشرة آلاف، وقام بمطاردته قائدان فارسيان هما: (جابان) و(مردنشاه) باتجاه أليس (السماواة)، وجرهما المثنى وراءه مسافة حتى توغلا ولم يشأ أن يبدأ حملة مضادة إلا بعد مرحلة من الانسحاب وعند

(١) عوامل النصر والهزيمة ص٥٥ .
(٢) الطريق إلى المدائن ص٤١٤ .
(٣) عوامل النصر والهزيمة ص٥٥ .
(٤) الطريق إلى المدائن ص٤١٤ .
(٥) التاريخ الإسلامي (١٠/٣٤٣).

بلوغه السماواة شن هجومًا صاعقًا بالخيالة التي قادها بنفسه، فأنزل بهما هزيمة عجيبة، ويبدو أن هول المفاجأة وعدم تصورهم أن إنسانًا قد أبيد معظم جيشه، يمكن أن يكون له مثل هذا العزم الذي يفل الحديد، ومن شدة ذهول القطعان الفارسية أنزلت بها خسائر كبيرة بحيث تمكن المثنى من أسر القائدين جابان ومردنشاه وأعدمهما المثنى، فكان لهذا النصر أثر كبير في تقوية معنويات البقية الباقية من الجيش، ورفعت الموقعة معنويات سكان المنطقة، ورفعت قيمة المثنى في نظر جنوده والقبائل المجاورة(١).

ج- كلما وقع المسلمون الصادقون في مأزق حرج قيض الله لهم الأسباب التي تخرجهم من ذلك الحرج:

بقي المثنى في العراق في عدد قليل لا يكفي حتى للاحتفاظ بالممالك التي استولى عليها المسلمون، ولقد كان بإمكان الفرس أن يلاحقوا بقية الجيش الإسلامي حتى يخرجوهم من العراق، وسيجدون ممن بقي على الولاء لهم من العرب من يتولى مطاردتهم في الصحراء ولكن الله تعالى مع هذه الفئة المؤمنة ومع المؤمنين في كل مكان، فكلما وقع المسلمون الصادقون في مأزق حرج يسر الله لهم الأسباب للخروج منه، فقد قيض المولى -عز وجل- أمرًا صدّهم عن المسلمين حيث انقسموا إلى قسمين قسم مع رستم وقسم مع فيرزان، وأتى الخبر إلى قائد الفرس بهمن جاذويه فأسرع بالعودة إلى المدائن وكان ممن يُنظر إليه في أمور سياستهم، وهكذا كفى الله المؤمنين القتال وأنقذهم من هذا المأزق الحرج وأخذوا فرصة كافية لتلقِّي الجيوش القادمة من دار الخلافة حتى تقوَّوا وأصبح لديهم جيش كبير(٢).

ح- موقف عمر ﷺ عندما تلقى خبر الهزيمة:

بعث المثنى بن حارثة بأخبار المعركة إلى الخليفة عمر ﷺ مع عبد الله بن زيد الأنصاري فقدم على عمر وهو على المنبر فقال: ما عندك يا عبد الله بن زيد؟ قال

---

(١) الحرب النفسية د. أحمد نوفل (٢/ ١٦٧).

(٢) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٣٤٥، ٣٤٦).

أتاك الخبر يا أمير المؤمنين، فلما انتهى إليه أخبره خبر الناس سرًّا(١)، فما سمع لرجل حضر أمرًا تحدث عنه أثبت خبرًا منه(٢)، وقد تأثر عمر ومن حوله من الصحابة لمصاب الجيش الإسلامي في هذه المعركة وقال: اللهم كل مسلم في حلٍّ مني، أنا فئة كل مسلم، من لقي العدو فَفُظِع بشيء من أمره فأنا له فئة، يرحم الله أبا عبيد لو كان انحاز إليَّ لكنت له فئة(٣).

وهذا الموقف يدل على أن عمر وهو الرجل القوي الحازم يلين ويواسي في مقام الرحمة والعطف(٤).

رابعًا- وقعة البُوَيب ١٣هـ:

قام الفاروق بحشد الناس واستنفارهم وبذلك أرسل الإمدادات إلى جيش الإسلام في العراق فكان منهم جرير بن عبد الله البجلي في قومه وحنظلة بن الربيع، وأرسل هلال بن علقمة مع طائفة الرباب ومجموعة من قبائل خثعم بقيادة عبد الله بن ذي السهمين فأرسلهما أيضًا إلى العراق لمد جند الإسلام، وجاء كل من عمر بن ربعي بن حنظلة في قومه وربعي بن عامر بن خالد إلى الخليفة فأمد بهم كذلك جند العراق. وهكذا أخذت أرتال الدعم والإمداد تسير نحو العراق بدون انقطاع وفي الوقت ذاته أرسل المثنى بن حارثة الشيباني إلى من في العراق من أمراء المسلمين يستحثهم فبعثوا إليه بالأمداد حتى كثر جيشه(٥).

ولما علم قادة الفرس باجتماع جيش كبير عند المثنى بعثوا مهران الهمذاني بجيش من الفرسان لمواجهة جيش المثنى، ولما علم المثنى بذلك كتب إلى من يصل إليه من الأمداد أن يوافوه بالبويب وعلى رأس هؤلاء جرير بن عبد الله حيث كتب إليه المثنى يقول: إنا جاءنا أمر لم نستطع معه المقام حتى تقدموا علينا فعجلوا اللِّحاق بنا وموعدكم البويب، فاجتمعوا بالبويب وليس بينهم وبين جيش الفرس إلا النهر، فأقام المثنى حتى كتب له مهران: إما أن تعبروا إلينا أو أن نعبر إليكم، فقال المثنى: اعبروا،

---

(١) الأنصار في العصر الراشدي ص٢١٧.

(٢) المصدر نفسه ص٢١٨.

(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٢٧٩).

(٤) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٣٤٧).

(٥) العمليات التعرضية الدفاعية، نهاد عباس ص١١٥

فعبر مهران بجيشه، وكان ذلك في شهر رمضان من العام الثالث عشر للهجرة، فقام المثنى خطيبًا وقال للمسلمين، إنكم صوام والصوم مَرَقَّة ومضعفة وإني أرى من الرأي أن تفطروا ثم تقوَّوا بالطعام على قتال عدوكم، قالوا: نعم فأفطروا، وكان المثنى قد عبأ جيشه وسار فيهم يحثهم على القتال، ويقول لأهل كل راية: إني لأرجو ألا تُؤتَى العرب من قبلكم، والله ما يسرني اليوم لنفسي شيء إلا وهو يسرني لعامتكم قال الرواة: وأنصفهم المثنى في القول والفعل وخلط الناس في المكروه والمحبوب، فلم يستطع أحد منهم أن يعيب له قولاً ولا عملاً[1]. وهذا دليل على حسن قيادته وسعة حكمته، حتى أصبح أفراد الجيش مطيعين له عن حب وقناعة، ولما رضي المثنى عن استعداد جيشه قال: إني مكبِّر ثلاثًا فتهيأوا ثم احملوا مع الرابعة، فلما كبر أول تكبيرة أعجلهم أهل فارس وعاجلوهم فخالطوهم مع أول تكبيرة، وليس من عادة الفرس هذا الاندفاع ولكن لعل ما حصلوا عليه في معركة الجسر من إصابة المسلمين خفف مما وقر في نفوسهم من هيبة المسلمين والرعب منهم، وهكذا بدأ الفرس بالهجوم وقد صمد لهم المسلمون واستمروا معهم في صراع شديد، والمثنى إلى جانب اشتراكه في القتال يراقب جيشه بدقة حتى إنه رأى خللاً في بعض صفوفه فأرسل إليهم رجلاً وقال: إن الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول: لا تفضحوا المسلمين اليوم: فقالوا: نعم واعتدلوا[2]، فلما طال القتال واشتد قال المثنى لأنس بن هلال: يا أنس إذا رأيتني قد حملت على مهران فاحمل معي، وقال لابن مردي الفهر مثل ذلك فأجابه، ثم حمل المثنى على مهران، فأزاله حتى أدخله في ميمنته واستمر المثنى يضغط على عدوه، فخالطوهم، واجتمع القلبان، وارتفع الغبار، والمجنبات تقتتل لا يستطيعون أن يفرغوا لنصر أميرهم لا المشركون ولا المسلمون، وقال مسعود بن حارثة قائد مشاة المسلمين لجنده: إن رأيتمونا أُصبنا فلا تدعوا ما أنتم فيه فإن الجيش ينكشف ثم ينصرف، الزموا مصافكم وأغنوا غناء من يليكم[3]، وأصيب مسعود وقواد من المسلمين، ورأى مسعود تضعضع من معه لإصابته وهو ضعيف قد ثقل من الجراح. فقال: يا معسكر بكر بن

(١: ٢) تاريخ الطبري (٤/ ٢٨٧).

(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٢٨٨).

وائل ارفعـوا راياتكم رفعكم الله، لا يهـولنكم مصرعي. ويـدرك المثنى مصرع أخـيه فيخاطب الناس بقـوله: يا معشر المسلمين لا يرعكم مصرع أخي فإن مـصارع خياركم هكذا، وقاتل أنس بن هلال النمـيري حتى أصيب فـحمله المثنى وحمل أخاه مـسعودًا وضمهما إليه، والقتال محتدم على طول الجبهة، ولكن القلب بدأ ينبعج في غير صالح الفرس، وأوجع قـلب المسلمين في قلب المجوس، وقـد دق فيـه المثنى إسفيـنه، وكان فيمن تقدم في القلب جرير بن عبد الله ومعـه بجير وابن الهوبر والمنذر بن حسان فيمن معهما من ضـبة، وقاتل قُرط بن جماح العبدي حـتى تكسرت في يده رماح وتكسرت أسياف، وقتل شهر براز من دهاقين الفرس وقائد فـرسانهم في المعركة. واستمر القتال حتى أفنى المسلمون قلب المشركين وأوغلوا فيه[١]، ووقف المثنى عند ارتفاع الغبار حتى أسفر الـغبار، وقد فني قلب المشـركين وقُتل قائدهم مهـران والمجنَّبات قد هز بعـضها بعضًا، فلما رآه المسلمون وقد أزال الـقلب وأفنى أهله قويت مجنباتهم على المشركين، وجعلوا يردون الأعاجم على أدبارهم، وجـعل المثنى والمسلمون في القلب يدعون لهم بالنصر، وأرسل إليـهم من يقول لهم: عاداتـكم في أمثالكم، انصـروا الله ينصركم، حتى هزموا القوم، فسابقهم المثنى إلى الجسر فسبقهم وقطعه، وأخذ الأعاجم، فافترقوا بشاطيء الفرات، واعتورتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم، ثم جعلوا جثثهم أكوامًا من كثرتها، حتى ذكر بعض الرواة أن قتلاهم بلغوا مائة ألف[٢].

١- مؤتمر حربي بعد المعركة:

سكن القتـال ونظر المثنى والمسلمون إلى عشرات الألوف من الجـثث وقد غطت الأرض دماؤها وأشـلاؤها، ثم جلس مع الجيـش يحدثهم ويحـدثونه ويسألهم عـما فعلـوا، وكلما جاء رجـل قال له المثنى: أخـبرني عنك فـيروون له أحاديـث تصور لقطات من المعركة وقد قال المثنى: قد قـاتلت العرب والعجم في الجاهلية والإسلام، والله لمائة من العجم في الجـاهلية كانوا أشد عليّ من ألف من العـرب، ولمائة اليوم

(١) الطريق إلى المدائن ص٤٣٣، ٤٣٤ ، الطبري (٤/ ٢٨٩).
(٢) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٣٤٩)، تاريخ الطبري (٤/ ٢٨٩).

من العـرب أشـد علي من ألف من العـجم، إن الله أذهب مـصدوقـتـهم، ووهّن كيدهم، فلا يروعنَّكم زُهاءٌ ترونه - يعني هيئتهم - ولا سوادُ - يعني كثرتهم - ولا قـسيٌ فُجّ - يعني قـد بان أوتارها - ولا ينالُ طوال إذا أُعـجلوا عنـها أو فـقـدوها كالبهائم أينما وجهتموها اتجهت[١].

وإن هذا القول في ذلك الوقت مناسب تمامًـا حيث عرض المثنى خبـرته الجيدة في حربه مـع الفرس في الوقت الذي دخل في حـروب العراق أعـداد كبيـرة من المسلمين يشاركون في حرب الفرس لأول مرة، فـجمع المثنى لهم بذلك بين المشاهدة في معركة من المعارك وبين وصف تجاربه في كل المعارك التي خاضها معهم قبل ذلك[٢].

٢- ندم المثنى في قطعه خط الرجعة على الفرس:

وقد ندم المثنى على قطعه خط الرجعة على الفـرس، وأخذه بالجسر من خلفهم فقال: لقـد عجزت عجزة وقى الله شـرها لمسابقتي إياهم إلى الجسـر، وقطعه حتى أُحرجهم فإني عائد، فلا تعودوا ولا تقتدوا بي أيها الناس، فإنها كانت مني زلة، لا ينبغي إحراج أحد إلا من لا يقوى على امتناع[٣]، فقد أبان المثنى في آخر هذا الكلام وجه الخطأ في هذه الخطة حيث قد لاحظ ببصـيرته الحربية النافذة أن في منع الأعداء من الفرار إلجاءً لهم إلى الاسـتماتة في القتال دفـاعًا عن أنفسهم، فإنه حينمـا يشعر الإنسان بأنه مقتول يبذل كل طاقتـه في الدفاع عن نفسه، وهذا يكلف الجيش المقابل جهـودًا ضخمة في مـحاولة القضـاء عليه، ولكن الله تعـالى وقى المسلمين شر هذه الخطة كمـا ذكر المثنى حـيث ثبَّت المسلمين فكانت قـوتهم أعلى بكثيـر من احتـمال الأعداء وطـاقتهـم وألقى الله تعالى الرعب في قلوب الأعـداء حتى فـقدوا الطـاقة والمقدرة على الدفـاع عن النفس[٤]، وإن في اعتـراف المثنى بهذا الخطأ، وهو الرجل الذي بلغ في هذه المعركة أوج النصر والشهرة لدليلاً على قوة إيمانه، وتجرده من حظ النفس، وإيثاره مصلحة الجماعة وهكذا يكون العظماء[٥].

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٢٩٠).
(٢) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٣٥٢).
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٢٩١).
(٤) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٣٥٠).
(٥) المصدر نفسه (١٠/ ٣٥٥).

٣- علم النفس العسكري عند المثنى:

إلى جانب ما ظهر لنا من عبقريات المثنى فقد شملت عبقريته عمقًا آخر يتصل بالحرب وهو علم النفس العسكري والتعامل مع إخوان الجهاد وزملاء السلاح، إنا لنجد روحًا من المحبة فياضة تربط المثنى بمن معه تشير إلى جانب عاطفي نحوهم ويبرز هذا في أحاديثه لهم وفي كلامهم عنه، نرى هذا في طوافه بفرسه الشموس على راياتهم راية راية، يحمسهم ويعطيهم توجيهاته ويحرك مشاعرهم بأحسن ما فيهم ويقول لهم: والله ما يسرني اليوم لنفسي شيء إلا وهو يسرني لعامتكم[١]، فيجيبونه بمثل ذلك. يقول الرواة: فلم يستطع أحد أن يعيب له قولاً ولا عملاً[٢] وعندما رأى صفوف العجم تهجم وقد علت صيحاتهم، يدرك ما لهذا من أثر في قتال الالتحام، لا سيما وذكرى معركة جسر أبي عبيد ماثلة في الأذهان فقال كلمة هادئة تساعد على الثبات وتدخل على النفوس لتبطل أثر تلك الهيعات فقال في هدوء يدعو إلى الإعجاب: إن الذي تسمعون فشل فالزموا الصمت وائتمروا همسًا[٣]، وعندما أصيب أخوه مسعود إصابة قاتلة قال مقالة تستحق أن تكتب بماء الذهب، وبحروف من نور: يا معشر المسلمين لا يرعكم مصرع أخي، فإن مصارع خياركم هكذا[٤]، ولا يقل عن هذا قول أخيه نفسه وهو يجود بالنفس مستبشرًا بالشهادة: ارفعوا راياتكم رفعكم الله، لا يهولنكم مصرعي، وعندما قام المثنى بالصلاة على أخيه وبعض الشهداء قال: والله إنه ليهون على وجدي أن شهدوا البويب، أقدموا وصبروا، ولم يجزعوا، ولم ينكلوا، وإن كان في الشهادة كفارة لتجوُّز الذنوب[٥] وكما كان المثنى محبًّا لجنده عطوفًا عليهم متفقدًا لكافة أحوالهم فقد كان في الوقت نفسه حازمًا حاسمًا آخذًا بما يطلق عليه العسكريون المحدثون (الضبط والربط) [٦]، فعندما أبصر رجلاً في الصف يستوفز[٧] ويستنتل[٨]، من

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٢٨٧) الطريق إلى المدائن ص٤٤٦ .

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٢٨٧).

(٣، ٤) الطريق إلى المدائن ص٤٤٦ .

(٥) تاريخ الطبري (٤/ ٢٩١).

(٦) الطريق إلى المدائن ص٤٤٧ .

(٧) استوفز: تهيأ.

(٨) يستنتل: يتقدم.

الصف قال المثنى: ما بال هذا قالوا: هو ممن فر من الزحف يوم الجسر، وهو يريد أن يستقتل، فقرعه بالرمح، وقال: لا أبالك: الزم موقفك فإذا أتاك قرنك فأغنه عن صاحبك ولا تستقتل، قال: إني بذلك لجدير، فاستقر ولزم الصف[١]، وكما كان المثنى متعاطفًا مع جيشه فلقد كان الشعور متبادلاً تمامًا، ونرى ذلك جليًا في شعر المعركة الذي جرى على ألسنة جنودها فهذا الأعور الشني يقول:

هاجت لأعور دار الحي أحزانًا ... واستبدلت بعد عبد القيس حَفّانا

وقد أرانا بها والشمل مجتمع ... إذ بالنخيلة قتلى جند مهرانا

أزمان سار المثنى بالخيول لهم ... فَقَتَّلَ الزحف من فُرْس وجِيلانا[٢]

سما لمهران والجيش الذي معه ... حتى أبادهمُ مَثْنى ووحدانا

ما إن رأينا أميرًا بالعراق مضى ... مثل المُثَنَّى الذي من آل شيبانا

إن المثنى الأمير القرم لا كذب ... في الحرب أشجع من ليث بخفَّانا[٣]

فصاحب هذه الأبيات يفضل المثنى صراحة على خالد بن الوليد وعلي أبي عبيد الثقفي، ولقد كان الأعور من عبد قيس فهو لم يكن من بني شيبان ولا من بكر بن وائل حتى يقال إنَّه متعصب لقومه[٤].

إن المثنى بن حارثة كان قائدًا متعمِّقًا في علم النفس العسكري قبل أن يخط أي أستاذ متخصص حرفًا في هذا العلم بقرون[٥].

٤- موقف لنساء المجاهدين:

إن من المواقف التي ينبغي الإشارة إليها ما كان من نساء المسلمين لما أرسل إليهم قادة المسلمين بعض ما أصابوا من الطعام، وقد أرسلوه مع أحد زعماء النصارى من العرب وهو عمرو بن عبد المسيح بن بُقيلة في رجال معه، فلما رأتهم النساء

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٢٨٣).
(٢) جيلان: اسم لبلاد كثيرة وراء طبرستان.
(٣) الطريق إلى المدائن ص٤٤٠، وبعضها (تاريخ الطبري (٤/ ٢٩٣)).
(٤) الطريق إلى المدائن ص٤٤٧ .
(٥) الطريق إلى المدائن ص٤٤٨.

تصايحن وحسبنها غارة فقمن دون الصبيان بالحجارة والعُمد، فقال: عمرو بن عبد المسيح: هكذا ينبغي لنساء هذا الجيش، وبشروهن بالفتح[١].

وإن هذا الموقف ليدل على حسن التربية الإسلامية وإبراز شخصية المسلم حتى لدى النساء، فإنهن قد تدربن على حماية الموقف فيما إذا خلا من الرجال، هذا وقد أطلق هذا النصر الحاسم يد المسلمين في العراق فيما بين النهرين، وأرسل المثنى قواده يُخضعون البلاد لسلطان المسلمين، ويتقوَّون بما يفيء الله عليهم من الغنائم على جهاد عدوهم[٢].

٥- مطاردة فلول المنهزمين:

لم يقعد إغراء النصر بالمثنى عن غايته، فقد ندب الناس أثر المعركة وراء الجيش المنهزم وسألهم أن يتبعوهم إلى السيب فخرج المسلمون خلف فلول المنهزمين وكان من ضمنهم من حضر معركة جسر أبي عبيد، فأصابوا غنمًا كثيرًا وأغاروا حتى بلغوا ساباط ثم انكفأوا راجعين إلى المثنى، وتبدو قيمة معركة البويب، لا في استصلاح الأثر النفسي الذي كان بعد هزيمة الجسر فقط، بل إن المسلمين أيضًا أضحوا قادرين على السواد كله، فقد كانوا يحاربون من قبل لا يجتازون الفرات ثم حاربوا فيما بين الفرات ودجلة، أما بعد البويب فقد استمكنوا من كل هذه المنطقة التي تمتد بين الفرات ودجلة: فمخروها لا يخافون كيدًا ولا يلقون فيها مانعًا[٣]، وكانت غزوة البويب نظير اليرموك بالشام[٤].

خامساً: عمليات الأسواق:

استقام الأمر للمسلمين بعد معركة البويب، وانقاد لهم السواد وأخذ المثنى يجول هنا وهناك: وزّع القواد وأذكى المسالح، وأغار على تجمعات الفرس والعرب وكان من هذه الغارات غارته على الخنافس، وهي سوق يتوافى إليها الناس، ويجتمع بها

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٣٥٢)، تاريخ الطبري (٤/ ٢٩٢).

(٢) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٣٥٢). (٣) تاريخ الطبري (٤/ ٢٩٣).

(٤) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية خلافة عمر ص٩٣.

ربيعة ومضر يخفرونهم، فأغار عليها وانتسف السوق وما فيها وسلب الخضراء[١]، ثم سار مسرعًا حتى طرق دهاقين الأنبار في أول النهار من اليوم نفسه وهو يقول:

صبحنا بالخنافس جمع بكر ... وحيا من قضاعة غير مِيلِ

بفتيان الوغى من كل حيٍّ ... تباري في الحوادث كل جيل

أبحنا دارهم والخيل تُرْدي ... بكل سَمَيْدَع سامي التليل

نسفنا سوقهم والخيل رودُ ... من التطواف والشر البخيل[٢]

واستعان بدهاقين الأنبار وأخذ منهم أدلاء ورتب خطة لكسح سوق بغداد، وعبر دجلة وطلع على بغداد وسوقها مع أول ضوء النهار، فوضع فيهم السيف وقتل منهم وأخذ أصحابه ما شاءوا، وكان أمر المثنى لهم: لا تأخذوا إلا الذهب والفضة، ولا تأخذوا من المتاع ما لا يقدر الرجل منكم على حمله على دابته[٣]، وهرب أهل الأسواق وملأ المسلمون أيديهم من الذهب والفضة والخُرُّ من كل شيء. ثم كروا راجعين حتى إذا كانوا بنهر السبلحين[٤]، على حوالي خمسة وثلاثين كيلو مترًا من بغداد نزل وقال: أيها الناس انزلوا وقضّوا أوطاركم وتأهبوا للسير واحمدوا الله وسلوه العافية ثم انكشفوا قبيضًا[٥]، ففعلوا، لقد قطعوا نحوًا من ستين كيلو مترًا على ظهور الخيل تخللها غارة، كل ذلك في مرحلة واحدة منذ قاموا في آخر الليل إلى بغداد حتى عادوا، ورأى المثنى أنهم في حاجة إلى استراحة وكذلك خيلهم وكان المسلمون يدركون عمق ما أوغلوا وبينما المثنى يمر بينهم إذ سمع همسًا. قال قائل منهم: ما أسرع القوم في طلبنا. فقال المثنى: تناجوا بالبر والتقوى ولا تتناجوا بالإثم والعدوان .. انظروا في الأمور وقدروها (احسبوها) ثم تكلموا .. إنه لم يبلغ التدبر مدينتهم بعد ولو بلغهم لحال الرعب بينهم وبين طلبكم. إن للغارات روعات تنتشر عليها يومًا إلى الليل، ولو طلبكم المحامون من رأي العين ما أدركوكم وأنتم على

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٢٩٦). (٢) المراد من البيت أنهم شنوا الغارة على مهل. (٣) تاريخ الطبري (٤/ ٢٩٦).

(٤) قال أحمد كمال: أعتقد أنه نهر صرصر . الطريق إلى المدائن ص٢٥٥.

(٥) القبيض: الإسراع.

الجياد الغراب (الخيل الأصلية) وهم على المقاريف[١]، البطاء حتى تنتهوا إلى عسكركم وجماعتكم: ولو أدركوكم لقاتلتهم لاثنتين، التماس الأجر، ورجاء النصر، فثقوا بالله وأحسنوا به الظن، فقد نصركم الله في مواطن كثيرة وهم أعدُّ منكم (أكثر عددًا) وسأخبركم عني وعن انكماشي[٢]، والذي أريد بذلك. إن خليفة رسول الله ﷺ أبا بكر أوصانا أن نقلل العْرجة (الإقامة) ونسرع الكرة في الغارات، ونسرع في غير ذلك الأوبة (الإياب)[٣].

هذا فهم المثنى للحروب والقتال، فقد كان يتحرك على حساب محسوب وتخطيط مرسوم وإيمان عميق، فكل معركة تضيف إليه دراية وتجربة وعلمًا ومعرفة، وهي تكشف لنا عن عبقرية الصديق الحربية النادرة التي تتلمذ المثنى عليها أفاد منها رغم أنه لم يلقه إلا أقل من القليل[٤].

نهض المثنى وأمرهم بالركوب، وأقبل بهم ومعهم أدلاؤهم يقطعون بهم الصحارى والأنهار حتى انتهى بهم إلى الأنبار، فاستقبلهم الدهاقين بالإكرام واستبشروا بسلامته، وكان وعدهم الإحسان إليهم إذا استقام لهم من أمرهم ما يحبون وقال أحدهم:

وللمثنى بالعَال معركة ... شاهدها من قبيلة بَشَرُ

كتيبة أفزعت بوقعتها ... كسرى وكاد الإيوان ينفطر

وَشَجُعَ المسلمون إذ حَذروا ... وفي صروف التجارب العِبَرُ

سَهَّل نهج السيل فاقتفروا ... آثاره والأمور تقتفر[٥]

ووسع المثنى غارته على شمال العراق حتى شمل من أقصى شماله إلى أقصى

---

(١) المقرف: الذي دخل في الفساد والعيث.
(٢) الانكماش: الجد في الأمر والسرعة في طلبه.
(٣) الطريق إلى المدائن ص٤٥٧.
(٤) حركة الفتح الإسلامي، شكري فيصل ص٧٨، تاريخ الطبري (٤/ ٢٩٩).
(٥) الطريق إلى المدائن ص٤٥٧.

جنوبه، فأرسل غارته على الكباث وكان أهله كلهم من بني تغلب، فأخلوه وارفضّوا عنه، وتبعهم المسلمون يركبون آثـارهم، وأدركوا أخرياتهم، وقتلوا وأكثروا، وأرسل غارة على أحياء من تغلب والنمر بصفين[(١)].

وكان المثنى بن حارثة سيد هذه الغارات كلها بعد البويب، وكان على مقدمته حذيفة بن محصن الغلفاني وعلى مجنَّبته النعمان بن عوف بن النعمان ومطر الشيبانيان وقد حدث في إحدى غارات المثنى أن أدركت قواته مجموعات من الأعداء بتكريت يخوضون الماء، فأصابوا ما شاءوا من النعم، حتى أصاب الرجل خمسًا من النعم، وخمسًا من السبي، وخمس المال، وجاء به حتى ينزل على الناس بالأنبار. وعاد المثنى إلى الأنبار فبعث فرات بن حيان وعتيبى بن النهاس إلى صفين وأمرهما بالغارة على أحياء العرب من تغلب والنمر - ثم استخلف على الأنبار والتي اتخذها قاعدة متقدمة - عمرو بن أبي سلمى الهجيمي واتبعهما. فلما اقتربوا من صفين افترق المثنى عن فرات وعتيبة، وفر أهل صفين فعبروا الفرات إلى الجزيرة وتحصنوا بها، وكانوا من قبائل النمر وتغلب متساندين فاتبعهم فرات وعتيبة حتى رموا بطائفة منهم في الماء، فكانوا ينادونهم (الغرق الغرق) وكان عتيبة وفرات يحضان الناس ويحرضانهم ويقولان (تغريق بتحريق) يذكرانهم يومًا من أيام الجاهلية أحرقوا فيه قومًا من بكر بن وائل في غيضة من الغياض، ثم رجعوا إلى المثنى وقد أغرقوهم في الفرات، وبلغ خبر ذلك إلى عمر بالمدينة، فقد كانت له عيون في كل جيش تكتب له، فطلب فرات بن حيان وعتيبة إلى المدينة وأجرى معهما تحقيقًا في هذا، فأخبراه أنهما قالا ذلك على وجه أنه مَثَلٌ ولم يفعلاه على وجه طلب ثأر الجاهلية، فاستحلفهما فحلفا أنهما ما أرادا بذلك إلا المثل وإعزاز الإسلام، فصدقهما عمر وردهما إلى العراق فرجعا إليه مع حملة سعد بن أبي وقاص[(٢)]، فقد كان الفاروق حريصًا على صيانة أخلاق الرعية وحياطتها من تسرب الفساد إليها[(٣)].

---

(١) حركة الفتح الإسلامي، شكري فيصل ص٧٨، تاريخ الطبري (٤/ ٢٩٩).
(٢) الطريق إلى المدائن ٤٥٨، تاريخ الطبري (٤/ ٣٠٠).
(٣) الخلفاء الراشدون للنجار ص١٣٢.

لقد استغل المثنى النصر الرائع الذي أحرزه المسلمون يوم البويب وشن غارات منظمة على أسواق شمال العراق وطبق مبدأ مطاردة الأعداء وقد استطاع بعد توفيق الله ثم بما أعطاه الله من صفات القائد العسكري أن ينفذه في قوة وعمق بلغ حوالي أربعمائة كيلو مترًا أو يزيد شمالاً، خلاف ما تبحبحوا به شرقًا وجنوبًا وغربًا على امتداد ذلك الخط[1]، وقد طبق المثنى استراتيجية وتكتيكات الحرب الخاطفة في عملياته تلك، ولا شك أن هذه العمليات قد وجهت إلى السلطة الفارسية الحاكمة في المدائن أكبر إهانة أمام شعبها، وأضعفت الثقة في قدرتها على القيام بالدفاع ضد هجمات قوم كان الفرس حتى وقتها ينظرون إليهم نظرة ملؤها الإهانة والازدراء[2].

سادسًا - رد فعل الفرس:

لم تكن أحداث كالتي وقعت لتمر دون أن يكون لها رد فعلٍ في الدوائر الحاكمة في فارس واجتمع ساداتهم وقالوا لرستم ولفيرزان: أين يذهب بكما الاختلاف حتى وهنتما أهل فارس وأطمعتما فيهم عدوهم. والله ما جر هذا الوهن علينا غيركم يا معشر القواد، لقد فرقتم بين أهل فارس وثبطتموهم عن عدوهم، إنه لم يبلغ من خطركما أن يقركما فارس على هذا الرأي وأن تعرضها للهلكة، ما تنظرون والله إلا أن ينزل بنا ونهلك. ما بعد بغداد وساباط وتكريت إلا المدائن والله لتجتمعان أو لنبدأن بكما قبل أن يشمت بنا شامت، والله لولا أن في قتلكم هلاكنا لعجلنا لكم القتل الساعة، ولئن لم تنتهوا لنهلكنكم ثم نهلك وقد اشتفينا منكم[3].

وبعد ذلك ذهب رستم وفيرزان إلى بوران فقالا لها: اكتبي إلى نساء كسرى وسراريه ونساء آل كسرى، وسراريهم، ففعلت وأخرجت لهم ذلك في كتاب، فأرسلوا في طلبهن فأتوا بهن جميعًا فسلموهن إلى رجال يعذبونهن ويستدلونهن على ذكر من أبناء كسرى، فلم يوجد عندهن منهم أحد، ولكن إحداهن ذكرت أنه لم يبق إلا غلام يدعى يزدجرد من ولد شهر يار بن كسرى وأمه من أهل بادوريا، فأرسلوا إليها وأخذوها به يطلبونه منها، وكانت حين جمعهن عمه شيرويه في القصر

---

(١) الطريق إلى المدائن ٤٦١ . (٢) انظر الطريق إلى المدائن ص٤٦٧ . (٣) تاريخ الطبري (٤/ ٣٠٠).

الأبيض وقتل ذكور آل كسرى هم وإخوته السبعة عشر حتى لا ينافسه أحد على عرش فارس، قد هربته وأخفته عند أخواله في إصطخر، وكان شيرويه قد قتل فيمن قتل أخاه شهريار بن كسرى برويز من زوجته المفضلة شيرين وهو والد يزدجرد هذا، فضغطوا على أم يزدجرد فدلتهم عليه، فأرسلوا إليه فجاؤوا به باعتباره الذكر الوحيد الباقي من بني ساسان، فملَّكوه وهو ابن إحدى وعشرين سنة، واجتمعوا عليه واطمأن جميع الفرس لذلك، فتباروا في طاعته ومعونته، ورأوا في ذلك مخرجًا مما كانوا فيه[١] وبدأ يزدجرد الثالث يزاول سلطاته بمعونة رستم وفيرزان، فجدد المسالح والثغور التي كانت لكسرى وخصص جندًا لكل مسلحة فسمّى جند الحيرة والأنبار وجند الأبلة[٢].

سابعًا- توجيهات الفاروق للمثنى:

بلغت المثنى أخبار تحركات يزدجرد الثالث وكانت عيونه تأتيه بتفاصيلها، فكتب بها وبما يتوقع من هجوم مضاد قوي إلى عمر ﷺ، وصدق تقدير المثنى، فلم يصل كتابه إلى عمر حتى كفر أهل السواد وانتقضوا وتنكروا للمسلمين، من كان له منهم عهد ومن لم يكن له، وعاجلهم الفرس، فزاحفوهم مع ثورة أهل الذمة، فلما رأى المثنى ذلك كان يدرك أنه أحرز من التقدم والاكتساح أكثر مما تسمح قوته بالاحتفاظ به، ومن شأن هذا ألا يدوم فخرج في حاميته حتى نزل بذي قار وأنزل الناس بالطف في عسكر واحد، وكان عمر ﷺ أكثر حذرًا فجاءهم كتابه: أما بعد، فاخرجوا من بين ظهراني الأعاجم وتنحوا إلى البر وتفرقوا في المياه التي تلي الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم، ولا تدعوا في ربيعة أحدًا، ولا مضر ولا حلفائهم أحدًا من أهل النجدات، ولا فارسًا إلا اجتلبتموه، فإن جاء طائعًا وإلا حشرتموه، احملوا العرب على الجد إذ جد العجم، فلتلقوا جدهم بجدكم وأقم منهم قريبًا على حدود أرضك وأرضهم حتى يأتيك أمري[٣]، ونزل المثنى بذي قار، ووزع المسلمين بالجُل وشراف

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٣٠١) الطريق إلى المدائن ص٤٦٧ .
(٢) الطريق إلى المدائن ص٤٦٨ .
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٣٠١).

إلى غُضَي[1]، وفرّق القوات في المياه من أول صحراء العراق إلى آخرها، من غضي إلى القطقطانة مسالح ينظر بعضهم إلى بعض ويغيث بعضهم بعضًا إن حدث شيء، في حالة ترقب وانتظار لحشد جديد، بينما عادت مسالح كسرى وثغوره واستقر أمر فارس وهم متهيبون مشفقون والمسلمون متدفقون في ضراوة كالأسد ينازع فريسته ثم يعاود الكر، وأمراؤه يكفكفونهم عملاً بكتاب عمر وانتظارًا للمدد، كان ذلك في أواخر ذي القعدة ١٣هـ يناير ٦٣٥م[2]،وقال عمر: والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب. ثم كان أول ما عمل أن كتب إلى عماله على الكور والقبائل، وذلك في ذي الحجة مع مخرج الحجاج إلى الحج، فجاءته أوائل القبائل التي طرقها على مكة والمدينة ومن كان على طريق العراق وهو إلى المدينة أقرب، توافوا إليه بالمدينة مع رجوع الحج وأخبروه عمن وراءهم أنهم يجدون أثرهم، أما من كان إلى العراق أقرب فقد لحقوا بالمثنى، فلم يدع عمر رئيسًا ولا ذا رأي ولا ذا شرف ولا ذا سطوة ولا خطيبًا ولا شاعرًا إلا رماهم به، فرماهم بوجوه الناس وغررهم[3].

❊ ■ ❊

---

(١) جبال تجاه البصرة.

(٢) الطريق إلى المدائن ٤٧٠.

(٣) الطريق إلى المدائن ص٤٧١ .

المبحث الثاني
معركة القادسية

لما علم الفاروق أن الفرس يعدون العدة ويتجمعون لاستئصال القوة القليلة من المسلمين المتبقية في العراق أمر بالتجنيد الإجباري ذلك أن الحالة تقتضي ذلك؛ ولذلك أمر المثنى أن ينظر فيما حوله من القبائل ممن يصلح للقتال ويقدر عليه فيأتي به طائعًا أو غير طائع وهذا هو التجنيد الإجباري الذي رآه عمر وكان أول من عمل به في الإسلام، وبهذا يسقط ما قاله محمد فرج: صاحب كتاب (العسكرية الإسلامية) من أن التجنيد الإجباري ظهر في الدولة الأموية، فها هو عمر الفاروق قد أمر به ونفذ الأمر فما وصل كتاب أمير المؤمنين للمثنى إلا وبدأ بتنفيذ ما فيه على الفور وطبق الخطة التي رسمها له في تحركاته، وأرسل الفاروق إلى عماله ألا يدعوا أحدًا له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي إلا أرسلوه إليه، يأمرهم بالتجنيد الإجباري ويطلب إليهم أن يرسلوا المجندين الجدد إليه ليرسلهم إلى العراق[1]، لقد تغير الموقف في بلاد فارس مع مجيء يزدجرد للحكم فقد أصبح موقف الفرس كالتالي:

- استقرار داخلي تمثل في تنصيب يزدجرد واجتماعهم عليه، واطمأنت فارس واستوثقوا وتبارى الرؤساء في طاعته ومعونته.
- تجنيد عام شمل كل ما استطاع الفرس أن يجندوه، وتوزيع الفرق في كل أنحاء الأرض التي فتحها المسلمون.
- وأخيرًا إثارة السكان وتأليبهم على المسلمين، حتى نقضوا عهدهم وكفروا بذمتهم وثاروا بهم[2].

وتغير موقف المسلمين وأصبح كالتالي:

- الانسحاب: خروج المثنى -والقواد الآخرين على حاميتهم من الأرض التي فتحوها - من بين ظهراني العجم.

---

(١) إتمام الوفاء ص٧٠ .

(٢) حركة الفتح الإسلامي ص٨٠ .

● التراجع: والتفرق في المياه التي تلي الأعاجم على حدود الأرض العربية والأرض الفارسية، وقد نزل المثنى بذي قار، ونزل الناس الطَّف؟ فشكلوا في العراق مسالح ينظر بعضهم إلى بعض ويغيث بعضهم بعضًا عند الحاجة.

● مقابلة التجنيد الإجباري عند الفرس بالتجنيد الإجباري لدى المسلمين[١].

أولاً: تأمير سعد بن أبي وقاص على العراق:

وهذه المرحلة الثالثة في فتوحات العراق تبدأ بتأمير سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه على الجهاد في العراق سنة ١٤هـ، فقد استهلت هذه السنة الرابعة عشرة وعمر رضي الله عنه يحث الناس ويحرضهم على جهاد الفرس، وركب رضي الله عنه أول يوم من المحرم في هذه السنة في الجيوش من المدينة فنزل على ماء يقال له صِرَار[٢]، فعسكر به عازمًا على غزو العراق بنفسه واستخلف على المدينة عليًّا بن أبي طالب، واستصحب معه عثمان بن عفان وسادات الصحابة، ثم عقد مجلسًا لاستشارة الصحابة فيما عزم عليه ونودي الصلاة جامعة، وقد أرسل إلى علي فقدم من المدينة، ثم استشارهم فكلهم وافقوه على الذهاب إلى العراق إلا عبد الرحمن بن عوف فإنه قال له: إني أخشى إن كُسِرتَ أن تَضْعف المسلمون في سائر أقطار الأرض، وإني أرى أن تبعث رجلاً وترجع أنت إلى المدينة فاستصوب عمر والناس عند ذلك رأي ابن عوف. فقال عمر: فمن ترى أن نبعث إلى العراق؟ فقال: قد وجدته . قال: ومن هو؟ قال: الأسد في براثنه، سعد ابن مالك الزهري ؛ فاستجاد قوله وأرسل إلى سعد، فأمّره على العراق[٣].

١- وصية من عمر لسعد رضي الله عنهما:

لما قدم سعد إلى المدينة أمّره عمر رضي الله عنهما على حرب العراق وقال له: يا سعد سعد بني وُهَيب لا يغرنّك من الله أن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله -عز وجل- لا يمحو السيئ بالسيئ ولكنه يمحو السيئ بالحسن، فإن

---

(١) المصدر نفسه ص٨٠ .

(٢) صرار: موضع على ثلاثة أميال عن المدينة، معجم البلدان (٣/٣٩٨).

(٣) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص٩٦ .

الله تعالى ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء، الله ربهم، وهم عباده يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله ﷺ منذ بُعث إلى أن فارقنا فالزمْه فإنه الأمر، هذه عظتي إياك إن تركتها ورغبت عنها كنت من الخاسرين[1].

وإنها لموعظة بليغة من خليفة راشد عظيم فقد أدرك عمر رضي الله عنه جانب الضعف الذي يمكن أن يؤتى سعد من قبله وهو أن يُدلي بقرابته من النبي ﷺ فيحمله ذلك على شيء من الترفع على المسلمين، بالمبدأ الإسلامي العام الذي يعتبر مقياسًا لكرامة المسلم في هذه الحياة حيث قال: الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة. فقوله: يتفاضلون بالعافية، يعني بالشفاء من أمراض النفوس فكأنه يقول يتفاضلون بالبعد عن المعاصي والإقبال على طاعة الله تعالى وهذه هي التقوى التي جعلها الله سبحانه ميزانًا للكرامة بقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات، آية: ١٣)، وهو ميزان عادل رحيم بإمكان كل مسلم بلوغه إذا جَدَّ في طلب رضوان الله تعالى والسعادة الأخروية ثم ذكره عمر في آخر الموعظة بلزوم الأمر الذي كان عليه رسول الله ﷺ وهذا يشمل الالتزام بالدين كله وتطبيقه على الناس[2].

٢- وصية أخرى:

ثم إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوصى سعد بن أبي وقاص مرة أخرى لما أراد أن يبعثه بقوله: إني قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتي، فإنك تقدم على أمر شديد كريه لا يُخلِّص منه إلا الحق، فعوِّد نفسك ومن معك الخير، واستفتح به، واعلم أن لكل عادة عتادًا، فعتاد الخير الصبر، فاصبر على ما أصابك أو نابك تجتمع لك خشية الله، واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين: في طاعته واجتناب معصيته، وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة، وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة، وللقلوب حقائق ينشؤها الله إنشاءً، منها السر ومنها العلانية، فأما العلانية فأن يكون حامده وذامّه في الحق سواء، وأما السر فيُعرف بظهور الحكمة

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٣٠٦).

(٢) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٣٦٢).

من قلبـه على لسانه، وبمحبـة الناس، فلا تزهد في التـحبب فـإن النبيين قـد سألوا محبتهم، وإن الله- تعـالى - إذا أحب عبدًا حبَّبه، وإذا أبغض عبدًا بغَّضـه، فاعتبر منزلتك عند الله -تعالى- بمنزلتك عند الناس، ممن يشرع معك في أمرك[1] وفي هذا النص عبر نافعة منها:

- إن لزوم الحق يخلِّص المسلم من الـشدائد، وذلك أن من لزم الحق كـان مع الله تعالى ومن كان مع الله -تعالى- كان الله معه جل وعلا بنصره وتأييده وإن هذا الشعور ليعطي المسلم دفعات قوية نحو مضاعفـة العمل ومواجهة الصعاب والمآزق، إضافة إلى الطمأنينة النفسية التي يتمتـع بها من لزم الحق قولاً وعملاً، بخلاف من حاد عن طريق الحق فإنه يشعـر بالقلق والآلام المتعددة التي منها تأنيب الضـمير والخوف من محـاسبة الناس والدخول في مجاهيل المستقبل التي تترتب على الانحراف.

- وذكر عـمر ﷺ أن عُدة الخيـر الصبر، وذلك أن طريق الخـير ليس مفـروشًا بالخمائل، بل هو طريق شاق شائك، يتطلب عبوره جهادًا طويلاً، فلابد لسالكه من الاعتداد بالصبر وإلا انقطع في أثناء الطريق.

- وذكر أن خشـية الله تعالى تكون في طاعتـه واجتناب معصيـته ثم بين الدافع الأكبـر الذي يدفع إلى طاعـته ألا وهو بغض الدنيـا وحب الآخرة، والدافع الأكـبر الذي يدفع إلى معصيته، وهو حب الدنيا وبغض الآخرة.

- ثم ذكر أن للقلوب حقائق منها العلانية ومثّل لها بالمعاملة مع الناس بالحق في حالَي الغـضب والرضى، وأن لا يحمل الإنسان ثناء الناس عليـه على مداراتهم في النكول عن تطبيق الحق، ولا يحمله ذمهم إياه على ظلمهم ومجانبة الحق معهم.

- وذكر من حقائق القلوب السرّ، وجعل عـلامته ظهور الحكمة من قلب المسلم على لسانـه، وأن يكون محبـوبًا بين إخوانه المسلمين، فـإن محبـة الله تعالى لعـبده مترتبة على محبة المسلمين له، لأن الله تعالى إذا أحب عبدًا حببه لعباده[2]، فإذا كان

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٣٠٦،٣٠٧).

(٢) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٣٦٤).

سعد بن أبي وقاص المشهود له بالجنة بحاجة إلى هذه الوصية فكيف بنا وأمثالنا ونحن ينقصنا الكثير من فهم الإسلام وتطبيقه[١].

٣- خطبة لعمر رضي الله عنه:

وسار سعد إلى العراق ومعه أربعة آلاف مجاهد، وقيل في ستة آلاف، وشيعهم عمر من صرار إلى الأعوص[٢]، ثم قام في الناس خطيبًا فقال: إن الله تعالى إنما ضرب لكم الأمثال، وصرّف لكم القول ليحيي به القلوب فإن القلوب ميتة في صدورها حتى يحييها الله من علم شيئًا فلينتفع به، وإن للعدل أمارات وتباشير، فأما الأمارات فالحياء والسخاء والهَيْن واللِّين، وأما التباشير فالرحمة، وقد جعل الله لكل أمر بابًا، ويسَّر لكل باب مفتاحًا، فباب العدل الاعتبار ومفتاحه الزهد، والاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات، والاستعداد له بتقديم الأعمال، والزهد أخذ الحق من كل أحد قِبَلَه حق، وتأدية الحق إلى كل أحد له حق، ولا تصانع في ذلك أحدًا، واكتف بما يكفيك من الكفاف، فإن من لم يكفه الكفاف لم يغنه شيء، وإني بينكم وبين الله وليس بيني وبينه أحد، وإن الله قد ألزمني دفع الدعاء عنه، فأنهُوا شكاتكم إلينا، فمن لم يستطع فإلى من يُبلِّغناها نأخذ له الحق غير مُتَعْتَع[٣].

٤- وصول سعد إلى العراق ووفاة المثنى:

سار سعد بجيشه حتى نزل بمكان يقال له «زَرُود»[٤]، من بلاد نجد وأمدّه أمير المؤمنين بأربعة آلاف، واستطاع سعد أن يحشد سبعة آلاف آخرين من بلاد نجد، وكان المثنى بن حارثة الشيباني ينتظره في العراق ومعه اثنا عشر ألفًا.

وأقام سعد بزرود استعدادًا للمعركة الفاصلة مع الفرس وانتظارًا لأمر أمير المؤمنين عمر رضي الله عنهم أجمعين، وقد كان عمر عظيم الاهتمام بهذه المعركة فلم يدع رئيسًا

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٣٦٥).
(٢) الأعوص: على طريق العراق وهو واد يصب في صدر قناة من الشمال وفيه مطار المدينة اليوم.
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٣٠٨).
(٤) زرود: رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من العراق.

ولا ذا رأي ولا ذا شرف ولا ذا سلطة ولا خطيبًا ولا شاعرًا إلا رماهم بـه، فرماهم بوجوه الناس وغررهم[١]، وبينما كان سعد مقيمًا بجيشه في زرود مرض المثنى مرضًا خطيرًا، يقول الرواة: إن الجراحة التي جرحها يوم الجسر انتقضت عليه، واستشعر دنو أجله واشتد وجعه واستخلف على من معه بشير بن الخصاصية، وطلب المثنى أخاه المعنى وأفضى إليه بوصيته وأمره أن يعجل به إلى سعد، ثم أسلم المثنى الروح إلى بارئها فانطفأ السراج المضيء وأفلت هذه الشمس المشرقة التي ملأت فتوح العراق نورًا ودفئًا[٢]، وقد جاء في وصيته لسعد: ألا يقاتل عدوه وعدوهم -يعني المسلمين- إذا استجمع أمرهم وملؤهم في عقر دارهم، وأن يقاتلهم على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب وأدنى مردة من أرض العجم، فإن يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم، وإن تكن الأخرى فاؤوا إلى فئة، ثم يكونون أعلم بسبيلهم، وأجرأ على أرضهم، إلى أن يرد الله الكرة عليهم[٣]، فما أشبه لحظات المثنى الأخيرة باللحظات الأخيرة للخليفة أبي بكر ﷺ، كلاهما ترك الدنيا وهو يفكر للمسلمين في هذه الفتوح ويوصي لها، توفي أبو بكر وهو يوصي خليفته عمر بندب الناس وبعثهم لفتح العراق، وتوفي المثنى وهو يورّث القائد الجديد لحرب العراق سعد بن أبي وقاص تجاربه الحربية ضد الفرس، فهو يجود بنفسه وهو يفكر ويدبر ويوصي سعدًا[٤]، ولما انتهى إلى سعد رأيُ المثنى ووصيته ترحَّم عليه وأمّر المعنى بن حارثة على عمله، وأوصى بأهل بيته خيرًا[٥]، ومما يلفت النظر في هذا الخبر أن المثنى قد أوصى بزوجته سلمى بنت خصفة التيمية إلى سعد بن أبي وقاص، وحملها معه المعنى، ثم خطبها سعد بعد انتهاء عدتها وتزوجها، فهل أراد المثنى أن يَبَرَّ زوجته بعد رحيله بضمها إلى بطل عظيم من أبطال الإسلام شهد له رسول الله ﷺ بالجنة؟ إنه نوع من الوفاء نادر المثال، أم أنها كانت ذكية وعاقلة وقد تكون لديها خبرة من حروب زوجها، فأراد أن ينتفع المسلمون بها؟ كل ذلك محتمل، وهو

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٣١٠).

(٢) القادسية، أحمد عادل كمال ص٢٩.

(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٣١٣).

(٤) القادسية، أحمد عادل كمال ص٣٠ .

(٥) تاريخ الطبري (٤/ ٣١٣).

غيض من فيض مما تحلى به ذلك الجيل الراشد من الفضائل وعظائم الأمور[١]، ومما ينبغي الإشادة به والإشارة إليه، موقف قام به المعنى قبل إبلاغ هذه الوصية، وذلك أنه علم بأن أحد أمراء الفرس وهو الآزاذمر بعث قابوس بن قابوس بن المنذر إلى القادسية وقال له: ادع العرب فأنت على من أجابك وكن كما كان آباؤك - يعني المناذرة الذين كانوا ولاة الفرس - فنزل القادسية وكاتب بكر بن وائل بمثل ما كان النعمان يكاتبهم به مقاربة ووعيدًا، فلما انتهى إلى المعنَّى خبره، أسْرَى المعنَّى من «ذي قار» حتى بيَّته، فأنامه ومن معه، ثم رجع إلى ذي قار[٢].

٥- مسيرة سعد إلى العراق ووصية عمر رضي الله عنه:

جاء الأمر من عمر أمير المؤمنين إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بالرحيل من «زرود» إلى العراق استعدادًا لخوض المعركة الفاصلة مع الفرس وأوصاه بالوصية التالية: أما بعد فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله -عز وجل- أفضل العدة على العدو، وأقوى العدة في الحرب وآمرك ومن معك أن تكونوا أشدَّ احتراسًا من المعاصي منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عُدَّتنا كعدتهم، فإذا استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإن لا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ولا تقولوا إن عدونا شر منَّا ولن يسلط علينا وإن أسأنا، فرُبَّ قوم سلط عليهم شرٌّ منهم كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفرة المجوس، فجاسوا خلال الديار، وكان وعدًا مفعولا، اسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم، أسأل الله ذلك لنا ولكم، وترفق بالمسلمين في مسيرهم، ولا تجشِّمهم مسيرًا يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم، فإنهم سائرون إلى عدو

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٣٧٠، ٣٧١).

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٣١٣).

مقيم، جامٍّ الأنفس والكراع[١]، وأقم بمن معك كل جمعة يومًا وليلة حتى تكون لهم راحة، يجمعون فيها أنفسهم، ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ونحِّ منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة، فلا يدخلنها من أصحابك إلا من تثق بدينه، ولا ترزأ أحدًا من أهلها شيئًا فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها، كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم فوفوا لهم، ولا تنتصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح، وإذا وطئت أدنى أرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم، ولا يخف عليك أمرهم، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه، فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدق في بعض، والغاش عين عليك وليس عينًا لك، وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع، وتبثّ السرايا بينك وبينهم، فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم، وتتبع الطلائع عورتهم، وانتق الطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك، وتخير لهم سوابق الخيل، فإن لقوا عدوا كان أول من تلقاهم القوة من رأيك، واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد، والصبر على الجلاد، لعلها (ولا تخص أحدًا بهوى) فيضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك، ولا تبعث طليعة ولا سرية في وجه تتخوف فيه ضيعة ونكاية، فإذا عاينت العدو فاضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك، واجمع إليك مكيدتك وقوتك، ثم لا تعاجلهم المناجزة ما لم يستكرهك قتال، حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها، فتصنع بعدوك كصنيعته بك ثم أذك حراسك على عسكرك، وتحفظ من البيات جهدك، ولا تؤتى بأسير ليس له عهد إلا ضربت عنقه لترهب بذلك عدوك وعدو الله، والله ولي أمرك ومن معك وولي النصر لكم على عدوكم والله المستعان[٢]، فهذا خطاب عظيم يشتمل على وصايا نافعة ، يوضح لنا جانبًا مهمًّا من عظمة عمر رضي الله عنه وهو خبرته العالية في التخطيط الحربي، وقد كان التوفيق الإلهي واضحًا في كل توجيهاته ووصاياه[٣]، ويمكننا أن نستخلص بعض المبادئ الهامة التي اشتملت عليها تلك الوصية منها:

---

(١) يعني: الخيول.

(٢) الفاروق عمر بن الخطاب، لمحمد رشيد رضا ص١١٩، ١٢٠.

(٣) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٣٧٤).

- أمر الجيش بطاعة الله وتقواه في كل الأحوال، باعتبار أن هذا هو السلاح الأول، والتنبيه أن العدو الأول هو الذنوب، ثم المحاربون الكفار، ولفت النظر إلى أن ثمة رقابة دقيقة ودائمة، من الملائكة على أفراد الجيش الإسلامي، والإشارة إلى ضرورة الاستحياء من المعاصي، إذا لا يعقل أن يعصي المرء وهو في ساحة الجهاد في سبيل الله، والتأكيد على أنه من المجافي للصواب، اتخاذ سلوكيات العدو معيارًا لتبرير سلوكيات الجيش الإسلامي واستحضار الحاجة الدائمة إلى معونة الله.

- أما المبدأ الثاني الذي أكدت عليه رسالة عمر إلى سعد فهو: رعاية الطرف الأول في العلاقة محل البحث ضد أي خطر، وتأكيد حرمة قرى أهل الصلح وتلمس أسباب تأمينها، وتأمين الصورة الإسلامية من أية آثار عكسية تؤثر على نجاح عملية الاتصال بين المسلمين وغير المسلمين، من جراء سلوكيات غير مستقيمة من جانب بعض العناصر الإسلامية، وسعيًا لتحقيق متطلبات هذا المبدأ، أمر عمر أميره بمراعاة أسباب الحفاظ على معنويات الجيش، وإيصاله إلى أرض العدو، وهو قادر على المواجهة، فقال: ترفق بالمسلمين في سيرهم. . إلى أن قال يكون ذلك لهم راحة يجمعون بها أنفسهم، ويصلحون أسلحتهم، وأمتعتهم، وبعد التأكيد على أسباب صيانة وسلامة الأنفس والعتاد الحربي الإسلامي، نبه عمر إلى أن الوقاية خير من العلاج، وأن من أهم أسلحة الجيش الظهور بسلوكيات إسلامية، يوافق فيها القول العمل، فأمر عمر - كإجراء احتياطي - بإبعاد منازل الجيش عن قرى الصلح درءًا لإمكانية وقوع أية تجاوزات، تعود بالسلب، على العلاقة المراد إقامتها، وعدم السماح إلا لأهل الثقة بدخول قرى الصلح، والتأكيد على حرمة أهل الصلح ولزوم الوفاء لهم.

- ونصت رسالة عمر على مبدأ ثالث وهو: التنوع في أسلوب المعاملة حسب نوعية شريك الدور، والرفق بأهل الصلح، وعدم تحميلهم فوق طاقتهم، فلقد طلب عمر من أميره، ألا يظلم أهل الصلح بغية النصر على أهل الحرب، وأن يستعين بمن يثق به من أهل المناطق الجاري فتحها، على ألا تكون الثقة مُطلقة بمعنى: التحرز فيها كيلا يؤتى من قبيل الإفراط في حسن الظن.

- أما المبدأ الرابع: فهو ضرورة جمع معلومات كافية عن العدو، فلقد نبه عمر إلى ضرورة إسناد أمر جمع المعلومات إلى طلائع استطلاع من أفضل عناصر الجيش، مع تسليحها بأفضل ما بحوزة الجيش من أسلحة، ذلك أن العدو قد يكشف بعضها فيكرهها على الدخول في قتال، ويجب بالتالي أن تكون من القوة بحيث تحدث الأثر النفسي المطلوب في العدو بإشعاره بقوة الجيش، وبتلمس أسباب الكف عن استخدام القوة.

- أما المبدأ الخامس، والأخير، في رسالة عمر، فهو: وضعه الرجل المناسب في المكان المناسب، واعتبار أن الغرض من جمع المعلومات عن العدو ليس التمكن من محاربته، بقدر ما هو التحرز من استكراه الطرف الثاني للمسلمين على القتال، ولذا يجب على المسلمين الكف بعد الأخذ بالأسباب، والتأهب ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً مع أخذ الحيطة والحذر البالغين[١].

٦- الاستعانة بمن تاب من المرتدين:

إن أبا بكر الصديق ﷺ لم يستعن في حروب الردة ولا في حركة الفتوحات بمرتد، وأما عمر ﷺ فقد استنفرهم بعد أن تابوا وصلح حالهم وأخذوا قسطًا من التربية الإسلامية إلا أنه لم يول منهم أحدًا[٢]، وقد جاء في رواية أنه قال لسعد بن أبي وقاص في شأن طليحة بن خويلد الأسدي وعمرو بن معدي كرب الزبيدي: استعن بهما ولا تولينهما على مائة[٣]، فنستفيد من سنة الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر[٤]، أن من ارتد عن الإسلام ثم تاب ورجع إليه فإن توبته مقبولة ويكون معصوم الدم والمال، وله ما للمسلمين وعليه ما عليهم غير أنه لا يولى شيئًا من أمور المسلمين المهمة وخاصة الأعمال القيادية، وذلك لاحتمال أن تكون توبته نفاقًا، وإذا كانت كذلك وتولى قيادة المسلمين المهمة وخاصة الأعمال القيادية، فإنه يفسد في الأرض ويقلب موازين الحياة فيقرب أمثاله من المنافقين ويبعد المؤمنين الصادقين

(١) الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام ص٤٢٩ .
(٢،٣) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٣٧٥).
(٤) سنن الترمذي المناقب باب ٥٢ حديث رقم ٣٧٤٢.

ويحوّل المجتمع الإسلامي إلى مجتمع تسوده مظاهر الجاهلية، فكانت هذه السنة الراشدة من الخليفتين الراشدين لحماية المجتمع الإسلامي من تسلل المفسدين إلى قيادته وتوجيهه، ولعل حكم هذه السنة أيضًا ملاحظة عقوبة المرتدين بنقيض قصدهم، الذين يرتدون من أجل الحصول على الزعامات والقيادات، إذا أظهروا التوبة، وعادوا إلى الإسلام يحرمون من هذه القيادات عقوبة لهم، وردعًا لكل من تسول له نفسه أن يخرج عن الخط الإسلامي، ويبحث عن الزعامة في معاداة الإسلام وموالاة أعدائه[1].

٧- كتاب من أمير المؤمنين إلى سعد بن أبي وقاص:

وصل إلى سعد بن أبي وقاص كتاب من أمير المؤمنين وهو نازل في شراف على حدود العراق يأمره فيه بالمسير نحو فارس وقد جاء في هذا الكتاب: أما بعد فسر من شراف نحو فارس، بمن معك من المسلمين، وتوكل على الله واستعن به على أمرك كله، واعلم فيما لديك أنك تقدم على أمة عددهم كثير وعدتهم فاضلة، وبأسهم شديد، وعلى بلد منيع - وإن كان سهلاً - كؤود لبحوره وفيوضه ودأدائه[2]، إلا أن توافقوا غيضًا من فيض، وإذا لقيتم القوم أو أحدًا منهم فابدؤوهم العتيد والضرب، وإياكم والمناظرة - لجموعهم - يعني الانتظار بعد المواجهة - ولا يخدعنكم فإنهم خدعة مكرة، أمرهم غير أمركم، إلا أن تجادوهم - يعني تأخذوهم بالجد - وإذا انتهيت إلى القادسية[3]، فتكون مسالحك على أنقابها ويكون الناس بين الحجر والمدر[4]، على حافات الحجر وحافات المدر، والجراع بينهما[5]، ثم الزم مكانك فلا تبرحه فإنهم إن أحسوك أنغضْتهم رموك بجمعهم، الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدهم وجدهم، فإن أنتم صبرتم لعدوكم، واحتسبتم لقتاله ونويتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم، ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبدًا، إلا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم، وإن تكن الأخرى كان الحجر في أدباركم، فانصرفتم من أدنى مدرة من

(١) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٣٧٦).
(٢) الدأداء: الفضاء وما اتسع من الأودية.
(٣) القادسية: باب فارس في الجاهلية.
(٤) الحجر والمدر: يعني الصحراء والقرى العامرة.
(٥) الجراع بينهما: يعني الأرض السهلة.

أرضهم إلى أدنى حجر من أرضكم، ثم كنتم عليها أجرأ وبها أعلم، وكانوا عنها أجبن، وهذه الوصية في اختيار المكان الذي يستقر فيه الجيش تشبه وصية المثنى لسعد حيث اتفق رأي عمر والمثنى في اختيار المكان، وكانت تلك الوصية من المثنى نتيجة خبرة أكثر من ثلاث سنوات في حرب الفرس، وهذا دليل على براعة عمر رضي الله عنه في التخطيط الحربي مع أنه لم تطأ قدماه أرض العراق رضي الله عنهم أجمعين، وتتضمن هذه الوصية إبقاء الجيش بعيداً عن متناول الأعداء، ثم رميهم بالسرايا التي تنغص عليهم حياتهم وتثير عليهم أتباعهم حتى يضطر المسلمون إلى منازلتهم في المكان الذي تم اختياره[1].

٨- من أسباب النصر المعنوية في رأي عمر رضي الله عنه:

كتب عمر رضي الله عنه إلى سعد يذكره بأسباب النصر المعنوية وهي التي تأتي في المقام الأول، وقد جاء في كتابه: أما بعد فتعاهد قلبك وحادث جندك بالموعظة والنية والحسبة، ومن غفل فليحدثهما والصبر الصبر، فإن المعونة تأتي من الله على قدر النية والأجر قدر الحسبة، والحذر الحذر على ما أنت عليه وما أنت بسبيله واسألوا الله العافية، وأكثروا من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله» واكتب إليَّ أين بلغ جمعكم، ومن رأسهم الذي يلي مصادمتكم؟ فإنه قد منعني من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمي بما هجمتم عليه، والذي استقر عليه أمر عدوكم، فصف لنا منازل المسلمين، والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كأني أنظر إليها، واجعلني من أمركم على الجيلة وخف الله وارجه، ولا تُدِل بشيء، واعلم أن الله قد وعدكم، وتوكل لهذا الأمر بما لا خُلف له، فاحذر أن تصرفه عنك، ويستبدل بكم غيركم[2]، ففي هذا الكتاب يوصي عمر رضي الله عنه بتعاهد القلوب، فإن القلب هو المحرك لجميع أعضاء الجسم والحاكم عليها فإذا صلح صلح الجسم كله، ثم يوصيه بموعظة جنده وتذكيرهم بالإخلاص لله تعالى واحتساب الأجر عنده، ويبين أن نصر الله مترتب على ذلك، ويحذره من التفريط في المسئولية التي تحملها وما يستقبله من الفتوح، ويذكرهم بوجوب ارتباطهم بالله تعالى وأن قوتهم من قوته ويوصي قائد المسلمين

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٣٧٩).

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٣١٥).

بأن يكون بين مقام الخوف من الله تعالى والرجاء لما عنده، وهو مقام عظيم من مقامات التوحيد وينهاه عن الإدلال على الله بشيء من العمل أو ثناء الناس ويذكره بما سبق من وعد الله تعالى بانتصار الإسلام وزوال ممالك الكفر، ويحذره من التهاون في تحقيق شيء من أسباب النصر، فيتخلف النصر عنهم ليتم على يد غيرهم ممن يختارهم الله تعالى[١].

٩- سعد رضي الله عنه يصف موقع القادسية لعمر رضي الله عنه ورد عمر عليه:

كتب سعد إلى عمر رضي الله عنه: يصف له البلدان التي يتوقع أن تكون ميدانًا للمعركة الفاصلة، إلى أن قال: وإن جميع من صالح المسلمين من أهل السواد قبلي إلبٌ لأهل فارس قد خضعوا لهم واستعدوا لنا، وإن الذي أعدوا لمصادمتنا رستم في أمثال له منهم، فهم يحاولون إنغاضنا وإقحامنا، ونحن نحاول إنغاضهم وإبرازهم، وأمر الله بعد ماض، وقضاؤه مسلّم إلى ما قدر لنا وعلينا، فنسأل الله خير القضاء وخير القدر في عافية[٢]، فكتب إليه عمر: قد جاءني كتابك وفهمته، فأقم بمكانك حتى ينغض الله لك عدوك، واعلم أن لها ما بعدها، فإن منحك الله أدبارهم فلا تنزع حتى تقحم عليهم المدائن فإنه خرابها إن شاء الله[٣]، ومن خلال رسالة عمر يتبين أنه اتخذ القرار المناسب وهو:

- أن يثبت سعد في مواقعه فلا يبارحها.
- ألا يبادر العدو بالقتال بل يترك له أمر هذه المبادرة.
- أن يعمد إلى استثمار النصر ويطارد العدو حتى المدائن، فيفتحها الله عليه[٤]، ومع الأخذ بالأسباب المادية التي لا بد منها في إحراز النصر لم يترك الفاروق الجوانب المعنوية وشن حرب نفسية على الخصوم في عقر دراهم، وعز ملكهم، وقوة سطوتهم، فأرسل إلى سعد: إني ألقي في روعي: أنكم إذا لقيتم العدو غلبتموهم، فمتى لاعب أحد منكم أحدًا من العجم بأمان وإشارة أو لسان كان عندهم أمانًا،

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٣٧٩).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٣٨).
(٣) البداية والنهاية (٧/ ٣٨).
(٤) الفن العسكري الإسلامي ص٢٥٣.

فأجروا له ذلك مجرى الأمان والوفاء فإن الخطأ بالوفاء بقية، وإن الخطأ بالغدر هلكة، وفيها وهنكم وقوة عدوكم[١].

لقد كان عمر رضي الله عنه يعيش مع الجيش الإسلامي بكل مشاعره وأحاسيسه، ولقد تكاثفت عليه الهموم حتى أصبح لا يهنأ بعيش ولا يقر له قرار حتى يسمع أخبارهم، وإن في مثل هذا الإلهام من الله تعالى تخفيفًا من هذا العبء الكبير الذي تحمله عمر وتثبيتًا للمسلمين وتقوية لقلوبهم، ونلاحظ أن الفاروق رضي الله عنه ذكّر المسلمين بشيء من عوامل النصر المعنوية حيث حثهم على الالتزام بشرف الكلمة والصدق في القول والوفاء بالعهود، ولو كان من التزم بذلك أحد أفراد المسلمين، أو كان هناك خطأ في الفهم فلم يقصد المسلم الأمان وفهمه العدو أمانًا[٢].

ثانيًا- الفاروق يطلب من سعد أن يرسل وفدًا لمناظرة ملك الفرس:

وقال عمر لسعد في رسائله: لا يكربنك ما يأتيك عنهم ولا ما يأتونك به واستعن بالله، وتوكل عليه وابعث إليه رجالاً من أهل النظر والرأي والجلد يدعونه إلى الله فإن الله جاعل دعاءهم توهينًا لهم وفلجًا عليهم وطلب الفاروق إلى سعد أن يكتب له كل يوم[٣]، وشرع في جمع رجال من أهل النظر والرأي والجلد، فكان الذين وقع عليهم الاختيار من أهل الاجتهاد والآراء والأحساب.

١- النعمان بن مقرن المزني.
٢- بسر بن أبي رهم الجهني.
٣- حملة بن جويه الكناني.
٤- حنظلة بن الربيع التميمي.
٥- فرات بن حيان العجلي.
٦- عدي بن سهيل.
٧- المغيرة بن زرارة بن النباش بن حبيب[٤].

واختار سعد نفرًا عليهم مهابة ولهم منظر لأجسامهم ولهم آراء نافذة.

---

(١) إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ص٧٣ .
(٢) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٣٨١).
(٣) انظر: البداية والنهاية (٧/ ٣٨).
(٤) انظر: الدعوة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب لحسني محمد إبراهيم.

١- عطارد بن حاجب التميمي.
٢- الأشعث بن قيس الكندي.
٣- الحارث بن حسان الذهلي.
٤- عاصم بن عمرو التميمي.
٥- عمرو بن معدي كرب الزبيدي.
٦- المغيرة بن شعبة الثقفي.
٧- المعنى بن حارثة الشيباني[١].

فهم أربعة عشر داعية بعثهم سعد دعاة إلى ملك الفرس بأمر عمر ﷺ وهم من سادات القوم كما أرادهم عمر ﷺ، كي يستطيعوا دعوة يزدجرد بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ولعل الله يهديه هو وجنده للإيمان وتحقن دماء الطرفين. لقد كان هذا الوفد المنتقى على درجة عالية من الكفاية والقدرة لما أوفد له، فبالإضافة إلى ما يتمتعون به من جسامة وقوة ومهابة وحسن رأي، فلهم أيضًا سبق معرفة بالفرس، فقد كان منهم من عاركهم وعركهم ومارس معهم الحروب في حملات سابقة، ومنهم من وفد في الجاهلية على ملوك الفرس، ومنهم من يعرف اللغة الفارسية، فكأن سعد اختارهم لهذه الوفادة بعد أن اجتاز كل منهم كشفًا فنيًّا من حيث كفاءته وحسن رأيه، وكشفًا طبيًّا من حيث قوته وضعفه وكشف هيئة من حيث لياقته وجسامته[٢]. لقد كان الوفد يتمتع بميزتي الرغبة والرهبة التي تتوفر في جسامتهم ومهابتهم وجلدهم وشدة ذكائهم[٣].

وتحرك هذا الوفد الميمون بقيادة النعمان بن مقرن، فوصلوا المدائن وأدخلوا على ملك الفرس يزدجرد، فسألهم بواسطة ترجمانه: ما جاء بكم ودعاكم إلى غزونا والولوغ ببلادنا؟ أمن أجل أنا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا؟

فتكلم عنهم النعمان بن مقرن، فقال: (إن الله رحمنا، فأرسل إلينا رسولاً يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر، ووعدنا على إجابته خيري الدنيا والآخرة، فلم يدع قبيلة قاربه منها فرقة، وتباعد عنه منها فرقة، ثم أمر أن نبتدئ بمن خالفه من العرب،

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ (٢/ ١٠١).
(٢) انظر: القادسية لأحمد عادل كمال بتصرف ص٧٠.
(٣) انظر: الدعوة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب ص (٢٤١).

فبدأنا بهم، فدخلوا معه على وجهين مكره عليه فاغتبط[١]، وطائع فازداد، فعرفنا جميعًا فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق ثم أمر أن نبتدئ بمن جاورنا من الأمم، فندعوهم إلى الإنصاف. فنحن ندعوكم إلى ديننا، وهو دين حسن الحسن، وقبح القبيح كله، فإن أبيتم فأمر من الشر أهون من آخر شر منه: الجزية، فإن أبيتم فالمناجزة، فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله، وأقمنا على أن تحكموا بأحكامه، ونرجع منكم وشأنكم وبلادكم، وإن بذلتم الجزاء قبلنا منكم ومنعناكم وإلا قاتلناكم).

فقال ملك الفرس يزدجرد: إني لا أعلم أمة في الأرض كانت أشقى ولا أقل عددًا ولا أسوأ ذات بين منكم، فقد كنا نوكل لكم قرى الضواحي فيكفونا أمركم، ولا تطمعون أن تقوموا لفارس، فإن كان غرور لحقكم فلا يغرنكم منا، وإن كان الجهد[٢]، فرضنا لكم قوتًا إلى خصبكم، وأكرمنا وجوهكم، وكسوناكم وملكنا عليكم ملكًا يرفق بكم.

فقام المغيرة بن زرارة، فقال: أما ما ذكرت من سوء الحال فكما وصفت وأشد وذكر من سوء عيش العرب ورحمة الله بهم بإرسال النبي ﷺ .. مثل مقالة النعمان .. ثم قال: «اختر إما الجزية عن يدٍ وأنت صاغر، أو السيف، وإلا فنج نفسك بالإسلام».

فقال يزدجرد: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم، لا شيء لكم عندي، ثم استدعى بوقر[٣]، من تراب، وقال لقومه: احملوه على أشرف هؤلاء، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن فقام عاصم بن عمرو وقال: أنا أشرفهم وأخذ التراب فحمله وخرج إلى راحلته فركبها، ولما وصل إلى سعد قال له (أبشر: فوالله لقد أعطانا الله مقاليد[٤]، ملكهم»[٥] .

ثم إن رستم خرج بجيشه الهائل، مائة ألف أو يزيدون، من ساباط، فلما مر

---

(١) اغتبط: فرح بالنعمة. (٢) الجهد: الضيق والشدة. (٣) الوقر: الحمل الثقيل.
(٤) مقاليد: جمع مقلاد: المفتاح. (٥) البداية والنهاية (٧/ ٤٣).

على كوش - قرية بين المدائن وبابل - لقيه رجل من العـرب فقال له رستم: ما جاء بكم، ومـاذا تطلبون منا؟ قـال: جئنا نطلـب موعـود الله بملك أرضكم وأبنائكم إن أبيتـم أن تسلموا. قـال رستم: قد وضـعنا إذًا في أيديكم: قـال العربي: أعمـالكم وضعـتكم، فأسلمكم الله بها، فـلا يغرنك ما ترى حولك، فـإنك لست تجادل[١]، الإنس وإنما تجادل القدر!

فغضب منه رستم وقتله: فلما مرّ بجـيشه على البرس - قرية بين الكوفة والحلة غصبوا أبناء أهله وأموالهم، وشربوا الخمور، ووقعوا على النساء! فشكى أهل البرس إلى رستم فقال لقومه: «والله لقـد صدق العربي! والله ما أسلمنا إلا أعمالنا، والله إن العرب مع هؤلاء وهم حرب أحسن سيرة منكم»[٢].

ولما علم سعـد أمير جـيش المسلمين خبر رسـتم، أرسل عمرو بن مـعد يكرب الزبيدي، وطليحة بن خـوليد الأسدي يستكشفان خبر الجـيش مع عشرة رجال، فلم يسيروا إلا قليلاً حتى رأوا سرح العدو منتشرًا على الطفوف[٣]، فرجعوا إلا طليحة، فإنه ظل سائرًا حتى دخل جـيش العدو وعلم ما فيه، فرجع إلى سعـد وأخبره خبره وكان طليحة هذا من زعماء الردة.

وقد سمح الفاروق لمن ارتد وتاب من العرب بالاشتراك في الجهاد وكان الصديق ﷺ يمنع ذلك، وكان الفـاروق يمنع من خرج من زعـماء أهل الردة بعـد توبته إلى الجهاد أن يتولى إمارة ولم يولِّ منهم أحـدًا وحرص على أن يتربوا على معاني الإيمان والتقوى وأتاح لهم فرصة ثمينة ليعبروا فيها عن صدق إيمانهم وتقواهم وكان لطليحة الأسدي وعمرو الزبيدي مواقف مشهودة في حروب العراق والفرس.

ثالثًا- سعد بن أبي وقاص يرسل وفودًا لدعوة رستم:

وسار رستم بجيشه من الحيرة حتى نزل القادسية على العتيق - جسر القادسية -

---

(١) تجادل: تخاصم.

(٢) إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ص٥٧.

(٣) الطفوف: جمع طف. والطف: الجانب أو ما أشرف من أرض العرب على الشاطئ.

أمام عسكر المسلمين، يحول بينهم النهر، ومع الفرس ثلاثة وثلاثون فيلاً، ولما نزل أرسل إلى سعد أن ابعث إلينا رجلاً نكلمه.

فأرسل إليه ربعيَّ بن عامر فجاءه وقد جلس على سرير من ذهب، وبُسُط النمارق والوسائد منسوجة بالذهب! فأقبل ربعيٌّ على فرسه، وسيفه في خِرْقة[1] ورمحه مشدود بعِصَب[2]، فلما انتهى إلى البساط وطأه بفرسه، ثم نزل وربطها بوسادتين شقهما: وجعل الحبل فيهما، ثم أخذ عباءة بعيره فاشتملها، فأشاروا عليه بوضع سلاحه؛ فقال: لو أتيتك فعلت ذلك بأمركم، وإنما دعوتموني، ثم أقبل يتوكأ على رمحه ويُقارب خطوه حتى أفسد ما مرّ عليه من البُسط، ثم دنا من رستم، وجلس على الأرض، وركز رمحه على البساط، وقال: إنّا لا نقعد على زينتكم. فقال له رستم: ما جاء بكم؟ قال: الله جاء بنا، وهو بَعَثنا لنُخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومنْ ضيق الدُّنيا إلى سعتها، ومن جور الأدْيَان إلى عدل الإسلام، فأرسل لنا رسوله بدينه إلى خَلْقه، فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه، ومن أبى قاتلناه حتى نُفضي إلى الجنة، أو الظَّفر[3].

فقال رستم قد سمعنا قولكم، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه؟ فقال: نعم، وإنَّ مما سَنَّ لنا رسول الله ﷺ ألاّ نمكن الأعداء أكثر من ثلاث، فنحن مترددون عنكم ثلاثًا، فانظر في أمرك واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل: الإسلام وندعك وأرضك، أو الجزاء فنقبل ونكف عنك، وإن احتجت إلينا نصرناك، أو المنابذة[4] في اليوم الرابع إلا أن تبدأ بنا، وأنا كفيل عن أصحابي.

فقال رستم أسيِّدهم أنت؟ قال: لا ولكنّ المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض، يُجِيزُ أدناهم أعلاهم.

ثم انصرف، فخلا رستم بأصحابه، وقال: رأيتم كلامًا قط مثل كلام هذا الرجل؟ فأروه الاستخفاف بشأنه:

---

(١) الخرقة: القطعة من الثوب الممزق.

(٢) العصاب: ما يُشَدُّ به خرقة أو منديل.

(٣) الكامل في التاريخ (٢/١٠٦).

(٤) المَنابذة: نابذ الحرب: جاهر بها.

فقـال رستم: ويلكم وإنما أنظر إلى الرأي والكلام والسـيرة، والعربُ تسـتخف اللباس وتصون الأحساب.

فلمـا كان اليـوم الثاني من نزوله، أرسـل إلى سعـد أن ابعث إلينا هذا الرجل. فأرسل إليه حذيفة بن مِحْصَن الغلفاني، فلم يختلف عن ربعي في العمل والإجابة، ولا غرابة، فهما مستقيان من إناء واحد، وهو دين الإسلام.

فقال له رستم: ما قَعَد بالأول عنا؟ قـال: (أميرُنا يَعْدل بيننا في الشدة والرّخاء، وهذه نوبتي). فقال رستم: والمواعدة إلى متى؟ قال: إلى ثلاث، من أمس.

وفي اليوم الثـالث أرسل إلى سعد أن ابعث إلينا رجـلاً. فأرسل إليه المغـيرة بن شعبة فـتوجه إليه، ولما كان بحـضرته جلس معه على سريره، فأقـبلت إليه الأعوان يجذبونه! فقال لهم: قد كانت تبلغـنا عنكم الأحلام، ولا أرى قومًا أسفه منكم، إنا معشر العرب لا يسـتعبد بعضنا بعضًا، إلا أن يكون محـاربًا لصاحبه، فظننت أنكم تواسـون قومكم كـما نتـواسى، وكان أحـسن من الذي صنعـتم أن تخبـروني: أن بعضكم أرباب بعض، وأن هذا الأمر لا يستـقيم فيكم، وأن مُلكًا لا يقوم على هذه السِّيرة ولا على هذه العقول.

فقالت السوقة: صدق والله العربي، وقالت الدَّهاقين -زعماء الفلاحين- لقد رمانا بكلام لا تزال عبيدنا تنزع إليه، قاتل الله سابقينا حيث كانوا يُصَغِّرون أمر هذه الأمة.

ثمّ تكلم رستم بكلام صَغَّر فيه شأن العرب، وضخَّم أمر الفرس، وذكر ما كانوا عليه من سوء الحال وضيق العيش[١].

فقال المغيرة: أما الذي وصفتنا به من سوء الحال والضيق والاختلاف، فنعرفه ولا ننكره، والدنيا دُول، والشدة بعـدها الرخاء، ولو شكرتم ما آتاكم الله لكان شُكركم قليلاً على مـا أوتيتم، وقد أسلمكم ضعف الشُّكر إلى تغـير الحال وإن الله بعث فينا رسولاً، ثم ذكر مثل ما تقدم، وختم كـلامه بالتخيير بين الإسلام أو الجزية أو المنابذة[٢].

---

(١) انظر الكامل في التاريخ (٢/ ١٠٨).

(٢) انظر الكامل في التاريخ (٢/ ١٠٨).

فخلا رستم بأهل فارس، وقال: أين هؤلاء منكم؟ ألم يأتكم الأوّلان فجسراكم[١] واستخرجاكم[٢]، ثم جاءكم هذا فلم يختلفوا، وسلكوا طريقًا واحدًا، ولزموا أمرًا واحدًا، هؤلاء والله الرجال صادقين كانوا أم كاذبين والله لئن بلغ من أدبهم وصونهم لسرّهم ألا يختلفوا فما قوم أبلغ فيما أرادوا منهم، لئن كانوا صادقين فما يقوم لهؤلاء شيء، فَلَجُّوا[٣].

رابعًا- الاستعداد للمعركة:

لم ينتفع الفرس بدعوة الوفود، وتمادوا في غيهم ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً، فأجمع الفرس على القتال واستعد المسلمون لذلك وعبر الفرس نهر العتيق وعيّن رستم جيشه العرمرم على الشكل التالي:

- في القلب: ذو الحاجب (ومعه ١٨ فيلاً) عليها الصناديق والرجال.
- في الميمنة: مما يلي القلب: الجالينوس.
- في الميمنة: الهرمزان (ومعه ٧ أو ٨ أفيال) عليها الصناديق والرجال.
- في الميسرة مما يلي القلب: البيرزان.
- في الميسرة: مهران (ومعه ٧ أو ٨ أفيال) عليها الصناديق والرجال، وأرسل رستم فرقة من خيالته إلى القنطرة لتمنع المسلمين من عبورها نحو جيشه، فأصبحت القنطرة بين خيلين من خيول المسلمين وخيول المشركين وكان ترتيب الصفوف على الشكل التالي:

- الخيالة في الصفوف الأولى، يليها الفيلة، ثم المشاة، ونصب لرستم مظلة كبيرة استظل بها على سريره وجلس يراقب سير المعركة[٤]، وكان المسلمون على أهبة الاستعداد وعلى أحسن تعبئة للقتال، فقد عبأ سعد بن أبي وقاص جيشه مبكرًا، وأمّر الأمراء، وعرّف على كل عشرة عريفًا، وجعل على الرايات رجالاً من أهل

(١) جسر: معنى ونفذ.
(٢) استخرجاكم: استنبط.
(٣) لجّوا: اختلطت أصواتهم.
(٤) الفن العسكري الإسلامي ص٢٥٥ .

السابقة أيضًا ورتّب المقدمة والساقة والمُجنِّبات والطلائع، وقد وصل القادسية على تعبئة، وقد عبأ جيشه على الشكل التالي:

١- على المقدمة: زُهرة بن الحَويَّة.

٢- وعلى الميمنة: عبد الله بن المُعْتمِّ.

٣- وعلى الميسرة: شرحبيل بن السمط الكندي، وخليفته خالد بن عُرْفُطة.

٤- وعلى الساقة: عاصم بن عمرو.

٥- وعلى الطلائع: سواد بن مالك.

٦- وعلى المجرّدة: سلمان بن ربيعة الباهلي.

٧- وعلى الرَّجَّالة: حَمَّال بن مالك الأسدي.

٨- وعلى الركبان: عبد الله بن ذي السهمين الحنفي.

٩- وعلى القضاء بينهم: عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي.

١٠- وكاتب الجيش: زياد بن أبي سفيان.

١١- ورائده وداعيه: سلمان الفارسي وكل ذلك بأمر من عمر[١] هذا وقد خطب سعد بن أبي وقاص في الناس وتلا قول الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾ (الأنبياء،آية:١٠٥). وأمر القرّاء أن يشرعوا في سورة الأنفال، فقرئت ولما أتموا قراءتها هشت[٢] قلوب الناس وعيونهم، ونزلت السكينة وصلى الناس الظهر وأمر سعد جيشه أن يزحفوا بعد التكبيرة الرابعة وأن يقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله واستمرت المعركة أربعة أيام.

وقد كان سعد ﷺ مريضًا بعرق النَّسَا، وبه دمامل لا يستطيع الركوب ولا الجلوس فكان مكبًّا على صدره وتحته وسادة ويشرف على الميدان من قصر قُدَيْس الذي كان في القادسية وقد أناب عنه في تبليغ أوامره خالد بن عرفطة، وقد أمر بأن

---

(١) الفن العسكري الإسلامي ص٢٥٥ .

(٢) هشت: انشرحت صدورهم.

ينادي في الجيش: ألا إن الحسد لا يحل إلا على الجهاد في أمر الله، أيها الناس فتحاسدوا وتغايروا على الجهاد[١]، وقبل بدء القتال حصل اختلاف على خالد بن عرفطة نائب سعد فقال سعد: احملوني وأشرفوا بي على الناس، فارتقوا به، فأكبّ مطّلعًا عليهم والصف في أسفل حائط قصر قُدَيْس يأمر خالدًا فيأمر خالد الناس، وكان ممن شغب عليه بعض وجوه الناس فهمَّ بهم سعد وشتمهم، وقال: أما والله لولا أن عدوكم بحضرتكم لجعلتكم نكالاً لغيركم، فحبسهم، ومنهم أبو محجن الثقفي وقيدهم في القصر، وقال جرير بن عبد الله رضي الله عنه مؤيدًا طاعة الأمير رضي الله عنه أما إني بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن أسمع وأطيع لمن ولاه الله الأمر وإن كان عبدًا حبشيًّا. وقال سعد: والله لا يعود أحد بعدها يحبس المسلمين عن عدوهم ويشاغلهم وهم بإزائهم إلا سننتُ فيه سنة يؤخذ بها من بعدي[٢]، وقد قام فيهم سعد بن أبي وقاص بعد هذه الحادثة خطيبًا، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: إن الله هو الحق لا شريك له في الملك، وليس لقوله خُلف، قال الله جل ثناؤه: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ**﴾ (الأنبياء، آية: ١٠٥) إن هذا ميراثكم وموعود ربكم، وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج فأنتم تطعمون منها وتأكلون، وتقتلون أهلها وتجبونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب الأيام منكم وقد جاءكم منهم هذا الجمع، وأنتم وجوه العرب وأعيانهم وخيار كل قبيلة، عِزٌّ من وراءكم، فإن تزهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة، ولا يقرِّب ذلك أحدًا إلى أجله، وإن تفشلوا وتهنوا وتضعفوا تذهب ريحكم تُوبقوا آخرتكم[٣].

وكتب سعد إلى الرايات: إني قد استخلفت فيكم خالد بن عرفطة، وليس يمنعني أن أكون مكانه إلا وجعي الذي يعودني وما بي من الحبوب[٤]، فإني مُكبٌّ على وجهي وشخصي لكم باد فاسمعوا له وأطيعوا فإنه إنما يأمركم بأمري ويعمل برأيي، فقُرئ على الناس فزادهم خيرًا، وانتهوا إلى رأيه وقبلوا منه وتحاثُّوا على

(١، ٢) تاريخ الطبري (٤/ ٣٥٦).

(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٣٥٧).

(٤) الحبوب: الدمامل.

السمع والطاعة، وأجمعوا على عذر سعد والرِّضى بما صنع[١]، وقد بقي سعد بن أبي وقاص فوق القصر وأصبح مشرفًا على ساحة المعركة ولم يكن القصر محصنًا وهذا يدل على شجاعة سعد رضي الله عنه، فعن عثمان بن رجاء السعدي قال: كان سعد بن مالك أجرأ الناس وأشجعهم، إنه نزل قصرًا غير حصين بين الصفين، فأشرف منه على الناس ولو أعراه الصف فواق ناقة أخذ برُمَّته[٢]، فوالله ما أكرثه هول تلك الأيام ولا أقلقه[٣].

- فزع رستم من الأذان:

لما نزل رستم النجف بعث منها عينًا إلى عسكر المسلمين، فانغمس فيهم بالقادسية كبعض من ندَّ منهم، فرآهم يستاكون عند كل صلاة ثم يصلون، فيفترقون إلى موقفهم، فرجع إليه فأخبره بخبرهم وسيرتهم، حتى سأله: ما طعامهم؟ فقال: مكثت فيهم ليلة، لا والله ما رأيت أحدًا منهم يأكل شيئًا إلا أن يمصوا عيدانًا لهم حين يُمسون وحين ينامون وقبيل أن يصبحوا، فلما سار فنزل بين الحصن والعتيق[٤]، وافقهم وقد أذن مؤذن سعد الغداة فرآهم يتهيأون للنهوض، فنادى في أهل فارس أن يركبوا، فقيل له: ولم؟ قال: أما ترون إلى عدوكم قد نودي فيهم فتحشحشوا[٥] لكم، قال عينه ذلك: إنما تحشحشهم هذا للصلاة، فقال بالفارسية- وهذا تفسيره بالعربية: أتاني صوت عند الغداة، وإنما هو عمر الذي يكلم الكلاب فيعلمهم العقل[٦]، فلما عبروا تواقفوا وأذن مؤذن سعد للصلاة يعني صلاة الظهر فصلى سعد، وقال رستم: أكل عمر كبدي[٧].

- رفع الروح المعنوية بين أفراد الجيش الإسلامي:

جمع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وجهاء المسلمين وقادته في بداية اليوم الأول من

---

(١) تاريخ الطبري (٤/٣٥٨).
(٢) يعني لو انحسر عنه صف المسلمين وانكشف للعدو مقدار حلب ناقة لأخذه الأعداء.
(٣) التاريخ الإسلامي (١٠/٣٤٧).
(٤) تاريخ الطبري (٤/٣٥٨).
(٥) التحشحش: التحرك للنهوض.
(٦) تاريخ الطبري (٤/٣٥٨).
(٧) تاريخ الطبري (٤/٣٥٨).

المعركة وقال لهم: انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليكم ويحق لهم عند مواطن البأس، فإنكم من العرب بالمكان الذي أنتم به، وأنتم شعراء العرب وخطباؤهم، وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتُهم، فسيروا في الناس فذكروهم وحرضوهم على القتال، فساروا فيهم[1].

- فقال قيس بن هبيرة الأسدي: أيها الناس احمدوا الله على ما هداكم له وأبلاكم له يزدكم، واذكروا آلاء الله، وارغبوا إليه في عاداته، فإن الجنة أو الغنيمة أمامكم، وإنه ليس وراء هذا القصر إلا العراء، والأرض القفر، والظِّراب الخُشْن والفلوات التي لا تقطعها الأدلة.

- وقال غالب بن عبد الله الليثي: أيها الناس احمدوا الله على ما أبلاكم وسلوه يزدكم، وادعوه يحيكم، يا معشر معدّ، ما علّتكم اليوم وأنتم في حصونكم يعني الخيل ومعكم من لا يعصيكم يعني السيوف؟ اذكروا حديث الناس في غد، فإنه بكم غدًا يبدأ عنده، وبمن بعدكم يُثنَّى.

- وقال ابن الهذيل الأسدي: يا معشر معدّ، اجعلوا حصونكم السيوف، وكونوا عليهم كالأسود الأجم، وتربَّدوا لهم تربُّد النمور وادرعوا العجاج، وثقوا بالله، وغضوا الأبصار، فإذا كلَّت السيوف فإنها مأمورة فأرسلوا عليهم الجنادل فإنها يؤذن لها فيما لا يؤذن للحديد فيه.

- وقال بسر بن أبي رهم الجهني: احمدوا الله وصدقوا قولكم بفعل، فقد حمدتم الله على ما هداكم له، ووحدتموه ولا إله غيره، وكبرتموه، وآمنتم بنبيه ورسله، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون، ولا يكوننَّ شيء بأهون عليكم من الدنيا، فإنها تأتي من تهاون بها، ولا تميلوا إليها فتهرب منكم لتميل بكم انصروا الله ينصركم.

- وقال عاصم بن عمرو: يا معشر العرب إنكم أعيان العرب وقد صمدتم لأعيان من العجم، وإنما تخاطرون بالجنة، ويخاطرون بالدنيا، فلا يكونُنّ على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم، لا تحدثوا اليوم أمرًا تكونون شيئًا على العرب غدًا.

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٣٥٩).

- وقال ربيع بن البلاد السعدي:

يا معشر العرب قاتلوا للدين والدنيا ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران، آية: ١٣٣).

وإن عظم الشيطان عليكم الأمر فاذكروا الأخبار عنكم بالمواسم ما دام للأخبار أهل[١].

- وقال ربعي بن عامر: إن الله قد هداكم للإسلام، وجمعكم به، وأراكم الزيادة، وفي الصبر راحة، فعوِّدوا أنفسكم الصبر تعتادوه، ولا تعوّدوها الجزع فتعتادوه، وقد قال كلهم بنحو هذا الكلام، وتواثق الناس وتعاهدوا، واهتاجوا لكل ما كان ينبغي لهم[٢].

١- يوم أرماث:

يطلق يوم أرماث على اليوم الأول من أيام القادسية وقد وجه سعد ﷺ بيانه إلى الجيش قائلاً: الزموا مواقفكم لا تحركوا شيئًا حتى تصلُّوا الظهر، فإذا صليتم الظهر فإني مكبِّر تكبيرة فكبروا واستعدوا، واعلموا أن التكبير لم يُعْطه أحد قبلكم، واعلموا أنّما أُعطيتموه تأييدًا لكم، ثم إذا سمعتم الثانية فكبروا، ولتستتم عِدَّتكم، ثم إذا كبرت الثالثة فكبروا، ولينشط فرسانكم الناس ليبرزوا وليطاردوا، فإذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعًا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله[٣].

ولما صلى سعد الظهر أمر الغلام الذي كان ألزمه إياه عمر وكان من القراء أن يقرأ سورة الجهاد (يعني الأنفال) فقرأ على الكتيبة الذي يلونه سورة الجهاد، فقرئت في كل كتيبة، فهشت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها[٤]، ولما فرغ القراء كبّر سعد، فكبَّر الذين يلونه بتكبيره، وكبر بعض الناس بتكبير بعض، فتحشحش الناس (يعني تحركوا) ثم ثَنَّى فاستتمَّ الناس، ثم ثلث فبرز أهل النجدات فأنشبوا القتال، وخرج من أهل فارس أمثالهم فاعتوروا الطعن والضرب[٥]، وكان

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٣٥٩).
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٣٦٠).
(٣) المصدر نفسه (٤/ ٣٦١)
(٤) المصدر نفسه (٤/ ٣٦٢).
(٥) المصدر نفسه (٤/ ٣٦٢).

لأبطال المسلمين من أمثال غـالب بن عبد الله الأسدي، وعاصم بن عمـرو التميمي وعمـرو بن معـديكرب الزبيـدي وطليحـة بن خويلد الأسـدي أثر ظاهر في النكاية بالعدو حـيث قتلوا وأسروا عددًا من أبطالهم ولم يقـتل من المسلمين أحد فيـما ذُكر أثناء المبارزة، والمبـارزة فن عسيـر من فنون الحرب لا يتقـنه إلا الأبطال من الرجال، وهي ترفع من شأن المنتصرين وتزيد من حماسهم، وتخفض من شأن المنهزمين وتحط من معنوياتهم، والمسلمون الأوائل متفـوقون في هذا الفن على غيرهم دائمًا، ولذلك هم المستفـيدون من المبارزة[1]، وبينما الناس ينتظرون التكبيـرة الرابعة إذ قام صاحب رجالة بني نهد قيس بن حذيم بن جرثومة، فقال: يا بني نهد انهدوا فإنما سميتم نهدًا لتفعلوا، فبعث خالد بن عرفطة، والله لتكفنّ أو لأولّين عملك غيرك، فكفّ[2].

- **رستم يأمر جانبًا من قواته بالهجوم:**

ولما رأى رسـتم تفوق المـسلمين في مجـالي المبـارزة والمطاردة لم يمهلهم حـتى يكملوا خطة قائدهم في المزيد من حرب المطاردة والمبارزة بـل أمر جانبًا من قواته بأن تهجم هجومًا عامًّا على جانب جيش المسلمين الذي فيه قبيلة بجيلة ومن لفَّ معهم، وكان الهجوم لافتًا للنظر لأن الفـرس وجهوا ما يقرب من نصف الجيش إلى قطاع لا يمثل إلا نسبة قليلة من الجـيش الإسلامي، وهذا يدل على محاولتهم المستـميتة لقطع حرب المبـارزة والمطاردة التي فشلـوا فيهـا، وهكذا هجم الفرس على أحـد جناحي جيش المسلمين بثلاثة عشـر فيلاً وكل فيل يصحبه حسب تنظيم جـيشهم أربعة آلاف مقاتل من المشـاة والفرسان، ففرقت الفـيلة بين كتائب المسلمين وكان الهجـوم مركزًا على بجيلة ومن حولهم وثبت المشاة من أهل المواقف لهجوم الفرس.

أ- سعد يأمر أسد بالذّب عن بجيلة:

أبصر سعد ﷺ الموقف الذي وقعت فيه بجيلة فأرسل إلى بني أسد يقول لهم: ذبّوا عن بجيلة ومن لافَّـها من الناس، فخرج طليحة بن خويـلد وحَمَّال بن مالك، وغالب بن عبد الله والرّبيّل بن عمرو في كتـائبهم، يقول المعرور بن سويد وشقيق:

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٠ / ٤٤٥).

(٢) تاريخ الطبري (٤/٣٦٣).

فشدُّوا والله عليهم فما زالوا يطعنونهم ويضربونهم حتى حبسنا الفيلة عنهم، فأخِّرت وخرج إلى طليحة عظيم منهم فبارزه، فـما لبَّث طليحة أن قتله، ولما رأت فارس ما تلقى الفيلة من كـتيبة أسـد رموهم بحدِّهم وبدر المسلمين الشَّدَّة عليـهم ذو الحاجب والجاليـنوس وهما قـائدان من قادة الفـرس والمسلمون ينتظرون التكبـيرة الرابعـة من سعد، فاجتمعت حلبة فارس على أسد ومعهم تلك الفيلة، وقد ثبتوا لهم، وقد كبَّر سعد الرابعة، فزحف إليهم المسلمـون ورحى الحرب تدور على أسد، وحملت الفيلة من الميمنة والميـسرة على خيول المسلمين، فكانت الخـيول تحجم عنها وتحـيد، وتلح فرسانهم على المشاة ليدفعوا بالخيل لتُقدم على الفيلة.

ب- سعد يطلب من بني تميم حيلة للفيلة:

أرسل سعد إلى عاصم بن عمرو التميمي فقال: يا معشر تميم ألستم أصحاب الإبل والخيل؟ أمـا عندكم لهـذه الفيلة من حـيلة؟ قالوا: بلى والله، ثم نادى فـي رجال من قومه رماة، وآخرين لهم ثقافة يعني حذق وحركة فقال لهم: يا معشر الرماة ذُبُّوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل وقـال: يا معشر أهـل الثقافة اسـتدبروا الفيلة فقطِّعـوا وُضُنَها يعني أحزمتها لتـسقط توابيتها التي تحمل المقاتلين وخرج يحـميهم والرحى تدور على أسد، وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد، وأقبل أصحاب عاصم على الفيلة فأخذوا بأذنابها وذباذب توابيتها يعني ما يعلق بها فقطعوا وُضُنَها وارتفع عواء الفيلة فما بقي لهم يومئذ فيل إلا أُعْرِيَ، وقتل أصحابها، وتقابل الناس ونُفِّس عن أسد، ورَدُّوا فارس عنهم إلى مواقفهم فاقتـتلوا حتى غربت الشمس، ثم حتى ذهبت هدأة من الليل، ثم رجع هؤلاء وهؤلاء، وأُصيب من أسد تلك العـشية خمسمائة، وكـانوا ردءًا للناس، وكان عاصم يعني وبني تميم عادية الناس وحاميتهم وهذا يومها الأول وهو يوم أرماث[1].

ج- موقف بطولي لطليحة بن خويلد:

كان لأمر سـعد بن أبي وقاص ﷺ تأثير علـى بني أسد، فقد قال طلـيحة بن

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٣٦٥).

خويلد يومئذ: يا عشيرتاه إن المنوّه باسمه الموثوق به، وإن هذا لو علم أن أحدًا أحق بإغاثة هؤلاء منكم استغاثهم، ابتدؤوهم الشـدة، وأقدموا عليهم إقدام الليوث الحربة فإنما سُمِّيتم أسدًا لتفعلوا فـعله شدُّوا ولا تصدوا، وكُرُّوا ولا تفروا، لله در ربيعة أيُّ فري يفرون، وأيُّ قِـرنٍ يغنون، هل يوصل إلى موقفهم فأغنـوا عن مواقفكم أغناكم الله، شدوا عليهم باسم الله[١]، وقد كان لهذا الكلام مفعول عجيب في نفوس قومه حيث تحولوا إلى طاقـات فعالة، وتحملوا وحدهم رحى المعـركة إلى أن ساندهم بنو تميم، وقدموا في هذا اليـوم خمسمائة شـهيد[٢]، وقد تأثرت القبائل من بطولة بني أسد فقال الأشعث بن قيس الكندي: يا مـعشر كندة لله در بني أسد أي فري يفرون وأي هذٍّ يهذّون عن موقفـهم فتحول موقف كنده من الدفاع إلـى الهجوم فأزالوا من أمامهم من المجوس وردُّوهم إلى الوراء[٣].

د- ما قيل من الشعر في ذلك اليوم:

قال عمرو بن شأس الأسدي:

لقـــد عَلِمَتْ بنو أســـد بأنـا ... أولوا الأحلام إذ ذكروا الحُلوما[٤]

وأنـــا النازلون بكـــل ثغـــر ... ولـــو لم نُلْفِـــه[٥] إلا هشيمًا

ترى فينا الجيـــاد مســـوّمات ... مع الأبطـــال يَعْلُكْنَ الشَّكيما

ترى فينا الجيـــاد مُجلِّجـــات ... تُنَهْنِه عن فوارسهـــا الخُصوما[٦]

بجمـــع مثل سلـــم مُكْفَهِـــر ... تُشَبِّهُـهُم إذا اجتمعـــوا قرومًا[٧]

بمثلهـــمُ تلاقي يـــوم هيـــج ... إذا لاقيت بأســـًا أو خصومـــًا

نفيـــنا فارســـًا عمـــا أرادت ... وكانت لا تُحـــاول أن تَرِيمـــا

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٣٦٤).
(٢) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٤٤٩).
(٣) القادسية، أحمد عادل كمال ص١٣٩ تاريخ الطبري (٤/ ٣٦٤).
(٤) الحلوم: العقول.
(٥) نلفه: نجده أو نتركه، فهي من الأضداد.
(٦) مجلجات: هاجمات.
(٧) سلم مكفهر: سلم ساخن، كناية عن الاستعداد للمعركة، القروم اللحم المكوم.

هـ- مستشفى الحرب:

كان موقع مستشفى الحرب في العُذيب حيث تقيم نساء المجاهدين الصابرات المحتسبات، فيتلقين الجرحى ويتولين علاجهم وتمريضهم إلى أن يتم قضاء الله فيهم ومع ذلك فإن لهن مهمة أعجب من ذلك يشترك معهن فيها الصبيان ألا وهي حفر قبور الشهداء، ولئن كان تطبيب الجرحى وتمريضهم من المهمات القريبة المنال للنساء فإن حفر الأرض من المهمات الخشنة، ولكن الرجال كانوا مشغولين بالجهاد، فلتقُم النساء بمهمتهم عند الضرورة، وهنّ أهل لذلك لما يتصفن به من الإيمان والصبر[١]، وقد تم نقل الشهداء إلى وادي مشرِّف بين العذيب وعين الشمس في جانبيه جميعًا[٢]، وكان التحاجز بين المسلمين وأعدائهم تلك الليلة فرصة لزيارة بعض المجاهدين لأهلهم في العذيب[٣].

و- الخنساء بنت عمرو تحرض بنيها على القتال ليلة الهدأة:

في مضارب نساء المسلمين بالعذيب جلست الخنساء بنت عمرو شاعرة بني سليم المخضرمة ومعها بنوها أربعة رجال تعظهم وتحرضهم على القتال قالت: إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين وقد تعلمون ما أعدّ الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية يقول الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (آل عمران،آية: ٢٠٠). فإن أصبحتم غدًا إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطرمت لظى على سياقها وحللت (تفجرت) نار على أرواقها (جوانبها) فتيمموا وطيسها وسطها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها (جيشها) تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة، فخرج بنوها قابلين لنصحها عازمين على قولها فلما أضاء الصبح باكروا مراكزهم[٤].

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٤٥١).
(٢،٣) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٤٥٢).
(٤) الاستيعاب رقم ٢٨٧ نساء، القادسية ص١٤٦، ١٤٧ .

ز- امرأة من النخع تشجع بنيها على القتال:

كانت امرأة من النخع لها بنون أربعة شهدوا القتال ذلك اليوم، فلما بدأ الصباح ينبلج قالت لهم: إنكم أسلمتم فلم تبدلوا، وهاجرتم فلم تشربوا[1]، ولم تَنْبُ[2] بكم البلاد تقحمكم السنة[3]، ثم جئتم بأمكم عجوز كبيرة فوضعتموها بين يدي أهل فارس، والله إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم، انطلقوا فاشهدوا أول القتال وآخره، فانصرفوا عنها مسرعين يشتدون، فلما غابوا عنها رفعت يديها إلى السماء وهي تقول: اللهم ادفع عن بنيّ، فرجعوا إليها بعد ذلك وقد أحسنوا القتال ما جرح منهم رجل جرحًا[4].

فهذا حال بعض النساء العجائز في اليوم الأول من القادسية.

٢- يوم أغواث:

كان يوم أغواث هو اليوم الثاني من أيام القادسية، وفي ليلة هذا اليوم قدمت طليعة جيش الشام يقودهم القعقاع بن عمرو التميمي وقد كان أمير المؤمنين عمر ﷺ قد أمر أمير الشام، أبا عبيدة بإعادة جيش خالد بن الوليد إلى العراق مددًا للمسلمين في القادسية، فأعادهم وأبقى خالدًا عنده لحاجته إليه، وولَّى على هذا الجيش هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ابن أخي سعد وكان هذا الجيش تسعة آلاف حين قدم من العراق إلى الشام بقيادة خالد بن الوليد، وعاد منهم إلى العراق ستة آلاف، وقد ولَّى هاشم بن عتبة القعقاع بن عمرو على المقدمة وعددهم ألف مجاهد[5].

أ- مواقف بطولية للقعقاع بن عمرو:

أسرع القعقاع بمقدمته حتى قدم بهم على جيش القادسية صبيحة يوم أغواث، وكان أثناء قدومه قد فكر بعمل يرفع به من معنويات المسلمين فقسم جيشه إلى مائة قسم كل قسم مكوَّن من عشرة، وأمرهم بأن يقدموا تباعًا كلما غاب منهم عشرة عن

---

(١) يعني لم تكن هجرتكم إلى يثرب.
(٢) لم تَنْبُ بكم البلاد: لم تلفظكم.
(٣) السنة: القحط والجوع.
(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٣٦٦).
(٥) تاريخ الطبري (٤/ ٣٦٧)، التاريخ الإسلامي (١٠/ ٣٦٧).

مدى إدراك البصر سرّحوا خلفهم عشرة، فقدم هو في العشرة الأوائل وصاروا يقدمون تباعًا كلما سرّح القعقاع بصره في الأفق فأبصر طائفة منهم كبَّر فكبر المسلمون، ونشطوا في قتال أعدائهم، وهذه خطة حربية ناجحة لرفع معنوية المقاتلين، فإن وصول ألف لا يعني مددًا كبيرًا لجيش يبلغ ثلاثين ألفًا، ولكن هذا الابتكار الذي هدى الله القعقاع إليه قد عوض نقص هذا المدد بما قوّى به عزيمة المسلمين، وقد بشرهم بقدوم الجنود بقوله: يا أيها الناس إني قد جئتكم في قوم والله إن لو كانوا بمكانكم ثم أحسوكم حسدوكم حَظْوتها وحاولوا أن يطيروا بها دونكم، فاصنعوا كما أصنع، فتقدم ثم نادى: من يبارز؟ فقالوا فيه بقول أبي بكر: لا يهزم جيش فيهم مثل هذا، وسكنوا إليه، فخرج إليه ذو الحاجب[1]، فقال له القعقاع: من أنت[2]؟ فقال: أنا بهمن جاذويه. وهنا تذكّر القعقاع مصيبة المسلمين الكبرى يوم الجسر على يد هذا القائد فأخذته حميته الإسلامية فنادى وقال: يا لثارات أبي عبيد وسُليط وأصحاب الجسر، ولابد أن هذا القائد الفارسي بالرغم مما اشتهر به من الشجاعة قد انخلع قلبه من هذا النداء، فلقد قال أبو بكر ﷺ عن القعقاع: لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل[3]، فكيف سيثبت له رجل واحد مهما كان في الشجاعة وثبات القلب؟ ولذلك لم يمهله القعقاع أن أوقعه أمام جنده قتيلاً فكان لقتله بهذه الصورة أثر كبير في زعزعة الفرس ورفع معنويات المسلمين لأنه كان قائدًا لعشرين ألف مقاتل من الفرس. ثم نادى القعقاع مرة أخرى من يبارز؟ فخرج إليه رجلان أحدهما البيرزان والآخر البندوان، فانضم إلى القعقاع الحارث بن ظبيان بن الحارث أخو بني تميم اللات، فبارز القعقاع بيرزان[4]، فقتله القعقاع وبارز ابن ظبيان بندوان وهو من أبطال الفرس فقتله ابن ظبيان وهكذا قضى القعقاع في أول النهار على قائدين من قادة الفرس الخمسة ولاشك أن ذلك أوقع الفرس في الحيرة والاضطراب وساهم ذلك في تدمير معنويات أفراد الجيش الفارسي، والتحم الفرسان

(١) قائد كبير من قادة الفرس وأبطالهم وهو الذي أصاب المسلمين يوم الجسر.

(٢) سأل القعقاع جاذويه: لأنه كان لا يعرفه لأن القعقاع يوم الجسر كان في الشام.

(٣) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٤٥٥).

(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٣٦٨).

من الفريقين، وجعل القعقاع يقول: يا معشر المسلمين باشروهم بالسيوف فإنه يُحصد بها، فتواصى الناس بها، وأسرعوا إليهم بذلك فاجتلدوا بها حتى المساء، وذكر الرواة أن القعقاع حمل يومئذ ثلاثين حملة، كلما طلعت قطعة حمل حملة، وأصاب فيها وجعل يقول:

أُزعجهم عمدًا بها إزعاجًا ... أطعن طعنًا صائبًا ثجّاجًا

وكان آخر من قتل بُزرُ جَمهَرْ الهمذاني وقال في ذلك القعقاع:

حبوته جيَّاشةً بالنفس ... هدّارة مثل شعاع الشمس

في يوم أغواث فَلَيْلُ الفرس ... أنخس في القوم أشد النخس

ب- علباء بن جحش العجلي: انتثرت أمعاؤه في المعركة:

وبرز رجل من المجوس أمام صفوف بكر بن وائل فنادى من يبارز؟ فخرج له علباء بن جحش العجلي فنفحه[1]، علباء في صدره وشقَّ رئته ونفحه الآخر فأصابه في بطنه وانتثرت أمعاؤه وسقطا معًا إلى الأرض، أما المجوسي فمات من ساعته، وأما علباء فلم يستطع القيام وحاول أن يعيد أمعاءه إلى مكانها فلم يتأت له ومرّ به رجل من المسلمين فقال له علباء: يا هذا أعني على بطني، فأدخل له أمعاءه فأخذ بصفاقيه ثم زحف نحو صف العجم دون أن يلتفت إلى المسلمين وراءه فأدركه الموت على ثلاثين ذراعًا من مصرعه وهو يقول:

أرجوا بها من ربنا ثوابًا ... قد كنت ممن أحسن الضرابا

ج- الأعرف بن الأعلم العُقَيلي:

خرج رجل من أهل فارس ينادي من يبارز؟ فبرز له الأعرف بن الأعلم العُقَيلي فقتله، ثم برز له آخر فقتله، وأحاطت به فوارس منهم فصرعوه، ونَدَّ سلاحه عنه فأخذوه، فغبَّر في وجوههم بالتراب حتى رجع إلى أصحابه[2].

---

(١) النفح: الضرب إلى خارج اليمين.

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٣٧٠).

د- مواقف فدائية لأبناء الخنساء الأربعة:

كان لأبناء الخنساء الأربعة مواقف فدائية في ذلك اليوم، فقد اندفعوا إلى القتال بحماس وقال كل واحد منهم شعرًا حماسيًّا يقوِّي به نفسه وإخوانه فقال أولهم:

يا إخوتي إن العجوز الناصحة قد نصحتْنا إذ دعتنا البارحة

مقالةً ذات بيان واضحة فباكروا الحرب الضَّروس الكالحة

وإنما تلقون عند الصائحة من آل ساسان الكلاب النابحة

قد أيقنوا منكم بوقع الجائحة وأنتم بين حياة وحياة صالحة

وتقدم فقاتل حتى قتل، فحمل الثاني وهو يقول:

إن العجوز ذات حزم وجلد والنظر الأوفق والرأي السَّدد

قد أمرتنا بالسداد والرّشد نصيحة منها وبرًّا بالولد

فباكروا الحرب حماة في العدد إما لفوز بارد على الكبد

أو ميتة تورثكم عز الأبد في جنة الفردوس والعيش الرغد

وقاتل حتى استشهد. وحمل الثالث وهو يقول:

والله لا نعصي العجوز حرفًا قد أمرتنا حدبًا وعطفًا

نصحًا وبرًا صادقًا ولطفًا فبادروا الحرب الضروس زحفًا

حتى تلفوا آل كسرى لفا أو يكشفوكم عن حماكم كشفًا

إنا نرى التقصير عنكم ضعفًا والقتل فيكم نجدة وزُلفى

وقاتل حتى استشهد، وحمل الرابع وهو يقول:

لست لخنساء ولا للأخْرَمِ ولا لعمرو ذي السناء الأقدم

إن لم أرِدْ في الجيش جيش الأعجم ماض على الهول خضمٌّ خضرم

إما لفوز عاجل ومغنم أو لوفاة في السبيل الأكرم

فقاتل حتى استشهد[١] وبلغ الخنساء خبر بنيها الأربعة فقالت: الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته[٢].

س- مكيدة قعقاعية بالغة التأثير على الفرس:

في هذا اليوم يوم أغواث قام القعقاع بن عمرو وبنو عمه من تميم بمكيدة قعقاعية بالغة التأثير على الفرس، وذلك أنه لما علم بما فعلته الفيلة في اليوم الأول بخيول المسلمين قام هو وقومه -بتوفيق من الله تعالى- بتهيئة الإبل لتظهر في مظهر مخيف يُنَفِّرُ الخيول فألبسوها وجلَّلوها ووضعوا لها البراقع في وجوهها، وحملوا عليها المشاة وأحاطوها بالخيول لحمايتها، وهجموا بها على خيول الفرس، ففعلوا بهم يوم أغواث كما فعلوا بالمسلمين يوم أرماث، فجعلت تلك الإبل لا تصمد لقليل ولا لكثير إلا نفرت بهم خيلهم وركبتهم خيول المسلمين، فلما رأى ذلك الناس استنُّوا بهم، فلقي الفرس من الإبل يوم أغواث أعظم مما لقي المسلمون من الفيلة يوم أرماث[٣]، وهكذا نجد أن المسلمين الأوائل يتفوقون على أعدائهم في الابتكار الحربي، فالفرس أنهكوا المسلمين في اليوم الأول بسبب استخدام الفيلة، وما دام المسلمون لا يملكون الفيلة فليخترعوا مما يملكون من الإبل ما يكيدون به الأعداء فكانت هذه الحيلة الحربية الممتازة التي أخافت خيول الأعداء فنفرت بمن عليها من الفرسان، وهكذا يجب أن يكون المسلمون متفوقين في مجال الإعداد المادي بعد تفوقهم في الإعداد الروحي.

ش- أبو محجن الثقفي في قلب المعركة:

استمر القتال يوم أغواث إلى منتصف الليل، وسميت تلك الليلة ليلة السواد، ثم وقف القتال بعد أن تحاجز الفريقان وكان لوقف القتال منفعة كبيرة للمسلمين، حيث كانوا ينقلون شهداءهم إلى مقر دفنهم في وادي مُشرِّق، وينقلون الجرحى إلى

---

(١) القادسية، أحمد عادل كمال، ص١٥٤.

(٢) الخنساء أم الشهداء، عبد المنعم الهاشمي ص٩٨ .

(٣) التاريخ الإسلامي (١٠/٤٦).

العُذَيب حيث تقوم النساء بتمريضهم، ولقد شارك في القتال في هذه الليلة لأول مرة أبو محجن الثقفي(١)، وكان أبو محجن قد حُبس وقُيِّد، فهو في القصر، فصعد حين أمسى إلى سعد يستعفيه ويستقيله، فزبره وردّه فنزل فأتى سلْمى بنت خَصَفة، فقال: يا سلمى يا بنت آل خَصفة، هل لك إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: تخلِّين عنِّي وتُعيرينني البلقاء، فلله علي إن سلمني الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلي في قَيْدي، فقالت، وما أنا وذاك! فرجع يرسف في قيوده ويقول:

كفى حزنًا أن تلتقي الخيلُ بالقنا(٢) ... وأترك مشدودًا عليَّ وثاقيا

إذا قُمتُ عنَّاني الحديدُ وأُغلقت ... مصارع دوني قد تصمُّ المُناديا

وقد كنت ذا مال كثير وإخوة ... فقد تركوني واحدًا لا أخاليا

ولله عهدٌ لا أخيسُ بعهده ... لئن فُرِجَتْ ألاَّ أزور الحوانيا

فقالت سَلْمى: إني استخرت الله ورضيت بعهدك، فأطلقته وقالت: أمّا الفَرَس فلا أعيره، ورجعت إلى بيتها، فاقتادها، فأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق فركبها، ثم دبّ عليها، حتى إذا كان بحيال الميمنة كبَّر، ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصّفَّين، فقالوا: بسرجها، وقال سعيد والقاسم عريًّا، ثم رجع من خلف المسلمين إلى الميسرة فكبَّر وحمل على ميمنة القوم يلعب الصفَّين برمحه وسلاحه، ثم رجع من خلف المسلمين إلى القلب فَنَدَّ أمام الناس، فحمل على القوم يلعب بين الصّفين برمحه وسلاحه، وكان يقصف الناس ليلتئذ قصفًا منكرًا وتعجب الناس منه وهم لا يعرفونه ولم يروه من النَّهار، فقال بعضهم: أوائل أصحاب هاشم أو هاشم نفسه وجعل سعد يقول وهو مشرف على الناس مُكِبّ من فوق القصر: والله لولا محبس أبي مِحْجَن لقلت: هذا أبو محجن وهذه البلقاء، وتعددت الأقوال فلما انتصف الليل حاجز أهل فارس، وتراجع المسلمون، وأقبل أبو محْجن حتى دخل من حيث خرج، وأعاد رجليه في قيديه وقال:

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٤٦٢).

(٢) القنا: الرمح.

لقد علمت ثقيف غير فخر ... بأنا نحن أكرمُهُم سيُوفا
وأكثرهم دروعًا سابغات ... وأصبرهم إذا كَرهوا الوُقوفا
وأنّا وفدهم في كل يوم ... فإن عَميُوا فسل بهمُ عَريفا
وليلة قادس لم يشعروا بي ... ولم أشعر بمخرجي الزُّحُوفا
فإن أُحبس فذلكم بلائي ... وإن أترك أذيقُهُم الحُتوفا

فقالت له سلمى: يا أبا محْجَن، في أي شيء حبسك هذا الرجل؟ قال: أما والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته، ولكني كنت صاحب شراب في الجاهلية، وأنا امرؤ شاعر يدبّ الشعر على لساني، يبعثه على شفتي أحيانًا، فيساء لذلك ثنائي، ولذلك حبسني قلت:

إذا متُّ فادفنِّي إلى أصل كَرْمَةٍ ... تُرَوِّي عظامي بعد موتي عُرُوقها
ولا تَدْفِنَنِّي بالفلاة فإنني ... أخاف إذا ما مت ألا أذوقها
وتُروي بخمر الحُصِّ لَحدي فإنني ... أسيرُ لها من بعد ما قد أسوقُها

فلما أصبحت سلمى أخبرت سعد بن أبي وقاص عن خبرها وخبر أبي محجن، فدعا به فأطلقه، وقال: اذهب فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله، قال: لا جرم لا أجيب لساني إلى صفة قبيح أبدًا[(١)].

ص- خطة قعقاعية في النصف الأخير من ليلة السواد:

من أبرز ما جرى من نصف ليلة السواد الأخير أن القعقاع بن عمرو اغتنم الفرصة في التخطيط لخطة يرفع بها من معنويات المسلمين في يومهم القادم، فلقد أمر أتباعه بأن يتسللوا سرًا ثم يقدموا في النهار تباعًا على فرق كل فرقة مائة مقاتل، وقال لهم: إذا طلعت لكم الشمس فأقبلوا مائة مائة، كلما توارى عنكم مائة فليتبعها مائة، فإن جاء هاشم فذاك، وإلا جددتم للناس رجاء وَجِدًّا فلما ذرَّ قرن الشمس والقعقاع يلاحظ الخيل وطلعت نواصيها كبَّر وكبر الناس وقالوا: جاء المدد، وقد

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٣٧٤).

تأسَّي به أخوه عـاصم بن عمرو فأمـر قومه أن يصنعـوا مثل ذلك فأقبلوا من جـهة (خفَّان)، فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى إليهم هاشم بن عتبة في سبعمائة من جيش الشام، فـأخبروه برأي القعقاع وما صـنع في يوميه، فعبَّأ أصحـابه سبعين سبعين، فلما جاء آخر أصحاب القعقاع خرج هاشم في سبعين معه[1]، وهنا يلاحظ الباحث تواضـع هاشم بن عتبـة بن أبي وقاص فلقـد قبل الأخذ بـالرأي الأمثل في التخطيط الحربي فـصنع بتفريق جيشه كـما صنع القعقاع بن عمرو، ولـم يمنع اعتبار النفس والمنصب من أن يأخذ برأي قـائد من قواده، بل كان رجـلاً من الرجال الذين تخرجوا من مدرسة التـربية النبوية، فأصبحوا يلغون ذواتهم ومـصالحهم الخاصة في سبيل مصلحة الإسلام ومصلحـة المسلمين العامة، وهذا من أهم أسباب نجاحهم في إقامة الدولة الإسلامية الكبرى، والقضاء على قوى العالم آنذاك[2].

٣- يوم عماس:

هذا اليوم الثالث، يوم عِمَاس فقد قدَّم الفـرس فيه فيلتهم بتخطيط جديد تلافوا به ما كان في اليوم الأول من قطع حبالهم، فجعلوا مع كل فيل رجالاً يحمونه ومع الرجال فرسـان يحمونهم وظل المسلمون يقـاتلون الفيلة ومن فوقها وحـولها، ولقوا منها عنتًا شـديدًا، ولما رأى سعد بن أبي وقاص ﷺ ما يلاقـي المسلمون منها أرسل إلى مسلمي الفرس الذين كانوا مع جيش المسلمين سـألهم عن الفيلة هل لها مقاتل؟ فقـالوا: نعم المشافر والعيـون لا ينتفع بها بعـدها، فأرسل إلى القعقـاع وعاصم بن عمرو وقال لهما: اكفياني الفيل الأبيض وكانت كلها آلفة له وكان بإزائها وأرسل إلى حمَّال بن مـالك والربِّيِّل بن عمرو الأسدي فـقال: اكفياني الفـيل الأجرب، وكانت آلفة كلهـا وكان بإزائهما، فأخـذ القعقاع وعـاصم رُمحَيهـما ودبَّا إليه في كتـيبة من الفرسان والرجال، فقـالا لمن معهما: اكتنفوه لتحيروه فـأصبح الفيل ينظر يمنة ويسرة متحـيراً ممن حوله، ودنا منه القعـقاع وعاصم فحـملا عليه وهو متشـاغل بمن حوله فوضـعا رمحيـهما معـًا في عين الفيل الأبيض، ونفض رأسه فطرح سـائسه، ودلَّى

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٣٧٥).

(٢) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٤٦٦).

مشفـره، فنفحه القعـقاع بسيفه فـرمى به، ووقع لجنبه فقتل من كـان عليه. وحمل حمّال بن مالك وقال للرِّبِّيل بن عمرو: اختر إما أن تضرب المشفر، وأطعن في عينه أو تطعن في عينه وأضرب مشفره، فاختار الضرب، فحمل عليه حمال وهو متشاغل بملاحظة من اكتنفـه لا يخاف سائسه إلا على بـطانه وذلك لأن المسلمين قطعوا ذلك منها في اليـوم الأول فانفرد به أولئك فطعنه حـمّال في عينه فأقـعى على خلفه، ثم استوى، ونفحه الربيل بن عـمرو فأبان مشفره، وبصُر به سائسه فـضرب جبينه وأنفه بحديده كانت معه وأفلت منها الربيل وحمال، وصاح الفيلان صياح الخنزير، وكانت الفيلة تابعة لهمـا فرجعت على الفرس ورجعت معها الفـيلة تطأ جيش الفرس حتى قطعت نهر العـتيق وولّت نحو المدائن وهلك من كان عـليها[1] ولما خلا الميدان من الفيلة زحف الناس بعضهم على بعض واشتـد القتال بينهم، وكان لدى الفرس جيش احتياطي من أهل النجدات والبأس، فكلمـا وقع خلل في جيشهم، أبلغوا (يزدجرد) فأرسل لهم من هؤلاء وقد انتهى ذلك اليوم والمسلمون وأعداؤهم على السواء[2].

أ- بطولة عمرو بن معديكرب:

قال عمرو بن معديكرب: إني حـامل على الفيل ومن حوله بإزائهم فلا تَدَعوني أكثر من جز جزور (يعني نحر الناقة) فإن تأخرتم عني فقدتم أبا ثور، فأنَّى لكم مثل أبي ثور، فإن أدركتموني وجدتموني وفي يدي السيف، فحمل فما انثنى حتى ضرب فيهم، وسـتره الغبار، فقـال أصحابه: ما تنظرون؟ ما أنـتم بخلقاء أن تدركوه، وإن فقدتموه فقـد المسلمون فارسهم، فحملـوا حملة فأفرج المشركون عنه بعـدما صرعوه وطعنوه وإن سيفه لفي يده يضاربهم وقد طعن فرسه، فلما رأى أصحابه وانفرج عنه أهل فارس أخـذ برجل فرس من أهل فـارس، فحركـه الفارسي فـاضطرب الفرس فالتفت الفارسي إلى عمرو، فهمَّ به وأبصره المسلمون، فغشُوه، فنزل عنه الفارسي، وحاضـر يعني أسرع إلى أصحـابه، فقال عـمرو: أمكنوني من لجامـه، فأمكنوه منه فركبه[3].

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٠/٤٦٨). (٢) تاريخ الطبري (٤/٣٧٦). (٣) تاريخ الطبري (٤/٣٧٨).

ب- طليحة بن خويلد الأسدي:

استمر القتال في اليوم الثالث إلى الليل، ثم حجز بينهم صوت طليحة بن خويلد الأسدي، وكان قد التف وراء جيش الفرس، ففزع لذلك الفرس وتعجب المسلمون، فكف بعضهم عن بعض للنظر في ذلك، وكان سعد رضي الله عنه قد بعثه مع أناس لحراسة مكان يحتمل منه الخطر على المسلمين، فتجاوز مهمته، ودار من خلف الفرس وكبَّر ثلاث تكبيرات[١]، ولقد أفادت حركته هذه حيث توقفت الحرب وكان هناك فرصة لإعادة الصفوف والاستعداد لقتال الليل.

ج- قيس بن المكشوح:

يا معشر العرب، إن الله قد من عليكم بالإسلام، وأكرمكم بمحمد صلى الله عليه وسلم، فأصبحتم بنعمة الله إخوانًا، دعوتكم واحدة، وأمركم واحد، بعد إذ أنتم يعدو بعضكم على بعض عدو الأسد، ويختطف بعضكم بعضًا اختطاف الذئاب، فانصروا الله ينصركم، وتنجزوا من الله فتح فارس، فإن إخوانكم من أهل الشام قد أنجز الله لهم فتح الشام وانتشال[٢]، القصور الحمر والحصون الحمر[٣].

د- مما قيل من الشعر ذلك اليوم:

قال القعقاع بن عمرو:

حضَّض قومي مَضْرَحيُّ بن يعمر ... فلله قومي حين هزُّوا العواليا

وما خام عنها يوم سارت جموعُنا ... لأهل قُديس يمنعون المواليا

فإن كنتُ قاتلتُ العدوَّ فَلَلْته ... فإني لألقى في الحروب الدّواهيا

فيولاً أراها كالبُيوت مُغيرة ... أُسَمِّلُ أعيانًا لها ومآقيا[٤]

وقال آخر:

أنا ابن حرب ومعي مخراقي ... أضربهم بصارم رقراق

إذ كره الموت أبو إسحاق ... وجاشت النفس على التراقي

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٣٨٢).

(٢) انتشال: استخراج، انتزاع.

(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٣٧٨).

(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٣٨١).

هـ- ليلة الهرير:

بدأ القتال ليلة الهرير في اليوم الرابع، وقد غيّر الفرس هذه الليلة طريقتهم في القتال، فقد أدرك رستم أن جيشه لا يصل إلى مستوى فرسان المسلمين في المطاردة ولا يقاربهم، فعزم على أن يكون القتال زحفًا بجميع الجيش حتى يتفادى الانتكاسات السابقة التي تسببت في تحطيم معنويات جيشه، فلم يخرج أحد من الفرس للمبارزة والمطاردة بعدما انبعث لذلك أبطال المسلمين، وجعل رستم جيشه ثلاثة عشر صفًّا في القلب والمجنَّبتين وبدأ القعقاع بن عمرو القتال وتبعه أهل النجدة والشجاعة قبل أن يكبر سعد، فسمح لهم بذلك واستغفر لهم، فلما كبر ثلاثًا زحف القادة وسائر الجيش، وكانوا ثلاثة صفوف، صفًّا فيه الرماة وصفًّا فيه الفرسان وصفًّا فيه المشاة، وكان القتال في تلك الليلة عنيفًا، وقد اجتلدوا من أول الليل حتى الصباح لا ينطقون، كلامهم الهرير، فسمّيت ليلة الهرير، وقد أوصى المسلمون بعضهم بعضًا على بذل الجهد في القتال لما يتوقعونه من عنف الصراع، ومما رُوي من الأقوال في ذلك[1] ما قاله كل من:

- دريد بن كعب النخعي قال لقومه: إن المسلمين تهيئوا للمزاحفة فاسبقوا المسلمين الليلة إلى الله والجهاد فإنه لا يسبق الليلة أحد إلا كان ثوابه على قدر سبقه، نافسوهم في الشهادة وطيبوا بالموت نفسًا، فإنه أنجى من الموت إن كنتم تريدون الحياة، وإلا فالآخرة ما أردتم.

- وقال الأشعث بن قيس: يا معشر العرب إنه لا ينبغي أن يكون هؤلاء القوم أجرأ على الموت ولا أسخى أنفسًا عن الدنيا، تنافسوا الأزواج والأولاد، ولا تجزعوا من القتل فإنه أماني الكرام ومنايا الشهداء[2].

- وقال حميضة بن النعمان البارقي: كان بإزاء قبيلة (جُعْفى) ليلة الهرير كتيبة من كتائب العجم عليهم السلاح التام، فازدلفوا لهم فجالدوهم بالسيوف، فرأوا أن السيوف لا تعمل مع الحديد فارتدعوا، فقال لهم حميضة بن النعمان البارقي:

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٤٧٢).

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٣٨٤).

مالكم؟ قالوا: لا يجوز فيهم السلاح، قال: كما أنتم حتى أريكم، انظروا، فحمل على رجل منهم فاستدار خلفه فدق ظهره بالرمح ثم التفت إلى أصحابه فقال:

ما أراهم إلا يموتون دونكم، فحملوا عليهم وأزالوهم إلى صفهم[١].

وكان بإزاء قبيلة كندة، ترك الطبري (أحد قادة الفرس) فقال الأشعث بن قيس الكندي: ياقوم ازحفوا لهم، فزحف لهم في سبعمائة فأزالهم وقتل قائدهم ترك، وكان القتال في تلك الليلة شديدًا متواصلاً وقام زعماء القبائل يحثون قبائلهم على الثبات والصبر، ومما يبين عنف القتال في تلك الليلة، ما أخرجه الطبري عن أنس بن الحليس قال: شهدت ليلة الهرير، فكان صليل الحديد فيها كصوت القيون ليلتهم حتى الصباح، أفرغ عليهم الصبر إفراغًا وبات سعد بليلة لم يبت بمثلها، ورأى العرب والعجم أمرًا لم يروا مثله قط، وانقطعت الأصوات والأخبار عن رستم وسعد، وأقبل سعد على الدعاء حتى إذا كان نصف الليل الباقي سمع القعقاع بن عمرو وهو يقول:

نحن قتلنا معشرًا وزائدًا ... أربعة وخمسة وواحدًا

نحسب فوق اللّبد الأساودا[٢] ... حتى إذا ماتوا دعوت جاهدًا

الله ربي واحترست عامدًا[٣]

فاستدل سعد بذلك على الفتح، وهكذا بات سعد بن أبي وقاص ﷺ يدعو الله تعالى تلك الليلة ويستنزل نصره، ومما ينبغي الإشارة إليه أن سعدًا كان مستجاب الدعوة[٤].

٤- يوم القادسية:

أصبح المسلمون في اليوم الرابع وهم يقاتلون، فسار القعقاع بن عمرو في الناس فقال: إن الدَّبرة بعد ساعة لمن بدأ القوم، فاصبروا ساعة واحملوا، فإن النصر مع

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٣٨٦).
(٢) اللّبد سرج الفرس، والأساود الحيات.
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٣٨٦).
(٤) التاريخ الإسلامي (٩/ ٤٧٤).

الصبر، فآثروا الصبر على الجزع، فاجتمع إليه جماعة من الرؤساء، وصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح ولما رأت ذلك القبائل قام فيها رجال، فقام قيس ابن عبد يغوث والأشعث بن قيس، وعمرو بن معد يكرب وابن ذي السَّهمين الخثعمي وابن ذي البُردين الهلالي، فقالوا: لا يكونن هؤلاء (يعني أهل فارس) أجرأ على الموت منكم، ولا أسخى أنفسًا عن الدنيا، وقام في ربيعة رجال فقالوا: أنتم أعلم الناس بفارس وأجرؤهم عليهم فيما مضى، فما يمنعكم اليوم أن تكونوا أجرأ مما كنتم[1]، وهكذا يضيف القعقاع بن عمرو مأثرة جديدة إلى مآثره الكثيرة فقد جمع الله له بين الشجاعة النادرة، والرأي السديد وقوة الإيمان، فسخر ذلك كله لنصرة الإسلام والمسلمين، وكان قدومه في هذه المعركة فتحًا للمسلمين، لقد أدرك القعقاع أن الأعداء قد نفد صبرهم بعد قتال استمر يومًا وليلة دون انقطاع، وقبل ذلك لمدة يومين مع راحة قليلة، وعرف بثاقب فكره وطول تجربته -بعد توفيق الله له- أن عاقبة المعركة مع من صبر بعد هذا الإجهاد الطويل، واستطاع القعقاع ومن معه من الأبطال أن يفتحوا ثغرة عميقة في قلب الجيش الفارسي حتى وصلوا قريبًا من رستم مع الظهيرة، وهنا تنزّل نصر الله تعالى، وأمدَّ أولياءه بجنود من عنده فهبَّت ريح عاصف وهي الدَّبور، فاقتلعت طيارة رستم عن سريره، وألقتها في نهر العتيق، ومال الغبار على الفرس فعاقهم عن الدفاع[2].

أ- مقتل رستم قائد الفرس:

وتقدم القعقاع ومن معه حتى عثروا على سرير رستم وهم لا يرونه من الغبار، وكان رستم قد تركه واستظل ببغل فوقع على رستم وهو لا يشعر به فأزال من ظهره فقارًا، وهرب رستم نحو نهر العتيق لينجو بنفسه ولكن هلالاً أدركه فأمسك برجله وسحبه ثم قتله، وصعد السرير ثم نادى: قتلت رستم ورب الكعبة، إليَّ، فأطافوا به وما يرون السرير وكبَّروا وتنادوا، وانهزم قلب الفرس، أما بقية قادة المسلمين فإنهم تقدموا أيضًا فيمن يقابلهم وتقهقر الفرس أمامهم، ولما علم الجالينوس بمقتل رستم

---

(١) تاريخ الطبري (٤/٣٨٧).

(٢) التاريخ الإسلامي (١٠/٤٧٦).

قام على الرّدم المُقام على النهر ونادى أهل فارس إلى العبور فرارًا من القتل فعبروا، أما المقترنون بالسلاسل وعددهم ثلاثون ألفًا فإنهم تهافتوا في نهر العتيق فوخزهم المسلمون برماحهم، فما أفلت منهم أحد[1].

ب- نهاية المعركة:

انتهت المعركة بتوفيق الله تعالى، ثم بجهود أبطال المسلمين وحكمة قائدهم سعد ابن أبي وقاص، وكانت معركة عنيفة قاسية ثبت فيها الأعداء للمسلمين ثلاثة أيام حتى هزمهم الله في اليوم الرابع، بينما كان المسلمون يهزمون أعداءهم غالبًا في يوم واحد، وكان من أسباب هذا الثبات أن الفرس كانوا يعتبرون هذه المعركة معركة مصير، فإما أن تبقى دولتهم مع الانتصار، وإما أن تزول دولتهم مع الهزيمة والاندحار ولا تقوم لهم قائمة، كما أن من أسباب ثباتهم وجود أكبر قادتهم رستم، على رأس القيادة، وهو قائد له تاريخ حافل بالانتصارات على أعدائه إضافة إلى تفوق الفرس في العدد والعُدد، حيث كان عدد الفرس عشرين ومائة ألف من المقاتلين من غير الأتباع، مع من كان يبعثهم يزدجرد مددًا كل يوم بينما كان عدد المسلمين بضعة وثلاثين ألفًا[2]، ومع هذا كله انتصر المسلمون عليهم بعد أن قدموا ثمانية آلاف وخمسمائة من الشهداء[3]، وهذا العدد من الشهداء هو أكبر عدد قدمه المسلمون في معاركهم في الفتوح الإسلامية الأولى، وكونهم قدموا هذا العدد من الشهداء دليل على عنف المعركة وعلى استبسال المسلمين وتعرضهم للشهادة ﷺ أجمعين[4].

ج- مطاردة فلول المنهزمين:

أمر سعد رضي الله عنه بمطاردة فلول المنهزمين فوكل القعقاع بن عمرو وشرحبيل بن السمط الكندي بمطاردة المنهزمين يمينًا وشمالاً دون نهر العتيق، وأمر زُهرة بن الحوية بمطاردة الذين عبروا النهر مع قادتهم، وكان الفرس قد بثقوا النهر في الردم حتى لا يستطيع المسلمون متابعتهم، فاستطاع زهرة وثلاثمائة فارس أن يتجاوزوا بخيولهم وأمر من لا يستطيع بموافاتهم من طريق القنطرة، وكان أبعد قليلاً، ثم أدركوا القوم

(١: ٣) تاريخ الطبري (٤/٣٨٨).
(٤) التاريخ الإسلامي (١٠/٤٧٩).

وكان الجالينوس وهو أحد قادتهم الكبار يسير في ساقة القوم يحميهم، فأدركه زهرة فنازله فاختلفا ضربتين فقتله زهرة وأخذ سلبه وطاردوا الفرس وقتلوا منهم، ثم أمسوا في القادسية مع المسلمين[١].

هـ- بشائر النصر تصل إلى عمر رضي الله عنه:

وكتب سعد إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنهما يخبره بالفتح مع سعد بن عُمْيلة الفزاري وجاء في كتابه: أما بعد فإن الله نصرنا على أهل فارس، ومنحهم سنن من كانوا قبلهم من أهل دينهم، بعد قتال طويل، وزلزال شديد، وقد لقوا المسلمين بعُدة لم ير الراؤون مثل زهائها (يعني مقدارها) فلم ينفعهم الله بذلك بل سلبهموه ونقله عنهم إلى المسلمين، واتبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طفوف الآجام، وفي الفجاج، وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارئ وفلان وفلان، ورجال من المسلمين لا نعلمهم، والله بهم عالم، كانوا يُدَوون بالقرآن إذا جن عليهم الليل دَوِيَّ النحل، وهم آساد الناس لا يشبههم الأسود، ولم يفضل من مضى منهم من بقي إلا بفضل الشهادة إذ لم تكتب لهم[٢]، وفي هذه الرسالة دروس وعبر منها:

- ما تحلى به سعد رضي الله عنه من توحيد الله تعالى وتعظيمه والبراءة من حول النفوس وقوتها، فالنصر على الأعداء إنما هو من الله تعالى وحده وليس بقوة المسلمين، بالرغم مما بذلوه من الجهاد المضني والتضحية العالية.

- وقوة الأعداء الضخمة، ليس بقاؤها أو سلبها للبشر، بل ذلك كله لله تعالى، فهو الذي حرم الأعداء من الانتفاع بقوتهم، وهو الذي منحها للمسلمين، وإنما البشر مجرد وسائط يجري الله النفع والضرر على أيديهم، وهو وحده الذي يستطيع دفع الضرر وجلب المنفعة سبحانه وتعالى، وهكذا فهم سعد رضي الله عنه معنى التوحيد، وحققه مع جنوده في حياته.

- ونلاحظ سعداً في رسالته يصف الصحابة رضي الله عنهم ومن معهم من التابعين

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٣٨٩).

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٤٠٨).

بالتفوق في العبادة والشجاعة، فهم عُبَّاد في الليل لهم أصوات مدوِّية بالقرآن كأصوات النحل لا تكلُّ ولا تمل، وفرسان في النهار لا تصل الأسود الضارية إلى مستواهم في الإقدام والثبات[١] وكان عمر رضي الله عنه يستخبر الركبان عن أهل القادسية من حين يصبح إلى انتصاف النهار، ثم يرجع إلى أهله ومنزله، فلما لقي البشير سأله من أين؟ فأخبره، قال: يا عبد الله حدثني قال: هَزم الله العدو، وعمر يخُبُّ معه -يعني يسرع- ويستخبره، والآخر على ناقته ولا يعرفه، حتى دخل المدينة فإذا الناس يسلِّمون عليه بإمرة المؤمنين فقال: فهلا أخبرتني -رحمك الله- أنك أمير المؤمنين، وجعل عمر يقول لا عليك يا أخي[٢] وفي هذا الخبر دروس وعبر منها:

- الاهتمام الكبير من عمر رضي الله عنه الذي دفعه إلى أن يخرج إلى البرِّية كل يوم لعله يجد الركبان القادمين من العراق فيسألهم عن خبر المسلمين مع أعدائهم، وقد كان بإمكانه أن يوكل بهذه المهمة غيره ممن يأتيه بالخبر ولكن الهمَّ الكبير الذي كان يحمله للمسلمين لا يتيح له أن يفعل ذلك، وهنا منتهى الرحمة والشعور بالمسئولية.

- التواضع الجمّ من عمر رضي الله عنه، فقد ظل يسير ماشيًا مع الراكب، ويطلب منه خبر المعركة، وذلك الرسول لا يريد أن يخبره بالتفاصيل حتى يصل إلى أمير المؤمنين، ولا يدري أنه الذي يخاطبه ويعدو معه، حتى عرف ذلك من الناس في المدينة، وهذه أخلاق رفيعة يحق للمسلمين أن يفاخروا بها العالم في تاريخهم الطويل، وأن يستدلوا بها على عظمة هذا الدين الذي أنجب رجالاً مثل عمر في عدله ورحمته وحزمه وتواضعه[٣].

خامسًا- دروس وعبر وفوائد:

١- تاريخ المعركة وأثرها في حركة الفتوحات:

اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ المعركة، وللأستاذ أحمد عادل كمال تحقيق جيد توصل فيه إلى أنها في شهر شعبان من العام الخامس عشر[٤]، وهذا القول أميل إليه،

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٤٨١).
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٤٠٨).
(٣) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٤٨٨).
(٤) القادسية ٢٦٦، التاريخ الإسلامي (١٠/ ٤٨٨).

ولا شك أن القادسية تقع على قـمة قائمة المعارك الحاسمـة في تاريخ العالم فهي تبين أنواعًا من الـتمكين الرباني لأهل الإيمان الصـحيح، فـقد انفتـحت على آثارها أبواب العراق، ومن وراء العـراق فارس كلها، وهي التي من عندها اسـتطرد نصر المسلمين، فاستطرد معه السـقوط الساساني من الناحيتين الحربية والسياسـية، والسقوط المجوسي من الناحية الدينية العقـائدية، ومن هنا انساح دين الإسلام في بلاد فارس وما وراءها، ففي القادسية كـسر المسلمون شوكة المجوس كسرة لم ينجبـر شأنهُم بعدها أبدًا، وبهذا استحقت القادسية مكانها على قمة المعارك الحاسمة في تاريخ البشر[1].

٢- خطبة عمرية بعد فتح القادسية:

لما أتى عمر رضي الله عنه خبر الفتح قام في الناس فـقرأ عليهم الفتح، وقال: إني حريص على ألا أدع حاجـة إلا سددتها ما اتسع بعـضنا لبعض، فإذا عجـز ذلك منا تآسينا في عيشنا حـتى نستوي في الكفاف، ولوددت أنكـم علمتم من نفسي مثل الذي وقع فـيها لكم ولست معلمكم إلا بالعمـل، إني والله ما أنا بملك فأستعبـدكم، وإنما أنا عبد الله عُرض عليَّ الأمانة، فإن أبيـتها (يعني أعففت نفسي من أمـوال الرعية) ورددتها عليكم واتبعتكم حتى تشبعوا في بيوتكم وترووا سعدت، وإن أنا حـملتها واستتبعتها إلى بيتي شقيت، ففرحت قليلاً وحزنت طويلاً، وبقيت لا أقال ولا أرد فأستعتب[2].

٣- الوفاء عند المسلمين، والعدل لا رخصة فيه:

كتب سعد رضي الله عنه إلى أمير المؤمنين رضي الله عنهما كتابًا آخر، يطلب فيه أمره في أهل الذمة من عرب العراق الذين نقـضوا عهدهم في حال ضعف المسلمين فـقام عمر رضي الله عنه في الناس فقـال: إنه من يعمل بالهوى والمعصـية يسقط حظه ولا يضر إلا نفـسه، ومن يتبـع السنة وينته إلى الشـرائع ويلزم السبـيل النهج ابتغـاء ما عند الله لأهل الـطاعة أصاب أمره وظفـر بحظه، وذلك بأن الله - عز وجل - يقول: ﴿**وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾ (الكهف،آية:٤٩)، وقـد ظفر أهل الأيام والقـوادس بما

---

(١) الطريق إلى المدائن ص٤٧٣، ٤٧٤ .

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٤٠٩).

يليهم، وجلا أهله، وأتاهم من أقام على عهدهم، فما رأيكم فيمن زعم أنه استكره وحشر وفيمن لم يدع ذلك ولم يقم وجلا، وفيمن أقام ولم يدع شيئًا ولم يجل، وفيمن استسلم؟ فاجتمعوا على أن الوفاء لمن أقام وكف ولم يزده غلبه إلا خيراً، وأن من ادعى فصُدِّق أو وفى فمنزلتهم، وإن كُذِّب نبذ إليهم وأعادوا صلحهم، وأن يجعل أمر من جلا إليهم فإن شاءوا وادعوهم وكانوا لهم ذمة، وإن شاءوا تموا على منعهم من أرضهم ولم يعطوهم إلا القتال، وأن يُخَيَّروا من أقام واستسلم الجزاء إلاّ القتال، وأن يخيّروا من أقام واستسلم الجزاء أو الجلاء وكذلك الفلاحين[1].

وفي هذه الخطبة دروس وعبر منها:

- تطبيق عمر رضي الله عنه مبدأ الشورى حيث كان يستشير أهل الرأي في كل أموره المهمة بالرغم مما عرف عنه من غزارة العلم وسداد الرأي، وإن هذا السلوك الرفيع كان من أسباب نجاحه الكبير في سياسة الأمة.

- الاستفادة من هذه المقدمة التي قدمها عمر رضي الله عنه بين يدي استشارته حيث ذكر الصحابة رضي الله عنهم بلزوم التجرد من الهوى وإخلاص النية لله - عز وجل -، والاستقامة على المنهج القويم الذي سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن فعل ذلك عصم من الزلل في الحكم وأصاب الحق وظفر بثواب الله تعالى[2]، وقد لخص عمر رضي الله عنه هذه المشورة بخطاب وجّهه إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه جاء فيه: أما بعد فإن الله جل وعلا أنزل في كل شيء رخصة في بعض الحالات إلا في أمرين: العدل في السيرة والذكر، فأما الذكر فلا رخصة فيه في حالة، ولم يرض منه إلا بالكثير، وأما العدل فلا رخصة فيه في قريب ولا بعيد، ولا في شدة ولا رخاء، والعدل - وإن رئي لينًا - فهو أقوى وأطفأ للجور، وأقمع للباطل من الجور، وإن رئي شديدًا فهو أنكش للفكر، فمن تم على عهده من أهل السواد - يعني عرب العراق - ولم يُعِنْ عليكم بشيء فلهم الذمة وعليهم الجزية، وأما من ادعى أنه استكُره ممن لم يخالفهم إليكم أو يذهب في الأرض فلا تصدقوهم بذلك إلا أن تشاءوا، وإن لم تشاءوا فانبذوا

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤١٠).

(٢) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٤٨٥).

إليهم، وأبلغوهم مأمنهم[١]، وفي هذا الرد دروس وعبر منها؛ أن العدل في الحكم هو الدعامة الكبرى لبقاء حكم الإسلام وسيادته وانتشار الأمن والرخاء في بلاد المسلمين، هذا في الدنيا وأما في الآخرة فلا مفر من العقاب للظالمين، لأن حقوق الله تعالى قد يغفرها لعبده ويتجاوز عنه، أما حقوق الناس فإن الله تعالى يوقف الظالمين والمظلومين يوم القيامة فيقتصّ بعضهم من بعض وأما ذكر الله تعالى فلا بد أن يسود حياة المسلم في قلبه ولسانه وجوارحه، فيكون تفكيره خالصًا لله تعالى، ومنطقه فيما يرضيه وعمله من أجله، ويكون همه الأكبر إقامة ذكر الله جل وعلا في الأرض قولاً وعملاً واعتقادًا فإذا كان كذلك عصمه الله سبحانه من فتنة الشبهات والشهوات وقد أخذ سعد ومن معه من المسلمين بتوجيهات أمير المؤمنين فعرضوا على من حولهم ممن جلا عن بلاده أن يرجعوا ولهم الذمة وعليهم الجزية، وهكذا نجد أمامنا نموذجًا من نماذج الرحمة وتأليف القلوب، وقد أثرت هذه المعاملة الكريمة وحبَّبت المسلمين والإسلام لهؤلاء الناكثين فدخلوا بعد ذلك على مراحل في الإسلام وصاروا من أتباعه المخلصين[٢].

٤- الخمس في القادسية رده عمر علي المقاتلين وحسن مكافأته للبارزين:

أمر عمر رضي الله عنه في القادسية برد الخمس على المقاتلين، ونفذ سعد أمر الخليفة، وكان اجتهاد عمر هنا بارعًا كبراعة اجتهاده في ترك أراضي السواد بيد أصحابها، فقد رأى تمشيًا مع المصلحة العليا للدولة أن يوزع الخمس على المجاهدين تشجيعًا لهم وتوسعة عليهم واعترافًا بجهودهم[٣]، وقد أرسل عمر إلى سعد أربعة أسياف، وأربعة أفراس يعطيها مكافأة لمن انتهى إليه البلاء في حرب العراق، فقلد الأسياف لأربعة؛ ثلاثة من بني أسد وهم: حمّال بن مالك، والربيل بن عمرو بن ربيعة الواليين، وطليحة بن خويلد، والرابع لعاصم بن عمرو التميمي، وأعطى الأفراس: واحدة للقعقاع بن عمرو التميمي، والثلاثة لليربوعيين مكافأة لهم على واقعة عشية

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤١٠).
(٢) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٤٨٧).
(٣) أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الخليفة المجتهد للعمراني ص١٦٣.

أغواث[1]، وهذه من الوسائل العمرية في تفجير طاقات المجاهدين وتحفيز همم المسلمين نحو المعالي والأهداف السامية والمقاصد النبيلة.

٥- عمر يرد اعتبار زهرة بن الحوية:

عاد زهرة من مطاردته لفلول الفرس وبعد أن قتل جالينوس أحد قادة الفرس، فأخذ زهرة سلبه وتدرع بما كان على الجالينوس فعرفه الأسرى الذين كانوا عند سعد وقالوا: هذا سلب الجالينوس. فقال له سعد: هل أعانك عليه أحد؟ قال: نعم. قال: من؟ قال: الله. وكان زهرة يومئذ شابًّا له ذؤابة وقد سُوِّد في الجاهلية وحسن بلاؤه في الإسلام، وغضب سعد أن تسرع زهرة فلبس ما كان على الجالينوس واستكثره عليه فنزعه عليه وقال: ألا انتظرت إذني؟[2] ووصل الخبر إلى عمر، فأرسل إلى سعد: تعمد إلى مثل زهرة وقد صلى بمثل ما صلى به، وقد بقي عليك من حربك ما بقي - تكسر قرنه، وتفسد قلبه؛ أمض له سلبه، وفضله على أصحابه عند العطاء بخمسمائة، وإني قد نفلت كل من قتل رجلاً سلبه، فدفعه إليه فباعه بسبعين ألفًا[3]. وبهذا ردَّ عمر إلى زهرة اعتباره[4].

٦- استشهاد المؤذن وتنافس المسلمين على الأذان:

في نهاية معركة القادسية حدث أمر عجيب يدل على مقدار اهتمام المسلمين الأوائل بأمور دينهم وما يقربهم إلى الله تعالى، فقد قتل مؤذن المسلمين في ذلك اليوم وحضر وقت الصلاة، فتنافس المسلمون على الأذان حتى كادوا أن يقتتلوا بالسيوف، فأقرع بينهم سعد، فخرج سهم رجل فأذن[5]، وإن التنافس على هذا العمل الصالح ليدل على قوة الإيمان، فإن الأذان ليس من ورائه مكاسب دنيوية ولا جاه ولا شهرة وإنما دفعهم إلى التنافس عليه تذكر ما أعده الله تعالى للمؤذنين يوم القيامة من أجر عظيم وإن قومًا تنافسوا على الأذان سيتنافسون بطريق الأولى على ما هو أعظم من ذلك، وهذا من أسرار نجاحهم في الجهاد في سبيل الله تعالى والدعوة إلى الإسلام[6].

---

(١) خلافة الصديق والفاروق للثعالبي ص٢٥٣ . (٢،٣) تاريخ الطبري (٤/ ٣٩١). (٤) القادسية ص٢٠٤ .
(٥) تاريخ الطبري (٤/ ٣٩٠). (٦) التاريخ الإسلامي (١٠/ ٤٨٠).

٧- التكتيك العسكري الإسلامي في المعركة:

كانت القادسية نموذجًا مميزًا من نماذج التكتيك العسكري الإسلامي، حيث برع المسلمون فيها بإتقان المناورة التكتيكية التي تتلاءم مع كل حالة قتالية من حالات المعركة، فقد ظهر على مسرح الأحداث قدرة الفاروق على التعبئة العامة، أو التجنيد الإلزامي والحشد الأقصى للوسائل، إذ حشد الخليفة لهذه المعركة أقصى ما يمكن حشده من الرجال، كما حشد لها الفئة المختارة من رجال المسلمين، فقد كتب إلى سعد أن ينتخب أهل الخيل والسلاح ممن له رأي ونجدة، فاجتمع لسعد في هذه المعركة بضعة وسبعون ممن حضروا بدرًا، وثلاثمائة وبضعة عشر ممن صحبوا النبي ﷺ بعد بيعة الرضوان، وثلاثمائة ممن شهدوا فتح مكة، وسبعمائة من أبناء الصحابة ثم إنه لم يدع رئيسًا ولا ذا رأي ولا ذا شرف ولا خطيبًا ولا شاعرًا إلا رماهم به، فرماهم بوجوه الناس وغررهم، وهذا هو الحشد الأقصى للوسائل المادية والمعنوية للمعركة، ونجد في التعبئة لهذه المعركة، تجديدًا لم نعهده عند المسلمين من قبل، إذ لم ينتظر سعد في «صرار» حتى يكتمل جيشه ثم ينطلق به إلى العراق بل انطلق في أربعة آلاف ووصل إلى مكان المعركة بالقادسية في سبعة عشر ألفًا، وهذه طريقة مبتكرة في تعبئة الجيوش لم يعتمدها المسلمون قبل عمر، وحدد الخليفة في رسائله إلى كل من المثنى وسعد مكان المعركة الحاسمة، وهو القادسية، وكان الفاروق أول قائد مسلم يعتمد (الرسالة الخارطة) في دراسته لأرض المعركة وبيئتها، إذ طلب من سعد أن يصف له في رسالة مفصلة، منازل المسلمين - أي مواقعهم - كأنه ينظر إليها، وأن يجعله من أمرهم - أي المسلمين على جلية، فكتب إليه سعد رسالة يشرح له فيها - بالتفصيل- جغرافية القادسية (بين الخندق والعتيق) وما يقع على يمينها ويسارها ثم يشرح له أوضاع البيئة التي تحيط بأرض المعركة فينبئه أن أهلها معادون للمسلمين، ويتخذ الخليفة، بناء على ذلك، قراره التكتيكي والاستراتيجي[١]، واستخدم المسلمون أسلوب الغارات التموينية واستنزاف العدو منذ وصولهم إلى أرض العدو وتمركزهم

---

(١) الفن العسكري الإسلامي ص٢٧١، ٢٧٢.

فيها وقد أفادت تلك الغارات التمـوينية في سد احتياجات الجيش من المؤن، فكان يوم الأباقر ويوم الحـيتان وغيرها من الأيام والـغارات وقد اتخذت هذه الغـارات بالإضافة إلى وجهها التمويني، وجهًا آخر هامًّا، هو استنزاف طاقات العدو وقدرة الأهالي على تحمل آثار الحرب ومعـاناتها، واستعمل المسلمـون أسلوب الكمائن في مناوشاتهم مع الفرس قبل القادسية، وفي استنزافهم لطاقات العدو ومعنوياته، فقد كمن بكير بن عبد الله الليـثي بفـرقة من خـيالة المسلـمين، في أجمـة من النخـيل، وعلى الطريق إلى (الصنين) لقافلة تضم أخت أزاد مرد بن أزاذبه مرزبان الحيرة، وهي تزف إلى صاحب (الصنين) من أشـراف العجم، ومـا إن وصلت القافلة إلى مكان الكمين حـتى انقض المسلمون عليـها، فقصم بكيـر صلب «شيرزاد بن أزاذبه» أخي العـروس، وكان على رأس الخيل التي تتقدم القافلة ونفرت الخـيل تعدو بمن على ظهورها من رجال، وأخذ المسلمون الأثقال وابنة أزاذبه في ثلاثين امرأة من الدهاقين ومائة من التوابع وما معهما لا يدرى قيمته[1]، واستعمل المسلـمون في هذه المعركة أسلوب التكتيك المتغـير وفقًا لكل حالة مـن حالات القتـال وظرف من ظروفه، فـبينما نراهـم في اليوم الأول من المعركة يحتالون على الفـيلة المهاجمة فيقطعون وضنها بعد أن يرمـوها بنبالهم فتفر من ميدان القتال ريثما يصل إليهم المدد القادم من الشام، كما يعمدون إلى إيصال هذا المدد إلى ساحة الـقتال تباعًا وزمـرة زمرة بغية إيهـام العدو بكثرته، ثم يعمـدون إلى حيلة تكتيكية بارعة وذلك بأن يجللوا إبلهم ويبرقعوها تشبهًا بالفيلة ثم يطلقوها في صفوف العدو فـتجفـل خيلهم وتولي هاربة لا تلوي على شيء، ويعـمد المسلمـون في اليوم الثالث إلى مـواجهة فـيلة الفرس المحمـية بخيالتـهم ومشاتهم بأن يهـاجموا أكـبرها وأضخمـها فيفقأوا عـيونها ويقطعوا مشافـرها، فتفر الفيلة هاربة، ويتـساوى الفرس والمسلمون في ساحة القـتال، بعد أن يخسر الفرس فيـلتهم، أي مدرعاتهم؛ ولما رأى المسلمون أن أمد القـتال يمكن أن يطول قرروا الهجوم العـام فعبأوا صفوفـهم وزحفوا زحفة واحدة، وما أن تخلت صفوف العـدو وانكشف قلبه حتى كان رستم قائد جيش

(١) الفن العسكري الإسلامي ص٢٧٣.

العدو هدفهم، وما إن قضي على رستم حتى انهزم جيش الفرس هزيمة ساحقة، وهكذا نرى أن الأسلوب الذي اتبعه المسلمون في هذه المعركة لم يتقيد بالأساليب التقليدية التي كانت متبعة في القتال بل إنه لبس لكل حالة لبوسها، فانتقل من الأساليب البدائية (المبارزة) إلى الحيل التكتيكية (الإبل المبرقعة وقطع وضن الفيلة وفقأ عيونها وقطع مشافرها) إلى القتال الكلاسيكي التقليدي (الهجوم العام واستهداف القائد) وتميزت هذه المعركة بالتعبئة ذات الطابع القبلي، وميزة هذا الأسلوب أنه يوجد بين القبائل تنافسًا فريدًا في الحماسة والاندفاع في القتال[1] . هذه بعض الأساليب العسكرية الإسلامية التي مارسها المجاهدون في القادسية.

٨- ما قيل من الشعر في القادسية:

ومما قاله قيس بن المكشوح المرادي يتحدث عن فروسيته مفتخرًا لما كان منه ومن المجاهدين الآخرين في مناهضة قادة الفرس فيقول:

جلبتُ الخيلَ من صَنعاءَ تَرِدي ... بكل مُدَجَّجٍ كالليث سامي[2]

إلى وادي القِرى فديار كلب ... إلى اليرموك فالبلدِ الشآمي

وجئنا القادسية بعد شهر ... مسَوَّمة دوابرها دوامي

فناهضنا هنالك جَمْعَ كسرى ... وأبناء المرازبة الكرام[3]

فلمّا أن رأيت الخيل جالت ... قصدت لموقف الملك الهُمام

فأضربُ رأسه فهوى صريعا ... بسيفٍ لا أفلَّ ولا كَهامِ[4]

وقد أبلى الإله هناك خيرًا ... وفعل الخير عند الله نامي[5]

وقال بشر بن ربيع الخثعمي في القادسية:

تذَكّر -هداك الله ـ وقع سيوفنا ... بباب قُديس والمكرُّ عَسِيرُ

---

(١) الفن العسكري الإسلامي ص٢٧٤، ٢٧٥

(٢) تردي الخيل: ترجم الأرضي بحوافرها

(٣) المرازبة: رؤساء الفرس

(٤) أفل: مثلّم، كهام: كليل لا يقطع

(٥) الأدب الإسلامي، د. نايف معروف ص٢٢٢، ٢٢٣

عشيـــة ودَّ القوم لو أن بعضهم يعار جَنَــاحَيْ طائـــر فيطيرُ
إذا ما فـــرغنا من قـــراع كتيبة دَلَفْنَا لأخـــرى كالجبال تسير
ترى القـــوم فيها واجمين كأنَّهم جمـــال بأجمـــال لهُنَّ زَفِيرُ[1]

وقال بعض الشعراء:

وحيَّتكَ عني عصبـــة نخعيـــة حسان الوجوه آمنـــوا بمحمـــد
أقاموا لكسرى يضربـــون جنودَهُ بكلِّ رقيـــق الشفـــرتين مهنّـــدِ
إذا ثوّب الداعي أناخـــوا بكلكل من الموت مسودِّ الغياطيل[2] أجرد

وقال بعض الشعراء:

وجدنا الأكرمـــين بني تميـــم غداة الروع أكثرهم رجـــالا
هُمُوا ساروا بأرعن مكفهـــرٍّ[3] كأسد الغاب تحسبهم جبـــالا
إلى لجب يرونهم رعـــــالا[4] وبالخيفـــــين أيامًا طِـــوالا
بحور للأكاســـر من رجـــال بمرد حيث قابلت الرجـــالا[5]

ما قاله النابغة الجعدي وهو يصور بـشعره ما دار بينه و بين امرأته، وقد جزعت بسبب ذهابه في فتوح فارس ، فقال:

باتَتْ تذكـــرني بالله قاعـــــــدة والدمـــع ينهـــل من شأْنَيْهـــا سَبَلا
يا بنت عمّي كتاب اللـــه أخـــــرجني كَـــــرْهًا، وهل أمنعنَّ الله ما بـــذلا
فإن رجعت فربُّ النـــــــاس أرجعني وإن لحقـــت بربي فابتـــغي بـــدَلا
ما كنت أعـــــرجَ أو أعمـــى فيعذرني أو ضارعًا من ضنًى لم يستطع حِوَلا[6]

---

(١) واجم: من الوجوم وهو السكوت مع كظم الغيظ ، الأدب الإسلامي ص٢١٥ .
(٢) الغيطل: النسور (٣) أرعن مكفهر: ظلمة الليل الشديدة
(٤) رعالاً: النعامة (٥) البداية والنهاية (٧/٤٨)
(٦) الضارع: النحيل الهزيل ، الأدب الإسلامي ص٢١٤

سادسًا- فتح المدائن:

أقام سعد بالقادسية شهرين ينتظر أمر عمر، حتى جاءه بالتوجه لفتح المدائن، وتخليف النساء والعيال بالعتيق مع جند كثيف يحوطهم، وعهد إليه أن يشركهم في كل مغنم ماداموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم، ففعل وسار بالجيش لأيام بقين من شوال، وكان فَلُّ المنهزمين لحق ببابل، وفيهم بقايا الرؤساء مصمِّمين على المدافعة، وبدأت مدن وقرى الفرس تسقط واحدة بعد واحدة، ففتح المسلمون البُرس ثم بابل بعد أن عبروا نهر الفرات ثم كُوثي ثم ساباط بعضها عنوة والبعض الآخر صلحًا[1] واستمرت حملات المسلمين المنظمة حتى وصلوا إلى المدائن، وأمر عمر سعدًا بأن يحسن إلى الفلاحين وأن يوفي لهم عهودهم. ودخلت جموع هائلة من الفلاحين في ذمة المسلمين، وتأثر الفلاحون بأخلاق جيش المسلمين وبعدلهم ومساواتهم المنبثقة من دينهم العظيم، فأميرهم كأصغر الرعية أمام الحق الأكبر، ولا ظلم، ولا فساد في الأرض خفت عنهم وطأة الكبرياء والعبودية التي كانوا يسامونها فصاروا عبادًا لله وحده، وقد توجه سعد نحو المدائن بعد أمر أمير المؤمنين، فبعث مقدمة الجيش بقيادة زهرة بن الحَوِيَّة، وأتبعه بعبد الله بن المعتَّم في طائفة من الجيش ثم بشرحبيل بن السمط في طائفة أخرى، ثم بهاشم بن عتبة بن أبي وقاص وقد جعله على خلافته بدلاً من خالد بن عرفطة، ثم لحق سعد بهم ببقية الجيش وقد جعل على المؤخرة خالد بن عرفطة[2] وقد توجه زهرة قائد المقدمات إلى المدائن، والمدائن هي عاصمة دولة الفرس، وتقع شرق نهر دجلة وغربه، فالجزء الذي يقع غربه يسمى "بَهُرْ سير" والذي يقع شرقه يسمى "أسبانير" و"طيسفون" وقد وصل زهرة إلى بهرسير وبدأ حصار المدينة، ثم سار سعد بن أبي وقاص بالجيش الإسلامي ومعه قائد قواته ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى المدائن الغربية "بهر سير" وفيها ملك الفرس (يَزْدَجرد)، فحاصرها المسلمون شهرين، وكان الفرس يخرجون أحيانًا لقتال المسلمين ولكنهم لا يثبتون لهم. وقد أصيب زهرة بن الحوية بسهم، وذلك أنه كان عليه درع

---

(١) إتمام الوفاء ص٨٢

(٢) التاريخ الإسلامي (١١/ ١٥٥)

مفصومة، فقيل له: لو أمرت بهذا الفصم فسُرد (حتى لا تبقى فيها فتحة تصل منها السهام) فقال: ولِمَ؟ قالوا: نخاف عليك منه، قال: إني لكريم على الله إن تَرك سهم فارس الجند كلَّه ثم أتاني من هذا الفصم حتى يثبت فيَّ وكان كريمًا على الله كما أمَّل، فكان أولَ رجل من المسلمين أصيب يومئذ بسهم، فثبت فيه من ذلك الفصم، فقال بعضهم: انزعوها منه، فقال: دعوني فإن نفسي معي ما دامت فيَّ لعلي أن أصيب منهم بطعنة أو ضربة أو خطوة، فمضى نحو العدو فضرب بسيفه شهريار من أهل اصطخر فقتله[1] وقد بقي المسلمون في حصار بهر سير شهرين، استعملوا خلالها المجانيق وقد صنع لهم الفرس الموالون لهم عشرين منجنيقًا شغلوا بها الفرس، وأخافوهم[2] وفي هذا دلالة على أن الصحابة ﵃ كانوا لا يهملون تحصيل أسباب النصر المادية إذا قدروا عليها، وأنهم كانوا على ذكر تام لقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (الأنفال، آية ٦٠)، إلى جانب تفوقهم في أسباب النصر المعنوية التي انفردوا بأهمها وأبرزها وهو الاعتماد على الله وذكره ودعاؤه[3]

١- معية الله تعالى لأوليائه بالنصر والتأييد:

عن أنس بن الحليس قال: بينما نحن محاصرون بهرسير بعد زحفهم وهزيمتهم أشرف علينا رسول فقال: إن الملك يقول لكم: هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة وجبلنا ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم؟ أما شبعتم لا أشبع الله بطونكم، فبدر الناس أبو مُفَزِّر الأسود بن قطبة، وقد أنطقه الله بما لا يدري ما هو ولا نحن، فرجع الرجل ورأيناهم يقطعون إلى المدائن ـ يعني يعبرون النهر إلى شرق المدائن ـ فقلنا: يا أبا مفزر ما قلت له؟ قال: لا والذي بعث محمدًا بالحق ما أدري ما هو إلا أن عليَّ سكينة، وأنا أرجو أن أكون أُنطقت بالذي هو خير، وانتاب الناس يسألونه حتى سمع بذلك سعد فجاءنا فقال: يا أبا مفزر ما قلت؟ فو الله إنهم لهُرَّاب، فحدثه بمثل حديثه إيانا، فنادى الناس ثم نهد بهم، وإن مجانيقنا لتخطر

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤٥٤) (٢) تاريخ الطبري (٤/ ٤٥٣) (٣) التاريخ الإسلامي (١١/ ١٦٣)

عليهم، فما ظهر على المدينة أحد ولا خرج إلينا إلا رجل نادى بالأمان فأمَّنَّاه، فقال: إن بقي فيها أحد، فما يمنعكم؟ (يعني لم يبق فيها أحد، فشورها الرجال وافتتحناها فما وجدنا فيها شيئًا ولا أحدًا، إلا أسارى أسرناهم خارجًا منها، فسألناهم وذلك الرجل: لأي شيء هربوا؟ فقالوا: بعث الملك إليكم يعرض عليكم الصلح فأجبتموه بأنه لا يكون بيننا وبينكم صلح أبدًا حتى نأكل عسل أفريذين بأُتْرُجِّ كوثي، فقال الملك: واويله ألا إن الملائكة تكلَّم على ألسنتهم، ترد علينا وتجيب عن العرب، والله لئن لم يكن كذلك ما هذا إلا شيء أُلقي على فِيِّ هذا الرجل لِنَنْتَهي، فأرزُوا إلى المدينة القصوى[1]

٢- الآيات التي قرأها سعد لما نزل مظلم ساباط:

نزل سعد بن أبي وقاص ﷺ في (مظلم ساباط) بعد أن قدم هاشمًا ومن معه نحو بهرَسير وهي الجزء الغربي من المدائن، ولما نزل سعد ذلك المكان قرأ قول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ (إبراهيم،آية: ٤٤). وإنما تلا هذه الآية لأن في ذلك المكان كتائب لكسرى تُدعى بوران، وكانوا يحلفون بالله كل يوم، لا يزول ملك فارس ما عشنا[2] وقد هزمهم وفرقهم زهرة بن الحوية قبل استشهاده[3]

ولما دخل المسلمون "بهرسير" وذلك في جوف الليل ـ لاح لهم الأبيض وهو قصر الأكاسرة فقال ضرار بن الخطاب: الله أكبر أبيض كسرى، هذا ما وعد الله ورسوله، وتابعوا التكبير حتى أصبحوا[4]

٣- مشورة بين سعد وجنوده في عبور النهر:

ولما علم سعد أن كسرى قد عبر بالسفن إلى المدائن الشرقية وضم السفن كلها إليه وقع في حيرة من أمره، فالعدو أمامهم وليس بينهم إلا النهر ولا سبيل إلى

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤٥٥)
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٤٥١) ، التاريخ الإسلامي (١١/ ١٦٠)
(٣) التاريخ الإسلامي (١١/ ١٦٠)
(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٤٥١)

عبوره لعـدم توفر السفن، وهو يخشى أن يرتحل عـدوه فيصعب القضـاء عليه، وقد أتى سعدًا بعض أهل فـارس فدلوه على مخاضة يمكن اجتيـازها مع المخاطرة، فأبى سعد وتردد عن ذلك، ثم فاجأهم النهر بمدٍّ عـظيم حتى اسودَّ ماء النهر وقذف بالزبَّد من سرعة جـريانه، وفي أثناء ذلك رأى سعد رؤيا صالحة مفـادها أن خيول المسلمين قد عـبرت النهر، فعـزم لتأويل رؤياه على العبـور، وجمع الناس فحمـد الله تعالى وأثنى عليه وقال: إن أعداءكم قد اعتصموا منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليهم معه وهم يخلصون إليكم إذا شاؤوا فَيُنَاوشـونكم في سفنهم وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه، قد كـفاكـموهم أهل الأيام[1]، وعطلوا ثغورهم وأفنوا ذادتهم[2] وقد رأيت من الرأي أن تبادروا جهاد عدوكم بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا، ألا إني قد عزمت على قطع هذا البـحر إليهم، فـقالوا جمـيعًا: عزم الـله لنا ولك على الرشد فافعل[3]، وفي هذا الخبر دروس وعبر وفوائد منها:

- تذكُّـر معيـة الله جل وعـلا لأوليائه المؤمنين بالنصـر، والتأييـد فهـذه الرؤيا الصادقة التـي رآها سعد ﷺ من الله جل وعلا لتـثبيت قلبه ليُقـدم على هذا الأمر المجهول العاقبة.

- أن الله تعالى يُجري الأمور لصالح المؤمنين، فالنهر جرى بكثافة مفاجئة على غيـر المعتـاد، وظاهر هذا أنه لصالح الفـرس حيث إنه سـيمنع أي مـحاولة لعـبور المسلمين، ولكن حقيقته أنه لـصالح المسلمين، حيث أعطى ذلك الكفار طمأنينة فلم يستعدوا لقدوم المسلمين المفاجئ لهم، ولم يستطيعوا أن يحملوا معهم كل ما يريدون حمله من الفرار.

- أن الصحابة ﷺ كانوا يتفاءلون خيـرًا بالرؤيا من الرجل الصالح، ويعتبرونها مُرجحًا للإقدام على العمل وكانوا ﷺ يحسنون الظن بالله تعالى ويعتبرون أن رُؤَى الخير تثبيت وتأييد منه تعالى.

---

(١) يعني المجاهدين السابقين

(٢) يعني مادتهم التي يدافعون عنها .

(٣) التاريخ الإسلامي (١١/ ١٦٥)

- أن قادة المسلمين في العهد الراشدي كانوا يتصفون غالبًا بالحزم واغتنام الفرص وتفجير طاقة الجنود وهم في حماسهم وقوة إيمانهم، فهذا سعد رضي الله عنه يأمر جيشه بأن يعبروا إلى الأعداء بسلاح الإخلاص والتقوى وقد كان مطمئنًا إلى مستوى جيشه الإيماني فأقدم على ما أقدم عليه مستعينًا بالله تعالى ثم بذلك المستوى الرفيع.

- اتصاف الصحابة رضي الله عنهم ومن معهم من التابعين بالطاعة التامة لقادتهم، وكانوا يعتبرون هذه الطاعة واجبًا شرعيًا وعملاً صالحًا يتقربون به إلى الله تعالى[(١)].

٤- عبور النهر وفتح المدائن:

ندب سعد الناس إلى العبور وقال: من يبدأ ويحمي لنا الفِراضَى[(٢)] حتى تتلاحق به الناس لكي يمنعوهم من الخروج؟ فانتدب له عاصم بن عمرو التميمي وكان من أصحاب البأس والقوة، وانتدب بعده ستمائة من أهل النجدات، فأمّر عليهم سعد عاصمًا فسار بهم حتى وقف على شاطئ دجلة وقال: من ينتدب معي لنحمي الفراضى من عدوكم ولنحميكم حتى تعبروا؟ فانتدب له ستون من أصحاب البأس والنجدة، ثم اقتحموا دجلة، واقتحم بقية الستمائة على إثرهم، وهكذا تكونت من جيش المسلمين فرقة من الفدائيين عددهم ستمائة وقد سميت كتيبة الأهوال، واستخلص عاصم منهم ستين تحت قيادته ليكونوا مقدمة لهذه الفرقة، وهذا تخطيط محكم من سعد أولا ثم من عاصم، وذلك أن مواجهة الأهوال والمغامرات لا تكون بالعدد الكبير، وإنما تكون بأصحاب البأس الشديد والقدرة القتالية العالية وإن كانوا قلائل، وذلك أنه إذا انضمَّ لهذه الفرقة من هم أقل كفاءة وشجاعة ثم ارتدوا عند هجوم الأعداء يسببون انهزام الفرقة كلها[(٣)].

وقد اقتحم عاصم النهر بالستين على الخيول وقد ذُكر من طليعتهم الذين سبقوا إلى الشاطئ الآخر أصمُّ بني وَلاَّد التيمي، والكَلَج الضبيّ، وأبو مفزِّر الأسود بن قطبة، وشرحبيل بن السَّمط الكندي، وحَجْل العجلي، ومالك بن كعب الهمداني،

---

(١) التاريخ الإسلامي (١١/١٦٧) (٢) يعني ساحل البحر الشرقي (٣) التاريخ الإسلامي (١١/١٦٨)

وغلام من بني الحارث بن كعب فلما رآهم الأعاجم أعدُّوا لهم فرسانًا فالتقوا بهم في النهر قرب الشاطئ الشرقي، فقال عاصم: الرماح الرماح، أشرعوها وتوخَّوا العيون، فالتقوا فاطعنوا وتوخَّى المسلمون عيونهم، فولوّا نحو الشاطئ والمسلمون ينخسون خيولهم بالرماح لتسرع في الهروب فصارت تسرع وأصحابها لا يملكون منعها، ولحق بهم المسلمون فقتلوا عامتهم ونجا من نجا منهم أعورَ، ولحق بقية الستمائة بإخوانهم فاستولوا على الشاطئ الشرقي[1]

٥- المسلمون يقتحمون النهر:

لما رأى سعد عاصمًا على الفراضي قد منعها أذن للناس في الاقتحام وقال: قولوا: نستعين بالله ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وتلاحق مُعظم الجند فركبوا اللُّجَّة، وإنَّ دجلة لترمي بالزبد، وإنها لمسودَّة، وإن الناس ليتحدثون في مسيرهم على الأرض[2]، وكان الذي يساير سعدًا في الماء سلمان الفارسي فعامت بهم الخيل، وسعد يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرنّ الله وليَّه، وليظهرنّ الله دينه، وليهزمن الله عدوه إن لم يكن في الجيش بَغْي أو ذنوب تغلب الحسنات[3]، فقال له سلمان: الإسلام جديد، ذُلِّلتْ لهم والله البحور كما ذُلِّلَ لهم البر، أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجنّ منه أفواجًا كما دخلوه أفواجًا[4]، وقول سلمان ﷺ: الإسلام جديد، يعني لا يزال حيًّا وأتباعه أقوياء الإيمان معتزون به، وقد جعلوه قضيتهم التي من أجلها يحيون ومن أجلها يموتون، وإليها يدعون وعنها يدافعون، أما حين يتقادم العهد فإنه تأتي أجيال ترث هذا الدين وراثة لا اختيارا، ولا تجعله القضية التي تأخذ على أفرادها مشاعرهم واهتماماتهم، بل يجعلون همهم الأكبر هو العلو في الدنيا والتمتع بمتاعها ويصبح الدين أمرًا ثانويًا في قاموس حياتهم، فعند ذلك يخرجون منه أفواجًا كما دخلوه أفواجًا[5].

هذا وقد تم عبور المسلمين جميعًا سالمين لم يُصَب أحد منهم بأذى، ولم يقع

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤٥٦، ٤٥٧)
(٢) التاريخ الإسلامي (١١/ ١٦٩)
(٣، ٤) تاريخ الطبري (٤/ ٤٥٩)
(٥) التاريخ الإسلامي (١١/ ١٧٠)

منهم في النهر إلا رجل من بارق يدعى "غـرقدة" زال عن ظهر فرس شـقراء، فثنى القعقاع بن عمرو عنان فرسه إليه، فأخـذ بيده فجره حتى عبر، فقال البارقي ـ وكان من أشد الناس ـ أعـجَزْتَ الأخوات أن يلدن مـثلك يا قعـقاع، وكان للقـعقاع فـيه خؤولة[1]. لقد دهش الفرس من عبور المسلمين وهرب يزدجرد قاصدًا حلوان ودخل المسلمـون من غير مـعارض ونزل سـعد القـصر الأبيض واتخـذه مصلى وقـرأ قوله تعالى: ﴿ **كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ** ﴾ (الدخان،آية: ٢٥، ٢٨)، وصلى ثمان ركـعات صلاة الفتح وكان أول مـن دخل المدائن كتيبة الأهوال ثم الكتيـبة الخرساء[2] وكان الذي يقود كتـيبة الأهوال، عاصم بن عـمرو التميـمي، وأما الكتيبـة الخرساء فكان يقودها القعقاع بن عمرو[3]

٦- مواقف من أمانة المسلمين:

أ- **أحمـد الله وأرضى بثوابه:** لما هبط المسلمون المدائن وجـمعوا الأقبـاض أقبل رجل بِخُف معه، فـدفعه إلى صاحب الأقـباض، فقال: والذي معـه: ما رأينا مثل هذا قط، ما يعـدله ما عندنا ولا يقاربه، فـقالوا: هل أخذت منه شـيئًا؟ فقـال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به، فعرفوا أن للرجل شأنًا فقالوا: من أنت؟ فقال: لا والله لا أخبركم لتـحمدوني: ولا غيـركم ليقرِّظوني، ولكنني أحمـد الله وأرضى بثوابه، فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه، فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس[4]

ب- قال عصمة بن الحارث الضبي: خـرجت فيمن خرج يطلب فأخذت طريقًا مسلوكًا وإذا عليه حَمَّار، فلما رآني حثَّه فلحق بآخر قـدامه، فمالا وحثَّا حماريهما، فانتهيـا إلى جدول قد كُسر جسـره فثبتا حتى أتيـتهما، ثم تفرقا، ورمـاني أحدهما فألظظْت به (يعني تبعته) فقتلتـه وأفلت الآخر، ورجعت إلى الحمارين، فأتيت بهما صاحب الأقباض، فنظر فيما على أحـدهما فإذا سَفَطان في أحدهما فرس من ذهب

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤٥٩)
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٦٧)
(٣) إتمام الوفاء ص٨٥
(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٤٦٨)

مسرج بسرج من فضة على ثغر[١] ولببَه الياقوت والزمرُّد منظوم على الفضة ولجام كذلك، وفارس من فضة مكلَّل بالجواهر، وإذا في الآخر ناقة من فضة عليها شليل[٢] من ذهب وبطان من ذهب ولها زمام من ذهب، وكل ذلك منظوم بالياقوت، وإذا عليها رجل من ذهب مكلل بالجوهر، كان كسرى يضعها إلى إسطوانتي التاريخ[٣].

ج- خبر القعقاع بن عمرو:

لحق القعقاع بفارسي يحمي الناس فقتله، وإذا معه غلافان وعيبتان، وإذا في أحد الغلافين خمسة أسياف وفي الآخر ستة، وهي من أسياف الملوك من الفرس ومن الملوك الذين جرت بينهم وبين الفرس حروب وفيها سيف كسرى وسيف هرقل وإذا في العيبتين أدراع من أدراع الملوك وفيها درع كسرى ودرع هرقل، فجاء بها إلى سعد، فقال: اختر أحد هذه الأسياف فاختار سيف هرقل وأعطاه درع بهرام، وأما سائرها فنفلها كتيبة الخرساء التي هي بقيادة القعقاع ، إلا سيف كسرى والنعمان، فقد رأى أن يبعثهما إلى أمير المؤمنين لتسمع بذلك العرب لمعرفتهم بهما[٤]

هـ- ثناء الصحابة على أفراد الجيش:

أثنى أكابر الصحابة رضي الله عنهم على ذلك الجيش ومن ذلك قول سعد بن أبي وقاص: والله إن الجيش لذو أمانة ولولا ما سبق لأهل بدر لقلت على فضل أهل بدر[٥]، وقال جابر بن عبد الله: والله الذي لا إله إلا هو ما أطلعنا على أحد من أهل القادسية أنه يريد الدنيا مع الآخرة، ولقد اتهمنا ثلاثة نفر فما رأينا كالذي هجمنا عليه من أمانتهم وزهدهم: طليحة بن خويلد، وعمرو بن معد يكرب، وقيس بن المكشوح، وأكبر من ذلك ثناء أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لما رأى خُمس تلك الغنائم

---

(١) هو السير الذي في مؤخرة السرج .
(٢) هو ما يوضع على عجز البعير .
(٣) تاريخ الطبري (٤/٤٦٨) .
(٤) المصدر نفسه (٤/٤٦٧) .
(٥) التاريخ الإسلامي (١١/١٨١) ، تاريخ الطبري (٤ / ٤٦٨).

وكان معها سيف كسرى ومنطقته وزبرجده فقال: إن قومًا أدَّوا هذا لذَوو أمانة، فقال علي ﷺ: إنك عففت، فعفَّت الرعية ولو رتعت لرتعت(١).

و- موقف عمر ﷺ من نوادر الغنائم:

بعث سعد بن أبي وقاص أيام القادسية إلى عمر بقباء كسرى وسيفه ومنطقته وسواريه وسراويله وقميصه وتاجه وخفَّيه وقد كانت غالية الثمن كالحرير والذهب والجوهر، فنظر عمر في وجوه القوم، وكان أجسمهم وأبدنهم قامة سراقة بن مالك بن جعشم، فقال: يا سُراقة قم فالبس، قال سراقة: فطمعت فيه، فقمت فلبست فقال: أدبر فأدبرت، ثم قال: أقبل فأقبلت، ثم قال بخٍ بخٍ أعرابي من مدلج عليه قباء كسرى وسراويله وسيفه ومنطقته وتاجه وخفاه، رب يوم يا سراقه بن مالك لو كان عليك فيه هذا من متاع كسرى وآل كسرى كان شرفًا لك ولقومك، انزع فنزعت فقال: اللهم إنك منعت هذا رسولك ونبيك وكان أحب إليك مني وأكرم عليك مني، ومنعته أبا بكر وكان أحب إليك مني وأكرم عليك مني وأعطيتنيه فأعوذ بك أن تكون أعطيتنيه لتمكر بي، ثم بكى حتى رحمه من كان عنده، ثم قال لعبد الرحمن ابن عوف أقسمت عليك لما بِعتْه ثم قسمته قبل أن تمسي(٢)

سابعًا- موقعة جلولاء:

اجتمع الفرس على مفترق الطرق إلى مدائنهم في جلولاء فتذامروا وقالوا: إن افترقتم لم تجتمعوا أبدًا، وهذا مكان يفرق بيننا فهلموا فلنجتمع للعرب به ولنقاتلهم فإذا كانت لنا فهو الذي نريد وإن كانت الأخرى كنا قد قضينا الذي علينا وأبلينا عذرًا، واجتمعوا على قيادة مهران الرازي، وحفروا خندقًا حول مدينتهم وأحاطوا به الحسك من الخشب إلا الطرق التي يعبرون منها وقد كتب سعد بن أبي وقاص إلى أمير المؤمنين عمر يخبره بذلك، فكتب إلى سعد يأمره ببعث هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى جلولاء في اثني عشر ألفًا، وأن يجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو التميمي وعلى ميمنته مسعر بن مالك، وعلى ميسرته عمرو بن مالك بن عتبة وعلى

---

(١) تاريخ الطبري (٤/٤٦٨)

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٤٧٢، البداية والنهاية (٧/ ٦٨)

ساقته عمر بن مرة الجهني، وسار إليهم هاشم بجيشه فحاصرهم وطاولهم أهل فارس فكانوا لا يخرجون لهم إلا إذا أرادوا، وزاحفهم المسلمون ثمانين زحفًا، كل ذلك يعطي الله المسلمين عليهم الظفر، وغلبوا المشركين على حسك الخشب التي اتخذوها لإعاقة المسلمين فاتخذ الأعداء حسك الحديد، وجعل هاشم يقوم في الناس ويقول: إن هذا المنزل منزل له ما بعده وجعل سعد يمده بالفرسان، حتى إذا طال الأمر وضاق الأعداء من صبر المسلمين اهتموا بهم فخرجوا لقتالهم فقال: ابتلوا الله بلاءً حسنا ليتم لكم عليه الأجر والمغنم واعملوا لله، فالتقوا فاقتتلوا، وبعث الله عليهم ريحًا أظلمت عليهم البلاد فلم يستطيعوا إلا المحاجزة، فتهافت فرسانهم في الخندق فلم يجدوا بدًّا من أن يردموا الخندق مما يليهم لتصعد منه خيلهم فأفسدوا حصنهم[1] فلما بلغ المسلمين ما قام به الأعداء من ردم الخندق قالوا: ننهض إليهم ثانية فندخله عليهم أو نموت دونه، فلما نهض المسلمون لقتالهم خرجوا فرَموا حول الخندق مما يلي المسلمين بحسك الحديد لكيلا تقدم عليهم الخيل وتركوا مكانًا يخرجون منه على المسلمين فاقتتلوا قتالاً شديدًا لم يقتتلوا مثله إلا ليلة الهرير وهي من ليالي القادسية إلا أنه كان أقصر وأعجل، وانتهى القعقاع بن عمرو في الوجه الذي زاحف فيه إلى باب خندقهم فأخذ به وأمر منادٍ يقول: يا معشر المسلمين هذا أميركم قد دخل خندق القوم وأخذ به فأقبلوا إليه ولا يمنعنَّكم من بينكم وبينه من دخوله وإنما أمر بذلك لِيُقَوِّيَ المسلمين به ـ فحمل المسلمون وهم ولا يشكُّون في أن هاشمًا فيه فلم يقم لحملتهم شيء حتى انتهوا إلى باب الخندق فإذا هم بالقعقاع بن عمرو وقد أخذ به وأخذ المشركون في هزيمة يمنة ويسرة عن المجال الذي بحيال خندقهم، فهلكوا فيما أعدوا للمسلمين فُعقرت دوابهم ـ يعني بسبب حسك الحديد التي أعدوها للمسلمين ـ وعادوا رجّالة، وأتبعهم المسلمون، فلم يفلت منهم إلا من لا يُعَدّ، وقتل الله منهم يومئذ مائة ألف، فجلَّلت القتلى المجال وما بين يديه وما خلفه، فسميت جلولاء بما جللها من قتلاهم، فهي جلولاء الوقيعة[2]

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤٧٥)

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٤٧٥)

أ- إن جندنا أطلقوا بالفَعال لساننا:

وبعث سعد بن أبي وقاص زياد بن أبيه بالحسابات المالية إلى أمير المؤمنين، وكان زياد هو الذي يكتب للناس ويدوِّنهم فلما قدم على عمر كلمه فيما جاء له ووصف له فقال عمر: هل تستطيع أن تقوم في الناس بمثل ما كلمتني به؟ فلا أقوى على هذا من غيرك! فقام في الناس بما أصابوا وبما صنعوا، وبما يستأذنون فيه من الانسياح في البلاد، فقال عمر: هذا الخطيب المصقع، فقال زياد: إن جندنا أطلقوا بالفَعال لساننا[1]

ب- موقف عمر من غنائم جلولاء:

انتهت معركة جلولاء بانتصار المسلمين، وقد غنموا فيها مغانم عظيمة أرسلوا بأخماسها إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فقال حين رآه: والله لا يُجنُّه سقف بيت حتى أقسمه فبات عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن أرقم يحرسانه في صحن المسجد، فلما أصبح جاء في الناس فكشف عنه جلابيبه ـ وهي الأنطاع ـ فلما نظر إلى ياقوته، وزبرجده وجوهره بكى، فقال له عبد الرحمن: ما يبكيك يا أمير المؤمنين فوالله إن هذا لموطن شكر! فقال عمر: والله ما ذاك يبكيني، والله ما أعطى الله هذا قومًا إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلا ألقي بأسهم بينهم[2]، وهذا لون من حساسية الإيمان المرهفة، حيث يدرك المؤمن الراسخ من نتائج الأمور المستقبلية ما لا يخطر على بال غيره، فيحمله الإشفاق على المؤمنين من أن يكدر صفو علاقاتهم الإيمانية شائبة من شوائب الدنيا التي تباعد بين القلوب، يحمله ذلك على التأثر العميق الذي يصل إلى تحدر دموعه أمام الناس وإنه لعجيب أن تنهمر الدموع من عيني رجل بلغ من القوة حدًا يخشاه أهل الأرض قاطبة مسلمهم وكافرهم ومنافقهم، ولكنها الرحمة التي حلَّى بها الله -جل وعلا- قلوب المؤمنين، فأصبحوا كما وصفهم الله -سبحانه وتعالى- بقوله: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم**

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤٧٩)

(٢) المصدر نفسه (٤/ ٤٨٠)

مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح، آية: ٢٩).

ثامنًا- فتح رامهرمز:

كان الفرس قد بدأو بالتجمع مرة أخرى بتحريض من ملكهم يزْدجرد، فاجتمعوا في رامهرمز بقيادة الهرمزان، وقد كان سعد بن أبي وقاص أخبر أمير المؤمنين بخبر اجتماعهم فأمره بأن يجهز إليهم جيشًا من أهل الكوفة بقيادة النعمان بن مقرن، وأمر أبا موسى الأشعري بأن يجهز جيشًا من البصرة بقيادة سهل بن عدي، وإذا اجتمع الجيشان فعليهم جميعًا أبو سبرة بن أبي رهم، وكل من أتاه فهو مدد له وخرج النعمان بن مقرن في أهل الكوفة، ثم سار نحو "الهرمزان" والهرمزان يومئذ برامهرمز ـ ولما سمع الهرمزان بمسير النعمان إليه بادره الشدَّة ورجا أن يقتطعه ، وقد طمع الهرمزان في نصر أهل فارس، وقد أقبلوا نحوه، ونزلت أوائل أمدادهم تنتشر، فالتقى النعمان والهرمزان بأربك، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، ثم إن الله - عز وجل - هزم الهرمزان للنعمان، وأخلى رامهرمز ولحق بتستر وأما سهل بن عدي فإنه سار بأهل البصرة يريد رامهرمز فأتتهم المعركة وهم بسوق الأهواز، وأتاهم الخبر بأن الهرمزان قد لحق بتستر، فمالوا إلى تستر، ومال إليها النعمان بأهل الكوفة[1]

تاسعًا- فتح تستر:

وصل جيش النعمان بن مقرن وجيش سهل بن عدي إلى تستر، واجتمعا تحت قيادة أبي سبرة بن أبي رُهْم، وقد استمد أبو سبرة أمير المؤمنين فأمدهم بأبي موسى الأشعري فأصبح قائد جيش البصرة، وظل أبو سبرة قائد الجيش كله وقد بقي المسلمون في حصار تستر عدة شهور قابلوا فيها جيش الأعداء في ثمانين معركة وظهرت بطولة الأبطال بالمبارزة فاشتهر منهم عدد بقتل مائة مبارز سوى من قتلوا

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٦١، ٦٢)

في أثناء المعارك، وقد ذكر منهم : البراء بن مالك ومجزأة بن ثورة وكعب بن سور وأبو تميمة وهم من أهل البصرة وفي الكوفيين مثل ذلك ذُكر منهم حبيب بن قرة ورِبْعي بن عامر، وعامر بن عبد الله الأسود[1].

ولما كان آخر لقاء بين المسلمين وأعدائهم، واشتد القتال نادى المسلمون البراء بن مالك وقالوا: يا براء ـ أقسم على ربك ليهزمنَّهم لنا، فقال: اللهمَّ اهزمهم لنا، واستشهدني، وقد باشر المسلمون القتال وهزموا أعداءهم حتى أدخلوهم خنادقهم ثم اقتحموها عليهم وإنه لما ضاق الأمر على الفرس واشتد عليهم الحصار اتصل اثنان منهم في جهتين مختلفتين بالمسلمين وأخبراهم بأن فتح المدينة يكون من مخرج الماء، وقد وصل الخبر إلى النعمان بن مقرن، فندب أصحابه كذلك، فالتقى الأبطال من أهل الكوفة والبصرة في ذلك المكان ليلاً، ودخلوا منه سباحةً إلى المدينة فكبَّروا وكبر من وقفوا في الخارج، وفتحوا الأبواب، فأبادوا من حولها بعد شيء من المقاومة[2]، وقد استشهد في هذه المعركة البراء بن مالك ومجزأة بن ثور حيث رماهما الهرمزان، وكان استشهادهما بعد انتصار المسلمين في المعركة ولجأ الهرمزان قائد الفرس إلى القلعة، وأطاف به المسلمون الذين دخلوا من مخرج الماء، فلما عاينوه وأقبلوا قِبلَه قال لهم: ما شئتم ، قد ترون ضيق ما أنا فيه وأنتم ومعي في جعبتي مائة نشَّابه، ووالله ما تصلون إليَّ ما دام معي نشابة، وما يقع لي سهم، وما خير إساري إذا أصبت منكم مائة بين قتيل وجريح، قالوا: فتريد ماذا؟ قال: أن أضع يدي في أيديكم على حكم عمر يصنع بي ما شاء قالوا: فلك ذلك، فرمى بقوسه وأمكنهم من نفسه، فشدوا وثاقه وأرصدوه ـ أي راقبوه ـ ليبعثوا إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، ثم تسلموا ما في البلد من الأموال والحواصل، فاقتسموا أربعة أخماسه، فنال كل فارس ثلاثة آلاف وكل راجل ألف درهم[3] وفي غزوة تستر دروس وعبر منها:-

● **ما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما عليها:**

قال أنس بن مالك أخو البراء: شهدت مناهضة حصن تستر عند إضاءة الفجر

(١، ٢) التاريخ الإسلامي (١١/ ٢٠٢)

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٦٣، ٦٤)

واشتد اشتعال القتال فلم يقدروا على الصلاة، فلم نصل إلا بعد ارتفاع النهار فصليناها ونحن مع أبي موسى ففتح الله لنا، قال أنس بن مالك الأنصاري: ما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما عليها[١]

● **وسامٌ من أوسمة الشرف ناله البراء بن مالك:**

علّق النبي ﷺ على صدر البراء بن مالك وسامًا عظيمًا من أوسمة الشرف وذلك بقوله: (كم من أشعث أغبر ذي طِمْرين لا يُؤبَه له، لو أقسم على الله لأبرَّه، منهم البراء بن مالك)[٢]، فقد كان البراء مستجاب الدعوة، وعرف الناس عنه ذلك بموجب هذا الحديث ولذلك طلبوا منه في هذه المعركة أن يدعو الله ليهزم عدوهم، ومع هذا الثناء العظيم من رسول الله ﷺ على البراء فإنه لم يَبْطَر ولم يتكبر، بل ظل الرجل المتواضع الذي يقتحم الأهوال، ويأتي بأعظم النتائج، من غير أن تكون له إمرة أو قيادة وإذا كان قد سأل الله تعالى النصر للمسلمين وهو عزٌّ لهم وللإسلام فإنه لم يُغفل نفسه أن يسأل الله تعالى أغلى ما يتمناه المؤمن القوي الإيمان، حيث سأل الله تعالى الشهادة، وقد استجاب الله تعالى دعاءه فهزم الأعداء، ورزقه الشهادة في ذلك اليوم[٣].

٣- خبر أمير المؤمنين عمر مع الهرمزان:

وأرسل أبو سَبرة بن أبي رُهم قائد المسلمين في تلك المعارك وفدًا إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، وأرسل معهم الهرمزان، حتى إذا دخلوا المدينة هيأوا الهرمزان في هيئته، فألبسوه كسوته من الديباج الذي فيه الذهب، ووضعوا على رأسه تاجًا يُدعى الأذين مكللاً بالياقوت وعليه حليته، كيما يراه عمر والمسلمون في هيئته، ثم خرجوا به على الناس يريدون عمر في منزله فلم يجدوه، فسألوا عنه فقيل لهم: جلس في المسجد لوَفد قدموا عليه من الكوفة، فانطلقوا يطلبونه في المسجد، فلم يروه، فلما انصرفوا مرُّوا بغلمان من أهل المدينة يلعبون، فقالوا لهم: ما تلدُّدكم[٤]؟

---

(١) الأنصار في العصر الراشدي ص٢٢٣

(٢) سنن الترمذي، ك المناقب (٥/ ٦٥٠) رقم ٣٨٥٤.

(٣) التاريخ الإسلامي (١١/ ٢٠٤)

(٤) يعني: لماذا تلتفتون يميناً وشمالاً.

أتريدون أمير المؤمنين؟ فإنه نائم في ميمنة المسجد، متوسدًا برنسه - وكان عمر قد جلس لوفد أهل الكوفة في برنس - فلما فرغ من كلامهم وارتفعوا عنه وأخلوه نزع برنسه ثم توسده فنام - فانطلقوا ومعهم النظارة حتى إذا رأوه جلسوا دونه وليس في المسجد نائم ولا يقظان غيره، والدِّرة في يده معلقة فقال الهرمزان: أين عمر؟ فقالوا: هو ذا ، وجعل الوفد يشيرون إلى الناس أن اسكتوا عنه وأصغى الهرمزان إلى الوفد فقال: أين حرسه وحُجَّابه عنه؟ قالوا: ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب ولا ديوان، قال: فينبغي له أن يكون نبيًا، فقالوا: بل يعمل عمل الأنبياء، وكثر الناس فاستيقظ عمر بالجلبة فاستوى جالسًا ثم نظر إلى الهرمزان، فقال الهرمزان؟ قالوا: نعم، فتأمله وتأمل ما عليه وقال: أعوذ بالله من النار؟ واستعان الله، وقال: الحمد لله الذي أذل بالإسلام هذا وأشياعه، يا معشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين، واهتدوا بهدي نبيكم ﷺ ، ولا تُبطرنكم الدنيا فإنها غرارة. فقال الوفد: هذا ملك الأهواز فكلِّمه ، فقال: لا حتى لا يبقى عليه من حليته شيء فُرمي عنه بكل شيء عليه إلا شيئًا يستره، وألبسوه ثوبًا صفيقًا، فقال عمر: هيه ياهرمزان! كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله؟ فقال: يا عمر إنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلَّى بيننا وبينكم، فغلبناكم إذ لم يكن معنا ولا معكم، فلما كان معكم غلبتمونا، فقال عمر: إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا، ثم قال عمر: ما عذرك وما حجتك في انتقاضك مرة بعد مرة؟ فقال: أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك، قال: لا تخف ذلك، واستسقى ماء، فأتى به في قدح غليظ، فقال: لو متُّ عطشًا لم أستطع أن أشرب في مثل هذا ، فأتي به في إناء يرضاه، فجعلت يده ترجف، وقال إني أخاف أن أُقتل وأنا أشرب الماء، فقال عمر: لا بأس عليك حتى تشربه، فأكفأه فقال عمر: أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش، فقال: لا حاجة لي في الماء، إنما أردت أن أستأمن به، فقال له عمر: إني قاتلك ، قال: قد آمنتني، فقال كذبت، فقال أنس: صدق يا أمير المؤمنين، قد أَمَّنته، قال ويحك يا أنس أنا أُؤمِّن قاتل مجزأة والبراء، والله لتأتين بمخرج أو لأعاقبنك قال: قلت له: لا بأس عليك حتى تخبرني، وقلت: لا بأس عليك حتى تشربه، وقال له من حوله

مثل ذلك فأقبل على الهرمزان وقال: خدعتني ، والله لا أنخدع إلا لمسلم ، فأسلم، ففرض له على ألفين، وأنزله المدينة[١].

عاشــراً: فتح مدينة جُنْدَيْ سابور:

لما فرغ أبو سـبرة بن أبي رهم من فـتح بلاد السوس خرج في جـنده حتى نزل على "جندي سابور" وكـان زر بن عبد الـله بن كليب محاصـرهم، وأقاموا عليـها يغادونهم ويراوحونهم الـقتال، فمازالوا مقـيمين عليها حـتى رُمي إليهم بالأمان من المسلمين وكان فتحها وفتح نهاوند في مقدار شهرين، فلم يفاجأ المسلمون إلا وأبوابها تفتح، ثم خرج السرح، وخرجت الأسـواق، وانبثّ أهلها، فأرسل المسلمون أن ما لكم؟ قالوا: رميتم لنا بالأمان فقـبلناه، وأقررنا لكم بالجزاء على أن تمنعونا، فقالوا: ما فعلنا، فقالوا: ما كذبنا فتساءل المسلمـون فيما بينهم، فإذا عبد يُدعَى مكنفًا كان أصله منها، هو الذي كـتب لهم فقالوا: إنما هو عـبد، فقالوا: لا نعـرف حُرَّكم من عبدكم ، قد جاء أمـان فنحن عليه قد قبلناه ولم نبدِّل فإن شئـتم فاغدروا، فأمسكوا عنهم، وكتبوا بذلك إلى عمـر، فكتب إليهم: إن الله تعالى عظَّم الوفاء فلا تكونون أوفياء حتى تفـوا، ما دمتم في شك أجيزوهم ووَفُّوا لهم، فـوفوا لهم وانصرفوا[٢]، وهذا مثـال يدل على تفوق المسلمين الشاسع في مـجال مكارم الأخلاق على جـميع أعدائهم مـن الكفار ولا شك أن هذا التفـوق الأخلاقي كـان من الدوافع الأساسـية لدخول الكفار في الإسلام بتلك الكثافة والسرعة المذهلة[٣]

١- النعمان بن مقرن ومدينة كسكر:

كان النعـمان بن مُقرِّن واليًـا على كسكر، فكتب إلى عمر ﷺ : مـثلي ومثل كسكر كمثل رجل شابٍّ وإلى جانبه مُـومسة تلوَّن له وتعطَّر، فأنشدك الله لما عزلتني عن كـسكر، وبعثـتني إلى جيش من جـيوش المسلمين، فكتـب إليه عمـر: أن ائت الناس بنهاوند، فأنت عليهم[٤].

(١) تاريخ الطبري (٥/٦٦).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٧٢).
(٣) التاريخ الإسلامي (١١/٢١٧).
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ١٠٩).

المبحث الثالث

معركة نهاوند (فتح الفتوح) المرحلة الرابعة ٢١هـ

كان المسلمون قد انتصروا على جيوش الفرس في معارك عديدة متتالية، وأضحوا يطاردون فلول تلك الجيوش دون أن يتركوا لها فرصة لالتقاط أنفاسها، فمنذ انتصارهم الساحق في معركة القادسية بالعراق حتى المعركة الحاسمة في نهاوند، مرت أربع سنوات كان المسلمون ينتقلون خلالها من نصر إلى نصر، وكانت تلك الجيوش تتابع تقدمها لكي تقضي على ما تبقى من فلول جيوش الامبراطورية الهرمة، لولا أن أوامر الخليفة عمر ﷺ كانت تقضي بالتوقف أمام جبال زاغروس وعدم تجاوزها، وذلك بغية إعادة تنظيم الجيوش المنهكة من القتال المستمر، وتنظيم إدارة الأقاليم المفتوحة [1] ولقد أثارت الهزائم المتتالية التي ألحقها المسلمون بالفرس - بعد القادسية خاصة- حفيظتهم وحِنْقَهُم ولم تكن كافية على ما يبدو للقضاء نهائيًّا على مقاومتهم فكتب أمراؤهم وقادتهم إلى مليكهم (يزدجرد) يستنهضونه للقتال من جديد، فعزم عليه، وأخذ يعد العدة للعودة إلى قتال المسلمين فيما تبقى له في بلاده من معاقل ومعتصمات، فكتب إلى أهل الجبال من الباب إلى سجستان فخراسان أن يتحركوا للقاء المسلمين وواعدهم جميعًا نهاوند، وكان قد وقع عليها كمركز أخير للمقاومة، وكميدان للمعركة الحاسمة فهي مدينة منيعة تحيط بها الجبال من كل جانب ولا يمكن الوصول إليها إلا عبر مسالك وعرة صعبة، وقد تحشّد الفرس في هذه المدينة واجتمع ليزدجرد فيها مائة وخمسون ألف مقاتل: ثلاثون ألفًا من الباب إلى حلوان، وستون ألفًا من خراسان إلى حلوان، ومثلها من سجستان إلى حلوان، فجعل يزدجرد عليهم الفيرزان قائدًا[2].

كان سعد بن أبي وقاص في الكوفة حين علم بخبر الحشود الفارسية فكتب إلى الخليفة عمر ينبئه بذلك ويستأمره، شارحًا له الوضع من مختلف جوانبه، فجمع

---

(١) انظر: الفن العسكري الإسلامي ص(٢٨٤)

(٢) انظر: الفن العسكري الإسلامي ص(٢٨٥)

عمر في المدينة أهل الرأي والمشورة من المسلمين واستشارهم في الأمر، ثم قرر بعدها إرسال جيش لقتال الفرس في معقلهم الأخير "نهاوند"، وكان النعمان بن مقرن المزني يومئذ عاملاً على كسكر، وكان قد كتب إلى الخليفة كتابًا يقول له فيه: (مَثلي ومثل كسكر كمثل رجل شاب إلى جنبه مومسة تلون له وتعطر، فأنشدك الله لما عزلتني عن كسكر وبعثتني إلى جيش من جيوش المسلمين)(١).

واستشار عمر مجلس شوراه وتقرر أن يتولى قيادة جيوش المسلمين في نهاوند النعمان بن مقرن، ووضع الخليفة خطة لتعبئة جيش المسلمين على الشكل التالي:

- النعمان بن مقرِّن المزني (والي كسكر) قائدًا عامًا للجيش.
- حذيفة بن اليمان ـ قائدًا لفرقة تعبأ من أهل الكوفة.
- أبو موسى الأشعري (والي البصرة) قائدًا لفرقة تعبأ من أهل البصرة.
- عبد الله (بن عمر بن الخطاب): قائدًا لفرقة تعبأ من المهاجرين والأنصار.
- سلمى بن القين، وحرملة بن مريطة، وزر بن كليب، والأسود بن ربيعة، وسواهم من قادة المسلمين في الأهواز وباقي بلاد فارس: احتياط ومشاغلة للأعداء.

وكتب عمر إلى الولاة والقادة بتعليماته، واستطاع الفاروق أن يحشد جيشًا مقداره ثلاثين ألف مقاتل(٢) وتحرك جيش الإسلام بقيادة النعمان بن مقرن إلى نهاوند.

ووجدها محصنة تحصينًا قويًا وحولها خندق عميق وأمام الخندق حسك شائك مربع الأضلاع يثبت منه ضلع في الأرض وتظل الأضلاع الثلاثة الباقية أو اثنان منها على الأقل فوق سطحها، لتعيق تقدم المهاجمين أو تؤذي خيالتهم بإحداث ثقوب في حوافر جيادهم مما يمنعها من متابعة الجري، أما جيش الفرس داخل سور المدينة فكان على تعبئة وقد انضم إليه بنهاوند "كل من غاب عن القادسية"، وقد ركز الفيرزان رماته باتجاه محاور التقدم المحتملة للمسلمين كي يطالوا جندهم بنبالهم إذا ما حاولوا التقدم(٣).

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١٠٩)

(٢) انظر: الفن العسكري الإسلامي ص(٢٨٦)

(٣) انظر: الفن العسكري الإسلامي ص (٢٨٨)

لقد اصطدمت خيول المسلمين بالحسك الشائك ثم بالخندق فلم يستطيعوا اجتيازها، بينما تولى رماة الفرس رمي جند المسلمين الذي تمكنوا من الاقتراب من السور، واستمر الأمر كذلك لمدة يومين ورأى النعمان أن يجمع أركان الجيش الإسلامي لتدارس الوضع معه، وخرجوا نتيجة الاجتماع بالخطة التالية، وكان صاحبها طليحة بن خويلد الأسدي:

١- تخرج خيول المسلمين فتنشب القتال مع الفرس، وتستفزهم حتى تخرجهم من أسوارهم.

٢- إذا خرجوا تقهقرت خيول المسلمين أمامهم فيعتقدون تراجعها ضعفًا ويطمعون بالنصر، فيلحقون بها وهي تجري أمامهم.

٣- تستدرج خيول المسلمين -المتظاهرة بالهزيمة- الفرس إلى خارج أسوارهم ومواقعهم.

٤- يفاجئ المسلمون -الذين يكونون قد كمنوا في أماكن محددة ومموهة- الفرس المتدفقين خلف خيول المسلمين، ويطبقون عليهم وهم بعيدون عن مراكزهم وخنادقهم وأسوارهم[١]، وشرع النعمان لتنفيذ هذه الخطة ووزع قواته فرقًا على الشكل التالي:

- الفرقة الأولى: خيالة بقيادة القعقاع بن عمرو ومهمتها تنفيذ عملية التضليل وفقًا للخطة المرسومة آنفًا، واقتحام أسوار العدو والاشتباك معه.

- الفرقة الثانية: مشاة بقيادته هو، ومهمتها التمركز في مواقع ثابتة ومموهة بانتظار وصول الفرس إليها حيث تنشب القتال معها في معركة جبهية.

- الفرقة الثالثة: خيالة، وهي القوة الضاربة في الجيش، ومهمتها التمركز في مواقع ثابتة ومموهة ثم الهجوم على قوات العدو من الجانبين.

(١) انظر: تاريخ الطبري (٥/ ١١٣)

- وأمر النعمان المسلمين في كمائنهم (أن يلزموا الأرض ولا يقاتلوهم حتى يأذن لهم)[١]، والتزم المسلمون بالأمر ينتظرون إشارة النعمان بالهجوم. وشرع القعقاع في تنفيذ الخطة ونجح نجاحًا رائعًا، وكانت مفاجأة الفرس مذهلة عندما وجدوا أنفسهم، في آخر المطاف محاصرين بين قوات المسلمين التي شرعت سيوفهم في حصد رقاب المشركين ولاذ المشركون بالفرار ليتحصنوا بخندقهم وحصونهم إلا أنهم وقعوا في خنادقهم وفي الحسك الشائك ،واستمر المسلمون يطاردونهم ويعملون سيوفهم في ظهورهم وأقفيتهم حتى سقط من الفرس ألوف في الخندق واستطاع القعقاع أن يطارد الفيرزان فلحقه وقضى عليه ودخل المسلمون، بعد هذه المعركة "نهاوند" ثم همذان، ثم انطلقوا بعد ذلك يستكملون فتح ما تبقى من بلاد فارس دون مقاومة تذكر، ولم يكن للفرس بعد نهاوند اجتماع ، وملك المسلمون بلادهم، لذلك سميت معركة نهاوند بفتح الفتوح[٢].

لقد ظهر فقه الفاروق في معركة نهاوند في عدة أمور منها:

١- التحشد ومنع العدو من التحشد حيث لم يكتف الخليفة عمر رضي الله عنه بأن أمر عماله في الكوفة والبصرة والمسلمين في الجزيرة بالتحشد لقتال الفرس بل أمر قادته في الأهواز وباقي بلاد فارس أن يمنعوا العدو من التحشد فكلف سلمى بن القين وحرملة بن مريطة وزر بن كليب والأسود بن ربيعة وسواهم أن يقيموا على حدود ما بين فارس والأهواز وأن يمنعوا الفرس من الانضمام إلى الجيش المتحشد في نهاوند ، وهكذا فقد أقام هؤلاء القادة في تخوم أصبهان وفارس وقطعوا الإمداد عن نهاوند[٣].

٢- تعيين القادة إن مات قائد الجيوش:

كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم يوم مؤتة (٨هـ/ ٦٢٩م) عندما أمَّر على المسلمين زيد بن حارثة فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١١٤)

(٢،٣) انظر: الفن العسكري الإسلامي ص(٢٩٤)

رواحة على الناس، كـذلك فعل عمـر الفاروق يوم نهـاوند عندما أمَّر النعـمان على المسلمين فإن حدث بالنعمان حدث فعلى الناس حذيفة بن اليمان، فإن حدث بحذيفة حدث فعلى الناس نعيم بن مقرن وتميز النعمـان بقيادته الرفيعة والتي ظهرت في عدة أمور:

أ- الاستطلاع قبل السير للقتال:

كلف النعمان -قبل السير بجيشه نـحو نهاوند وكان على بعد "بضعة وعشرين فرسخًـا" منها- كلاً من طليحـة بن خويلد الأسدي وعـمرو بن أبي سلمى العنزي وعمـرو بن معـد يكرب الزبيدي بالتـقدم نحوها واسـتطلاع الطريق الموصلة إليـها ومعـرفة ما إذا كـان من عدو بينه وبينهـا ، فسار الثـلاثة مقدار يـوم وليلة ثم عادوا ليبلغوا القائد العام أن ليس بينه وبين نهاوند شيء يكرهه ولا أحد فكانت هذه البعثة أشبـه بما يعـرف في عصـرنا بالطليعـة "أو المفرزة المتـقدمـة" التي تسبق أي جـيش لاستطلاع الطريق له قبل تقدمه، ومع ذلك أخذ النعمان كل الاحتياطات اللازمة عند تحركه بجيشه فسار "على تعبئة" كما يفترض أن يسير.

ب- عملية التضليل:

وكانت "عـملية التضلـيل" التي نفذها المسلمون في نـهاوند من أروع المناورات العسكرية الـتي يمكن أن ينفذها جيش في التـاريخ القديم والحـديث، فعندما عـجز المسلمون عن اقـتحام أسـوار المدينة المحصنة والمحمـية بالخندق المحيط بهـا وبالحسك الشائك وبالرماة المهرة، وقدروا أن الحصـار سوف يستمر طويلاً دون جدوى طالما أن لدى الفرس المحاصـرين داخل أسوار المدينة من الذخائر والمؤن ما يكفيهم لـلمقاومة مدة طويلة ، رأوا أن يعمدوا إلى الحيلة في استـدراج العدو وإخراجه من "جحوره" ومواقعـه، لكي يقاتلوه خارج تلك الأسوار فيكونون قـد فرضوا عليه ميـدان القتال الذي اختاروه بأنفسـهم وقد تم ما قدَّره المسلمون تمامًا ، فاسـتُدرج العدو إلى مواقع حددها المسلمون للقتـال حيث كمنوا له ثم نازلوه في تلك المواقع جبهـيًّا ومن كل

جانب ، ففوجئ ثم ذعر فأسقط في يده وانهزم وليس هناك من حيلة أخرى يمكن أن يلجأ إليها خصم لإحراج خصمه وإخراجه والتغلب عليه أفضل من هذه الحيلة[١] .

ج- اختيار ساعة الهجوم:

وقد تكلمت كتب التاريخ عن صبر النعمان بن مقرن وحنكته المتميزة المتناهية في اختيـار ساعة الهجوم التي كان رسـول الله ﷺ يحبها عند الزوال، وتفيـؤ الأفياء وهبوب الرياح.

لقد نال النعمان بن مقرن الشهادة في تلك المعـركة الحاسمة ووصل خبر النعمان إلى أمير المؤمنين فقال: (إنّا لله وإنا إليه راجـعون) وبكى ونشج واشتد حزنه وسأل عن الشهداء فسمى له أسماء لا يعرفهـا فقال: أولئك المستضعفون من المسلمين ولكنَّ الذي أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وأنسابهم وما يصنع أولئك بمعرفة عمر[٢]؟

ومما يستحـق الذكر أن المسلمين عثروا في غنائم نهـاوند على سفطين[٣] مملوءين جوهرًا نفيسًا من ذخائر كسرى فأرسلهما حذيفة أمير الجيش إلى عمر مع السائب بن الأقرع، فلمـا أوصلهما له قال: (ضـعهما فـي بيت المال، والحق بجندك). فركب راحلته ورجع فأرسل عـمر وراءه رسولاً يُخِب السيَر في أثره حتى إنه لحـقه بالكوفة فأرجعه[٤]. فلما رآه عمر قال: مالي وللسائب ما هو إلا أن نمت الليلة التي خرجت فيها ، فـباتت الملائكة تسحبني إلى السفطين يشتـعلان نارًا؟ يتوعدوني بالكيِّ إن لم أقسمهما فخذهما عني وبعهما في أرزاق المسلمين فبيعا بسوق الكوفة .

فـرضي الله عنك ياعمـر لقـد سرت بسـيرة نبـيك فعـزْزتَ وأعززت الإسـلام والمسلمين ، اللهم ألهمنا الاتباع واكفنا شر الابتداع[٥].

وبعد مـعركة نهـاوند تسارع زعماء الـفرس من همذان وطبـرستان، وأصبـهان وطلبوا الصلح وتم لهم ذلك على التوالي[٦].

---

(١) انظر: الفن العسكري الإسلامي ص(٢٩٥،٢٩٦) .
(٢) انظر: البداية والنهاية (٧/ ١١٣)
(٣) السفط: وعاء من قضبان الشجر
(٤) انظر: البداية والنهاية (٧/ ١١٤)
(٥) انظر: إتمام الوفاء ص(٩٨)
(٦) انظر: إتمام الوفاء ص (٩٩، ١٠٠،١٠١)

المبحث الرابع

الإنسياح في بلاد العجم (المرحلة الخامسة)

بعد انتصار المسلمين في موقعة نهاوند لم يقم للفرس أمر، وانساح المسلمون في بلاد العجم وأذن لهم عمر في ذلك فافتتح المسلمون بعد نهاوند مدينة جَيّ - وهي مدينة أصْبهان[١] بعد قتال كثير وأمور طويلة ، فصالحوا المسلمين وكتب لهم عبد الله ابن عبد الله كتاب أمان وصلح وفر منهم ثلاثون نفرًا إلى كرْمان لم يصالحوا المسلمين، وفي سنة إحدى وعشرين افتتح أبو موسى قُمَّ وقاشان[٢]، وافتتح سهيل ابن عدي مدينة كَرْمان.

أولاً: فتح همَذَان ثانية ٢٢هـ:

تقدم أن المسلمين لما فرغوا من نهاوند فتحوا حُلْوان وهمذان ثم إن أهل همذان نقضوا عهدهم الذي صالحهم عليه القعقاع بن عمرو، فكتب عمر إلى نعيم بن مقرن أن يسير إلى همذان فسار حتى نزل على ثنية العسل ، ثم تحدر على همذان ، واستولى على بلادها وحاصرها فسألوه الصلح فصالحهم ودخلها فبينما هو فيها ومعه اثنا عشر ألفًا من المسلمين إذ تكاتب الديلم، وأهل الرِّيِّ وأهل أذر بيجان ، واجتمعوا على حرب نعيم بن مقرن في جمع كثير، فخرج إليهم بمن معه من المسلمين حتى التقوا بمكان يقال له واج الرُّوذ[٣]، فاقتتلوا قتالاً شديدًا وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند ولم تك دونها فقتلوا من المشركين جمًا غفيرًا لا يحصون كثرة ، وقتل ملك الديلم وتمزق شملهم ، وانهزموا بأجمعهم، بعد من قتل بالمعركة منهم ، فكان نعيم بن مقرن أول من قاتل الديلم[٤] من المسلمين ،وقد كان نعيم كتب إلى عمر يعلمه باجتماعهم فهمّه ذلك واغتم له، فلم يفجأه إلا البريد بالبشارة ، فقال: أبشير؟ فقال: بل عروة، فلما ثنّى عليه، أبشير؟ فطِن فقال: بشير، فقال عمر:

---

(١) مدينة عظيمة من أعلام المدن في بلاد فارس

(٢) قم وقاشان: مدن فارسية يذكران جميعاً

(٣) واج روذ: موضع بين همذان وقزوين

(٤) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص١٦٠

رسول نغيم وسماك بن عبيد؟ قال: رسول نعيم، قال: الخبر؟ قال: البشرى بالفتح والنصر وأخبره الخبر، فحمد الله وأمر بالكتاب فقُرئ على الناس فحمدوا الله ثم قدم سماك بن مخرمة وسماك بن عُبيد وسماك بن خرشة في وفود الكوفة بالأخماس على عمر، فنسبهم، فانتسب له سماك وسماك وسماك، فقال: بارك الله فيكم، اللهم اسْمُك بهم الإسلام، وأيدهم بالإسلام[1].

ثانياً: فتح الرِّيّ سنة ٢٢هـ:

استخلف نعيم بن مقرن على يزيد بن قيس الهمداني، وسار هو بالجيوش حتى لحق بالري[2]، فلقي هناك جمعًا كثيرًا من المشركين، فاقتتلوا عند سفح جبل الري، فصبروا صبرًا عظيمًا ثم انهزموا وقتل منهم نعيم بن مقرن مقتلة عظيمة بحيث عُدّوا بالقصب، وغنموا منهم غنيمة عظيمة قريبًا مما غنم المسلمون من المدائن، وصالح أبو الفرُّخان الملقب بالزينبي على الري، وكتب له أمانًا بذلك، ثم كتب نعيم إلى عمر بالفتح ثم بالأخماس ولله الحمد والمنة[3].

ثالثاً: فتح قُومِيس وجُرْجَان سنة ٢٢هـ:

ولما ورد البشير بفتح الري وأخماسها كتب عمر إلى نعيم بن مقرن أن يبعث أخاه سويد بن مقرن إلى قوميس[4]، فسار إليها سويد، فلم يقم له شيء حتى أخذها سلما وعسكر بها وكتب لأهلها كتاب أمان وصلح ولما عسكر سويد بقوميس بعث إليه أهل بلدان شتى منها: جُرْجَان[5] وطبرستان[6]، وغيرها يسألونه الصلح على الجزية، فصالح الجميع، وكتب لأهل كل بلدة كتاب أمان وصلح[7].

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١٣٤)

(٢) الري: مدينة مشهورة تبعد عن قزوين سبعة وعشرين فرسخًا.

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ١٣٦، ١٣٧).

(٤) قوميس: تقع في نهاية جبال طبرستان وهي بين الري ونيسابور.

(٥) جرجان: مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان.

(٦) طبرستان: بلد واسع والغالب عليها الجبال اشتهرت بالعلماء والأدباء.

(٧) تهذيب البداية والنهاية ص١٦١.

رابعًا- فتح أذربيجان سنة ٢٢هـ :

لما افتتح نعيم بن مقرن همذان ثانية ، ثم الري، بعث بين يديه بُكير بن عبد الله من همذان إلى أذربيجان[١] وأردفه بسماك بن خرشَة وذلك عن أمر عمر بن الخطاب وليس بأبي دجانة[٢] فلقى أسفندياذ بن الفرُّخزاذ بكيرًا وأصحابه، قبل أن يقدم عليهم سماك فاقتتلوا فهزم الله المشركين وأسر بكير أسفندياذ، فقال له: الصلح أحب إليك أم الحرب؟ فقال: بل الصلح. فقال: فأمسكني عندك فأمسكه ثم جعل يفتح أذربيجان بلدًا بلدًا ، وعتبة بن فرقد في مقابله في الجانب الآخر من أذربيجان يفتحها بلدًا بلدًا، ثم جاء كتاب عمر بأن يتقدم بُكير إلى الباب، وجعل سماكًا موضعه ـ نائبًا لعتبة بن فرقد وجمع عمر أذربيجان كلها لعتبة بن فرقد وسلم إليه بكيرُ أسفندياذ، وقد كان اعترض بهرام بن فرّخزاذ لعتبة بن فرقد فهزمه عتبة وهرب بهرام، فلما بلغ ذلك أسفندياذ قال: الآن تم الصلح وطفئت الحرب، فصالحه وعادت أذربيجان سلمًا، وكتب بذلك عُتْبةُ وبكير إلى عمر، وبعثوا بالأخماس إليه، وكتب عتبة حين انتهت إليه إمرة أذربيجان كتاب أمان وصلح لأهلها[٣].

خامسًا- فتح الباب سنة ٢٢هـ :

كتب عمر بن الخطاب كتابًا بالإمرة على هذه الغزوة لسراقة بن عمرو ـ الملقب بذي النور فسار كما أمر عمر وهو على تعبئته فلما انتهى مقدم العساكر ـ وهو عبد الرحمن بن ربيعة إلى الملك الذي هناك عند الباب[٤] وهو شهر براز، ملك أرمينية وهو من بيت الملك الذي قتل بني إسرائيل وغزا الشام في قديم الزمان فكتب شهر براز لعبد الرحمن واستأمنه فأمنّه عبد الرحمن بن ربيعة فقدم عليه المَلِك، فأنهى إليه أن صُغْوَه[٥] إلى المسلمين وأنه مناصح للمسلمين فقال له: إن فوقي رجلاً فاذهب

---

(١) أذربيجان: إقليم واسع غالب عليه الجبال وتحدها بلاد الديلم.

(٢) الصحابي المشهور.

(٣) تاريخ الطبري (٥/١٤١، ١٤٢)

(٤) الباب: مدينة عظيمة على بحر طبرستان وهو بحر الخزر

(٥) صغوه: أي ميله

إليه، فبعثه إلى سراقة بن عمرو أمير الجيش ، فسأل مِنْ سراقة الأمان فكتب له كتابًا بذلك ثم بعث سراقة بكير بن عبد الله الليثي، وحبيب بن مسلمة وحذيفة بن أسيد، وسلمان بن ربيعة إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية جبال اللآن، تفِليسس، ومُوقَان ، فافتتح بكير مُوقان، وكتب لهم كتاب أمان، ومات في غضون ذلك أمير المسلمين هناك سراقة بن عمرو، واستخلف بعده عبد الرحمن بن ربيعة ، فلما بلغ عمر ذلك أقره وأمره بغزو الترك[١].

سادسًا- أول غزو الترك:

لما جاء كتاب عمر إلى عبد الرحمن بن ربيعة يأمره بأن يغزو الترك ، سار حتى قطع الباب قاصدًا لما أمره عمر، فقال له شهر براز: أين تريد؟ قال: أريد ملك الترك بَلَنْجَر، فقال له شهر براز: إنّا لنرضى منهم بالموادعة، نحن من وراء الباب ـ فقال عبد الرحمن: إن الله بعث إلينا رسولاً ووعدنا على لسانه بالنصر والظفر ونحن لا نزال منصورين، فقاتل الترك وسار في بلاد بلنجر مائتي فرسخ وغزا مرات متعددة ، ثم كانت له وقائع هائلة في زمن عثمان رضي الله عنه[٢].

سابعًا- غزو خُراسان سنة ٢٢هـ :

كان الأحنف بن قيس قد أشار على عمر بأن يتوسع المسلمون بالفتوحات في بلاد العجم، ويُضيقوا على كسرى يزدجرد، فإنه هو الذي يحث الفرس والجنود على قتال المسلمين فأذن عمر بن الخطاب في ذلك عن رأيه، وأمّر الأحنف وأمره بغزو بلاد خراسان ، فركب الأحنف في جيش كثيف إلى خراسان قاصدًا حرب يزدجرد فدخل خراسان فافتتح هراة عنوة، واستخلف عليها صُحَار بن فلان العبدِي، ثم سار إلى مَرو الشاهجان[٣] وفيها يزدجرد ، وبعث الأحنف بين يديه مُطرّف بن عبد الله بن الشخّير إلى نيسابور[٤]، والحارث بن حسان إلى سَرْخَس[٥] ولما اقترب

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١٤٥).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ١٤٢ إلى ١٤٧).
(٣) مرو الشاهجان: هي مدينة مرو العظمى ، وهي قصبة خراسان.
(٤) نيسابور: مدينة مشهورة في هذا الإقليم.
(٥) سرخس: مدينة بين نيسابور ومرو في وسط الطريق.

الأحنف من مرو الشاهجان، ترحل منها يزدجرد إلى مرو الروذ[١]، فافتتح الأحنف مرو الشاهجان فنزلها ، وكتب يزدجرد حين نزل مرو الروذ إلى خاقان ملك الترك يستمدُّه، وكتب إلى ملك الصغد يستمدُّه، وكتب إلى ملك الصين يستعينه ، وقصده الأحنف بن قيس إلى مرو الروذ وقد استخلف على مرو الشاهجان حارثة بن النعمان، وقد وفدت إلى الأحنف إمدادات من أهل الكوفة مع أربعة أمراء فلما بلغ ذلك يزدجرد ترحل إلى بلخ[٢]، فالتقى معه ببلخ فهزمه الله - عز وجل - وهرب هو ومن بقي معه من جيشه فعبر النهر، واستوثق مُلك خراسان على يدي الأحنف بن قيس، واستخلف في كل بلدة أميرًا ، ورجع الأحنف فنزل مرو الروذ، وكتب إلى عمر بما فتح الله عليه من بلاد خراسان بكاملها وكتب عمر إلى الأحنف ينهاه عن العبور إلى ما وراء النهر. وقال: احفظ ما بيدك من بلاد خراسان ولما وصل رسول يزدجرد إلى اللذين استنجد بهما لم يحتفلا بأمره، فلما عبر يزدجرد النهر ودخل في بلادهما تعين عليهما إنجاده في شرع الملوك، فسار معه خاقان ، فوصل إلى بَلْخ حتى نزلوا على الأحنف بمرو الروذ فتبرز الأحنف بمن معه من أهل البصرة وأهل الكوفة والجميع عشرون ألفًا فسمع رجلاً يقول لآخر: إن كان الأمير ذا رأي فإنه يقف دون هذا الجبل فيجعله وراء ظهره، ويبقى هذا النهر خندقًا حوله فلا يأتيه العدو إلا من جهة واحدة فلما أصبح الأحنف أمر المسلمين فوقفوا في ذلك الموقف بعينه، وكان أمارة النصر والرشد وجاءت الأتراك والفرس في جمع عظيم هائل مزعج، فقام الأحنف في الناس خطيبًا فقال: إنكم قليل وعدوكم كثير فلا يهولنّكم ﴿ **كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ (البقرة :٢٤٩)، فكان الترك يقاتلون بالنهار ولا يدري الأحنف أين يذهبون في الليل ، فصار ليلة مع طليعة من أصحابه نحو خاقان ، فلما كان قريب الصبح خرج فارس من الترك طليعة وعليه طوق وضرب بطبلة فتقدم إليه الأحنف فاختلفا طعنتين فطعنه الأحنف فقتله وهو يرتجز:

---

(١) مرو الروذ: تقع على نهر عظيم ولكنها أصغر من مرو الأخرى.

(٢) بلخ: مدينة من أجمل مدن خراسان تقع بالقرب من نهر جيحون

إنّ على كُل رئيـــس حقــا أن يخضِبَ الصّعْدة أو تَنْدَقّا

إنّ لهــا شيخــا بها مُلَـــقىّ سَيفَ أبي حفص الذي تبقّى

ثم استلب الـتركيَّ طوقه ووقف مـوضعـه، فخرج آخـر عليه طوق ومـعه طبل فجعل يضرب بطبلة ، فتقدم إليه الأحنف فقتله أيضًا واستلبه طوقه ووقف موضعه، فخرج ثالث فقتله وأخذ طوقه، ثم أسرع الأحنف الرجوع إلى جيشه ولا يعلم بذلك أحد من الترك بالكلية، وكان من عادة التـرك أنهم لا يخرجون حتى تخرج ثلاثة من كهولهم بين أيديهم يضرب الأول بطبلة ثم الثـاني، ثم الثالث . فلما خرجت الترك فأتوا على فرسانهم مقتولين، تشـاءم بذلك الملك خاقان وتطير ، وقال لعسكره: قد طال مقـامنا وقد أصيب هؤلاء القـوم بمكان لم نصب بمثله ، مالنا في قـتال هؤلاء القوم من خير فانصرفوا بنا، فرجعوا إلى بلادهم[١] وقد قال المسلمون للأحنف: ما ترى في اتباعهم؟ فقال: أقيـموا بمكانكم ودعوهم. وقد أصاب الأحنف في ذلك، فقد جاء في الحديث: اتركوا الترك ما تركوكم[٢] ، ﴿ **وَرَدَّ الله الَّذينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى الله الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ الله قَوِيّاً عَزِيزاً** ﴾ (الأحزاب، آية: ٢٥) ، ورجع كسرى خاسـر الصفقة لم يشف له غليل، ولا حصل على خـير ، ولا انتصر كما كان في زعمه، بل تخلى عـنه من كان يرجو النصر منه، وتنحى عنه وتبرأ منه أحوج ما كان إليه، وبقى مذبذبًا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء: ﴿ **وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً** ﴾ (النساء، آية: ٨٨) .

وتحـيـر في أمـره مـاذا يصـنع؟ وإلى أين يذهب ؟ ثم بعث إلـى ملك الصين يستغيث به ويستنجده فجـعل ملك الصين يسأل الرسول عن صفة هؤلاء القوم الذين قد فتـحوا البلاد وقهروا رقـاب العباد، فجعل يخـبره عن صفتهم، وكـيف يركبون الخيل والإبل، وماذا يضعون؟ وكيف يُصَلُّون؟ فكتب معه إلى يزدجرد: إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو وآخره بالصـين الجهالة بما يحق عليّ، ولكن هؤلاء

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١٥٩)

(٢) الطبراني الكبير قال الألباني: موضوع . سلسلة الأحاديث الضعيفة ١٧٤٧

القوم الذين وصف لـي رسولك صفـتهم لو يحاولون الجـبال لهـدوها، ولو جئت لنصرك أزالوني ما داموا على ما وصف لي رسـولك فسالمهم وارضَ منهم بالمسالمة ، فأقام كسـرى وآل كسرى في بعض البلاد مقهـورين ولم يزل ذلك دأبه حتى قتل في إمارة عثمان[1]، ولما بعث الأحنف بكتاب الفتح وما أفاء الله عليهم من أموال الترك ومن كان معهم، وأنهم قتلوا منهم مع ذلك مقتلة عظيمة، ثم ردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيـرًا ، فقام عمر على المنبـر وقُرِئَ الكتاب بين يديه، ثم قـال عمر: إن الله بعث محمدًا بالهـدى ووعد على اتباعه من عاجل الثواب وآجله خـير الدنيا والآخرة فقال: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ (التوبة،آية: ٣٣) .

فـالحـمـد لله الذي أنجـز وعـده، ونصر جـنده . ألا وإن الله قـد أهلك مُلْك المجوسيـة وفرق شملهم، فليس يملكون من بلادهم شبـرًا يضير بمسلم، ألا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون، فقوموا في أمره على وجل ، يُوفِ لكم بعهده ويؤتكم وعده، ولا تغيروا فيستبدل قومًا غيركم، فإني لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلا من قبلكم[2].

ثامنًا- فتح اصطخر سنة ٢٣هـ :

افتتح المسلمون اصـطخر ـ للمرة الثانية ـ في سنة ثلاث وعشـرين وكان أهلها قد نقضوا العهد بعـدما كان جند العلاء بن الحضرمي افتتـحوها حين جاز في البحر ـ في أرض البحرين ـ والتقوا هم والفـرس في مكان يقال له طاوس، ثم صالحه الهِرْبذة على الجـزية، وأن يضرب لهم الذمـة، ثم إن شهـرك خلع العـهد، ونقض الذمـة، ونشّط الفرس، فنقـضوا العـهد، فبـعث إليهم عثـمان بن أبي العـاص، ابنه وأخاه الحكم، فاقتتلوا مع الفرس فهزم الله جيوش المشركين، وقتل الحكمُ بن أبي العاص شهرَك[3].

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١٦٠)

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ١٦٢، ١٦٣)

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ١٦٦)

تاسعًا- فتح فسا ودار بجرد سنة ٢٣هـ:

قصد سارية بن زُنَيم فسا ودارا بجرد، فاجتمع له جموع من الفرس والأكراد عظيمة ودهم المسلمين منهم أمر عظيم ، رأى عمر في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعددهم في وقت من النهار، وأنهم في صحراء ، وهناك جبل إن أسندوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد، فنادى في الغد الصلاة جامعة حتى إذا كانت الساعة التي رأى أنهم اجتمعوا فيها ـ خرج إلى الناس وصعد المنبر ـ فخطب الناس وأخبرهم بصفة ما رأى ـ ثم قال: يا سارية الجبل ـ ثم أقبل عليهم وقال: إن لله جنودًا ولعل بعضها أن يبلغهم. قال: ففعلوا ما قال عمر ـ فنصرهم الله على عدوهم ـ وفتحوا البلد[١] .

عاشرًا- فتح كَرْمان وسجستان سنة ٢٣هـ :

قام سهيل بن عدي في سنة ٢٣ بفتح كرمان[٢]، وقيل فتحت على يدي عبد الله ابن بُدَيل بن ورقاء الخزاعي[٣]، وذكر بعض المؤرخين فتح سجستان على يدي عاصم ابن عمرو، بعد قتال شديد ، وكانت ثغورها متسعة ، وبلادها متنائية ما بين السد إلى نهر بلخ، وكانوا يقاتلون القُندهار والترك من ثغورها وفروجها[٤]

الحادي عشر- فتح مُكرَان سنة ٢٣هـ:

في السنة ٢٣هـ فتحت مكران على يدي الحكم بن عمرو، وأمده شهاب بن المخارق، ولحق به سهيل بن عدي ، وعبد الله بن عبد الله بن عتبان واقتتلوا مع ملك السند فهزم الله جموع السند وغنم المسلمون منهم غنيمة كثيرة ، وكتب الحكم ابن عمرو بالفتح وبعث بالأخماس مع صُحار العبدي فلما قدم على عمر سأله عن أرض مُكْران فقال: يا أمير المؤمنين أرض سهلها جبل ، وماؤها وشل[٥]، وتمرها

---

(١) تاريخ الطبري (٥/١٦٨، ١٦٩) وأخرجها اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم ٢٥٣٧ وحسن الشيخ الألباني إسنادها في حاشيته على مشكاة المصابيح(٣/١٦٧٨) رقم ٥٩٥٤، انظر : تهذيب البداية والنهاية ص١٧٠ .

(٢، ٣) تهذيب البداية والنهاية ص١٧١

(٤) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص١٧١

(٥) الوشل: القليل

دقل[١]، وعدوها بطل ، وخيرها قليل ، وشرها طويل والـكثير بها قليل والقليل بها ضائع ، وما وراءها شر منهـا؛ فقال عمر: أسجاع أنت أم مخـبر؟ فقال: لا ، بل مخبـر، فكتب عمر إلى الحكم بن عمـرو، ألا يجوزوا مكران، وليقتـصروا على ما دون النهر[٢].

الثاني عشر: غزو الأكراد :

ذكر ابن جرير بسنده عن سـيف عن شيوخه: أن جماعـة من الأكراد والتف إليهم طائفة من الفـرس، اجتمـعوا فلقيـهم أبو موسى بمكان من أرض بيرُوذ قـريب من نهر تيرَى[٣]، ثم سار عنهم أبو موسى إلـى أصبهان وقد استـخلف على حربهم الربيع بن زياد بعد مقتل أخيه المهاجر بن زياد ـ فـتسلم الحرب وختق عليهم، فهزم الله العدو وله الحمد والمنة كما هي عادته المستمرة وسنته المستقرة، في عباده المؤمنين ، وحزبه المفلحين من أتباع سيد المرسلين ثم خمست الغنيمة وبعث بالفتح والخمس إلى عمر رضي الله عنه[٤].

وهكذا تم فتح العراق وبلاد إيران في عهد عمر رضي الله عنه وأقام المسلمون المسالح في شتى أرجائها متوقعين انتقاض الفـرس في هذه الديار ـ لقد كانت فتوح المشرق عنيفة اقتضت من المسلمين تضحـيات جسيمة بسبب اخـتلاف الدم، فسكان إيران فرس لا تربطهم بالعرب لغة ولا جنس ولا ثـقافة وكان الشعور القـومي عند الإيرانيين يُذْكيه التاريخ الطويل والثقافة المتأصلة، كـما أن القتال كان يدور في صميم الوطن الإيراني ويشترك رجـال الدين المجوسي في تأليب السكان على المقاومـة يضاف إلى ذلك بعد هذه المناطق عن مراكز الجيش في البصرة والكوفة، وطبيعة الأرض الجبلية التي تمكن السكان من المقاومة ـ ولذلك فقد انتقضت معظم هذه المراكـز، وأعيد فتحها في عهد الفاروق أو في خلافة عثمان رضي الله عنهما[٥].

---

(١) الدقل: رديء التمر .

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤) .

(٣) بيروذ ونهر تيرى بلدان من نواحي الأهواز .

(٤) تهذيب وترتيب البداية والنهاية ص١٧٢ .

(٥) عصر الخلافة الراشدة ص٣٣٩، ٣٤٠ .

المبحث الخامس
أهم الدروس والعبر والفوائد من فتوحات العراق والمشرق

أولاً- أثر الآيات والأحاديث في نفوس المجاهدين:

كان للآيات والأحاديث التي تتحدث عن فضل الجهاد أثرها في نفوس المجاهدين ، فقد بين المولى - عز وجل - أن حركات المجاهدين كلها يثاب عليها قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (التوبة،آية: ١٢٠-١٢١) ، وقد أيقن المسلمون الأوائل أن الجهاد تجارة رابحة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الصف،آية: ١٠-١٣).

وقد تعلموا أن الجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام وسقاية الحجاج فيه قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (التوبة،آية:١٩-٢١)، واعتقدوا أن الجهاد فوز على كل حال قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ

بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ (التوبة،آية:٥٢)، وأن الشهيد لا تنقطع حياته بل هو حي قال تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (آل عمران:١٦٩-١٧١) وكانوا يشعرون بسمو هدفهم الذي يقاتلون من أجله قال تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا (٧٥) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء، آية: ٧٤-٧٦).

وقد بين الرسول ﷺ للمسلمين فضل الجهاد فألهبت تلك الأحاديث مشاعرهم وفجّرت طاقاتهم، ومن هذه الأحاديث ما ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ : (مؤمن يجاهد بنفسه وماله)[1] ، وقد بين رسول الله ﷺ درجات المجاهدين قال ﷺ : إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة[2]، وقد وضح ﷺ فضل الشهداء وكرامتهم فقال: (انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يُخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلفْ سريَّة ولوددتُ أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل)[3] وقال ﷺ : (ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة)[4]، وغير ذلك من الأحاديث. وقد تأثر

---

(١) البخاري رقم ٢٧٨٦ (٢) البخاري رقم ٢٧٩٠ (٣) مسلم (٣/١٤٩٧) (٤) البخاري رقم ٢٨١٧

المسلمون الأوائل ومن سار على نهجهم بهذه الآيات والأحاديث ـ فكان كبار الصحابة ﭫ يغزون وقد شاخوا فيشفق عليهم الناس وينصحونهم بالقعود عن الغزو لأنهم معذورون فيجيبونهم أن سورة التوبة تأبى عليهم القعود ويخافون على أنفسهم من النفاق إذا ما تخلفوا عن الغزو[١].

١- من ثمرات الجهاد في سبيل الله:

كان الصحابة والتابعون بإحسان في العهد الراشدي يرون أن الجهاد في سبيل الله ضرورة من ضرورات بقاء الأمة الإسلامية فقاموا بهذه الفريضة في فتوحات العراق وبلاد المشرق والشام ومصر والشمال الإفريقي وترتب على قيامهم بهذه الفريضة ثمرات كثيرة منها: تأهيل الأمة الإسلامية لقيادة البشرية، القضاء على شوكة الكفار وإذلالهم وإنزال الرعب في قلوبهم ، ظهور صدق الدعوة للناس الأمر الذي جعلهم يدخلون في دين الله أفواجًا فيزداد المسلمون بذلك عزًا والكفار ذلاً، وتوحدت صفوف المسلمين ضد أعدائهم وأسعدوا الناس بنور الإسلام وعدله ورحمته[٢].

ثانيًا- من سنن الله في فتوحات العراق وبلاد المشرق:

يلاحظ الباحث في دراسته لفتوحات العراق وبلاد المشرق بعض سنن الله في المجتمعات والشعوب والدول ومن هذه السنن :

١- سنة الأخذ بالأسباب:

قال تعالى: **﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾** (الأنفال،آية: ٦٠).

وقد طبق الفاروق ﭬ في عهده هذه الآية وأخذ بالأسباب المادية والمعنوية كما مرّ معنا.

---

(١) الجهاد في سبيل الله، للقادري (١/ ١٤٥)

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٤١١ إلى ٤٨٢)

٢- سنة التدافع:

قال تعالى: ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ (البقرة، آية: ٢٥١).

وقد تحققت هذه السنة في حركة الفتوحات عمومًا، وسنة التدافع من أهم سنن الله تعالى في كونه وخلقه وهي من أهم السنن المتعلقة بالتمكين للأمة الإسلامية، وقد استوعب المسلمون الأوائل هذه السنة وعملوا بها وعلموا أن الحق يحتاج إلى عزائم تنهض به وسواعد تمضي به وقلوب تحنو عليه وأعصاب ترتبط به - إنه يحتاج إلى جهد بشري؛ لأن هذه سنة الله في الحياة الدنيا وهي ماضية[١].

٣- سنة الابتلاء:

قال تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾ (البقرة، آية: ٢١٤).

وقد وقع البلاء في فتوحات العراق في معركة جسر أبي عبيد على الخصوص حيث قتل الآلاف من المسلمين وهزم جيشهم ثم أعادوا صفوفهم وحققوا انتصارات عظيمة على الفرس وقد قال تعالى: ﴿**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ**﴾(آل عمران، آية: ١٨٦).

ومن الملاحظ من خلال الآيات الكريمة أن تقرير سنة الابتلاء على الأمة الإسلامية جاء في أقوى صورة من الجزم والتأكيد[٢]، وهذه سنة الله تعالى في العقائد والدعوات لا بد من بلاء، ولا بد من أذى في الأموال والأنفس ولا بد من صبر ومقاومة واعتزام[٣].

٤- سنة الله في الظلم والظالمين:

قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ**

---

(١) لقاء المؤمنين، عدنان النحوي (٢/ ١١٧)

(٢) التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم ص٢٣٧

(٣) تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين للصّلابي ص٤٥٦

وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (هود،آية: ١٠٠-١٠٢).

وسنة الله مطردة في هلاك الأمم الظالمة، وقد مارست الدولة الفارسية الظلم على رعاياها وتمردت على منهج الله فمضت فيها سنة الله وسلط الله عليها المسلمين فأزالوها عن الوجود[١].

٥- سنة الله في المترفين:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾ (الإسراء،آية:١٦).

وجاء في تفسيرها: وإذا دنا وقت هلاكها أمرنا بالطاعة مترفيها -أي متنعميها وجبّاريها وملوكها- ففسقوا فيها، فحق عليها القول فأهلكناها. وإنما خص الله تعالى المترفين بالذكر مع توجه الأمر بالطاعة إلى الجميع لأنهم أئمة الفسق ورؤساء الضلال وما وقع من سواهم إنما وقع باتباعهم وإغوائهم ، فكان توجه الأمر إليهم آكد[٢]، وقد مضت هذه السنة في زعماء الفرس وأئمتهم.

٦- سنة الله في الطغيان والطغاة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (الفجر،آية:١٤). والآية وعيد للعصاة مطلقًا وقيل: وعيد للكفرة، وقيل: وعيد للعصاة، ووعيد لغيرهم[٣].

وفي تفسير القرطبي: أي يرصد كل إنسان حتى يجازيه به[٤].

وواضح من أقوال المفسرين في الآيات التي ذكرناها في الفقرة السابقة أن سنة الله في الطغاة إنزال العقاب بهم في الدنيا فهي سنة ماضية لا تتخلف جرت على

(١) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد ص١١٩ إلى ١٢١
(٢) تفسير الآلوسي (١٥/ ٤٢)
(٣) السنن الإلهية ص١٩٣
(٤) المصدر نفسه ص١٩٣ نقلاً عن القرطبي في تفسيره

الطغاة السابقين وستجري على الحاضرين والقادمين فلن يفلت أحد منهم من عقاب الله في الدنيا كما لا يفلت أحد منهم من عقاب الآخرة[1].

وسنة الله في الطغاة وما ينزله الله بهم من عقاب في الدنيا إنما يعتبر بها من يخشى الله جلّ جلاله ويخاف عقابه ويعلم أن سنة الله قانون ثابت لايحابي أحدًا قال تعالى في بيان المعتبرين بسنته في الطغاة بعد أن ذكر ما حلّ بفرعون من سوء العقاب ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ (النازعات،آية: ٢٥، ٢٦)، فهؤلاء الطغاة من زعماء الفرس مضت فيهم سنة الله.

٧- سنة التدرج:

خضعت فتوح العراق وبلاد المشرق لسنة التدرج ـ فكانت المرحلة الأولى في عهد الصديق حيث تم فتح الحيرة بقيادة خالد بن الوليد ، وأما المرحلة الثانية فتبدأ من تولي أبي عبيد الثقفي قيادة جيوش العراق حتى معركة البويب ـ وأما المرحلة الثالثة فتبدأ منذ تأمير سعد بن أبي وقاص على الجهاد في العراق إلى ما قبل وقعة نهاوند ، وتبدأ المرحلة الرابعة من وقعة نهاوند وأما المرحلة الخامسة فهي مرحلة الانسياح في بلاد الأعاجم.

إن حركة الفتوحات يتعلم منها أبناء المسلمين أهمية مراعاة سنة التدرج في العمل للتمكين لدين الله ، ومنطلق هذه السنة أن الطريق طويل ولذلك لا بد من فهم واستيعاب هذه السنة بالنسبة للعاملين في مجال الدعوة الإسلامية ، فالتمكين لدين الله في العراق وبلاد المشرق لم يتحقق بين عشية وضحاها ولكنه خضع بإرادة الله لهذه السنة.

٨- سنة تغيير النفوس:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ . .﴾ (الرعد،آية: ١١)

وقد قام الصحابة الكرام ﷺ في فتوحات العراق وبلاد المشرق بالعمل بهذه

---

(١) السنن الإلهية ص١٩٤

السنة الربانيـة مع الشعـوب التي أرادت أن تدخل في دين الله ـ فـشرعوا في تـربية الناس على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ـ فغرسوا في نفـوسهم العقائد الصحيحة والأفكار السليمة والأخلاق الرفيعة.

٩- سنة الله في الذنوب والسيئات:

قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ** ﴾ (الأنعام، آية: ٦).

وقد أهلك الله تعالى أمة الفرس بسبب ذنوبـهم التي اقترفوها والتي من أعظمها الكفـر والشرك بالله، وفي هذه الآية حـقيـقة ثابتـة وسنة مطردة: أن الذنوب تهلك أصـحابهـا وأن الله تعالى هو الذي يـهلك المذنبين بذنوبهم[١]، وقد سلط الـله أمة الإسلام على الفرس عندما حققت شروط التمكين وعملت بسننه وأخذت بأسبابه .

ثالثًا- الأحنف بن قيس يغير مجرى التاريخ:

كان عمـر متمسكًا برأيه في الاقتـصار على ما فتح من فارس ومنع جـيوشه من التوغل في المشرق ولا سيما بعد أن انكسر الهرمزان وفتح المسلمون الأهواز.

فقال عـمر: حسبنا لأهل البصـرة سوادهم والأهواز، وددت أن بيننا وبين فارس جبـلاً من نار لا يصلون إلينا ولا نصل إليهم ،وقـال لأهل الكوفة: وددت أن بينهم وبين الجبل جبلاً من نار لا يصلون إلينا ولا نصل إليهم .

وفاوض عمر الوفد في هذا الأمر فقال له الأحنف: يا أمير المؤمنين، أخبرك إنك نهيتـنا عن الانسياح في البلاد وأمـرتنا بالاقتصار على مـا في أيدينا وإن ملك فارس حيٌّ بين أظهرهم وإنهـم لا يزالون يساحلوننا مادام ملكهم فـيهم ولم يجـتمع ملكان فاتفقا - أي التقـيا - حتى يخرج أحدهما صاحبه ـ وقـد رأيت أنا لم نأخذ شيئًا إلا بانبعـاثهم وإن ملكهم هو الذي يبعثهم ولا يزال هـذا دأبهم حتى تأذن لنا فلنسح في

(١) السنن الإلهية ص٢١٠

بلادهم حتى نزيله عن فارس ونخرجه من مملكته وغرامته ، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس ويُضربون جأشًا(١) .

فقال عمر للأحنف: صدقتني والله وشرحت لي الأمر على حقه.

وأذن عمر بالانسياح في بلاد فارس وانتهى في ذلك إلى رأي الأحنف، وعرف فضله وصدقه فساحوا في تلك البلاد ودفع لواء خراسان إلى الأحنف ، ووزع بقية الألوية إلى الأبطال من قادة المجاهدين ، ورسم لهم خطة الحرب والتقدم ، ثم جعل يمدهم بالجيوش من ورائهم(٢).

* ■ *

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٣٠)

(٢) مع الرعيل الأول ، محب الدين الخطيب ص١٤٦

■ الفصل السابع ■

فتوح الشام ومصر وليبيا

المبحث الأول
فتوحات الشام

كان أول خطاب وصل إلى الشام من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحمل نبأ وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وتولية أبي عبيدة على الشام وقد جاء فيه: أما بعد، فإن أبا بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفي فإنا لله وإنا إليه راجعون، ورحمة الله وبركاته على أبي بكر الصديق العامل بالحق، والآخذ بالعرف، اللين الستير الوادع، السهل القريب الحكيم، ونحتسب مصيبتنا فيه ومصيبة المسلمين عامة عند الله تعالى، وأرغب إلى الله في العصمة بالتقى في مرحمته، والعمل بطاعته ما أحيانا، والحلول في جنته إذا توفانا، فإنه على كل شيء قدير، وقد بلغنا حصاركم لأهل دمشق، وقد وليتك جماعة المسلمين، فابثث سراياك في نواحي أهل حمص ودمشق وما سواها من أرض الشام، وانظر في ذلك برأيك ومن حضرك من المسلمين ولا يحملنك قولي هذا على أن تعري عسكرك فيطمع فيك عدوك ولكن من استغنيت عنه فسيره، ومن احتجت إليه في حصارك فاحتبسه، وليكن فيمن تحتبس خالد بن الوليد فإنه لا غنى بك عنه[1]، وعند وصول الكتاب دعا أبو عبيدة معاذ بن جبل، فأقرأه الكتاب، وقال حامل الرسالة: يا أبا عبيدة، إن عمر يقول لك أخبرني عن حال الناس، وعن خالد بن الوليد أي رجل هو؟ وأخبرني عن يزيد بن أبي سفيان، وعن عمرو بن العاص، وكيف هما في حالهما وهيئتهما ونصحهما للمسلمين وأجاب أبو عبيدة رسول عمر وكتب أبو عبيدة ومعاذ بن جبل كتابًا واحدًا إلى عمر جاء فيه: ... من أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب، سلام عليكم، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإنا عهدناك وأمر نفسك

---

(١) تاريخ دمشق (٢/ ١٢٥).

لك مهم، وإنك يا عمر، أصبحت وقد وليت أمر أمة محمد، أحمرها وأسودها، يقعد بين يديك العدو والصديق، والشريف والوضيع، والشديد والضعيف، ولكل عليك حق وحقّه من العدل فانظر كيف تكون يا عمر، وإنا نذكّرك يومًا تُبلى فيه السرائر، وتكشف فيه العورات، وتظهر فيه المُخبآت، وتَعْنُو فيه الوجوه لملك قاهر، قهرهم بجبروته، والناس له داخرون، ينتظرون قضاءه، ويخافون عقابه، ويرجون رحمته، وإنه بلغنا أنه يكون في هذه الأمة رجال إخوان العلانية أعداء السريرة، وإنا نعوذ بالله من ذلك، فلا ينزل كتابنا من قلبك بغير المنزلة التي أنزلناها من أنفسنا والسلام عليك ورحمة الله[1].

• حوار بين خالد وأبي عبيدة رضي الله عنهما:

علم خالد بأمر عزله فأقبل حتى دخل على أبي عبيدة فقال: يغفر الله لك، أتاك كتاب أمير المؤمنين بالولاية فلم تعلمني وأنت تصلي خلفي والسلطان سلطانك؟ فقال أبو عبيدة: وأنت يغفر الله لك ما كنت لأعلمك ذلك حتى تعلمه من عند غيري، وما كنت لأكسر عليك حربك حتى ينقضي ذلك كله، ثم قد كنت أعلمك إن شاء الله وما سلطان الدنيا أريد، وما للدنيا أعمل، وإن ما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع وإنما نحن إخوان وقُوَّام بأمر الله - عز وجل -، وما يضر الرجل أن يلي عليه أخوه، في دينه ولا دنياه، بل يعلم الوالي أنه يكاد أن يكون أدناهما إلى الفتنة وأوقعهما في الخطيئة لما يعرض له من الهلكة، إلا من عصم الله - عز وجل - وقليل ما هم ودفع أبو عبيدة كتاب عمر إلى خالد[2].

• عمر رضي الله عنه يرد على رسالة أبي عبيدة ومعاذ رضي الله عنهما:

عندما وصل كتاب أبي عبيدة ومعاذ بواسطة شداد بن أوس بن ثابت بن أخي حسان بن ثابت الأنصاري ردّ عمر رضي الله عنه على كتابهما وجاء فيه: ... فإني أحمد إليكما الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإني أوصيكما بتقوى الله، فإنه رضاء

---

(١) فتوح الشام ص٩٩-١٠٢ ، التاريخ الإسلامي (٩/ ٢٧٤).

(٢) تاريخ دمشق (٢/ ١٢٦).

ربكما، وحظ أنفسكما، وغنيمة الأكياس[١] لأنفسهم عند تفريط العجزة، وقد بلغني كتابكما تذكران أنكما عهدتماني وأمر نفسي لي مُهمّ، فما يدريكما، وهذه تزكية منكما لي، وتذكران أني وليت أمر هذه الأمة، يقعد بين يديّ الشريف والوضيع والعدوّ والصديق، والقوي والضعيف، ولكلٍّ حصته من العدل، وتسألانني كيف أنا عند ذلك، وإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وكتبتما تخوفاني يومًا هو آت، وذلك باختلاف الليل والنهار، فإنهما يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود، حتى يأتيا بيوم القيامة، يوم تُبلى السرائر، وتكشف العورات، وتعنو فيه الوجوه لعزة ملك قهرهم بجبروته، فالناس له داخرون، يخافون عقابه، وينتظرون قضاءه، ويرجون رحمته. وذكرتما أنه بلغكما أنه يكون في هذا الأمة رجال يكونون إخوان العلانية، أعداء السريرة، فليس هذا بزمان ذلك، فإن ذلك يكون في آخر الزمان إذا كانت الرغبة والرهبة، رغبة الناس ورهبتهم، بعضهم إلى بعض. والله - عز وجل - قد ولاني أمركم، وإني أسأل الله أن يعينني عليه وأن يحرسني عنه كما حرسني عن غيره، وإني امرؤ مسلم وعبد ضعيف، إلا ما أعان الله - عز وجل - ولن يغير الذي وَليت من خلافتكم من خُلُقي شيئًا إن شاء الله، وإنما العظة لله - عز وجل -، وليس للعباد منها شيء، فلا يقولن أحد منكم إن عمر قد تغير منذ وَلي، وإني أعقلُ الحق من نفسي وأتقدم، وأُبيِّن لكم أمري، فأيما رجل كانت له حاجة، أو ظُلم مظلمة، ليس بيني وبين أحد من المسلمين هوادة، وأنا حبيب إليّ صلاحكم عزيز عليّ عتبكم، وأنا مسئول عن أمانتي وما أنا فيه، ومطلع على ما يضيرني بنفسي إن شاء الله لا أكله إلى أحد، ولا أستطيع ما بعد ذلك إلا بالأمناء، وأهل النصح منكم للعامة، ولست أجعل أمانتي إلى أحد سواهم، إن شاء الله وأما سلطان الدنيا وإمارتها؛ فإن كل ما تريان يصير إلى زوال، وإنما نحن إخوان، فأينا أمَّ أخاه، أو كان عليه أميرًا لم يَضُره ذلك في دينه ولا في دنياه، بل لعل الوالي أن يكون أقربهما إلى الفتنة وأوقعهما بالخطيئة إلا من عصم الله، وقليل ما هم[٢].

(١) جمع كيِّس بتشديد الياء وكسرها وهو النبيه الفطن.
(٢) فتوح الشام ص٩٩-١٠٢ .

أولاً- فتح دمشق:

تمثل الفتوحات في بلاد الشام في عهد عمر بن الخطاب المرحلة الثانية من الفتوحات في هذه الجبهة بعد الفتوح في عهد الصديق، فبعد أن انتهت معركة اليرموك وانهزمت جموع الروم استخلف أبو عبيدة بن الجراح على اليرموك بشير بن كعب الحميري، وأتاه الخبر أن المنهزمين من الروم اجتمعوا بفحل، وأن المدد قد أتى أهل دمشق من حمص، فأصبح لا يدري أبدمشق يبدأ أم بفحل في بلاد الأردن، فكتب القائد أبو عبيدة بن الجراح إلى الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستأمره فأجابه: أما بعد، فابدأوا بدمشق فانهدوا لها، فإنها حصن الشام وبيت مملكتهم، واشغلوا عنكم أهل فحل، بخيل تكون بإزائهم في نحورهم وأهل فلسطين وأهل حمص، فإن فتحها الله قبل دمشق فذاك الذي نحب، وإن تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق، فلينزل في دمشق من يمسك بها ودعوها، وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تغيروا على فحل فإن تم فتحها، فانصرف أنت وخالد إلى حمص وأمير كل بلد على جند حتى يخرجوا من إمارته[١].

ومن خلال أوامر الفاروق نلاحظ: أنه حدد مسئولية قيادة العمليات، وبموجبه تم تطبيق مبدأ الاقتصاد بالجهد، فضلاً عن المرونة في التصرف إزاء الأهداف المطلوبة، كما يستنتج من هذه الأوامر أن الهدف الرئيس الأول هو دمشق مع توجيه قوة صغيرة لفحل، والهدف الرئيس الثاني هو فحل، لتوجيه الجيش كله لفتحها والهدف الثالث مدينة حمص، واستناداً إلى هذه التوجيهات أرسل أبو عبيدة بن الجراح وحدات قتالية إلى فحل وعلى قيادتها: أبو الأعور السلمي عامر بن حتمة، وعمرو بن كليب وعبد عمر بن يزيد بن عامر، وعمارة بن الصعق بن كعب، وصفي بن علية بن شامل، وعمر بن الحبيب بن عمر، ولبدة بن عامر، وبشير بن عصمة، وعمارة بن مخشن وهو القائد لهذه المجموعات، وتوجهت إلى فحل[٢]، وانطلق أبو عبيدة

---

(١) الدعوة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ص٢٧٦ ، تهذيب وترتيب البداية والنهاية ص٥٢ .

(٢) العمليات التعرضية الدفاعية عند المسلمين ص١٨٢ .

نحو دمشق، ولم يلق أية مقاومة ذات أهمية تذكر، إذ إن الروم قد اعتمدوا على أهل البلاد في المنطقة قبل دمشق لإعاقة تقدم قوات المسلمين، إلا أن هؤلاء لم تكن لهم الحماسة والاستماتة للدفاع ويعود ذلك لسوء معاملة الروم لهم وخاصة لأهل القرى الصغيرة[١]، ووصلت قوات المسلمين إلى (غوطة دمشق) التي فيها قصور الروم ومنازلهم، وشاهدوها خالية لأن أهلها هجروها إلى دمشق، وأرسل هرقل قوة من حمص لإمداد دمشق، وكانت تقدر بـ(٥٠٠) خمسمائة مقاتل[٢]، وهي قوة قليلة مقارنة بما يتطلبه الموقف، إلا أن القوة الإسلامية التي وضعها أبو عبيدة بن الجراح شمال دمشق بقيادة (ذي الكلاع) تصدت لها، وجرى قتال عنيف بين الجانبين، انهزم فيه الروم[٣]، وناشد أهل دمشق هرقل الخلاص، فأرسل إليهم كتابًا يدعوهم إلى الثبات ويحرضهم على القتال والمقاومة، ويعدهم بالمدد، فتقوت عزائمهم وجعلهم ذلك يصمدون للحصار وحركات القوات الإسلامية[٤].

١- قوات الطرفين:

● **القوات الرومية:**

- القائد العام، هرقل.
- أمير دمشق، نسطاس بن نسطورس.
- قائد قوات دمشق، باهان الذي اشترك باليرموك وهرب منها واسمه وردیان.
- القوات العمومية للقوات الرومية في دمشق (٦٠٠٠٠) ستون ألف مقاتل، مع احتمال وصول تعزيزات إضافية من حمص (٢٠٠٠٠) عشرين ألف مقاتل لخط الدفاع و(٤٠٠٠٠) وأربعين ألف مقاتل للتعرض، فالروم أقاموا في دمشق للاستفادة من الأبنية وحصونها وسورها وربما كانوا ينتظرون المدد ليقوموا بالتعرض.
- القوة الرومية في (فحل) تتألف من حاميتها ومن فلول جيش اليرموك الذي أثرت على معنوياتهم معركتها وفشلهم وهروبهم منها، فهم في فزع آخذ بنفوسهم.

---

(١) الهندسة العسكرية في الفتوحات الإسلامية د. قصي عبد الرؤوف ص١٨٨ .
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٠)، الهندسة العسكرية ١٨٨ .
(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٠).
(٤) الهندسة العسكرية ص١٨٨ .

● **قوات المسلمين:**

- القائد العام للقوات الإسلامية: عمر بن الخطاب ﷺ.

- قائد مسارح العمليات في بلاد الشام: أبو عبيدة بن الجراح.

- بعث القائد أبو عبيدة بن الجراح بعشرة من قواده وفي مقدمتهم أبو الأعور السلمي مع حجم مناسب من القوات الإسلامية - لم تذكر المصادر تعداد هذه القوة للسيطرة على طريق دمشق وحتى بيسان ومحلها معروف اليوم بخربة فحل[١].

- أرسل أبو عبيدة بن الجراح قوات بقيادة (علقمة بن حكيم ومسروق) كل واحد بمحل الآخر باتجاه فلسطين، فأمن محور الحركات من الغرب والجنوب[٢].

- أرسل أبو عبيدة بن الجراح قوة بقيادة (ذي الكلاع) إلى شمال دمشق ليرابط على الطريق الذي يربطها مع حمص لحماية هذا الاتجاه ومنع وصول التعزيزات الرومية إلى دمشق[٣].

- كان حجم القوات الإسلامية بعد اليرموك بحدود (٤٠٠٠٠) أربعين ألف مقاتل، وهذه القوات متماسكة التنظيم، وتمتاز بالروح المعنوية العالية بعد النصر في اليرموك[٤].

- بلغ حجم القوات الإسلامية التي ضربت الحصار على دمشق بحدود (٢٠٠٠٠) عشرين ألف مقاتل، وباقي القوات أرسلت إلى فحل لتثبيت الجبهة هناك وبالإمكان عند الضرورة سحبها من فحل لتعزز قوة الحصار[٥].

٢- وصف مدينة دمشق:

كانت دمشق مدينة عظيمة سميت باسم بانيها (دمشاق بن كنعان) وقد خضعت

(١، ٢) المصدر السابق نفسه ص١٨٩ .

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٤/٢٥٨)، الهندسة العسكرية ص١٨٩ .

(٤) اليرموك وتحرير ديار الشام، شاكر محمود رامز ص١٠٣ .

(٥) الهندسة العسكرية ص١٨٩ .

لحكم مصر، في عهد الأسرة الثامنة عشرة فهي أقدم المدن في التاريخ وكانت مركز عبادة الأوثان، ولما دخلت المسيحية جعلت من معبدها الوثني كنيسة لا يضاهيها بجمالها وجلالها إلا كنيسة إنطاكية، وفي جنوب دمشق تقع أراضي البلقاء وشمالها الجولان، وهي أرض جبلية وأراضيها كلها زروع وغدران مياه، وهي مركز تجاري مهم يسكنها العرب، وكان المسلمون يعرفونها لأنهم يتاجرون معها، وقد كانت مدينة دمشق، مدينة محصنة، تمتاز بالمناعة، فلها سور يحيطها مبنى من الحجارة وارتفاعه ستة أمتار، وفيه أبواب منيعة، وعرض المبنى ثلاثة أمتار، وقد زاد هرقل من مناعته بعد الغزو الفارسي لها، والأبواب يحكم إغلاقها، ويحيط بالسور خندق عرضه ثلاثة أمتار، ونهر بردى يؤثر على الخندق بمياهه وطينه، فأصبحت دمشق قلعة حصينة ليس من السهل اقتحامها(١)، وبذلك تظهر لنا الدفاعات الرومية ذات المتانة، والقوة، لحماية مدينة دمشق، إذ إن هذه الاستحكامات تعطينا الدلائل الآتية:

- لم تنشأ الدفاعات الميدانية حول دمشق على عجل، فهي دفاعات كانت مهيأة منذ مدة ليست بالقصيرة، لما لدمشق من أهمية استراتيجية، وخوف الروم من فقدانها واستيلاء الفرس عليها، وهذا يعني أن الجهد الهندسي الميداني الرومي قد عمل في ترتيب وتنظيم هذه الدفاعات بحرية مطلقة وبموارد هندسية مناسبة غير مطلوبة باتجاهات أخرى فضلاً عن تيسر الإمكانيات الهندسية لدى جيش الروم في هذا المجال.

- برزت الإبداعات الهندسية الرومية من خلال الموانع حول مدينة دمشق، فقد استفادت عناصر الهندسة العسكرية من طبيعة الأرض في إنشاء هذه المنظومة، وعلى الأخص توظيف نهر بردى بما يخدم ملء الخندق الذي يحيط بالمدينة، فضلاً عن الاستفادة الأخرى منه بجعله مانعًا طبيعيًا يعوق حركة القطعات المهاجِمة على المدينة من اتجاهها الشمالي والشمالي الشرقي.

- كانت ثقة القيادة الرومية بتحصينات مدينة دمشق كبيرة جدًّا الأمر الذي جعلها تجمع قواتها هناك وتتخذ الدفاع الموضوعي فيها، ريثما تتمكن القوات الرومية في

---

(١) المصدر نفسه ص١٩٠ .

حمص من جمع شتات أمرها والتعرض لجيش المسلمين، وهذا يعني أن الدفاعات الهندسية الميدانية قد تدخلت في إجبار القيادة الرومية على اتخاذ هذا الموقف الدفاعي، وبذلك أصبحت السبب المباشر في صنع القرار، وهذا مهم جدًّا في التعرف على مدى أهمية الهندسة العسكرية في الميدان.

- وعلى عكسه أجبرت الدفاعات الهندسية الميدانية جيش المسلمين على عدم التعرض لمدينة دمشق واقتحامها، إذ وقفت منظومة الموانع الرومية عائقًا بوجههم فصارت خطة الجيش الإسلامي تقتضي فرض الحصار على المدينة.

- تقول المصادر التاريخية إن مدة حصار مدينة دمشق استمرت (٧٠) ليلة، وكان الحصار شديدًا، استخدمت فيه أسلحة الحصار الثقيلة، كالمجانيق والدبابات[١].

٣- سير المعركة:

سار أبو عبيدة بن الجراح قاصدًا دمشق متخذا تشكيل المسير الآتي:

- القلب: خالد بن الوليد.
- المجنبات: عمرو بن العاص وأبو عبيدة.
- الخيل: عياض بن غنم.
- الرجالة: شرحبيل بن حسنة.

ولما كان لسور دمشق أبواب لا يمكن الخروج والدخول للبلدة إلا بواسطتها، فقد نظم المسلمون قوة الحصار على الشكل الآتي:

- قطاع الباب الشرقي بقيادة خالد بن الوليد.
- قطاع باب الجابية بقيادة أبي عبيدة بن الجراح.
- قطاع باب توما بقيادة عمرو بن العاص.
- قطاع باب الفراديس بقيادة شرحبيل بن حسنة.
- قطاع الباب الصغير بقيادة يزيد بن أبي سفيان.

---

(١) الهندسة العسكرية ص١٩٠، ١٩١.

وقد ظن الروم بأن المسلمين لا يستطيعون أن يصمدوا أمام طول الحصار وخاصة في أيام الشتاء، إلا أن المسلمين أصحاب العقيدة الراسخة والصبر الجميل، صمدوا أمام تغيرات الطقس، فقد عمل قادة المسلمين على إشغال الكنائس المتروكة بالغوطة والمنازل الخالية من أهلها ليرتاح فيها المجاهدون، على وفق أسلوب أسبوعي تتبادل قوات الجبهة التي على الأبواب، مع قوات من الخلف وبهذا التنظيم يستمر الحصار مهما طال الزمن[١].

ولم يقف المسلمون عند هذا الحد، وإنّما استمرت استطلاعاتهم الميدانية والهندسية، لمنظومة الموانع المعادية، وتمكن خالد بن الوليد من انتخاب منطقة عبور ملائمة في هذه المنظومة، يمكن من خلالها اقتحام مدينة دمشق، فوقع الاختيار على أحسن مكان يحيط بدمشق وأكثره ماء وأشده مدخلاً[٢]، كما جهز حبالاً كهيئة السلالم توضع على الجدران لتساعد على تسلق الأسوار، وقد علم خالد بن الوليد أن بطريق دمشق قد رزق بولد وجمع الناس في وليمة، فانشغل أفراد الروم بالأكل والشرب وأهملوا واجباتهم ومن ضمنها مراقبة الجبهة والأبواب فلما أمسى ذلك اليوم نهض خالد بن الوليد هو ومن معه من جنده الذي قدم عليهم، وتقدمهم هو والقعقاع ابن عمرو ومذعور بن عدي وقالوا: إذا سمعتم تكبيراً على السور فارقوا إلينا واقصدوا الباب[٣] وعبر خالد وجماعته الأولى الخندق المائي على عائمتين من القرب[٤]، ووصلوا السور، ورموا عليه الحبال التي هي بهيئة السلاليم، فلما ثبت لهم وهقان[٥] تسلق فيها القعقاع ومذعور، ثم لم يدعوا أحبولة إلا أثبتاها، والأوهاق الشرف حتى إذا ارتفعوا نظموا السلالم لتستفيد منها الجماعة الثانية، ثم انحدرت الجماعة الأولى من السور ونزلوا قرب الباب، فكثر الأفراد الذين مع خالد، فكبر أولاً من أعلى السور، فتسلقت الجماعة الثانية السور وتقدموا نحو الباب، فاقتحموه بسيوفهم وهكذا دخلت على هذا النحو قوات المسلمين إلى مدينة دمشق[٦].

---

(١) الهندسة العسكرية ص١٩٢ .

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٢٥٩).

(٣) الهندسة العسكرية ص١٩٢ ، البداية والنهاية (٧/ ٢٠).

(٤) الهندسة العسكرية ص١٩٢، ١٩٣ .

(٥) الأوهاق: جمع وهق، وهو الحبل في طرفيه أنشوطة.

(٦) الهندسة العسكرية ص١٩٢ .

● أهم الفوائد والدروس والعبر:

- هل كان الفتح صلحًا أو عنوة؟

اختلف العلماء في دمشق هل فتحت صلحًا أو عنوة؟ فأكثر العلماء على أنه استقر أمرها على الصلح، لأنهم شكُّوا في المتقدم على الآخر، أفتِحَت عنوة ثم عَدَلَ الروم إلى المصالحة؟ أو فتحت صلحًا، أو اتفق الاستيلاء من الجانب الآخر قسرًا؟ فلما شكُّوا في ذلك جعلوها صلحًا احتياطًا، وقيل بل جُعِلَ نصفها صلحًا، ونصفها عنوة، وهذا القول قد يظهر من صنع الصحابة في الكنيسة العظمى التي كانت أكبر معابدهم حين أخذوا نصفها وتركوا نصفها[1]، والله أعلم.

- تاريخ فتحها:

قال ابن كثير: وظاهر سياق سيف بن عمر، يقتضي أن فتح دمشق وقع في سنة ثلاث عشرة، ولكن نصَّ سيف على ما نصّ عليه الجمهور من أنها وقعت في نصف رجب سنة أربع عشرة[2]، وقد ذكر خليفة بن خياط: أن أبا عبيدة حاصر الروم بدمشق في رجب وشعبان ورمضان وشوال وتم الصلح في ذي القعدة[3]، والمهم أن فتحها كان بعد معركة اليرموك[4].

- تطبيقات لبعض مبادئ الحرب:

لم يخل فتح دمشق من تطبيقات مبادئ الحرب عند المسلمين فاشتملت على المباغتة، والمبادأة، وانتهاز الفرص وإبداعات القادة الميدانيين، وقد رأينا ما قام به خالد ابن الوليد من استطلاع ومن انتخاب منطقة العبور الملائمة، كيف تغير الموقف، وانقلب من عملية حصار إلى عملية اقتحام وإذا ما قارنّا بين ما فعله خالد بن الوليد باستخدامه الحبال على هيئة سلالم والاستفادة منها بتسلقه على سور دمشق، وبين ما فعله الجيش المصري في حرب تشرين عام ١٩٧٣م على الجبهة المصرية عند عبوره خط بارليف الإسرائيلي واستخدامه الحبال على هيئة سلالم أيضًا للوصول إلى

---

(١) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص٥٦ .
(٢) المصدر نفسه ص٥٥
(٣) تاريخ خليفة ص١٢٦ .
(٤) الهندسة العسكرية ص١٩٣ .

المواضع الدفاعية المعادية، نجد أنه قد تم بالصيغة والأسلوب والأداة نفسها، والتي توضح لنا عبقرية المسلمين إبان الفتوحات الإسلامية، وما معاركنا الحديثة إلا امتدادٌ لهذا الإبداع والعبقرية(١).

- بعض ما قيل من الشعر في فتح دمشق:

قال القعقاع بن عمرو:

أقمنا على دَارَيْ سليمان أشهرًا ... نُجَالِدُ رُومًا قد حملنا بصارم(٢)

قصصنا إلى الباب الشرقي عنوة ... فدان لنا مستسلمًا كل قائم(٣)

أقول وقد دارت رحانا بدارهم ... أقيموا لهم حر الورى بالغلاصم(٤)

فلما زأدنا في دمشق نحورهم ... وتدمر عَضُّوا منهما بالأباهم(٥)

● **تمهيد الفتح بعد دمشق:**

بعد فتح دمشق أرسل أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى البِقَاع(٦)، ففتح بالسيف، وبعث سرية فالتقوا مع الروم بعين ميسنون، وعلى الروم رجل يقال له (سنان) تحدّر على المسلمين من عَقَبة بيروت، فقتل من المسلمين يومئذ جماعة من الشهداء فكانوا يسمون عين ميسنون عين الشهداء، واستخلف أبو عبيدة على دمشق يزيد بن أبي سفيان وبعث يزيد دِحْيَة بن خليفة إلى تدمر في سرية ليمهدوا أمرها وبعث أبا الزهراء القشيري إلى البَثَنِيّة وحوران فصالح أهلها، وافتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عنوة ما خلا طبرية فإن أهلها صالحوه، وغلب خالد على أرض البقَاع، وصالحه أهل بعلبك وكتب لهم كتابًا.

---

(١) الهندسة العسكرية ص١٩٥ .

(٢) داري سليمان: تدمر ودمشق - كانا دارين لسليمان بن داود.

(٣) المعنى: توجهنا إلى الباب الشرقي الذي يسار منه العراق وفتحناه عنوة.

(٤) الحديث موجه إلى نساء العدو: أقيموا لهم حر الورى بالغلاصم اجعلوا لرجالكم المدارى به برأس حلوقهم لجبنهم أو خوفهم من الحرب.

(٥) زأدنا: أفزعنا.

(٦) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص٥٨، ٥٩ وانظر العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين ص١٨٥ .

ثانيًا: وقعة فِحْل:

تحركت القوات المكلفة بمهاجمة مدينة (فحل) نحو الجنوب وعندما وصلت مشارفها كانت قوة جيش الروم تقارب المائة ألف، تسلل أكثرهم من حمص وانضمت إليهم القرى التي هزمت في معارك سابقة عندما وصلت القوة المكلفة بمحاصرة فحل من جيش المسلمين بقيادة عمار بن مخشن جابهها جيش الروم بشق الترع من بحيرة طبرية وسلطوا مياهها على الأطيان المحيطة بفحل بقصد إعاقة جيش الإسلام وخاصة الفرسان وهذا ما يستخدم في وقتنا الحاضر ضد الدروع وبذلك أعاقوا حركة فرسان المسلمين. لقد جعل الرومان من هذه الأوحال خطًا دفاعيًا منيعًا عن فحل رغم أنها تقع في سهل منبسط ولو كان هذا السهل يابسًا لتمكن المسلمون بسهولة من اقتحام المدينة لأنهم أقدر الناس على مباشرة حرب الصحراء، وتوقف عمار بن مخشن ووزع قواته لحصار فحل ولم يقتحمها وذلك للفارق العددي الكبير في القوة ولصعوبة التقدم وعدم التمكّن من اجتياز هذا المانع المائي الذي عمله الرومان واقتصر المسلمون على فرض الحصار على مدينة فحل التي يعتصم بها الروم إلى أن فرغ أبو عبيدة من فتح دمشق العاصمة وضم جيشه إلى جيش أبي الأعور السلمي وأعاد أبوعبيدة تنظيم قواته على النحو التالي:

- المقدمة بقيادة خالد بن الوليد.
- الميمنة بقيادة أبي عبيدة بن الجراح.
- الميسرة بقيادة عمرو بن العاص.
- الفرسان بقيادة ضرار بن الأزور.
- قيادة مجموعات المشاة: عياض بن غنم.
- القيادة العامة لشرحبيل بن حسنة وذلك لأن موقع المعركة هو في حدود المنطقة التابعة له واستلم القيادة شرحبيل بن حسنة ثم نظم إقامة القوات وإمدادها ووضع مخططًا لاستنفار القوات وبقاء القوة جاهزة باستمرار لمواجهة الطوارئ، وكان

شرحبيل لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة[1]، وطال حصار المسلمين لمدينة فحل وظن الروم أن باستطاعتهم تحقيق المباغتة والقيام بهجوم ليلي حاسم وعلى الروم سقلاب بن مخراق فهجموا على المسلمين فنهضوا عليهم نهضة رجل واحد لأنهم كانوا على أهبة دائمة ودارت معركة حتى الصباح وذلك اليوم بكامله إلى الليل فلما أظلم الليل فر الروم وقتل أميرهم وركب المسلمون أكتافهم وأسلمتهم هزيمتهم إلى ذلك الوحل المانع الذي أعدوه للمسلمين ونتيجة للإجراءات الأمنية والاستعداد الذي قام به شرحبيل على قواته، حدثت الفوضى في جيش الرومان المهاجم والتفرغ للهجوم المضاد الذي شنه المسلمون فوقع الرومان لدى انهزامهم في المانع المائي الذي صنعوه بأيديهم حول فحل فركب المسلمون أكتافهم ولم ينجو منهم إلا الشريد، ولقد تمت تصفية القوة المحاصرة في فحل وعندها توجه المسلمون نحو أهدافهم لمتابعة خطة العمليات الأساسية فتم توجيه:

- شرحبيل بن حسنة إلى الأردن.
- عمرو بن العاص إلى فلسطين.

انطلق أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد إلى حمص وعند وصولهما إلى مرج الروم دارت معركة طاحنة حتى غطت جثث الموتى السهل وفي هذه المعركة تمكن المسلمون من تطبيق مبدأ مهم من مبادئ الحرب والعمليات التعرضية حيث اصطدمت مقدمة الروم بمقدمة المسلمين فعندما شعر (توذرا) باصطدام مقدمة جيشه بجيش المسلمين قام بحركة استدارة وانطلق في اتجاه دمشق وعلم المسلمون بالأمر ودرسوا الموقف فقرر أبو عبيدة توجيه قوة بقيادة خالد بن الوليد لمطاردة (توذرا) والانقضاض عليه من الخلف وأبو عبيدة يبقى في مواجهة ومشاغلة جيش الروم. في الوقت نفسه استطاعت استخبارات المسلمين معرفة حركة واتجاه تقدم توذرا فتقدم جيش يزيد بن أبي سفيان للقائه واشتبك معه وما إن تم الاصطدام بين توذرا وجيش

(١) العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين ص١٨٨ .

يزيد حتى باغت خالد بن الوليد الروم بضربهم من الخلف وتمت تصفية تودرا تصفية كاملة تقريبًا(١).

- مما قاله القعقاع بن عمرو في يوم فحل:

وغداة فحل قد رأوني معلمًا ... والخيل تنحط والبلا أطوار

ما زالت الخيل العراب تدوسهم ... في يوم فحل والقنا موار(٢)

حتى رمين سراتهم عن أسرهم ... في ردة ما بعدها استمرار(٣)

يوم الرداغ فعند فحل ساعة ... خر الرماح عليهم مدرار؟

ولقد أبدنا في الرداغ جموعهم ... طرًّا ونحوي تبسم الأبصار

وقال أيضًا:

وغداة فحل قد شهدنا مأقطًا ... ينسى الكمي سلاحه في الدار(٤)

ما زلت أرميهم بقرحة كامل ... كر المبيح ريانة الأبسار(٥)

حتى فضضنا جمعهم بتردس ... ينفي العدو إذا سما جرار(٦)

نحن الأولى جسوا العراق بتردس ... والشام جسًا في ذرى الأسفار(٧)

ثالثًا: فتح بيسان وطبريّة:

انصرف أبو عبيدة وخالد بمن معهما من الجيوش نحو حمص كما أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، واستخلف أبو عبيدة على الأردن شرحبيل بن حسنة، فسار شرحبيل ومعه عمرو بن العاص، فحاصر بَيْسَان فخرجوا إليه فقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم صالحوه على مثل ما صالحت عليه دمشق، وضرب عليهم الجزية، والخراج على أراضيهم، وكذلك فعل أبو الأعور السلمي بأهل طبرية سواء(٨).

---

(١) العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين ص١٨٩ .
(٢) موار: أي الرياح تموج فيهم.
(٣) الردغ: الماء والطين والوحل الشديد.
(٤) المأقط: ضيق المواقع في الحرب.
(٥) ريانة: التمهل والبطء. المبيح: الأسد. الإبسار: من بسر كلح وجهه وتذمر.
(٦) العمليات الدفاعية ص١٩٢ .
(٧) ذرى الأسفار: أعاليها وأصعبها.
(٨) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص٦١ .

رابعًا- وقعة حِمْص سنة ١٥هـ:

واصل أبو عبيدة تتبعه للروم المنهزمين إلى حمص، ونزل حولها يحاصرها، ولحقه خالد بن الوليد، فحاصروها حصارًا شديدًا، وذلك في زمن البرد الشديد، وصابر أهل البلد رجاء أن يصرف المسلمين عن المدينة شدة البرد، وَصَبَر الصحابة صبرًا عظيمًا بحيث إنه ذكر غير واحد أن من الروم من كان يرجع، وقد سقطت رجله وهي في الخف، والصحابة ليس في أرجلهم شيء سوى النعال، ومع هذا لم يصب منهم قدم ولا إصبع، ولم يزالوا كذلك حتى انسلخ فصل الشتاء فاشتد الحصار، وأشار بعض كبار أهل حمص عليهم بالمصالحة فأبوا عليه ذلك وقالوا: أنصالح والمَلِك منا قريب؟ فيقال إن الصحابة كبروا في بعض الأيام تكبيرة ارتجت منها المدينة ووقعت زلزلة تفطرت منها بعض الجدران ثم تكبيرة أخرى فسقطت بعض الدور، فجاءت عامتهم إلى خاصتهم فقالوا: ألا تنظرون إلى ما نزل بنا، وما نحن فيه؟ ألا تصالحون القوم عنا؟ قال: فصالحوهم على ما صالحوا عليه أهل دمشق، على نصف المنازل، وضربِ الخراج على الأراضي، وأخذ الجزية على الرقاب بحسب الغنى والفقر، وبعث أبو عبيدة بالأخماس والبشارة إلى عمر مع عبد الله بن مسعود وأنزل أبو عبيدة بحمص جيشًا كثيفًا يكون بها مع جماعة من الأمراء منهم بلال، والمقداد، وكتب أبو عبيدة إلى عمر يخبره بأن هرقل قد قطع الماء[1] عن الجزيرة وأنه يظهر تارة ويخفى أخرى فبعث إليه عمر يأمره بالمقام ببلده[2].

خامسًا- وقعة قِنّسرين سنة ١٥هـ:

بعث أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى قِنّسرين[3]، فلما جاءها ثار إليه أهلها ومن عندهم من نصارى العرب، فقاتلهم خالد فيها قتالاً شديدًا وقتل منهم خلقًا كثيرًا، فأما من هناك من الروم فأبادهم وقتل أميرهم ميناس، وأما الأعراب فإنهم اعتذروا إليه بأن هذا القتال لم يكن عن رأينا فقبل منهم خالد وكف عنهم، ثم خلص إلى

---

(١) أي نهر الفرات إلى الجزيرة.

(٢) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص٦٢ .

(٣) تاريخ الطبري (٤/٤٢٧).

البلد فتحصنوا فيه، فقال لهم خالد: إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا ولم يزل بهم حتى فتحها الله عليه، فلما بلغ عمر ما صنعه خالد في هذه الموقعة قال: يرحم الله أبا بكر، كان أعلم بالرجال مني، والله إني لم أعزله عن ريبة ولكن خشيت أن يوكل الناس إليه[١].

سادسًا- وقعة قيسارية سنة ١٥هـ:

وفي هذه السنة أمّر عمر معاوية بن أبي سفيان على قيْسارية[٢] وكتب إليه: أما بعد فقد وليتك قيسارية فسر إليها واستنصر الله عليهم، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا فنعم المولى ونعم النصير، فسار إليها فحاصرها، وزاحفه أهلها مرات عديدة، وكان آخرها وَقْعَةَ أن قاتلوا قتالاً عظيمًا، وصمم عليهم معاوية، واجتهد في القتال حتى فتح الله عليه فما انفصل الحال حتى قتل منهم نحوٌ من ثمانين ألفًا، وكمّل المائة الألف من الذين انهزموا عن المعركة وبعث بالفتح والأخماس إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه[٣] هذا ويرى الدكتور عبد الرحمن الشجاع أن مدن الشام تساقطت تحت ضربات المجاهدين الواحدة تلو الأخرى؛ لأن الروم كانوا من الهزيمة بمكان لا تجعلهم يفكرون في المقاومة فتساقطت مدن بيروت، وصيدا، ونابلس، واللد، وحلب، وإنطاكية وكانت قيسارية آخر مدن الشام فتحًا على يد معاوية بن أبي سفيان وكان ذلك بعد فتح القدس[٤].

سابعًا- فتح القدس: ١٦هـ:

كان على فلسطين قائدٌ رومانيٌ دعى (الأرطبون) أي القائد الكبير الذي يلي الامبراطور وكان هذا أدهى الروم وأبعدها غورًا وأنكاها فعلاً، وكان قد وضع بالرملة جندًا عظيمًا، وبإيلياء جندًا عظيمًا[٥]، وكتب عمرو بن العاص إلى عمر رضي الله عنهما، يخبره بذلك، ويستشيره ويستأمره، فقال عمر كلمته الشهيرة: قد رمينا أرطبون الروم

---

(١) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص٦٣ .

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٤٣١).

(٣) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص٦٣، ٦٤ .

(٤) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص٣٥٥ .

(٥) حروب القدس في التاريخ الإسلامي والعربي د. ياسين سويد ص٣٥ .

بأرطبون العرب، فانظروا عما تنفرج[١] وكان يقصد بذلك، أن كلا القائدين أدهى الرجال في قومهما، وكانت معركة أجنادين الثانية (١٥هـ) التي انتصر فيها عمرو على الروم قد مهدت الطريق إلى فلسطين[٢]، وقد بدأت معركة القدس عمليًا، قبل معركة أجنادين الثانية (١٥هـ) ذلك أن أرطبون الروم كان قد وزع (جندًا عظيمًا) له في كل من إيلياء والرملة كما سبق أن قدمنا وبين الرملة وإيلياء أي القدس، ثمانية عشر ميلاً، وذلك تحسبًا لأي هجوم من قبل المسلمين، بقيادة عمرو بن العاص، على المدينتين اللتين كانتا أهم مدن (كورة فلسطين)، إذ كانت الرملة (قصبة فلسطين)، وكانت إيلياء أكبر مدنها[٣]، وكان على الروم في إيليا حاكمها الأرطبون وهو الأرطبون نفسه الذي كان قد لجأ وفلول جيشه إليها بعد هزيمتهم في أجنادين، وكان عليهم في الرملة التذارق[٤] وهذه أهم المراحل التي مرّ بها المسلمون عند فتحهم للقدس.

١- المشاغلة:

كانت خطة الخليفة عمر أن يشغل الروم عن عمرو في فلسطين ريثما يتم الانتصار على حشودهم في أجنادين، حتى يتفرغ المسلمون بعدها لفتح القدس وما تبقى من بلاد الشام، فأمر معاوية أن يتوجه بخيله إلى قيسارية ليشغل حاميتها عن عمرو . أما عمرو فكان قد اعتمد الخطة نفسها التي اعتمدها الخليفة، فأرسل كلاًّ من علقمة بن حكيم الفراسيّ، ومسروق بن فلان المكيّ على رأس قوة لمشاغلة حامية الروم في إيلياء، فصاروا بإزاء أهل إيلياء، فشغلوهم عن عمرو[٥]، ثم أرسل أبا أيوب المالكي على رأس قوة أخرى لمشاغلة حاميتهم في الرملة، وما إن وصلت الإمدادات إلى عمرو حتى أرسل محمد بن عمرو مع مدد لقواته المرابطة في مواجهة حامية إيلياء، كما أرسل عمارة بن عمرو بن أمية الضمري مع مدد لقواته المرابطة في مواجهة حامية الرملة، أما هو فأقام في أجنادين بانتظار المعركة الحاسمة مع الأرطبون وفي هذه الأثناء كانت حامية إيلياء تصد المسلمين عن أسوارها، وكان القتال يستعر

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤٣١).

(٢) حروب القدس في التاريخ الإسلامي والعربي ص٣٥ .

(٣) المصدر نفسه ص٣٥،٣٦ .

(٤) تاريخ الطبري (٤ / ٤٣٢).

(٥) حروب القدس ص٣٦ .

حول المدينة المقدسة بينما كان المسلمون والروم يحتشدون للقتال في أجنادين وكانت معركة أجنادين عنيفة[١]، إذ يقول الطبري فيها: اقتتلوا - أي المسلمون والروم - قتالاً شديدًا كقتال اليرموك، حتى كثرت القتلى بينهم[٢]، فقد نازل أرطبون العرب أرطبون الروم في أجنادين فهزمه، وارتدّ أرطبون الروم وجنده ليحتموا بأسوار المدينة المقدسة فأفرج له المسلمون حتى دخلها[٣]، ويذكر الطبري أن كلاًّ من علقمة ومسروق ومحمد بن عمرو وأبي أيوب التحقوا بعمرو في أجنادين، وسار عمرو بجيشه جميعًا نحو إيلياء لمحاصرتها[٤].

اجتمع المسلمون، بقيادة عمرو بن العاص حول إيلياء، وضرب عمرو على المدينة حصارًا شديدًا، وكانت المدينة حصينة ومنيعة، ويصف الواقدي أسوار المدينة بأنها كانت محصنة بالمجانيق والطوارق والسيوف والدرق والجواشن والزرد الفاخرة ويذكر أن القتال بدأ بعد ثلاثة أيام من الحصار، حيث تقدم المسلمون نحو أسوار المدينة فأمطرتهم حاميتها بوابل من السهام والنبال التي كان المسلمون يتلقونها (بدرقهم) وكان القتال يمتد من الصباح إلى غروب الشمس واستمر على هذا المنوال عدة أيام، حتى كان اليوم الحادي عشر إذ أقبل أبو عبيدة على المسلمين ومعه خالد وعبد الرحمن بن أبي بكر، ومعهم فرسان المسلمين وأبطال الموحدين[٥] مما ألقى الجزع في قلوب أهل إيلياء، واستمر الحصار أربعة اشهر، ما من يوم إلا وجرى فيه قتال شديد (والمسلمون صابرون على البرد والثلج والمطر[٦]، إلى أن يئس الروم من مقاومة حصار المسلمين لمدينتهم، فقرر بطريقهم (البطريق صفرونيوس) القيام بمحاولة أخيرة، وكتب إلى عمرو بن العاص، قائد جيش المسلمين، رسالة يغريه فيها بفك الحصار نظرًا لاستحالة احتلال المدينة[٧].

٣- الاستسلام :

كتب أرطبون الروم إلى عمرو بن العاص يقول له: إنك صديقي ونظيري، أنت

(١) المصدر السابق ص٣٦ .
(٢، ٣) تاريخ الطبري (٤/ ٤٣٣).
(٤) حروب القدس ص٣٧ .
(٥: ٧) حروب القدس ص٣٨ .

في قومك مثلي في قومي، والله لا تفتح من فلسطين شيئًا بعد أجنادين، فارجع ولاتُغرِه فتلقى ما لقي الذين قبلك من الهزيمة[1]، فكتب إليه عمرو كتابًا يقول فيه إنه (صاحب فتح هذه البلاد)، وأرسل الكتاب مع رسول وأمره أن ينقل إليه رد الأرطبون، فلما قرأ الأرطبون كتاب عمرو ضحك مما جاء فيه وقال إن صاحب فتح بيت المقدس هو رجل اسمه (عمر)، ونقل الرسول إلى عمرو ما سمعه من الأرطبون، فعرف عمرو أن الرجل الذي يعنيه الأرطبون هو الخليفة[2]، فكتب إلى الخليفة يخبره بما جاء على لسان الأرطبون أنه لا يفتح المدينة إلا هو، ويستمده، ويستشيره قائلاً إني أعالج حربًا كؤودًا صدومًا وبلادًا ادُّخرت لك، فرأيك[3]، فخرج الخليفة - بعد الاستشارة - في مدد من الجند، إلى الشام، بعد أن استخلف على المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ونزل بالجابية، فجاءه أهل إيلياء (فصالحوه على الجزية، وفتحوها له)[4].

٤- اختلاف الروايات فيمن حاصر القدس والتحقيق فيها:

روى الطبري أكثر من رواية في حصار القدس وقد ذكرت أن الذي حاصرها هو عمرو بن العاص وذكر رواية أخرى قال فيها: كان سبب قدوم عمر إلى الشام، أن أبا عبيدة حضر بيت المقدس، فطلبت أهلها منه أن يصالحهم على صلح مدن أهل الشام، وأن يكون المتولي للعقد عمر بن الخطاب، فكتب إليه ذلك، فسار عن المدينة بعد أن استخلف عليها (عليًّا)، وخرج (ممدًا لهم) أي لعسكر الشام ويروي ابن الأثير روايتين مماثلتين لروايتي الطبري، بل متشابهتين في النص إلى حد كبير[5]، وينسب الواقدي حصار القدس وما جرى خلاله من تشاور مع الخليفة عمر رضي الله عنه ومن تفاوض مع حاميتها الرومية، إلى أبي عبيدة، فيذكر أن أبا عبيدة سرّح إلى بيت المقدس خمسة وثلاثين ألف مقاتل بقيادة سبعة قادة، مع كل قائد خمسة آلاف، وهم: خالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، والمرقال بن هاشم بن أبي وقاص، والمسيّب بن نجية الفزاري، وقيس بن هبيرة المرادي، وعروة بن

(١: ٤) تاريخ الطبري (٤/ ٤٣٣).

(٥) حروب القدس ص٤٠ .

المهلل بن يزيد، سرّحهم في سبعة أيام، كل يوم قائد، ثم لحق بهم بعد أن نشب القتال، عدة أيام، بينهم وبين حامية المدينة[١]، ويستطرد الواقدي فيقول إن أهل إيلياء جاءوا إلى أبي عبيدة يعرضون عليه دخول المدينة صلحًا، على أن يتم الصلح على يدي خليفة المسلمين عمر، ثم يذكر رواية مشابهة لتلك التي رواها كل من الطبري وابن الأثير ويضيف أن أبا عبيدة كتب إلى الخليفة يخبره بما جرى، فسار الخليفة إلى بيت المقدس ونزل عند أسوار المدينة، فخرج إليه بطريقها وتعرف إليه وقال: هذا والله الذي نجد صفته ونعته في كتبنا ومن يكون فتح بلادنا على يديه[٢]. ثم عاد إلى قومه يخبرهم فخرجوا مسرعين وكانوا قد ضاقت أنفسهم من الحصار، ففتحوا الباب، وخرجوا إلى عمر بن الخطاب يسألونه العهد والميثاق والذمة ويقرون له بالجزية[٣]، ونحن نستبعد رواية الواقدي هذه، لاعتقادنا أنه، بينما كان عمرو بن العاص يحاصر القدس، كان رفاقه من قادة المسلمين، بعد اليرموك ودمشق وفحل، يجوبون أنحاء بلاد الشام غانمين منتصرين، فيحتل أبو عبيدة، ومعه خالد بن الوليد، حمص وحماة وقنسرين وحلب، ثم يسلك طريق الساحل الشامي جنوبًا فيستولي على إنطاكية واللاذقية وعرقة. ويحتل يزيد بن أبي سفيان الساحل، جنوبًا من بيروت إلى صيدا، وشمالا من عسقلان إلى صور[٤]، ولكن البلاذري يذكر، في رواية له، أن عمرو بن العاص هو الذي حاصر القدس، بعد أن فتح رفح، وأن أبا عبيدة (قدم عليه.. بعد أن فتح قنسرين ونواحيها وذلك في سنة ١٦، وهو محاصر إيلياء، وإيلياء مدينة بيت المقدس[٥]، وأن أهل إيلياء طلبوا من أبي عبيدة (الأمان والصلح على مثل ما صولح عليه أهل مدن الشام) على أن يتولى العقد لهم عمر بن الخطاب نفسه، وقد كتب أبو عبيدة إلى الخليفة بذلك، فقدم عمر فنزل الجابية من دمشق، ثم سار إلى إيلياء، فأنفذ صلح أهلها وكتب به، وكان فتح إيلياء في سنة ١٧هـ، ويضيف البلاذري بعد ذلك: وقد روي في فتح إيلياء وجه آخر[٦]، ومع أننا

---

(١) فتوح الشام (١/ ٢١٣-٢١٦).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٢٢٥).
(٣) حروب القدس ص٤٠ .
(٤) حروب القدس ص٤١ .
(٥) فتوح البلدان (١/ ١٨٨-١٨٩).
(٦) المصدر نفسه (١/ ١٨٩).

نرجح الرواية الأولى التي أوردها الطبـري وهي أن حصار القدس تمّ على يد عـمرو ابن العاص، وليس على يد أبي عبيدة فنحن نرى أنه لم يكن صـعبًا على أبي عبيدة أن يلتحق بالخليفة عمر في الجابية للتشاور مـعه حول أمور الفتح باعتباره القائد العام لجيوش المسـلمين في الشام، وخصوصًـا عندما نعلم أن أبا عبيـدة كان ثاني من لقي بعد الخليفة يزيد حين وصوله إلى الجابية واستدعائه لسائر أمراء الأجناد في الشام[١]، للتشاور، وأن أبا عبـيدة حضر، مع يزيد وشرحبيل وكـبار قادة المسلمين في الشام، عقد الصلح والأمان، وتسليم المدينة[٢]. إلا أنه لم يشهد على هذا العقـد كما شهد عليه كل من عمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وخالد ابن الوليد كما يستدل من نص المعاهدة نفـسها وليس لدينا أي تفسير لذلك سوى أن أبا عبيدة لم يكن قائد الجيش الذي حاصر المدينة المستسلمة، بل هو عمرو[٣].

٥- نص المعاهدة:

وفيمـا يلي نص المعاهدة كما أوردها الطبري: بسم الله الرحـمن الرحيم، هذا ما أعطى عبـد الله عمـر أميـر المؤمنين أهل إيلياء من الأمـان، أعطاهم أمانًا لأنفـسهم وأموالهم، ولكنائـسهم وصلبانهم، وسـقيمـها وبريئهـا وسائر ملتـها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تُهدم، ولا ينتقص منهـا ولا من حيّزها ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم ولا يُضارّ أحـد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يُعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوت (اللصوص) فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغـوا مأمنهم، ومن أقام منهم فـهو آمن، وعليه مثل مـا على أهل إيلياء من الجزيـة، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسـير بنفـسه ومـاله مع الروم ويخلّي بِيَعـهم وصُلُبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بِيَعهم وصُلُبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مـقتل فلان؛ فمن شاء منهم قعـد، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجـزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شـاء رجع إلى أهله، فإنه لا

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤٣١-٤٣٦). (٢) حروب القدس ص٤١ . (٣) حروب القدس ص٤٢ .

يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية، شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة[1].

● **أهم الدروس والعبر والفوائد:**

أ- موقف فدائي لواثلة بن الأسقع رضي الله عنه:

قال واثلة: . . فأسمع صرير باب الجابية - وهو واحد من أبواب دمشق - فمكثت فإذا بخيل عظيمة فأمهلتها، ثم حملت عليهم وكبّرت فظنوا أنهم أحيط بهم، فانهزموا إلى البلد، وأسلموا عظيمهم - يعني قائدهم - فدعسته بالرمح وألقيته عن برذونه، وضربت يدي على عنان البرذون وركضت، والتفتوا فلما رأوني وحدي تبعوني فدعست فارسًا بالرمح فقتلته، ثم دنا آخر فقتلته، ثم جئت خالد بن الوليد فأخبرته وإذا عنده عظيم من الروم يلتمس الأمان لأهل دمشق[2].

ب- سفارة معاذ بن جبل إلى الروم قبيل (موقعة فحل):

بعد مناوشات بين المسلمين والروم، قبيل موقعة فحل، أرسل الروم إلى المسلمين أن ابعثوا إلينا رجلاً، نسأله عما تريدون وما تسألونه وما تدعون إليه ونخبره بما نريد. فأرسل إليهم أبو عبيدة معاذ بن جبل الأنصاري مفاوضًا وسفيرًا عن المسلمين، فاستعد الروم لاستقباله، وأظهروا أجمل ما عندهم من الزينة، وأنفذ ما عندهم من الأسلحة: وفرشوا الأرض بأثمن البسط والنمارق التي تكاد تخطف الأبصار، ليفتنوا معاذا عما جاء له أو يرهبوه ويفتوا في عضده ففاجأهم بتعاليه عن زينتهم، ورفضه لكل أشكال المغريات، وبشدة تواضعه وزهده، بل اغتنم ذلك الموقف لاستخدامه سلاحًا ضد الروم، فأمسك بعنان فرسه، وأبى أن يعطيه لغلام من الروم، وأبى الجلوس على ما أعدوه لاستقباله وقال لهم: لا أجلس على هذه النمارق التي استأثرتم بها على

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤٣٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٨٦-٣٨٧)، التاريخ الإسلامي (١٠/ ٣١٩).

ضعفائكم. . وجلس على الأرض. . وقال إنما أنا عبد من عباد الله أجلس على بساط الله، ولا أستأثر بشيء من مال الله على إخواني[1]، ودار بينهم حوار سألوه فيه عن الإسلام فأجابهم، وسألوه عن نبي الله عيسى عليه السلام فقرأ عليهم قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ (آل عمران: ٥٩).

وأوضح لهم ما يريد منهم المسلمون، وقرأ عليهم قوله تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً** ﴾ (التوبة، آية: ١٢٣).

وقالوا له إن سبب انتصار المسلمين على الفرس هو موت ملكهم، وإن ملك الروم حي وجنوده لا تحصى، فقال لهم إن كان ملككم هرقل، فإن ملكنا الله وأميرنا رجل منا، إن عمل فينا بكتاب الله وسنة نبينا أقررناه، وإن غير عزلناه، ولا يحتجب عنا ولا يتكبر ولا يستأثر علينا[2]، وأما عن كثرتهم فقد قرأ عليهم قوله تعالى: ﴿ **كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ (البقرة، آية: ٢٤٩).

ولما فشل الروم في التأثير في معاذ أو النيل منه، فيما أعدوه من بهارج وخيلاء، عادوا إلى الواقع يعرضون عليه الصلح، وأن يعطوا المسلمين البلقاء وما والاها فأعلمهم معاذٌ أنه ليس أمامهم إلا الإسلام أو الجزية، أو الحرب، فغضبوا وقالوا اذهب إلى أصحابك، إنا لنرجو أن نقرنكم في الحبال.

فقال معاذ: أما الحبال فلا، ولكن والله لتقتلننا عن آخرنا أو لنخرجنكم منها أذلة وأنتم صاغرون، ثم انصرف[3]، وهكذا ظهر معاذ في هذه السفارة شخصية سياسية عسكرية، وداعية إلى الإسلام يواجه حجج خصومه، ويوجه إليهم النقد اللاذع، مظهرًا عيوبهم واستئثارهم على رعيتهم، ويذكرهم بتعاليم دينهم، ويدعوهم إلى الإسلام، أما تهويلهم وحربهم النفسية فيرد عليها بالواقع لا بالتهويل والتخويف، ثم يعود إلى قيادته التي أقرت كل ما قام به وما قاله للروم[4]، وقد كان المسلمون يدعون خصومهم للإسلام قبل القتال.

(١، ٣) الاكتفاء للكلاعي (٣/ ١٩٤).

(٤) الأنصار في العصر الراشدي ص٢٠٧.

ج- موقف لعبادة بن الصامت في فتح قيسارِية:

كان عبادة بن الصامت على ميمنة جيش المسلمين في حصار قيسارية، فقام ﷺ بوعظ جنده ودعاهم إلى تفقد أنفسهم، والحيطة من المعاصي ثم قاد هجومًا قتل فيه كثيرًا من الروم، لكنه لم يتمكن من تحقيق هدفه، فعاد إلى موقعه الذي انطلق منه، فحرض أصحابه على القتال، وأبدى لهم استغرابه الشديد لعدم تحقيق أهداف ذلك الهجوم فقال: يا أهل الإسلام إني كنت من أحدث النقباء سنًا وأبعدهم أجلاً وقد قضى الله أن أبقاني حتى قاتلت هذا العدو معكم.. والذي نفسي بيده ما حملت قط في جماعة من المؤمنين على جماعة من المشركين، إلا خلوا لنا الساحة وأعطانا الله عليهم الظفر فما بالكم حملتم على هؤلاء فلم تزيلوهم؟[1] ثم بين لهم ما يخشاه منهم فقال: إني والله لخائف عليكم خصلتين، أن تكونوا قد غَللتم، أولم تناصحوا الله في حملتكم عليهم[2]، وحث أصحابه على طلب الشهادة بصدق، وأعلمهم أنه سيكون في مقدمتهم وأنه لن يعود إلى مكانه، إلا أن يفتح الله عليه أو يرزقه الشهادة[3]، فلما التحم المسلمون والروم، ترجل عبادة عن جواده، وأخذ راجلاً فلما رآه عمير بن سعد الأنصاري نادى المسلمين يعلمهم بما فعل أميرهم ويدعوهم إلى الاقتداء به فقاتلوا الروم حتى هزموهم و(أحجروهم في حصنهم) [4].

د- أم حكيم بنت الحارث بن هشام في معركة مرج الصُّفر:

كانت أم حكيم بنت الحارث بن هشام تحت عكرمة بن أبي جهل فقتل عنها في معارك الشام[5]، فاعتدت أربعة أشهر وعشرًا، وكان يزيد بن أبي سفيان يخطبها، وكان خالد بن سعيد يرسل إليها يعرض لها في خطبتها، فخطبت إلى خالد بن سعيد، فتزوجها، فلما نزل المسلمون مرج صفر-وكان خالد قد شهد أجنادين وفِحل ومرج الصفر- أراد أن يعرّس بأم حكيم فجعلت تقول: لو أخرت الدخول حتى يفضَّ الله هذه الجموع، فقال خالد: إن نفسي تحدثني أني أصاب في جموعهم. قالت: فدونك، فأعرس بها عند القنطرة التي بالصفر، فبها سميت قنطرة

(١-٤) الأنصار في العصر الراشدي ص٢٠٧ .   (٥) قيل: إنه استشهد باليرموك وقيل أجنادين، وقيل يوم فحل.

أم حكيم، وأولم عليها، فدعا أصحابه إلى طعام، فما فرغوا من الطعام حتى صفت الروم صفوفها وبرز خالد بن سعيد فقاتل فقتل وشدت أم حكيم عليها ثيابها وتبدت، وإن عليها أثر الخلوق فاقتتلوا أشد القتال على النهر، وصبر الفريقان جميعًا، وأخذ السيوف بعضها بعضًا، وقتلت أم حكيم يومئذ سبعة بعمود الفسطاط الذي بات فيه خالد معرسًا بها[١].

هـ- قيصر ملك الروم يودع الشام:

في السنة الخامسة عشرة تقهقر هرقل بجنوده، وارتحل عن الشام إلى بلاد الروم[٢] وقيل في سنة ست عشرة[٣]، وكان هرقل كلما حج إلى بيت المقدس وخرج منها يقول: عليك السلام يا سورية، تسليم مودع لم يقض منك وطرًا وهو عائد؛ فلما عزم على الرحيل من الشام وبلغ الرَّها[٤]، طلب من أهلها أن يصحبوه إلى الروم فقالوا: إن بقاءنا هاهنا أنفع لك من رحيلنا معك، فتركهم؛ فلما وصل إلى شِمْشَاط[٥] وعلا على شرف هنالك التفت إلى نحو بيت المقدس وقال: عليك السلام يا سورية سلامًا لا اجتماع بعده[٦]، ثم سار هرقل حتى نزل القسطنطينية واستقر بها ملكه، وقد سأل رجلاً ممن اتبعه، كان قد أُسِرَ مع المسلمين، فقال أخبرني عن هؤلاء القوم، فقال: أخبرك كأنك تنظر إليهم، هم فرسان بالنهار ورهبان بالليل، ما يأكلون في ذمتهم إلا بثمن، ولا يدخلون إلا بسلام، يقضون على من حاربوه حتى يأتوا عليه، فقال: لئن كنت صدقتني ليملكن موضع قدمي هاتين[٧].

و- إن الله أعزَّكم بالإسلام:

لما قدم عمر ﷺ الشام راكبًا على حماره ورجلاه من جانب قال له أبو عبيدة:

---

(١) الاستيعاب (٤/ ٤٨٦) دور المرأة السياسي، أسماء محمد ص٣١٣ .
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٤٢٨).
(٣) ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ص٦٦ .
(٤) الرَّها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام.
(٥) مدينة على شط الفرات في طرف أرمينية بينها وبين الشام.
(٦، ٧) تاريخ الطبري (٤/ ٤٢٩).

يا أمـير المؤمـنين، الآن يتلقاك عـظماء الناس، فـقـال عمـر ﷺ: إن الله أعـزّكم بالإسلام، فمهما طلبتم العزّ في غيره أذلكم[١].

ز- من خطبته بالجابية لما وصل الشام:

خطب عمر ﷺ بالجابية، فقـال: إن رسول الله ﷺ قام في مثل مقامي هذا فـقال: أحـسنوا إلى أصـحابي ثم الذيـن يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيءُ قـوم يحلف أحدهم على اليـمين قبل أن يُسْتَـحْلَف عليها، ويشـهد على الشهـادة قبل أن يُستشهد، فمن أحب منكم أن ينال بُحْبُـوحة الجنة، فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعـد، ولا يخلون رجل بامرأة فـإن ثالثهمـا الشيطان، ومن كان منكم تسرُّه حسنته وتسوؤه سيئته فهو مؤمن[٢].

ح- غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة:

لما قدم عمر الشام قال لأبي عبيدة ﷺ: اذهب بنا إلى منزلك، قال: وما تصنع عندي؟ ما تريد إلا أن تـعصر عـينيك عليّ، قال: فدخل فـلم ير شيئًـا، قال: أين متاعك؟ لا أرى إلا لَبَدًا وصحفة وشنًا[٣]، وأنت أمير أعندك طعام؟ فـقام أبو عبيدة إلى جونة[٤]، فأخذ منهـا كسيرات، فبكى عـمر، فقال له أبو عبـيدة: قد قلت لك إنك ستعصر عينيك عليّ، يا أمير المؤمنين يكفيك ما يُبلغُك المقيل، قال عمر: غيَّرتنا الدنيا كلّنا غيرك يا أبا عبيدة[٥] وعلق الذهبي على هذه الحادثة فقال: وهذا والله هو الزهد الخالص لا زهد من كان فقـيرًا معدمًا[٦]، وجاء في رواية عن هشام بن عروة عن أبيه قـال: قدم عمر ﷺ الشـام، فتلقاه أمـراء الأجناد، وعظماء أهل الأرض، فقال عمـر: أين أخي؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيـدة بن الجراح، قالوا: يأتيك الآن، فجاء على ناقة مخطومة بحبل فسلم عليه، فسأله ثم قال للناس: انصرفوا عنا، فسار معه حتى أتى منزله، فنزل عليه، فلم ير في بيته إلا سيفه، وترسه، ورحله[٧].

---

(١) محض الصواب (٢/ ٥٩٠) إسناده صحيح.

(٢) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم ١٧٧ حديث صحيح ورجاله ثقات.

(٣) اللّبد السرج والشنّ القربة القديمة. (٤) الجونة: السلة. (٥،٦) سير أعلام النبلاء (١/ ١٧).

(٧) محض الصواب (٢/ ٥٨٩، ٥٩٠) إسناده صحيح إلى عروة.

ط- تعليق على نص معاهدة أهل بيت المقدس:

إن كتاب الصلح الذي أبرمه عمر ﷺ يشهد شهادة حق بأن الإسلام دين تسامح وليس دين إكراه وهو شاهد عدل بأن المسلمين عاملوا النصارى الموجودين في القدس معاملة لم تخطر على بالهم. إن عمر وهو الفاتح كان يستطيع أن يفرض عليهم ما يشاء، وأن يجبرهم على ما يريد، ولكنه لم يفعل لأنه كان يمثل الإسلام، والإسلام لا يكره أحدًا على الدخول فيه ولا يقبل من أحد إيمانًا إلا عن طواعية وإذعان، إن الإيمان ليس شيئًا يجبر عليه الناس لأنه من عمل القلوب، والقلوب لا يعلم مخبآتها إلا الله سبحانه فقد يريك الإنسان أنه مؤمن وليس كذلك وتكون مضرته لأهل الإيمان أكثر ممن يجاهرون بالكفر والإلحاد ولهذا آثر المسلمون أن يعطوا الناس حرية العبادة، ويؤمنوهم على كل عزيز لديهم على أن يعيشوا في كنف المسلمين، ويؤدوا الجزية مقابل حمايتهم والذود عنهم، وفي ظلال الحياة الهادئة الوديعة وفي رحاب الصلات والجوار، وفي كنف المسلمين وعدالتهم سيرى غير المسلمين عن قرب جمال الإسلام وسماحته وإنصافه وعدالته وسيَرون فيه الحقائق التي قد عميت عليهم لبعدهم عنه، وعندئذ يدخلون في دين الله أفواجًا كما حدث في كل البلاد التي فتحها المسلمون، وأعطوا أهلها مثل هذا الأمان[1].

ي- عمر ﷺ يصلي في المسجد الأقصى:

قال أبو سلمة حدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم قال: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول لكعب: أين ترى أن أصلي؟ فقال: إن أخذت عنّي، صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلُّها بين يديك، فقال عمر: ضاهيت اليهودية، لا ولكن أصلي حيث صلّى رسول الله ﷺ، فتقدم إلى القبلة فصلّى، ثم جاء فبسط رداءه فكنس الكناسة في ردائه وكنس الناس[2] وقال ابن تيمية: المسجد الأقصى اسم لجميع المسجد.. وقد صار بعض الناس يسمي الأقصى المصلّى الذي بناه عمر بن

---

(١) جولة في عصر الخلفاء الراشدين، محمد سيد الوكيل ص٢٠٠، ٢٠١.

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٥٧) هذا إسناد جيد.

الخطاب في مُقَدّمه، والصلاة في هذا المصلى الذي بناه عمر للمسلمين، أفضل من الصلاة في سائر المسجد، فإن عمر بن الخطاب لما فتح بيت المقدس، وكان على الصخرة زبالة عظيمة، لأنَّ النصارى كانوا يقصدون إهانتها، مقابلة لليهود الذين يصلّون إليها، فأمر عمر بإزالة النجاسة عنها. وقال كعب: أين ترى أن نبني مصلى للمسلمين؛ فقال: خَلْفَ الصخرة، فقال: يابن اليهودية: خالطت اليهودية بل أبنيه أمامها، فإنّ لنا صدور المساجد[١].

وهذا موقف آخر جليل وعظيم من مواقف أمير المؤمنين التي لا تحصى، والتي برهن فيها عمليًا على أن الإسلام يحترم جميع الأديان السماوية ويجعل كل المقدسات محترمة ولا يحتقر شيئًا منها، إن هذه الصخرة التي أزال عنها عمر التراب والأوساخ بيده وحملها في ردائه لينفيها عنها هي قبلة اليهود والصخرة المعظمة عندهم التي كلم الله عليها يعقوب عليه السلام كما يعتقدون، فكما كان موقف عمر من النصارى رائعًا وجليلاً حين منحهم حرية الاعتقاد وأمنهم على صلبانهم وكنائسهم لم يضن على اليهود مع ما ارتكبوه في حق المسلمين من الجرائم بمثل هذا الموقف الرائع الجليل، حيث رفع التراب عن الصخرة، وأظهر عنايته بها وحرصه على احترامها[٢].

- محاولة الرومان احتلال حمص من جديد:

قدمت عيون أبي عبيدة فأخبروه بجمع الروم وخطاب هرقل فيهم وسيرهم إليه، ورأى أبو عبيدة ألا يكتم جنوده الخبر، فدعا رءوس المسلمين وذوي الهيئة والصلاح منهم ليستشيرهم ويسمع رأي جماعتهم[٣]، فكان رأي معاذ بن جبل الأنصاري، عدم الانسحاب وقال: هل يلتمس الروم من عدوهم أمرًا أضر لهم مما تريدون بأنفسكم تخلون لهم عن أرض قد فتحها الله عليكم، وقتل فيها صناديدهم وأهلك

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى (٢/ ٥٧، ٥٨).

(٢) جولة في عصر الخلفاء الراشدين ص٢٠٣، ٢٠٤ .

(٣) الطريق إلى دمشق ص٤٠٨، ٤٠٩ .

جنودهم.. أما والله لئن أردتم دخولها بعد الخروج منها لَتُكابدنَّ من ذلك مشقة فقال أبو عبيدة صدق والله وبرّ[١]، ولكن الأحداث سارت على غير هذا الاتجاه، فأعاد المسلمون ما جبوه من أهل حمص فقد أمر أبو عبيدة حبيب بن مسلمة وقال له: اردد على القوم الذين كنا صالحناهم من أهل البلد، ما كنا أخذنا منهم، فإنه لا ينبغي لنا إذ لم نمنعهم أن نأخذ منهم شيئًا، وقال لهم نحن على ما كنا عليه فيما بيننا وبينكم من الصلح لا نرجع فيه إلا أن ترجعوا عنه، وإنما رددنا عليكم أموالكم أنا كرهنا أن نأخذ بأموالكم ولا نمنع بلادكم، ولكنا نتنحى إلى بعض الأراضي ونبعث إلى إخواننا فيقدموا علينا ثم نلقي عدونا فنقاتلهم فإن أظفرنا الله بهم وفينا لكم بعهدكم إلا ألا تطلبوا ذلك. وأصبح الصباح فأمر أبو عبيدة برحيل جيش المسلمين إلى دمشق، واستدعى حبيب بن مسلمة القوم الذين كانوا أخذ منهم الجزية فرد عليهم مالهم وأخبرهم بما قال أبو عبيدة، وأخذ أهل حمص يقولون: ردكم الله إلينا ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم، ولكن والله لو كانوا هم ما ردوا علينا بل غصبونا وأخذوا ما قدروا عليه من أموالنا، لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم[٢].

وأرسل أبو عبيدة سفيان بن عوف إلى عمر ليلة غدا من حمص إلى دمشق، وقال: ائت أمير المؤمنين فأبلغه عني السلام، وأخبره بما قد رأيت وعاينت وبما قد جاءتنا به العيون، وبما استقر عندك من كثرة العدو، وبالذي رأى المسلمون من التنحي عنهم، وكتب معه: أما بعد، فإن عيوني قدمت عليّ من أرض عدونا، من القرية التي فيها ملك الروم، فحدثوني بأن الروم قد توجهوا إلينا وجمعوا لنا من الجموع ما لم يجمعوه لأمة قط كانت قبلنا، وقد دعوت المسلمين وأخبرتهم الخبر واستشرتهم في الرأي، فأجمع رأيهم على أن يتنحوا عنهم حتى يأتينا رأيك، وقد بعثت إليك رجلاً عنده علم ما قبلنا فسله عما بدا لك فإنه بذلك عليم وهو عندنا أمين، ونستعين بالله العزيز العليم وهو حسبنا ونعم الوكيل[٣].

---

(١) الأنصار في العصر الراشدي ص٢٠٧.
(٢) الطريق إلى الشام ص٤١٠، ٤١١.
(٣) الطريق إلى الشام ص٤١١، تاريخ الطبري (٤/ ٢٣، ٢٥).

- الخطة الحربية البديعة التي رسمها عمر ﷺ لنجدة أبي عبيدة ﷺ:

لما بلغ الخبر عمر ﷺ كتب إلى سعد بن أبي وقاص ﷺ: أن اندب الناس مع القعقاع بن عمرو، وسرِّحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي إلى حمص، فإن أبا عبيدة قد أحيط به، وكان عمر قد أعد خيولاً احتياطية في كل بلد استعدادًا للحروب المفاجئة، فكان في الكوفة أربعة آلاف فرس، فجهز سعد عليها الجيش الذي أرسله إلى الشام، وكتب عمر أيضًا إلى سعد: أن سرِّح سهيل بن عدي إلى الجزيرة في الجند، ولْيَأت (الرَّقَّة)، فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص، وإن أهل (قَرْقيسياء) لهم سلف، وسرّح عبد الله بن عبد الله بن عتبان إلى (نصيبين) فإن أهل قرقيسياء لهم سلف ثم لينْفُضا[1] حرَّان والرَّها، وسرِّح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ، وسرح عياضًا، فإن كان قتال فقد جعلت أمرهم جميعًا إلى عياض بن غنْم، فمضى القعقاع في أربعة آلاف من يومهم الذي أتاهم فيه الكتاب نحو حمص، وخرج عياض بن غنم وأمراء الجزيرة فأخذوا طريقهم نحو الأهداف التي وجهوا إليها، وخرج أمير المؤمنين عمر من المدينة مغيثًا لأبي عبيدة يريد حمص حتى نزل الجابية وعلم أهل الجزيرة الذين اشتركوا مع الروم في حصار أهل حمص بخروج الجيوش من العراق، ولا يدرون هل مقصدهم حمص أم بلادهم في الجزيرة فتفرقوا إلى بلدانهم وإخوانهم، وتركوا الروم يواجهون المعركة وحدهم ولما رأى أبو عبيدة أن أنصار الروم من أهل الجزيرة قد انفضوا عنهم، استشار خالدًا في الخروج إليهم وقتالهم فأشار عليه بذلك، فخرجوا إليهم وقاتلوهم وفتح الله عليهم، وقدم القعقاع بن عمرو ومن معه من أهل الكوفة بعد ثلاثة أيام من المعركة وقدم أمير المؤمنين بالجابية، فكتبوا إليه بالفتح وبقدوم المدد عليهم بعد ثلاثة أيام من الفتح وبالحكم في ذلك، فكتب إليهم أن شركوهم فإنهم قد نفروا لكم وقد تفرق لهم عدوكم[2]، وقال: جزى الله أهل الكوفة خيرًا يكفون حوزتهم ويُمِدّون أهل الأمصار[3].

---

(١) نفض البلد: طهرها من اللصوص والأعداء.

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٢٤، ٢٥).

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٢٥).

حينما نتأمل هذه الخطة الحربية البديعة التي رسمها عمر رضي الله عنه لإرباك الأعداء وتفريقهم نرى عبقرية الفاروق العسكرية، فقد أمر ببعث جيش سريع من الكوفة إلى حمص ليقوم بعملية الإنقاذ وخرج هو بجيش من المدينة، وهذا كله يبدو أمرًا معتادًا، ولكن الأمر الذي يثير الإعجاب هو ما قام به من الأمر ببعث الجيوش إلى بلاد المحاربين ليضطرهم إلى ترك ميدان القتال والتفرق إلى بلادهم لحمايتها، وقد نجحت هذه الخطة حيث تفرقوا فهان على المسلمين القضاء على الروم(١).

● **فتح الجزيرة ١٧هـ:**

تقدم لنا أن الروم وأهل بلاد الجزيرة أغاروا على مدينة حمص وحصروا فيها أبا عبيدة رضي الله عنه والمسلمين وأن عمر رضي الله عنه أرسل إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يأمره بإمداد أهل حمص بجيش يخرج من الكوفة إلى حمص، وجيوش تخرج إلى الجزيرة وقد أرسل سعد جيشًا من الكوفة بقيادة القعقاع بن عمرو التميمي، وأرسل جيوشًا إلى الجزيرة وكلها تحت قيادة عياض بن غنم رضي الله عنه، فخرجَت هذه الجيوش إلى الجزيرة فسلك سهيل بن عدي وجنده طريق الفراض حتى انتهى إلى الرَّقَّة فحاصرهم، فنظروا إلى أنفسهم بين قوتين للمسلمين في العراق والشام فصالحوهم، وسلك عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان طريق دجلة حتى انتهى إلى نصيبين فلقيه أهلها بالصلح كما صنع أهل الرقة، ولما أعطى أهل الرقة ونصيبين الطاعة ضم عياض سهيلاً وعبد الله إليه وسار بالناس إلى حران فأخذ ما دونها، فلما انتهى إليهم اتقوه بالإجابة إلى الجزية فقبل منهم، ثمّ سرَّح عبدالله وسهيلاً إلى الرَّها فاتقوهما بالإجابة إلى الجزية وهكذا فتحت الجزيرة كلها على سعتها صلحًا، فكانت أسهل البلدان أمرًا(٢).

* ■ *

---

(١) التاريخ الإسلامي (١١/ ١٣٧).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٢٦-٣٠).

المبحث الثاني
فتوحات مصر وليبيا

كانت دوافع فتح مصر عند المسلمين قوية، فهناك العقيدة التي يريدون التمكين لها في كل مكان، ومصر تتصل بفلسطين فمن الطبيعي بعد فتح فلسطين أن يتجه المسلمون إلى مصر، وقد قسم المسلمون الامبراطورية البيزنطية إلى قسمين لا يصل بينهما سوى البحر وذلك باستيلائهم على الشام، وفي مصر وشمال إفريقية جيوش ومسالح رومية، ولبيزنطة أسطول قوي في البحر، ولن يأمن المسلمون في الشام ومصر تحت النفوذ الروماني، ومصر غنية، وهي مصدر لتموين القسطنطينية فإذا فتحها المسلمون ضعف نفوذ بيزنطة كثيرًا وأمن المسلمون في الشام والحجاز حيث يسهل اتصال الروم بالحجاز عن طريق مصر[1] ومن العوامل أيضًا أن (القبط) أنفسهم يعانون من اضطهاد الروم، وأن هؤلاء لا يعيشون في مصر إلا بمثابة حاميات عسكرية، فلماذا لا تنتهز هذه الفرصة خاصة أن عدل المسلمين لابد أن يكون قد سبقهم إلى مصر[2]، أما الحامية نفسها فإن الرعب[3] لابد أن يكون قد تملّكها حينما رأت ملكها هرقل يترك بلاد الشام لتصير جزءًا من الدولة الإسلامية. كل هذا كان يدركه عمرو بن العاص وخلص إلى نتيجة وهي: أن الروم في مصر سيكونون عاجزين عن الوقوف في وجه المسلمين بينما لو تركت مصر دون فتح فستظل مصدر تهديد لهم، وهذا ما صرح به عمرو بن العاص نفسه[4] وبالرغم من تعدد الروايات حول أول من فكر في فتح مصر: عمرو بن العاص أم الخليفة نفسه دون تدخل من عمرو، أم أن الخليفة وافق تحت إلحاح عمرو[5]، بالرغم من ذلك الاختلاف فإن العوامل السابقة كلها تنفي أن تكون خطة فتح مصر هي مجرد خاطرة من عمرو وأن الخليفة غير راضٍ عن ذلك، أو أنهم لم يكن لديهم التصور الكامل عن مصر

---

(١) عصر الخلافة الراشدة للعمري ص٣٤٨ .

(٢) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص٣٥٧ .

(٣) فتوح الشام للأزدي ص١١٨ .

(٤) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص٣٥٧ .

(٥) النجوم الزاهرة (١/ ٤-٧).

وأرضها وحجم قـوة أعدائهم فيها وقد جاءت الروايات التاريخـية تؤيد ما ذهبت إليه فقـد بين ابن عبد الحكم: أن عـمر بن الخطاب كتب إلى عـمرو بن العاص بعـد فتح الشام أن اندب الناس إلى المسيـر معك إلى مصر، فمن خف مـعك فسر به[١]، وجاء في الطبري: . . أقام عمر بإيلياء بعدما صـالح أهلها ودخلها أيامًا، فأمضى عمرو بن العاص إلى مـصر، وأمّره عليهـا، إن فتح الله عليه، وبعث في إثره الزبيـر بن العوام مددًا له ويؤكد هذا تلك الإمدادات التي أرسلها عمر إلى مصر ووصل عددها إلى اثني عشر ألفًا، وكذلك أمره بفتح الإسكندرية دون خلاف في ذلك[٢]، فهل من الممكن أن يتوغل عمرو في مصر دون رضًا من الخلافة؟ ونحن نعرف المسلمين قادة وجنودًا كانوا غاية في السـمع والطاعة والالتـزام ومن ثم نكرر أن فتح مصـر لم يكن إلا استـجابة لخطة مرسومة سلفًا عند الخليفة وقواده، ولم تكن استجابة لرغبة عابرة[٣].

أولاً- مسير الفتح الإسلامي لمصر:

يعتبر فتح مصر المرحلة الثالثة من الفتـوحات بالنسبة لمحور الدولة البيزنطية ولقد كانت مسيرة عـمرو من فلسطين إلى مصر محاذيًا البحـر فسار من رفح إلى العريش إلى الفرما واستمر فتحه للقاهرة فالإسكندرية وهذا يدلنا على موهبة عمرو العسكرية حيث سار في هذا الخط ربما لأنه لم يكن للروم ثقل عـسكري في هذا الخط كما كان في بلاد الشام وربما لأن الدرب كان مـعروفًا لعمرو بن العـاص، فكان تسلسل الفتح كما هو مـرتب فيما يلي مع بيـان أوجه الاختلاف والاضطراب حيـث لم يخل سير الفتح من اختلاف كما حدث في فتح بلاد الشام[٤].

١- فتح الفرما:

تقدم عمرو غربًا ولم يلاق جيشًا رومانيًا إلا في (الفرما) أما قبل ذلك فقد قابله المصريون بالتـرحاب والتـهليل، فكان أول موضع قوتل فـيه كـان في (الفرما) فـقد

---

(١) فتوح مصر ص٥٧ . (٢) تاريخ الطبري (٥/ ٨٤-٩٣).

(٣) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراسدة ص٣٥٧،٣٥٨ .

(٤) عمرو بن العاص القائد والسياسي، د. عبد الرحيم محمد ص٧٩ .

تحصن الروم في المدينة لمواجهة المسلمين، واثقين من قدراتهم على الذود عنها ورد المسلمين بعد أن علموا أن المسلمين الذين جاءوا مع عمرو قلة في العدد والعدة وليس معهم عدة للحصار، عرف عمرو عدد الروم، واستعداداتهم وأنهم يزيدون على جنده أضعافًا، فكانت خطته في الاستيلاء على الفرما هي المهاجمة وفتح الأبواب أو الصبر عليها إلى أن يضطر الجوع أهلها فينزلوا إليهم، واشتد حصار المسلمين للمدينة واشتد عناد الروم ودام الحصار شهورًا، وكانت بعض القوات الرومانية تنزل إلى المسلمين بين الحين والآخر لقتالهم فيجهز عليهم المسلمون وكان عمرو يشد أزر المسلمين بكلماته القوية، فمن قوله لهم: يا أهل الإسلام والإيمان، يا حملة القرآن، ياأصحاب محمد ﷺ اصبروا صبر الرجال واثبتوا بأقدامكم ولا تزايلوا صفوفكم، وأشرعوا الرماح واستتروا بالدرق، والزموا الصمت إلا من ذكر الله، ولا تحدثوا حدثًا حتى آمركم[١] وذات يوم خرجت فرقة من الرومان من القرية إلى المسلمين ليقاتلوهم وكانت الغلبة للمسلمين والدائرة على الروم فلاذوا بالفرار إلى القرية، وتبعهم المسلمون، وكانوا أسرع منهم، فملكوا الباب قبل أن يقتحمه الرومان، وكان أول من اقتحم المدينة من المسلمين هو (أسميقع) فكان الفتح المبين، ومما هو جدير بالذكر أن أقباط مصر الذين كانوا بالقرى عاونوا المسلمين ودلوهم على مناطق الضعف وتلقوا المسلمين في (أتميدة) بالترحاب، وبعد تمام احتلال الفرما قام المسلمون بهدم أسوارها وحصونها حتى لا يستفيد منها الروم لو رجعوا إليها -لا قدر الله- ثم خطب عمرو في الجيش قائلاً: أيها الناس، حمدًا لله الذي جعل لجيش المسلمين الغلبة والظفر، والله عظيم حمى بالإسلام ظهورنا، وتكفل به طريق رجوعنا، ولكن إياكم أن تظنوا أن كل ما نرغب فيه قد تحقق، وأن تخدعوا بهذا النصر، فلا يزال الطريق أمامنا وعرًا شاقًا والمهمة التي وكلها لنا أمير المؤمنين بعيدة المنال، وعليكم بالصبر والطاعة لرؤسائكم، فسيعلم القوم هنا أننا جنود السلام، لا نبغي فسادًا في الأرض بل نصلحها وكونوا خير قدوة للرسول ﷺ[٢].

---

(١) فتح مصر، صبحي ندا ص١٩، ٢٠ .

(٢) المصدر السابق ص٢٠ .

اطمأن عمرو إلى أن المدينة لم تعد صالحة لحماية جيش يأوي إليها، وتفقد جيشه وما فقده في المعركة وتألم لفقد رجال كانوا حريصين على فتح مصر فعاجلتهم المنية، وخشي إن استمرت المعارك على هذا النحو مع وقوع الخسائر في الجيش القليل العدد ألا يستطيع مواصلة الزحف، ولا يتمكن من بلوغ الغـاية ولكن الله تعالى قد عوضه عمن فقده فانضم إلى جـيشه كثير من رجال القبائـل العربية من راشدة ولخم وكانوا يقيمون بجبل الحلال[(١)]، ومضى عمرو بجيشه لا يلقى شيـئًا من المقاومة متجهًا غربًا حتى وصل القواصر (القصـاصين) ومن هناك اتجه نحو الجنوب حتى أصبح في وادي الطمبلان بالقرب من التل الكبير ثـم اتجه إلى الجنوب حتى نزل بلبيس. قال صاحب النجوم الزاهرة: فتقدم عمرو لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى بلبيس[(٢)].

٢- فتح بلبيس:

وعند بلبيس برز الروم في قوة كبيرة قاصدين صدّ عمرو عن التوجه نحو حصن بابليون وأرادوا منازلة المسلمين، فـقال لهم عمرو ﷺ لا تعجلونـا حتى نعذر إليكم وليبـرز إليّ أبو مريم وأبو مريام، وعـندئذ كفوا عن القـتال، وخرج إليـه الرجلان، فدعاهما إلى الإسـلام أو الجزية، وأخبرهما بوصية النـبي ﷺ بأهل مصر، بسبب هاجـر أم اسمـاعيل: روى مـسلم في صحـيحـه أن رسول الله ﷺ قـال: إنكم ستفتـحون مصر، وهي أرض يسمى فيـها القيراط[(٣)]، فإذا فتحتـموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمّة ورحمًـا؛ أو قال: ذمة وصهرًا[(٤)]، فقالا: قـرابة بعيدة لا يصل مثلهـا إلا الأنبيـاء، آمِنّا حتى نرجع إليك. فـقال عـمرو: مثلي لا يُخـدع: ولكني أؤجلكمـا ثلاثًا لتنظرا فـقالا: زدنا، فـزادهمـا يومًا، فـرجعـا إلى المقـوقس عظيم القبط[(٥)]، وأرطبون الوالي من قِـبَل الروم، فأخبراهمـا خبر المسلمين، فأمـا أرطبون فأبى وعـزم على الحرب، وبيّت المسلمـين، فهزمـوه هو وجنده إلى الإسكندرية[(٦)]،

---

(١) جولة في عصر الخلفاء الراشدين ص٢١٤ . (٢) النجوم الزاهرة (١/ ٨،٧).

(٣) القيراط: معيار في الوزن وفي القياس، اختلفت مقاديره باختلاف الأزمنة.

(٤) مسلم، ك فضائل الصحابة رقم ٢٥٤٣ . (٥) البداية والنهاية (٧/ ١٠٠).

(٦) فتح مصر ص٢٤ .

ومما هو جدير بالذكر، مـا يدل على شهامة المسلمين ومـروءتهم أنه لما فتح الله على المسلمين (بلبيس) وجـدوا فيها ابنـة المقوقس واسمهـا (أرمانوسة) وكانت مـقربة من أبيـها، وكـانت في زيارة لمدينة بلبـيس مع خادمـتهـا (بربارة) هربًا من زواجهـا من قسطنطين ابن هـرقل (وهو فيمـا بعد والد قنسطتز) صـاحب موقعـة ذات الصواري وكانت غير راغبة في الزواج منه، ولما تمكنت مجموعة من الجيش الإسلامي من أسر أرمانوسة جمع عمرو بن العـاص الصحابة وذكرهم بقوله تعالى: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**﴾ (الرحمن، آية: ٦٠).

ثم قال: لقد أرسل المقوقس هدية إلى نبينا وأرى أن نبعث إليه بابنته وجميع من أسرناهم من جواريها وأتباعها، وما أخذنا من أموالهم، فاستصوبوا رأيه[١]، فأرسلها عمرو إلى أبيها مـعززة مكرمة ومعها كل مجوهراتها وجـواريها ومماليكها وقالت لها خادمـتها (بربارة) أثناء سـفرهما: يا مـولاتي إن العرب يحيطـون بنا من كل جانب فقـالت أرمانوسة: إني آمـن على نفسي وعرضي في خـيمة الـعربي، ولا آمن على نفسي في قصر أبي[٢]، ولما وصلت إلى أبيها سُرَّ بها وبتصرف المسلمين معها[٣].

٣- معركة أم دنين:

ذكر ابن عبد الحكم في روايته أن عمرًا مضى بجيشه حتى فتح «بلبيس» بعد قتال دام نحوًا من شهـر، ثم مضى حتى أتى «أم دنين» وتسمى المقـسس وهي واقعة على النيل فقاتل المسلمون حولها قتالاً شديدًا وأرسل عمرو إلى أمير المؤمنين يستمده فأمده أميـر المؤمنين بأربعة آلاف رجل على كـل ألف منهم رجل يقوم مـقام الألف، وهم الزبير بن العـوام، والمقداد بن الأسـود، وعبادة بن الصـامت، ومسلمـة بن مُخلَّد، وقيل الرابع خارجـة بن حذافة، وقال عـمر في كتابه له: اعلم أن مـعك اثني عشر ألفًا، ولن تـغلب اثنا عشر ألفًـا من قلّة[٤]، وقد خـرج الروم مع الأقباط لمواجـهة

---

(١) الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام ص٤٣١ .

(٢، ٣) فتح مصر، صبحي ندا ص٢٤ .

(٤) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص٢١٨ .

المسلمين، وجرت بينهم معركة حامية استعمل فيها عمرو بن العاص دهاءه الحربي كما صنع خالد بن الوليد في حروب العراق، وذلك أنه جعل جيشه ثلاثة أقسام، حيث أقام كمينًا للأعداء في الجبل الأحمر، وأقام كمينًا آخر على النيل قريبًا من أم دنين، وقابل أعداءه ببقية الجيش، ولما نشب القتال بين الفريقين خرج الكمين الذي في الجبل الأحمر وانقضَّ على الروم فاختل نظامهم وانهزموا إلى أم دنين فقابلهم الكمين الذي بقربها فأصبحوا بين جيوش المسلمين الثلاثة وانهزموا وتفرق جيشهم ولجأ بعضهم إلى حصن بابليون الحصين[١]، وهكذا كسب المسلمون هذه المعركة ووقاهم الله شر أعدائهم بفضله تعالى وذلك بتوفيق قائدهم المحنَّك إلى هذه الخطة المحكمة التي شتت بها قوات الأعداء[٢].

٤- معركة حصن بابليون:

تقدم عمرو وجيشه إلى حصن بابليون وحاصروه حصارًا محكمًا ودام الحصار سبعة أشهر، وأرسل المقوقس خلال ذلك رسله إلى عمرو بن العاص للمصالحة فاستجاب عمرو بن العاص على الشروط: الإسلام أو الجزية أو الحرب فاختار المقوقس الجزية، وكتب المقوقس إلى هرقل يستأذنه في ذلك، فلم يقبل منه بل حنق عليه ولامه لومًا شديدًا واستدعاه إلى القسطنطينية ثم نفاه، ولما أبطأ فتح حصن بابليون قال الزبير بن العوام: إني أهب نفسي لله وأرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين[٣]، وراح عمرو بن العاص يحاصر حصن بابليون ثم تسوروا الحصن في الليل واشتبكوا مع الجنود في قتال عنيف وكان أول من تسور الحصن الزبير بن العوام فوضع سلمًا من ناحية سوق الحمام ثم صعد وأمر المسلمين إذا سمعوا تكبيره أن يقتحموا الحصن، فما شعروا إلا والزبير بن العوام على رأس الحصن يكبر ومعه السيف، فكبر تكبيرة فأجابه المسلمون من خارج الحصن، ولم يشك أهل الحصن أن المسلمين قد اقتحموا جميعًا الحصن فهربوا، فعمد حواري رسول الله بأصحابه إلى

(١، ٢) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص٢١٩.

(٣) الفتوحات الإسلامية د. عبد العزيز الشناوي ص٩١.

باب حصن بابليون ففتحوه، واقتحم المسلمون الحصن وفتحوه عنوة، ولكن عمرو بن العاص أمضى الصلح على أن يـخرج جند الروم ما يلزمهم من القوت لبـضعة أيام، أما حصن بابليون وما فيه من الذخائر وآلات الحرب فتبقى غنيمة للمسلمين ثم خرب أبو عبد الله أبراج الحصن وأسواره[1].

ثانيًا: فتح الإسكندرية:

رابط عمـرو بن العاص ورجاله عـدة أشهر في حـصن بابليون ليستجمَّ الجنود ويصله الإذن من أميـر المؤمنين عمر بالسـير لفتح الإسكندرية، فلمـا تحقق ذلك ترك عمرو في الحصن مسلحة قوية من المسلمين، وفصل بجنوده من بابليون في مايو سنة ٦٤١م، الموافق جمـادى الآخرة سنة ٢١هـ، وخـرج معه جـماعة من رؤسـاء القبط الذين اطمأنـوا إلى أن مصلحتـهم باتت في مسـاندة القوة الإسلامـية المظفـرة، وقد أصلحوا لهم الطرق، وأقاموا لهم الجسور والأسواق، وصارت لهم القبط أعوانًا على ما أرادوا من قتال الروم[2]، وقد آثر عمـرو السير على الضفة اليـسرى للنيل حيث محافظة البحيرة لتتيح له الصحراء مجالاً واسعًا لحركة خيله وجنوده، وكي يتجنب ما كان سيعترضه من الترع الكثيرة لو سار في دلتا النيل، ولم يلق عمرو إلا قتالاً يسيراً عند مرفوط أو (الطرانة) كما يسـميها المؤرخون العرب[3]، ثم عبر النهر إلى الضفة الشرقية حيث تقع مدينة نقيوس الحصينة[4]، وكانت ذات حصن منيع فتخوف عمرو أن يتركـها على جانبه ويسـير عنها، ولكن الروم بدل أن يتـحصنوا من المسلمين في حصنهم ركبـوا سفنهم ليحاربوا المسلمين فـيها ويمنعوهم من الاقتـراب من مدينتهم، فرماهم المسلمون بالنبال والسهـام وطاردوهم في المياه، فولوا الأدبار في سفنهم نحو الإسكندرية، وسـرعان ما اسـتسلم من بقي في الحـصن ودخله المسلمـون ظافرين، وأمضوا عدة أيام يستـبرئون ما حوله من أعدائهم[5]، وأرسل عمرو قائده شريك بن سُميّ ليـتعقب الروم الفارين، فـالتقى بهم وليس معـه إلا قوة معدودة، فطمع فـيه

(١) الفتوحات الإسلامية د. عبد العزيز الشناوي ص٩١.

(٢، ٣) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص٢٢٤ .

(٤، ٥) المصدر السابق نفسه ص٢٢٥ .

الروم وأحاطوا به، فاعتصم بهم في نهد من الأرض عُرف فيما بعد بكوم شريك، فأرسل إلى عمرو يطلب الإمداد، وما إن علم الروم أن المدد في الطريق إلى المسلمين حتى لاذوا بالفرار[1]، وعند سُلْطَيْس على ستة أميال جنوبي دمنهور كان اللقاء التالي بين عمرو والروم، وجرى قتال شديد انهزموا فيه وولوا الأدبار[2]، ومما يؤسف له أن هذه المعارك التي خاضها المسلمون بقواتهم المحدودة ضد قوات تفوقهم عدة أضعاف من الروم عدداً وعدة، والتي استمر بعضها عدة أيام لم تظفر من مؤرخي المسلمين سوى بأسطر قليلة أو كلمات معدودة، في حين أفرد بعضهم عشرات الصفحات للحديث عن القادسية أو اليرموك أو نهاوند[3]، ومن هذه المعارك الكبرى التي لا تشفي فيها مصادرنا العربية غليلاً معركة كِرْيون وهي آخر تلك السلسلة من الحصون التي تمتد بين بابليون والإسكندرية وقد تحصن بها تيودرو قائد الجيش الرومي ودار قتال شديد استمر بضعة عشر يومًا، ورغم ذلك فلم يظفر من ابن عبد الحكم سوى بهذه الكلمات: ثم التقوا بكريون، فاقتتلوا بها بضعة عشر يومًا، وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة، وحامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو، وصلى (عمرو) يومئذ صلاة الخوف، ثم فتح الله للمسلمين، وقتل منهم المسلمون مقتلة عظيمة واتبعوهم حتى بلغوا الإسكندرية، وفي أثناء ذلك أورد قصة عن بطولة عبد الله بن عمرو ووردان مولى أبيه[4]، وقد كانت الإسكندرية عند فتح المسلمين لها عاصمة البلاد وثانية حواضر الامبراطورية البيزنطية بعد القسطنطينية، وأول مدينة تجارية في العالم، وكان البيزنطيون يدركون خطورة استيلاء المسلمين عليها ويحملون همّ ذلك، حتى قال هرقل: لئن ظهر العرب على الإسكندرية إن ذلك انقطاع ملك الروم وهلاكهم[5]، وقد زعم الرواة أنه تجهز ليخرج إلى الإسكندرية بنفسه ليباشر قتال المسلمين بها، فلما فرغ من جهازه صرعه الله فأماته، وكفى الله المسلمين مؤنته[6]، واضطربت أمور الدولة البيزنطية بعد موت هرقل إذ تولى الحكم ابناه قسطنطين

(١، ٣) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص٢٢٥ .

(٤، ٥) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، حمدي شاهين ص٢٢٦ .

(٦) المصدر السابق نفسه ٢٢٦ نقلاً عن ابن عبد الحكم.

وهرقل الثاني (هرقليانوس) وشاركتهما الامبراطورة مارتينة أم هرقليانوس، لكن قسطنطين سرعان ما وافته منيته بعد مائة يوم من وفاة أبيه مما جعل أصابع الاتهام تتجه إلى الامبراطورة التي كانت ترغب في أن ينفرد ولدها بالحكم، فاشتعلت الثورة ضدها، واستمرت الفتن ضاربة في البلاد عدة أشهر، حتى تولى كونستانس بن قسطنطين الحكم شريكًا لعمه هرقليانوس[١].

وكانت الإسكندرية فضلاً عن متانة أسوارها وضخامة ووفرة حماتها تمتاز بموقعها الدفاعي المميز فكان البحر يحميها من شمالها؛ حيث السيطرة آنذاك للروم، وكانت بحيرة مريوط تحميها من جنوبها، وكان اجتيازها عسيرًا، بل غير مستطاع، وكانت إحدى تفريعات النيل قديمًا واسمها نزعة الثعبان تدور حولها من الغرب، وبذلك لم يبق إلا طريق واحد من الشرق يصل إليها؛ وهو الطريق الواصل بينها وبين كرْيون[٢].

وطال الحصار عدة أشهر مما أثار مخاوف عمرو من ملل جنوده أو شعورهم بالعجز أمام عدوهم، فقرر أن يبث كتائبه تجوس خلال بلاد الدلتا وقرى الصعيد، غير أن طول حصار الإسكندرية أثار حفيظة الخليفة عمر، وأثار في نفسه الهواجس والظنون حول استعداد جنوده للتضحية والمبادأة، ورأى أن ذلك ما كان إلا لما أحدثوا[٣]، وشرح ذلك في رسالة إلى عمرو بن العاص يقول فيها: « أما بعد، فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر، إنكم تقاتلونهم منذ سنتين ما ذلك إلا لما أحدثتم، وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم، وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قومًا إلا بصدق نيّاتهم، وقد كنت وجهت إليك أربعة نفر، (يعني الزبير وصحبه)، وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت أعرف، إلا أن يكون غيّرهم ما غيّر غيرهم، فإذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحُضَّهم على قتال عدوهم، ورغِّبهم في الصبر والنية، وقدِّم أولئك الأربعة في صدور الناس، ومُر الناس جميعًا أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد، وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة، فإنها ساعة تنزل فيها الرحمة ووقت الإجابة، وليعجّ الناس إلى الله ويسألوه النصر على

(١) المصدر السابق ص٢٢٧ . (٢) المصدر السابق ص٢٢٥ . (٣) المصدر السابق ص٢٢٧ .

عدوهم، فلما أتى عمرو الكتاب جمع الناس وقرأه عليهم، ثم دعا أولئك النفر فقدّمهم أمام الناس، وأمر الناس أن يتطهروا ويصلوا ركعتين، ثم يرغبوا إلى الله ويسألوه النصر، ففعلوا ففتح الله عليهم[١]، ويروى أن عمرو بن العاص استشار مسلمة بن مخلد الأنصاري فقال: أشر علي في قتال هؤلاء فقال مسلمة: أرى أن تنظر إلى رجل له معرفة وتجارب من أصحاب النبي ﷺ فتعقد له على الناس، فيكون هو الذي يباشر القتال ويكفيه، فقال عمرو: ومن ذلك؟ قال: عبادة بن الصامت، فدعاه عمرو إليه، فلما دنا منه أراد النزول عن جواده؛ فقال له عمرو: عزمت عليك إن نزلت، ناولني سنان رمحك، فناوله إياه فنزع عمرو عمامته عن رأسه وعقد له وولاه قتال الروم، ففتح الله على يديه الإسكندرية في يومهم ذاك[٢]، وقد جاء في رواية: إني فكرت في هذا الأمر فإذا هو لا يصلح آخره إلا من أصلح أوله يريد الأنصار، فدعا عبادة بن الصامت فعقد له ففتح الله على يديه[٣]، ويروي ابن عبد الحكم أن حصار الإسكندرية استمر تسعة أشهر وأنها فتحت في مستهل المحرم سنة عشرين للهجرة[٤]، وهي ما يوافق ٢١ ديسمبر سنة ٦٤٠م بينما انتهى بتلر في دراسته عن فتح مصر إلى أن حصار المدينة قد بدأ في أواخر يونيو سنة ٦٤٠م وأنها استسلمت في ٨ نوفمبر سنة ٦٤١م وهو ما يوافق ٧ ذي الحجة سنة ٢١هـ، وقد يرجح هذا القول ما ورد في رسالة عمر الفاروق إلى عمرو بن العاص: إنكم تقاتلونهم منذ سنتين، فما بين وصول عمرو العريش في ديسمبر سنة ٦٣٩م وتسليم الإسكندرية في نوفمبر ٦٤١م ما يعادل سنتين هلاليتين واستبقى عمرو أهل الإسكندرية فلم يقتل ولم يَسْبِ وجعلهم أهل ذمة، كأهل بابليون... ثم ترك في الإسكندرية حامية من قواته بعد أن اطمأن إليها ونشر بقية كتائبه لتفتح بقية حصون الروم وجيوبهم في مصر، فاستكمل فتح ساحل البحر المتوسط ومدنه الكبرى مثل رشيد ودمياط وغيرها: وكذلك بسط سيطرته على كل دلتا مصر وصعيدها[٥].

(١، ٢) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص٢٢٨ .

(٣) الأنصار في العصر الراشدي ص٢١٢ . (٤) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص٢٢٩ .

(٥) المصدر نفسه ص٢٢٩ .

ثالثًا: فتح برقة وطرابلس:

وسار عمرو بعد أن استقر له فتح مصر ليؤمن فتوحه من ناحية الغرب إذ كانت للروم قوات في برقة وطرابلس تتحصن هناك، وربما واتتها الفرصة فساقها الإغراء إلى مهاجمة المسلمين بمصر، فاتجه في قواته إلى برقة سنة ٢٢هـ وكان الطريق بينها وبين الإسكندرية آنذاك منزرعًا بالخضرة والعمران، فلم يلق كيدًا في طريقه إليها، فلما وصلها صالحه أهلها على أداء الجزية، وكان أهل برقة بعد فتحها يبعثون بخراجهم إلى والي مصر من غير أن يأتيهم حاث أو مستحث فكانوا أخصب قوم بالمغرب ولم يدخلها فتنة، ثم سار عمرو إثر ذلك إلى طرابلس ذات الحصون المنيعة، وبها جيش رومي كبير، فأغلقت أبوابها وصبرت على الحصار الذي استمر شهرًا لا يقدر المسلمون منها على شيء وكان البحر من ورائها لاصقًا ببيوت المدينة، ولم يكن بين المدينة والبحر سور، فاستبانت جماعة من قوات المسلمين الأمر، فتسللت إلى المدينة من جهة البحر، وكبروا؛ فلم يكن للروم مفزع إلا سفنهم، إذ هاجمهم عمرو في قواته أيضًا فلم يفلت منهم إلا من خفت بهم مراكبهم، وغنم المسلمون ما بالمدينة، وبث عمرو قواته فيما حولها وأراد عمرو أن يستكمل فتوحه في الغرب ويسير إلى تونس وأراضي إفريقية ليفتحها، فكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب، غير أن الخليفة كان يخشى على جيوش المسلمين من الانسياح في جبهة جديدة ولم يطمئن بعد إلى ما فتحت في زحفها السريع من الشام إلى طرابلس، فأمر القوات الإسلامية بالتوقف عند طرابلس وبذلك امتدت دولة الإسلام في عصر عمر بن الخطاب ﷺ لتشمل مساحة شاسعة من الأرض يحدها من الشرق نهر جيحون والسند ومن الغرب بلاد إفريقية وصحراؤها، ومن الشمال جبال آسيا الصغرى وأراضي أرمينية، ومن الجنوب المحيط الهادي وبلاد النوبة في دولة عالمية واحدة متعددة الأجناس والديانات والنحل والعادات، عاش أهلها في عدل الإسلام ورحمته، ذلك الدين الذي احتفظ لهم بحقهم في الحياة الكريمة وإن اختلفوا معه في عقائدهم؛ ومع أهله في عاداتهم وأعرافهم[1].

---

(١) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص٢٣١ .

المبحث الثالث
أهم الدروس والعبر والفوائد في فتح مصر

أولاً: سفارة عبادة بن الصامت الأنصاري إلى المقوقس:

حاصر عمرو بن العاص حصن بابليون فأرسل المقوقس إلى عمرو الرسالة التالية: إنكم قد ولَجتم في بلادنا، وألححتم على قتالنا، وطال مقامكم في أرضنا، وإنما أنتم عُصْبَة يسيرة، وقد أظلتكم الروم وجهزوا إليكم، ومعهم من العُدّة والسلاح، وقد أحاط بكم هذا النيل، وإنما أنتم أسارى في أيدينا، فأرسلوا إلينا رجالاً منكم نسمع من كلامهم، فلعله أن يأتي الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبُّون ونحب، وينقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام، ولا يقدر عليه. ولعلكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفًا لمطلبكم ورجائكم، فابعثوا إلينا رجالاً من أصحابكم، نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شيء. فلما أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين، حتى خاف عليهم المقوقس، فقال لأصحابه: أترْون أنهم يقتلون الرسل ويحبسونهم، ويستحلون ذلك في دينهم! وإنما أراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين. فرد عليهم عمرو مع رسلهم: إنه ليس بيني وبينك إلا إحدى خصال ثلاث: إما أن دخلتم في الإسلام، فكنتم إخواننا وكان لكم ما لنا وإن أبيتم أعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين[1]، فلما جاءت رسل المقوقس إليه، قال: كيف رأيتموهم قالوا: رأينا قومًا الموت أحب إليهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نَهمة، وإنما جلوسهم على التراب وأكلهم على رُكبهم، وأميرهم كواحد منهم، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد فيهم من العبد: وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء، ويتخشعون في صلاتهم. فقال عند

---

(١) عبادة بن الصامت صحابي كبير وفاتح مجاهد ص٩١ .

ذلك المقوقس: والذي يُحْلف به، لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها، ولا يقوى على قتال هؤلاء أحد، ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم، وهم محصورون بهذا النيل، لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض، وقووا على الخروج من موضعهم، فردّ إليهم المقوقس رسله، وقال: ابعثوا إلينا رسلاً منكم نعاملهم، ونتداعى نحن وهم إلى ما عسى أن يكون فيه صلاح لنا ولكم. فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر، وأحدهم عبادة بن الصامت، وكان طوله عشرة أشبار، وأمره عمرو أن يكون متكلم القوم، وألا يجيبهم إلى شيء دعوه إلا إحدى هذه الثلاث الخصال[1]؛ فإن أمير المؤمنين قد تقدم في ذلك إليّ، وأمرني ألا أقبل شيئًا سوى خصلة من هذه الثلاث الخصال. وكان عبادة بن الصامت أسود، فلما ركبوا السفن إلى المقوقس، ودخلوا عليه، تقدم عبادة، فهابه المقوقس لسواده، فقال: نحُّوا عني هذا الأسود، وقدموا غيره يكلمني. فقالوا: إن هذا الأسود أفضلنا رأيًا وعلمًا، وهو سيدنا وخيرنا، والمقدَّم علينا، وإنا نرجع جميعًا إلى قوله ورأيه، وقد أمّره الأمير دوننا بما أمره به، وأمرنا ألا نخالف رأيه وقوله. فقال المقوقس للوفد: وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم، وإنما ينبغي أن يكون دونكم؟ قالوا: كلا: إنه وإن كان أسود كما ترى، فإنه من أفضلنا موضعًا وأفضلنا سابقة وعقلاً ورأيًا، وليس ينكر السواد فينا. فقال المقوقس لعبادة: تقدم يا أسود وكلمني برفق فإني أهاب سوادك، وإن اشتد علي كلامك، ازددت هيبة فتقدم إليه عبادة فقال: قد سمعت مقالتك، وإن فيمن خلّفت من أصحابي ألف رجل أسود كلهم مثلي، وأشد سوادًا مني وأفظع منظرًا، ولو رأيتهم لكُنت أهيب لهم مني، وأنا قد ولّيت وأدبر شبابي، وإني مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعًا، وكذلك أصحابي وذلك إنما رغبتُنا، وبغيتنا الجهاد في سبيل الله تعالى، واتباع رضوان الله، وليس غزونا عدوّنا ممن حارب الله لرغبة الدنيا، ولا طلبًا للاستكثار منها؛ إلا أن الله - عز وجل - قد أحلّ ذلك لنا، وجعل ما غنمنا من ذلك حلالاً، وما يبالي أحدنا: أكان له قنطار من

---

(١) وهي التي تقدمت: وهي الإسلام أو الجزية أو القتال.

ذهب، أم كان لا يملك إلا درهما، لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها، يسد بها جَوْعَته، وَشمْلة يلتحفها، فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله تعالى، واقتصر على هذا الذي بيده؛ لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم، ورخاءها ليس برخاء، إنما النعيم والرخاء في الآخرة، وبذلك أمرنا ربنا، وأمرنا به نبينا، وعهد إلينا ألا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا فيما يمسك جَوْعته ويستر عورته، وتكون همته وشغله في رضا ربه، وجهاد عدوه، فلما سمع المقوقس ذلك منه، قال لمن حوله: هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط، لقد هِبت منظره؛ وإن قوله لأهيب عندي من منظره، إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض، وما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها. ثم أقبل المقوقس على عبادة فقال: أيها الرجل، قد سمعت مقالتك، وما ذكرت عنك وعن أصحابك ولعمري ما بلغتكم إلا بما ذكرت ولا ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبِّهم الدنيا ورغبتهم فيها، وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده، قوم معروفون بالنجدة والشدة ممن لا يبالي أحدهم من لقي ولا من قاتل وإنا لنعلم أنكم لن تقوَوا عليهم، ولن تطيقوهم لضعفكم وقلَّتكم، وقد أقمتم بين أظهرنا أشهرًا، وأنتم في ضيق وشدة في معاشكم وحالكم، ونحن نرِقُّ عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بأيديكم، ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولأميركم مائة دينار، ولخليفتكم ألف دينار، فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوَّة لكم به. فقال عبادة بن الصامت ﷺ: يا هذا؛ لا تغرّنَّ نفسك ولا أصحابك. أما ما تخوِّفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم، وأنا لا نقوى عليهم، فلعمْري ما هذا الذي تخوفنا به، ولا بالذي يكْسِرنا عما نحن فيه، إن كان ما قلتم حقًّا فذلك والله أرغب ما يكون في قتالهم، وأشد لحرصنا عليهم؛ لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه، وإن قتلنا عن آخرنا كان أمكن لنا في رضوانه وجنّته، وما من شيء أقرّ لأعيننا، ولا أحب إلينا من ذلك وإنا منكم حينئذ على إحدى الحسنيين؛ إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفِرنا بكم، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا، وإنها لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا،

وإن الله تعالى قال لنا في كتابه: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة، آية: ٢٤٩).

وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحًا ومساء: أن يرزقه الشهادة وألا يرد إلى بلده، ولا إلى أهله وولده، وليس لأحد منا همٌّ فيما خلفه، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده وإنما همنا ما أمامنا. وأما قولك: إنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا، فنحن في أوسع السّعة، لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا لأنفسنا منها أكثر مما نحن فيه فانظر الذي تريد، فبيّنه لنا، فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منكم، ولا نجيبكم إليها إلا خصلة من ثلاث، فاختر أيها شئت، ولا تطمع نفسك في الباطل، بذلك أمرني الأمير، وبها أمره أمير المؤمنين؛ وهو عهد رسول الله ﷺ من قبل إلينا؛ إما إن أجبتم إلى الإسلام الذي هو الدين الذي لا يقبل الله غيره، وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته، أمرنا الله أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه، فإن فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا وكان أخانا في دين الله، فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك، فقد سعدتم في الدنيا والآخرة، ورجعنا عن قتالكم، ولم نستحلَّ أذاكم ولا التعرض لكم. وإن أبيتم إلا الجزية، فأدُّوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، نعاملكم على شيء نرضى به نحن وأنتم في كل عام أبدًا ما بقينا وبقيتم، ونقاتل عنكم من ناوأكم وعرض لكم بشيء من أرضكم ودمائكم وأموالكم، ونقوم بذلك عنكم، إذا كنتم في ذمتنا، وكان لكم به عهد الله علينا، وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا أو نصيب ما نريد منكم هذا ديننا الذي ندين الله تعالى به، ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره، فانظروا لأنفسكم. فقال المقوقس: هذا مما لا يكون أبدًا، ما تريدون إلا أن تتخذونا عبيدًا ما كانت الدنيا. فقال له عبادة: هو ذاك، فاختر ما شئت. فقال المقوقس: أفلا تجيبونا إلى خصلة غير هذه الخصال الثلاثة؟ فرفع عبادة يديه، وقال: لا، ورب السماء ورب هذه الأرض ورب كل شيء، ما لكم عندنا خصلة غيرها فاختاروا لأنفسكم. فالتفت المقوقس عند ذلك إلى أصحابه، وقال: قد فرغ القول مما ترون؟ فقالوا: أو يرضى أحد بهذا

الذل؟ أما ما أرادوا من دخولنا في دينهم؛ فهذا لا يكون أبدًا، ولا نترك دين المسيح ابن مريم، وندخل في دين لا نعرفه، وأما ما أرادوا من أن يسبُونا ويجعلونا عبيدًا أبدًا، فالموت أيسر من ذلك؛ لو رضوا منا أن تُضعف لهم ما أعطيناهم مرارًا، كان أهون علينا. فقال المقوقس لعبادة: قد أبى القوم، فما ترى؟ فارجع إلى صاحبك على أن نعطيكم في مَرّتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفون، فقام عبادة وأصحابه. فقال المقوقس لمن حوله عند ذلك: أطيعوني، وأجيبوا القوم إلى خصلة واحدة من هذه الثلاث، فوالله ما لكم بهم طاقة؛ وإن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبنهم إلى ما هو أعظم منها كارهين. فقالوا: أي خصلة نجيبهم إليها؟ قال: إذا أخبركم.. أما دخولكم في غير دينكم، فلا آمركم به؛ وأما قتالهم فأنا أعلم أنكم لن تقدروا عليهم، ولن تصبروا صبرهم، ولابد من الثالثة. قالوا: فنكون لهم عبيدًا أبدًا؟ قال: نعم تكونوا عبيدًا مُسلطين في بلادكم آمنين على أنفسكم وأموالكم وذراريكم خير لكم من أن تموتوا عن آخركم، وتكونوا عبيدًا، وتباعوا وتمزقوا في البلاد مستعبدين أبدًا، أنتم وأهلوكم وذراريكم. قالوا: فالموت أهون علينا، وأمروا بقطع الجسر من الفسطاط والجزيرة، وبالقصر من جمع القبط والروم كثير[1].

ومن الحوار الذي دار بين عبادة والمقوقس، ظهرت نباهة عبادة وإدراكه لمرامي خصمه فلم يتأثر بتلك الأساليب التي استخدمها للتأثير في نتائج المحادثات تلك كما ظهر عبادة واضحًا في تصوراته وأهدافه، ولم ينس في خضم ذلك أن يدعو إلى الإسلام ويرغب فيه، ويظهر انفتاح المسلمين على غيرهم من الأمم والأديان مما ترك أثرًا طيبًا في نفس المقوقس الذي اختار الصلح مع المسلمين[2].

ثانيًا- من فنون القتال في فتوح مصر:

مارس عمرو بن العاص رضي الله عنه في فتح مصر فنونًا عدة في القتال منها:

---

(١) النجوم الزاهرة، ملوك مصر والقاهرة (١/ ١٠-١٦).
(٢) الأنصار في العصر الراشدي ص٢١١ .

١ - الحرب النفسية:

عندما أمر المقوقس النساء أن يقمن على سور بابليون مقبلات بوجوههنّ إلى داخله، وأقام الرجال بالسلاح مقبلين بوجوههم إلى المسلمين ليرهبوهم بذلك، أرسل إليه عمرو: . . إنا قد رأينا ما صنعت، وما بالكثرة غلبْنا من علينا، فقد لقينا ملكَكُم فكان من أمره ما كان، فقال المقوقس لأصحابه: صدق هؤلاء القوم، أخرجوا ملكنا من دار مملكته حتى أدخلوه القسطنطينية، فنحن أولى بالإذعان[1]، فقد كان عمرو من القادة الذين يستخدمون الحرب النفسية لإرهاب عدوه وإحباط روح القتال لديه، وكان يعتمد في الحرب على الله ثم على العقل والسيف لتحقيق هدف واحد هو تحقيق النصر الحاسم في نهاية المعركة[2].

٢- أسلوب المباغتة بالكمائن:

مارس عمرو أسلوب المباغتة بالكمائن في وقعة عين شمس، فقد أعدّ هذه الكمائن إعدادًا محكمًا مما يسر له سبل النجاح الكامل فهو قد أرسلها لاتخاذ مواقع معينة من الليل، فأحسن اختيار تلك المواقع، وعيّن ساعة انطلاق كل منها في وقت يكون العدو منشغلاً بمجابهته، فباغتته تلك الكمائن في ميمنته وميسرته، فأحسن بذلك اختيار التوقيت، وساعة الصفر ونقاط الصدام مع العدو. وهكذا تعتبر عملية عمرو (المباغتة بالكمائن) في هذه الوقعة من أكثر عمليات المباغتة نجاحًا وإتقانًا[3].

٣- أسلوب المباغتة في أثناء الحصار:

وأتقن عمرو كذلك أسلوب المباغتة في أثناء حصار حصن بابليون فبينما كان الروم المحاصَرون في هذا الحصن مطمئنين إلى أن المسلمين لن يستطيعوا النيل منهم، بفضل مناعة حصونهم وأسوارهم وما لديهم من ذخائر ومؤن ومعدات حربية، وبسبب ما وضعوه من عوائق من الحسك الشائك على أبواب الحصن وفي الخندق

---

(١) الحرب النفسية، الدكتور أحمد نوفل: ص١٧٤ .
(٢) المصدر نفسه ص١٧٤ .
(٣) الفن العسكري الإسلامي ص٣٢٠ .

الذي جفت مياهه بعد هبوط مياه النيل إذا بهم يفاجأون في ليلة مظلمة بالزبير بن العوام ومجموعة من رجاله المقاتلين، يعتلون السور مكبرين، ويباغتونهم فيعملون السيف فيهم، ويهزم من في الحصن من المدافعين فيطلبون الصلح والأمان، ويدخل المسلمون الحصن فاتحين[١].

٤- أسلوب النفس الطويل في الحصار:

اعتمد عمرو في حصار «كِرْيون» و«الإسكندرية» أسلوب النفس الطويل؛ فهو عندما أيقن صعوبة الانتصار على الروم المتمركزين في مواقع منيعة ومحصنة في كريون، بدأ بمناوشتهم محاولاً، لمرة واحدة فقط، شن هجوم على الحصن، إلا أنه فشل، فاستمر في المناوشة تاركًا للزمن، والإرهاق، ونفاد الذخيرة، والمؤونة وصبر الرجال أن يفعل فعله، وهكذا كان، وما إن استمر حصار كريون بضعة عشر يومًا حتى أيقن الروم عزم المسلمين على الاستمرار في هذا الحصار فلم يجدوا بدًّا من الاستسلام وتسليم الحصن للمهاجمين، وحدث الشيء نفسه في حصار الإسكندرية، إلا أن هذا الأخير استمر مدة أطول (ثلاثة أشهر) وذلك لأن الروم كانوا يدركون إدراكًا تامًا أن هذه هي الفرصة الأخيرة لجيشهم بل ولهم جميعًا، فإن سقطوا في الإسكندرية سقطوا في مصر وفي إفريقيا بأسرها. وهذا ما حصل[١] تمامًا.

ثالثًا: بشارة الفتح إلى أمير المؤمنين:

بعث عمرو بن العاص معاوية بن حديج وافدًا إلى عمر بن الخطاب بشيرًا بالفتح فقال له معاوية: ألا تكتب معي؟ فقال له عمرو: وما أصنع بالكتاب: ألست رجلاً عربيًا تبلغ الرسالة، وما رأيت حضرت[٢] فلما قدم على (عمر) أخبره بفتح الإسكندرية فخرَّ عمر ساجدًا وقال: الحمد لله. ونترك معاوية بن حديج يحدثنا عن قصته في إبلاغ أمير المؤمنين ببشارة الفتح: لما بعثني عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب وصلت المسجد فبينما أنا قاعد فيه إذ خرجت جارية من منزل (عمر بن الخطاب)، فرأتني شاحبًا عليَّ ثياب السفر، فأتتني، فقالت: من أنت؟ قال: فقلت:

(١، ٢) المصدر السابق ص٣٢٠ .

(٣) فتوح مصر والمغرب ص١٠٤، ١٠٥ .

أنا معاوية بن حديج، رسول عمرو بن العاص، فانصرفت عني ثم أقبلت تشتد أسمع حفيف إزارها على ساقها أو على ساقيها حتى دنت مني فقالت: قم فأجب أمير المؤمنين يدعوك، فتبعتها فلما دخلت فإذا بعمر بن الخطاب يتناول رداءه بإحدى يديه، ويشد إزاره بالأخرى، فقال: ما عندك؟ فقلت: خيرًا يا أمير المؤمنين، فتح الله الإسكندرية فخرج معي إلى المسجد فقال للمؤذن: أذن في الناس (الصلاة جامعة)، فاجتمع الناس، ثم قال لي: قم فأخبر أصحابك فقمت فأخبرتهم، ثم صلى ودخل منزله، واستقبل القبلة، فدعا بدعوات، ثم جلس فقال: يا جارية هل من طعام؟ فأتت بخبز وزيت فقال: كل فأكلت على حياء ثم قال: كله فإن المسافر يحب الطعام فلو كنت آكلاً لأكلت معك فأصبت على حياء، ثم قال: ماذا قلت يامعاوية حين أتيت المسجد؟ قال: قلت: لعل أمير المؤمنين قائل - نوم القيلولة - قال: بئس ما قلت أو بئس ما ظننت، لئن نمت النهار لأضيعن الرعية ولئن نمت الليل لأضيعن نفسي، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية؟[1].

ومن هذا الخبر نستنتج أن المسجد في عصر الإسلام الأول كان يمثل أهم وسائل الإعلام حيث يجتمع المسلمون فيه بنداء الصلاة جامعة، وهذا النداء يعني أن هناك أمرًا مهمًا سيتم إبلاغه لعموم المسلمين فإذا اجتمعوا أُلقيت عليهم البيانات العسكرية والأمور السياسية والاجتماعية وغير ذلك، كما نستفيد من هذا الخبر وصفًا لحياة عمر ﷺ، وهو خليفة المسلمين، حيث يقول لمعاوية بن خديج لئن نمت النهار لأضيِّعن الرعية، ولئن نمت الليل لأضيعنَّ نفسي، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية؟ وهذا يدل على كمال اليقظة لحق النفس وحقوق الآخرين، وإذا استطاع المسلم أن يجمع بين مراعاة ذلك كله فإنه يكون من المتقين المحسنين[2].

رابعًا- حرص الفاروق على الوفاء بالعهود:

ذكر ابن الأثير: . . . إن المسلمين لما أنهوا إلى بِلْهِيب وقد بلغت سباياهم إلى

---

(١) فتوح مصر والمغرب ص١٠٥ ، فتح مصر بين الرؤية الإسلامية والرؤية النصرانية، د. إبراهيم المتناوي ص١١٤ .
(٢) التاريخ الإسلامي للحميدي (١١،١٢ / ٣٤٨،٣٤٩).

اليمن أرسل صاحبهم إلى عمرو بن العاص: إنّني كنت أخرج الجزية إلى من هو أبغض إليّ منكم: فارس والروم فإن أحببت الجزية على أن تردّ ما سبيتم من أرضي فعلت.

فكتب عمرو إلى عمر يستأذنه في ذلك، ورفعوا الحرب إلى أن يرد كتاب عمر. فورد الجواب من عمر: لعمري جزية قائمة أحب إلينا من غنيمة تُقسم ثمّ كأنها لم تكن، وأمّا السبي فإن أعطاك ملكهم الجزية على أن تخيّروا من في أيديكم منهم بين الإسلام ودين قومه فمن اختار الإسلام فهو من المسلمين ومن اختار دين قومه فضع عليه الجزية، وأمّا مَنْ تفرّق في البلدان فإنّا لا نقدر على ردّهم، فعرض عمرو ذلك على صاحب الإسكندريّة، فأجاب إليه، فجمعوا السبي واجتمعت النصارى وخيّروهم واحدًا واحدًا، فمن اختار المسلمين كبّروا، ومن اختار النصارى نخروا وصار عليه جزية، حتى فرغوا[١].

إن هذا يعتبر شاهد صدق على ما كان عليه الصحابة ﵃ من العزوف عن الدنيا والإقبال على الآخرة، والرغبة الصادقة في هداية العالمين إلى الإسلام، فإن دخول الأسرى في الإسلام لا يفيد المسلمين شيئًا من الدنيا، وبقاؤهم على دينهم يتضمن فائدة دنيوية لهم حيث يُلزَمون بدفع الجزية للمسلمين ومع ذلك نجد عمر ﵁ يأمر بتخيير الأسرى بين الإسلام أو دفع الجزية، وحينما تمّ تطبيق ذلك كان الصحابة ومن معهم يكبِّرون تكبيرًا أشد من تكبير الفتح حينما يختار أولئك النصارى دين الإسلام ويجزعون جزعًا شديدًا حينما يختارون البقاء على دينهم حتى كأن أولئك الأسرى من ضمن جماعة المسلمين وخرجوا عن دين الإسلام. ومما يلفت النظر في هذا الخبر حرص الصحابة على خلق الوفاء ويتضح ذلك من قول عمر ﵁ في كتابه: وأما من تفرّق في البلدان فإنّا لا نقدر على ردّهم، وجاء في رواية: ... ولا نحب أن نصالحه على أمر لا نفي له به[٢]، فعمر ﵁ ينظر إلى الوفاء بالعهد قبل إبرام الاتفاق مع الأعداء، حتى لا يكون المسلمون في وضع لا يستطيعون فيه الوفاء،

---

(١) الكامل في التاريخ (٢/ ١٧٧).
(٢) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٣٥١).

وهذا الخلق يعتبر مرحلة عالية من الوفاء - وهو من أخلاق النصر - لأن من يبرم اتفاقية على أمر ثم لا يستطيع الوفاء به يكون معذورًا ولكن حينما يفكر بعمل الاحتياطات اللازمة لموضوع الوفاء بالعهد حتى لا يجد نفسه بعد ذلك عاجزًا عن الوفاء، فهذا نهاية التدبير، وغاية النظر الثاقب[(١)].

خامسًا- عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

توجه عمرو بجيشه نحو الإسكندرية، وفي طريقه إليها جرت بينه وبين أهل تلك البلاد حروب كان النصر فيها حليف المسلمين ومن المواقف التي تذكر في ذلك أن عبد الله بن عمرو بن العاص أصيب بجراحات كثيرة في معركته مع أهل الكريون فجاءه رسول أبيه يسأله عن جراحه فقال عبد الله:

أقول إذا ما جاشت النفس اصبري فعما قليل تحمدي أو تلامي

فرجع الرسول إلى عمرو فأخبره بما قال فقال عمرو: هو ابني حقًا[(٢)]، وهذا موقف من مواقف الصبر والتحمل يذكر لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما الذي اشتهر بالعلم والعبادة فجمع إلى ذلك الشجاعة والصبر على الشدائد[(٣)].

سادسًا- دار بنيت لأمير المؤمنين بمصر:

بعث عمرو بن العاص إلى الفاروق بقوله: إنا قد اختططنا لك دارًا عند المسجد الجامع، فكتب عمر: إنّى لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر؟! وأمره أن يجعلها سوقًا للمسلمين[(٤)].

وهذا دليل على كمال ورع أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، وزهده في مظاهر الحياة الدنيا، وإذا كان الكبار والزعماء هم الذين يترفعون عن أوحال الدنيا، ومتاعها الزائل، فإن على من دونهم من باب أولى أن يترفعوا عن ذلك[(٥)].

---

(١) المصدر السابق (١٢/ ٣٥١).
(٢) فتوح مصر ص٥٧ .
(٣) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٣٣٠).
(٤) فتوح مصر ص٦٩ .
(٥) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٣٥٦).

سابعًا: دعوى حرق المسلمين مكتبة الإسكندرية:

يقول الدكتور عبد الرحيم محمد عبد الحميد: لم نعثر على نص أو إشارة إلى أن عمرو بن العاص حرق مكتبة الإسكندرية؛ وجل ما في الأمر أننا قرأنا نصًا لابن القفطي ينقله ابن العبري (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) قائلاً: اشتهر بين الإسلاميين يحيى النحوي وكان إسكندريًا، وعاش إلى أن فتح عمرو بن العاص مدينة الإسكندرية، ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلوم فأكرمه وسمع من ألفاظه الفلسفية التي لم تكن للعرب بها أنسة، ونرى ابن القفطي (ت ٦٤٦/ ١٢٦٧م). يكمل القصة قائلاً: فقال له عمرو: وما الذي تريده إليه؟ قال: كتب الحكمة في الخزائن الملوكية.. أربعة وخمسون ألفًا ومائة وعشرون كتابًا.. فاستكثر عمرو ما ذكره يحيى وقال لا يمكنني أن آمر بأمر إلا بعد استئذان أمير المؤمنين، وكتب إلى عمر، وعرفه قول يحيى، فورد كتاب عمر يقول: أما الكتب التي ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنها غنى، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليها، فتقدم بإعدامها، فشرع عمرو بن العاص في توزيعها على حمامات الإسكندرية وإحراقها في مواقد وذكرني عدة الحمامات يومئذ وأنسيتها فذكروا أنها استنفدت في ستة أشهر فاسمع ما جرى واعجب(١).

إلا أن قصة الحرق هذه وردت قبل ابن القفطي، وقبل ابن العبري فهذا عبد اللطيف البغدادي (ت ٦٤٩هـ/ ١٢٣١) قال: وأنه دار العلم الذي بناه الإسكندر حيث بنى مدينة وفيها كانت خزانة الكتب التي أحرقها عمرو بن العاص بإذن عمر بن الخطاب ﷺ(٢)، وعند دراسة هذه الروايات نرى أنه لابد من إبداء الملاحظات التالية:

١- لا يوجد ترابط بين تلك الروايات الثلاث، ولا صلة في النقل التاريخي تربط من ألفوها فضلاً عن أنهم عاشوا في فترة زمنية متقاربة.

٢- لا يوجد أي إسناد يرجع إليه في هذه الروايات وإنما هي افتراضات افترضها أصحابها.

---

(١) عمرو بن العاص القائد والسياسي ص١٣٣ .

(٢) المصدر نفسه ص١٣٤ .

٣- أنها وجدت في فترة بعيدة عن زمن فتح مصر وعمرو بن العاص ويمكن القول بكل ثقة أن هذه القصة مختلقة اختلاقًا واضحًا يمكن الطعن فيها من النواحي التالية:

- لم يذكر قصة حرق مكتبة الإسكندرية من أرخ لتاريخ مصر وفتحها ممن عاش قبل من ذكروا هذه القصة بعدة قرون.

- لم تذكر هذه القصة عند الواقدي ولا الطبري، ولم يتفق عليها ابن الأثير

ولا ذكرها ابن خلدون، فضلاً عن ابن عبد الحكم، ولم يصفها ياقوت الحموي عند وصف الإسكندرية.

- يمكن إرجاع هذه القصة إلى فترة الحروب الصليبية، من جهة البغدادي وربما وضعها تحت ضغط معين أو ربما انتحلت عليه فيما بعد.

- إذا وجدت هذه المكتبة المزعومة، فيمكن القول: إن الروم الذي غادروا الإسكندرية كان بإمكانهم إخراجها معهم، أو ربما فعلوا ذلك.

- لقد كان بإمكان عمرو إلقاؤها في البحر في فترة قصيرة بدلاً من حرقها الذي استغرق ستة أشهر، مما يدل على القصد في تزييف هذه القصة وتأليفها، ويمكن القول بلا وجل: إن عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص ﵄ بريئان مما نسب إليهما في هذه القصة المصطنعة التي كانت من تخيلات أناس أحبوا التهويل فتخيلوا وجود ما لم يكن موجودًا[1].

ثامنًا- لقاء عمرو بن العاص والبابا بنيامين:

يقول المؤرخ ابن عبد الحكم: كان بالإسكندرية أسقف للقبط يقال له أبو بنيامين، وكان هاربًا في الصحراء بسبب الاضطهاد المذهبي الذي تعرض له الأقباط على أيدي الرومان المسيحيين، فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص إلى مصر، كتب إلى القبط يعلمهم أنه لا تكون للروم دولة، وأن ملكهم قد انقطع، ويأمرهم بتلقي

(١) عمرو بن العاص القائد والسياسي ص١٣٤ .

عمرو، فيقال إن القبط الذين كانوا بالفرما صاروا يومئذ لعمرو أعوانًا[١]، وقد جاء في رواية المؤرخ القبطي ساويرس بن المقنع أنه سانوتيوس أحد رؤساء القبط وقتئذ، والذي كان يتولى إدارة شئون الكنيسة مدة اختفاء البطريق بنيامين، قد روى لعمرو موضوع الأب المجاهد بنيامين البطرك وأنه هارب من الروم خوفًا منهم، فكتب عمرو ابن العاص إلى عمّال مصر كتابًا يقول فيه الموضع الذي فيه بنيامين بطرك النصارى القبط له العهد والأمان والسلامة من الله، فليحضر آمنًا مطمئنًا ويدبر حال بيعته وسياسة طائفته، فلما سمع القديس بنيامين هذا، عاد إلى الإسكندرية بفرح عظيم بعد غيبة ثلاث عشرة سنة، فلما ظهر فرح الشعب وكل المدينة بمجيئه ولما علم عمرو بوصوله أمر بإحضاره بكرامة وإعزاز ومحبة، فلما رآه أكرمه وقال لأصحابه إن في جميع الكور التي ملكناها إلى الآن ما رأيت رجلاً يشبه هذا وكان الأب بنيامين حسن المنظر جدًا، وجيد الكلام بسكون ووقار، ثم التفت عمرو إليه وقال له: جميع بيعتك ورجالك اضبطهم ودبِّر أحوالهم. وانصرف من عنده مكرّمًا مبجلاً وعلق الأستاذ الشرقاوي على هذا اللقاء فقال: وقرَّب عمرو إليه البطريق بنيامين حتى لقد أصبح من أعز أصدقائه عليه، واطمأن العرب الفاتحون في مصر، وخطبهم أميرهم عمرو بن العاص في أول جمعة صلاها بجامعه بالفسطاط فقال: .. استوصوا بمن جاوركم من القبط، فإن لكم فيهم ذمة وصهرًا، فكفوا أيديكم، وعفُّوا وغضوا أبصاركم[٢].

* ■ *

(١) فتوح مصر وأخبارها ص٧٣، ٧٤ .

(٢) الفاروق ص٢٤٧ .

المبحث الرابع
أهم الدروس والعبر والفوائد في فتوحات الفاروق

أولاً: طبيعة الفتح الإسلامي:

حاول بعض المؤرخين من النصارى والمستشرقين تشويه الفتح الإسلامي في العصر الراشدي وزعموا أن الفتوحات كانت حروبًا دينية وقالوا: إن المسلمين أصحاب عقيدة، ولكنهم توسلوا بالتعصب الأعمى، وأخضعوا الناس لمبادئهم بالقهر والإرغام، وخاضوا إلى ذلك بحار الدم والقسوة، وأنهم كانوا يحملون القرآن بإحدى يديهم، والسيف باليد الأخرى[1]، وممن ركز منهم على هذه الفكرة، (سيديو) و(ميور) و(نيبور). إذ ينقل (ميور) عن نيبور قوله: وكان من الضروري لدوام الإسلام أن يستمر في خطته العدوانية وأن ينفذ بحد السيف ما يطالب به من دخول الناس في الإسلام كافة، أو بسط سيطرته العالمية على الأقل، غير أنه لا مناص لأيّ من الأديان أن يجنح أتباعه للحرب في إحدى مراحل حياته، وكذلك كان الحال في الإسلام، ولكن الزعم أن المسلمين هدفوا إلى بث الدعوة بالقوة، أو أنهم كانوا أكثر عدوانًا من غيرهم، زعم يجب إنكاره إنكارًا تامًا[2]، وقد ردّ بعض المستشرقين على هذه التهم ووصفوا الفتح الإسلامي بالمثل العالية والأخلاق الكريمة فهذا فون كريمر يقول: وكان العرب المسلمون في حروبهم مثال الخلق الكريم، فحرم عليهم الرسول[3]، قتل الرهبان، والنساء، والأطفال، والمكفوفين، كما حرم عليهم تدمير المزارع، وقطع الأشجار، وقد اتبع المسلمون في حروبهم هذه الأوامر بدقة متناهية، فلم ينتهكوا الحرمات، ولا أفسدوا الزروع، وبينما كان الروم يرمونهم بالسهام المسمومة، فإنهم لم يبادلوا أعداءهم جرمًا بجرم، وكان نهب القرى وإشعال النار قد درجت عليها الجيوش الرومانية في تقدمها وتراجعها، أما المسلمون فقد

---

(١) تاريخ العرب العام، سيديو ص١٣٣ .

(٢) فتح مصر بين الرؤية الإسلامية والرؤية النصرانية ص١٢٦ .

(٣) الرسول ﷺ لا يحرم من تلقاء نفسه بل بالوحي الإلهي.

احتفظوا بأخلاقهم المثلى فلم يحاولوا من هذا شيئًا[١]، وقال روزنتال: وقد نمت المدنية الإسلامية بالتوسع لا بالتعمق داعية إلى العقيدة، مناقشة لتلك الحركات الفكرية الموجودة وفوق كل ذلك تقدم الإسلام فتهاوت الحواجز القديمة من اللغة والعادات، وتوفرت فرصة نادرة لجميع الشعوب والمدنيات لتبدأ حياة فكرية جديدة على أساس المساواة المطلقة، وبروح المنافسة الحرة[٢].

إن الحقيقة التاريخية تقول بأن المسلمين لم يكرهوا أحدًا على اعتناق الإسلام لأنهم قد التزموا بقول الله تعالى: ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (البقرة، آية: ٢٥٦).

وأما إقبال الشعوب على الإسلام فكان بسبب ما لمسوه في الإسلام نفسه، فهو النعمة العظيمة، ولما لمسوه في المسلمين من التخلق بأخلاق الإسلام والالتزام بأحكامه وأوامره ونواهيه ولما لمسوه في القادة والجند الذين كانوا يقومون بالدعوة بالتطبيق العملي، فتميزت مواقفهم بأنبل المواقف التي عرفها التاريخ العالمي، فقد كان الخلفاء والقادة يوصون جندهم بالاستعانة بالله، والتقوى، وإيثار أمر الآخرة على الدنيا، والإخلاص في الجهاد، وإرادة الله في العمل، والابتعاد عن الذنوب، فكانت فيهم الرغبة الأكيدة الملحة لإنقاذ الأمم والأفراد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ونقلهم من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، فكان قادة المسلمين على رأس جندهم يتلقون الصدمات الأولى في معارك الجهاد، واستشهد عدد كبير منهم، وقد كان القادة يسيرون خلف جندهم في وقت الأمن والعودة يرفقون بهم ويحملون الكلأ ويعينون الضعيف وكان القادة دعاة في المقام الأول، طبقوا مبادئ الحرب الإسلامية تمامًا والحق أن المسلمين كانوا يخوضون جهادًا في سبيل الله، وليس حربًا كما كانت تفعل الدول الأخرى[٣].

---

(١) الإسلام وحركة التاريخ أنور الجندي ص٨٣ .
(٢) علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي ص٤٦ .
(٣) فتح مصر، الدكتور إبراهيم المتنّاوي ص١٢٧

ثانيًا: الطريقة العمرية في اختيار قادة الجيوش:

كانت للفاروق طريقة متميزة في اختيار قادة الفتح، فقد وضع عدة شروط وضوابط لاختيار قادة جنده وهي كالآتي:

١- أن يكون تقيًّا ورعًا عالمًا بأحكام الشريعة:

وكان يقول ويردد: من استعمل فاجرًا وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله[١]، ولما أرسل إلى سعيد بن عامر ليستعمله على بعض الشام، فأبى عليه، فقال عمر: كلا والذي نفسي بيده لا تجعلونها في عنقي وتجلسون في بيوتكم[٢].

٢- أن يشتهر القائد بالتأني والتروي:

لما ولَّى عمر رضي الله عنه أبا عبيد الثقفي قال له: إنه لم يمنعني أن أؤمر سليطًا إلا سرعته إلى الحرب، وفي التسرع إلى الحرب ضياع إلا عن بيان والله لولا سرعته لأمرته ولكن الحرب لا يصلحها إلا المكيث[٣].

٣- أن يكون جريئًا، وشجاعًا وراميًا:

ولما أراد عمر أن يولي قائدًا لجيوش المسلمين لفتح نهاوند[٤] واستشار الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين أنت أعلم بأهل العراق وجندك قد وفدوا عليك، ورأيتهم وكلمتهم فقال: أما والله لأولين أمرهم رجلاً ليكوننّ أول الأسنّة[٥] إذا لقيها غدًا، فقيل من يا أمير المؤمنين؟ قال: النعمان بن مقرن المزنيِّ، فقالوا: هُوَ لها[٦].

٤- أن يكون ذا دهاء وفطنة وحنكة:

قال عمر رضي الله عنه: ولكم عليّ ألا ألقيكم في المهالك ولا أحجزكم في ثغوركم[٧].

ولما نزل عمرو بن العاص وجنده على الروم بموقعة أجنادين لفتحها وكان قائد الروم الأرطبون وهو أدهى الروم، وأبعدها غورًا، وأنكاها فعلاً، ووضع جندًا عظيمًا بإيلياء

---

(١) موسوعة فقه عمر ص١٠٠ عن سيرة عمر لابن الجوزي ص٦٧ .

(٢) موسوعة فقه عمر ص١٠٠ عن مصنف عبد الرزاق (١١/٣٤٨).

(٣) تاريخ الطبري (٤/٢٦٦).

(٤) نهاوند: من بلاد الفرس قرب همذان.

(٥) الأسنة: واحدة السنان أي سن الرمح.

(٦) تاريخ الطبري (٥/١٠٩).

(٧) موسوعة فقه عمر ص١٠٩ .

والرملة وكتب عمرو إلى عمر بالخبر، فلما جاءه كتاب عمر قال: رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب فانظروا عمّ تنفرج[١]، ولما أراد عمرو أن يجمع المعلومات عن الأرطبون وجيشه، حتى يضع خطته الحكيمة لمهاجمته، والانتصار عليه دخل ابن العاص معسكر قائد الروم وكاد أن يقتل إلا أن الله نجاه وخدع عمرو بن العاص أرطبون الروم ولما وصل الأمر إلى عمر بن الخطاب. قال: غلبه عمرو، لله عمرو[٢].

٥- أن يكون القائد لبقًا حاذقًا له رأي وبصر بالحروب:

يقول صاحب المغني (ابن قدامة الحنبلي) في كلامه عن أمير الحرب: .. ويكون ممن له رأي وعقل ونجدة وبصر بالحرب ومكايدة للعدو، ويكون فيه أمانة ورفق ونصح للمسلمين[٣]. ولذلك اختار الفاروق سعد بن أبي وقاص لقيادة حرب العراق بعد أن استشار الناس.

٦- الرغبة في العمل:

كان من خطة عمر رضي الله عنه ألا يولِّي رجلاً عملاً لا رغبة له فيه ولا قناعة إلا إذا اضطر إلى ذلك ليكون العمل أكثر إتقانًا، فقد ندب الناس مرة وحثهم على قتال الفرس بالعراق، فلم يقم أحد ثم ندبهم في اليوم الثاني فلم يقم أحد، ثم ندبهم في اليوم الثالث وهكذا ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الرابع كان أول من انتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفي، ثم تتابع الناس، فأمّر على الجميع أبا عبيد - وهو لذلك أهلٌ - ولم يكن صحابيًا فقيل لعمر: هلا أمّرت عليهم رجلاً من الصحابة؟ فقال: إنما أؤمر عليهم من استجاب[٤]، وقد تجسدت هذه الصفات في كل من سعد بن أبي وقاص، وأبي عبيدة بن الجراح، وعمرو بن العاص رضي الله عنهم وغيرهم كثير.

ثالثًا- حقوق الله، والقادة والجند من خلال رسائل الفاروق:

● **حقوق الله**: كان الفاروق رضي الله عنه يرشد قادته وجنوده من خلال رسائله ووصاياه إلى أهمية التزامهم بحقوق الله والتي من أهمها:

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤٣١).
(٢) تاريخ الطبر (٤/ ٤٣٢).
(٣) المغني لابن قدامة (٨/ ٣٥٢).
(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٦).

١- مصابرة العدو: قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران،آية: ٢٠٠). وكان مما قاله عمر بن الخطاب ﷺ في الصبر لسعد بن أبي وقاص حين بعث به إلى العراق: واعلم أن لكل عادة عتادًا، فعتاد الخير الصبر، فاصبر على ما أصابك أو نابك، يجتمع لك خشية الله[١]، كما كتب إلى أبي عبيدة بن الجراح وهو بالشام قائلاً: لقد أثنى الله على قوم بصبرهم. فقال: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ* وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ* فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران،آية: ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨). فأما ثواب الدنيا فالغنيمة والفتح وأما ثواب الآخرة فالمغفرة والجنة، واقرأ كتابي هذا على الناس ومرهم فليقاتلوا في سبيل الله وليصبروا كيما يؤتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة[٢].

٢- أن يقصدوا بقتالهم نصرة دين الله: فقد استوعب الفاروق ﷺ قول رسول الله ﷺ: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله[٣]، فنجد حياته وتوصياته ورسائله يهيمن عليها هذا المعنى العظيم.

٣- أداء الأمانة: قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ (آل عمران،آية: ١٦١). فمن وصايا الفاروق ﷺ للقادة والعسكر في عدم الغلول قوله: «إذا لقيتم العدو فلا تفروا، وإذا غنمتم فلا تغلوا»[٤].

٤- عدم الممالأة والمحاباة في نصرة دين الله: ومن مشهور قول عمر بن الخطاب ﷺ في المحاباة والمودة: من استعمل رجلاً لمودة أو قرابة لا يستعمله إلا لذلك فقد خان الله ورسوله، ومن استعمل فاجرًا وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله[٥].

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٣٠٦).
(٢) تاريخ فتوح الشام ص١٨٣ .
(٣) البخاري رقم ٢٦٥٥ .
(٤) الخراج لأبي يوسف ص٨٥ .
(٥) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (١/ ٦٦).

● **حقوق القائد:** وبين الفاروق في رسائله وتوجيهاته حقوق القائد والتي منها.

١- التزام طاعته: فحين بعث الفاروق بأبي عبيد بن مسعود الثقفي على رأس جيش نحو العراق أرسل برفقته سلمة بن أسلم الخزرجي وسليط بن قيس الأنصاري رضي الله عنهما وأمره ألا يقطع أمرًا دونهما وأعلمه أنهما من أهل بدر ثم إن أبا عبيد حارب الفرس بموقعة الجسر وقد أشار عليه سليط ألا يقطع الجسر ولا يعبر إليهم فلم يسمع له مما أدى إلى هزيمة عسكر المسلمين فقال سليط في بعض قوله: لولا أني أكره خلاف الطاعة لانحزت بالناس ولكني أسمع وأطيع وإن كنت قد أخطأت وأشركني عمر معك[1].

٢- أن يفوضوا أمرهم إلى رأيه: قال تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ (النساء، آية: ٨٣). جعل الله تفويض الرعية الأمر إلى ولي الأمر سببًا لحصول العلم وسداد الرأي، فإن ظهر لهم صواب خفي عليه بينوه له وأشاروا به عليه ولذلك ندب إلى المشاورة ليرجع بها إلى الصواب[2]، وقد جعل عمر رضي الله عنه للعسكر أميرًا واحدًا يفوضون أمرهم إلى رأيه ويكلونه إلى تدبيره حتى لا تختلف آراؤهم فتختلف كلمتهم[3] ففي السنة التي بعث فيها الفاروق بجيوش المسلمين إلى نهاوند وأمرهم بالتجمع هنالك كان الجيش يتألف من جند أهل المدينة المنورة من المهاجرين والأنصار وفيهم عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وجند أهل البصرة بقيادة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وجند أهل الكوفة بقيادة حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وبعد تجمعهم كتب إليهم الفاروق رضي الله عنه: إذا التقيتم فأميركم النعمان بن مقرن المزني[4].

٣- المسارعة إلى امتثال أمره: وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أول عمل قام به هو ندب الناس إلى فارس حيث أخذ يدعوهم لمدة ثلاثة أيام ولم يستجب أحد

(١) مروج الذهب (٢/ ٣١٥،٣١٦).
(٢) الأحكام السلطانية ص٤٨ .
(٣) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية نشأتها وتطورها (١/ ١٠٠).
(٤) المصدر نفسه (١/ ١٠٠).

وفي اليوم الرابع كان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفي مما أدى بعمر رضي الله عنه أن يوليه ذلك البعث بالرغم من وجود صحابة رسول الله لأنه سارع إلى تلبية النداء[١]، وعندما وجه الفاروق عتبة بن غزوان إلى البصرة قال ناصحًا إياه ومذكرًا له بقوله: اتق الله فيما وليت وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبر يفسد عليك إخوتك وقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعززت به بعد الذلة، وقويت به بعد ضعف حتى صرت أميرًا مسلطًا وملكًا مطاعًا تقول فيسمع منك وتأمر فيطاع أمرك فيا لها من نعمة إن لم ترفعك فوق قدرك وتبطرك عن من دونك[٢].

٤- عدم منازعته في شيء من قسمة الغنائم: ومما قاله عمر بن الخطاب حول قسمة الغنائم: اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار فإني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ويقسموا فيئهم ويعدلوا عليهم فمن أشكل عليه شيء رفعه إلي[٣]، فمن ذلك في فتح الأبلة[٤] عندما تم تقسيم الغنائم بين الجند كان نصيب أحدهم قدرًا من نحاس فلما صار بيده تبين أنه من ذهب وعرف ذلك الجند فشكوا إلى أمير الجند[٥]، فأشكل ذلك عليه فكتب بدوره إلى عمر رضي الله عنه يخبره بذلك فأتاه الرد بقوله: أصر على يمينه بأنه لم يعلم أنها ذهب إلا بعد أن صارت إليه فإن حلف فادفعها إليه وإن أبى فأقسمها بين المسلمين فحلف فدفعها إليه[٦]، وعندما جمعت الغنائم في معركة جلولاء ذكر جرير بن عبد الله البجلي أن له ربع ذلك كله هو وقومه فكتب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بذلك إلى عمر بن الخطاب، فقال عمر: صدق جرير قد قلت له، فإن شاء أن يكون قاتل هو وقومه على جعل المؤلفة قلوبهم فأعطهم جعلهم، وإن كانوا إنما ما قاتلوا إلا لله ولدينه واحتسبوا ما عنده فهم من المسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، فلما قدم الكتاب على سعد أخبر جريرًا بذلك، فقال جرير: صدق أمير المؤمنين وبر، لا حاجة لنا إلى الربع بل نحن من المسلمين[٧].

---

(١) المصدر السابق (١/ ١١٣). (٢) المصدر نفسه (١/ ١١٤). (٣) الخراج لأبي يوسف ص٥٠ .
(٤) الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج. (٥) الإدارة العسكرية (١/ ١٢).
(٦) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص١٢٨ . (٧) الإدارة العسكرية (١/ ١٢١).

● **حقوق الجند**: وقد بين الفاروق في رسائله ووصاياه حقوق الجند والتي منها:

١- استعراضهم وتفقد أحوالهم: فقد روي عن عمر بن الخطاب ﷺ في إدارته أنه قال: إني لأجهز جيشي وأنا في الصلاة فذاك لأن عمر كان مأمورًا بالجهاد وهو أمير المؤمنين فهو أمير الجهاد فصار بذلك من بعض الوجوه بمنزلة المصلي الذي يصلي صلاة الخوف حال معاينة العدو(١)، وكان ﷺ عندما يعقد الألوية لقادته وقبل سيرهم للغزو يستعرضهم ويوصيهم فمما كان يقول لهم: ائتزروا وارتدوا وانتعلوا واحتفوا وارموا الأغراض وألقوا الركب وانزوا على الخيل وعليكم بالمعدية - أو قال العربية - ودعوا التنعم وزي العجم ولن تخور قواكم ما نزوتم ونزعتم على ظهور الخيل ونزعتم بالقسي(٢)، وهذا يظهر لنا مدى حرص الفاروق ﷺ في الاستعداد وإظهار القوة واحتذى قادته حذوه في صف واستعراض العسكر وإبراز القوة للعدو سواء في المعارك الحربية أو أثناء الاستعداد لها، فكان عمرو بن العاص ﷺ يخطب الجند بمصر في صلاة الجمعة ويحثهم على إسمان دوابهم ويتوعدهم إن لم يفعلوا ذلك بحط الفريضة عنهم يوم العرض فمن قوله: ولا أعلمن ما أتى رجل قد أسمن جسمه وأهزل فرسه واعلموا إني معرض الخيل كاعتراض الرجال فمن أهزل فرسه من غير علة حططت من فريضته قدر ذلك(٣)، وعندما لقي معاوية عمر ﷺ عند قدومه الشام وجد أبهة الملك وزيه من العدد والعدة فاستنكر عليه ذلك وقال له: أكسرويه يا معاوية؟ قال: يا أمير المؤمنين أنا في ثغر تجاه العدو وبنا إلى مباهاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة فسكت ولم يخطئه لما اجتمع عليه بمقصد من مقاصد الحق والدين(٤).

٢- الرفق بالجند في السير: وقد كتب الفاروق إلى سعد بن أبي وقاص ﷺ قائلاً: وترفق بالمسلمين في مسيرهم ولا تجشمهم مسيرًا يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم، حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم، فإنهم سائرون إلى عدو مقيم جامِّ الأنفس والكراع، وأقم بمن معك في كل جمعة يومًا وليلة حتى تكون

---

(١) الفتاوى (٢٢/٦٠٩).
(٢) نهاية الأرب (٦/١٦٨).
(٣) فتوح مصر لابن عبد الحكم ص١٤١ .
(٤) الإدارة العسكرية (١/١٣٧) نقلاً عن المقدمة.

لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ويَرُمُّونَ أسلحتهم وأمتعتهم ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح[١]. . ، وحين بعث الخليفة عمر رضي الله عنه بمدد إلى جند الشام حمل ضعيفهم وزودهم وأمر عليهم سعيد بن عامر، وعندما هم بالمسير قال عمر على رسلك حتى أوصيك، ثم سار عمر نحو الجيش راجلاً وقال له: يا سعيد وليتك هذا الجيش ولست بخير رجل فيهم إلا أن تتقي الله، فإذا سرت فأرفق بهم ما استطعت ولا تشتم أعراضهم ولا تحتقر صغيرهم ولا تؤثر قويهم ولا تتبع سواك ولا تسلك بهم المغاور واقطع بهم السهل ولا ترقد بهم على جادة[٢] الطريق والله تعالى خليفتي عليك وعلى من معك من المسلمين[٣].

٣- أن يتصفحهم عند مسيرهم: فقد كان الفاروق يتصفح الجيوش عند مسيرهم ويوصيهم بالأخلاق الرفيعة والقيم العظيمة، فقد أمر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بالوفاء مع الأعداء حين طلبهم للأمان وأن لا يغدروا وبين له أن الخطأ في الغدر هلكة ووهن له وقوة للأعداء وحذره أن يكون شيئًا على المسلمين وسببًا لتوهينهم[٤].

٤- عدم التعرض عند اللقاء لمن خالفه منهم لئلا يحصل افتراق الكلمة والفشل.

ومن وصايا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأمرائه وقادته في هذا الباب قوله: لا يجلدن أمير جيش ولا سرية أحدًا الحد حتى يطلع الدرب لئلا تحمله حمية الشيطان أن يلحق بالكفار[٥].

وعندما بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالقائد سلمان بن ربيعة الباهلي على رأس جيش كان برفقته عمرو بن معديكرب وطليحة بن خويلد الأسدي وحدثت بين عمرو ابن معديكرب وسلمان بن ربيعة أمور بلغت عمر رضي الله عنه فكتب إليه عمر قائلاً: أما بعد: فقد بلغني صنيعك بعمرو وإنك لم تحسن بذلك ولم تجمل فيه فإذا كنت بمثل مكانك في دار الحرب فانظر عمرًا وطليحة وقربهما منك واسمع منهما فإن لهما

---

(١) نهاية الأرب (٦/ ١٦٩).

(٢) الجادة: معظم الطريق والجمع جواد.

(٣) تاريخ فتوح الشام ص١٨٦ للأزدي.

(٤) الإدارة العسكرية (١/ ١٧٩).

(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٣١ .

بالحرب علمًا وتجربة وإذا وصلت إلى دار السلم فأنزلهما منزلتهما التي أنزلا أنفسهما بها وقرب أهل الفقه والقرآن[١]، وكتب إلى عمرو بن معديكرب: أما بعد فقد بلغني إفحامك لأميرك وشتمك له، وإن لك لسيفًا تسميه الصمصامة وإن لي سيفًا أسميه المصمم وإني أحلف بالله لو قد وضعته على هامتك لا أرفعه حتى أقدك به، فلما جاء الكتاب لعمرو قال: والله إن هم ليفعلن[٢]، يتجلى من النصين السابقين فقه الفاروق فيما ينبغي أن يتحلى به القائد في دار الحرب من الإيلاف للقلوب وخاصة وهم بإزاء العدو، وأن على القائد أن يستشير من له خبرة بالحرب وهذا لا يعني انقطاع العلاقة والمودة بينهما حين عودة العسكر إلى دار السلام، وفي فتح الرها[٣] على يد عياض بن غنم قدم عليه مدد من الشام بقيادة بسر بن أبي أرطأة العامري وجه به يزيد بن أبي سفيان بأمر من عمر رضي الله عنه وحدث بينهما خلاف وهم في دار الحرب وكان عياض مستغنيًا عن المدد فطلب إليه الرجوع إلى الشام فكتب عمر رضي الله عنه إلى عياض طالبًا منه أن يوضح له سبب إرجاعهم وخاصة وهم ما قدموا إلا لمساندتك ولإعلام العدو أن الأمداد متواترة إليك فتنكسر قلوبهم ويسارعوا إلى طاعتك، فأجابه عياض قائلاً: خشيت أن يحصل شيء من التمرد وتختلف قلوب العساكر ولما كنت غنيًا عن مدده اعتذرت إليه وأمرته بالعودة هذا هو السبب في إعادته[٤]، عندها صوبه عمر رضي الله عنه ودعا له وخاصة وهم بإزاء العدو حتى لا تفترق الكلمة ويتناحروا فيما بينهم ويحصل الفشل[٥].

٥- حراستهم من غرة يظفر بها العدو في مقامهم ومسيرهم:

اهتم الفاروق بأمر الحراسة ولذلك أمر قادته بالحرص والحذر من تبييت العدو وأخذهم على غرة وطلب منهم إقامة الحرس في حلهم وترحالهم، فمن ذلك قوله لسعد بن أبي وقاص: أذك حراسك على عسكرك وتيقظ من البيات جهدك ولا تؤتى بأسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه لترهب بذلك عدو الله وعدوك[٦]، وكان

(١، ٢) الأوائل للعسكري (٢/ ٤٥).

(٣) الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام.

(٤) فتوح الشام ابن أعثم (١/ ٢٥٣-٢٥٥).

(٥) الإدارة العسكرية (١/ ١٨٨).

(٥) نهاية الأرب (٦/ ١٧٠).

رضي الله عنه يوصي قادته باتخاذ العيون وبث الطلائع عند بلوغ أرض العدو حتى يكونوا على علم ودراية بحالهم وبنواياهم، فمما كتبه إلى سعد بن أبي وقاص قوله: وإذا وطئت أرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك أمرهم وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تثق به وتطمئن إلى نصحه وصدقه فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدقك في بعضه والغاش عين عليك ليس عينًا لك، وليكن منك عند دنوّك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم وتتبع الطلائع عوراتهم وانتق للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك وتخير لهم سوابق الخيل، فإن لقوا عدوا كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك[١]. ويتضح لنا من هذه الوصية القيمة أن الخليفة عمر رضي الله عنه لم تقتصر عنايته باتخاذ العيون على الأعداء بل اتخذها أيضًا في الجيوش الإسلامية في الرقابة الإدارية على الولاة والعمال والقادة والجند ليتعرف أحوالهم وسيرتهم ومعاملتهم وسير أعمالهم العسكرية، فقد كانت له عيون في كل جيش ومعسكر ترفع إليه تقريراً عما يدور فيه[٢]، وعندما شكا عمير بن سعد الأنصاري إلى الخليفة عمر حين قدم عليه وكان على طائفة من أهل الشام قائلاً: يا أمير المؤمنين إن بيننا وبين الروم مدينة يقال لها عرب سوس[٣]، وإنهم لا يخفون على عدونا من عوراتنا شيئًا ولا يظهروننا على عوراتهم، فقال له عمر: فإذا قدمت فخيرهم بين أن تعطيهم مكان كل شاة شاتين ومكان كل بعير بعيرين ومكان كل شيء شيئين فإن رضوا بذلك فأعطهم وخربها فإن أبوا فأنب إليهم وأجلهم سنة ثم خربها[٤]. ثم لما قدم عليهم عمير بن سعد عرض عليهم ذلك فأبوا فأجلهم سنة ثم خربها[٥].

٦- اختيار موضع نزولهم لمحاربة العدو: فقد كان الفاروق يوصي سعد بن أبي وقاص بأن لا يقاتل حتى يتعرف على طبيعة أرض المعركة كلها مداخلها ومخارجها ووفرة الماء والكلأ بها وما يجري مجرى ذلك[٦]، كما كتب إليه قبل القادسية بأن

---

(١) نهاية الأرب (٦/ ١٦٩). (٢) الإدارة العسكرية (١/ ٣٩٦). (٣) مدينة بالثغر من ناحية الحدث.
(٤) فتوح البلدان للبلاذري (١/ ١٨٥). (٥) المصدر نفسه (١/ ١٨٥)، الإدارة العسكرية (١/ ٣٩٧).
(٦) نهاية الأرب (٦/ ١٧٠)، الإدارة العسكرية (١/ ٢٠٥).

يكون أدنى حجر من أرضهم لأنهم أعرف بمسالكها من عدوهم فمتى كانت الهزيمة استطاع التمكن من الانسحاب بالجند فينجوا من القتل فلا يستطيع العدو اللحاق بهم لجبنه عن اتباعهم وعدم معرفته بطرقها[1]، وبالإضافة إلى ذلك فقد ولى الفاروق سعد بن أبي وقاص وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان ريادة الجيش في اختيار موقع وموضع نزوله وإقامته، فقد قام الفاروق بتوزيع المهام الإدارية بين القادة[2]، وكان الفاروق يشترط في إدارته العسكرية على قادته عند اختيارهم لموضع نزولهم وإقامة معسكراتهم الحربية ألا يفصلهم عن مقر القيادة العسكرية العليا ماء وذلك لما لها من مركزية في التخطيط ولتسهيل الإمداد والتموين[3]، كما كتب عمر ﷺ إلى أبي عبيدة بن الجراح قائلاً: ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تستريده لهم وتعلم كيف مأتاه[4].

٧- إعداد ما يحتاج إليه الجند من زاد وعلوفة: كان عمر ﷺ يبعث لجند المسلمين بالعراق من المدينة المنورة بالتموين من الغنم والجزور[5]، وحمى النقيع والربذة[6]، للنعم التي يحمل عليها في سبيل الله، كما اتخذ في كل مصر على قدره خيولاً من فضول أموال المسلمين عدة لما يعرض فكان من ذلك بالكوفة أربعة آلاف فرس، وبالبصرة نحوُ منها، وفي كل مصر من الأمصار على قدره[7]، ثم حين قدم عمر بن الخطاب ﷺ الشام لمصالحة أهل بيت المقدس أنشأ إدارة لتموين الجيش عرفت باسم الأهراء[8]، وكان عمرو بن عبسة أول موظف عين لإدارة تموين الجيش[9].

٨- تحريضهم على القتال: كتب الفاروق إلى أبي عبيدة يحرضه على الجهاد قائلاً: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى أمين الأمة أبي عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك فإني أحمد الله - عز وجل - سرًّا وعلانية

---

(١) الإدارة العسكرية (١/ ٢٠٥).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٢٠٦).
(٣) الإدارة العسكرية (١/ ٢٠٦).
(٤) الإدارة العسكرية (١/ ٢٠٧) نقلاً عن تاريخ الطبري.
(٥) فتوح البلدان للبلاذري (٢/ ٣١٤).
(٦) الربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز.
(٧) الإدارة العسكرية (١/ ٢١٧).
(٨) الهرى: بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام السلطان والجمع أهراء.
(٩) الإدارة العسكرية (١/ ٢١٧).

وأحذركم من معصية الله - عز وجل - وأحذركم وأنهاكم أن تكونوا ممن قال الله في حقهم ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة، آية: ٢٤). وصلى الله على خاتم النبيين وإمام المرسلين والحمد لله رب العالمين[١]، فلما وصل الكتاب إلى أبي عبيدة قرأه على المسلمين فعلموا أن أمير المؤمنين يحرضهم على القتال ولم يبق أحد من المسلمين إلا بكى من كتاب عمر بن الخطاب، كما كتب إلى سعد بن أبي وقاص بالعراق ومن معه من الأجناد يحرضهم على القتال ويمنيهم ويأمرهم الالتزام بالفضائل ويحذرهم من ارتكاب المعاصي[٢]، هذا وكان من مهام أمراء الأعشار على إدارة الفاروق رضي الله عنه التحريض على القتال[٣].

٩- أن يذكرهم بثواب الله وفضل الشهادة: ففي عصر الفاروق قام سعد بن أبي وقاص في القادسية يذكر جنده بثواب الله تعالى وما أعد لهم في الآخرة من النعيم ورغبهم في الجهاد وأعلمهم ما وعد الله نبيه من النصر وإظهار الدين وبين لهم ما سوف يكون بأيديهم من النفل والغنائم والبلاد وأمر القراء أن يقرأوا سورة الجهاد (الأنفال)[٤]، كما قام أبو عبيدة بن الجراح في جند الشام خطيبًا ومذكرًا إياهم بثواب الله تعالى ونعيمه ومخبرًا إياهم أن الجهاد خير لهم من الدنيا وما فيها[٥]، كما اشتهر عن عمرو بن العاص قوله لجند فلسطين: من قتل كان شهيدًا ومن عاش كان سعيدًا وأمر الجند أن يقرأوا القرآن وحثهم على الصبر ورغبهم في ثواب الله وجنته[٦].

١٠- أن يلزمهم بما أوجبه الله من حقوق: فقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص ومن معه من الأجناد يوصيه بقوله: أما بعد فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسًا من المعاصي من

---

(١) فتوح الشام للواقدي (١/١١٧).
(٢) الإدارة العسكرية (١/٢٣٩).
(٣) الإدارة العسكرية (١/٢٣٩).
(٤) تاريخ الطبري (٤/٣٥٦).
(٥) الإدارة العسكرية (١/٢٤٣).
(٦) فتوح الشام (١/١٨، ٢٠).

احتراسكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله[1]

١١- أن ينهاهم عن الاشتغال بتجارة وزراعة ونحوها: فقد أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه مناديه أن يخرج إلى أمراء الأجناد في أن يبلغوا العسكر أن عطاءهم قائم وأن رزق عيالهم سائل وأن ينهوهم عن الزراعة حتى إنّه عاقب من لم يمتثل ذلك[2]، كل ذلك حرصًا من الفاروق رضي الله عنه على تفريغ الجند للجهاد ونشر الإسلام ولئلا يلتصقوا بالأرض حين يزرعون فيركنوا إلى ذلك ويصبح قلبهم منشغلاً، ولذلك استطاع عمر رضي الله عنه أن يوجد جندًا متفرغًا للقتال جاهزًا لوقت الحاجة والطلب وضمن عدم انتشارهم لجني الثمار والزراعة وما يتبعها من حصاد وحرث وتسويق[3].

رابعًا- اهتمامه بحدود الدولة:

كان عمر رضي الله عنه من خوفه على المسلمين وحدود الدولة الإسلامية لاتساعها وكرهه لقتال الروم يقول إذا ذكر الروم: والله لوددت أن الدرب جمرة بيننا وبينهم لنا ما دونه وللروم ما وراءه[4]. وقال الشيء نفسه حول حدود الدولة الإسلامية نحو الفرس: لوددت أن بين السواد وبين الجبل سدًّا لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم، حسبنا من الريف السواد، وإني أوثر سلامة المسلمين على الأنفال[5]، فأمر بإقامة قواعد عسكرية إسلامية لها عدة وظائف ومهام والتي سبق وأشرنا إلى بعض منها بالإضافة إلى كونها مراكز حربية في مواقع استراتيجية متقدمة على الحدود بينها وبين البلاد المفتوحة لترد أي عدوان خارجي وكمراكز تجمع للجند ولنشر الإسلام وكان في طليعتها مدينتا البصرة والكوفة في مجاورة الدولة الفارسية والفسطاط بمصر[6]، وثغور أخرى بسواحلها وسواحل الشام لرد هجمات الروم من البحر، وجند أربعة أجناد فيما بعد فيقال جند حمص وجند دمشق وجند الأردن وجند فلسطين حيث

(١) الفاروق عمر بن الخطاب، محمد رشيد رضا ص١١٩ .
(٢) الإدارة العسكرية (١/ ٢٥٦).
(٣) المصدر نفسه (١/ ٢٥٧).
(٤) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٥٥).
(٥) تاريخ الطبري نقلاً عن الإدارة العسكرية (١/ ٣٥٢).
(٦) الإدارة العسكرية (١/ ٤٥٢).

كانت لاختصاصهم حتى عرفوا بها وصارت لهم علامة زائدة على النسب يتميزون بها عند أمرائهم لتسهيل عملية إدارتهم في المهمات العسكرية ولرعاية شئونهم والتي كان منها العطاء[١]، هذا إلى جانب المعسكرات والتحصينات التي بالثغور والتي سبق إجلاء العدو عنها واستولى عليها المسلمون واتخذوها قواعد عسكرية لهم وأسكنوا بها جندهم لحماية حدود الدولة الإسلامية[٢]، ثم صار المسلمون كلما تقدموا في الفتح أقاموا في نهاية توسعهم ثغراً يحرس الحدود يشحن بالجند المرابطين ويتولى أمره قائد من أكفأ القواد[٣]، ومن أهم تلك الإجراءات التي اتخذها الفاروق ﷺ بإقليم العراق والمشرق المسالح التي أقيمت بين المسلمين والفرس فحينما بلغ اجتماع الفرس على يزدجرد القائد المثنى بن حارثة والمسلمين كتبوا إلى الخليفة عمر بذلك فجاءهم الرد بقوله: أما بعد فاخرجوا من بين ظهراني الأعاجم وتفرقوا في المياه التي تلي الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم.. فنفذ المثنى الأمر[٤]، كما أوصى الخليفة عمر ﷺ سعداً قبل القادسية بقوله: وإذا انتهيت إلى القادسية فتكون مسالحك على أنقابها[٥]. وفي جلولاء كتب عمر ﷺ إلى سعد: إن هزم الله الجندين، جند مهران وجند الأنطاق فقدم القعقاع بن عمرو بثغر حلوان بجنود المسلمين لحماية المنطقة والحفاظ عليها من تقدم الأعداء وحتى يكون ردءاً لإخوانه من جند المسلمين الغازي منهم والمقيم[٦]، لذا كان القائد سعد بن أبي وقاص ﷺ بالعراق يطلب من الجند ويحثهم على التقدم نحو الفرس مخبراً إياهم أن الثغور والفروج قد سدت بقوله: ليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه كفاكموهم أهل الأيام وعطلوا ثغورهم وأفنوا ذاتهم[٧]، والملاحظ أن هذه المسالح في عهد الفاروق لا تنشأ إلا بأمر من القيادة العليا المركزية للإدارة العسكرية وذلك في قول الخليفة عمر لقادة المسالح: اشغلوا فارس عن إخوانكم وحوطوا بذلك أمتكم وأرضكم وأقيموا على حدود ما بين فارس والأهواز حتى يأتيكم أمري[٨]، وقد بلغت ثغور الكوفة

---

(١) فتوح البلدان (١/ ١٥٦).
(٢) تاريخ التمدن، جرجي زيدان (١/ ١٧٩).
(٣:٥) الإدارة العسكرية (١/ ٤٥٣).
(٦:٨) المصدر نفسه (١/ ٤٥٤) نقلاً عن الطبري.

وحدها في عهد الفاروق أربعة ثغور هي: ثغر حلوان وعليه القعقاع بن عمرو التميمي، وثغر ماسبذان وعليه ضرار بن الخطاب الفهري، وثغر قرقيسيا[١] وعليه عمر بن مالك الزهري، وثغر الموصل وعليه عبد الله بن المعتم العبسي وكان لكل قائد من هؤلاء من ينوب عنه في ثغره لإدارته إذا توجه لمهمة ما، ومن الجدير بالذكر أن جند المسلمين لا يبنون الثغور حصنًا ولا يمصرون مدينة إلا وأقاموا المسجد في المقدمة لما له من دور دعوي وتربوي وجهادي كما هو معروف[٢]، وأما فيما يتعلق بحماية الحدود بين الروم والمسلمين في الجبهة الشامية في عهد عمر ﷺ، فقد بدأت عنايته بها أيضًا منذ الفتح الإسلامي لبلاد الشام حيث اتخذ لذلك إجراءات دفاعية كثيرة ومتعددة لحماية المنطقة، منها بناء المناظير وإقامة الحرس واتخاذ المسالح به وتحصين المدن الساحلية إلى جانب الرباطات الدائمة بالإضافة إلى الحصون المفتوحة وترتيب المقاتلة فيها أي الجند الغازي وسياسة التهجير أو النواقل وجمعه الساحل الشامي كله تحت إدارة عسكرية موحدة ففي السنة التي سار فيها عمر بنفسه إلى بلاد الشام لتوقيع الصلح مع أهل بيت المقدس تفقد بعض الثغور الشامية ووضع بها الحاميات والمسالح ورتب بها أمراء الأخبار والقادة وسد فروجها ومسالحها وأخذ يدور بها ليرى احتياجاتها الدفاعية[٣]، ثم رجع إلى المدينة وخطب الناس قبل رجوعه قائلاً: ألا قد وليت عليكم وقضيت الذي علي في الذي ولاني الله من أمركم إن شاء الله قسطنا بينكم فيئكم ومنازلكم ومغازيكم وأبلغنا ما لديكم فجندنا لكم الجنود وهيأنا لكم الفروج وبوأنا لكم ووسعنا عليكم ما بلغ فيئكم وما قاتلتم عليه من شامكم وسمينا لكم أطماعكم وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم ومغانمكم فمن علم علم شيء ينبغي العمل به فبلغنا نعمل به إن شاء الله ولا قوة إلا بالله[٤]، وعندما فتح أبو عبيدة بن الجراح ثغر إنطاكية بالحدود الشامية الشمالية كتب إليه الخليفة عمر ﷺ قائلاً: أن رتب بإنطاكية جماعة من المسلمين أهل نيات وحسبة واجعلهم بها

---

(١) بلد على نهر الخابور قرب مالك بن طوق وعندها مصب الخابور في الفرات.

(٢) الإدارة العسكرية (١/ ٤٥٥).

(٣) الإدارة العسكرية (١/ ٤٥٧).

(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٤٠).

مرابطة ولا تحبس عنهم العطاء[١]، فنقل أبو عبيدة قومًا من أهل حمص وبعلبك مرابطة بها لحماية حدود المنطقة من أي عدوان خارجي وعين على الثغر حبيب بن مسلمة الفهري الذي اتخذ من ثغر إنطاكية قاعدة لانطلاقه لغزو ما خلف الحدود الإسلامية فمنها كان يأتي المدد للخطوط الأمامية في الجبهة الرومية وكان منها غزوه للجرجومة[٢] التي صالح أهلها على أن يكونوا أعوانًا للمسلمين وعيونًا ومسالح في جبل اللكام ضد الروم[٣]، وكذلك عندما سار أبو عبيدة إلى ثغر بالس[٤] رتب به جماعة من المقاتلين وأسكنه قومًا من عرب الشام الذين أسلموا بعد قدوم المسلمين لحفظ الثغر وضبطه من هجمات الروم[٥]، ومن التحصينات والوسائل الدفاعية التي اتخذها الوالي معاوية بن أبي سفيان لحماية الحدود الإسلامية لسواحل الشام في نهاية عهد عمر بن الخطاب بداية عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنهما هو قيامه ببناء عدة حصون مثل أطرسوس[٦]، ومرقية[٧]، وبلنياس[٨]، وبيت سليمة، بالإضافة إلى قيامه بتطوير الحصون التي استولى عليها الجند المسلمين بسواحل الشام وشحنها جميعًا بالجند المقاتلة وأقطعهم القطائع بها وبنى المناظير ووضع بها الحرس لمراقبة اقتراب العدو فتقوم كل منظرة بإشعال النار لإخبار الأخرى التي تليها إلى أن يصل الخبر إلى المدينة والثغر والمسلحة في زمن قليل فيسرعون نحو الجبهة التي أقبل منها العدو للتصدي له ومنعه من التسلل[٩]، وفيما يتعلق بحماية الحدود بين المسلمين والروم في الجبهة المصرية لإدارة عمر رضي الله عنه، فقد شملتها الرعاية والعناية كمثيلاتها من الجبهات الأخرى فقد أمر عمرو بن العاص ببناء الفسطاط كقاعدة عسكرية أولى

---

(١) فتوح البلدان (١/ ١٧٥).

(٢) الجرجومة: يقال لأهلها الجراجمة على جبل اللكام بالثغر الشامي.

(٣) معجم البلدان (٢/ ١٢٣).

(٤) بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقة.

(٥) فتوح البلدان للبلاذري (١/ ٢٢٤).

(٦) بلد من سواحل بحر الشام وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية.

(٧) مرقية: قلعة حصينة في سواحل حمص.

(٨) بلنياس: كورة ومدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر.

(٩) فتوح البلدان (١/ ١٥٠ إلى ١٥٨).

لإيواء جند المسلمين بالمنطقة وجعل لكل قبيلة محرسًا وعريفًا فمنها كان المنطلق في الفتوحات الإسلامية لشمال إفريقيا بالإضافة إلى كونها إحدى الحاميات الدفاعية المهمة للثغر المصري إلى ما هنالك من مهام تضطلع بها واشترط عمر ﷺ في موقعها، كما اشترط في مواقع القواعد السابقة بأن لا يفصل بينها وبين القيادة العليا المركزية بالمدينة ماء حتى يكون الاتصال بينهما مستمرًا وميسرًا[1] وكان عمرو بن العاص يذكر جنوده بأن مقامهم بمصر عبارة عن رباط وذلك في قوله: اعلموا أنكم في رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم وتشوق قلوبهم إليكم وإلى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية، وفي الفترة التي استولى فيها جند المسلمين على الحصون والمسالح التي بالثغر المصري قاموا بتجديدها وترميمها والاستفادة منها في مرابطتهم حيث شحنوها بالجنود وكان العريش أول مسالح مصر وأعمالها[2]، وقد أمر الفاروق بإقامة المسالح على سواحل مصر كلها[3]، وحينما فتح عمرو بن العاص ثغر الإسكندرية جعل به ألف رجل من أصحابه مسلحة به لحفظه وحمايته وكان عددهم لا يفي بالغرض المطلوب مما جعل الروم يعودون إليهم من البحر فقتلوا من قتلوا من أصحاب المسلحة وهرب من هرب فرجع إليهم عمرو بن العاص مرة أخرى وفتح الثغر وجعل من أصحابه لرباط الإسكندرية ربع الجيش كما جعل في السواحل الربع الآخر وأبقى معه بالفسطاط النصف الآخر[4]، وكان الفاروق يبعث في كل سنة غازية من أهل المدينة المنورة ترابط بثغر الإسكندرية ويكاتب الولاة بأن لا تغفل عنها وأن تكثف رابطتها، إضافة إلى من جعل بها عمرو بن العاص من المرابطين[5]، وبذلك استكمل عمر ﷺ فقهه البعيد في حماية الحدود البرية وتحصينها في الجبهات الثلاث العراقية والشامية والمصرية[6]، ولم يقتصر الأمر على هذه الوسائل الدفاعية لحماية الحدود الإسلامية بل أنشأ عمر ﷺ نظام

(١) فتوح مصر لابن عبد الحكم، الإدارة العسكرية (١/ ٤٦٢).
(٢) تاريخ اليعقوبي ص٣٣٠. (٣) البداية والنهاية (٧/ ١٠٣).
(٤) البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية سعاد ماهر ص٧٧.
(٥) فتوح مصر ص١٩٢، الخطط للمقريزي (١/ ١٦٧).
(٦) الإدارة العسكرية (١/ ٤٦٤).

الصوائف والشواتي وهي الحملات التي كانت تخرج بانتظام سنويًا كالدوريات المنظمة في فصل الصيف وفي فصل الشتاء[١]، ولم تقتصر حملات الشواتي والصوائف على ثغور بلاد الشام بل شـملت كافة حدود الدولة الإسلامـية حينئذ وكان يتـولاها كبار القادة أمثال أبي عبيدة بن الجراح، ومعاوية بن أبي سفيان والنعمان بن مقرن وغيرهم كثير[٢]، وكان الفاروق يزيد في الأرزاق والأعطيات للجنود الذين يبعثون إلى الثغور للمرابطة بهـا حتى تعينهم على تحـمل بعدهم ويقطعـهم القطائع بها[٣]، ونرى قادة الفاروق ﷺ في إدارتهم العسكريـة للمعارك يقسمون لأهـل المسالح من الفيء مثل الذي يقسم لهم لأنهم كانوا ردءًا للمسلمين لئلا يؤتوا من وجه من الوجوه[٤]، وحين حضرت الخليفة عـمر ﷺ الوفاة قال موصيًا الخليفـة من بعده: وأوصي الخليفة من بعدي بأهل الأمصار خيرًا فإنهـم ردء الإسلام وجباة المال وغيظ العدو، وأن لا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم[٥].

خامسًا- علاقة عمر مع الملوك:

كانت علاقة الفـاروق مع ملك الفرس حربية فقد توفي وجـيوشه تطارد يزدجرد في بلاده وتدوخ ملكه وأما علاقته مع ملك الروم فقد استقر الصلح بين الدولتين منذ أتم عمـر ﷺ فتح الشـام والجزيرة وجـرت بينه وبين ملك الروم المكاتبـات، وذكر مؤرخـو العرب أن هذه المـكاتبات كـانت مع هرقل ولكن لم يذكروا هل كـانت مع هرقل الأول الذي انتزع منه عـمر بلاد الشام أم مع ابنه هرقل الثاني المعـروف بهرقل قسطنطين لأن هرقل الأول توفي سنة (٦٤١م) الموافـقة سنة (٢١هـ) وتولى الملك ابنه المذكور في هذه السنة أي قبل وفاة عمـر ﷺ بسنتين وسواء أكانت المكاتبة والمراسلة مع هرقل الأول أم الثاني، فقد كانت الرسل تتـردد بينهما بالمكاتبة وأن أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ﷺ وزوج عمـر بن الخطاب أرسلت مرة مع رسـول جاء المدينة

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٤٦٤). (٢) فتوح البلدان للبلاذري (١/ ١٩٤، ١٩٥).
(٣) الفن الحربي في صدر الإسلام عبد الرؤوف عون ص٢٠١، الإدارة العسكرية (١/ ٤٦٥).
(٤) الإدارة العسكرية (٢/ ٤٦٥)، تاريخ الطبري (٤/ ١٣٤).
(٥) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص٢١٩، ٢٢٠.

من قبل ملك الروم هدية من ألطاف المدينة إلى امبراطورة الروم امرأة هرقل وأرسلت لها هذه في نظيرها عقدًا نفيسًا من الجواهر، فأخذه منها عمر ورده إلى بيت المال وقد جاء في كتب التاريخ أن أم كلثوم أرسلت تلك الهدية مع بريد عمر(١).

سادسًا- من نتائج الفتوحات العمرية:

١- إزالة الدولة الفارسية (الساسانية) من الوجود وفي الجانب المقابل حجمت الدولة الرومية (البيزنطية) ومن ثم انتهى ذلك الصراع الجاهلي الذي كان ناشبًا بين الفرس والروم والذي جرّ شعوب المنطقة إلى حروب دامية أنهكت الدولتين معًا، لا لشيء إلا للمحافظة على مصلحة الزعامات في كلتا الدولتين.

٢- وجود قيادة عالمية واحدة للمنطقة التي تقع في وسط الكرة الأرضية كلها الممتدة من حدود الصين شرقًا إلى المغرب غربًا، ومن بحر العرب جنوبًا حتى آسيا الصغرى شمالاً، قيادة جديدة بمؤهلات لم تعهدها البشرية، فهي محكومة مثلها مثل بقية أبناء شعوب المنطقة بقيم ومثل ونظام.

٣- هيمنة المنهج الرباني على جميع الناس، دون ضغط عليهم في تغيير معتقداتهم وديانتهم، ودون تفريق بين الأسود والأحمر والأبيض والأصفر، بل الناس كلهم أمام شرع الله سواء، ولا تفاضل بينهم إلا بالتقوى، ولمس الناس ثمار تطبيق شرع الله في حياتهم من الأمن والتمكين، والبركات، والسعة في الأرزاق وغيرها.

٤- ظهر في دنيا الناس أمة الإسلام التي جمعت بين أفرادها عقيدة التوحيد، وشريعة المولى - عز وجل - وترفعت عن آصرة الأعراق والأنساب والاعتبارات الأرضية الأخرى، وبرز في هذه الأمة قيادات من كل الأجناس العرقية، فكان لها المكانة العالية في وسط هذه الأمة، ولم يوجد ما يشينها أو يغير من مكانتها في الأمة، ولهذا كانوا يقولون لمن يقاتلونهم: فإن أجبتم إلى ديننا خلّفنا فيكم كتاب الله وأقمناكم عليه، على أن تحكموا بأحكامه، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم(٢).

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٢٥٩)، أشهر مشاهير الإسلام (٢/ ٣٥٩).
(٢) دراسات في عهد النبوة للشجاع ص ٣٧٠ .

٥- برزت حضــارة ربانية مــتكاملة، ومــتوازنة ومــتناسقــة ضمت بين أرجــائها تفاعلات الأمم والشعوب المندرجة تحت شرع الله تعــالى وقبلت في عضويتها العالم بأسره، أسوده وأصفره وأبيضه وفق المنهج الرباني، وأحكامه وأصبح الفاروق نموذجًا في قيــادته الحضارية للبشــرية في زمانه يعطينا صــورة مشرقة للإنســان القوي المؤمن العالم، الذي يســخر كل إمكانات دولتــه وجنوده وأتباعه وعلــومه ووسائله وأســبابه لتعزيز شرع الله وتمكين دينه وخدمة الإنسانية، وإعلاء كلمة الله، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة الناس والمادة إلى عــبادة الله، ونفذ قول الله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ** ﴾ (الحج،آية: ٤١).

لقد أنتجت الفــتوحات الإسلامية حــضارة إنسانية رفيــعة في ظل دين الإسلام، وبذلك نستطيع أن نعرف الحــضارة الربانية بأنها: تفاعل الأنشطة الإنسانيــة للجماعة الواحدة لخــلافة الله في الأرض عبــر الزمن، وضمن المفاهيم الإســلامية عن الحــياة والكون والإنسان[١].

❊ ■ ❊

(١) الإسلام والحضارة للندوة العالمية للشباب (١/ ٩٠).

المبحث الخامس
الأيام الأخيرة في حياة الفاروق

كان أمير المؤمنين الفاروق رضي الله عنه مثالاً للخليفة العادل المؤمن، المجاهد التقي الورع، القوي الأمين، الحصن المنيع للأمة وعقيدتها، قضى رضي الله عنه خلافته كلها في خدمة دينه وعقيدته وأمته التي تولى أمر قيادتها، فكان القائد الأعلى للجيش والفقيه المجتهد الذي يرجع الجميع إلى رأيه، والقاضي العادل النزيه، والأب الحنون الرحيم بالرعية، صغيرها وكبيرها، ضعيفها وقويها، فقيرها وغنيها، الصادق المؤمن بالله ورسوله، السياسي المحنك المجرب والإداري الحكيم الحازم، أحكم بقيادته صرح الأمة، وتوطدت في عهده دعائم الدولة الإسلامية، وتحققت بقيادته أعظم الانتصارات على الفرس في معارك الفتوح، فكانت القادسية والمدائن وجلولاء ونهاوند، وتمّ فتح بلاد الشام ومصر من سيطرة الروم البيزنطيين[1]، ودخل الإسلام معظم البلاد المحيطة بالجزيرة العربية، وكانت خلافته سدًا منيعًا أمام الفتن، وكان عمر نفسه بابًا مغلقًا لا يقدر أصحاب الفتن على الدخول إلى المسلمين في حياته، ولا تقدر الفتن أن تطل برأسها في عهده[2].

أولاً: حوار بين عمر وحذيفة حول الفتن (واقتراب كسر الباب):

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: كنّا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فقال أيكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة؟ فقلت: أنا أحفظه كما قال! قال: هات، لله أبوك، إنك لجريء. قلت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره، يكفرها الصيام والصلاة والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال عمر: ليس هذا أريد. إنما أريد الفتن التي تموج كموج البحر! قلت: مالك ولها يا أمير المؤمنين؟ إنّ بينك وبينها بابًا مغلقًا!! قال: فيكسر الباب أو يفتح؟ قلت: لا. بل يُكسر!! قال: ذاك أحرى ألا يغلق أبدًا، حتى قيام الساعة!!!

(١) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعاني ص١٥١ .
(٢) الخلفاء الراشدون للخالدي ص٧٧ .

قال أبو وائل الراوي عن حذيفة: هل كان عمر يعلم من الباب؟ قال حذيفة: نعم. كما يعلم أن دون غد الليلة! إني حدثته حديثًا ليس بالأغاليط. قال أبو وائل: فهبنا أن نسأل حذيفة: من الباب؟ فقلنا لمسروق: سل حذيفة من الباب؟ فقال مسروق لحذيفة: من الباب؟ قال حذيفة: هو عمر[(١)]!!!

إن حذيفة قدّم العلم لعمر رضي الله عنه، بأن الباب المنيع هو الذي يمنع تدفق الفتن على المسلمين، ويحجرُها عنهم، إنَّ هذا سيُكسر كسرًا، وسيتحطم تحطيمًا، وهذا معناه أنه لن يغلق بعد هذا حتى قيام الساعة، وهذا ما فهمه عمر، أي أن الفتن ستبقى منتشرة ذائعة بين المسلمين، ولن يتمكَّنوا من إزالتها أو توقُّفها أو القضاء عليها، وحذيفة رضي الله عنه لا يقرر هذا من عنده، ولا يتوقعه توقعًا، فهو لا يعلم الغيب وإنما سمع هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعاه وحفظه كما سمعه، ولهذا يعلق على كلامه لعمر قائلاً: إني حدثته حديثًا ليس بالأغاليط. أي حدثته حديثًا صحيحًا صادقًا، لا أغاليط ولا أكاذيب فيه، لأنني سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم إن عمر رضي الله عنه يعلم الحقيقة التي أخبره بها حذيفة، فهو يعلم أن خلافته باب منيع يمنع تدفق الفتن على المسلمين، وأن الفتن لن تغزو المسلمين أثناء خلافته وعهده وحياته[(٢)]،وكان عمر رضي الله عنه يعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه سيقتل قتلاً، وسيلقى الله شهيدًا، قال أنس ابن مالك: صعد رسول الله جبل أحد، ومعه أبو بكر و عمر وعثمان، فرجف الجبل بهم. فضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم برجله، وقال له: اثبت أُحُد: فإنما عليك نبيّ، وصديق، وشهيدان[(٣)].

١- دعاء عمر في آخر حجة له سنة ٢٣هـ:

عن سعيد بن المسيب: أن عمر رضي الله عنه لما نفر من منى أناخ بالأبطح فكوم كومة من بطحاء، فألقى عليها طرف ثوبه، ثم استلقى عليها، ورفع يديه إلى السماء فقال: اللهم كُبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيّتي، فاقبضني غير مضيِّع، ولا مفرط، ثم قدم المدينة[(٤)].

(١) البخاري، كتاب الفتن رقم ٧٠٩٦ .
(٢) الخلفاء الراشدون للخالدي ص٧٩.
(٣) البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي رقم ٣٦٧٥ .
(٤) تاريخ المدينة وإسناده صحيح إلى سعيد بن المسيب (٣/ ٨٧٢).

٢- طلب الفاروق للشهادة:

عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر قال: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد نبيك وجاء في رواية: اللهم قتلاً في سبيلك ووفاة في بلد نبيك. فقيل لعمر ﵁: وأنى يكون ذلك؟ قال: يأتي به الله إذا شاء[1] وقد علق الشيخ يوسف بن الحسن بن عبد الهادي على طلب عمر للشهادة فقال: وتمني الشهادة مستحب، وهو مخالف لتمني الموت فإن قيل: ما الفرق بينهما؟ قيل: تمني الموت، طلب تعجيل الموت قبل وقته، ولا يزيد الإنسان عمره إلا خيرًا، وتمني الشهادة هو أن يطلب أن يموت عند انتهاء أجله شهيدًا، فليس فيه طلب تقديم الموت عن وقته، وإنما فيه طلب فضيلة فيه[2].

٣- رؤيا عوف بن مالك الأشجعي:

قال عوف بن مالك الأشجعي: رأيت سببًا[3] تدلى من السماء، وذلك في إمارة أبي بكر ﵁ وأن الناس تطاولوا له، وأن عمر فضلهم بثلاثة أذرع، قلت: وما ذاك؟ قال: لأنه خليفة من خلفاء الله تعالى في الأرض، وأنه لا يخاف لومة لائم وأنه يقتل شهيدًا قال: فغدوت على أبي بكر فقصصتها عليه فقال: يا غلام انطلق إلى أبي حفص فادعه لي، فلما جاء قال: يا عوف اقصصها عليه كما رأيتها، فلما أتيت أنه خليفة من خلفاء الله تعالى قال عمر: أكل هذا يرى النائم؟ قال فقصها[4] عليه فلما ولي عمر أتى الجابية، وإنه ليخطب فدعاني فأجلسني، فلما فرغ من الخطبة قال: قص علي رؤياك. فقلت له: ألست قد جبهتني[5] عنها؟ قال: قد خدعتك أيها الرجل[6] وجاء في رواية: قال أولم تكذِّب بها؟ قال: لا ولكني استحييت من أبي بكر، فقصها علي[7]. فلما قصصتها، قال: أما الخلافة فقد أوتيت ما ترى، وأما ألا

---

(١) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٣١) إسناده حسن، تاريخ المدينة (٣/ ٨٧٢).

(٢) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٣/ ٧٩١).

(٣) سبباً: أي حبْلاً، النهاية (٢/ ٣٢٩). (٤) محض الصواب (٣/ ٨٦٩). (٥) جبهه: كمنعه.

(٦) تاريخ المدينة (٣/ ٨٦٨، ٨٦٩)، إسناده حسن فيه عبد الرحمن بن المسعودي، صدوق اختلط قبل موته التقريب رقم ٣٩١٩.

(٧) الطبقات (٣/ ٣٣١)، محض الصواب (٣/ ٨٦٨).

أخاف في الله لومة لائم، فإني أرجو أن يكون قد علم ذلك مني، وأما أن أقتل شهيدًا، فأنى لي بالشهادة وأنا في جزيرة العرب[١].

٤- رؤيا أبي موسى الأشعري حول وفاة عمر:

قال أبو موسى الأشعري قال: رأيت كأني أخذت جوادًا كثيرًا فجعلت تضمحل حتى بقيت واحدة، فأخذتها فانتهيت إلى جبل زلق، فإذا رسول الله ﷺ إلى جنبه أبو بكر، وإذا هو يومئ إلى عمر أن تعال، فقلت: ألا تكتب بها إلى عمر؟ فقال: ما كنت لأنعي له نفسه[٢].

٥- آخر خطبة جمعة لعمر في المدينة:

وقد ذكر عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بعض ما قاله عمر في خطبة الجمعة ٢١ ذي الحجة ٢٣هـ وهي آخر خطبة له. وقد ذكرت ما قاله عبد الرحمن بن عوف من الخطبة عند حديثي عن كيفية استخلاف أبي بكر الصديق في كتابي الانشراح ورفع الضيق بسير أبي بكر الصديق. وقد أخبر عمر نفسه المسلمين عن رؤيا رآها، وعبّرها لهم. قال في الخطبة نفسها: إني رأيت رؤيا، لا أراها إلا حضور أجلي. رأيت كأن ديكًا نقرني نقرتين!!! وإن قومًا يأمرونني أن أستخلف وأعين الخليفة من بعدي!! وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته، ولا الذي بعث به نبيّه، فإن عجل بي أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض[٣]

٦- اجتماع عمر مع حذيفة قبل طعنه:

قبل استشهاد الفاروق بأربعة أيام أي يوم الأحد ٢٣ ذي الحجة قابل الصحابيين حذيفة بن اليمان وسهل بن حنيف رضي الله عنهما، وكان قد وظَّفَ حذيفة ليقدِّرَ خراج الأرض التي تُسقى بماء نهر دجلة، ووظَّفَ سهل بن حنيف ليقدِّر خراج الأرض التي تسقى بماء نهر الفرات. وقال لهما: كيف فعلتما؟ أخاف أن تكونا قد حمّلتما الأرض ما لا

---

(١) محض الصواب (٣/ ٨٦٩).

(٢) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٣٢) إسناده صحيح.

(٣) الموسوعة الحديثية مسند الإمام أحمد رقم ٨٩ إسناده صحيح.

تطيق. قالا: حمّلناها أمرًا هي له مطيقة. فقال عمر: لئن سلّمني الله، لأدعنَّ أرامل أهل العراق لا يحتَجْنَ إلى رجل بعدي أبدًا، ولكنه طعن في اليوم الرابع من هذه المحاروة بينه وبينهما(١).

٧- منع الفاروق للسبايا من الإقامة في المدينة:

كان عمر رضي الله عنه لا يأذن للسبايا في الأقطار المفتوحة بدخول المدينة المنورة، عاصمة دولة الخلافة، فكان يمنع مجوس العراق وفارس، ونصارى الشام ومصر من الإقامة في المدينة إلا إذا أسلموا ودخلوا في هذا الدين، وهذا الموقف يدل على حكمته وبعد نظره، لأن هؤلاء القوم المغلوبين المنهزمين حاقدون على الإسلام، مبغضون له، مهيئون للتآمر والكيد ضد الإسلام والمسلمين ولذلك منعهم من الإقامة فيها لدفع الشرِّ عن المسلمين ولكنّ بعض الصحابة رضي الله عنهم كان لهم عبيد ورقيق من هؤلاء السبايا النصارى أو المجوس، وكان بعضهم يلحُّ على عمر أن يأذن لبعض عبيده ورقيقه من هؤلاء المغلوبين بالإقامة في المدينة، ليستعين بهم في أموره وأعماله، فأذن عمر لبعضهم بالإقامة في المدينة، على كره منه ووقع ما توقَّعه عمر، وما كان حذّر منه(٢).

ثانيًا: مقتل عمر وقصة الشورى:

١- مقتل عمر رضي الله عنه:

قال عمرو بن ميمون: إني لقائم(٣)، ما بيني، وبينه إلا عبد الله بن عباس، غداة أصيب وكان إذا مرّ بين الصفين، قال استووا، فإذا استووا، تقدّم فكبّر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى، حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبَّر، فسمعته يقول: قتلني - أو أكلني - الكلب، حين طعنه، فطار العلج بسكين ذات طرفين، لا يمرُّ على أحد يمينًا ولا شمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة

(١) الخلفاء الراشدون للخالدي ص٨٢، البخاري رقم ٣٧٠٠.
(٢) الخلفاء الراشدون للخالدي ص٨٣.
(٣) إني لقائم: أي: في الصف ينتظر صلاة الفجر.

عشر رجلاً، مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه بُرْنسًا، فلما ظنّ العلج أنه مأخوذ نحر نفسه، وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدّمه - للصلاة بالناس - فمن يلي عمر، فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرُون، غير أنهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون: سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال عمر: يابن عباس، انظر من قتلني، فجال ساعة، ثم جاء فقال: غلام المغيرة، قال: الصَّنَع[1]، قال: نعم، قال: قاتله الله لقد أمرت به معروفًا، الحمد لله الذي لم يجعل منيّتي بيد رجل يدّعي الإسلام قد كنت أنت وأبوك- يريد العباس، وابنه عبد الله- تحبّان أن تكثر العلوج بالمدينة، وكان العباس أكثرهم رقيقًا، فقال عبد الله إن شئت، فعلت، أي: إن شئت قَتَلنا. قال: كذبت- أي: أخطأت - بعدما تكلموا بلسانكم، وصلّوا قبلتكم، وحجوا حجّكم. فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه، وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فأُتي بنبيذ[2] فشربه، فخرج من جوفه، ثمّ أتي بلبن فشربه فخرج من جُرْحه، فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس فجعلوا يثنون عليه.. وقال: يا عبد الله ابن عمر انظر، ما عليّ من الدَّين، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفًا أو نحوه، قال: إن وفى له مال آل عمر فأدّه من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب فإن لم تف أموالهم، فسل في قريش، ولا تعدهم إلى غيرهم، فأدّ عني هذا المال، وانطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميرًا، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يبقى مع صاحبيه.. فسلّم عبد الله بن عمر، واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السَّلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرنّه به اليوم على نفسي، فلما أقبل، قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا

---

(١) الصَّنَع: يشير إلى غلام المغيرة بن شعبة، أبو لؤلؤة، فيروز.

(٢) المراد بالنبيذ المذكور، تمرة نبذت في ماء، أي نقعت فيه. كانوا يفعلون ذلك لاستعذاب الماء.

أمير المؤمنين، أذنت، قال: الحمد لله، ما كان من شيء أهمَّ إليّ من ذلك.. فإذا أنا قضيت فاحملني ثم سلم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذن لي فأدخلوني، وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين. قال: فلما قبض خرجنا به، فانطلقنا نمشي، فسلّم عبد الله بن عمر، قال: يستأذن عمر بن الخطاب، قالت عائشة: أدخلوه، فأدخل، فوضع هنالك مع صاحبيه[1]، وجاءت روايات أخرى فصلت بعض الأحداث التي لم تذكرها رواية عمرو بن ميمون قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن عمر رضي الله عنه طُعن في السحر، طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، وكان مجوسيًّا[2]. وقال أبو رافع رضي الله عنه: كان أبو لؤلؤة عبدًا للمغيرة بن شعبة وكان يصنع الأرحاء[3]، وكان المغيرة يستغله كل يوم أربعة دراهم، فلقي أبو لؤلؤة عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، إن المغيرة قد أثقل عليَّ غلتي، فكلِّمه أن يخفف عني. فقال عمر: اتق الله، وأحسن إلى مولاك، ومن نية عمر أن يلقى المغيرة فيكلمه يخفف عنه، فغضب العبد، وقال: وسع كلهم عدله غيري؟! فأضمر على قتله، فاصطنع خنجرًا له رأسان، وشحذه، وسمّه، ثم أتى به الهُرْمُزان، فقال: كيف ترى هذا؟ قال: أرى أنك لا تضرب به أحدًا إلا قتلته. قال: فتحين أبو لؤلؤة عمر، فجاءه في صلاة الغداة حتى قام وراء عمر، وكان عمر إذا أقيمت الصلاة يتكلم يقول: أقيموا صفوفكم، فقال كما كان يقول: فلما كبَّر، وجأه[4]، أبو لؤلؤة وجأةً في كتفه، ووجأة في خاصرته، فسقط عمر[5]، قال عمرو بن ميمون رحمه الله: سمعته لما طعن يقول: ﴿**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا**﴾ (الأحزاب، آية: ٣٨).

٢- ابتكاره طريقة جديدة في اختيار الخليفة من بعده:

استمر اهتمام الفاروق عمر رضي الله عنه بوحدة الأمة ومستقبلها، حتى اللحظات

---

(١) البخاري، كتاب فضائل الصحابة رقم ٣٧٠٠.

(٢) صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق ص٣٦٩.

(٣) الأرحاء، جمع رحا، وهي التي يطحن بها.

(٤) وجأه بالسكين وجأً: ضربه.

(٥) صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق ص٣٧٠.

الأخيرة من حياته، رغم ما كان يعانيه من آلام جراحاته البالغة، وهي بلا شك لحظات خالدة، تجلى فيها إيمان الفاروق العميق وإخلاصه وإيثاره[١]، وقد استطاع الفاروق في تلك اللحظات الحرجة أن يبتكر طريقة جديدة لم يسبق إليها في اختيار الخليفة الجديد وكانت دليلاً ملموسًا، ومعلمًا واضحًا على فقهه في سياسة الدولة الإسلامية. لقد مضى قبله الرسول ﷺ ولم يستخلف بعده أحدًا بنص صريح، ولقد مضى أبو بكر الصديق واستخلف الفاروق بعد مشاورة كبار الصحابة ولما طلب من الفاروق أن يستخلف وهو على فراش الموت، فكر في الأمر مليًّا وقرر أن يسلك مسلكًا آخر يتناسب مع المقام؛ فرسول الله ﷺ ترك الناس وكلهم مقر بأفضلية أبي بكر وأسبقيته عليهم فاحتمال الخلاف كان نادرًا وخصوصًا أن النبي ﷺ وجه الأمة قولاً وفعلاً إلى أن أبا بكر أولى بالأمر من بعده، والصدّيق لما استخلف عمر كان يعلم أن عند الصحابة أجمعين قناعة بأن عمر أقوى وأقدر وأفضل من يحمل المسئولية بعده، فاستخلفه بعد مشاورة كبار الصحابة ولم يخالف رأيه أحد منهم، وحصل الإجماع على بيعة عمر[٢]، وأما طريقة انتخاب الخليفة الجديد فتعتمد على جعل الشورى في عدد محصور، فقد حصر ستة من صحابة رسول الله ﷺ كلهم بدريون وكلهم توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض وكلهم يصلحون لتولي الأمر ولو أنهم يتفاوتون؛ وحدد لهم طريقة الانتخاب ومدته، وعدد الأصوات الكافية لانتخاب الخليفة وحدد الحكم في المجلس والمرجح إن تعادلت الأصوات وأمر مجموعة من جنود الله لمراقبة سير الانتخابات في المجلس وعقاب من يخالف أمر الجماعة ومنع الفوضى بحيث لا يسمحون لأحد يدخل أو يسمع ما يدور في مجلس أهل الحل والعقد[٣]، وهذا بيان ما أجمل في الفقرات السابقة:

أ- العدد الذي حدده للشورى وأسماؤهم:

أما العدد فهو ستة وهم؛ علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن

---

(١) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعاني ص١٦١ .

(٢) أوليات الفاروق ص١٢٢ .

(٣) أوليات الفاروق ص١٢٤ .

ابن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله ﷺ جميعًا. وترك سعيد بن زيد بن نفيل وهو من العشرة المبشرين بالجنة ولعله تركه لأنه من قبيلته بني عدي[١].

ب- طريقة انتخاب الخليفة:

أمرهم أن يجتمعوا في بيت أحدهم ويتشاوروا وفيهم عبد الله بن عمر يحضرهم مشيرًا فقط وليس له من الأمر شيء ويصلي بالناس أثناء التشاور صهيب الرومي وأمر المقداد بن الأسود وأبا طلحة الأنصاري أن يرقبا سير الانتخابات[٢].

جـ- مدة الانتخابات أو المشاورة:

حددها الفاروق ﷺ بثلاثة أيام وهي فترة كافية وإن زادوا عليها فمعنى ذلك أن شقة الخلاف ستتسع ولذلك قال لهم: لا يأتي اليوم الرابع إلا وعليكم أمير[٣].

د- عدد الأصوات الكافية لاختيار الخليفة:

لقد أمرهم بالاجتماع والتشاور وحدّد لهم أنه إذا اجتمع خمسة منهم على رجل وأبى أحدهم فليضرب رأسه بالسيف وإن اجتمع أربعة وفرضوا رجلاً منهم وأبى اثنان فاضرب رءوسهما[٤].

وهذه من الروايات التي لا تصح سندًا فهي من الغرائب التي ساقها أبو مخنف مخالفًا فيها النصوص الصحيحة وما عرف من سير الصحابة ﷺ، فما ذكره أبو مخنف من قول عمر لصهيب: وقم على رءوسهم -أي أهل الشورى- فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلاً منهم وأبى اثنان، فاضرب رءوسهما[٥]: هذا قول منكر، وكيف يقول عمر ﷺ هذا وهو يعلم أنهم هم الصفوة من أصحاب رسول الله ﷺ، وهو الذي اختارهم لهذا الأمر لعلمه بفضلهم وقدرهم[٦]، وقد ورد عن ابن سعد أن عمر قال للأنصار:

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٤٢).

(٢) أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة ص٦٤٨ .

(٣) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٦٤).

(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٢٢٦).

(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٢٢٦).

(٦) مرويات أبي مخنق في تاريخ الطبري د. يحيى اليحيى ص١٧٥ .

أدخلوهم بيتًا ثلاثة أيام فإن استقامـوا وإلا فادخلوا عليهم فاضربوا أعناقهم[١]، وهذه الرواية منقطعة وفي إسنادها (سماك بن حرب) وهو ضعيف وقد تغير بآخره[٢].

والصحـيح في هذا ما أخرجـه ابن سعد بإسنادٍ رجـاله ثقات أن عمـر ﷺ قال لصهـيب: صل بالناس ثلاثًا وليخل هؤلاء الرهط في بيت فـإذا اجتمـعوا على رجل فمن خالفهم فاضربوا رأسه[٣]، فعمر ﷺ أمر بقتل من يريد أن يخالف هؤلاء الرهط ويشق عصـا المسلمين ويفرق بينهم، عمـلاً بقوله ﷺ: من أتاكم وأمركم جـميع، على رجل واحد منكم، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه[٤].

هـ- الحكم في حال الاختلاف:

لقد أوصى بأن يحضر عبد الله بن عمر معهم في المجلس وأن ليس له من الأمر شيء، ولكن قـال لهم: فـإن رضي ثلاثة رجلاً منـهم وثلاثة رجلاً منـهم فحكّمـوا عبدالله بن عمر فأي الفريقين حكم له، فليختاروا رجلاً منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، ووصف عبدالرحمن ابن عوف بأنه مسدد رشـيد فقال عنه: ونعم ذو الرأي عبد الرحـمن بن عوف مسدد رشيد له من الله حافظ فاسمعوا منه[٥].

و- جماعة من جنود الله تراقب الانتخابات وتمنع الفوضى:

طلب عمر أبا طلحة الأنصاري وقال له: يا أبا طلحة إن الله - عز وجل - أعز الإسلام بكم فاختر خمسين رجلاً من الأنصـار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم[٦]، وقال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتـموني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً منهم[٧].

هكذا ختم حـياته ﷺ ولم يشغله مـا نزل به من البلاء ولا سكرات الموت عن تدبير أمر المسلمين، وأرسى نظامًا صالحًا للشـورى لم يسبقه إليه أحد، ولا يشك أن

(١) الطبقات (٣/ ٣٤٢).
(٢) مرويات أبي مخنف من تاريخ الطبري ص١٧٦ .
(٣) الطبقات (٣/ ٣٤٢).
(٤) مسلم (٣/ ١٤٨٠).
(٥: ٧) تاريخ الطبري (٥/ ٢٢٥).

أصل الشورى مقرر في القرآن والسنة القولية والفعلية وقد عمل بها رسول الله ﷺ وأبو بكر ولم يكن عمر مبتدعًا بالنسبة للأصل ولكن الذي عمله عمر هو تعيين الطريقة التي يختار بها الخليفة وحصر عدد معين جعلها فيهم وهذا لم يفعله الرسول ﷺ ولا الصديق رضي الله عنه بل أول من فعل ذلك عمر ونعم ما فعل فقد كانت أفضل الطرق المناسبة لحال الصحابة في ذلك الوقت[1].

ثالثًا: وصية عمر رضي الله عنه للخليفة الذي بعده:

أوصى الفاروق عمر رضي الله عنه الخليفة الذي سيخلفه في قيادة الأمة بوصية مهمة قال فيها: أوصيك بتقوى الله وحده لا شريك له، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيرًا أن تعرف لهم سابقتهم وأوصيك بالأنصار خيرًا، فاقبل من محسنهم، وتجاوز عن مسيئهم، وأوصيك بأهل الأمصار خيرًا، فإنهم ردء العدو، وجباة الفيء، لا تحمل منهم إلا عن فضل منهم وأوصيك بأهل البادية خيرًا، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام أن تأخذ من حواشي أموالهم فترد على فقرائهم، وأوصيك بأهل الذمة خيرًا، أن تقاتل من وراءهم، ولا تكلفهم فوق طاقتهم إذا أدّوا ما عليهم للمؤمنين طوعًا، أو عن يد وهم صاغرون، وأوصيك بتقوى الله، والحذر منه، ومخافة مقته أن يطلع منك على ريبة وأوصيك أن تخشى الله في الناس، ولا تخشى الناس في الله وأوصيك بالعدل في الرعية، والتفرغ لحوائجهم وثغورك، ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم، فإن في ذلك بإذن الله سلامة قلبك، وحطًّا لوزرك، وخيرًا في عاقبة أمرك حتى تفضي في ذلك إلى من يعرف سريرتك ويحول بينك وبين قلبك وآمرك أن تشتد في أمر الله، وفي حدوده ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم، ثم لا تأخذك في أحد الرأفة، حتى تنتهك منه مثل جرمه، واجعل الناس عندك سواء، لا تبال على من وجب الحق، ولا تأخذك في الله لومة لائم، وإياك والمحاباة فيما ولاك الله مما أفاء على المؤمنين، فتجور وتظلم، وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك، وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة، فإن اقترفت لدنياك عدلاً وعفة عما بسط لك اقترفت به إيمانًا

(١) أوليّات الفاروق السياسية ص١٢٧.

ورضوانًا، وإن غلبك الهوى اقترفت به غضب الله، وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذّمة، وقد أوصيتك، وخصصتك ونصحتك فابتغ بذلك وجه الله والدار الآخرة، واخترت من دلالتك ما كنت دالاً عليه نفسي وولدي، فإن علمت بالذي وعظتك، وانتهيت إلى الذي أمرتك أخذت منه نصيبًا وافرًا وحظًّا وافيًا، وإن لم تقبل ذلك، ولم يهمك، ولم تترك معاظم الأمور عند الذي يرضى به الله عنك، يكن ذلك بك انتقاصًا، ورأيك فيه مدخولاً، لأن الأهواء مشتركة، ورأس الخطيئة إبليس داع إلى كل مهلكة، وقد أضل القرون السالفة قبلك، فأوردهم النار وبئس الوِرْدُ المورود، وبئس الثمن أن يكون حظ امرئ موالاة لعدو الله، الداعي إلى معاصيه، ثم اركب الحق، وخض إليه الغمرات، وكن واعظًا لنفسك، وأناشدك الله إلا ترحمت على جماعة المسلمين، وأجللت كبيرهم، ورحمت صغيرهم، ووقرت عالمهم، ولا تضربهم فيذلوا، ولا تستأثر عليهم بالفيء فتغضبهم، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلّها فتفقرهم، ولا تجمّرهم في البعوث فينقطع نسلهم ولا يجعل المال دُولة بين الأغنياء منهم، ولا تغلق بابك دونهم، فيأكل قويهم ضعيفهم هذه وصيتي إليك، وأشهد الله عليك، وأقرأ عليك السلام[1].

هذه الوصية تدل على بعد نظر عمر في مسائل الحكم والإدارة، وتفصح عن نهج ونظام حكم وإدارة متكامل[2]، فقد تضمنت الوصية أمورًا غاية في الأهمية، فحق أن تكون وثيقة نفيسة، لما احتوته من قواعد ومبادئ أساسية للحكم متكاملة الجوانب الدينية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية يأتي في مقدمتها:

١ - الناحية الدينية، وتضمنت:

أ- الوصية بالحرص الشديد، على تقوى الله، والخشية منه في السر والعلن في القول والعمل، لأن من اتقى الله وقاه ومن خشيه صانه وحماه (أوصيك بتقوى الله وحده لا شريك له) (وأوصيك بتقوى الله والحذر منه.. وأوصيك أن تخشى الله.

---

(١) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٣٩)، البيان والتبيين للجاحظ (٢/ ٤٦)، جمهرة خطب العرب (١/ ٢٦٣-٢٦٥)، الكامل في التاريخ (٢/ ٢١٠)، الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعاني ص١٧١، ١٧٢.
(٢) الإدارة الإسلامية في عصر عمر بن الخطاب ص٣٨١.

ب- إقامة حدود الله على القريب والـبعيد (لا تبال على من وجب الحق) (ولا تأخذك في الـله لومة لائم) لأن حدود الـله نصت عليهـا الشريعة فـهي من الدين، ولأن الشريعة حجـة على الناس، وأعمالهم وأفعالهم تقاس بمقتـضاها، وأن التغافل عنها إفساد للدين والمجتمع.

جـ- الاستقامـة (استقم كما أمرت) وهي من الضـرورات الدينية والدنيوية التي يجب على الحاكم التحلي بها قولاً وعملاً أولاً ثم الرعية (كن واعظًا لنفسك) (وابتغ بذلك وجه الله والدار الآخرة).

٢- الناحية السياسية، وتضمنت:

أ- الالتزام بالعدل، لأنه أساس الحكم، وأن إقامتـه بين الرعية تحقق للحكم قوة وهيبة ومتـانة سياسية واجتـماعية، وتزيد من هيبة واحتـرام الحاكم في نفوس الناس (وأوصيك بالعدل) (واجعل الناس عندك سواء).

ب- العناية بالمسلمين الأوائل من المهـاجرين والأنصار لـسابقتـهم في الإسلام، ولأن العقـيدة ومـا أفرزته من نظام سـياسي قام على أكـتافـهم، فهم أهله وحـملته وحمـاته (وأوصيك بالمهاجـرين الأولين خيرًا، أن تعـرف لهم سابقتـهم، وأوصيك بالأنصار خيرًا، فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم.

٣- الناحية العسكرية، وتضمنت:

أ- الاهتمام بـالجيش وإعداده إعدادًا يتناسب وعظم المسـئولية الملقاة على عـاتقه لضمـان أمن الدولة وسلامتـها، والعناية بسـد حاجات المقـاتلين (التفرغ لحـوائجهم وثغورهم).

ب- تجنب إبقاء المقاتلين لمدة طويلـة في الثغور بعيدًا عن عوائلهم وتلافـيًا لما قد يسبـبه ذلك من ملل وقلـق وهبوط في المعنويات، فـمن الضروري منحـهم إجازات معلومة في أوقـات معلومة يستريحون فـيها ويجددون نشاطهم خلالهـا، من جهة، ويعودون إلى عوائلهم لكي لا يـنقطع نسلهم من جهة ثانية (ولا تجمـرهم في الثغور فينقطع نسلهم) (وأوصيك بأهل الأمصار خيرًا، فإنهم ردء العدو).

جـ- إعطاء كل مقاتل ما يستحقه من فيء وعطاء، وذلك لضمان مورد ثابت له ولعائلته يدفعه إلى الجهاد، ويصرف عنه التفكير في شئونه المالية (ولا تستأثر عليهم بالفيء فتغضبهم ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم).

٤- الناحية الاقتصادية والمالية، وتضمنت:

أ- العناية بتوزيع الأموال بين الناس بالعدل والقسطاس المستقيم، وتلافي كل ما من شأنه تجميع الأموال عند طبقة منهم دون أخرى (ولا تجعل الأموال دولة بين الأغنياء منهم).

ب- عدم تكليف أهل الذمة فوق طاقتهم إن هم أدوا ما عليهم من التزامات مالية للدولة (ولا تكلفهم فوق طاقتهم إذا أدّوا ما عليهم للمؤمنين).

جـ- ضمان الحقوق المالية للناس وعدم التفريط بها، وتجنب فرض ما لا طاقة لهم به (ولا تحمل منهم إلا عن فضل منهم) (أن تأخذ حواشي أموالهم فترد على فقرائهم)[١].

٥- الناحية الاجتماعية، وتضمنت:

أ- الاهتمام بالرعية، والعمل على تفقد أمورهم وسد احتياجاتهم وإعطاء حقوقهم من فيء وعطاء (ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها).

ب- اجتناب الأثرة والمحاباة واتباع الهوى، لما فيها من مخاطر تقود إلى انحراف الراعي، وتؤدي إلى فساد المجتمع واضطراب علاقاته الإنسانية (وإياك والأثرة والمحاباة فيما ولاك الله) (ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم).

جـ- احترام الرعية وتوقيرها والتواضع لها، صغيرها وكبيرها، لما في ذلك من سمو في العلاقات الاجتماعية، يؤدي إلى زيادة تلاحم الرعية بقائدها وحبها له (وأناشدك الله إلا ترحمت على جماعة المسلمين، وأجللت كبيرهم، ورحمت صغيرهم ووقرت عالمهم).

---

(١) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعاني ص١٧٤، ١٧٥.

د- الانفتاح على الرعية، وذلك بسماع شكاواهم، وإنصاف بعضهم من بعض وبعكسه تضطرب العلاقات بينهم ويعم الارتباك في المجتمع (ولا تغلق بابك دونهم، فيأكل قويهم ضعيفهم).

هـ- اتباع الحق، والحرص على تحقيقه في المجتمع، وفي كل الظروف والأحوال، لكونه ضرورة اجتماعية لابد من تحقيقها بين الناس، (ثم اركب الحق، وخض إليه الغمرات) (واجعل الناس عندك سواء، لا تبال على من وجب الحق).

و- اجتناب الظلم بكل صوره وأشكاله، خاصة مع أهل الذمة، لأن العدل مطلوب إقامته بين جميع رعايا الدولة مسلمين وذميين، لينعم الجميع بعدل الإسلام (وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة).

ز- الاهتمام بأهل البادية ورعايتهم والعناية بهم (وأوصيك بأهل البادية خيرًا، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام)[١].

ح- وكان من ضمن وصية عمر لمن بعده: ألا يقر له عاملاً أكثر من سنة، وأقروا الأشعري أربع سنين[٢].

رابعًا- اللحظات الأخيرة:

هذا ابن عباس ﷺ يصف لنا اللحظات الأخيرة في حياة الفاروق حيث يقول: دخلت على عمر حين طُعنْ، فقلت: أبشر بالجنة، يا أمير المؤمنين، أسلمت حين كفر الناس، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس، وقبض رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ، ولم يختلف في خلافتك اثنان، وقُتلت شهيدًا فقال عمر: أعد عليَّ، فأعدت عليه، فقال: والله الذي لا إله إلا هو، لو أن لي ما في الأرض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع[٣]، وجاء في رواية البخاري، أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ ورضاه فإن ذلك من الله جل ذكره منَّ به علي،

---

(١) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعاني ص١٧٣-١٧٥.

(٢) عصر الخلافة الراشدة ص١٠٢.

(٣) صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق ص٣٨٣.

وأمـا ما ترى من جـزعي فـهو من أجلك وأجل أصـحـابك، والله لو أن لي طِلاع الأرض ذهبًا لافتديت به من عذاب الله - عز وجل - قبل أن أراه[١].

لقد كان عمر ﷺ يخـاف هذا الخوف العظيم من عذاب الله تعالى مع أن النبي ﷺ شهد له بالجنة، ومع ما كـان يبذل من جهد كبير فـي إقامة حكم الله والعدل والزهد والجهاد وغير ذلك من الأعمال الصالحة، وإن في هذا لدرسًا بليغًا للمسلمين ٣٦٣٤ط ﷺ في تذكر عذاب الله الشديد وأهوال يوم القيامة[٢].

وهذا عثمـان ﷺ يحدثنا عن اللحظات الأخيـرة في حياة الفاروق فـيقول: أنا آخركم عهدًا بعـمر، دخلت عليه، ورأسه في حجر ابنه عبد الله بن عـمر فقال له: ضع خدي بالأرض، قال: فهل فـخذي والأرض إلا سواء؟ قال ضع خدي بالأرض لا أم لك، في الثانيـة أو في الثالثة، ثم شـبك بين رجليه، فسـمعتـه يقول: ويلي، وويل أمي إن لم يغفر الـله لي حتى فاضت[٣] روحه، فهذا مـثل مما كان يتصف به أمير المؤمنين عمر ﷺ من خشية الله تعالى، حتى كان آخر كلامه الدعاء على نفسه بالويل إن لم يغفر الله جل وعلا له، مع أنه أحـد العشرة المبشرين بالجنة، ولكن من كان بالله أعرف كان من الله أخـوف، وإصراره على أن يضع ابنه خده على الأرض من باب إذلال النفـس في سـبـيل تعظيم الله - عـز وجـل -، ليكون ذلك أقـرب لاستجابة دعائه، وهذه صورة تبين لنا قوة حضور قلبه مع الله جل وعلا[٤].

١ - تاريخ موته ومبلغ سنه:

قال الذهـبي: استشـهد يوم الأربعـاء لأربع أو ثلاث بقين من ذي الحجـة، سنة ثلاث وعشريـن من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصـحيح[٥]، وكانت خلافتـه عشر سنين ونصفًـا وأيامًا[٦]، وجاء في تاريخ أبي زرعة عـن جرير البجلي

---

(١) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، رقم ٣٦٩٢ .

(٢) التاريخ الإسلامي (١٩/ ٣٣).

(٣) فاضت: خرجت، صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق ص٣٨٣.

(٤) التاريخ الإسلامي (١٩/ ٤٤، ٤٥).

(٥) في التهذيب ق ١٧٧/ ب نقلاً عن محض الصواب (٣/ ٨٤٠).

(٦) سير السلف لأبي القاسم الأصفهاني (١/ ١٦٠).

قال: كنت عند معاوية فقال: توفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين، وتوفي أبو بكر ﵁ وهو ابن ثلاث وستين وقتل عمر ﵁ وهو ابن ثلاث وستين[١].

٢- في غسله والصلاة عليه ودفنه:

عن عبد الله بن عمر ﵁: غسل وكُفِّن، وصلي عليه، وكان شهيدًا[٢]، وقد اختلف العلماء فيمن قتل مظلومًا هل هو كالشهيد لا يغسل أم لا؟ على قولين:

أحدهما: أنه يغسل، وهذا حجة لأصحاب هذا القول[٣].

والثاني: لا يغسل ولا يصلى عليه، والجواب عن قصة عمر أن عمر عاش بعد أن ضرب وأقام مدة، والشهيد حتى شهيد المعركة لو عاش بعد أن ضرب حتى أكل وشرب أو طال مقامه فإنه يغسل، ويصلى عليه، وعمر طال مقامه حتى شرب الماء، وما أعطاه الطبيب، فلهذا غسل وصلي عليه ﵁[٤].

٣- من صلى عليه؟

قال الذهبي: صلى عليه صهيب بن سنان[٥]، وقال ابن سعد: وسأل علي بن الحسين سعيد بن المسيب: من صلى على عمر؟ قال: صهيب، قال كم كبر عليه؟ قال: أربعًا، قال: أين صُلي عليه؟ قال: بين القبر والمنبر[٦]، وقال ابن المسيب: نظر المسلمون فإذا صهيب يصلي لهم المكتوبات بأمر عمر ﵁ فقدموه، فصلى على عمر[٧]، ولم يقدم عمر ﵁ أحدًا من الستة المرشحين للخلافة حتى لا يظن تقديمه للصلاة ترشيحًا له من عمر، كما أن صهيبًا كانت له مكانته الكبيرة عند عمر والصحابة ﵃ وقد قال في حقه الفاروق: نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه[٨].

---

(١) مسلم، فضائل الصحابة رقم ٢٣٥٢، محض الصواب (٣/ ٨٤٣).
(٢) الطبقات (٣/ ٣٦٦) إسناده صحيح.
(٣) الإنصاف للمرداوي (٢/ ٥٠٣) محض الصواب (٣/ ٨٤٤).
(٤،٥) محض الصواب (٣/ ٨٤٥).
(٦) الطبقات (٣/ ٣٦٦) وفي إسناده خالد بن إلياس وهو متروك.
(٧) الطبقات (٣/ ٣٦٧)، محض الصواب (٣/ ٨٤٥).
(٨) الفتاوى (١٥/ ١٤٠).

٤- في دفنه رضي الله عنه:

قال الذهبي: دفن في الحجرة النبوية[١]، وذكر ابن الجوزي عن جابر قال: نزل في قبر عمر عثمان وسعيد بن زيد، وصهيب، وعبد الله بن عمر[٢]، وعن هشام بن عروة قال: لما سقط عنهم -يعني قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما في زمن الوليد بن عبد الملك[٣] أخذوا في بنائه، فبدت لهم قدمٌ، ففزعوا، وظنوا أنها قدم النبي صلى الله عليه وسلم فما وجدوا أحدًا يعلم ذلك، حتى قال لهم عروة: لا والله ما هي قدم النبي صلى الله عليه وسلم ما هي إلا قدم عمر رضي الله عنه[٤] وقد مرّ معنا: أن عمر أرسل إلى عائشة رضي الله عنها ائذني لي أن أُدفن مع صاحبي، فقالت: (أي والله) وقال هشام بن عروة بن الزبير: وكان الرجل إذا أرسل إليها -أي عائشة- من الصحابة قالت: لا والله لا أؤثرهم بأحد أبدًا[٥]، ولا خلاف بين أهل العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما في هذا المكان الذي دخل في المسجد النبوي بعد توسعته على صاحبه أفضل الصلاة والسلام[٦].

٥- ما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الفاروق:

قال ابن عباس: وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون، قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يَرُعني إلا رجل آخذ منكبي، فإذا علي بن أبي طالب، فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحدًا أحبّ إليّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وحسبت أني كنت كثيرًا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر[٧].

٦- أثر مقتله على المسلمين:

كان هول الفاجعة عظيمًا على المسلمين، فلم تكن الحادثة بعد مرض ألمَّ بعمر، كما زاد من هولها أنها وقعت في المسجد النبوي وعمر يؤم الناس لصلاة الصبح.

---

(١) محض الصواب (٣/ ٨٤٦).

(٢) ابن مروان الأموي من خلفاء بني أمية.

(٣) البخاري، ك الجنائز رقم ١٣٢٦ .

(٤) البخاري، ك الاعتصام، رقم ٢٦٧١ رقم ٦٨٩٧ .

(٥، ٦) محض الصواب (٣/ ٨٤٧).

(٧) البخاري، ك فضائل الصحابة رقم ٣٤٨٢.

ومعرفة حال المسلمين بعد وقوع الحدث يطلعنا على أثر الحادث في نفوسهم، يقول عمرو بن ميمون: . . وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، ويذهب ابن عباس ليستطلع الخبر بعد مقتل عمر ليقول له: إنه ما مرّ بملأ إلا وهم يبكون وكأنهم فقدوا أبكار أولادهم[١]، لقد كان عمر رضي الله عنه معلمًا من معالم الهدى، وفارقا بين الحق والباطل فكان من الطبيعي أن يتأثر الناس لفقده[٢]، وهذا الأثر يوضح شدة تأثر الناس به، فعن الأحنف بن قيس: قال... فلما طعن عمر أمر صهيبًا أن يصلي بالناس، ويطعمهم ثلاثة أيام حتى يجتمعوا على رجل، فلما وضعت الموائد كف الناس عن الطعام، فقال العباس: يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات، فأكلنا بعده، وشربنا ومات أبو بكر رضي الله عنه، فأكلنا وشربنا، وإنه لا بد للناس من الأكل والشرب، فمد يده فأكل الناس[٣].

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عندما يذكر له عمر يبكي حتى يبتل الحصى من دموعه ثم يقول: إن عمر كان حصنًا للإسلام يدخلون فيه ولا يخرجون منه، فلما مات انثلم الحصن فالناس يخرجون من الإسلام[٤].

وأما أبو عبيدة بن الجراح، فقد كان يقول قبل أن يقتل عمر: إن مات عمر رق الإسلام، ما أحب أن لي ما تطلع عليه الشمس أو تغرب وأن أبقى بعد عمر، فقيل له: لم؟ قال: سترون ما أقول إن بقيتم، وأما هو فإن ولي وال بعد فأخذهم بما كان عمر يأخذهم به لم يطع له الناس بذلك ولم يحملوه، وإن ضعف عنهم قتلوه[٥].

خامسًا- أهم الفوائد والدروس والعبر:

١- التنبيه على الحقد الذي انطوت عليه قلوب الكافرين ضد المؤمنين:

ويدل على ذلك قتل المجوسي أبي لؤلؤة لعمر رضي الله عنه، وتلك هي طبيعة الكفار في كل زمان ومكان، قلوب لا تضمر للمسلمين إلا الحقد والحسد والبغضاء،

(١، ٢) العشرة المبشرون بالجنة، محمد صالح عوض ص٤٤.

(٣) محض الصواب (٣/ ٨٥٥). (٤) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٨٤).

(٥) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٨٤)، العشرة المبشرون بالجنة ص٤٤.

ونفوس لا تكن للمؤمنين إلا الشر والهلاك والتلف، ولا يتمنون شيئًا أكثر من ردة المسلمين عن دينهم وكفرهم بعد إسلامهم[١]، وإن الذي ينظر جيدًا في قصة مقتل عمر رضي الله عنه وما فعله المجوسي الحاقد أبو لؤلؤة يستنبط منها أمرين مهمين، يكشفان الحقد الذي أضمره هذا الكافر في قلبه تجاه عمر، وتجاه المسلمين، وهما:

أ- أنه قد ثبت في الطبقات الكبرى لابن سعد بسند صحيح إلى الزهري[٢]، أن عمر رضي الله عنه قال لهذا المجوسي ذات يوم: ألم أُحدّث أنك تقول: لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح، فالتفت إليه المجوسي عابسًا، وقال: لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها، فأقبل عمر على من معه، فقال: توعدني العبد.

ب- الأمر الثاني الذي يدل على الحقد الذي امتلأ به صدر هذا المجوسي أنه لمّا طعن عمر رضي الله عنه، طعن معه ثلاثة عشر صحابيًا استشهد منهم سبعة. جاء في رواية الإمام البخاري قوله: فطار العلج[٣] بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينًا ولا شمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً، مات منهم سبعة[٤]، ولو كان عمر رضي الله عنه ظالمًا له فما ذنب بقية الصحابة الذين اعتدى عليهم؟!، ومعاذ الله تعالى أن يكون عمر ظالمًا له، إذ قد ثبت في رواية البخاري أنه لما طعن رضي الله عنه قال: يابن عباس، انظر من قتلني، فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة، قال: الصنَع؟ أي: الصانع، قال: نعم، قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفًا، الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام[٥]، وهذا المجوسي أبو لؤلؤة قام أحبابه أعداء الإسلام ببناء مشهد تذكاري له على غرار الجندي المجهول في إيران يقول السيد حسين الموسوي من علماء النجف: واعلم أن في مدينة كاشان الإيرانية، في منطقة تسمى (باغي فين) مشهدًا على غرار الجندي المجهول، فيه قبر وهمي لأبي لؤلؤة فيروز الفارسي المجوسي، قاتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، حيث أطلقوا عليه ما

---

(١) سير الشهداء دروس وعبر، عبد الحميد السحيباني ص٣٦.

(٢) الطبقات (٣/ ٣٤٥) إسناده صحيح.

(٣) العلج: الواحد من كفار العجم، والجمع علوج وأعلاج وهو يعني أبا لؤلؤة.

(٤، ٥) البخاري، ك فضائل الصحابة رقم ٣٧٠٤.

معناه بالعربية (مرقد بابا شجاع الدين)، وبابا شجاع الدين هو لقب أطلقوه على أبي لؤلؤة لقتله عمر بن الخطاب، وقد كتب على جدران هذا المشهد بالفارسي: (مرك بر أبو بكر، مرك بر عمر، مرك بر عثمان) ومعناه بالعربية: الموت لأبي بكر، الموت لعمر، الموت لعثمان وهذا المشهد يُزار من قبل الشيعة الإيرانيين، وتُلقى فيه الأموال، والتبرعات، وقد رأيت هذا المشهد بنفسي، وكانت وزارة الإرشاد الإيرانية قد باشرت بتوسيعه وتجديده، وفوق ذلك قاموا بطبع صورة المشهد على كارتات تستخدم لإرسال الرسائل والمكاتيب[1].

٢- بيان الانكسار والخشية والخوف الذي تميز به عمر ﷺ:

ومما يدل على هذا الخوف الذي سيطر على قلب عمر ﷺ قبيل استشهاده قوله لما عَلِمَ أن الذي طعنه هو المجوسي أبو لؤلؤة: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام[2]، فإنه رغم العدل الذي اتصف به عمر ﷺ، والذي اعترف به القاصي والداني، والعربي والعجمي، إلا أنه كان خائفًا أن يكون قد ظلم أحدًا من المسلمين، فانتقم منه بقتله، فيُحاجَّه عند الله تعالى، كما تدل على ذلك رواية ابن شهاب: أن عمر قال: الحمد لله الذي لم يجعل قاتلي يحاجني عند الله بسجدة سجدها له قط، وكما تدل عليه كذلك رواية مبارك بن فضالة، يحاجني بقول: لا إله إلا الله[3]. وهذه عجيبة من عجائب هذا الإمام الرباني، ينبغي أن يتربى عليها الدعاة والمصلحون وأن يكون الانكسار علامة من أكبر علاماتهم حتى ينفع الله تعالى بهم، كما نفع بأسلافهم كعمر ﷺ وليكن مقال الجميع قول القائل:

واحسرتي، واشقوتي ... مِنْ يوم نشر كتابيه
واطُول حزني إن أكن ... أوتيته بشماليه
وإذا سُئلتُ عن الخطا ... ماذا يكون جوابيه؟

---

(١) لله ثم للتاريخ كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار ص٩٤.
(٢) البخاري، ك فضائل الصحابة رقم ٣٧٠٤.
(٣) سير الشهداء دروس وعبر ص٤٠.

واحـــرّ قلبي أن يكـون	مع القلـــوب القاسيـــة
كـــلا ولا قـــدّمتُ لي	عملاً ليـــوم حســـابيه
بل إننـــي لشقــــاوتي	وقســــــاوتي وعذابيـه
بارزت بالـــــزلات في	أيام دهـــــر خاليـــة
من ليس يخفى عنه من	قبح المعـــاصي خافية[1]

٣- التواضع الكبير عند الفاروق والإيثار العظيم عند السيدة عائشة:

أ- التواضع الكبير عند الفاروق رضي الله عنه:

وقد دل عليـه من قصـة استشـهاده قوله لابنه عـبد الله: انطلق إلى عـائشة أم المؤمنين، فقل: يقرأ عليـك عمر السلام، ولا تقل: أمير المـؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أمـيرًا[2]، ويدل عليـه كذلك قـوله لابنه لما أذنت عائشـة بدفنه إلى جنب صاحبيه: فإذا أنا قضيت فـاحملوني، ثم سلِّمْ، فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلـوني، وإن ردتني فردوني إلى مقـابر المسلمين[3]، فرحم الله عـمر رضي الله عنه، ورزقنا خُلُقًـا من خُلُقه، وتواضـعًا من تواضعـه، وجزاه خـير مـا يجزي به الأتقياء المتواضعين، إن ربي قريب مجيب[4].

ب- الإيثار العظيم عند السيدة عائشة رضي الله عنها:

ومما يدل على الإيثار عند السـيدة عائشة أنها رضي الله عنها كانـت تتمنى أن تدفن بجوار زوجها صلى الله عليه وسلم، وأبيهـا أبي بكر، فلما استأذنها عمر لذلـك أذنت وآثرته على نفسها وقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرنه اليوم على نفسي[5].

٤ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو على فراش الموت:

إن اهتمـام الفاروق بالأمر بالمـعروف والنهي عن المنكر لم يتخـل عنه حتى وهو

---

(١) الرقائق لمحمد أحمد الراشد ص١٢١، ١٢٢ .

(٢) البخاري، فضائل الصحابة رقم ٣٧٠٤.

(٣) المصدر نفسه رقم ٣٧٠٠ .

(٤) سير الشهداء ص٤١ .

(٥) البخاري، ك فضائل الصحابة رقم ٣٧٠٤.

يواجه الموت بكل آلامه وشدائده، ذلك أن شابًا دخل عليه لما طُعن، فواساه، وقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك، من صحبة رسول الله ﷺ، وقَدَم في الإسلام ما قد علمت، ثم وُلِّيت فعدلت، ثم شهادة، قال -أي عمر- وددْت أن ذلك كفاف، لا عليّ ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يَمسُّ الأرض، قال رُدُّوا عليّ الغلام، قال: يابن أخي، ارفع ثوبك فإنه أنقَى لثوبك وأتقى لربك[1]، وهكذا لم يمنعه رضي الله عنه ما هو فيه من الموت عن الأمر بالمعروف ولذا، قال ابن مسعود رضي الله عنه فيما رواه عُمر بن شبة: يرحم الله عمر لم يمنعه ما كان فيه من قول الحق[2]، ومن عنايته الفائقة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الحالة أيضًا، لما دخلت عليه حفصة رضي الله عنها فقالت: يا صاحب رسول الله، ويا صهر رسول الله، ويا أمير المؤمنين، فقال عمر لابن عمر رضي الله عنهما: يا عبد الله: أجلسني فلا صبر لي على ما أسمع، فأسنده إلى صدره، فقال لها: إنّي أحرج عليك[3] بمالي عليك من الحق أن تندبيني[4]، بعد مجلسك هذا، فأما عينك فلن أملكها[5]، وعن أنس بن مالك قال: لما طُعن عمر صرخت حفصة فقال عمر: يا حفصة أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن المعول عليه يعذب؟ وجاء صُهَيب فقال: واعمراه فقال: ويلك يا صهيب أما بلغك أن المعول عليه يعذب[6]، ومن شدته في الحق رضي الله عنه حتى بعد طعنه وسيلان الدم منه فعندما قال له رجل: استخلف عبد الله بن عمر، قال: والله ما أردت الله بهذا[7].

٥- جواز الثناء على الرجل بما فيه إذا لم تُخشَ عليه الفتنة:

كما هو الحال هنا مع عمر رضي الله عنه، إذ أُثني عليه من قِبل بعض الصحابة لأنهم كانوا يعلمون أن الثناء عليه لا يفتنه، قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو العالم الرباني والفقيه

(١) المصدر نفسه رقم ٣٧٠٤ .
(٢) فتح الباري (٧/ ٦٥)، سير الشهداء ص٤٢ .
(٣) أحرج عليك: حرج الشيء على فلان أي حرّمه عليه.
(٤) تندبيني: من الندب: أن تذكر النائحة الميت بأحسن أوصافه.
(٥) مناقب أمير المؤمنين ص٢٣٠، الحسبة د. فضل إلهي ص٢٧.
(٦) فضائل الصحابة أحمد بن حنبل (١/ ٤١٨) إسناده صحيح.
(٧) سير الشهداء ص٤٣ .

الكبير: أليس قد دعا رسول الله ﷺ أن يعز بك الدين والمسلمين؛ إذ يخافون بمكة، فلما أسلمت كان إسلامك عزًّا وظهر بك الإسلام..، وأدخل الله بك على كل أهل بيت من توسعتهم في دينهم، وتوسعتهم في أرزاقهم، ثم ختم لك بالشهادة، فهنيئًا لك. وهكذا لم تؤثر هذه الكلمات في قلب عمر شيئًا، ولم يفرح بها، ولذا ردّ على ابن عباس قائلاً: والله إن المغرور من تغرونه[1].

٦- حقيقة موقف كعب الأحبار من مقتل عمر رضي الله عنه:

كعب الأحبار هو كعب بن مانع الحميري، كنيته أبو إسحاق، واشتهر بكعب الأحبار، أدرك النبي ﷺ وهو رجل وأسلم في خلافة عمر، سنة اثنتي عشرة[2]، وقد اشتهر قبل إسلامه بأنه كان من كبار علماء اليهود في اليمن، وبعد إسلامه أخذ عن الصحابة الكتاب والسنة، وأخذوا وغيرهم عنه أخبار الأمم الغابرة خرج إلى الشام، وسكن حمص وتوفي فيها[3]، وقد اتهم كعب الأحبار في مؤامرة قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقد جاءت رواية في الطبري عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه تشير إلى اتهامه في مقتل عمر جاء في تلك الرواية: .. ثم انصرف عمر إلى منزله، فلما كان من الغد جاءه كعب الأحبار فقال له: يا أمير المؤمنين، اعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام، قال وما يدريك؟ قال: أجده في كتاب الله - عز وجل - التوراة، قال عمر: آلله إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟ قال: اللهم لا ولكني أجد صفتك وحليتك وأنه قد فني أجلك. قال: وعمر لا يحس وجعًا ولا ألمًا فلما كان من الغد جاءه كعب، فقال: يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقي يوم وليلة؛ وهي لك إلى صبيحتها، قال: فلما كان الصبح، خرج إلى الصلاة، وكان يوكل بالصفوف رجالاً، فإذا استوت، جاء هو فكبر، قال: ودخل أبو لؤلؤة في الناس، في يده خنجر له رأسان نصابه في وسطه، فضرب عمر ست ضربات، إحداهن تحت سرته، وهي التي قتلته[4]، وقد بنى بعض

---

(١) سير الشهداء دروس وعبر ص٤٥ .

(٣) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين محمد السيد الوكيل ص٢٩٤ .

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٨٩-٤٩٤).

(٤) تاريخ الطبري (٥/ ١٨٢، ١٨٣).

المفكرين المحدثين على هذه الرواية نتيجة، مفادها: اشتراك كعب الأحبار، في مؤامرة قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مثل د. جميل عبد الله المصري في كتابه: أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري، وعبد الوهاب النجار في كتابه: الخلفاء الراشدون، والأستاذ غازي محمد فريج في كتابه: النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة[١]، وقد ردّ الدكتور أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزّغيبي على الاتهام الموجه لكعب الأحبار فقال: والذي أراه في هذه القصة المعقدة: أن تلك الرواية، التي رواها الإمام الطبري -رحمه الله تعالى- غير صحيحة، لأمور كثيرة من أهمها:

أ- أن هذه القصة لو صحت لكان من المنتظر من عمر رضي الله عنه ألا يكتفي بقول (كعب)، ولكن لجمع طائفة ممن أسلم من اليهود وله إحاطة بـ(التوراة) مثل عبد الله ابن سلام، ويسألهم عن هذه القصة، وهو لو فعل لافتضح أمر (كعب)، وظهر للناس كذبه، ولتبين لعمر رضي الله عنه أنه شريك في مؤامرة دبرت لقتله، أو أنه على علم بها، وحينئذ يعمل عمر رضي الله عنه على الكشف عنها بشتى الوسائل، وينكل بمدبريها، ومنهم كعب، هذا هو المنتظر من أي حاكم، فضلاً عن عمر رضي الله عنه المعروف بكمال الفطنة، وحدة الذهن، وتمحيص الأخبار لكن شيئًا من ذلك لم يحصل، فكان ذلك دليلاً على اختلاقها[٢].

ب- أن هذه القصة لو كانت في التوراة، لما اختص بعلمها كعب -رحمه الله تعالى- وحده، ولشاركه العلم بها كل من له علم بـ(التوراة) من أمثال عبد الله بن سلام رضي الله عنه[٣].

جـ- أن هذه القصة لو صحت أيضًا لكان معناها أن كعبًا له يد في المؤامرة وأنه يكشف عن نفسه بنفسه، وذلك باطل لمخالفته طباع الناس، إذ المعروف أنه من

(١) العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي (٢/ ٥١٨، ٥١٩).
(٢) الحديث والمحدثون، أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة، محمد أبو زهو ص١٨٢ .
(٣) المصدر نفسه ص١٨٢ .

اشترك في مؤامرة، يبالغ في كتمانها بعد وقوعها، تفاديًا من تحمل تبعاتها، فالكشف عنها قبل وقوعها لا يكون إلا من مغفل أبله، وهذا خلاف ما كان عليه كعب، من حدة الذهن، ووفرة الذكاء[١].

د- ثم ما لـ(التوراة) وتحديد أعمار الناس؟ إن الله تعالى إنما أنزل كتبه هدى للناس، لا لمثل هذه الأخبار التي لا تعدو أصحابها[٢].

و- ثم أيضًا هذه التوراة بين أيدينا ليس فيها شيء من ذلك مطلقًا وبعد أن أورد الشيخ محمد محمد أبو زهو[٣] تلك الاعتراضات الأربعة السابقة، عقب عليها، بقوله: ومن ذلك كله، يتبين لك أن هذه القصة مفتراة، بدون أدنى اشتباه، وأن رمي كعب بالكيد للإسلام في شخص عمر، والكذب في النقل عن التوراة اتهام باطل، لا يستند على دليل أو برهان[٤].

ويقول الدكتور محمد السيد حسين الذهبي -رحمه الله-: ورواية ابن جرير الطبري للقصة لا تدل على صحتها، لأن ابن جرير كما هو معروف عنه لم يلتزم الصحة في كل ما يرويه، والذي ينظر في تفسيره يجد فيه مما لا يصح شيئًا كثيراً[٥]، كما أن ما يرويه في تاريخه لا يعدو أن يكون من قبل الأخبار التي تحتمل الصدق والكذب، ولم يقل أحد بأن كل ما يروى في كتب التاريخ[٦]، ثابت وصحيح[٧]، ثم يتابع قائلاً: ثم إن ما يعرف عن كعب الأحبار من دينه، وخلقه، وأمانته، وتوثيق أكثر أصحاب الصحاح[٨] له، يجعلنا نحكم بأن هذه القصة موضوعة عليه، ونحن ننزه كعبًا عن أن يكون شريكًا في قتل عمر، أو يعلم من يدبر أمر قتله ثم لا يكشف لعمر عنه، كما ننزهه أن يكون كذابًا وضاعًا، يحتال على تأكيد ما يخبر به من مقتل عمر بنسبته إلى التوراة وصوغه في قالب إسرائيلي[٩]. إلى أن يقول: اللهم إن كعبًا مظلوم من متهميه، ولا أقول عنه: إلا إنه ثقة مأمون، وعالم استغل اسمه، فنسب

---

(١) الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية ص١٨٢ .
(٢، ٣) العنصرية اليهودية (٢/ ٥٢٤).
(٤) الحديث والمحدثون ص١٨٣ .
(٥، ٦) العنصرية اليهودية (٢/ ٥٢٥).
(٧) الإسرائيليات في التفسير والحديث ص٩٩ .
(٨) المصدر نفسه ص٩٦ .
(٩) المصدر نفسه ص٩٩ .

إليه روايات معظمها خرافات وأباطيل، لتروج بذلك على العامة، ويتقبلها الأغمار من الجهلة[١].

وأما الدكتور محمد السيد الوكيل فيقول: إن أول ما يواجه الباحث هذا هو موقف عبيد الله بن عمر الذي لم يكد يسمع بما حدث لأبيه حتى يحمل سيفه، ويهيج كالسبع الحرب، ويقتل الهرمزان وجفينة وابنة صغيرة لأبي لؤلؤة؛ أفترى عبيد الله هذا يترك كعب الأحبار والشبهة تحوم حوله، ويقتل ابنة أبي لؤلؤة الصغيرة؟ إن أحدًا يبحث الموضوع بحثًا علميًّا لا يمكن أن يقبل ذلك، ويضاف إلى ذلك أن جمهور المؤرخين لم يذكروا القصة، بل لم يشيروا إليها، فابن سعد في الطبقات وقد فصل الحادث تفصيلاً دقيقًا لم يشر قط إلى الحادثة، بل كل ما ذكر عن كعب الأحبار أنه كان واقفًا بباب عمر يبكي ويقول: والله لو أن أمير المؤمنين يقسم على الله أن يؤخره لأخره[٢]، وأنه دخل على عمر بعد أن أخبره الطبيب بدنو أجله فقال: ألم أقل لك إنك لا تموت إلا شهيدًا، وأنت تقول: من أين وأنا في جزيرة العرب[٣]، ويأتي بعد ابن سعد ابن عبد البر في الاستيعاب فلا يذكر شيئًا قط عن قصة كعب الأحبار[٤]، وأما ابن كثير فيقول: إن وعيد أبي لؤلؤة كان عشية يوم الثلاثاء، وأنه طعنه صبيحة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة[٥]، لم يكن إذن بين التهديد والتنفيذ سوى ساعات معدودات، فكيف ذهب كعب الأحبار إلى عمر، وقال له ما قال: اعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام، ثم يقول: مضى يوم وبقي يومان، ثم مضى يومان وبقي يوم وليلة، من أين لكعب هذه الأيام الثلاثة إذا كان التهديد في الليل والتنفيذ صبيحة اليوم التالي؟ ويتوالى المؤرخون، فيأتي السيوطي في تاريخ الخلفاء، والعصامي في سمط النجوم العوالي، والشيخ محمد بن عبد الوهاب، وابنه عبد الله في كتابيهما مختصرة سيرة الرسول، وحسن إبراهيم حسن في تاريخ الإسلام السياسي وغيرهم فلا نجد واحدًا منهم يذكر القصة من قريب أو بعيد. أليس هذا

(١) الإسرائيليات في التفسير والحديث ص٩٩ .
(٢) الطبقات (٣/ ٣٦١).
(٣) المصدر نفسه (٣/ ٣٤٠).
(٤) جولة في عصر الخلفاء الراشدين ص٢٩٦ .
(٥) البداية والنهاية (٧/ ١٣٧).

دليلاً على أن القصة لم تثبت بصورة تجعل المحقق يطمئن إلى ذكرها هذا إذا لم تكن منتحلة مصنوعة كاد بها بعض الناس لكعب لينفروا منه المسلمين، وهذا ما تطمئن إليه النفس ويميل إليه القلب، وبخاصة بعد ما عرفنا أن كعبًا كان حسن الإسلام، وكان محل ثقة كثير من الصحابة حتى رووا عنه حديث رسول الله ﷺ[(١)].

٧- ثناء الصحابة والسلف على الفاروق:

أ- في تعظيم عائشة رضي الله عنها له بعد دفنه:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول الله ﷺ وأبي، فلما دفن عمر معهما فوالله ما دخلته إلا وأنا مشدودة علي ثيابي حياء من عمر[(٢)]، وعن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: من رأى ابن الخطاب، علم أنه خلق غناء للإسلام، كان والله أحوذيًّا[(٣)]، نسيج وحده، قد أعد للأمور أقرانها[(٤)]، وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: إذا ذكرتم عمر طاب المجلس[(٥)].

ب- سعيد بن زيد رضي الله عنه:

روي عن سعيد بن زيد أنه بكى عند موت عمر فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: على الإسلام، إن موت عمر ثَلَم الإسلام ثلمة لا ترتق إلى يوم القيامة[(٦)].

ت- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

قال عبد الله بن مسعود: لو أن علم عمر بن الخطاب وضع في كفة الميزان، ووضع علم الأرض في كفة لرجح علم عمر[(٧)]، وقال أيضًا: إني لأحسب عمر قد

---

(١) جولة في عصر الخلفاء الراشدين ص٢٩٦ .
(٢) محض الصواب (٣/ ٨٥٢).
(٣) الأحوذي: هو الجاد المنكمس في أموره، الحسن السياق للأمور.
(٤) محض الصواب (٣/ ٨٥٣) رجاله كلهم ثقات إلا عبد الواحد بن أبي عوف صدوق يخطئ.
(٥) المصدر نفسه (٣/ ٨٥٣) نقلاً عن مناقب أمير المؤمنين ص٢٤٩ .
(٦) الطبقات (٣/ ٣٧٢)، أنساب الأشراف الشيخان ص٣٨٧ .
(٧) مصنف بن أبي شيبة (١٢/ ٣٢) إسناده صحيح.

ذهب بتسعة أعشار العلم[١]. وقال عبد الله بن مسعود: كان إسلام عمر فتحًا وكانت هجرته نصرًا وكانت إمارته رحمة[٢].

قال أبو طلحة الأنصاري: والله ما من أهل بيت من المسلمين إلا وقد دخل عليهم في موت عمر نقص في دينهم وفي دنياهم[٣].

ج- قال حذيفة بن اليمان: إنما كان مثل الإسلام أيام عمر مثل مقبل لم يزل في إقبال، فلما قتل أدبر فلم يزل في إدبار[٤].

ح- عبد الله بن سلام: جاء عبد الله بن سلام ﷺ بعدما صلى على عمر ﷺ فقال: إن كنتم سبقتموني بالصلاة عليه، فلن تسبقوني بالثناء عليه، ثم قال، نعم أخو الإسلام كنت يا عمر جوادًا بالحق، بخيلاً بالباطل، ترضى من الرضى وتسخط من السخط، لم تكن مداحًا ولا معيابًا، طيب العَرْف[٥]، عفيف الطرف[٦].

خ- العباس بن عبد المطلب: قال العباس بن عبد المطلب: كنت جارًا لعمر بن الخطاب ﷺ فما رأيت أحدًا من الناس كان أفضل من عمر، إن ليله صلاة، ونهاره صيام، وفي حاجات الناس، فلما توفي عمر سألت الله تعالى: أن يُرِيَنيه في النوم فرأيته في النوم مقبلاً متشحًا من سوق المدينة، فسلمت عليه وسلم عليَّ، ثم قلت له: كيف أنت؟ قال بخير. قلت له: ما وجدت؟ قال: الآن حين فرغت من الحساب، ولقد كاد عرشي يهوي لولا أني وجدت ربًا رحيمًا[٧].

د- معاوية بن أبي سفيان: قال معاوية: أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم تُرِده، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يُرِدْها، وأمّا نحن فتمرغنا فيها ظهْرًا لبطن[٨].

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (٩/ ١٧٩، ١٨٠) وإسناده صحيح.
(٢) المعجم الكبير للطبراني (٩/ ١٧٨) إسناده ضعيف فيه انقطاع.
(٣) الطبقات (٣/ ٣٧٤).
(٤) الطبقات (٣/ ٣٧٣) إسناده صحيح.
(٥) العَرْف: الريح طيبة كانت أو خبيثة.
(٦) الطبقات (٣/ ٣٦٩).
(٧) تاريخ المدينة (٣/ ٣٤٥) فيه انقطاع، الحلية (١/ ٥٤).
(٨) تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين للذهبي ص٢٦٧ .

ذ- علي بن الحسين، عن ابن أبي حازم عن أبيه قال: سئل علي بن الحسين عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ومنزلتهما من رسول الله ﷺ قال: كمنزلتهما اليوم، وهما ضجيعاه[١].

ر- قبيصة بن جابر: عن الشعبي قال: سمعت قبيصة بن جابر يقول: صحبت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فما رأيت أقرأ لكتاب الله ولا أفقه في دين الله، ولا أحسن مدارسة منه[٢].

ز- الحسن البصري: قال الحسن البصري إذا أردتم أن يطيب المجلس فأفيضوا في ذكر عمر[٣]، وقال أيضًا: أي أهل بيت لم يجدوا فقده فهم أهل بيت سوء[٤].

س- عن علي بن عبد الله بن عباس قال: دخلت في يوم شديد البرد على عبدالملك بن مروان فإذا هو في قبة باطنها قُوهيٌّ[٥] معصفر، وظاهرها خزاعيز[٦]، وحوله أربعة كوانين[٧]، قال فرأى البرد في تقفقُفي[٨]، فقال: ما أظن يومنا هذا إلا باردًا. قلت: أصلح الله الأمير ما يظن أهل الشام أنه أتى عليهم يوم أبرد منه، فذكر الدنيا، وذمها، ونال منها، وقال: هذا معاوية عاش أربعين سنة عشرين أميرًا، وعشرين خليفة، لله در ابن حنتمة ما كان أعلمه بالدنيا- يعني عمر رضي الله عنه[٩].

٨- آراء بعض العلماء والكتّاب المعاصرين:

أ- قال الدكتور محمد محمد الفحام شيخ الأزهر السابق: لقد كشفت أعمال عمر عن تفوقه السياسي، وبيّنت مواهبه العديدة التي ملكها، وعن عبقريته الخالدة،

---

(١) محض الصواب (٣/ ٩٠٨).
(٢) المعرفة والتاريخ للفسوي (١/ ٤٥٧) في إسناده مجالد بن سعيد تغير آخر عمره.
(٣) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص٢٥١ ، محض الصواب (٣/ ٩٠٩).
(٤) الطبقات (٣/ ٣٧٢).
(٥) قُوهِيٌّ: ثياب بيض.
(٦) محض الصواب (٣/ ٩١١).
(٧) الكانون: الموقد.
(٨) تقفقف: ارتعد من البرد وغيره، أو اضطرب حنكاه واصطكت أسنانه (القاموس) ص١٠٩٤ .
(٩) محض الصواب (٣/ ٩١١)، ابن الجوزي ص٢٥٢ .

التي لا تزال تضيء أمامنا الطريق في العديد من مشكلات الحياة المختلفة في معالجة القضايا والمشاكل التي واجهته أثناء خلافته[١].

ب- قال عباس محمود العقاد: إن هذا الرجل العظيم أصعب من عرفت من عظماء الرجال نقدًا ومؤاخذة ومن مزيد مزاياه أن فرط التمحيص وفرط الإعجاب في الحكم له أو عليه يلتقيان، وكتابي عبقرية عمر ليس بسيرة لعمر ولا بتاريخ لعصره على نمط التواريخ التي تقصد بها الحوادث والأنباء، ولكنه وصف له ودراسة لأطواره، ودلالة على خصائص عظمته واستفادة من هذه الخصائص لعلم النفس وعلم الأخلاق وحقائق الحياة.. وعمر يعد رجل المناسبة الحاضرة في العصر الذي نحن فيه، لأنه العصر الذي شاعت فيه عبادة القوة الطاغية وزعم الهاتفون بدينها أن البأس والحق نقيضان؛ فإذا فهمنا عظيمًا واحدًا كعمر بن الخطاب، فقد هدمنا دين القوة الطاغية على أساسه، لأننا سنفهم رجلاً كان غاية في البأس، وغاية في العدل، وغاية في الرحمة.. وهذا الفهم ترياق داء العصر يشفى به من ليس بميئوس الشفاء[٢].

ت- قال الدكتور أحمد شلبي: .. وكان الاجتهاد من أبرز الجوانب في حياة عمر خلال حقبة خلافته الحافلة بالأحداث، فحفظ الدين، ورفع راية الجهاد، وفتح البلاد، ونشر العدل بين العباد، وأنشأ أول وزارة مالية في الإسلام، وكون جيشًا نظاميًّا للدفاع وحماية الحدود، ونظم المرتبات والأرزاق، ودون الدواوين، وعين الولاة والعمال والقضاة، وأقر النقود للتداول الحياتي، ورتب البريد، وأنشأ نظام الحسبة، وثبت التأريخ الهجري، وأبقى الأرض المفتوحة دون قسمة، وخطط المدن الإسلامية وبناها، فهو بحق أمير المؤمنين وباني الدولة الإسلامية[٣].

ث- قال المستشار علي علي منصور: إن رسالة عمر في القضاء إلى أبي موسى الأشعري قبل أربعة عشر قرنًا من الزمن دستور للقضاء والمتقاضين، وهي أكمل ما وصلت إليه قوانين المرافعات الوضعية وقوانين استقلال القضاء[٤].

---

(١) الإدارة في الإسلام في عهد عمر بن الخطاب ص٣٩١ .
(٢) المصدر نفسه ص٣٩٢ .
(٣) المصدر نفسه ص٣٩٢ ، التاريخ الإسلامي (١/ ٦٠٩).
(٤) المصدر نفسه ص٣٩٢ .

جـ- اللواء الركن محمود شيت خطاب: وإذا كانت أسباب الفتح الإسلامي كثيرة، فإن على رأس تلك الأسباب ما كان يتمتع به عمر بن الخطاب من سجايا قيادية فذة لا تتكرر في غيره على مر السنين والعصور إلا نادرًا[١].

ح- الدكتور صبحي المحمصاني: بانقضاء عهد الخليفة الراشد عمر، ينقضي عهد مؤسس الدولة الإسلامية التي وسع رقاعها، وثبت دعائمها، فكان مثال القائد الموجه، والأمير الحازم الحكيم، والراعي المسئول، والحاكم القوي العادل والرفيق الرؤوف، ثم مات ضحية الواجب، وشهيد الصدق والصلاح، فكان مع الصديقين والصالحين من أولياء الله تعالى وسيبقى اسم عمر بن الخطاب مخلدًا ولامعًا في تاريخ الحضارة والفقه[٢].

س- الشيخ علي طنطاوي: أنا كلما ازددت اطلاعًا على أخبار عمر، زاد إكباري وإعجابي به، ولقد قرأت سير آلاف العظماء من المسلمين وغير المسلمين، فوجدت فيهم من هو عظيم بفكره، ومن هو عظيم ببيانه، ومن هو عظيم بخلقه، ومن هو عظيم بآثاره، ووجدت عمر قد جمع العظمة من أطرافها، فكان عظيم الفكر والخُلق والبيان، فإذا أحصيت عظماء الفقهاء والعلماء، ألفيت عمر في الطليعة، فلو لم يكن له إلا فقهه لكان به عظيمًا، وإن عددت الخطباء والبلغاء كان اسم عمر من أوائل الأسماء، وإن ذكرت عباقرة المشرعين، أو نوابغ القواد العسكريين، أو كبار الإداريين الناجحين، وجدت عمر إمامًا في كل جماعة، وعظيمًا في كل طائفة، وإن استقريت العظماء الذين بنوا دولاً، وتركوا في الأرض أثرًا، لم تكد تجد فيهم أجلّ من عمر. وهو فوق ذلك عظيم في أخلاقه عظيم في نفسه[٣].

٩- آراء بعض المستشرقين في عمر رضي الله عنه:

أ- قال موير في كتابه الخلافة: كانت البساطة والقيام بالواجب من أهم مبادئ عمر

---

(١) الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب ص٣٩٣ .
(٢) تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء ص٤٦، ٤٧ .
(٣) أخبار عمر ص٥ .

وأظهر ما اتصــفت به إدارته عدم التحيز والتعــبد وكان يقدر المسئوليــة حق قدرها وكان شعــوره بالعدل قويًّا ولم يحاب أحــدًا في اختيــار عمالــه، ومع أنه كان يحمل عــصاه ويعاقب المذنب في الحــال حتى قيل إن دِرة عمــر أشد من سيف غيره إلا أنــه كان رقيق القلب وكانت له أعمال سجلت له شفقته، ومن ذلك شفقته على الأرامل والأيتام[١].

ب- وقالت عنه دائرة المعارف البريطانــية: كان عمر حاكمًا عــاقلاً، بعيد النظر، وقد أدى للإسلام خدمة عظيمة[٢].

ت- وقال الأستاذ واشنجــتون إيرفنج في كتابه محمد وخلفاؤه: إن حــياة عمر من أولها إلى آخرها تدل على أنه كان رجلاً ذا مواهب عقلية عظيمة، وكان شديد التمسك بالاستــقامــة والعدالة، وهو الذي وضع أساس الــدولة الإسلاميــة ونفذ رغــبات النبي ﷺ وثبتهــا، وآزر أبا بكر بنصائحه في أثناء خلافتــه القصيرة، ووضع قواعــد متينة للإدارة الحازمة في جــميع البلدان التي فتحهــا المسلمون، وإن اليد القوية التي وضــعها على أعظم قواده المحبــوبين لدى الجيش في البلاد النائية وقت انتصــاراتهم، لأكبر دليل على كفاءته الخارقة لإدارة الحكم وكان ببساطة أخلاقــه واحتقاره للأبهة والترف، مقتديًا بالنبي ﷺ وأبي بكر، وقد سار على أثرهما في كتبه وتعليماته للقواد[٣].

جـ- وقال الدكتور مايكل هارت: إن مآثر عمر مؤثرة حقًّا، فقد كان الشخصية الرئيــسة في انتشــار الإسلام بعــد محــمد ﷺ[٤]، وبدون فتــوحاته الســريعة من المشكوك به أن ينتــشــر الإسلام بهــذا الشكل الذي هو عليــه الآن، زد على ذلك أن معظم الأراضي التي فتحها في زمنه بقيت عربية[٥] منذ ذلك العهد حتى الآن، ومن الواضح أن محمد ﷺ له الفضل الأكــبر في هذا المضمار، ولكن من الخطأ الفادح أن نتجاهل دور عمر وقيادته الواعية[٦].

---

(١) الفاروق عمر بن الخطاب، محمد رشيد رضا ص٥٤، ٥٥ . (٢، ٣) المصدر نفسه ص٥٥ .

(٤) يبدو أن المستر مايكل هارت لا يعرف سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٥) الأراضي أصبحت ضمن الدولة الإسلامية.

(٦) من الخطأ الفادح أيضًا أن نتجاهل دور الصديق وقيادته الواعية بعد وفاة رسول الله ﷺ .

١٠- ما قيل من الشعر في رثاء الفاروق ﷺ:

قالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن الخطاب ﷺ:

فجَّعَنـــي فيـــروز لا در دره ... بأبيض تالٍ للكتـــاب مُنيـــب

رؤوف على الأدنى غليظ على العدا ... أخي ثقة في النائبـــات مجيـــب

متى ما يَقُل لا يُكـــذب القول فعله ... سريع إلى الخيـــرات غير قطوب[(١)]

وقالت أيضًا:

عين جـــودي بعبـــرة ونحيـــب ... لا تَمَلِّي على الإمـــام النجيـــب

فجعتني المنـــون بالفـــارس ... المعلم يوم الهيـــاج والتلبيب[(٢)]

عصمـــة الناس والمعـــين على ... الدهـــر وغيث المنتاب والمحروب

قـــل لأهل السراء والبؤس موتوا ... قد سقته المنـــون كأس شَعوب[(٣)]

هذا وقد طويت بوفاة الخليـفة الراشد العادل عمر بن الخطاب ﷺ صـفحة من أنصع صفحات التاريخ وأنقاها فـقد عرف فيه التاريخ رجلاً فذًّا من طراز فريد، لم يكن همه جمع المال، ولم تستهوه زخرفة السلطان، ولم تمل به عن جادة الحق سطوة الحكم، ولم يحـمل أقاربه ولا أبناءه على رقـاب الناس، بل كان كـل همه انتـصار الإسلام، وأعظم أمانيه سيـادة الشريعة وأقصى غايته تحقيق العـدالة بين أفراد رعيته، وقد حقق ذلك كله بعون الله - عز وجل - في تلك الفـترة الوجيزة التي لا تعد في عمر الدول شيئًا مذكورًا[(٤)].

إن دراسة هذه السيرة العطرة تمد أبناء الجيل بالعزائم العمرية التي تعيد إلى الحياة روعة الأيام الجميلة الماضية، وبهجتها وبهاءها، وترشد الأجيال بأنه لن يصلح أواخر

(١) المائة الأوائل ترجمة خالد عيسى وأحمد سبانو ص١٦٣ .

(٢) التلبيب: الأخذ بالصدر، كناية عن اشتداد المعركة.

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٢١٤)، الأيام الأخيرة في حياة الخلفاء د. إيلي منيف شهلة ص٤٠ .

(٤) جولة في عصر الخلفاء الراشدين ص٢٩٧ .

هذا الأمر إلا بما صلحت به أوائله وتساعد الدعاة والعلماء على الاقتداء بذلك العصر الراشدي ومعرفة معالمه وصفاته ومنهجه في السير في دنيا الناس وذلك يساعد أبناء الأمة على إعادة دورها الحضاري من جديد.

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم الأربعاء الساعة السابعة وخمس دقائق صباحًا بتاريخ ١٣ رمضان ١٤٢٢هـ الموافق ٢٨ نوفمبر ٢٠٠١م والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل ويشرح صدور العباد للانتفاع به ويبارك فيه بمنه وكرمه وجوده قال تعالى: ﴿ **مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ (فاطر، آية: ٢).

ولا يسعني في نهاية هذا الكتاب إلا أن أقف بقلب خاشع منيب بين يدي الله - عز وجل - معترفًا بفضله وكرمه وجوده فهو المتفضِّلُ وهو المكرم وهو المعين وهو الموفِّقُ، فله الحمد على ما منَّ به عليَّ أولاً وآخرًا، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه خالصًا ولعباده نافعًا، وأن يثيبني على كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكافة ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه. قال تعالى: ﴿ **رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ** ﴾ (النمل، آية: ١٩).

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه

علي محمد محمد الصَّلاَّبي

١٣ رمضان ١٤٢٢هـ

❋ ■ ❋

أهم المراجع والمصادر

١- أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، إبراهيم شعوط المكتب الإسلامي، الطبعة السادسة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢- أبو بكر رجل الدولة ، مجدي حمدي، دار طيبة- الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٣- أبو عبيدة عامر بن الجراح، محمد شُرّاب ، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٤- أبو موسى الأشعري الصحابي العالم المجاهد، عبد الحميد محمود طهمار، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٥- إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، محمد الخضري، دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٦- أخبار القضاة لوكيع، وكيع محمد بن خلف بن حيان، الطبعة الأولى ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.
٧- أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر ، تأليف علي الطنطاوي، ناجي الطنطاوي، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثامنة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٨- أدب الإملاء والاستملاء لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٠هـ / ١٩٨١م.
٩- أدب صدر الإسلام د. واضح العمد.
١٠- أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة، رفيق العظم، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١١- أصحاب الرسول ﷺ ، محمود المصري، مكتبة أبي حذيفة السلفي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
١٢- أصول التربية للنحلاوي.

١٣- إعلام الموقعين عن رب العـالمين لشمس الدين أبي عبد الله مـحمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق محمد محي الدين عبد الحـميد المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت، طبعة ١٤٠٧هـ.
١٤- أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الخليفة المجتهد، للعمراني
١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، طبعة من اللجنة المشتركة لنشر وإحياء التراث.
١٥- أنس بن مالك الخادم الأمين والمحب العظيم، عبد الحـميد طهمار، دار القلم ، دمشق، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٦- أهل الذمـة في الحضـارة الإسلامـية: حـسن المِمّي، دار الغرب الإسـلامي ، ١٩٨٨م الطبعة الأولى.
١٧- أهل الفسطاط: د.صـالح أحمـد العلي، شركة المطبـوعات للتـوزيع والنشر، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
١٨- أوليات الفاروق ، د. غالب عبـد الكافي القرشي، المكتب الإسلامي بيروت، مكتبة الحرمين الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
١٩- استخلاف أبي بكر الصديق، جمال عبـد الهادي، الدكتورة وفاء محمد رفعت جمعة، دار الوفاء المنصورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٢٠- اقتـصاديات الحرب في الإسـلام ـ د.غازي مكتبـة الرشد الرياض ، الطبـعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٢١- الأبعاد السـياسية لمفـهوم الأمن في الإسلام، مـصطفى منجود، المعهـد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
٢٢- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحـمن السيوطي، دار ابن كثير ، دمشق بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧م.
٢٣- الإحسان في تقريب صحيح ابن حـبان ، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.
٢٤- الأحوال الشخصية لأبي زهرة.

٢٥- الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية نشأتها وتطورها حتى منتصف القرن الثالث الهجري، د. سليمان بن صالح بن سلميان آل كمال، منشورات جامعة أم القرى.
٢٦- الإدارة العسكرية في عهد عمر بن الخطاب، د. فاروق مجدلاوي، روائع مجدلاوي، الأردن، لبنان، قطر، الطبعة الثانية ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨.
٢٧- الأدب في الإسلام في عهد النبوة وخلافة الراشدين، د.نايف معروف دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤١٠ ـ ١٩٩٠م.
٢٨- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر بن عبد البر، دار الكتب العربي، بيروت.
٢٩- الإسرائيليات في التفسير والحديث، محمد حسين الذهبي ـ دار الإيمان دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٥.
٣٠- الإسلام والحضارة، للندوة العالمية للشباب، أبحاث وقائع اللقاء الرابع للندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في الرياض ٢٧ربيع الثاني ١٣٩٩هـ، الناشر شركة دار العلم للطباعة بالسعودية ـ الطبعة الثانية.
٣١- الإسلام وحركة التاريخ، أنور الجندي، دار الكتاب المصري ـ الطبعة الأولى ١٩٨٠م.
٣٢- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٣٣- الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة السادسة ١٩٨٤م (تراجم ـ حديث).
٣٤- الأغاني للأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٠م/ ١٣٨٠هـ.
٣٥- الإمارة والرد على الرافضة، لأبي نعيم الأصبهاني مكتبة العلوم والحكم ط. أولى ١٤٠٧هـ.

٣٦- الأموال لأبي عبيد قاسم بن سلاَّم ، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الفكر بيروت ـ الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.
٣٧- الأنصار في العصر الراشدي، للدكتور/ حامد محمد الخليفة ، رسالة علمية لم تطبع بعد.
٣٨- الأيام الأخيرة في حياة الخلفاء ـ د. إيلي منيف شهلة، دار الكتاب العربي، دمشق ، القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
٣٩- الاجتهاد في الفقه الإسلامي ضوابطه ومستقبله، عبدالسلام السليماني، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية المغربية، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
٤٠- الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر نشاط آباد، فيصل آباد باكستان.
٤١- الاكتفاء لما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء لأبي الربيع سليمان الكلاعي الأندلسي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
٤٢- البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، سعاد ماهر، دار المجمع العلمي ، جدة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
٤٣- البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، دار الريان، القاهرة الأولى ١٤٠٧ ـ ١٩٨٨م.
٤٤- البيان والتبيان، للجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، دار الخانجي بمصر، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
٤٥- التاريخ الإسلامي مواقف وعبر د. عبد العزيز عبد الله الحميدي ، دار الدعوة، الإسكندرية ، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
٤٦- التاريخ الإسلامي العام، علي حسن إبراهيم، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة.
٤٧- التبيان في آداب حملة القرآن ، للنووي، دار القرآن الكريم، بيروت.
٤٨- التجارة وطرقها في الجزيرة العربية ـ د. محمد العمادي مؤسسة حماده، الأردن.

٤٩- التربية القيادية، منير الغضبان، دار الوفاء المنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٥٠- التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، محمد السيد محمد يوسف، دار السلام، مصر ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٥١- التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، صالح أحمد العلي، الطبعة الثانية، دار الطليعة، بيروت ١٩٦٩م.

٥٢- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتاب العربي ، القاهرة، ١٩٨٧م الطبعة الثالثة.

٥٣- الجهاد في سبيل الله، عبد الله القادري ، دار المنارة جدة - الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٥٤- الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة، د. محمد أبو زهو، دار الكتاب العربي، بيروت ، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٥٥- الحرب النفسية د. أحمد نوفل، دار الفرقان، عمان، طبعة عام ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٥٦- الحسبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين - د. منهل إلهي، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٥٧- الحضارة الإسلامية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار غريب، القاهرة.

٥٨- الحكمة في الدعوة إلى الله ،د. سعيد القحطاني، مؤسسة الجريسي، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٥٩- الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى د. محمد بطاينة ، دار طارق ، دار الكندي، الأردن.

٦٠- الخراج لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، دار المعرفة، بيروت لبنان ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٦١- الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري، د. يحيى إبراهيم اليحيى ، دار الهجرة، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٦٢- الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية، سالم البهنساوي، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٦٣- الخلفاء الراشدون، حسن أيوب، دار التوزيع والنشر الإسلامية ،الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٦٤- الخلفاء الراشدون، عبد الوهاب النجار، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٦٥- الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، عبد الرحمن عبد الكريم العاني، د. حسن فاضل زعين، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد طبعة ١٩٨٩م.
٦٦- الخنساء أم الشهداء ، عبد المنعم الهاشمي، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.
٦٧- الدرالمنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن السيوطي، الناشر، محمد أمين دمج، بيروت ، لبنان.
٦٨- الدعوة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب ، حسني محمد إبراهيم غيطاس، المكتب الإسلامي.
٦٩- الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام ، السيد عمر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٧٠- الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، حمدي شاهين ، دار القاهرة، بدون تاريخ الطبعة.
٧١- الدولة العباسية ، محمد الخضري بك، مؤسسة دار الكتاب الحديث بيروت، لبنان ١٩٨٩م.
٧٢- الرقائق لمحمد أحمد الراشد.
٧٣- الرقابة المالية في الإسلام د. عوف الكفروي.
٧٤- الرقة والبكاء، موفق الدين عبد الله أحمد بن قدامة، دار القلم دمشق ، الدار الشامية بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٧٥- الرياض النضرة في مناقب العشرة، لأبي جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري، المكتبة القيمة القاهرة.
٧٦- الزهد ، لوكيع ، وكيع بن الجراح، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٧٧- السلطة التنفيذية، د. محمد الدهلوي، دار المعراج الدولية الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ٢٠٠٠م.
٧٨- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
٧٩- السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن حسين بن علي البيهقي، دار المعرفة ، بيروت، لبنان.
٨٠- السياسة الشرعية د. إسماعيل بدوي، مكتبة المنار، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.
٨١- السيرة النبوية الصحيحة د. أكرم العمري، الطبعة الأولى
١٤١٢هـ ١٩٩٢م مكتبة المعارف والحكم بالمدينة المنورة.
٨٢- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد الصلّابي.
٨٣- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ،د. محمد محمد أبو شهبة ، دار القلم دمشق الطبعة الثانية ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
٨٤- السيرة النبوية لابن هشام، دار إحياء التراث، الطبعة الثانية
١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
٨٥- الشعر والشعراء لابن قتيبة، دار الحديث، القاهرة.
٨٦- الشيخان أبو بكر وعمر برواية البلاذري في أنساب الأشراف تحقيق د. إحسان صدقي العمد، المؤتمن للنشر، السعودية ـ الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
٨٧- الصحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، المكتب الإسلامي ، بيروت لبنان.

٨٨- الصفات الشخصية وسمات السلوك القيادي عند عمر بن الخطاب د.محمد النوافلة، دار مجدلاوى، الأردن.
٨٩- الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، نادية حسين صقر، الطبعة الأولى، دار الشروق ، جدة ١٤٠١هـ.
٩٠- الطبقات الكبرى ، لابن سعد، دار صادر - بيروت .
٩١- الطريق إلى المدائن، أحمد عادل كمال ، دار النفائس ـ الطبعة السادسة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٩٢- الطريق إلى دمشق، أحمد عادل كمال، دار النفائس، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٩٣- العشرة المبشرون بالجنة، محمد صالح عوض، مؤسسة المختار ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.
٩٤- العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ـ د. سليمان بن رجاء السحيمي، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
٩٥- العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل، تحقيق: وصي الله عباس، المكتب الإسلامي.
٩٦- العلو للعلي الغفار، محمد أحمد الذهبي.
٩٧- العمدة لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق ، محمد محي الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م.
٩٨- العمليات التعرضية الدفاعية ، نهاد عباس، دار الحرية بغداد.
٩٩- العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع ، الدكتور أحمد عبد الله الزغيبي، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
١٠٠- الفاروق القائد، محمود شيت خطاب، دار الفكر، الطبعة الرابعة ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.
١٠١- الفاروق عمر بن الخطاب ، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٠٢- الفاروق عمر، عبد الرحمن الشرقاوي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
١٠٣- الفاروق مع النبي د. عاطف لماضه، دار الصحابة بطنطا، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
١٠٤- الفتوح ابن أكثم الكوفي، الطبعة الأولى ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد، الهند ١٣٨٨هـ ـ ١٩٨٦م.
١٠٥- الفتوحات الإسلامية: د.عبد العزيز الشناوي ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
١٠٦- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد بن حزم الظاهري ، مكتبة الخانجي ، مصر.
١٠٧- الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الجزائري.
١٠٨- الفن الحربي في صدر الإسلام ـ عبد الرؤوف عون، دار المعارف مصر، طبعة ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م.
١٠٩- الفن العسكري الإسلامي، د.ياسين سويد ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.
١١٠- القادسية، أحمد عادل كمال، دار النفائس، الطبعة التاسعة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
١١١- القضاء في الإسلام، عطية مصطفى مشرفة ـ شركة الشرق الأوسط، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٦م.
١١٢- القضاء في عهد عمر بن الخطاب: د. ناصر الطريقي، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
١١٣- القضاء ونظامه في الكتاب والسنة، د. عبد الرحمن الحميضي، منشورات جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.
١١٤- القلم لأبي خيثمة، تحقيق الألباني، دار الأرقم، الكويت.

١١٥- القيادة العسكرية في عهـد الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار القلم، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠.
١١٦- القيـادة والتغييـر ، بشير شكيب الجـابري ، دار حافظ جدة، الطبـعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
١١٧- القيود الواردة على سلطة الدولة د. عبد الله الكيـلاني، دار البشير ، عمان، مؤسسة الرسالة ،الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
١١٨- الكامل في التـاريخ، أبو الحسن علي بن أبي المكارم الشـيبانـي المعروف بابن الأثير، تحـقيق علي شـيري، دار إحيـاء التراث العـربي، بيروت الطبـعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٩م.
١١٩- الكامل في اللغـة والأدب، لأبي العبـاس محـمد بن يزيد، البـابي الحلبي، مصر، طبعة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
١٢٠- الكفاءة الإدارية د. عبد الله قادري، دار المجتمع، جدة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
١٢١- المائة الأوائل ترجمة خالد عيسى وأحمـد سبانو، للدكتور مايكل هارت، دار ابن قتيبة، الطبعة الثامنة ١٤١٩ ـ ١٩٩٨م.
١٢٢- المبسوط لمحمـد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السـرخسي ـ دار المعرفة بيروت.
١٢٣- المجتمع الإسلامي دعائمه وآدابه د. محمـد أبو عجوة، الناشر مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، نوفمبر ١٩٩٩م.
١٢٤- المحلى بالآثار ، للإمـام أبي مـحـمد علي بـن أحمـد بن سـعيـد بن حـزم الأندلسي، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان.
١٢٥- المدونة الكبـرى للإمام مـالك بن أنس الأصبـحي رواية الإمام سـحنون، دار الفكر ـ بيروت ١٣٩٨هـ.
١٢٦- المدينة النبوية فجر الإسـلام والعصر الراشدي ـ محمد محـمد حسن شُرّاب ـ دار القلم -بيروت، الدار الشامية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤م.

١٢٧- المرتضى، سيرة أمير المؤمنين لأبي الحسن الندوي، دار القلم ، دمشق الطبعة الثانية ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
١٢٨- المستدرك على الصحيحين، للإمام أبي عبد الله النيسابوري بذيله التخليص للذهبي طبعة سنة ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م، دار الفكر.
١٢٩- المصنف للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المكتب الإسلامي ، بيروت الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ.
١٣٠- المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، د. محمد الديك الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، دار الفرقان للنشر والتوزيع.
١٣١- المعجم الكبير للطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، طبعة أولى ١٤٠٠هـ الدار العربي للطباعة ، بغداد.
١٣٢- المعرفة والتاريخ للفسوي، لأبي يوسف الفسوي تحقيق أكرم ضياء العمري ، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٣٩٤هـ.
١٣٣- المغني للإمام العلامة ابن قدامة المقدسي، دار الحديث القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
١٣٤- الموارد المالية د. يوسف عبد الغفور.
١٣٥- الموسوعة الحديثية مسند الإمام أحمد بن حنبل وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
١٣٦- الموطأ للإمام مالك بن أنس الأصبحي، صححه ورقمه وخرج أحاديث محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب عيسى الحلبي وشركاه.
١٣٧- النجوم الزاهرة ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري الأتابكي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
١٣٨- النظام السياسي في الإسلام، محمد أبو فارس، دار الفرقان عمان الأردن، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

١٣٩- النظام القضائي في العهد النبوي والخلافة الراشدة، مناع القطان، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
١٤٠- النظم الإسلامية ، صبحي الصالح، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين بيروت، مايو ١٩٨٠م.
١٤١- الهندسة العسكرية في الفتوحات الإسلامية د. قصي عبد الرؤوف ، دار الشئون الثقافة العامة، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
١٤٢- الوسطية في القرآن الكريم، علي محمد الصلاّبي، دار النفائس، دار البيارق، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.
١٤٣- الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، د. عبد العزيز بن إبراهيم العمري.
١٤٤- اليرموك وتحرير ديار الشام، شاكر محمود رامز، المطابع العسكرية ـ ط١ ـ بغداد ـ ١٩٨٦م.
١٤٥- اليمن في ظل الإسلام: د. عصام الدين
١٤٦- تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين ، محمد أحمد الذهبي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٤٧- تاريخ الأمم والملوك ، لأبي جعفر الطبري، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٤٨- تاريخ التمدن، جرجي زيدان بن حبيب، دار مكتبة الحياة ـ بيروت لبنان.
١٤٩- تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٥٠- تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ـ د. جميل عبد الله المصري، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٥١- تاريخ القضاء في الإسلام، د. محمد الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٥٢- تاريخ القضاعي ،كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائق للقاضي محمد بن سلامة بن جعفر الشافي، دراسة وتحقيق د.جميل عبد الله المصري، منشورات جامعة أم القرى ، ١٤١٥هـ.

١٥٣- تاريخ المدينة، عمر بن شبة النميري، تحقيق فهيم محمد شلتون، دار الأصفهاني، جدة، بدون تاريخ.

١٥٤- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر، دار صادر بيروت ـ لبنان.

١٥٥- تاريخ بغداد ، أو مدينة السلام ، للحافظ أحمد بن علي الخطيب البغدادي دار الكتاب العربي.

١٥٦- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة الآداب النجف ١٩٦٧م.

١٥٧- تاريخ دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر، تحقيق مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية ـ دمشق.

١٥٨- تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين، د. علي محمد الصّلاّبي ـ مكتبة الصحابة، الطبعة الأولى ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١م.

١٥٩- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، للسيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبداللطيف، دار الكتب الحديثة، القاهرة ، ط الثانية ٣٨٥.

١٦٠- تذكرة الحفاظ للذهبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٦١- تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء ، الدكتور/ صبحي محمصاني دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

١٦٢- ترتيب وتهذيب البداية والنهاية، خلافة عمر د. محمد بن صامل السُّلمي ، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٦٣- تطور تاريخ العرب السياسي والحضاري د.فاطمة الشامي.

١٦٤- تفسير ابن كثير: ابن كثير القرشي، دار الفكر ودار القلم بيروت ـ لبنان الطبعة الثانية.

١٦٥- تفسير الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية.
١٦٦- تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، دار الكتب العلمية ، بيروت عن الطبعة المنيرية.
١٦٧- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة بيروت.
١٦٨- تهذيب تاريخ ابن عساكر، دار إحياء التراث العربي،بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ـ١٩٨٧م.
١٦٩- جامع الأصول في أحاديث الرسول، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري.
١٧٠- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، تصوير دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ بيروت.
١٧١- جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، محمد السيد الوكيل- دار المجتمع الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.
١٧٢- حذيفة بن اليمان، أمين سر الرسول، إبراهيم محمد العلي، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤١٧ ـ ١٩٩٦م.
١٧٣- حركة الفتح الإسلامي، شكري فيصل، دار العلم للملايين ـ الطبعة السادسة ١٩٨٢م.
١٧٤- حروب الإسلام في الشام في عهود الخلفاء الراشدين، محمد أحمد باشميل، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
١٧٥- حروب الردة وبناء الدولة الإسلامية، أحمد سعيد بن سالم، دار المنار، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.
١٧٦- حروب القدس في التاريخ الإسلامي والعربي ـ د. ياسين سويد، دار الملتقى، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
١٧٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧٨- خالد بن الوليد، صادق عرجون، الدار السعودية، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٧٩- خلاصة تاريخ ابن كثير، محمد كنعان مؤسسة المعارف- بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
١٨٠- خلافة الصديق والفاروق، عبد العزيز الثعالبي، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
١٨١- دراسات في الحضارة الإسلامية، أحمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العربي.
١٨٢- دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، د. عبد الرحمن الشجاع، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.
١٨٣- دراسة في تاريخ المدن العربية ـ د. عبدالجبار ناجي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
١٨٤- دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة د. أحمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العربي ـ الطبعة الثانية ١٩٧٧م.
١٨٥- دور المرأة السياسي في عهد النبي والخلفاء الراشدين، أسماء محمد- دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.
١٨٦- روضة الطالبين وعمدة المفتين لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت لبنان ـ الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.
١٨٧- زاد المعاد في هدي خير العباد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، حققه: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، دار الرسالة.
١٨٨- سراج الملوك، أبو بكر الطرطوشي، المطبعة الوطنية، الإسكندرية ١٢٨٩هـ - ١٨٧٢م.
١٨٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، المكتب الإسلامي.
١٩٠- سنن أبي داود: الإمام أبو داود سليمان السجستاني، تحقيق وتعليق عزت الدعاس ١٣٩١هـ، سوريا.

١٩١- سنن ابن ماجه ، الحافظ أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني، دار الفكر.
١٩٢- سنن الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار الفكر ١٣٩٨هـ.
١٩٣- سنن النسائي، أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان بن دينار النسائي بشرح جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م دار الفكر، بيروت.
١٩٤- سياسة المال في الإسلام في عهد عمر بن الخطاب ، عبد الله جمعان السعدي، الناشر مكتبة المدارس، الدوحة، قطر، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٩٥- سير أعلام النبلاء ، محمد أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة ، الطبعة السابعة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
١٩٦- سير السلف لأبي القاسم الأصفهاني، دار الراية ، الرياض - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١٩٧- سير الشهداء دروس وعبر، عبد الحميد عبد الرحمن السحيباني - دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١٩٨- شرح أصول اعتقاد أهل السنة- اللالكائي ، تحقيق د.أحمد بن سعد حمدان الغامدي دار طيبة، الرياض- السعودية.
١٩٩- شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن علي بن محمد الأذرعي ، خرج أحاديثها، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت.
٢٠٠- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد المدائني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - ط. البابي الحلبي - القاهرة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
٢٠١- صبح الأعشى في قوانين الإنشاء ، لأحمد بن علي القلقشندي - وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر ١٣١٨هـ، مكتبة الحلواني ، سوريا ، عام ١٣٩٢هـ.
٢٠٢- صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، دار الفكر الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٠٣- صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق عمر بن الخطاب، مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
٢٠٤- صحيح السيرة النبوية: إبراهيم صالح العلي، دار النفائس، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٩٨م.
٢٠٥- صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م.
٢٠٦- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٢م.
٢٠٧- صفة الصفوة، للإمام أبي الفرج ابن الجوزي، دار المعرفة، بيروت.
٢٠٨- صلاح الأمة في علو الهمة، الدكتور سيد بن حسين العفاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
٢٠٩- صلح الحديبية، محمد أحمد باشميل، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٣م، ١٣٩٣هـ.
٢١٠- طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي، شرح محمود شاكر، مطبعة المدني القاهرة.
٢١١- عبادة بن الصامت صحابي كبير وفاتح مجاهد، الدكتور/ وهبة الزحيلي، دار القلم دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٢١٢- عبادة بن الصامت صحابي كبير وفاتح مجاهد، د. وهبة الزحيلي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٢١٣- عبقرية الإسلام في أصول الحكم، منير العجلاني، دار النفائس، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.
٢١٤- عبقرية خالد، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية ـ بيروت.
٢١٥- عبقرية عمر، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية، بيروت.
٢١٦- عصر الخلافة الراشدة ـ د. أكرم ضياء العمري مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٢١٧- عصر الخلافة الراشدة، د. أكرم ضـياء العمري، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٢١٨- عقـيدة أهل السنة والجـماعـة في الصحـابة الكرام د. ناصر بن علـي حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٣ ـ ١٩٩٣م.

٢١٩- عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجـموعة الرسائل المنيرية ، إسماعيل الصابوني، إدارة الطباعة المنيرية، نشر محمد أمين دمج، بيروت ـ ١٩٧٠م.

٢٢٠- علم أصول الفقه وتاريخ التشريع، أحمد إبراهيم بك، المطبعة الفنية القاهرة.

٢٢١- علم التـاريخ عند المسلمين ترجـمـة صالح أحـمد الـعلي، فرانز روزنتـال ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٢٢٢- علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشـدين، د. محمد عمر الحاجي، دار الحافظ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٢٢٣- عمر بن الخطاب ، د. مـحمد أحمد أبو النصر، دار الجيل ـ بـيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٢٢٤- عـمر بن الخطاب، حـياته، علمـه، أدبه، د. علي أحـمد الخطيب، عـالم الكتب، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٢٢٥- عمر بن الخطاب، صالح بن عبد الرحـمن بن عبد الله، دار القاسم ، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٢٦- عمرو بن العاص القائد والسياسي، د. عبد الرحـيم محمد عبد الحميد علي، دار زهران للنشر، عمّان، ١٤١٩ ـ ١٩٩٨م.

٢٢٧- عوامل النصر والهزيمة ، شوقي أبو خليل، دار الفكر ، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٢٨- عون المعبـود شرح سنن أبي داود، محمد شـمس الحق العظيم آبادي. ضبط وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان ، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

٢٢٩- عيون الأخبار لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢٣٠- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، يحيى بن الحسين.
٢٣١- فتح الباري، المطبعة السلفية، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.
٢٣٢- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير: محمد علي الشوكاني ، دار الفكر.
٢٣٣- فتح مصر بين الرؤية الإسلامية والرؤية النصرانية ـ د.إبراهيم المتناوي، دار البشير، طنطا، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.
٢٣٤- فتح مصر، صبحي ندا، دار البشير ـ طنطا، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
٢٣٥- فتوح البلدان للبلاذري ، لأبي العباس أحمد بن يحيى البلاذري ، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٢٣٦- فتوح مصر لابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، نسخة عن طبعة لندن (١٣٣٩هـ-١٩٢٠م)، نشر مكتبة المثنى بغداد.
٢٣٧- فرائد الكلام للخلفاء الكرام ، قاسم عاشور، دار طويق- السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
٢٣٨- فصل الخطاب في مواقف الأصحاب، محمد صالح الغرسي، دار السلام، مصر ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
٢٣٩- فضائل الصحابة لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، دار ابن الجوزي ، السعودية ، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
٢٤٠- فقه الأولويات، دراسة في الضوابط محمد الوكيلي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤١٦هـ / ١٩٩٧م.
٢٤١- فقه الائتلاف ، محمود محمد الخازندار، دار طيبة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
٢٤٢- فقه التمكين في القرآن الكريم ، علي محمد الصّلاّبي ، دار البيارق، عمّان، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

٢٤٣- فقه الزكاة، يوسف القرضاوي، الطبعة الرابعة ـ ١٩٨٠م ـ مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان.
٢٤٤- فقه السيرة النبوية، محمد سعيد رمضان البوطي، الطبعة الحادية عشرة ١٩٩١م ـ دار الفكر ، دمشق ـ سوريا.
٢٤٥- فن الحكم في الإسلام ، مصطفى أبو زيد فهمي، المكتب المصري الحديث.
٢٤٦- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ، ١٣٩١هـ، ١٩٧٢.
٢٤٧- لقاء المؤمنين، عدنان النحوي، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض ـ السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٢٤٨- لله ثم للتاريخ، كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار، السيد حسين الموسوي دار اليقين.
٢٤٩- لوامع الأنوار البهية، شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة الرضية لمحمد بن أحمد السفاريني، المكتب الإسلامي.
٢٥٠- مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، للقلقشندي، تحقيق عبد الستار أحمد الفرج، عالم الكتب، بيروت.
٢٥١- مبادئ النظام الاقتصادي الإسلامي: د. سعاد إبراهيم صالح دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
٢٥٢- مجلة البحوث العلمية، تصدر عن الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، رجب- شعبان ـ رمضان ـ شوال ١٤٠٣هـ.
٢٥٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الريان القاهرة ، دار الكتاب العربي بيروت.
٢٥٤- مجموعة الفتاوى، تقي الدين أحمد ابن تيمية الحرّاني ، دار الوفاء بالمنصورة، مكتبة العبيكان بالرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
٢٥٥- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي، والخلافة الراشدة، محمد حميدالله، دار النفائس، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٥٦- محض الصواب في فضائل أمـير المؤمنين عمر بن الخطاب، للإمام يوسف بن الحسن بن عبد الهادي الدمشقي الصّالحي الحنبلي، دار أضواء السلف ، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٥٧- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٢٥٨- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن حسين بن علي المسعودي دار المعرفة- بيروت.

٢٥٩- مرويات أبي مـخنف في تاريخ الطبـري ـ عصر الخـلافة الراشـدة ـ د. يحيى إبراهيم اليحيى، دار العاصمة بالرياض الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٢٦٠- مسند أحمد ، المكتب الإسلامي بيروت.

٢٦١- مسند الشافعي ، ترتيب محمد عابد السندي، دار الكتب العلمية.

٢٦٢- مصنف ابن أبي شـيبـة ـ للإمام أبي بكر عبـد الله بن محـمد بن أبي شيـبة العبسي، دار القرآن والعلوم الإسلامية ـ كراتشي باكستان ١٤٠٦هـ .

٢٦٣- مع الرعـيل الأول، مـحب الدين الخطيب، دار الكتب العـلميـة ـ بيـروت، لبنان، الطبعة عام ١٤٠٩ ـ ١٩٨٨م.

٢٦٤- مـعاملة غـير المسلمين في المجـتمـع الإسلامي، إدوار غـالي الذهبي مكتبـة غريب، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

٢٦٥- معجم الأدباء ، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت.

٢٦٦- مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية بيروت.

٢٦٧- مقدمة ابن خلدون.

٢٦٨- من أخلاق النصـر في جيل الصـحابة، الدكـتور السيـد محـمد نوح دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٦٩- من معين السـيرة، صـالح أحمد الشـامي، المكتب الإسلامي الطبـعة الثـانية ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٧٠- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لأبي الفرج عبد الرحمن الجوزي ـ دار الكتاب العربي، بيروت ـ الطبعة الرابعة ١٤١٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٧١- منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٧٢- منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب، دار الشروق الطبعة الخامسة، ١٤٠٣ـ ١٩٨٣م.

٢٧٣- منهج الرسول في غرس الروح الجهادية في نفوس أصحابه، السيد محمد نوح، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م نشرته جامعة الإمارات العربية المتحدة.

٢٧٤- موسوعة فقه عمر بن الخطاب د. محمد قلعجي، دار النفائس ـ الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٢٧٥- نسب قريش: أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن الزبيري دار المعارف القاهرة.

٢٧٦- نصب الراية لأحاديث الهداية لعبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.

٢٧٧- نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ظافر القاسمي دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٧٨- نظام الحكومة الإسلامية: للكتاني: المسمى التراتيب الإدارية محمد عبد الحي الكتاني الإدريسي الحسني، الأرقم بن أبي الأرقم ـ بيروت.

٢٧٩- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، مطبعة كوتسا توماسي بالقاهرة.

٢٨٠- نونية القحطاني لأبي محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني، دار السوادي السعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩ .

٢٨١- وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد باكريم محمد باعبد الله، دار الراية، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٨٢- وقائع ندوة النظم الإسلامية ، أبو ظبي ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.

الفهرس

الموضوع الصفحة

الفصل الأول
عمر رضي الله عنه بمكة

الفصل الثاني
التربية القرآنية والنبوية لعمر بن الخطاب رضي الله عنه

الفصل الثالث
استخلاف الصديق للفاروق
وقواعد نظام حكمه وحياته في المجتمع

الفصل الرابع
المؤسسة المالية والقضائية وتطويرها في عهد عمر

الفصل الخامس
فقه عمر رضي الله عنه في التعامل مع الولاة

الفصل السادس

فتوحات العراق والمشرق في عهد عمر رضي الله عنه

الفصل السابع
فتوحات الشام ومصر وليبيا

* ● *